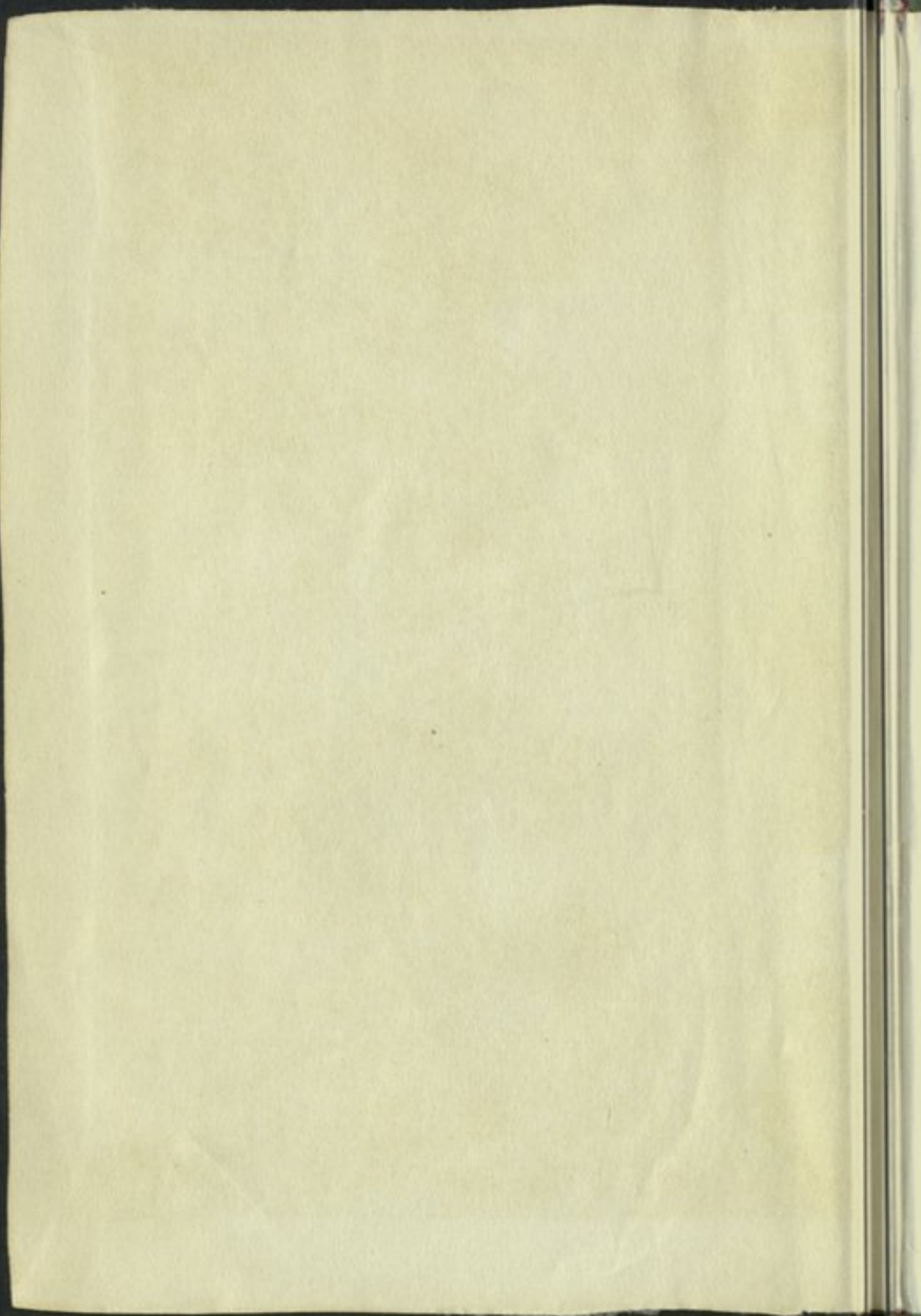
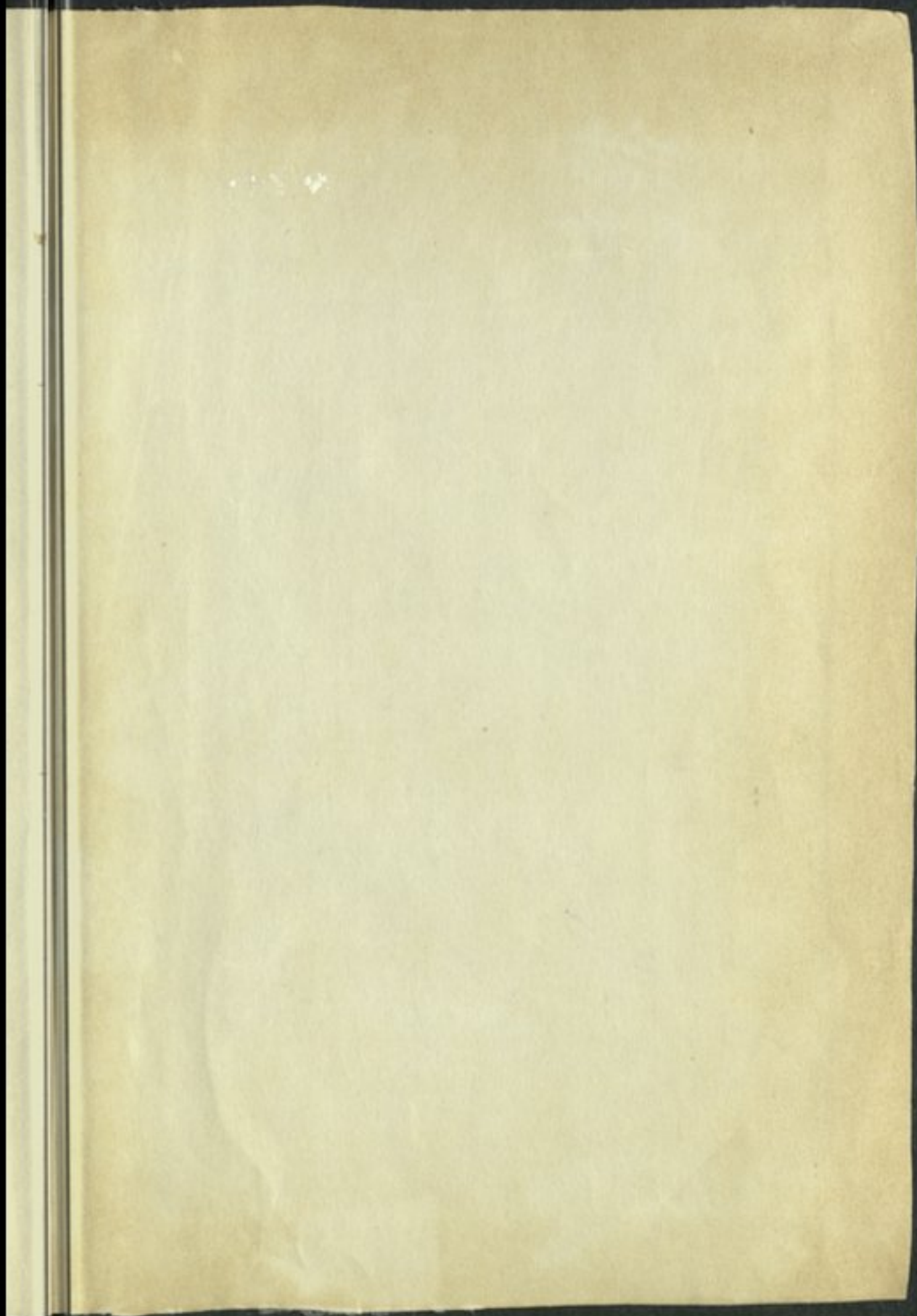


29
30
31
32

AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT





297.09

D12 FA

v.1

c.1

الفتوحات
الاسلامية

COPIES
RIGHT
BY

COPIES
RIGHT

سعادة
الشيخ
الشيخ

297.09
DIZFA

الجزء الاول

v.1
C.1

من الفتوحات الاسلامية * بعد مضي القرون
النبوية * لمؤلفها فريد العصر والأوان * على
الهمة عظيم الشأن * شيخ الاسلام بالأقطار
الحجازية * ومفتي السادة الشافعية بمكة
المحجة * الاستاذ السيد أحمد بن
السيد زيني دحلان * أسكنه
الله بحبوة الجنان
آمين آمين
آمين

طبع على نفقة

مصطفى فهمي الكنتي بمصر

49599

بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

(سنة ١٣٣٠ هجرية)

East India 1934

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين
 ﴿ أما بعد ﴾ فيقول العبد الفقير خادماً لطلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب
 والآثام المرتجى من ربه الغفران أحمد بن زيني دخلان غفر الله له ولوالديه
 ومشايقه ومحبيه والمسلمين أجمعين هذه وريقات جمعت فيها بغاية الاختصار
 الفتوحات الإسلامية التي اقتتها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعدهم
 من الخلفاء والملوك فابتدأت بما كان منها في زمن سيدنا أبي بكر الصديق رضي
 الله عنه وسمينها (الفتوحات الإسلامية) بعد مضي الفتوحات النبوية فأولها بعث
 جيش أسامة بن زيد رضي الله عنهما لان النبي صلى الله عليه وسلم جهزه في زمنه
 الذي توفي فيه وأمره أن يسير الى الموضع الذي استشهد فيه أبوه زيد بن حارثة
 رضي الله عنه وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين
 ومشارك الشام وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مسير جيش أسامة فلما
 استخلف أبو بكر رضي الله عنه وارتد كثير من العرب أشار عليه بعض الصحابة
 رضي الله عنهم بتأخير جيش أسامة رضي الله عنه فامتنع وقال أول شيء أنفذه سير
 الجيش الذي جهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ظننت أن السباع تخطفني
 لأنفذت جيش أسامة الذي جهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار أسامة رضي
 الله عنه بجيشه كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبت الجنود في بلاد فضاة
 التي ارتدت وأغار على ابني فسبي وقتل وغنم ورجع لأربعين يوماً ولم يحدث أبو
 بكر رضي الله عنه في مغيبه شيئاً وكان انفاذ جيش أسامة من أعظم الأمور نفعا

سالمين
 فير مما
 فعليه و
 بسم الله
 بية أبي
 المدينة
 لأهلها
 متعوا
 من من
 ناموا
 ببله الر
 سوس و
 سلم وأ
 وسلم ف
 العر
 الله
 لهم و
 ان ذلك
 بن الله
 خير
 حبة هي
 مسهيل
 قتهم و
 يارس

للساميين فان العرب قالوا لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش فكفوا عن
كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه ولما ارتد كثير من العرب بعد وفاة النبي صلى
الله عليه وسلم ثبتت قريش وثقيف على الاسلام ولم يرتد أحد منهم وأما قريش
فثبتهم الله بسهيل بن عمرو والعامري رضى الله عنه فانه خطب أهل مكة خطبة تشبه
خطبة أبي بكر رضى الله عنه التي خطب بها يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وثبت
على المدينة بها فلما جاء خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة ارتجت مكة
كأهلها يرتدون فقام سهيل بن عمرو ورضى الله عنه على باب الكعبة وصاح بهم
اجتمعوا اليه فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقال أيها
الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت
ألم تعلموا أن الله قال انك ميت وانهم ميتون * وقال وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل * وتلا آيات آخر ثم قال والله انى أعلم أن هذا الدين ليمتد امتداد
الشمس والقمر في طلوعهما وغروبهما وقال أيضا يا أهل مكة لاتكونوا آخر
من أسلم وأول من ارتد والله ليمنن الله هذا الامر كما ذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلقد رأيته قائما قماي هذا وحده وهو يقول قولوا معي لا اله الا الله تدب
اليكم العرب وتودى اليكم العجم الجزية والله لتنفقن كنوز كسرى وقبصر في
سبيل الله فمن بين مسنيزى ومصندق فكان ما رأيتم فوالله ليكونن الباقي ثم
ذكر لهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلاف أبي بكر رضى الله عنه
وقال ان ذلك لم يزد الاسلام الا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه فتوكلوا على ربكم
فان دين الله قائم وكلمته نامية وان الله ناصر من نصره ومقود دينكم وأن الله جمعكم
على خيركم يعني أبا بكر رضى الله عنه فتراجع الناس وكفوا عما هموا به وهذه
الخطبة هي المقام الذي أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة بدر لما
أسر سهيل بن عمرو مع من أسر من كفار قريش يوم بدر وكان فصيحاً بليغاً يخطبهم
ويحجهم ويحرضهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فلما أسر قال عمر رضى الله
عنه يا رسول الله دعنى أنزع نيتى سهيل بن عمرو فلا يقوم عليك خطيبا في

مواطن أبدالان سهيلا كان أعلم أي مشقوق الشفة العليا والاعلم اذا نزلت
ثنيته لم يستطع الكلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي
الله عنه دع يا عمر فعسى أن يقوم مقامات محمد عليه ولا ندعه فكان ذلك المقام هذه
الخطبة التي قام بها حين جاءهم بمكة خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وثبت الله بها
أهل مكة وكان إسلام سهيل بن عمرو عام فتح مكة واستشهد يوم اليرموك سنة ثنتي
عشرة وقيل مات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة ويجمع نسبه مع النبي
صلى الله عليه وسلم في لؤي بن غالب لانه من بني عامر بن لؤي والنبي صلى الله عليه
وسلم من بني كعب بن لؤي وكان سهيل رضي الله عنه من أشرف قريش وله
ترجمة واسعة وأما تقيف فثبتهم الله بعثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه فانه
قام فيهم بمثل ما قام به سهيل بن عمرو في مكة فثبتوا به وكان قبل وفاة النبي صلى الله
عليه وسلم ظهور مسيمة الكذاب ودعواه النبوة بالجمامة وظهور طليحة بن
خويلد الاسدي ودعواه النبوة في بني أسد وغطفان وظهور الاسود العنسي
ودعواه النبوة باليمن فاما الاسود العنسي فسلط الله عليه فيروز الديلمي فقتله
وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله قبل وفاته ثم جاءتهم الاخبار بقتله في أول
خلافة أبي بكر رضي الله عنه * وأما مسيمة وطلحة الاسدي فسيأتي الكلام
عليهما * ولما اراد كثير من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عظمت مصيبة
المسلمين واشربت اليهودية والنصرانية وعم النفاق وصار المسلمون كالغنم
المطيرة في الليلة الشاتية واضطربت الارض نارا وكانت ردتهم مختلفة فمنهم من
قال لو كان نبيامات ومنهم من قال انقضت النبوة بموته فلا نطيع أحدا أبدا
ومنهم من قال نؤمن بالله ومنهم من قال نؤمن بالله ونشهد أن محمدا رسول الله
ونصلي ولكن لانعطيكم أموالنا فقال أبو بكر رضي الله عنه ان الزكاة مثل الصلاة
والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم
عليه بخادله في ذلك كثير من الصحابة منهم عمر وأبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة
وغيرهم ومن مجادلهم له قول عمر رضي الله عنه له تألف الناس وارفق بهم فانهم

بنزله الوحش فقال له أبو بكر رضي الله عنه رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك
أجبار في الجاهلية وخوار في الإسلام قد انقطع الوحي وتم الدين أينقص وأناحي
والله لأجاهدنيهم مهما استمسك السيف في يدي وإن منعوني عقالا وقال له عمر
أيضا انما نعت العرب على أموالها فلو تركت للناس صدقة هذه السنة فأبي
الاقتالهم وقال له عمر أيضا كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله فإذا قالوها
عصمو أمني دماءهم وأموالهم فقال له أبو بكر رضي الله عنه أليس قد قال لا يحقها
ومن حقها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والله لو منعوني عقالا وفي رواية عناقا كانوا
يؤدونني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ولو خذلني الناس كلهم
لجاهدنيهم بنفسى فقال عمر رضي الله عنه فوالله ما هو إلا أن رأيت أن شرح الله
صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق وقال عمر بعد ذلك والله لقد رجح إيمان أبي
بكر بإيمان هذه الأمة في قتال أهل الردة وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
لقد قننا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه لولا أن الله من علينا
بأبي بكر أجمعنا أن لا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون ونعبد الله حتى يأتينا اليقين
فغزم الله لأبي بكر على قتالهم ثم اتفق الصحابة كلهم رضي الله عنهم على قتالهم
واستصوبوا ما رآه أبو بكر رضي الله عنه قال أنس بن مالك رضي الله عنه كره
الصحابة أو لا قتال مانعي الزكاة وقالوا أهل القبلة فنقل أبو بكر رضي الله عنه
سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره وهذا دليل على كمال
شجاعته وقال أبو بكر بن عياش سمعت أبا حصين يقول ما ولد بعد النبيين مولود
أفضل من أبي بكر رضي الله عنه لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة

ذكر أول وقعة في قتال أهل الردة

كان بعض أهل الردة طمعو في استيلائهم على المدينة واستئصال الصحابة
ليرجعوا الأمر جاهلية كما كانوا فتعجل جماعة من بني عبس وذبيان ونزلوا في
الأبرق ونزل آخرون بندي القصة ومعهم قوم من بني أسد وكنانة وبعثوا وفدا إلى

أبي بكر يطلبون الاقتصار على الصلاة دون الزكاة فأبى أبو بكر من ذلك وأخذ في
الاحتراس والتخدر منهم فجعل على انقاب المدينة عليا والزبير وطلحة وعبد الله بن
مسعود وغيرهم ورجع وفد المرتدين فأخبر واقومهم بقله أهل المدينة فأغاروا على
من كان بأنقاب المدينة فبعثوا الى أبي بكر فخرج في أهل المسجد الحاضرين في
ذلك الوقت على النواضح فهربوا والمسامون في أتباعهم الى ذى خشب وكان
للمرتدين كمين في ذى حسي فنفروا ابل المسامين بستان نفخوها وفيها جبال ثم
دهدهوها على الارض فنفرت ابل المسامين وهم عليها ورجعت بهم الى المدينة
ولم يصرع مسلم فظن المرتدون بالمسامين الوهن وبعثوا الى أهل ذى القصة باخبر
فقدموا عليهم وبات أبو بكر رضى الله عنه يعي الناس وخرج على نعيته فاطلع
الفجر الا وهم والعدو على صعيد واحد فاشعروا بالمسامين حتى وضعوا فيهم
السيوف فاذا قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار وغلبوهم على عامة ظهرهم
وقتلوا رجالا منهم وتبعهم أبو بكر رضى الله عنه ومن معه حتى نزلوا بنى القصة وكان
ذلك أول الفتح ووضع بها النعمان بن مقرن في عدد ورجع الى المدينة فدل له
المشركون واعتز المسلمون بواقعة أبي بكر هذه واستبشروا ولما قدم أسامة بن زيد
استخلفه أبو بكر رضى الله عنه على المدينة وخرج بمن معه من المسامين الى ذى
حسي وذى القصة حتى نزل بالابرق فقاتل من به فهزم الله المشركين وأخذ الحطيئة
أسيرا فطأ طأت بنو عيس وبنو بكر وأقام أبو بكر بالابرق أياما وغلب على بنى
ذبيان وبلادهم وحماها لدواب المسامين وصدقائهم ثم رجع الى المدينة ولما انهزم
بنو عيس وذبيان رجعوا الى طليحة الاسدي وهو يباخنة ثم قطع أبو بكر رضى
الله عنه البعوث وعقد الالوية فعقد أحد عشر لواء وجعل لكل لواء أميرا
وعزم أبو بكر على الخروج لقتال المرتدين بنفسه وأمر الناس بالجهاد فخرجوا
وخرج هو في مائة من المهاجرين والانصار وخالد بن الوليد يحمل اللواء حتى
نزل بنى القصة ومكث أياما ينتظر الناس وبعث الى من كان حوله من أسلم وغفار

ومزينة وأشجع وجهينة فأقبلوا من كل ناحية حتى كثرت الناس وجعل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما يكلمان أبا بكر في الرجوع الى المدينة لما رأيا عزمه على المسير بنفسه وقال عمر ارجع يا خليفة رسول الله تسكن للمسلمين فتمه وردا فانك ان تقتل يرتد الناس ويعلو الباطل على الحق وأبو بكر يظهر المسير بنفسه وأخرج الدارقطني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال لما برز أبو بكر واستوى على الراحلة أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بزمامها وقال الى أين يا خليفة رسول الله أقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحستم سفيتك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للاسلام نظام أبدا ولما ألحوا عليه في الرجوع رجع بعد أن بعث الامراء في كل ناحية لقتال أهل الردة

✽ ذكر مسير خالد بن الوليد الى بزاخة لقتال طليعة بن خويلد الاسدي ✽

✽ من بني أسد بن خزيمه بن مدركة بن اليباس ✽

ادعى النبوة قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وزعم أن جبريل يأتيه وسجع للناس الأكاذيب والخرافات التي تمجها الاسماع كقوله والحمام والجمام ومصر والصوام قد ضمن قبلكم بأعوام ليبلغن ملكتنا العراق والشام وكثر أتباعه من بني أسد وغطفان وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة ويقول ان الله ما يصنع بتعفو وجوهكم وتقبيح أدباركم شيا اذ كروا الله واعبدوه فيما بعث أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد رضي الله عنه لقتال طليعة ومعه كثير من المهاجرين والانصار ومعه أيضا عدي بن حاتم في ألف من طي، وكان طليعة قد أسلم ثم ارتد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وكان كاهنا فادعى النبوة فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم استطار أمر طليعة واجتمعت اليه غطفان وهو ازن وغيرهم وارتد أيضا عيينة بن حصن الفراري وصار مع طليعة ونزلوا جميعا بزاخة فقصدهم خالد بن الوليد بمن معه وتقاتلوا واشتد القتال ثم انهزموا فقتل من قتل منهم وأسلم من أسلم فوثب طليعة على فرسه واحتقب امره وأنه ونجاها الى الشام روى ان طليعة

قال لا صحابه لما رأى انهزمهم و يلبسكم ما يهزمكم فقال له رجل منهم أنا أخبركم انه
ليس منا رجل الا وهو يحب ان صاحبه يموت قبله وانا لنتقي قوما كلهم يحب ان
يموت قبل صاحبه وكان خالد بن الوليد قبل القتال و لقاء القوم أرسل طليعة
عكاشة بن محصن الأسدي وثابت بن أرقم الانصاري فلقبهما حبال أخو طليعة
فقتلاه فبلغ خبره طليعة نخرج هو وأخوه سلمة فقتل طليعة عكاشة وقتل أخوه
ثابتا وقيل ان حبالا أخا طليعة أسرف أرادوا ارساله الى أبي بكر رضى الله عنه فقال
اضر بوا عنتي ولا تروني محمد يكم هذا ولما وقع القتال من طليعة وقومه كان خالد
رضى الله عنه يجرى المؤمنين ويقول يا معشر الانصار الله الله واقتم وسط
القوم وكر على أصحاب طليعة فاختلفت الصفوف واختلفت السيوف بينهم
واشدد القتال وقاتل خالد يومئذ بسيفين حتى قطعهما وقاتل عيينة بن حصن مع
طليعة قتالا شديدا وكذلك قومه وكان معه منهم سبعائة ولما انهزم القوم أسر عيينة
ابن حصن وقرّة بن هبيرة القشيري وأرسل الى أبي بكر رضى الله عنه فرجعا
الى الاسلام فقبله منهما وأما طليعة فانه لما انهزم الناس فروى نحو الشام
عند بنى غسان الى أن توفي أبو بكر رضى الله عنه ودخل بنو أسد وغيرهم في
الاسلام أسلم طليعة وحسن اسلامه ولقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وباعه
وقال له عمر رضى الله عنه أنت قاتل عكاشة وثابت والله لا أحبك أبدا فقال يا أمير
المؤمنين ما يهملك من رجلين أكرمهما الله بالشهادة على يدي ولم يهني بأيديهما
ثم كان لطليعة آثار جميلة في قتال الفرس لما فتح العراق وكان من الشجعان
المشهورين استشهد رضى الله عنه بها وندسنة ثمان عشرة ولما أوقع الله بيني أسد
ما أوقع وانهم مواثب خالد السرايا ليصيبوا ما قدروا عليه فبجعت العرب تسير
الى خالد راغبة في الاسلام أو خائفة من السيف ومنهم من مضى الى أبي بكر ولم
يات خالد ولما فر خالد من بنى أسد سارا الى أرض بنى تميم فاما وصل الى البطاح من
أرض تميم لم يجد بها جمعاً ففرق السرايا في نواحيها فلقوا اثني عشر رجلاً فيهم
مالك بن نويرة التميمي وكانوا ممن ارتد ومنع الزكاة فأخذوهم وجاؤا بهم خالداً

واخ
عليه
فيهم
من
خالد
تسك
وقيل
الان
كنا
فخم
رضي
عند
قضا
خالد
لاول
عليه
وفاء
رضي
بكر
بالم
وما
لما
بنيت

واختلف الذين أخذوهم في مالک بن نويرة ومن معه فقال قوم انهم أساموا فإلنا
عليهم من سبيل وقال قوم لم يسلموا وان قتلهم وسيبهم حلال وكان ذلك رأى خالد
فيهم فأمر بهم خالد فقتلوا وقتل معهم مالک وتزوج خالد امرأته وقيل ان خالد سمع
من مالک كلاما استدل به على عدم اسلامه من ذلك انه قال ان صاحبكم قد توفي فعلم
خالد انه أراد انه صلى الله عليه وسلم ليس بصاحب له فتيقن رده فقتله بعد ان
تكبر من مالک قوله فعلم صاحبكم شأن صاحبكم فقال له خالد وليس بصاحب لك
وقيل انه لما قدم مالک بن نويرة ومعه الاسرى على خالد حبسهم على ضرار بن
الازور وكانت ليلة ممطرة فنادى مناديه ان ادفنوا أسراكم وكانت في لغة
كنانة كناية عن القتل فبادر ضرار بقتلهم وكان كنانيا وسمع خالد الداعية
فخرج متأسفا وقد فرغوا فقال اذا أراد الله أمرا أصابه ولما قدم خالد على أبي بكر
رضي الله عنه سأله عن قتل مالک بن نويرة فأخبره بذلك واعتذر اليه فقبل
عذره وأراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان أبا بكر رضي الله عنه يقتل خالد
قصاصا في مالک بن نويرة فقال أبو بكر يا عمر تأول خالد فأخطأ فأرفع لسانك عن
خالد فاني لأشبه سيفا سله الله على الكافرين ودفع أبو بكر رضي الله عنه ديات
لأولياء مالک بن نويرة ومن قتل معه وكان مالک بن نويرة أسلم في حياة النبي صلى الله
عليه وسلم وقدم فجمعه النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات قوم فجمعها فإما بلغه
وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ردها من حيث جاءت وكان أمره مات قدم وكان خالد
رضي الله عنه بعد وقعة مالک بن نويرة رجع من البطاح الى المدينة واجتمع بأبي
بكر رضي الله عنه واعتذر مما كان في أمر مالک بن نويرة فقبل عذره وأمره
بالمسير الى قتال مسيلمة فسار خالد ومن معه لقتال أهل الجمامة التابعين لمسيلمة
* ولندكر قبل ذلك خبر سجاح بنت الحارث التميمية

﴿ ذكر خبر سجاح ﴾

لما ارند كثير من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ادعت النبوة سجاح
بنت الحارث التميمية وأقبلت من الجزيرة وتبعها كثير من قومها وقوم من بني

تغلب وكانوا أخوالها وسبغت لهم أسباع طليعة الاسدي ومسيامة الكذاب من ذلك قولها أعدوا الركاب واستعدوا للنهاب ثم أغبروا على الرباب فليس دونهم حجاب وأرادت أن تغزو بجموعها أبا بكر رضى الله عنه بالمدينة ثم أشاروا عليها بغزومسيامة بالجمامة فخرجت بمن معها زبد الجمامة وقالت عليكم بالجمامة ذوقوا ذيف الجمامة فانها غزوة صرامة لا يلحقكم بعدها ملامة فبلغ ذلك مسيامة فاحتال عليها وأرسل لها هدية ثم أرسل لها يستأمن على نفسه حتى يأتيها فأمنته فبجاءها في أربعين من بني حنيفة وأرسل لها أبعدي أصحابك ففعلت وقد ضرب لها قبة فجمرها وأكثرفها من رائحة الطيب المحرك للشهوة واجتمع بها في تلك القبة فقالت له ما أوحى اليك ربك فقال ألم تراني ربك كيف فعل بالحلبى أخرج منها سمعة تسعي بين صفاق وحشى قالت وماذا أيضا قال ان الله خلق للنساء أفراجا وجعل الرجال لمن أزواجا فتولج فيهن إيلاجا وتخرجها اذا شاءت اخراجا فينتجن لمن سغالا انتاجا قالت أشهد أنك نبي قال هل لك أن أزوجك وآكل بقومى وقومك العرب قالت نعم قال

الأقوى الى النيسك * فقد هيء لك المضجع * فان شئت فى البيت وان شئت فى المخدع * وان شئت سلقناك * وان شئت على أربع وان شئت بثنيه * وان شئت به أجمع * قالت بل به أجمع فانه أجمع للشمل قال بذلك أوحى الى فأقامت عنده ثلاثا ثم انصرفت الى قومها فقالوا لها ما عندك قالت كان على الحق فتبعته وتزوجته قالوا هل أصدقك شيئا قالت لا قالوا فارجعى فاطلبي الصداق فرجعت فإما رآها أغلق باب الحصن وقال مالك قالت أصدقنى قال من مؤذنبك قالت شبت بن ربعى الرياحى فدعاه وقال له نادنى أصحابك ان مسيامة رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما جاءكم به محمد صلاة الفجر وصلاة العشاء الاخيرة فانصرفت ومعها أصحابها فقال بعض منهم أمست نبيتنا أنثى نظوف بها * وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا وصالحها مسيامة على غلات الجمامة سنة تأخذ النصف والنصف الثانى تترك عنده

من يأخذه فأخذت النصف وانصرفت الى الجزيرة وتركت عنده من يأخذ
النصف الباقي فلم يفاجئهم الا وقد جاء خالد اليهم فأرفضوا قيل انها لما قتل مسيامة
سارت الى أخوالها تغلب بالجزيرة فماتت عندهم ولم يسمع لها ذكر وقيل انها
أسامت وحسن اسلامها وانتقلت الى البصرة وماتت بها ووصلى عليها سمرة بن
جندب وهو أمير على البصرة لمعاوية قبل قدوم عبيد الله بن زياد من خراسان
وولاية البصرة

✽ ذكر مسير خالد بن الوليد رضي الله عنه الى اليمامة لقتال مسيامة الكذاب ✽
(ابن حبيب الحنفي)

كان أبو بكر رضي الله عنه لما بعث السرايا لقتال المرتدين أرسل عكرمة بن
أبي جهل رضي الله عنه في عسكر الى مسيامة وأتبعه بشر حبييل بن حسنة التميمي
وقيل الكندي وكان حليفا لبني زهرة رضي الله عنهما فعجل عكرمة فوافاهم
فنكبوه فانهزم وأقام شر حبييل بالطريق حين أدركه الخبر وكتب عكرمة لأبي
بكر بالخبر فكتب اليه أبو بكر أن لا ترجع فتوهن الناس امض الى قتال أهل
عمان ومهرة وكان قد أرسل الى قتالهم حنيفة بن محسن وعرفجة بن هرثة فأمر
عكرمة بالحقاق بهما ثم لما جاء خالد الى المدينة بعد قصة مالك بن نويرة أمره بالمسير
الى اليمامة لقتال مسيامة بن حبيب ومسيامة من بني حنيفة وهي قبيلة من قبائل
ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وكان مسيامة رئيسا في قومه فقدم مع وفد بني
حنيفة على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم واجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وسأله أن
يجعل له الامر بعده وكان في يد النبي صلى الله عليه وسلم عسيب من سعف النخل
فقال لمسيامة لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتك فلما رجع الى
اليمامة ارتد عدو الله وادعى النبوة وقال اني أشركت في الأمر مع محمد فاتبعه بنو
حنيفة وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيامة رسول الله الى محمد
رسول الله أما بعد فاني قد أشركت في الأمر معك وان لنا نصف الارض ولقريش
نصفها ولكن قريش اقوم يعتدون وبعث الكتاب مع رجلين من قومه فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرأ كتابه آتسهدان انى رسول الله قال انعم قال
آتسهدان ان مسيلمته رسول الله قال انعم اشترك معك فى الامر فقال أما والله لو لآ أن
الرسول لا تقتل لضربت أعناقكم ثم كتب الى مسيلمته فى جوابه (بسم الله الرحمن
الرحيم) من محمد رسول الله الى مسيلمته الكذاب السلام على من اتبع الهدى
أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقد أهلكت
أهل الحجر أبادك الله ومن صوت معك فلما جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم أخفاه وكتب عن رسول الله كتابا زعم أنه وصله بنبوت الشركة بينهما
وأخرج ذلك الكتاب الى قومه فافتتوا بذلك وكان ذلك فى آخر السنة العاشرة
من الهجرة قال الزمخشري فى ربيع الابرار قال الجاحظ كان مسيلمته قبل
ادعاء النبوة يدور فى الاسواق التى بين دور العرب والعجم يلتمس تعلم الخيل
والنيرنجات واحتمالات أصحاب الرقى والتجوم ومما تعلمه من الخيل أنه صب على
بيضته من خل حاذق قاطع فلانته حتى اذا مددتها استطالت واستدقت كالعلك
ثم أدخلها قارورة ضيقة الرأس وتركها حتى انضمت واستدارت وعادت كهيئتها
الاولى فأخرجها الى قومه وهم قوم أعراب وادعى النبوة فأمن به جماعة ووضع
الصلاة عن قومه وأحل الخمر والزنا ونحو ذلك واتفق معه بنو حنيفة الأفرادا
منهم من ذوى عقولهم ومن أراد الله به الخير ثم اشتغل بتأليف سبعيات يزعم أنه
يعارض بها القرآن وهى زكيكة ضحكة للعقلاء منها قوله الفيل ما الفيل وما
أدراك ما الفيل له ذنب وثيل ومشفر وخرطوم طويل ان ذلك من خلق
ربنا القليل ومنها قوله يا ضفدع كم تنقنين اعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين
لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين وروى يا ضفدع بنت ضفدعين لحسن
ماتنقنين لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين امكنى فى الأرض حتى يأتبك
الخفاش بالخبر اليقين لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريش قوم
لا يعدلون وسميع اللعين على سورة انا أعطيناك الكوثر فقال انا أعطيناك
الجواهر فصل لربك وهاجر ان مبغضك لفاجر وفى رواية انا أعطيناك الجواهر

نخذ لنفسك وبادر واحذر ان تحرص أو تكثر وفي رواية انا أعطيتك الكواثر
فصل لربك وبادر في الليالي الغوادر ولما سمع اللعين والنازعات غرقا قال
والزارعات زرعها فالخاصدات حصدا والذاريات قمحا والطابحات طبخا
والخافرات حفرا والخابزات خبزا فالثارذات ثردا فاللقات لقا والآكلات
أكلا لقد فضلتكم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر وله غير ذلك مما يدل على
سخافة عقله وعقل من صدقه واتبعه روى ان امرأته أتت مسيامة فقالت ادع الله
لنا ولنخلنا ولما ثنأ فان محمد ادع القومه فجاشت آبارهم وكثر ماؤها قال كيف صنع
قالت دعاب سبجل فدعاهم فيه ثم تمضمض ومج فيه فأفرغوه في تلك الآبار ففعل
مسيامة كذلك فقارت تلك المياه ولما سمع اللعين أن النبي صلى الله عليه وسلم تغل
في عين علي رضي الله عنه وكان أرمدا فبري تغل في عين بصير فعمى ومسح بيده
ضرع شاة حلوب فارفع درها وبيس ضرعها وحفرت بنو حنيقة بئر افاعد بوها
متاحا فجاؤا الى مسيامة وطلبوا منه أن يأتيها وان يبارك فيها فأثاها فبصق فيها
فعدت أجاوا وتوضأ مسيامة في حائط فصب وضوءه فيه فلم ينبت وقال له رجل يبارك
علي ولدي فان محمد ايبارك علي أولاد أصحابه فلم يؤت بصبي مسح مسيامة رأسه أو
حنكه الا فرع أو لثغ وجاءه رجل فقال يا أبا ثمامة اني ذو مال وليس لي مولود يبلغ
سنتين حتى يموت غير هذا المولود وهو ابن عشرين ولى مولود ولد أمس أحب
أن تبارك فيه وندعو أن يطيل الله عمره فقال سأطلب لك الذي طلبت فجعل عمر
المولود أربعين سنة فرجع الرجل الى أهله مسرورا فتردى الاكبر في بئر ووجد
الصغير ينزع في الموت فلم يمسه من ذلك اليوم حتى ماتا جميعا فقالت أمهما فلا والله
ملا أبي ثمامة عند الله مثل منزله محمد صلى الله عليه وسلم وكان مسيامة قبيح الخلق
ودميم الصورة وصفته على عكس صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يزعم أن
جبريل يأتيه بالوحي وكان اسمه هارون بن حبيب وكنيته أبو ثمامة ولقبه مسيامة
وكان يقال له رحمن البمامة قيل انه كان يقول ان الذي يأتيه اسمه رحمن وقيل انه من
باب تعنتهم في كفرهم ولما فرغ خالد من البطاح ورجع الى المدينة ورضي عنه أبو

بكر رضى الله عنه بعثه الى مسيلمة فتعجل الى البطاح وأمدّه أبو بكر رضى الله
عنه بالرجال فانظر البعوث حتى قدمت عليه فهض الى اليمامة وكان جيشه أربعة
آلاف وكان أهل اليمامة أربعين ألف مقاتل ولما بلغهم دنو خالد بن الوليد رضى
الله عنه خرجوا وعسكروا في منتهى ريف اليمامة واستنقروا الناس فنقروا اليهم
وأقبل خالد وجعل على مقدمته شرحبيل بن حسنة فهجم عليه من أصحاب مسيلمة
ليلة سرية أربعون أو ستون قبض المسلمون عليهم وقتلواهم ثم سار خالد ونازل
بني حنيفة واشتدت الحرب ولم يلق المسلمون حربا مثلها قط وتذامرت بنو حنيفة
وقاتلت قتالا شديدا وكانت الحرب يومئذ نارية للمسلمين ونارية للكافرين ثم أنزل
الله نصره على المسلمين حتى ألجؤا بنى حنيفة الى حديقة احتشدوا فيها فدخلها
المسلمون عليهم وقتلواهم أشد القتال فلم يزالوا كذلك حتى قتل مسيلمة واشترك
في قتله وحشى مولى جبير بن مطعم الذى قتل حمزة رضى الله عنه ورجل من
الانصار أما وحشى فدفع اليه حرته فوقعت بين يديه وضربه الانصارى بسيفه
واختلف في هذا الانصارى ف قيل هو أبو دجانه وقيل هو عبد الله بن زيد قال ابن
عمر فصرخ رجل وقال قتله العبد الاسود وقالت جارية على ظهر بيت وأمير
المؤمنين قتله العبد الاسود فولت بنو حنيفة عند قتله مهزومة وأخذهم السيف
من كل جانب ثم بقي منهم جماعة بالحصون فصالحهم خالد على كل شئ دون النفوس
وفي رواية فصالحهم على الصفراء والبيضاء والحلقة والكرع ونصف السبي وكان
وحشى يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى الاسلام يعنى حمزة
ومسيلمة وفي تاريخ ابن الوردي لما غزى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة
حين قتله وحشى بأحد قال بعضهم ويل لو وحشى من النار فقال صلى الله عليه وسلم
أما حمزة فأجله فدانقضى وأما وحشى فسوف يدرك الشرف من بعده فقالوا
كيف بارسول الله قال هو يقتل مسيلمة الكذاب فكان كما قال صلى الله عليه وسلم
واستشهد في هذه الواقعة كثير من مشاهير المهاجرين والانصار وفضلاء الصحابة
يطول الكلام بتعداد أسماؤهم وجملة من قتل من المهاجرين والانصار من المدينة

ثلثمائة وستون ومن المهاجرين من غير المدينة ثلثمائة رجل ومن بقية المسلمين ستمائة
فجملة من استشهد من المسلمين ألف ومائتان وقليل ألف وثمانمائة ومن المشركين
نحو عشرين ألفا قتل منهم في الحديقة فقط سبعة عشر ألفا كما في تاريخ ابن
خلدون وكانت هذه الواقعة في ربيع الاول من سنة ثنتي عشرة من الهجرة كذا
في تاريخ الخميس والذي يقتضيه تاريخ ابن الاثير وتاريخ ابن خلدون أنها كانت
في أواخر السنة الحادية عشرة لانهم ذكروا ان مسير خالد الى العراق في أول سنة
ثنتي عشرة وكان ذلك بعد فراغه من قتال أهل البصرة وكان القتال يوما كاملا
من بكرة النهار الى بعد العصر وقاتل خالد بن الوليد في ذلك اليوم قتالا شديدا
وكان يقول شهدت عشرين زحفاً لم أرقوما أصبر لوقع السيوف ولا اضرب
بها ولا أثبت اقداماً من بني حنيفة يوم البصرة وقال أبو برزة الاسلمي لقد اقتحم خالد
حتى أعذر وصبر حتى ظفر وقال رافع بن خديج خرجنا ونحن أربعة آلاف
فانتهينا الى البصرة فنتهى الى قوم هم الذين قال الله فيهم ستدعون الى قوم أولى بأس
شديداً ان الله بمنه وكرمه وفضله رزقنا عليهم الكفر وكان مع المسلمين امرأة وهي
أم عمارة نسيبة بنت كعب الانصارية وهي والدة عبد الله بن زيد الذي قتل مسيماً
مع وحشي وشهدت أمه ذلك اليوم وقطعت يدها في ذلك القتال وكانت أم عمارة
هذه جاءت الى أبي بكر رضي الله عنه لما تجهز القوم للخروج واستأذنته في
الخروج فقال لها أبو بكر رضي الله عنه ما مثلك بحال بينه وبين الخروج قد
عرفناك وعرفنا جرائك في الحرب فاخرجي على اسم الله وكان مسيماً قبل
خروجهم قد ظفر بابن لها وهو حبيب بن زيد وكان مقبلاً من عمان يريد المدينة
فسمع به مسيماً فأرسل من قبض عليه وجيء به أسيراً فقال له مسيماً أتشهد اني
رسول الله فقال لا أسمع فقال له أتشهد ان محمداً رسول الله قال نعم فأمر به فقتل
وكان كلما قال أتشهد اني رسول الله قال لا أسمع فاذا قال أتشهد ان محمداً رسول
الله قال نعم حتى قطعه عضواً عضواً حتى قطع يديه من المنكبين ورجليه من
الوركين ثم أحرق بالنار وهو في كل ذلك لا ينزع عن قوله ولا يرجع عما بدأ به حتى

مات في النار فخرجت أمه مع القوم لتأخذ بثأر ابنها فلما انتهوا الى الجيامة فكانت
تقاتل مع المسلمين قالت فلما انتهينا الى الخديفة ازدحمنا على الباب فاقحمنا
فصار بناهم ساعة وجعلت أقصد عدو الله مسيما لان أراه ولقد عاهدت الله لئن
رأيت له لا أكذب عنه أو اقتل دونه وجعلت الرجال تختلط والسيوف بينهم تختلف
وخرس القوم فلا صوت الا وقع السيوف حتى بصرت بعدو الله فشدت عليه
وعرض لي منهم رجل فضرب يدي فقطعها فوالله ما عرجت عليها حتى انتهيت
الى الخبيث وهو صريع قد قتله ابني عبد الله وفي رواية وابني يمسح سيفه بثيابه
فقلت أقتلته قال نعم يا أمه فسجدت شكر الله تعالى وقطع الله دابرهم فلما انقطعت
الحرب ورجعت الى منزلي مجاءني خالد بن الوليد بطييب من العرب فداواني
بالزيت المغلي وكان والله أشد علي من القطع وكان خالد كبير التعاهد لي حسن
الصحة لنا يعرف لنا حقنا ويحفظ فينا وصية نبينا وعن محمد بن يحيى بن حبان
قال جرحت أم عمارة يوم الجيامة أحد عشر جرحا بين ضربة سيف أو رمية بسهم
أو طعنة برمح وقطعت يدها سوى ذلك ولما قدمت المدينة كان أبو بكر رضي الله
عنه يأتيها ويسأل عنها وهو يومئذ خليفة وممن استشهد يوم الجيامة ثابت بن قيس
ابن شماس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفاخر به وفود العرب
اذا قدموا عليه يفتخرون بفصاحة خطبائهم وكان يوم الجيامة معه راية الانصار ولما
استشهد ودفنه المسلمون سمعوه حين أدخلوه في قبره يقول محمد رسول الله
أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظروه فاذا هو ميت ذكر ذلك
القاضي عياض في الشفاء وبعد وفاته رآه رجل من المسلمين في منامه
يقول له اني موصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم فتضعه اني لما قتلت بالامس
جاء رجل من ضاحية نجد وعلم درعي فأخذها وأنى بها منزله فاكفأ عليها برمته
وجعل على البرمته رجلا وخبأوه في أقصى العسكر الى جنب خبائه فرس
أبلى يستن في طوله فأتت خالد بن الوليد فأخبره فليبعث الى درعي فليأخذها
واذا قدمت على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ان علي من الدين

كذا ولي من الدين كذا وسعد ومبارك غلاماي حران فإياك أن تقول هذا
حلم فتضيعه فلما أصبح الرجل أتى خالد رضي الله عنه فأخبره فبعث خالد إلى الدرع
فوجدوها كما قال وأخبره بوصيته فأجازها ولا تعلم أن أحدا من المسلمين أجيزت
وصيته بعد موته إلا ثابت بن قيس بن شماس وقد روى أن بلال بن الحارث رضي
الله عنه كان صاحب الرؤيا ولما انقضى القتال اجتمع خالد بن الوليد ببعض أهل
اليمامة وسألهم عن أسباع مسيئة فقصوها عليه فقال سبحانه الله هذا الكلام
ما خرج من آل ولا برقاءين بذهب بكم عن أحلامكم وقال أبو بكر رضي الله عنه في
حق أهل اليمامة لن يزالوا من كذابهم في بلية إلى يوم القيامة إلا أن يعصمهم الله
تعالى ووقفة يوم اليمامة طوييلة وقع فيها عجائب من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كانت معجزات له صلى الله عليه وسلم وكرامات لهم وكلها منذ كورة في التواريخ
وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم والكلام على بقية أهل الردة الذين
قاتلهم غير خالد بن الوليد سيأتي الكلام عليه مؤخرا بعد اتمام الكلام على
غزوات خالد بن الوليد بالمشرق والعراق

﴿ ذكر مسير خالد بن الوليد إلى العراق ﴾

ولما فرغ خالد بن الوليد من أمر اليمامة بعث إليه أبو بكر رضي الله عنه في المحرم من
سنة اثنتي عشرة فامر به بالمسير إلى العراق فسار من اليمامة وقيل قدم على أبي بكر
رضي الله عنه ثم سار من المدينة وانتهى إلى قرية بالسواد وصالحه أهلها على عشرة
آلاف دينار فقبضها ووضع الجزية عليهم ثم سار إلى الحيرة وخرج إليه أشرافها
مع إياس بن قبيصة الطائي الأمير عليها بعد النعمان بن المنذر فدعاهم إلى الإسلام أو
الجزية أو مناجزة الحرب فاخترت الجزية فصالحوه على تسعين ألف درهم ثم
سار إلى الأبله وكان معه عشرة آلاف وأمره أبو بكر رضي الله عنه بالمشي بن
حارثة الشيباني ومعه ثمانية آلاف وكان قبل مجي خالد استأذن أبا بكر رضي الله
عنه أن يغزو العراق فلما قدم خالد أمر أبو بكر المشي أن يكون مع خالد ونازلوا
الحفير وكان ذلك الفرح أعظم فرج فارس وأشد هاشوكه وكان صاحبها معه

هرمز فكان يحارب العرب في البر ويحارب الهند في البحر فلما سمع هرمز بهم
كتب الى كسرى از دشير الملك بالخبر وتعجل هو الى الكواظم واقترن قوم
بالسلاسل لتلايفر وافسمع بهم خالد وكانوا سبقوه في النزول على الماء فنزل خالد
على غير ماء فقال له أصحابه في ذلك فقال لهم لعمرى ليصيرن الماء لأصبر الفريقين
فخطوا أبقالهم وتقدم خالد الى الفرس فلاقاهم فأرسل الله سبحانه فأغدرت وراء
صف المسلمين فقويت قلوبهم وخرج هرمز ودعا خالدا الى البراز وتواطأ مع
أصحابه على الغدر بخالد فبرز اليه خالد ومشى نحوه راجلا ونزل هرمز أيضا
وتضاربا فاحتضنه خالد وحمل أصحاب هرمز الذين نواطأ معهم فاشغل ذلك خالدا
عن قتله وحمل القمقاع بن عمر وعليهم فأزاحهم وانهمز أهل فارس وركبهم
المسامون وقتل خالد هرمز وأخذ نسبه وكانت قنصوته بمائة ألف وكانت هذه
عادتهم اذا تم شرف الانسان تكون قنصوته بمائة ألف وبعث خالد بالفتح
والاجناس الى أبي بكر وسميت هذه الواقعة ذات السلاسل ثم سار خالد فنزل بمكان
البصرة وبعث المثني بن حارثة في آتار العدو فحاصر حصن المرأة وقتعه فأسلمت
وتزوجها وكان كسرى از دشير لما جاءه كتاب هرمز بمسير خالد أمده بجيش فلقية
المنهمون فرجموا ونزلوا الثني وهو النهر وتعرف هذه الواقعة بوقعة الثني وسار
اليهم خالد واقتتلوا وانهمز الفرس وقتل منهم نحو ثلاثين ألفا سوى من غرق
وغنم المسلمون غنمية عظيمة وأخذوا الجزية من الفلاحين وصاروا في ذمة وكان في
السبي والدالحسن البصرى وكان نصرانيا ولما جاء الخبر الى كسرى بعث جيشا
عظيما وعسكروا بالدجلة فسار اليهم خالد فقاتلهم وهزمهم وقتل كثيرا منهم ثم
اجتمعوا على مليس ومعهم كثير من نصارى العرب فسار اليهم خالد فبرز اليه مالك
ابن قيس فقتله خالد واشتد القتال ثم انهزموا واستأسر الكثير منهم وقتلهم خالد
حتى سال النهر بالدم وسمى نهر الدم وبلغ عدد قتلائهم سبعين ألفا ثم سار الى
أمعشيا فغزا أهلها وأعجلهم أن ينقلوا أموالهم فغنم جميع ما فيها وخر بها فلما بلغ
ذلك أبا بكر رضي الله عنه قال عجزت النساء أن يلدن مثل خالد ثم سار الى الحيرة

الحيرة

وحمل الرجال والانتقال في السفن فخرج مرزبان الحيرة فعاكر عند العربيين
وأرسل ابنه ليقاطع الماء عن السفن فوقفت على الارض فسار اليه خالد فقتله
وجميع من معه ثم سار خالد الى ابيه في الحيرة فهرب من غير قتال وحاصر خالد
قصور الحيرة وافتتحها واكثر القتل فخرج ابن قبيصة من القصر الابيض
وعمر وبن عبد المسبح بن بقبيلة وكان معمر انتقال له خالدكم أنى عليك قال مئوسنين
قبل ان عمره كان أربع مائة سنة قال فما أعجب ما رأيت قال رأيت القرى منظومة
ما بين دمشق والحيرة تخرج المرأة فلا تتر ود الارغيفوا وكان معه خادم معه كيس
فسأله خالد ما في هذا الكيس قال فيه سم ساعة فأخذه خالد ونثره في يده وقال لم
تستصعب هذا معك قال خشيت أن يكون على غير ما رأيت فيكون الموت أحب
الى من مكروه أذخه على قومي فقال له خالد لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها
ثم قال خالد بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء وابتلع السم فقال ابن عبد المسبح
والله لتبغفن ما أردتم ما دام أحد منكم هكذا وأبي خالد أن يصلحهم الاعلى تسليم
كرامة بنت عبد المسبح لصعابي اسمه سويل كما في تاريخ ابن الاثير وقيل شريك
كما في تاريخ ابن خلدون وكرامة بنت عبد المسبح قيل اسمها الشبما وسبب اشتراط
تسليمها له ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر استيلاء أمته على ملك فارس والحيرة
سأله ذلك الصعابي أن يعطى كرامة بنت عبد المسبح قال ابن الاثير وكان رآها
شابة ثمال اليها فوعده النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فلما فتحت الحيرة طلبها وشهد له
شهود بوعده النبي صلى الله عليه وسلم فسماها خالد وسماها خالد له وفاء لوعده
النبي صلى الله عليه وسلم اياه فاشترى وهامنه بألف درهم وصالحهم خالد على مائتي
ألف وتسعين ألفا وأهدوا له مائة ألف فبعث بالفتح والهدايا الى أبي بكر رضي الله عنه
فقبلها أبو بكر من الجزية وكتب الى خالد أن يأخذ منهم بقية الجزية وهو قصة بنت
عبد المسبح ذكرها النعميري في حياة الخيوان في ترجمة البغلة فقال روى
الطبراني وأبو نعيم من طرق صحيحة عن خزيمة بن أوس قال هاجرت الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقدمت عليه عند منصرفه من تبوك فأسلمت فسمعتة يقول

هذه الخيرة قدر فعت اليكم ستفتخونها وهذه الشيا بنت ببيعة الازدية على بغلة
شهباء معتجرة بخمار اسود فقلت يا رسول الله ان نحن دخلنا الخيرة فوجدناها
على هذه الصفة فهي لي قال عليه الصلاة والسلام هي لك فأقبلنا مع خالد بن الوليد
نريد الخيرة فلما دخلناها كان أول من تلقانا الشيا بنت ببيعة كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم على بغلة شهباء معتجرة بخمار اسود فتعلقت بها وقلت هذه
وهي الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب مني خالد عاينها البينة فأتيته بها فسلمها
لي ونزل الينا أخوها عبد المسيح فقال أتبيعنيها فقلت نعم فقال احتكم ما شئت
فقات والله لا أنقصها عن ألف درهم فدفع لي ألف درهم فقبل لي لو قلت مائة ألف
درهم لدفعها لك فقلت لا أحسب مالا أكثر من ألف درهم قال الطبراني وبلغني
ان الشاهدين كانا محمد بن مسامة وعبد الله بن عمرو ورضي الله عنهم انتهى وفي أسد
الغابة ان اسم الصحابي المذكور حريم بن أوس الطائي وان المرأة اسمها الشيا
وان الشاهدين محمد بن مسامة وعبد الله بن عمرو وقيل محمد بن مسامة ومحمد بن
بشير فن قال ان الصحابي شويل أو شريك فلعله يلقب بذلك وكذلك من قال ان
اسم المرأة كرامة فلعله لقب لها لان القصة واحدة وهي من معجزاته صلى الله عليه
وسلم وأعلام نبوته والخيرة مدينة بارض الكوفة على ساحل البحر كان بها ملك
النعمان بن المنذر وغيره من ملوك العرب عمال الكسرى ملك الفرس والآن
لا أثر للمدينة المذكورة ومكان المدينة دجلة

﴿ ذكر فتح ما وراء الخيرة ﴾

كان الدهاقين يتر بصون بخالد ما يصنع بأهل الخيرة فلما صالحهم واستقاموا له
جاءته الدهاقين من كل ناحية فصالحوه عما يلي الخيرة من الفلاح على ألف ألف
وبث السرايا في الثغور وأمرهم بالغارة فغزوا السواد كله الى شاطئ دجلة
وكتب الى ملوك فارس بدعوهم الى الاسلام أو أداء الجزية وأقام بالخيرة سنة يصوب
ويصعد والفرس حائرون فيمن يملكونه لان ملكهم مات فحصل اضطراب بينهم
ثم سار خالد الى الانبار فحاصرهم وأمر الرماة أن يقصدوا عيونهم فرموا رشقا

واحد ثم تابعوا فأصابوا ألف عين فسميت تلك الواقعة ذات العيون فأرسلوا يطلبون الصالح على أمر لم ير ضه خالد فرد الرسل ونحز من ابل العسكر كل ضعيف وألقاه في خندقهم ثم عبره فاجتمع المسلمون والكفار في الخندق فبذلوا الخالد ما أراد وعقدوا الصالح مع وألحقهم بما منهم ليس معهم شيء غير المتاع ثم صالحه من حول الانبار وأهل كلوا إذا

﴿ ذكر فتح عين النمر ﴾

ولما فرغ خالد من الانبار سار الى عين النمر وبها جمع عظيم من العجم ومعهم جمع من العرب من بنى تغلب وغيرهم فقال لهم العرب نحن أعلم بقتال العرب فدعونا وخالد اذ قالوا صدقتم فتقدم العرب لقتال خالد فأسر أميرهم ثم قتله وهزمهم واسر كثير منهم فانهزم العجم وتركوا الحصن فتحصن المنهزمون من العرب فنازلهم خالد فطلبوا الامان فأبى فنزلوا على حكمه فأخذهم أسرى ثم قتلهم أجمعين وسبي كل من في الحصن وغنم ما فيه ووجد في بيعتهم أربعين غلاما يتعلمون الانجيل فأخذهم فقسّمهم على أهل البلاد منهم سير بن والد محمد بن سير بن ونصير والدموسى بن نصير وجران مولى عثمان رضى الله عنه وأرسل الى أبي بكر بالخبر

﴿ ذكر خبر دومة الجندل ﴾

ولما فرغ خالد من عين النمر جاء كتاب من عياض بن غنم رضى الله عنه وكان أميراً على جيش لقتال نصارى العرب الذين بدومة الجندل فكتب خالد يستقدمه على من ياراه من نصارى العرب وكانوا قبائل كثيرة فسار اليه خالد فنزل دومة الجندل وعياض عليها من الجهة الاخرى فقاتلوا نصارى العرب من الجهتين فانهزموا الى الحصن فحاصروهم وافتتحوا الحصن عنوة وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية وأقام خالد بدومة الجندل فطمع الاعاجم في الخيرة وكثرت جوعهم بالحصيد ومعهم كثير من نصارى العرب وكان خالد جعل على الخيرة القعقاع بن عمرو فقاتلهم بالحصيد وقتل من العجم مقتلة عظيمة وهزمهم وغنم المسلمون غنائم كثيرة ثم هجرت الاعاجم بمضج بنى البرشاء وكثرت جوعهم فبلغ الخبر خالد فكتب الى

القعقاع ومن معه من الامراء و وعدهم ساعة من ليلته يجتمعون فيها الى المضيخ
وخرج خالد قاصدا اليهم فلما كانت تلك الساعة من ليلته الوعد اتفقوا جميعا
فأغاروا عليهم وهم نائمون من ثلاثة أوجه فقتلوا كثيرا منهم وكان معهم عبد العزيز
ابن أبي رهم وليد بن جبر وكانا قد أساما ومعهما كتاب من أبي بكر رضى الله عنه
باسلامهما فقتلا في المعركة فوداهما أبو بكر وأرضى باولادهما وكان عمر رضى الله
عنه ينقذ بقتلهما وقتل مالك بن نويرة على خالد فيقول أبو بكر كذلك يلقى من
نازل أهل الشرك

﴿ ذكر وقعة الثني والزميل ﴾

كان ربيعة بن بجير التغلبي بالثني والزميل وهما شرقي الرصافة ومعه جموع يريد بها
قتال خالد رضى الله عنه فلما أصاب خالد أهل المضيخ أمر القعقاع والامراء
بالمسير ليغيروا عليهم وسار خالد من المضيخ واجتمع بالثني فبيتوا القوم وأغاروا
عليهم من ثلاثة أوجه وجر دوابهم السيوف فلم يفلت منهم مخبر وغنم وسبي ولما
انهزم من كانوا بالمضيخ كان فيهم الهذيل بن عمران فلحق بجندلهم كان بالبشر في
عسكر ضخم فبيتهم خالد بغارة شعواء وقتل منهم مقتلة عظيمة وقسم الغنائم وبعث
الخمس الى أبي بكر رضى الله عنه ثم سار خالد الى الرضاب وبها جمع من نصارى
العرب فهربوا وتفرقوا الماسموا بمسير خالد فوصل اليها خالد ولم يلقى كيذا

﴿ ذكر وقعة الغراض ﴾

ثم سار خالد من الرضاب الى الغراض وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة وافطر
بها رمضان لا اتصال الغزوات وحيت الروم واستعانوا بمن يليهم من الفرس
فأعانوهم واجتمع معهم من العرب تغلب وابد والنمر وساروا الى خالد واقتتلوا
بالغراض قتالا عظيما وانهزمت الروم ومن معهم وأمر خالد المسلمين ان لا يرفعوا
عنهم السيف فقتل في المعركة وفي الطلب مائة ألف واقام خالد بالغراض عشرة
ثم آذن بالرجوع الى الحيرة لخمس بقيت من ذى القعدة وخرج هو ومن الغراض
حاجسا ومعه عدة من أصحابه يعسف البلاد فأتى مكة وحج ورجع فأتوا في جنده

بالخبرة حتى وافاهم ولم يعلم بحججه الامن اعلمه ولم يعلم بذلك أبو بكر رضي الله عنه
الا بعد رجوعه فعتب عليه في ذلك وكانت عقوبته اياه ان صرفه الى الشام من
العراق مما جوع المسلمين باليرموك وكانت غزوانه هذه كلها في اقل من سنة
لانه توجه الى العراق في المحرم سنة ثنتي عشرة كما تقدم ولندكر بقية الكلام
على قتال أهل الردة الذي جرى من الامراء غير خالد بن الوليد ثم نرجع لما كان
في فتوح الشام

ذكر ردة بني عامر وهو اذن وسليم

كانت بنو عامر تقدم الى الردة رجلا وتؤخر أخرى وتنظر أمر طليعة وماتصنع
بنو أسد وغطفان حتى أحيط بهم وأوقع بهم خالد بن الوليد وكان رؤساء بني عامر
قرة بن هبيرة وعلقمة بن علانة وكان علقمة أسلم ثم ارتد في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم ولحق بالشام بعد فتح الطائف فمات في النبي صلى الله عليه وسلم أقبل مسرعا
حتى عسكر في بني كعب فبلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه فبعث اليه سرية عليها
القعقاع بن عمرو وفأغار على الماء الذي عليه علقمة وكان لا يبرح الا مستعدا
فسابقتهم على فرسه فسبقتهم واسلم أهلهم وولده فأخذهم القعقاع وقدم بهم على أبي
بكر رضي الله عنه فوجدوا أن يكونوا على ما كان علقمة ولم يبلغ أبا بكر رضي
الله عنه أنهم فارقوا دارهم وقالوا له ما ذنبنا فيما صنع علقمة فارسلهم ثم أسلم علقمة
فقبل ذلك منه وأقبلت بنو عامر بعد هزيمة أهل بزاخة يقولون ندخل فيما خرجنا
منه ونؤمن بالله ورسوله وأتوا خالد بن الوليد فبايعهم على ما بايع أهل بزاخة
وأعطوه أيديهم على الاسلام ولم يقبل من أحد من أسد وغطفان وطى وسليم
وعامر الا أن يأتوه بالذبح حرقوا وثلوا وعدوا على الاسلام في حال ردتهم فأتوه
بهم فقتلهم وحرقتهم ورضختهم بالحجارة ورمى بهم من الجبال ونكسهم من الآبار
وأرسل الى أبي بكر رضي الله عنه بعلمه وأما قرة بن هبيرة فكان قد لقي عمرو بن
العاص رضي الله عنه منصرفه من عمان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فقال
لعمرو واتركوا الزكاة فان العرب لا تدرككم بالاتاة فغضب عمرو وأسمعه كلاما

وأبلغ مقالته أبا بكر رضى الله عنه فكتب الى خالد بذلك فقبض على قررة بن هبيرة
و بعث به الى أبي بكر فأسلم واعتذر فقبل ذلك منه أبو بكر وحقق دمه ثم اجتمع
قبائل من غطفان وهو ازن وطى وأسدي الى سلمى بنت مالك بن حذيفة بن بدر
في الحوالب وبلغ ذلك خالد بعد فراغه من أهل بزاخة فقاتلهم وسلمى واقفة على
جمالها حتى عقر وقتلت وقتل حول هو دجها مائة رجل فانهزموا وأما بنو سليم
فكان الفجاء بن عبد ياليل قدم على أبي بكر رضى الله عنه يستعينه مدعيا اسلامه
ويضمن له قتال أهل الردة فأعطاه وأمره فخرج الى الجون وارتد وبعث نجبة
ابن أبي المثني من بني الشريد وأمره بشن الغارة على المسلمين في سليم وهو ازن
فبعث أبو بكر الى طريف بن حاجر وعبد الله بن قيس الحاسبي فنهضا اليه ولقياه
فقتل نجبة وهرب الفجاء فلحقه طريف فأسره وجاء به الى أبي بكر رضى الله عنه
فأوقده في مصلى المدينة حطبا ثم رمى به في النار مقموطا وفات بنو سليم كلهم
ودخلوا في الاسلام وكان منهم أبو شجرة بن عبد العزيز السلمي وهو ابن الخنساء
وكان قد ارتد وقال شعرا منه قوله

فرويت رمحي من كتيبة خالد * وانى لأرجو بعدها أن أعمر

يعنى عمر بن الخطاب فلما أسلم قبل أبو بكر رضى الله عنه منه الاسلام فلما كانت
خلافة عمر رضى الله عنه قدم المدينة فرأى عمر يقسم مالا في المساكين فقال اعطني
فانى ذو حاجة فقال ومن أنت فقال أبو شجرة بن عبد العزيز السلمي قال أى عدو
الله لا والله ألسنت الذى تقول

فرويت رمحي من كتيبة خالد * وانى لأرجو بعدها ان أعمر

وجعل عمر يعاوه بالدرة على رأسه فسبقه عدوا الى ناقته فركبها ولحق بقومه وقال
أبياتا منها قوله

ضن علينا أبو حفص بنائله * وكل محتبب يوماله ورق

﴿ ذكر ردة أهل البحرين ﴾

كانت عبد القيس و بكر بن وائل وغيرهم من أحياء ربيعة قد ارتدوا بعد وفاة

النبي صلى الله عليه وسلم فأما عبد القيس فردهم الجارود بن المعلى الى الاسلام
وكان قد أسلم ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم فلما رجع الى قومه دعاهم الى
الاسلام فأسلموا فماتوا في النبي صلى الله عليه وسلم ارتدوا وقالوا لو كان نبيا مامات
فقال لهم الجارود دعاهم أن الله أنبياء من قبله ولم تر وهم وتعلمون أنهم ماتوا ومحمد
صلى الله عليه وسلم قدمات وأبنا شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأسلموا
وثبتوا على اسلامهم واجتمعت بيعة بالبحرين على الردة الا الجارود ومن تبعه
وخرج الخطم بن ضبيعة أخو بنو قيس بن ثعلبة في بكر بن وائل فاجتمع اليه كثير
من المرندين وكثير ممن لم يزل مشركا حتى نزل القطيف وهجر اسم موضع
واستغوى من بهما وبعث بعثا الى دارين والى جوائى فحصر المسلمون واشتد
الحصر على من بهما فبعث أبو بكر رضى الله عنه العلاء بن الحضرمي رضى الله
عنه لقتال أهل الردة بالبحرين ومعه جموع من المسلمين فنزل هجر وبعث الى
الجارودان ينازل بعبد القيس الخطم بن ضبيعة وخذمق العلاء والمسلمون على
أنفسهم وقتلوا المرندين وكانوا يترجعون القتال ويرجعون الى خندقهم
فكانوا كذلك شهرا وسمعوا في بعض الليالى ضوضاء شديدة أى جلبية وصياحا
في المشركين فبعثوا من يأتيهم بالخبر فجاءهم بأن القوم سكارى فبيتوهم
ووضعوا السيوف فيهم وفر القوم هربا واقتحموا الخندق فن بين مترد وناج
ومقتول ومأسور وأبادوا القوم وكفى الله شرهم وقسموا الغنائم ثم ندب العلاء
الناس الى دارين وقال لهم قد أراكم الله من آياته في انبرل تعتبر وابها في البحر
فانهضوا الى عدوكم واستعرضوا البحر وارتمل وارتملوا وكان بينهم وبين دارين
البحر فاقتموا البحر على الخيل والابل والحبر وغير ذلك وفيهم الراجل ودعا
ودعوا وكان من دعائهم يا رحم الراحمين يا كريم يا حليم يا أحد يا صمد يا حي يا قيوم
يا حي يا قيوم لا اله الا انت يا ربنا فاجتازوا ذلك الخراج باذن الله يمشون
على مثل رمله فوقها ما ينمر أخفاف الابل ريبين الساحل ودارين يوم وليلة تسمن
البحر فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فظفر المسلمون وانهزم المشركون وأكثر

المسلمون فبهم القتل فانزكوا بها مخبروا وغنموا وسبوا فإلما فرغوا رجعوا حتى
عبروا كما جاؤا وضرب الاسلام بجراانه فيها وكتب العلاء الى أبي بكر رضى الله عنه
يعرفه هزيم المرندين وقتل الخطم بن ضبيعة ولما قسمت الغنمة كان للفارس
سنة آلاف وللراجل ألفان وكان مع المسلمين راهب من أهل هجر فأسلم فقبل
له ما حلك على الاسلام قال ثلاثة أشياء خشيت أن يسخن الله بعدها فيض في
الرمال وتمهدتج البحر ودعاء سمعته في عسكرهم في الهواء سمعوا اللهم أنت
الرحمن الرحيم لا اله غيرك البديع فليس قبلك شيء والدائم غير الغافل الحى الذى
لا يموت وخالق ما يرى وما لا يرى وكل يوم أنت فى شأن علمت كل شيء بغير معلم فعلمت
ان القوم لم يعانوا بالملائكة الا وهم على حق فكان أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم يسمعون هدايته بعد والعلاء بن الحضرمي صحابي مشهور توفي سنة أربع
عشرة من الهجرة وكان مجاب الدعوة وأصله من حضرموت ونزل جدة ومكة
وكان حليفا للحرب بن أمية وكان له فى هذه الغزوة آثار محمودة وكرامات كثيرة
منها انهم سلكوا مفازة وعطشوا عطشا شديدا حتى خافوا الهلاك فنزل العلاء
وصلى ركعتين ثم قال يا حليم يا عليم يا على يا عظيم اسقنا فجاءت سحابة كأنها جناح
طائر فقعقت عليهم وأمطرت حتى ملؤوا الأنية وسقوا الركاب قال الراوى ثم
انطلقنا حتى أتينا دارين والبحر بينهما وبينهم وفى رواية أتينا على خارج من البحر
ما خيض فيه قبل ذلك اليوم فلم نجد سفنا وكان المرندون قد أحرقوا السفن فصلى
ركعتين ثم قال يا حليم يا عليم يا على يا عظيم أجزنا ثم أخذ بعنان فرسه ثم قال جوزوا
باسم الله قال أبو هريرة وكان مع القوم فمشينا على الماء فوالله ما بقل لنا قدم
ولا خف ولا حافر وكان الجيش أربعة آلاف وقال ابراهيم بن أبي حبيبة حبس لهم
البحر حتى خاضوا اليهم وجاوزه العلاء وأصحابه مشيا على أرجلهم وكانت تجرى
فيه السفن قبل

ذكر ردة أهل عمان والمهرة

كان على أهل عمان والمهرة عاملان للنبي صلى الله عليه وسلم جيفر وعياد بن
الجلندى فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم قام بهمان رجل من الأزد يقال له لقيط

ابن مالك الأزدي فارتدوا دعى النبوة وتغلب على عمان ودفع عنها المسلمين فبعث
جيفر الى أبي بكر بالخبر فبعث أبو بكر رضى الله عنه حذيفة بن محسن الجيرى الى
عمان وعر فجة البارقي الى المهرة وأمرهما أن يكتبا جيفراو يأخذا برأيه وكان قد
بعث عكرمة بن أبي جهل الى اليمامة ومسيامة ووقعت عليه النكبة كما أمره
بالمسير الى حذيفة وعر فجة ليقاتل معهما عمان والمهرة ويتوجه اذا فرغ من ذلك
الى اليمن فضى عكرمة فلاحق بهما قبل أن يصلا عمان وقد عهد اليهم أبو بكر أن
يتنخوا الى رأى عكرمة فراسلوا جيفرا وعبادا و باع لقيط المتغلب بجىء الجيوش
فمسكر بمدينة دبا وعسكر جيفر وعبادا بصحار واستقدموا عكرمة وحذيفة
وعر فجة وكانوا رؤساء الذين تقدموا بجيوشهم ثم عمدوا الى لقيط وأصحابه
فقاتلوهم وقبدا قام لقيط عياله وراءه صفوفه وهم المسلمون بالهزيمة حتى جاءهم
مددهم من بنى ناجية وعليهم الحر يث بن راشد من بنى عبد القيس وسبعان بن
صوحان فانهزم العدو وظفر المسلمون وقتلوا من العدو نحو عشرة آلاف
وسبوا الذرارى والنساء وتم الفتح وقسموا الغنائم وبعثوا بالخمس الى أبي بكر
رضى الله عنه وكان الخمس ثمانمائة رأس وأقام حذيفة بيمان وسار عكرمة الى المهرة
فهمزهم وقتل رئيسهم وأصابوا منهم ألفى نجبية وأجاب أهل تلك النواحي الى
الاسلام وبعث الى أبي بكر رضى الله عنه بالفتح ثم سارعوا الى اليمن

﴿ ذكر ردة أهل اليمن ﴾

لما ظهر الاسود العنسى وادعى النبوة قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ارتد كثير
من أهل اليمن ثم لما قتل فيروز الديلمي الاسود العنسى رجع كثير منهم الى الاسلام
فلما جاءهم خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ارتد الناس الا القليل وكان أبو بكر
رضى الله عنه أقام فيروز الديلمي أميرا على صنعاء فكان يقاتل كل من قدر على
قتاله وكان باليمن عمال للنبي صلى الله عليه وسلم أقامهم قبل وفاته منهم عمرو بن حزم
على نجران للصلاة ومعه أبو سفيان بن حرب على الصدقات وعلى مابدين زمع وزبيد
ونجران خالد بن سعيد بن العاص وعلى همدان كلها عامر بن شهر الهمداني وعلى

الجندي علي بن أمية وعلي مارب أبو موسى الأشعري وعلي عك الطاهر بن أبي هالة
وعلي حضر موت زياد بن أبيد البياض وعكاشة بن ثور الغوثي وعلي كندة
المهاجر بن أبي أمية المخزومي وكان معاذ بن جبل يعلم القرآن باليمن ينتقد علي
هؤلاء وهؤلاء في أعمالهم فلما ارتد الناس رجع عمرو بن حزم إلى المدينة واتبعه
خالد بن سعيد وأما المهاجر بن أبي أمية فإنه لما ولاه النبي صلى الله عليه وسلم علي كندة
مرض ولم يصل إليها وأقام زياد بن لبدي بنوب عنه وكان أبو بكر رضي الله عنه قد
حارب أهل الردة أولًا بالكتب والرسول ولم يرسل إلى من ارتد وابتدأ بالمهاجر بن
والانصار ثم استنفر كلا علي من يليه حتى فرغ من آخر أمر الناس لا يستعين
بمرتد فكتب إلى عتاب بن أسيد بمكة وعثمان بن أبي العاص بالطائف بركوب من لم
يرتد علي من ارتد وكان قد اجتمع بنهامة أو باش من مدج وخزاعة فبعث عتاب
اليهم ففرقهم وقتلهم واجتمع بشنوءة جمع من الأزدي وخشم وبجيلة فبعث اليهم
عثمان بن أبي العاص من فرقهم وقتلهم واجتمع بطريق الساحل من نهامة جوع
من عك والأشعر بين فسار اليهم الطاهر بن أبي هالة ومعه مسروق العكي
فهزموهم وقتلهم وأقام بالاجناد ينتظر أمر أبي بكر ومعه مسروق العكي
وبعث أبو بكر رضي الله عنه إلى نجران وكتب أبو بكر إلى عثمان بن أبي العاص
أن يضرب البعوث علي مخاليف أهل الطائف فضرب علي كل مخالف عشرين
وأمر عليهم أخاه عبد الرحمن وكتب إلى عتاب بن أسيد أن يضرب علي مكة وعملها
خمسائة ففعل وأمر عليهم أخاه خالد بن أسيد وأقاموا ينتظرون أمر أبي بكر رضي
الله عنه فأمر المهاجر بن أبي أمية المخزومي أن يسير إلى اليمن ليصلح من أمره ثم
يسير إلى عمله الذي ولاه النبي صلى الله عليه وسلم وأمره بقتال من بين نجران
وأقصى اليمن ففعل ذلك ومعه بمكة والطائف فسار معه خالد بن أسيد وعبد الرحمن
ابن أبي العاص بمن معهم ومر بجري بن عبد الرحمن وعكاشة بن ثور فضمهما
إليه وكان عمرو بن معد يكرب وقيس بن مكتوم ممن ارتدوا فظفر بهما المهاجر
فأوثقهما وبعث بهما إلى أبي بكر فتأبأ فقبل نوبتهما وردتهما وسار المهاجر وقتل

كل من نظف به من المرتدين وقاتل من قاتله وقبل توبته من يتوب الى أن وصل
الى صنعاء وكتب الى أبي بكر بدخوله صنعاء فجاء الجواب أن يسير الى كندة مع
عكرمة بن أبي جهل وقد جاءه من ناحية عمان ومعه خلق كثير من المهرة والأزد
وناجية وعبد القيس وغيرهم فساروا مع المهاجر الى كندة وكتب زياد النائب على
كندة الى المهاجر يستحثه فلقية الكتاب بالمغارة بين مأرب وحضر موت
فاستخلف عكرمة على الناس وتعجل الى زياد وشدوا الى كندة وكانوا قد ارتد كثير
منهم وارتد الأشعث بن قيس السكسكي فجعلوه أميراً عليهم فقاتلهم المهاجر وهزمهم
وقتل كثيراً منهم وفرروا الى البضير حصن لهم فحصبوا فيه مع من استغفروه
فحاصروهم وسدوا عليهم الطريق وقطعوا عنهم المدد ولحق عكرمة المهاجر وهم
محاصرون القوم ثم استأمن الأشعث الى عكرمة فخرج اليه فجاء به الى المهاجر
فأمنه في أهله وماله وتسعة من قومه كانوا خرجوا معه فقال لهم المهاجر اكتبوا
ما شئتم وهاموا الكتاب حتى أختمه واشترطوا على أنفسهم أن يفتحوا لهم باب
الحصن ففعلوا فاقحمه المسامون وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية والنساء فكان في
السبي ألف امرأة وكان الأشعث بن قيس لما كتب الصحيفة وختم عليها المهاجر
كتب التسعة ونسي أن يكتب نفسه فلهذا فرغوا من القتل والسبي طلب
المهاجر الصحيفة التي كتبوها والتي ختم عليها فاذا الأشعث ليس مكتوباً معهم
فقال المهاجر الحمد لله الذي أخطأناك يا أشعث يا عدو الله قد كنت أشتهي أن يخزيك
الله وشده كنا فاقم له أخوه وسيره الى أبي بكر فمروا علم بالحكم فيه فسيره الى أبي
بكر مع السبي فكان المسامون يلعنونه ويلعن سببا بقومه وسماه نساء قومه عرف
النار وهو اسم الغادر عندهم فلما قدم المدينة قال له أبو بكر ما تراني أصنع بك قال
لا أعلم قال فاني أفتلك قال فانا الذي راوضت القوم في عشرة فمأجل دمي قال أبو
بكر فأوجب الصلح بعد ختم الصحيفة على من فيها وانما كنت قبل ذلك مرأواضا
فلما خشى القتل قال أو تحسب في خير افتلق الأسارى وتقياني عترتي وتفعل
بي مثل ما فعلت بأمنالي أو ترد علي زوجتي وقد كان خطب أم فروة أخت أبي بكر

لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وأخرها الى أن يقدم الثانية فتوفي النبي صلى
الله عليه وسلم وارتد فان فعلت ذلك تجديني خيرا أهل بلادى لدين الله حقن دمه
وزوجه أخته وحسن إسلامه وأقام بالمدينة حتى فتح العراق وشهد فتح القادسية
واليرموك وكان مع علي رضي الله عنه في قتال صفين وتوفي بالكوفة سنة اثنتين
وأربعين من الهجرة وقيل بعد علي رضي الله عنه بأربعين يوما وصلى عليه الحسن
ابن علي رضي الله عنهما قال ابن الأثير قد اختلف في تاريخ حرب المسلمين هؤلاء
المرتدين فقال ابن اسحق كان فتح اليمامة واليمن والبحرين وبعث الجنود الى
الشام سنة ثنتي عشرة وقال أبو معشر ويزيد بن عياض وأبو عبيدة بن محمد بن
عمار بن ياسر ان فتوح الردة كلها لخالد وغيره كان سنة إحدى عشرة وكان
مسير خالد الى العراق في أول سنة ثنتي عشرة الى ذي القعدة منها وهذا القول هو
الذي يدل عليه سياق تلك الوقائع

﴿ ذكر فتوح الشام ﴾

لما فرغ أبو بكر رضي الله عنه من أهل الردة واستقامت له العرب حدث نفسه
بغزو الروم ولم يطلع عليه أحد فبينما هو كذلك إذ رأى ثمر حبيبل بن حسنة في المنام
صورة غزو الشام وبعث الجند فجاءه ثمر حبيبل وجلس اليه فقال يا خليفة
رسول الله أحدثت نفسك بالغزو وأن تبعت الى الشام جند اقل نعم حدثت
نفسى بذلك ولم يطلع عليه أحد وما سألتني إلا لشيء فأخبره ثمر حبيبل بما رأى فأوله
أبو بكر ببعثه جندا الى الشام وقصها عليهم ثم انه بعد ذلك أمر الامراء وبعث الى
الشام البعوث وعن عبد الله بن أبي أوفى الخزاعي رضي الله عنه قال لما أراد أبو
بكر رضي الله عنه أن يجهز الجنود الى الشام دعا عمر وعثمان وعلياً وعبد الرحمن
ابن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وأبا عبيدة بن الجراح ووجوه
المهاجرين والانصار من أهل بدر وغيرهم وشاورهم وكلهم استصوبوا رأى أبي
بكر رضي الله عنه وقالوا ما رأيت من الرأي فأمضه فانا سامعون لك مطيعون
لا نخالف أمرك وعلى رضي الله عنه في القوم لا يتكلم فقال له أبو بكر ما دأري

يا أبا الحسن فقال أرى أنك مبارك الأمر ميمون النقيبة فانك ان سرت اليهم
بنفسك أو بعثت عليهم نصرت ان شاء الله تعالى قال بشرك الله بخير ومن أين
عانت هذا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال هذا الدين ظاهرا
على كل من ناوا حتى تقوم الساعة وأهله ظاهرون فقال أبو بكر سبحان الله
ما أحسن هذا الحديث لقد سررتني سررك الله في الدنيا والآخرة ثم انه قام في
الناس خطيبا ورغب الناس في الجهاد ثم أمر بلالا فأذن في الناس انفروا أيها
الناس الى جهاد عدوكم الروم بالشام ثم شرع في بعث الجيوش وكان ذلك في
افتتاح سنة ثلاث عشرة من الهجرة وقيل في أول السنة التي قبلها حين بعث خالد
ابن الوليد الى العراق وكتب الكتب الى أهل مكة والطائف واليمن وغيرها
فكتب لهم جميعا بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليكم فاني أجد الله الذي لا إله إلا
هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد عزمت ان أوجهكم الى ناحية بلاد
الشام لتأخذوها من أيدي الكفار والطغاة فن عول منكم على الجهاد والصدام
فليبادر الى طاعة الملك العلام ثم كتب انفروا خفا فاقولوا وجاهدوا بأموالكم
وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ثم بعث الكتب اليهم وأقام
ينتظر قدومهم وكان الذي بعثه بالكتب التي لليمن أنس بن مالك رضي الله عنه فا
مرت الايام حتى قدم أنس رضي الله عنه يبشره بقدم أهل اليمن وقال يا خليفة
رسول الله وحقك على الله ما قرأت كتابك على أحد إلا بادر لطاعة الله ورسوله
وأجابوا دعوتك وقد تجهزوا في العدد والعديد والزر والنضيد وقد أقبلت اليك
يا خليفة رسول الله مبشرا بقدم الرجال فسر أبو بكر رضي الله عنه بقوله
سرورا عظيما ثم عقد الألوية وأمر الامراء وبعثهم الى الشام أفواجا يتبع بعضهم
بعضا كلما اجتمع جماعة أمرهم بالتوجه فن الامراء الذين عقد لهم الألوية أبو
عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وربيعة بن عامر وشرحبيل بن حسنة
وخالد بن سعيد وعمرو بن العاص وغيرهم وجعل كل واحدا أمير على جماعة وأمره
بالتوجه الى الموضع الذي عينه له وجعل أبا عبيدة أمير على الجميع وكلما توجه أمير

يودعه أبو بكر رضى الله عنه ويوصيه فكأن بوصيهم بوصايا كثيرة منها تقوى
الله وحسن الصحبة والمواظبة على الصلوات في أوقاتها جماعة وأن يصلح كل منهم
نفسه حتى يصلح الله له الناس وأن يكرم مواسل العدو إذا قدموا اليهم وأن يقللوا
لبثهم عندهم حتى يخرجوا من عسكرهم وهم جاهلون لم يطلعوا على شئ من الخلل
وأن يمنعوا عسكرهم من محادثتهم وأن يكون الأمير هو المتولى لكلامهم وأن
يكثروا الحرس ويفرقوهم في العسكر وأن يكثروا مفاجاتهم في محاربتهم بغير علم
منهم فن وجدوه غفل يعاقب بغير افراط وأن يعاقب بينهم في الليل ويجعل النوبة
الاولى أطول من الاخيرة فانها أيسرهما لقرب الاخيرة من النهار وأن لا يغفلوا
عن العسكر فيفسدوا ولا يجسسوا عليهم فيفضحوا ولا يكشفوا على الناس
أسرارهم بل يكتبوا بعلانيتهم وأن يكثروا من مجالسة أهل الصدق والوفاء وأن
يشاوروهم وأن لا يجبنوا في بين الناس وأن يجتنبوا الغلول فان الغلول يقرب
الفقر ويدفع النصر وقال سجدون أقواما حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعواهم
وما حبسوا أنفسهم له الى غير ذلك مما أوصاهم به وكان أبو بكر رضى الله عنه يدعو
لهم إذا خرجوا فن دعائه اللهم احفظهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم
وعن شمائلهم واحطط أوزارهم وأعظم أجورهم ولما بلغ هرقل مسير جيوش
المساةين حشد جيوشه وكان بفلسطين فحث الناس وحرصهم على القتال عن
دينهم وبلادهم ثم أتى دمشق ففعل مثل ذلك ثم أتى حمص ففعل مثل ذلك ثم أتى
انطاكية فأقام بها وبعث الى الروم فحشدهم فجاء منهم ما لا يحصى ولما دنا أبو
عبيدة من الجابية أتاه آت فأخبره ان هرقل بانطاكية وأنه جمع من الجوع ما لم
يجمعه أحد كان قبله من آباءه فكتب الى أبي بكر رضى الله عنه بذلك فجاءه
الجواب بعده بالنصرة ثقة بوعد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له انه ممدله
بالرجال ثم أمدهم بجند مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وسعيد بن عامر وبعثهم مع
معاوية ممددا لأخيه يزيد وكان الناس أقبلوا من كل جهة يريدون الجهاد فكان
أبو بكر رضى الله عنه كلما اجتمع أناس بعثهم ممددا لمن سبقهم

﴿ ذكر أول وقعة بالشام ﴾

أول وقعة بالشام كانت بالعربية من أرض فلسطين خرج ستة قواد من الروم مع كل قائد خمسمائة فكانوا ثلاثة آلاف فبعث إليهم يزيد بن أبي سفيان أبا أمامة الباهلي في خمسمائة فحملوا عليهم وهزموهم وقتلوا كثيرا منهم وقائد من قوادهم فاجتمع كثير من الروم بالدثنة فإروا إليهم فزموهم وزحمت جيوش المسلمين حتى قربوا من الشام فهناك فزع الروم وأرسلوا إلى ملكهم فأمدتهم بمجموع كثيرة نحو تسعين ألفا فنزلوا بثنية جلق أعلى فلسطين وعليهم أخو هرقل شقيقه ونزل هرقل بمحصر وكان في جهة فلسطين عمرو بن العاص بمن معه من المسلمين وبعث هرقل ستين ألفا نحو أبي عبيدة بالجابية وبعث جيشا قريبا من ذلك نحو يزيد بن أبي سفيان وكان نازلا بالبايلة وجيشا نحو شرحبيل بن حسنة وكان نازلا ببصرى فرأى المسلمون أن الاجتماع أليق بهم من التفرق فاجتمعوا باليرموك وهو واد بناحية الشام وجاء الروم أيضا واجتمعوا باليرموك وصار الوادي خندقا لهم وأقام الجميع شهر صفر وشهري ربيع لا يقدر من منهم على شيء من الوادي والخندق ولا يخرج الروم خروجة إلا أخذهم المسلمون وأديلوا عليهم فكانت بينهم وقعات ومناوشات في تلك المدة ولم ير أي المسلمون مطاولة الروم استمدوا أبا بكر رضي الله عنه فكتب إلى خالد بن الوليد وهو بالعراق يأمره بالمسير إليهم وأن يأخذ نصف الناس الذين عنده ويستخلف على النصف الآخر المثني بن حارثة الشيباني فسار خالد من العراق في تسعة آلاف وقيل في ستة وأغار في طريقه على كثير من المشركين وأخذهم وناله مشقة كثيرة في مسيره هذا وسار في مفاوز ايس فيها ماء فأمر صاحب كل جماعة أن يعطشوا بعض الابل المسنة ثم يسقوها الماء عللا بعد نهل والعلل الشربة الثانية والنهل الاولى ثم بصروا آذان الابل ويشدوا مشاقرها الثلاث ثم ساروا يوما ليلة وشقوا بطون عشرة من الابل فخرجوا ما في كرشها من الماء بما كان من الابلان وسقوا ذلك للخيل فعلموا ذلك أربعة أيام ولما وصل ثنية العقاب وهي من أرض الشام ناشرا رايتته وهي راية

سوداء كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب أغار على غسان وهم
 من نصارى العرب الذين بالشام فضجهم وقتل وسي وأرسل سرية إلى كنيسة
 بالغوطة فقتلوا الرجال وسبوا النساء وساقوا العيال إلى خالد ثم سار حتى وصل
 إلى بصرى فقاتل من بها فظفر بهم ثم صالحهم فساكنت بصرى أول مدينة فتحت
 بالشام على يد خالد وأهل العراق وقيل إن فتح بصرى كان بعد اليرموك ثم سار
 خالد فطلع على المسلمين في ربيع الآخر وكان أبو بكر رضي الله عنه كتب لخالد أن
 يسير من العراق إلى الشام ويلقى أبا عبيدة ومن معهم المسلمين فإذا التقيتم فأنت
 أمير الجماعة والسلام فكتب خالد كتابا إلى أبي عبيدة وأرسله مع عمرو بن الطفيل
 الأزدي وفيه أما بعد فاني أسأل الله لنا ولك الأمن يوم الخوف والعصمة في دار
 الدنيا من كل سوء وقد أتاني كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني
 بالسير إلى الشام وبالقيام على جندها والتولي لأمرها والله ما طلبت ذلك قط
 ولا أردته إذ وليته فأنت على حالك التي كنت عليه لا نعصيك ولا نخالفك ولا نقطع
 دونك أمرا فأنت سيد المسلمين لأنك فضلنا ولا نستغنى عن رأيك ثم الله بنا
 وبتك من احسان ورحمتنا وإياك من صلى النار والسلام عليك ورحمة الله وبركاته
 فإما قرأ أبو عبيدة كتاب خالد قال بارك الله خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
 رأى وحيا الله خالد أو كان أبو بكر رضي الله عنه كتب لأبي عبيدة رضي الله عنه أما
 بعد فاني قد وليت خالد اقتال العدو بالشام فلانخالفه واسمع له وأطع فاني لم أبعثه
 عليك أن لا تكون عندي خيرا منه ولكنني ظننت أن الهفظة في الحرب ليست
 لك أراد الله بنا وبك خيرا والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم
 اللهم صل على محمد وآل محمد
 صلواتك الطيبة العاقبة

﴿ ذكر وقعة اليرموك ﴾

لما وصل خالد بن الوليد وتكامل جمع المسلمين باليرموك وكانوا تسعة وثلاثين ألفا
 سوى ستة آلاف مع عكرمة بن أبي جهل وقيل كانوا ستة وثلاثين ألفا - وى من
 كان مع عكرمة فيكونون جميعا أربعين ألفا وكان فيهم ألف صحابي منهم نحو مائة
 ممن شهد بدر أو كان الروم في مائتي ألف وأربعين ألف مقاتل منهم ثمانون ألف مقيد

وأربعون ألف مسلسل للموت وأربعون ألف مربوط بالعمائم لثلاثاء يفرّوا وثمانون
ألف راجل وكان قتال المسلمين لهم على التساند كل أمير على أصحابه لم يجمعهم أحد
حتى قدم خالد من العراق وكان القسيسون والرهبان يحرضون الروم شهر راتم
خرجوا إلى القتال الذي لم يكن بعده قتال في جنادي الآخرة فلما أحس المسلمون
بمخروجهم أرادوا الخروج متساندين كما كانوا قبل ذلك فنهضهم خالد وسار فيهم
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي
اخضعوا فيه جهادكم وارضوا الله بعملكم فان هذا يوم له ما بعده ولا تقاتلوا قوما
على نظام وتعبية وأنتم متساندون فان ذلك لا يحصل ولا ينبغي وان من ورائكم لو
يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا فاعملوا فيها لم تؤمروا به بالذي ترون انه رأى قالوا
هات فما رأى قال ان أبا بكر لم يبعثنا الا وهو يرى اناس تياسر ولو علم بالذي كان لما
جمعكم ان الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيتهم وأنفع للمشركين من امدادهم
ولقد علمت ان الدنيا قد فرقت بينكم فالله الله فقد أفرد كل رجل منكم بيلد
لا ينتقصه منه ان دان من الامراء ولا يزيد عليه ان دانوا له ان تأمير بعضهم
لا ينتقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا فان هؤلاء
قد تهيؤوا وان هذا يوم له ما بعده ان رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردهم وان
هزمونا لم نفلح بعده فهلموا فلتتناوب الامارة فليكن بعضنا اليوم والآخر غدا
والآخر بعد غد حتى تتأمروا كلكم ودعوني أنأمر اليوم فأمره وهم يرون انها
كخرجانهم فخرجت الروم في تعبئة لم ير الراؤن مثلها قط وخرج خالد في تعبئة
لم تعبها العرب قبل ذلك فخرج في ستة وثلاثين كرددوسا فجعل القلب كراديس
وأقام فيه أبا عبيدة وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وشرحبيل
ابن حسنة وجعل اليسرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان وجعل القعقاع
ابن عمرو وعلي كرددوس وجعل على كل كرددوس رجلا من الشجعان وكان القاضي
أبا الدرداء والقاص أبا سفيان بن حرب وعلي الطلائع قبات بن أشيم وعلي
الاقباط عبد الله بن مسعود وقال رجل لخالد ما أكثر الروم وأقل المسلمين فقال

خالد ما أكثر المسلمين وأقل الروم انما أكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان والله
لو ددت أن الاشقر يعني فرسه براء من توجيه وانهم أضعفوا في العدد وكان فرسه
قد حنى في مسيره فأمر خالد عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو فأنشبا القتال
والنعم الناس ونطاردا الفرسان وتقاتلوا فاذا هم على ذلك اذ قدم البريد من المدينة
واسمه محمية بن زعيم فسأله الخبر فأخبرهم بسلامة وامداد مع انه انما جاء بخبر وفاة
أبي بكر رضي الله عنه واستخلاف عمر بن الخطاب وعزل خالد وولاية أبي عبيدة
فبلغه خالد وأبا عبيدة سرا وبينهما كذا ذلك اذ خرج فارس من فرسان الروم يقال له
جرجة الى بين الصفيين وطلب خالد افخر ج اليه وأمن كل منهما صاحبه فقال جرجة
يا خالد اخبرني وأصدقني ولا تكذبني فان الحرا لا يكذب ولا يخادعني فان الكريم
لا يخادع المسترسل هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطا كه فلا تسله على
قوم الا هزمتهم قال لا قال فقيم سميت سيف الله فقال ان الله بعث فينا نبيه محمدا صلى
الله عليه وسلم فكنت فيمن كذبه وقاتله ثم ان الله هداني فتابعته فقال أنت سيف الله
سله الله على المشركين ودعالي بالنصر قال فأخبرني الى ما ندعو قال خالد الى
الاسلام أو الجزية أو الحرب قال فما منزلة الذي يجيبكم ويدخل فيكم قال منزلتنا
واحدة قال فهل له مثلكم من الاجر والذخر قال نعم وأفضل لاننا اتبعنا نبينا وهو
حى يخبرنا بالغيب ونرى منه العجائب والآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع
ما سمعنا أن يسلم وأنتم لم تروا مثلنا ولم تسمعوا مثلنا فن دخل منكم بنية وصدق
كان أفضل منا فقلب جرجة فرسه وسار مع خالد وأسلم وعلمه الاسلام واغتسل
وصلى ركعتين ثم خرج مع خالد فقاتل الروم وحملت الروم حملة أزالوا المسلمين
عن موافقهم الى المحامية وعليهم عكرمة بن أبي جهل وعمه الحرث بن هشام رضي
الله عنهما فقال عكرمة قاتلت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم أفر اليوم ثم نادى من
يبايع على الموت فبايعه عمه الحرث بن هشام وضرار بن الأزور في أربعة من
وجوه المسلمين وفرسانهم فقاتلوا اقدم فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعا جراحا
فيهم من برى ومنهم من مات وقاتل خالد وجرجة قتالا شديدا فقتل جرجة عند آخر

النهار وصلى الناس الظهر والعصر ايماء وتضعع الروم وحمل خالد بالقلب حتى
كان بين خيلهم ورجلهم فانهزم فرسانهم وتركوا الرجاله ولما رأى المسلمون خيل
الروم قد توجهت للمهرب افرجوا لها فتفرقت وقتل الرجاله واقصموا في خندقهم
فاقصموه عليهم وهوى فيه المقترون وغيرهم ثمانون ألفا من المقتنين وأربعون
ألفا مطلقا سوى من قتل في المعركة ونجلى الفيقار وجماعة من أشرف الروم
برائسهم وجلسوا فقتلوا متزملين ودخل خالد الخندق ثم نزل في خيمة تدارق
أخي هرقل فلما أصبحوا أتى خالد بعكرمة بن أبي جهل جريحاً فوضع رأسه على
فخذيه وبعمر وبن عكرمة فجعل رأسه على ساقه ومسح وجوههما وقطر في
حلقهما الماء وكان مع المسلمين كثير من النساء فقاتلن في ذلك اليوم قتالا كثيراً
وفي السيرة الحلبية وكان أبو سفيان بن حرب في ذلك اليوم يقاتل وبحرض
المسلمين على القتال ويقول الله الله عباد الله انصروا دين الله ينصركم الله
وأصيبت إحدى عينيه في ذلك اليوم فصار أعمى لأنه أصيبت عينه الأخرى في
غزوة الطائف فجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله أن يدعو الله ويردها له
فقال له ان شئت دعوت الله وان شئت خيرتها في الجنة فرمى بها وقال خيرتها في
الجنة قال أنس بن مالك رضي الله عنه رأيت في خلافة عثمان رضي الله عنه وهو
أعمى يقوده قائداً فدخل به على عثمان رضي الله عنه ولما انهزم الروم كان هرقل
بمحض فنادى بالرحيل عنها وجعلها بينه وبين المسلمين وأمر عليها أميراً كما أمر
على دمشق وكان من أصيب من المسلمين ثلاثة آلاف منهم عكرمة وابنه عمر
وعمه الحارث بن هشام وسامة بن هشام وعمرو بن سعيد وأبان بن سعيد والطفيل
ابن عمرو وطليب بن عمير وهشام بن العاص وأخوه عمرو بن العاص وعياش بن
أبي ربيعة وسعيد بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي ونعيم بن النحام والنضير
ابن الحارث العبدي أخو النضر بن الحارث الذي قتل كافر يوم بدر وأبو
الروم بن عمير العبدي أخو مصعب بن عمير وقيل قتلوا يوم أجناد بن أخرج ابن
عساكر عن الزهري أن عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه كان يوم اليرموك

أعظم الناس بلاء وأنه كان يركب الأسته ويقا تل قتنا لا شديد ا حتى جرحت الاسنة
صدره ووجهه فقالوا له اتق الله وارفق بنفسك فقال كنت أنا وأبي من أشد الناس
على النبي صلى الله عليه وسلم وكنت أقاتل عن اللات والعزى فأبدل نفسي لها
فكيف أستبقها الآن عن الله ورسوله لا والله أبدا قال فلم يزد الا إقداما حتى
مات يومئذ ووجدوا به بضعا وسبعين ما بين ضربة ووطعنة ورمية وأخرج ابن المبارك
والبيهقي ان عكرمة بن أبي جهل نزل يوم كذا يقاتل فقال خالد بن الوليد لا تفعل
فان قتلك على المؤمنين شديد فقال خل عنى يا خالد فانه قد كان لك مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم سابقة وانى وأبى كئنا من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فشى وقاتل حتى قتل وكان عكرمة يعظم القرآن غاية التعظيم وذكر الامام
الغزالي فى كتاب آداب تلاوة القرآن من إحياء علوم الدين ان عكرمة المذكور
كان اذا نشر المصحف غشى عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي وروى أبو
نعيم وابن منبده وابن عبد البر عن حبيب بن أبي ثابت أن الحارث بن هشام وابن
أخيه عكرمة بن أبي جهل وعياش بن أبي ربيعة أخا الحارث بن هشام لأمه جرحوا
يوم اليرموك فلما أئبتوا دعى للحارث بن هشام بماء ليشر به فنظر اليه عكرمة
فقال ادفعه الى عكرمة فلما أخذه عكرمة نظر اليه عياش فقال ادفعه الى عياش فما
وصل الى عياش حتى مات ولا وصل الى واحد منهم حتى مات رضى الله عنهم وهذا
شأنهم كلهم فى هذا الايثار وما يدل على ذلك أن مثل هذه القصة بعينها قد تكررت
من كثير منهم فقدر وى ابن المبارك عن أبي جهل بن حذيفة العدوى قال انطلقت
يوم اليرموك أطلب ابن عمى ومعى شنة من ماء واناء فقلت ان كان به رمق سقيته
من الماء ومسحت به وجهه فاذا أنا به ينثغ فقلت أسقيك فأشار أى نعم فاذا رجل
يقول آه فأشار ابن عمى أن انطق اليه فاذا هو هشام بن العاص أخو عمرو بن
العاص رضى الله عنهما فأتيته فقلت أسقيك فسمع آخر يقول آه فأشار هشام أن
انطلق اليه فجلت فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فأتيت ابن
عمى فاذا هو قد مات رحمهم الله تعالى ورضى عنهم وهذا الذى ذكرناه فى وقعة

اليرموك هو أصح الأقوال وكذا كونها في سنة ثلاث عشرة هو أصح الأقوال
وأنها قبل فتح الشام وقيل بعد وقعة أجنادين وبعد فتح الشام وأن وقعة اليرموك
وأجنادين كانا سنة خمس عشرة وقيل في وقعة اليرموك أن جيش الروم كان
ستمائة ألف وقيل ألف ألف وكان مع الروم من العرب المنتصرة ستون ألفاً من
غسان ولخم وجندام وأن القتال كان بين المسلمين ومنتصرة العرب فلما هزموا
زحف الروم بجيوشهم ودام الحرب أياماً كثيرة إلى أن تمت الهزيمة على الروم وكان
القتلى من الروم لا يحصى عددهم وقيل كانوا مائة ألف وخمسة آلاف والأسرى
كانوا أربعين ألفاً وأن قتلى المسلمين أربعة آلاف ولما قسمت الغنائم أصاب
الفرس أربعة وعشرون ألفاً مثقال من الذهب الأحمر والراجل ثمانية آلاف
وكذلك من الفضة واتبع خالد بن الوليد المنهزمين من الروم إلى قريب دمشق
الشام ومعه كثير من المسلمين يقتلون ويأسرون فيهم وكانت وقعة اليرموك من
أعظم وقائع الإسلام ومن المعجزات الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم والله
سبحانه وتعالى أعلم ﴿ ذكر وقعة أجنادين ﴾

الأكثر على أنها بعد اليرموك وقيل أنها كانت قبل اليرموك وحاصلها أن
الروم اجتمع كثير من جنودهم قتلهم كانوا تسعين ألفاً بأجنادين فسار لهم
جيوش المسلمين ونازلوهم وكان على الروم نذاريق أخو هرقل لابويه وقيل كان
على الروم القيقلان وأجنادين يروى بكسر اللام وقصها بين الرملة وبيت حرين
من أرض فلسطين ولما نزلت الروم بأجنادين واجتمعت المسلمون وعسكروا
عليهم بعث القيقلان رجلاً غريباً إلى المسلمين يأتيهم بخبرهم فدخل فيهم وأقام
يوماً وليلة ثم عاد إليه فقال ما وراءك قال وجدت قوماً رهباناً بالليل وفرساناً بالنهار
ولو سرق ابن ملكهم قطعوه ولو زنى رجوه لأقامة الحق فيهم فقال إن كنت
صدقني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها ثم انتشب القتال بين
المسلمين والروم وكان قتالاً شديداً قتل فيه من المشركين في المعركة ثلاثة آلاف
وقيل إن قتلاهم بلغوا خمسين ألفاً وقتلى المسلمين أربع مائة وخمسة وسبعين

وأتبعهم المسلمون بأسرون ويقتلون ثم تحصن المنهزمون منهم في المدائن
العظام كدمشق وحصن وايلياء وقيسارية واستشهد رجال من المسلمين منهم الفضل
ابن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه وضرار بن الخطاب الفهرى وآخرون
رحمهم الله ورضى الله عنهم وقتل تدارق أخوه رقل في وقعة أجنادين وقيل في
وقعة اليرموك * ذكر فتح دمشق *

١١ انهزم الروم جاء الخبر لابي عبيدة انهم اجتمع لهم جيش بفحل بكسر الفاء وهو
موضع بناحية الشام وانه الخبر أيضا بأن أهل دمشق جاءهم مدد من حصن
فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ذلك فجاءه الجواب بأمره فيه بأن
يبدأ بدمشق فانها حصن الشام وبيت ملكهم وان يشغل أهل فحل بخيل تكون
بازاتهم واذ افتح دمشق سار الى فحل فاذا قصت سار هو وخالده الى حصن وترك
شرحبيل بن حسنة وعمر بن العاص بالاردن وفلسطين فامتثل أبو عبيدة أمر
عمر رضى الله عنه فأرسل الى فحل طائفة من المسلمين فنزلوا قريباً منها وبقى الروم
الماء حول فحل فو حلت الارض فنزل عليهم المسلمون فكان أول محصور بالشام
أهل فحل ثم أهل دمشق وفلسطين وبعث أبو عبيدة جندا فنزلوا بين حصن
ودمشق وأرسل جندا آخر فكانوا بين دمشق وفلسطين وسار أبو عبيدة وخالده
فقدوا على دمشق وعليها فسطاس فنزل أبو عبيدة على ناحية وخالده على ناحية
وعمر بن العاص على ناحية ويزيد بن أبي سفيان على ناحية فحصرهم المسلمون
سبعين ليلة حصاراً شديداً وقتلواهم بالزحف والمجانيق وجاءت خيول من هرقل
مغينة دمشق فغنتها خيول المسلمين التي عند حصن فدخل أهل دمشق وطمع فيهم
المسلمون واتخذ خالد بن الوليد جبلاً كهيئة السلم وادهاقاً والدهق الجبل يرمى
في أنشودة فتؤخذ به الدابة والانسان فلما أمسى ذلك اليوم نهض هو ومن معه
من جنده الذين قدم عليهم وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو ومنعور وأبنتو الخبال
بالشرف وكان ذلك الموضع أحسن موضع بدمشق وأكثره ماء فصعد المسلمون
ثم تحدى خالد وأصحابه وترك بذلك الموضع من يحميه وأمرهم بالتكبير فكبروا

فأتاهم المسلمون الى الباب والى الحبال وانتهى خالد الى من يليه فقتلهم وقصد
الباب فقتل البوابين وثار أهل المدينة لا يدرون ما الحال ونشأغل أهل كل ناحية
بما يليهم وفتح خالد الباب وقتل من عنده من الروم فلما رأى الروم ذلك قصدوا الجهة
الآخري التي فيها أبو عبيدة وقصدوا أبا عبيدة وبدلوا الصلح فقبل منهم وقصوا له
الباب الذي من جهته وقالوا له ادخل وامنعنا من أهل ذلك الجانب ولم يعلم
أبو عبيدة بما صنع خالد ودخل أهل كل باب بصلح مما يليهم غير الباب الذي دخل منه
أصحاب خالد ودخل خالد عنوة فالتقى خالد وأبو عبيدة في وسط المدينة هذا قتلا
ونهبوا وهذا صفحا وتسكيننا فأمر أبو عبيدة خالد أن يكف وقال اني صالحت القوم
فقال خالد اني دخلتها عنوة فتنازعا في ذلك ثم أجزروا ناحية خالد مجرى الصلح
وكان صلحهم على المفاصة وقسموا معهم للجنود التي عند فحل وعند حص
وغيرهم ممن هو رد للمسلمين هذا هو الصلح في كيفية دخول خالد وأبي عبيدة
وقيل ان خالد ومن معه نقبوا جانبا من السور ودخلوا معه ويمكن ان جماعة منهم
دخلوا بالحبال التي صنعها وجماعة آخري نقبوا جانبا من السور وأما أبو عبيدة
وبقية الأمراء فانهم دخلوا بالصلح الذي عقد مع أبي عبيدة وقد تقدم ان خبر
وفاة أبي بكر واستخلاف عمر وعزل خالد ونولية أبي عبيدة جاءهم وهم في قتال
اليرموك سنة ثلاث عشرة وفتح دمشق كان في رجب سنة أربع عشرة في خلافة
عمر رضي الله عنه وقيل انما جاءهم خبر وفاة أبي بكر بعد فتح دمشق سنة ثلاث
عشرة وان وفاة أبي بكر رضي الله عنه كان في الليلة التي دخلوا فيها دمشق وكان
ذلك لثمان بقين من جادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة والقائلون بأن
خبر وفاته انما جاء بعد فتح دمشق هم القائلون بأن وقعة اليرموك كانت بعد فتح
دمشق وانها سنة خمس عشرة والقول الاول أصح وانما عزل عمر رضي الله عنه
خالد الا انه كان ينقم عليه قتل مالك بن نويرة وقال أيضا ان خالد فيه تبذير للمال
يعطى الشاعر اذا مدحه ويعطى للجاهد والفارس بين يديه فوق ما يستحق ولا
يبقى لفقراء المسلمين ولا لضعفائهم شيئا وكان ذلك اجتهادا من عمر وما وقع من

خالد كان أيضا باجتهاد وكل منهما مأجور ولا يريد الا الحق ولما جاء أمر عمر رضي
الله عنه بعزله امتثل أمره وما زال أبو عبيدة يستشيره ولا يعمل الا برأيه ومشورته
وكان كل منهما يعرف قدر صاحبه وما خص به من الفضائل رضي الله عنهم ولما
فتحت دمشق أرسل أبو عبيدة لعمر رضي الله عنهما بالفتح فكان لعمر وأهل
المدينة سرور كثير عند ورود خبر الفتح وكتب له عمر أن يرسل الجند الذين جاؤا من
العراق مع خالد فأرسلهم الى العراق وأمر عليهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وبقى
خالد مع أبي عبيدة وسيأتي ان شاء الله الكلام على بقية فتوحات العراق

﴿ ذكر غزوة حقل ﴾

بكسر الفاء وبالحاء المهملة * لما فتحت دمشق سار أبو عبيدة الى حقل واستغلف
على دمشق يزيد بن أبي سفيان وبعث خالد على المقدمة وعلى الناس شرحبيل بن
حسنة وكان على المجنبتين أبو عبيدة وعمر وبن العاص وعلى الخيل ضرار بن
الازور وعلى الرجال عياض بن غنم وتقدم ان الروم بثقوا الماء حول حقل
فوحلت الارض فنازل المسلمون أهل حقل وبينهم وبين الروم تلك المياه
والاوحال وكتب المسلمون الى عمر رضي الله عنه وأقاموا ينتظرون الجواب
فاغترهم الروم فخرجوا عليهم وكان على الروم سقلار بن الخارق فأتوهم
والمسلمون حذرون وكان شرحبيل بن حسنة لا يبيت ولا يصبح الا على تعبئة فلما
هجموا على المسلمين لم يناظروهم فاقتتلوا أشد القتال ليلتهم ويومهم وأظلم الليل
عليهم فانهزم الروم وهم حيارى وقد أصيب رئيسهم سقلار والذي يليه نسطوس
وظفر المسلمون بهم وركبوهم ولم تعرف الروم مأخذهم فانتهت بهم الهزيمة الى
الوحد فركبوه ولحقهم المسلمون فأخذوهم بحيث انهم صاروا لا ينعون
يدلامس فزحزحوهم بالرماح فكانت الهزيمة بفحل والقتل بالردغ فأصيب
الروم وهم ثمانون ألفا لم يفلت منهم الا الشر يد وقد كان الله يصنع بالمسلمين خيرا
وهم كارهون كرهوا البشوق والوحد فكانت عوناهم على عدوهم وغنموا
أموالهم واقتسموها ثم سار أبو عبيدة وخالد من معهما الى حصص وسيأتي ذكر

ذلك

﴿ ذكر فتح بلاد ساحل دمشق ﴾

لما استخلف أبو عبيدة يزيد بن سفيان على دمشق وسار إلى فحل بعث يزيد دحية الكلابي إلى ندمر وأبا الأزهري القشيري إلى حوران فصالحوهما ووليا عليهما وسار يزيد إلى مدينة صيدا وعرقه وجبيل وبيروت وهي سواحل دمشق وعلى مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحا يسيرا وجلا كثيرا من أهلها وتولى فتح عرقه معاوية بنفسه في ولاية أخيه يزيد ثم إن الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر وأول ولاية عثمان فقصدهم معاوية ففتحها ثم رماها وشحنها بالمقاتلة وأعطاهم القطن والمال ووليا عثمان الخلافة جمع لمعاوية الشام كله فوجه معاوية سفيان بن نجيب الأزدي إلى طرابلس وهي ثلاث مدن مجتمعة ثم بنى في مرج على أميال منها حصنا يسمى حصن سفيان قطع المادة عن أهلها من البر والبحر وحاصروهم فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا في أحد الحصون الثلاثة وكتبوا إلى ملك الروم يسألونه أن يمدهم أو يبعث إليهم بمراكب يهربون فيها إلى الروم فوجه إليهم بمراكب كثيرة وركبوا فيها ليلا وهربوا فلما أصبح سفيان وكان يبيت هو والمسلمون في حصنه ثم يغدوا على العدو فوجد الحصن خاليا فدخله وكتب بالفتح إلى معاوية فأسكنه معاوية جماعة كثيرة من اليهود وهو الذي فيه المينا اليوم ثم بناه عبد الملك بن مروان وحصنه ثم نقض أهله أيام عبد الملك ففتحها ابنه الوليد في

زمانه

﴿ ذكر فتح ييسان وطبرية ﴾

لما قصد أبو عبيدة حمص من فحل أرسل شرحبيل بن حسنة ومن معه إلى ييسان فقاتلوا أهلها فقتلوا منهم خلقا كثيرا ثم صالحه من بقي مثل صلح دمشق فقبل ذلك منهم وكان أبو عبيدة قد بعث أبا الأعور السلمي إلى طبرية يحاصرهم فصالحه أهلها على مثل صلح دمشق أيضا وان يشاطروا المسلمين المنازل فنزلها القواد وخيولها وكتبوا بالفتح إلى عمر رضي الله عنه ولقرب الزمن في تلك الغزوات وقرب بعضها من بعض اختلفوا في تقدم بعضها على بعض والامر في ذلك سهل

﴿ ذكر الواقعة بمرج الروم ﴾

لما سار أبو عبيدة و خالد ومن معهم مامن فحل قاصدين حصن بلغ الخبر هرقل فبعث جيشا عليهم نوزرا بطريق فنزل بمرج الروم غربى دمشق ونزل أبو عبيدة أيضا بمرج الروم ونازله يوم نزوله شغش الرومى فى مثل جيش نوزر مددا لتوزر وعونا لاهل حصن فلما نزل أصبحت الارض من نوزر بلاقع وكان خالد بازائه وأبو عبيدة بازائه شغش وسار نوزر يطلب دمشق فلما علم خالد بمسيره سار خافه فى جمع ممن معه وبلغ يزيد بن أبى سفيان فعل نوزر فخرج من دمشق واستقبله فاقتتلوا وحق بهم خالد وهم يقتتلون فأخذهم من خلفهم ولم يفلت منهم الا الشريد وغنم المسلمون ما معهم فقسمه يزيد فى أصحابه وأصحاب خالد وعاد يزيد الى دمشق ورجع خالد الى أبى عبيدة وقد قتل نوزر وقاتل أبو عبيدة شغش فاقتتلوا بمرج الروم فقتلت الروم مقتلة عظيمة وقتل شغش وتبعهم المسلمون الى حصن فلما بلغ هرقل ذلك أمر بطريق حصن بالمسير اليها وكان عنده وسار هو الى الرها وسار أبو عبيدة الى حصن

﴿ ذكر فتح حصن و بعلبك وغيرها ﴾

لما فرغ أمر مرج الروم سار أبو عبيدة والمسلمون الى حصن فنازلوها وقتلوا أهلها فكانوا يغادونهم القتال ويرأونهم فى كل يوم بارد ولقى المسلمون بردا شديدا ولقى الروم حصارا طويلا فصر المسلمون والروم وكان هرقل قد أرسل الى حصن يبعدهم المدد وأمر أهل الجزيرة جميعها بالتجهز الى حصن فساروا نحو الشام ليمنعوا حصن عن المسلمين فسير سعد بن أبى وقاص من العراق السرايا الى هيت وحصروها وسار بعضهم الى قرقيسا ففرق أهل الجزيرة وعادوا عن نجدة أهل حصن فكان أهلها يقولون تمسكوا بمدينتكم فانهم حفاة فاذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم فكانت أقدام الروم تسقط ولا يسقط للمسلمين أصبع فلما خرج الشتاء قام شيخ من الروم فدعاهم الى مصالحة المسلمين فلم يجيبوه وقام آخر فلم يجيبوه فناجزهم المسلمون فكبروا تكبيرة فأنهدهم كثير من دور حصن

وزلزلت حيطانهم فتصدعت فكبروا ثانية فأصابهم أعظم من ذلك فخرج أهوا
اليهم يطلبون الصلح ولا يعلم المسلمون بما حدث فيهم فأجابوهم وصالحوهم على
مثل صلح دمشق وأزلهما أبو عبيدة السمط بن الاسود الكندي في بني معاوية
والاشعث بن مينا في السكون والمقداد في بلي وأزلهما غيرهم أيضا وبعث
بالاجناس الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع عبد الله بن مسعود وكتب عمر
الى أبي عبيدة أن أقم بمدينتك وادع أهل القوة من عرب الشام فاني غير نارك
البعثة اليك ثم استخلف أبو عبيدة على حصص عبادة بن الصامت وسار الى اه
فتلقاه أهلها مندعين فصالحهم أبو عبيدة على الجزية لرؤسهم والخراج على أرضهم
ومضى نحو شيزر فخرج اليه أهلها ابدا لونه الصلح على ما صالحه أهل حماة
فصالحهم وسار الى معره حصص وهي معرة النعمان نسبت معرة الى النعمان بن
بشير الانصاري رضى الله عنه فاذعنوا له بالصلح على ما صالح عليه أهل حصص ثم
أتى اللاذقية فقاتله أهلها وكان لها باب عظيم يفتحه جمع من الناس فعسكر المسلمون
على بعد منها ثم أمر فحفر حفائر عظيمة تستر الحفرة منها الفارس راكبائهم
أظهروا أنهم عابرون عنها ورحلوا فلما جنهم الليل عادوا واستروا في ثلاث الحفائر
وأصبح أهل اللاذقية وهم يرون ان المسلمين قد انصرفوا عنهم فأخرجوا سرحهم
وانتشر وابتاها البلد فلم يرعهم الا والمسلمون يصيغون بهم ودخلوا معهم المدينة
وما كت عنوة وهرب قوم من النصارى ثم طلبوا الامان على أن يرجعوا الى
أرضهم فقوطعوا على خراج يؤدونه قلوبا أو كثر واوتركت لهم كنيستهم وبني
المسلمون باللاذقية مسجدا جامعنا عبادة بن الصامت ثم وسع فيه بعدد ولما فتح
المسلمون اللاذقية جلا أهل جبله من الروم عنها فلما كان زمن معاوية بنى حصنا
خارج الحصن الرومي وشعبه بالرجال وفتح المسلمون مع عبادة بن الصامت
نظر سوس وكان حصنا فجلا عنه أهله فبنى معاوية مدينة نظر سوس ومصرها
وأقطع بها القطن للمقاتلة وكذلك فعل بيباب باس وفتح سلمية أيضا

﴿ ذكر فتح قنسر بن ودخول هرقل القسطنطينية ﴾

ثم أرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد الى قنسر بن فلما نزل الحاضر زحف اليهم الروم
وعليهم ميناس وكان من أعظم الروم بعد هرقل فاقتلوا وقتل ميناس ومن معه
مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها فتوا على دم واحد وسار خالد حتى نزل على قنسر بن
قصصوا منه فقال المسلمون لهم لو كنتم في السحاب لجئنا الله اليكم أولا نزلكم الينا
فنظروا في أمرهم ورأوا ما اتى أهل حصص فصالحوهم على مثل صلح حصص فأبى
خالد الا على خراب المدينة فأخربها فعند ذلك دخل هرقل القسطنطينية وسببه
ان خالد اوعياضاً أدرباً الى هرقل من الشام وأدرب عمرو بن مالك من الكوفة
فخرج من ناحية قرقيسا وأدرب عبد الله بن المعتز من ناحية الموصل ثم رجعوا
فعندها دخل هرقل القسطنطينية فلما بلغ عمر صنيع خالد قال أمر خالد نفسه
يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال مني وقد كان عزله والمثنى بن حارثة وقال اني
لم أعزلهما عن ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيت أن يوكلوا اليهما ولما سار
هرقل الى القسطنطينية خرج من الرها فنزل بشمشاط ثم أدرب منها الى
القسطنطينية فلما أراد المسير من شمشاط علا على نثر ثم التفت الى الشام فقال
السلام عليك يا سورا سلام لا اجتماع بعده ولا يعود اليك رومي أبدا الا خائفاً حتى
يولد المولود المشؤوم وياليت لم يولد فإحلى فعله وأمر فتيته على الروم ثم سار
فدخل القسطنطينية وأخذ أهل الحصون التي بين اسكندرونة وطرسوس معه
لثلاثين يوماً في عمارة ما بين انطاكية وبلاد الروم وشعث الحصون فكان
المسلمون لا يجدون بها أحداً وربما كمن عندها الروم فأصابوا من المتخلفين
فاحتاط المسلمون لذلك

﴿ ذكر فتح حلب وانطاكية وغيرهما من العواصم ﴾

لما فرغ أبو عبيدة من قنسر بن سار الى حلب فبلغه ان أهل قنسر بن نقضوا
وغدروا فوجه اليهم السمط الكندي فحصرهم وقتلها وأصاب فيها بقرا وغنا
فقسم بعضه في جيشه وجعل بقيته في المغنم ووصل أبو عبيدة الى حاضر حلب وهو

قريب منها فجمع أصنافا من العرب المنتصرة فصالحهم أبو عبيدة على الجزيرة ثم
أسلموا بعد ذلك وأتى حلب فتحصن أهلها وحصرهم المسلمون فلم يلبثوا أن
طلبوا الصلح والامان على أنفسهم وأولادهم ومدينتهم وكنائسهم وحصرهم
فأعطوا ذلك واستثنى عليهم موضع المسجد ثم سار أبو عبيدة إلى انطاكية وقد
تحصن بها كثير من الخلق من قنسرين وغيرها وحاصرها من جميع الجوانب ثم
انهم صالحوه على الجلاء أو الجزيرة فجلا بعض وأقام بعض فأمنهم ثم نقضوا فوجه
اليهم عياض بن غنم وحبيب بن مسامة ففتحها على الصلح الاول وكانت انطاكية
عظيمة الذكر عند المسلمين فلما فتحت كتب عمر إلى أبي عبيدة أن رتب انطاكية
جماعة من المسلمين واجعلهم بها مرابطة ولا تحبس عنهم العطاء وبلغ أبا عبيدة
أن جمعاً من الروم بين معرفة مصر بن وحلب فسار اليهم فلقبهم فهزمهم وقتل عدة
بطارقة وسبي وغنم وفتح معرفة مصر بن على مثل صلح حلب وجالت خيوله فبلغت
بوقا وفتحت قرى الجومة وسرمين وتيزين وغلبوا على جميع أرض قنسرين
وانطاكية ثم أتى أبو عبيدة حلب وقال الثالث أهلها فلم يزل بهم حتى اذعنوا وفتحوا
المدينة وسار أبو عبيدة يريد قورس فلقبه راهب من رهبانها بسأله الصلح
فصالحه على مثل صلح انطاكية وبيت خيمله فغلب على جميع أرض قورس
وفتح تل عزار ثم سار إلى منبج وصالحه أهلها على مثل صلح انطاكية وسير عياض
ابن غنم إلى ناحية دلوك وعبان فصالحه أهلها على مثل صلح منبج وولى أبو عبيدة
كل كورة فتحها عاملاً وضم اليه جماعة وشمعن النواحي المخوفة وسار إلى بالس
وبعث جيشاً مع حبيب بن مسامة إلى قاصر بن فصالحهم أهلها على الجزيرة أو الجلاء
فجلاً أكثرهم إلى بلد الروم وأرض الجزيرة وقرية جسر منبج واستولى المسلمون
على الشام من هذه الناحية إلى الفرات وعاد أبو عبيدة إلى فلسطين وكان بجبل
اللكام مدينة يقال لها جرجومة وأهلها يقال لهم الجراجمة فسار اليهم حبيب بن
مسامة من انطاكية فافتتحها صلحاً على أن يكونوا للمسلمين وسير أبو عبيدة
جيشاً مع ميسرة بن مسروق العبسي فسلكوا درب بفراسي من أعمال انطاكية

الى بلاد الروم فلقى جمعا للروم ومعهم عرب من غسان وتنوخ وايد بر بدون
اللعاق بهرقل فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ولحق به مالك بن الحارث الاشر
النجعي مدد من قبل أبي عبيدة وهو بانطاكية فساموه وعادوا وسير أبو عبيدة
جيشا آخر الى مرعش مع خالد بن الوليد ففتحها على جلاء أهلها بالامان
وأخر بها وسير جيشا آخر مع حبيب بن مسامة الى حصن الحدث فلكه وكل هذه
الفتوحات كانت من سنة ثلاث عشرة الى سنة خمس عشرة يتلو بعضها بعضها
أزمان متقاربة وكان فيها أيضا فتح قيسارية وحصر غزوة

﴿ ذكر فتح قيسارية وحصر غزوة ﴾

في سنة خمس عشرة على الصحيح كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى يزيد بن
أبي سفيان أن يرسل معاوية الى قيسارية وكتب عمر أيضا الى معاوية يأمره بذلك
فسار معاوية اليها فحصر أهلها فجعلوا يزاحفونه وهو بهزمهم ويردهم الى حصنهم
ثم زاحفوه آخر ذلك مستقيمين فهزمهم وقتل فيهم مقتلة عظيمة وبلغت قتلهم
في المعركة ثمانين ألفا وكلها في هزيمتهم مائة ألف وفتحها وكان علقمة بن مجز قد
حصر القيقار بغزوة وجعل يرأسله فلم يشفه أحد بما يريد فأتاه كأنه رسول علقمة
فأمر القيقار رجلا أن يقعدله في الطريق اذا رجع فاذا امر به قتله ففطن علقمة
فقال لقيقاران معي نفر ايشركونني في الرأي فانطلق فأتيتك بهم فبعث القيقار
الى ذلك الرجل أن لا يتعرض له فخرج علقمة من عنده فلم يعدف كان فعله هذا
كما فعل عمرو بن العاص بالارطبيون كما سيأتي ومجز زبيجيم وزاين

﴿ ذكر فتح ييسان ووقعة أجنادين ﴾

لما انصرف أبو عبيدة وخالد رضي الله عنهما الى حصن نزل عمرو بن العاص
وشرحبيل رضي الله عنهما على أهل ييسان فافتتحها وصالح أهل الاردن
واجتمع عسكر الروم بغزوة وأجنادين وييسان وسار عمرو وشرحبيل الى
الارطبيون ومن معه وكان الارطبيون باجنادين واستخلف على الاردن أبوالاعور
السامي وكان الارطبيون أدهى الروم وأبعدها غورا وكان قد وضع جندا عظيما
بأيلياء وجندا عظيما بالرملة فاما بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخبر قال قد رمينا

أرطبيون الروم بارطبيون العرب يعني عمرو بن العاص فانظر واعم تنفرج وكان
معاوية قد شغل أهل فيسارية عن عمرو وكان عمرو وقد جعل علقمة بن حكيم
الفراسي ومسر وقال العكي على قتال ايلياء فشنغوا من به عنه وجعل أيضا أبا أيوب
المالكى على من بالرمله من الروم فشنغهم عنه وتتابعت الامدادات من عند عمر الى
عمرو واقام عمرو وعلى اجنادين لا يقدر من الارطبيون على شئ ولا تشفيه الرسل
فسارا اليه بنفسه فدخل عليه كأنه رسول فقطن به الارطبيون وقال لاشك ان هذا
هو الامير أو من يأخذ الامير برأيه فأمر انسابا أن يقعد على طريقه اذا رجع ليقتله
وفظن عمرو ولفعله فقال له قد سمعت منى وسمعت منك وقد وقع لك منى موقع وأنا
واحد من عشرة بعثنا عمرو اليك فأرجع فأتيتك بهم الآن فان رأوا الذي
عرضت على الآن فقد رآه الامير وأهل العسكر وان لم يروه رددتهم الى ما منهم
فيقال نعم ورد الرجل الذي أمره بقتله فخرج عمرو ومن عنده ثم علم الروم انها
خدعة اختبئ بها فقال هذا أدهى الخلق وبلغت خديعته عمر بن الخطاب رضى
الله عنه فقال لله در عمرو وعرف عمرو ومأخذه اذا قاتله فقاتله باجنادين قتالا
شديدا حتى كثرت القتلى بينهم وانهمزم ارطبيون الى ايلياء ونزل عمرو واجنادين
وأفرج المسلمون الذين يحصرون بيت المقدس لارطبيون فدخل بيت المقدس

ذكر فتح بيت المقدس

كان فتح بيت المقدس سنة خمس عشرة من الهجرة في خلافة عمر بن الخطاب
رضى الله عنه وقيل سنة ست عشرة في ربيع الاول * وسبب ذلك انه لما دخل
أرطبيون بيت المقدس فتح عمرو بن العاص غزوة ثم فتح سبطية وفيها قبر يعقوب بن
زكريا عليها الصلاة والسلام وفتح نابلس بامان على الجزيرة وفتح مدينة لدم ثم فتح
تبقى وعمواس وبيت جبرين ويافا وقيل فتحها معاوية وفتح عمرو ومرج عيون فلما
تم له ذلك أرسل الى أرطبيون رجلا يشكاه بالرومية وقال له اسمع ما يقول واكتب
معه كتابا فوصل الرسول ودفع الكتاب الى أرطبيون وعنده وزاؤه فقال
أرطبيون لا يفتح والله عمرو وشيا من فلسطين بعد اجنادين فقالوا له من أين علمت

هذا فقال صاحبها رجل صفته كذا وكذا واذكر صفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فرجع الرسول الى عمر وبن العاص وأخبره بالخبر فكتب الى عمر بن الخطاب
يقول له اني أعالج عدوا شديدا وبلاد اقداد خربت لك فرأيتك فعلم ان عمر لم يقل
ذلك الا لشيء سمعه فسار عمر من المدينة وقيل ان الروم الذين كانوا يبيت المقدس
طلبوا من المسلمين أن يروهم أميرهم فاروهم أبا عبيدة وخالدين الوليد فقالوا
لأنهم أحدا من هذين مدينة بيت المقدس ولو حاصرتمونا عشر سنين وانما نسلمها
لرجل صفته كذا وكذا واذكر واصفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب أبو
عبيدة وبقية الامراء بذلك لعمر بن الخطاب فقدم عليهم وكان أبو عبيدة رضي
الله عنه لما حصر بيت المقدس أراد أن يصلحهم على مثل صلح أهل مدن الشام
فقالوا لا يصلحهم الا أن يكون المتولى للعقد عمر بن الخطاب فكتب اليه بذلك
فسار عن المدينة وأتى بيت المقدس وفي تاريخ ابن الوردي وكان النبي صلى الله
عليه وسلم قد قال لعمر رضي الله عنه انك ستفتح بيت المقدس بلا قتال فكان في
مجيئه اظهارة معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم في اخباره بالغيب ففتحها بلا سيف كما
أخبره به النبي صلى الله عليه وسلم ولما سار عمر من المدينة استخاف عليها علي بن أبي
طالب رضي الله عنه فقال له علي أين نخرج بنفسك انك تريد عدوا كلبا فقال
عمر ابادر بالجهاد قبل موت العباس رضي الله عنه انكم لو فقدتم العباس لانتقض
بكم الشرك كما ينتقض الجبل فان العباس لست سنين من خلافة عثمان رضي الله عنه
فانتقض الناس وسار عمر رضي الله عنه من المدينة وهو على بعيره وعليه غرار تان
في احدهما سويق وفي الاخرى تمر وبين يديه قربة مملوءة ماء وخلفه جفنة للزاد
ومعه جماعة من الصحابة وكان اذا نزلوا منزلا لا يبرح به حتى يصلي الصبح ثم يأخذ
الجفنة بملاها سويقا ويصف التمر حولها ويقرب للمسلمين ويقول كلوا هنيئا
مريثا فإيا كل ويا كل المسلمون ثم يرحل فاذا زال كذلك في مسيره حتى قدم الشام
وقيل انه لما قدم الجابية كان على فرس وكان قدومه الى الشام أربع مرات الاولى
على فرس والثانية على بعير والثالثة على بغل ورجع لأجل الطاعون والرابعة على

جار وكتب الى امرء الاجناد أن يوافوه بالجابية ليوم سماه ويستخلفوا على أعمالهم
فكان أول من لقيه يزيد بن أبي سفيان وأبو عبد الله ثم خالد على الخيول عليهم
الله يباح والحرير فنزل وأخذ الحجارة ورماهم بها وقال ما أسرع ما رجعتم عن رأيكم
تستقبلوني في هذا الرزي وإنما شبعتم منذ سنتين وباللله لو فعلتم هذا على رأس المائتين
لاستبدلت بكم غيركم فقالوا يا أمير المؤمنين إنها يلامعه وإن علينا السلاح قال فنعم
إن والي اليمام من السلاح ما برق فلما دخل الجابية جاءه أهل بيت المقدس وقد
هرب عنهم اوطيون الى مصر فصالحوه على الجزية وفتحوها له ويروي أن الروم
استعوا من فتح باب السور حتى يروا عمر ويجدوا فيه الصفة التي يجدونها في
كتبهم فأمر عمر بعبيره فقدم اليه فاستوى الى ركوبه عليه وعليه مرقعة ليس
عليه غيرها وعلى رأسه قطعة عباءة قطوانية وقد عصب بهار أسه وليس معه غير أبي
عبيدة رضي الله عنهما سائر ارباب يديه حتى قرب من السور ووقف بأزاء السور
فنظر اليه البطريرقي وهو خلف السور وزعق بأعلى صوته هذا والله الذي نجد
نعمه وصفته في كتبنا وهو الذي يكون فتح بلادنا على يديه بلا محالة ثم قال لاهل بيت
المقدس وبحكم انزلوا اليه واعقدوا معه الامان والذمة ففتحوا الباب وخرجوا الى
عمر يسألونه العهد والميثاق والذمة وعقد الجزية فخر ساجد الله على قتب بعيره
ثم نزل اليهم وقال ارجعوا الى بلادكم ولكن العهد والذمة اذا سألتنونا وأقر
بالجزية فرجع القوم ولم يغلقوا الأبواب ورجع عمر الى معسكره وبار
فلما كان من الغد قام فدخل اليها ومعها المسلمون وعقد الجزية
وجعل علقمة بن حكيم على نصف فلسطين وأسكنه الرملة
على نصفها الآخر وأسكنه بيت المقدس وضم اليه
ولقياه بالجابية راكبا فقبل اركبته وضم كل
المقدس من الجابية فركب فرسه فراء
فجعل يتجملجل به فتزل وضم
ركب برذونا قبله ولا بعده وبقى أر

ولادخل عمر بيت المقدس كنف عن الصخرة وأمر ببناء المسجد عليها وأمر
عشرة أيام ثم رجع الى المدينة وكان في هذه السنة والتي بعدها كتب
الفتوحات بالعراق وسند كرها ان شاء الله بعد تمام الكلام على فتوح
الشام ومصر

﴿ ذكر خبر حصن حين قصده رقل من بهامن المسلمين ﴾

في سنة سبع عشرة قصد الروم أباعبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين
بحمص وكان المهيج للروم أهل الجزيرة فانهم أرسلوا الى ملك الروم وحنوا
على ارسال الجنود الى الشام ووعدها من أنفسهم المعاونة ففعل ذلك فلما
المسلمون باجتماعهم عسكر وابفناء مدينة حصن وأقبل خالد بن قنسر بن الي
فاستشارهم أبو عبيدة في المناجزة والتحصين الى مجي الغياث فاشار
بالمناجزة وأشارهم بالتحصين ومكاتبة عمر فاطاعهم وكتب الى عمر ذلك
فكتب عمر الى أمراء الاجناد بالعراق أن يبعثوا جنود الاغاثة أبي عبيدة وكان
عمر رضى الله عنه قد اتخذه في كل مصر خيولا على قدر ذلك المصر من فضو
أموال المسلمين عدة تكون لهم فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس
وكان القيم عليها سلمان بن ربيعة الباهلي ونفر من أهل الكوفة وفي كل مصر
الأمصار على قدرة فان تأتمهم آتية ركب الناس وساروا الى أن يتجهز بقية النام
فله اسمع عمر الخبر كتب الى سعد بن أبي وقاص بالعراق أن اندب الناس مع الفقهاء
ابن عمرو وسرحهم من يومهم فان أباعبيدة قد أحيط به وكتب اليه أيضا سر
سهيل بن عدي الى الرقة وهي بلدة على الفرات بتشديد الراء والقاف المفتوح حتى
خان أهل الجزيرة هم الذين استشاروا الروم على أهل حصن وأمره أن يسرح عبا
الله بن عتبان الى نصيبين ثم لي قصد حران والرها وان يسرح الوليد بن عقبة عز
عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ وأن يكون عياض بن غنم على أمراء الجزيرة
كانت حرب قضى القعقاع من يومه على أربعة آلاف الى حصن وسار عياض
علمك على الخيل وأمر الى كورته وسار عمر بن الخطاب رضى الله عنه

جيلة
علاهل الرملة
عل علقمة بن مجنون
رو بن العاص وشس حبيل
منهما تحضهما ثم سار الى يدي
ل عنه فاني يبردون في
عرب الجزيرة
امون

من المدينة يريد حصص مغيثا لأبي عبيدة ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم
على أهل حصص خيرا الجنود الإسلامية فارقوا هرقل ورجعوا إلى بلادهم وزحف
أبو عبيدة إلى الروم فأنهزموا وقد تم الفتح من العراق بعد الوقعة بثلاث فكتبوا
إلى عمر بالفتح وبقدمو المدد إليهم فكتب إليهم أن اشركوهم في الغنيمة فأنهم
نكروا اليكف وانفروا لهم عدوكم وقال جزى الله أهل الكوفة خيرا يكفون
حوزتهم ويمدون أهل الأمصار فلما فرغوا رجعوا وبلغ عمر في مسيره هذا إلى
الجابية فوافاه خيرا أنهزم الروم فكتب الجواب لأبي عبيدة ورجع من الجابية
وأصبح معه خالد بن الوليد ومن معه ولما قدم سهيل بن عدي على الرقة سرح
الوليد بن عقبة إلى عرب الجزيرة فقبض أهل الرقة عن هرقل وساروا مع سهيل
بن عدي إلى إياد بن نزار فأنهم دخلوا أرض الروم فكتب عمر إلى هرقل بلغني
أن حيا من أحياء العرب تركوا دارنا وأتوا دارك فوالله لتخرجهم أولئك
العصاة إليك فاخرجهم هرقل وتفرق منهم أربعة آلاف في بلي الشام والجزيرة
﴿ ذكرفتح الجزيرة وأرمينية ﴾

الجزيرة بلاد تسمى على ديار بكر ومصر وريبعة بين دجلة والفرات البها ينسب
إلى أمم الجزيرة وأرمينية كورة كانت للروم ولما أرسل سعد العساة كرا إلى
الجزيرة أرفض به أهل الجزيرة عن الروم وساروا إلى كورهم حين سمعوا
بإرسال العساة كرا من الكوفة فنزل عليهم سهيل بن عدي وحاصرهم حتى
صاحوا ونزل عبد الله بن عتيان الموصل ونصيبين فمالحوه كصنع أهل الرقة
وخرج الوليد بن عقبة فقدم على عرب الجزيرة فنهض معه مسلمهم وكافرهم إلا
إياد بن نزار فأنهم دخلوا أرض الروم فكتب الوليد بذلك إلى عمر فكتب عمر
إلى هرقل كما تقدم ولما أخذوا الرقة ونصيبين ضم عياض اليه سهيلا وعبد الله بن
عتيان وسار بالناس إلى حران فلما وصل أجابه أهلها إلى الجزيرة فقبل منهم ثم إن
عياض سرح سهيلا وعبد الله إلى الرها فاجابوهما إلى الجزيرة وأجروا كل
مأخذوه من الجزيرة عنوة بحري الذمة فكانت الجزيرة أسهل البلدان فتحها

ورجع سهيل وعبد الله الى الكوفة وكتب أبو عبيدة الى عمر بن الخطاب رضي
الله عنه بعد انصرافه من الجابية يسأله أن يضم اليه عياض بن غنم اذا أخذ خالد
الوليد معه الى المدينة فصرفه اليه فاستعمل حبيب بن مسلمة على عجم الجزير
وحر بها والوليد بن عقبة على عربها وأبي الوليد بن عقبة أن يقبل من تغلب الجزير
وقال ليس الا الاسلام فكتب اليه عمر انما ذلك بجزيرة العرب لا يتبل منهم
الاسلام فدعهم على أن لا ينصر واوليدوا لا يمتنعوا أحدا منهم من الاسلام وكما
في تغلب عزو امتناع فهم بهم الوليد فخاف عمر أن يسطو عليهم فعزله وأمر
عليهم فرات بن حيان وهند بن عمر الحلبي والصحيح الذي عليه الأكثر ان قد
الجزيرة معدود من فتح أهل الشام وأنه سنة سبع عشرة وقيل انه من فتح العراق
وإنه سنة تسع عشرة وانما أخذ عمر خالد معه وعزله عن امارة الاجناد لان
منه تبذيرا وسرفا في الاموال أعطى مرة للاشعث بن قيس عشرة آلاف و
عطايا كثيرة فلما قدم المدينة شك خالد عمر على الناس وقال له انك في أمرى غي
بمحل فقال له عمر من أين هذا الثراء فقال من الغنائم والسهمان ما زاد على سائر
ألقاهم ولك فقوم عمر ماله فزاد عشرين ألفا فجعلهم في بيت المال ثم قال يا خالد
انك على الكرم وانك الى حبيب وكتب الى الامصار اني لم أعزل خالد عن
سطة ولا خيانتة ولكن الناس فخموه وفتنوا به فخفت أن يوكلوا اليه فأحسب
أن يعلموا ان الله هو الصانع وان لا يكونوا يعرض فتنة وعوضه عما أخذوا
وكان خالد بن خالد عمر رضي الله عنهم لان أم عمر حنيفة بنت هاشم بن المغيرة و
ابن الوليد بن المغيرة وكان في قلنسوة خالد التي يقاتل فيها شعرات من شعر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيستنصر بها ويركته صلى الله عليه وسلم فلا يزال منصور
وكان يقول اعتمر ناع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة اعتمرها خلق شعر
خاستبق الناس الى شعره فسبقته الى الناصية فأخذتها فانتحلت قلنسوة فجعلها
في مقدم القلنسوة فاوجهته في وجهه الا وفتح له وسماه النبي صلى الله عليه وسلم
سيفاً من سيفوف الله يوم غزوة مؤتة لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه

بالمدينة بما وقع في تلك الغزوة يوم وقوعها فذكر لهم استشهاده زيد بن حارثة وجعفر
ابن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وقال ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد
ابن الوليد ففتح الله عليه ومناقبه كثيرة وله ترجمة واسعة توفي رضي الله عنه في خلافة
عمر رضي الله عنه بحمص وقيل بالمدينة سنة احدى وعشرين من الهجرة ولما
حضرت خالدا الوفاة قال لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في بدني موضع
شبر الا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية وهما أنا موت علي فراشي كما يموت الغير فلا
نامت أعين الجبناء وما من عمل عندي أرجى من لاله الا الله وأنامت ترس بها وفي
سنة ثمان عشرة وقع بالشام الطاعون المسمى طاعون عمواس مات فيه خمسة
وعشرون ألفا ومات فيه أبو عبيدة واستخلف معاذ بن جبل فطعن أيضا فيه ومات
فاستخلف عمر على الناس عمرو بن العاص وطعن فيه زيد بن أبي سفيان
فاستعمل عمر بن الخطاب أخاه معاوية بن أبي سفيان على دمشق وخراجها
واستعمل شرحبيل بن حسنة على جند الاردن وخراجها ولما حصل ذلك
الطاعون قام أبو عبيدة خطيبا في الناس فقال أيها الناس ان هذا الوجد رحمة
ربكم ووعدة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وان أبا عبيدة سأل الله ان يقسم له منه
حظه فطعن ثمان واستخلف على الناس معاذ بن جبل فقام خطيبا بعده فقال أيها
الناس ان هذا الوجد رحمة ربكم ووعدة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وان معاذ
يسأل الله ان يقيم لآل معاذ حظهم فطعن ابنه عبد الرحمن ثمان ثم قال فدعا به لنفسه
فطعن في راحته فلقد كان يقبلها ثم يقول ما أحب ان لي بما فيك شيئا من الدنيا فلما
مات واستخلف عمرو بن العاص خرج بالناس الى الجبال ورفع الله عنهم وكان
الناس قد أصابهم من الموت ما لم يروا مثله قط وطمع فيهم العدو وطال مكث ذلك
الطاعون فانه مكث شهورا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدم الى الشام في
مدة ذلك الطاعون فلما كان بسرغ وهو موضع قرب الشام بين المغيثة وتبوك
لقيه أمراء الاجناد فيهم أبو عبيدة بن الجراح فأخبروه بالوباء وشدةه وكان معه
كثير من المهاجرين والانصار لانه خرج بهم غازيا فجمع المهاجرين الاولين

والانصار فاستشارهم فاختلفوا عليه ذمهم القائل خرجت له جهه الله فلا يصد له عنه
هذا ومنهم القائل انه بلاء وفناء فلان ترى ان تقدم عليه فقال لهم قوموا ثم احضر
مهاجرة الفتح من قريش فاستشارهم فلم يختلفوا عليه وأشاروا بالعود فنادى عمر
في الناس انى مصبح على ظهر فقال أبو عبيدة أفرار من قدر الله فقال لو غيرك قالها
يا أبا عبيدة أى لانتقمت منه نعم نفر من قدر الله الى قدر الله أريت لو كان لك ابل
فهبطت وادباله عدوتان احدهما مخضبة والاخرى مجذبة أليس ان رعيت المخضبة
رعيتها بقدر منه وان رعيت المجذبة رعيتها بقدر منه وكان عبد الرحمن بن عوف
غائبا فحضر فأخبرانه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم حديثا في ذلك وهو قوله
صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم هذا الوباء ببلدة فلا تقدموا عليه واذ وقع ببلد وأتم
به فلا تخرجوا فرارا منه فكان ذلك الحديث موافقا لما رآه عمر رضى الله عنه
فانصرف بالناس الى المدينة ومات في ذلك الطاعون كثير من الصحابة منهم
الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو رضى الله عنهما ولما فرغ الطاعون كتب
أمرأه الاجناد الى عمر رضى الله عنه بما في أيديهم من المواريت فسار عمر الى
الشام واستخلف على المدينة على بن أبى طالب رضى الله عنه فلما قدم الشام قسم
المواريت والارزاق وسد فروج الشام ومصالحها وأخذ يدورها ورجع الى
المدينة في ذى القعدة ولما كان بالشام وحضرت الصلاة قال له الناس لو أمرت
بلالا فاذن فامرهم فاذن فبقي أحد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وبلال يؤذن
الابكى حتى بل لحينه وعمر أشدهم بكاء وبكى من لم يدركه بيكاهم لذكورهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم

ذكر فتح مصر والاسكندرية

كان ابتداء الامر وانهاؤده في ذلك من سنة ثمان عشرة الى سنة عشر بن وقيل ان
فتوح مصر كان في سنة ست عشرة لان عمرو بن العاص رضى الله عنه حمل
الطعام لاهل المدينة عام الرمادة التي اشتد القحط فيه في بحر القلزم من مصر الى
المدينة وعام الرمادة كان سنة ثمان عشرة وقال الجلال السيوطي في كتابه

الاسمى بحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة لما كانت سنة ثمان عشرة
وقدم عمر بن الخطاب الجابية قام اليه عمرو بن العاص رضى الله عنه فخلابه فقال
يا أمير المؤمنين ائذن لي أن أسير الى مصر وحرصه عليها وقال انك ان فتحتها كانت
قوة للمسلمين وعون لهم وهي أكثر الارض أموالا وأعجزهم عن القتال والحرب
فتعوف عمر بن الخطاب على المسلمين وكره ذلك فلم يزل عمرو بن العاص يعظم
أمرها عند عمرو ويخبره بمحالتها ويهون عليه فتحها حتى ركن عمر بن الخطاب
لذلك فأذن له في المسيرة وسبب قوة رجاء عمرو بن العاص في ان الله يفتح مصر
على يديه قصة وقعت له في الجاهلية ذكرها السيوطي أيضا في حسن المحاضرة
ولقد كرها وان كان فيها طول تنميا للفائدة قال الخرج ابن عبد الحكم عن خالد
ابن يزيد أنه بلغه ان عمرو بن العاص قدم الى بيت المقدس بتجارة في نفر من
قريش واذاهم شماس من شماسة الروم من أهل الاسكندرية قدم للصلاة في بيت
المقدس فنخرح في بعض جبالها يسبح وكان عمرو بن العاص يرى ابله وابله
أصحابه وكانت رعية الابل نوبا بينهم فبينما عمرو يرى ابله إذ مر به ذلك الشماس وقد
أصابه عطش شديد في يوم شديد الحر فوقف على عمرو فاستسقاء فسقاه عمرو من
قربة له فشرب حتى روى ثم نام الشماس في مكانه وكان الى جانب الشماس في مكانه
حيث نام حفرة فخرجت منها حية عظيمة فبصر بها عمرو فنزع عنها سهما فقتلها
فله استيقظ الشماس نظر الى حية عظيمة فدعا نجاه الله منها فقال لعمر وما هذا
فأخبره عمرو أنه ما حابسهم فقتلها فأقبل الى عمرو فقبل رأسه وقال قد أحياني
الله بك مرتين مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحية فما أفدتك هذه البلاد
قال قدمت مع أصحابي نطلب الفضل من تجارتنا فقال له الشماس وكم ترجو أن
تصيب من تجارتك قال رجائي أن أصيب ما أشتري به بهيرا فاني لأملك الابعير بن
فألمي أن أصيب بهيرا آخر فيكون لي ثلاثة أبعيرة فقال له الشماس أرايت دية
أحدكم بينكم كم هي قال مائة من الابل فقال له الشماس لسنا أصحاب ابل نحن
أصحاب دنانير قال عمرو تسكون ألف دينار فقال له الشماس اني رجل غريب في

هذه البلاد وانما قدمت أصلي في كنيسة بيت المقدس وقد قضيت ذلك وأنا أريد
الرجوع الى بلادى فهل لك أن تتبعني الى بلادى ولك عهد الله وميثاقه أنى
أعطيتك ديتين لان الله تعالى أحيانى بك مرتين فقال له عمرو أين بلادك قال مصر
في مدينة يقال لها الاسكندرية فقال له عمرو لا أعرفها ولم أدخلها قط فقال له
الشماس لو دخلتها لعلمت انك لم تدخل قط مثلها فقال له عمرو تبنى بما تقول
وعليك بذلك العهد والميثاق فقال الشماس نعم لك الله على بالعهد والميثاق انى
لك وأردك الى أصحابك فقال عمرو كم يكون مكثى في ذلك قال شهر تنطلق معى
ذابعا عشرا وتقيم عندنا عشرا وترجع فى عشر ولك على أن أحفظك ذاهبا
وأبعث معك من يحفظك راجعا فقال له عمرو وانتظرنى حتى أشاور أصحابى فانطلق
عمرو الى أصحابه فأخبرهم بما عاهد عليه الشماس وقال لا تخرجوا وأقيموا حتى
أرجع اليكم ولكم على العهد أن أعطيتكم شرط ذلك على أن يصحبني منكم
رجل آنس به فقالوا نعم وبعثوا مع رجل منهم فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس
الى مصر حتى انتهى الى الاسكندرية فرأى عمرو من عمارتها وكثرة أهلها وما بها
من الاموال والخير ما أعجبه ذلك وقال ما رأيت مثل مصر قط وكثرة ما فيها من
الاموال ونظر الى الاسكندرية وعمارتها وجودة بنائها وكثرة أهلها وما بها من
الاموال فازداد تعجبوا وافق دخول عمرو الاسكندرية عيدا فيها عظيما يجتمع
فيه ملوكهم وأشرفهم ولهم أكرمة من ذهب مكالة يترامى بها ملوكهم وهم يتلقونها
بأكمامهم وفيما أخبروا عن تلك الأكرمة على ما وضعها من مضى منهم ان من وقعت
الأكرمة فى كفه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم فلما قدم عمرو الاسكندرية
أكرمه الشماس الاكرام كله وكساه ثوب ديباج ألبيه اياه وجلس عمرو
والشماس مع الناس فى ذلك المجلس حيث يترامون بالاكرة وهم يتلقونها
بأكمامهم فرمى بهارجل منهم فأقبلت نهوى حتى وقعت فى كفه عمرو فتعجبوا من
ذلك وقالوا ما كذبنا هذه الا كرة قط الا هذه المرة أنرى هذا الاعرابى يملكها
هذا لا يكون أبدا وان ذلك الشماس مشى فى أهل الاسكندرية واعلمهم ان عمرا

أحياء مرتين وانه قد ضمن له ألفي دينار وسألهم أن يجتمعوا له ذلك فيما بينهم فعملوا
ودفعوها الى عمرو فانطلق عمرو وصاحبه وبعث معهما الشمس دليلا ورسولا
وزودهما وأكرمهما حتى رجع هو ومن معه الى أصحابه فبذلك عرف عمرو ومدخل
مصر ومخرجها ورأى منها ما علم انها أفضل البلاد وأكثرها مالا فلما رجع عمرو
الى أصحابه دفع اليهم فيما بينهم ألف دينار وأمسك لنفسه ألفا قال عمرو فكان ذلك
المال أول مال تأثنته فلما أكرمه الله بالاسلام وفتح على يديه كثيرا من أرض الشام
مالت نفسه الى فتح مصر ورجا أن يحقق له وقوع الا كرت في كنه مع ما صح من
قول النبي صلى الله عليه وسلم لتفتحن عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا
فان لكم منهم صهرا وخدمة فرغب عمر بن الخطاب في أن يسير به اليها حتى وافقه على
ذلك فمقد له على أربعة آلاف رجل كلهم من عك ويقال على ثلاثة آلاف
وخمسة مائة فقال عمر سير وأنا مستخير الله في سيرك وسيأتي كتابي اليك سر يعان
شاء الله تعالى فان أدركت كتابي أمرت فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها
أو شيئا من أرضها فانصرف وان أنت دخلتها قبل أن يأتيت كتابي فامض لوجهك
واستعن بالله واستنصره فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به أحد
من الناس واستخار عمر الله فكأنه تخوف على المسلمين في وجههم فكتب الى
عمرو بن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين فأدرك الكتاب عمرا وهو
يرفع فتخوف عمرو بن العاص ان هو أخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف
كما عهد اليه عمر فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية
فيما بين ريف والعريش فسأل عنها فقبل له انها من مصر فدعا بالكتاب فقرأه على
المسلمين فقال عمرو أتم تعلمون أن هذه القرية من مصر قالوا بلى فقال ان أمير
المؤمنين عهد الى وأمرني ان لحقني كتابه ولم أدخل مصر أن ارجع وان لم يلبحقني
كتابي حتى دخلنا أرض مصر فسيروا وامضوا على بركة الله فتقدم عمرو بن
العاص فلما بلغ المقوقس قدم عمرو وتوجه الى القسطنطينية فكان يجهز على
عمرو الجيوش فكان أول موضع قوتل فيه الغرماقاتله الروم قتالا شديدا نهبوا

من شهر ثم فتح الله على يديه فهزم الروم وكان بالاسكندرية أسقف للقبط يقال له
أبوميامين فله ما بلغه فدوم عمرو بن العاص كتب الى القبط يعلمهم انه لا يكون
للروم دولة وان ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلقى عمرو فيقال ان القبط الذين
كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمر وأعوانا ثم توجه عمرو لا يدافع الا بالامر
الخفيف حتى نزل القواجر فنزل ومن معه فقال بعض القبط لبعض ألا تعجبون
من هؤلاء القوم يقدمون على جموع الروم وانما هم في قلة من الناس فأجابهم رجل
آخرهم ان هؤلاء القوم لا يتوجهون الى أحد إلا ظهروا عليه حتى يقتلوا
الى آخرهم فتقدم عمرو لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى أتى بليس فقاتلوه بها نحو
من شهر حتى فتح الله عليه ثم مضى لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى أتى أم دنين
فقاتلوه بها قتلا شديدا وأبطأ عليه الفتح فكتب الى عمر يستدعه فأمدته بأربعة
آلاف تمام ثمانية آلاف فسار عمرو بمن معه حتى نزل على الحصن فحاصروهم
بالقصر الذي يقال له باب اليون حينما قاتلهم فتلا شديدا يصعبهم ويمسهم فلما أبطأ
عليه الفتح كتب الى عمر بن الخطاب يستدعه فأمدته عمر بأربعة آلاف رجل على
كل ألف رجل وكتب اليه اني قد أمدتلك بأربعة آلاف رجل منهم رجال مقام
الالف الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد
واعلم انه صار معك اثنا عشر ألفا ولا تغلب اثنا عشر ألفا من قلة وكان الروم قد
خندقوا حول حصنهم وجعلوا للخندق أبوابا وجعلوا اسكنا الحديد وتندة بأفنية
الابواب فلما قدم المدد الى عمرو بن العاص أتى الى القصر ووضع عليه المنجنيق
وكان على القصر رجل من الروم يقال له الاعرج واليا عليه وكان تحت يد
المقوقس ودخل عمرو الى صاحب الحصن كأنه رسول فتناظر معه في شئ مما
هم فيه فقال أخرج واستشير أصحابي وكان صاحب الحصن أوصى الذي كان على
الباب اذا مر به عمرو راجعا أن يلقى عليه صخرة فيقتله ففر عمرو وهو يريد
الخروج برجل من العرب فقال قد دخلت فانتظر كيف نخرج فرجع عمرو الى
صاحب الحصن فقال اني أريد أن آتيك بنفر من أصحابي حتى يسمعوا منك مثل

الذي سمعت فقال العليج في نفسه قتل جماعة أحب الي من قتل واحد فأرسل الي
الذي أمره بقتل عمرو وأن لا يتعرض له رجاء أن يأتي بأصحابه فيقتلهم وخرج عمرو
فاما أبطأ عليه الفتح قال الزبير اني أهب نفسي لله أرجو أن يفتح الله بذلك علي
المسلمين فوضع ساهما الي جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد وأمرهم اذا
سمعوا تكبيره أن يجيبوا جميعا فاشعروا الا والزبير علي رأس الحصن يكبر ومعه
السيف ونجماع الناس علي السلم حتى نهامهم عمرو وخوفان ينكسر فلما اقتنع
الزبير وتبعه من تبعه وكبر وكبر من معه وأجابهم المسلمون من خارج لم يشك أهل
الحصن ان العرب قد اقتضوا جميعا فهر بوا فعمد الزبير وأصحابه الي باب الحصن
ففتحوه واقتنع المسلمون الحصن تخاف المقوقس علي نفسه فحينئذ طلب الصلح
من عمرو بن العاص علي أن يفرض للعرب علي القبط دينارين علي كل رجل
منهم فأجابهم عمرو الي ذلك وكان مكنهم علي باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر وقال
ابن عبد الحكم شهرا قل ان المسلمين لما حصروا باب أليون شهرا كان به جماعة
من الروم وأكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس فلما رأوا حرص المسلمين
علي فتح الحصن ورغبتهم فيه خافوا أن يظهر واقتنع المقوقس وجماعة من أكابر
القبط وخرجوا من باب القصر القبلي ودونهم جماعة يقاتلون العرب فلحقوا
بالجزيرة وأمروا بقطع الجسر وتخلف الاعرج في الحصن بعد المقوقس فلما خاف
فتح الحصن ركب هو وأهل القوة والشرف وكانت سفنهم ملوثة بالحصن ثم لحقوا
بالمقوقس في الجزيرة فأرسل المقوقس الي عمرو بن العاص انكم قوم ولجتم في
بلادنا وألحتم علي قتلنا واطال قيامكم في أرضنا وانما أتم عصبة يسيرة وقد أظلمكم
الروم ووجهزوا اليكم ومعهم من العدة والسلاح وقد أحاط بكم هذا النيل وانما
أتم أسارى في أيدينا فأرسلوا الي نار جلالنا نسمع من كلامهم فلعله أن يأتي
الامر فيما بيننا وبينكم علي ما نحبون ونحبو وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل
أن تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا تقدر عليه واملأكم أن تندموا ان
كان الامر مخالفا لطلبكم ورجائكم فابعث الي نار جلالنا من أصحابكم نعالمهم

على ما ترضى نحن وهم به عن شئ فلما أتى الى عمرو بن العاص رسل المقوقس
حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس فقال أترون أنهم يقتلون
الرسل ويحبسونهم يستعاون ذلك في دينهم وانما فعل عمرو ذلك لأجل أن يروا
حال المسلمين وما هم فيه ثم رد عليهم عمرو مع رسله انه ليس بيني وبينك الا احدى
ثلاث خصال اما ان دخلتم في الاسلام فكنتم اخواننا وكان لكم مالنا وان أيتم
فاعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون واما جاهدناكم بالصبر والقتال حتى
يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين فلما جاءت رسل المقوقس اليه قال كيف
رأيتموهم قالوا رأينا قوم الموت أحب اليهم من الحياة والتواضع أحب اليهم من
الرفعة ليس لأحد منهم رغبة في الدنيا ولا نهمه وانما جالسهم على التراب وأكلهم على
ركبهم وأميرهم كواحد منهم ما يعرف ربيعهم من وضعهم ولا السيد فيهم من العبد
واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد يغسلون أطرافهم بالماء ويتخشعون
في صلاتهم فقال عند ذلك المقوقس والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال
لأزالوها ولا يقوى على قتال هؤلاء أحد ولئن لم نقتنم صلحهم اليوم وهم
محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم اذا أمكنتم الارض وقدرنا على
الخروج من موضعهم فرد اليهم المقوقس رسله أن ابعثوا النار سلا منكم
نعاملهم ونتداعى نحن وهم الى ما عسى أن يكون فيه صلاح لنا ولكم فبعث عمرو
ابن العاص عشرة أنفار أحدهم عبادة بن الصامت وكان طوله عشرة أشبار
وهو أحد الشجعان المشهورين والفصحاء المتكاسين وأمره عمرو أن يكون
متكلم القوم وأن لا يجيبهم الى شئ يدعو اليه الا احدى هذه الخصال الثلاث فان
أمير المؤمنين أمرني أن لا أقبل شئاً سوى خصلة من هذه الثلاث خصال وكان
عبادة بن الصامت رضى الله عنه أسود فلما دخلوا على المقوقس تقدم عبادة
فهابه المقوقس لسواده فقال نحوا عنى هذا الاسود وقدموا غيره يكلمنى فقالوا
ان هذا الاسود أفضلنا رأياء وعلمنا وهو سيدنا وخبرنا والمقدم علينا وانا نرجع جميعا
الى قوله ورأياه وقد أمره الامير دوننا بما أمره به فقال المقوقس لعبادة تقدم يا أسود

وكلني برفق فاني أهاب سوادك وان اشتد عليّ كلامك ازددت لك هيبة فتقدم
اليه عبادة فقال قد سمعت مقالتك وان فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل أسود
وكلهم أشد سوادا مني وأفظع منظر او لورايتهم لكنت أهيب لهم مني وأنا قد وليت
وأدبر شبابي واني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوي ولو استقبلوني
جميعا وكذلك أصحابي وذلك لاننا انما نرغبنا وبعيتنا الجهاد في الله تعالى واتباع
رضوان الله وليس غزونا عدونا من حارب الله رغبة في الدنيا ولا طلبا للاستكثار
منها الا ان الله قد أحل لنا ذلك وجعل ما غنينا من ذلك حلالا وما يبالي أحدنا
أكان له فنطار من الذهب أم كان لا يملك الا درهما لان غاية أحدنا من الدنيا أكلة
ياكلها فيسدها جوعته وشمله يلحفها فان كان أحدنا لا يملك الا ذلك كفاه وان
كان له فنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله وافتصر على هذا لان نعيم الدنيا
ورخاءها ليس برخاء انما النعيم والرخاء في الآخرة وبذلك أمرنا ربنا وأمر به نبينا
وعهدنا ان لا تكون همة أحدنا من الدنيا الا فيما يسلك جوعته ويسترعورته
وتكون همته وشغله في رضار به وجهاد عدوه فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن
حوله هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هبت منظره وان قوله لأهيب
عندي من منظره وان هذا أصحابه أخرجهم الله لخراب البلاد وما أظن ملكهم الا
سيغلب على الارض كلها ثم أقبل المقوقس على عبادة فقال أيها الرجل قد سمعت
مقالتك وماذا كرته عنك وعن أصحابك ولعمري ما بلغت ما بلغت الا بماذا كرته ولا
ظهرتم على ما ظهرتم عليه الا لجهنم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجه الينا لقتالكم من
جمع الروم ما لا يحصى عدده قوم معروفون بالنجدة والشدة من لا يبالي أحدهم
من اتى ولا من قاتل وانا لنعلم أنكم ان تقيدوا عليهم وان تطيقوهم لضعفكم
وفلتكم وقد أقمتم بين ظهرنا شهرا وأنتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم
ونحن نرأى عليكم لضعفكم وفلتكم وقله ما بأيديكم ونحن تطيب أنفسنا أن
نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين ولأميركم مائة دينار
وتخليفتكم ألف دينار فتقبضونها وتصرفوا الي بلادكم قبل أن يغشاكم

ملا قوّة لسكم به فقال عبادة بن الصامت رضی الله عنه يا هذا لا تغرّن نفسك ولا
أصحابك أما ما نخوفوننا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم
فلعمري ما عهد بالذي نخوفنا به ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه إن كان ما قلتم حقا
فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم وأشدّ حرجا صنعا عليهم لأن ذلك أعذر لنا عند
ربنا إذا قدمنا عليه إن قتلنا عن آخرنا لأن ذلك أمكن لنا في رضوانه ووجنته وما
من شيء أقر لأعيننا ولا أحب الينامن ذلك وإنما منكم حينئذ على إحدى الحسينين
أما أن تعظم لنا بذلك غنمية الدنيا إن ظفرتنا بكم أو غنمية الآخرة إن ظفرتتم بنا وإنما
لأحب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد منا وإن الله تعالى قال لباي كتابه كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومما من رجل الا وهو يدعو
ربه صباحا ومساءً أن يرزقه الشهادة وأن لا يرده الى بلده ولا الى أهله وولده وليس
لأحد منا هم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده وإنما همنا ما أماننا
وأما أنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها
لنا ما أردنا لأنفسنا منها أكثر مما نحن فيه فانظر الذي تريد فينه لنا فليس بيننا
وبينكم خصلة تقبلها منكم ولا تجيبكم اليها الا خصلة من ثلاث فاختر أيها شئت ولا
تطمع نفسك في الباطل بذلك أمرني الأمير وبها أمره أمير المؤمنين وهو عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم الينامن قبل أمان أجبتكم الى الاسلام الذي هو الدين
الذي لا يقبل الله غيره وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته أمرنا الله أن نقاتل من
خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فان فعل كان له مالنا وعليه ما علينا وكان أماننا في
دين الله فان قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سمدتم في الدنيا والآخرة ورجعنا عن
قتالكم ولم نستعمل إذاكم ولا التعرض لكم وإن أبيتكم الا الجزية فأدوا الينا
الجزية عن يدو أتم صاغرون نعماءكم على شيء نرضى به ونحن وأتم في كل عام أبدا
مابقينا وبقينم ونقاتل عنكم من ناواكم وتعرض لكم في شيء من أرضكم
ودمائكم وأموالكم ونقوم بذلك عنكم إذا كنتم في ذمتنا وكان لكم به عهد الله
علينا وإن أبيتكم فليس بيننا وبينكم الا المحاكاة بالسيف حتى نموت عن آخرنا أو

فصيب منكم ما تريد هذا ديننا الذي ندين الله به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره
فانظروا لأنفسكم فقال له المقوقس هذا مما لا يكون أبدا ما تريدون الآن تأخذونا
لكم عبيدا ما كانت الدنيا فقال له عبادة هو ذلك فاختر ما شئت فقال له المقوقس
أفلا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الثلاث فرفع عبادة يديه فقال لا ورب السماء ورب
هذه الأرض ورب كل شيء ما لكم عندنا خصلة غيرها فاختروا لأنفسكم فالتفت
المقوقس عند ذلك إلى أصحابه فقال قد فرغ القول فأتقولون فقالوا أو يرضى
أحد بهذا الذل إذا ما أرادوا من دخولنا في دينهم فهذا لا يكون أبدا أن نترك
دين المسيح بن مريم وندخل في دين لا نعرفه وأما ما أرادوا من أن يسبوننا ويجعلونا
عبيدا أبدا فالموت أيسر من ذلك لو رضوا منا أن نضع لهم ما أعطيناهم مرارا
كان أهون علينا فقال المقوقس لعبادة قد أبى القوم فأتري فراجع صاحبك
على أن نعطيكم في مرتك هذه ما تمنيتم وتنصرفون فقام عبادة وأصحابه فقال
المقوقس لمن حوله عند ذلك أطيعوني وأجيبوا القوم إلى خصلة من هذه
الثلاث فوالله ما لكم بهم طاقة وان لم تجيبوا اليهم طائعين لتجيبونهم إلى ما هو
أعظم منها كارهين فقالوا أي خصلة نجيبهم اليها قال اذن أخبركم أما دخولكم
في غير دينكم فلا أمركم به وأما قتالهم فأنا أعلم انكم لن تقدروا عليهم ولن تصبروا
صبرهم ولا بد من الثلاث قالوا فلو افنكون لهم عبيدا أبدا قال نعم تكونون عبيدا
مسلطين في بلادكم آمنين على أنفسكم وأموالكم وذرائعكم خير لكم من أن
تموتوا عن آخركم وتكونوا عبيدا تباعوا وتزقوا في البلاد مستعبدين أبدا أنتم
وأهلوكم وذرائعكم قالوا فالموت أهون علينا وأمرنا بقطع الجسر بين القسطنطينية
والجزيرة وبالقصر من الروم والقبط جمع كثير فأخ المسامون عند ذلك بالقتال
على من في القصر حتى ظفروا بهم ويمكن الله منهم فقتل منهم خلق كثير وأسر من
أسر وانحازت السفن كلها إلى الجزيرة وصار المسامون قد أحرق بهم الماء من كل
وجه لا يقدر على أن ينفذوا ويتقدموا نحو الصعيد ولا إلى غير ذلك من المداين
والقرى والمقوقس يقول لأصحابه ألم أعلمكم هذا وأخاف عليكم ما تنظرون فوالله

لتجيبونهم الى ما ارادوا طوعاً أو لتجيبونهم الى ما هو اعظم منه كرها فاطيعوني
قبل أن تندموا فلما رأوا منهم ما رأوا وقال لهم المقوقس ما قال اذ عنوا بالجزية
ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم بوفونه وأرسل المقوقس الى عمرو بن العاص
رضي الله عنه اني لم أزل حريصا على اجابتك الى خصلة من تلك الخصال التي
أرسلت الي بها فأبى ذلك من حضرتي من الروم والقبط فلم يكن لي أن أفات
عليهم وقد عرفوا نصحي لك ومحبي صلاحهم ورجعوا الى قولي فاعطني أمانا
أجفع أنا وأنت في نفر من أصحابي ونفر من أصحابك فان استقام الامر بيننا ثم ذلك
لنا جميعا وان أيتم رجعتنا الى ما كنا عليه فاستشار عمرو أصحابه في ذلك السؤال
فقالوا لا نجيبهم الى شئ من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا وتصير كلها فينا لنا
وغنمة كما صار القصر وما فيه فقال عمرو فدعاهم ما عهد الي أمير المؤمنين في
عهده فان أجابوا الى خصلة من الخصال الثلاث التي عهد الي بها أجبتهم اليها
وقبلت منهم مع ما قد حال من الماء بيننا وبين ما تريد من قتالهم فاجتبعوا على عهد
بينهم واصطاعوا على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط
دينارين دينارين عن كل نفس شريفهم ووضعهم من بلغ الحلم منهم ليس على
الشيخ الفاني ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا على النساء شئ وعلى ان للمسلمين
عليهم منزلا لجماعتهم حيث نزلوا ومن نزل عليه ضيف واحدا من المسلمين أو أكثر
من ذلك لهم ضيافة ثلاثة أيام وان لم أرضهم وأمر لهم لا يتعرض لهم في شئ منها
فشرط هذا كله على القبط خاصة وأحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم
الجزية فرض الله عليهم الدينارين ورفع ذلك عرفاؤهم بالايمان المؤكدة فكان
جميع من أحصى يومئذ بمصر فيما أحصوا وكتبوا أكثر من ستة آلاف ألف
وذلك ستة ملايين فكانت فريضتهم يومئذ اثني عشر ألف ألف دينار أي اثني
عشر مليوناً من الدينار لكل سنة وقيل بلغت غلتهم ائمة آلاف الف وشرط
المقوقس للروم أن يتخيروا من أحب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام على هذا
لازما له مفترضا عليه ممن أقام بالاسكندرية وما حولها من أرض مصر كلها ومن

أراد الخروج منها الى أرض الروم خرج على أن للمقوقس الخيار في الروم خاصة
حتى يكتب الى ملك الروم يعلمه ما فعل فان قبل ذلك ورضيه جاز عليهم والا كانوا
جميعا على ما كانوا عليه وكتبوا به كتابا وكتب المقوقس الى ملك الروم يعلمه على
وجه الامر كله فكتب اليه ملك الروم يقح رأيه ويعجزه ويرد عليه ما فعل ويقول
في كتابه انما أناك من العرب اثنا عشر ألفا وبصر من بهامن كثرة عدد القبط
ملا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال وأجبا أداء الجزية الى العرب
واختاروهم علينا فان عندك بمصر من الروم وبلاساكندرية ومن معك أكثر من
مائة ألف معهم العدة والقوة والعرب وحالهم وضعفهم على ما قدر رأيت فعجزت
عن قتالهم ورضيت أن تكون أنت ومن معك من الروم في حال القبط إذ لا تقاوتهم
أنت ومن معك من الروم حتى تموت أو تظفر عليهم فانهم فيكم على قدر كثرتم
وقوتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم كما كفة فناهضهم القتال ولا يكون لك رأي غير
ذلك وكتب ملك الروم مثل ذلك الى جماعة الروم فقال المقوقس لما أتاه كتاب ملك
الروم والله انهم على قلتهم وضعفهم أقوى وأشد منا على كثرتنا وقوتنا ان الرجل
الواحد منهم ليعادل مائة رجل منا وذلك انهم قوم الموت أحب اليهم من الحياة
يقاتل الرجل منهم وهو مستقبل وية نبي أن لا يرجع الى أهله ولا بلده ولا ولده
ويرون أن لهم أجرا عظيما فيمن قتلوا منا ويقولون انهم ان قتلوا أدخلوا الجنة
وليس لهم رغبة في الدنيا ولا لذة الا على قدر بلغة العيش من الطعام واللباس ونحن
قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها فكيف نستقيم نحن وهؤلاء وكيف صبرنا
معهم واعلموا معشر الروم والله اني لا أخرج مما دخلت فيه وصالحت العرب عليه
واني لأعلم انكم سترجعون غدا الى قولي ورأيت وتتمنون ان لو كنتم أطعموني
وذلك اني قد عاينت ورأيت وعرفت ما لم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه ويحكم أما
يرضى أحدكم أن يكون آمنا في دهره على نفسه وماله وولده بدينارين في السنة ثم
أقبل المقوقس على عمرو بن العاص فقال له ان الملك قد كره ما فعلت وعجزني
وكتب الى والي جماعة الروم أن لا يرضى بمصالحتك وأمرهم بقتالك حتى يظفروا

بك أو تظفريهم ولم أكن لأخرج مما دخلت فيه وعاقبتك عليه وإنما سلطاني على
نفسى ومن أطاعنى وقد تم الصلح فيما بينك وبينهم ولم يأت من قبلهم نقض وأنا تم
لك على نفسى والقبط مقيمون لك على الصلح الذى صالحتهم عليه وعاهدتهم وأما
الروم فأنا منهم برى وأنا أطلب منك أن تعطينى ثلاث خصال قال له عمرو وما هن
قال لا تنقض بالقبط وأدخلنى معهم والزمنى ما لزمهم وقد اجتمعت كلمتى وكلهم
على ما عاهدتك فهم مقيمون لك على ما تحب وأما الثانية فإن سألك الروم بعد اليوم
أن تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فينا وعبيد فانهم أهل لذلك فاني نصحتهم
فاستغشونى ونظرت اليهم فاتهمونى وأما الثالثة فأطلب اليك ان أنامت أن
تأمرهم أن يدفنونى فى أبى حنش بالاسكندرية فأنعم له عمرو بن العاص وأجابه الى
ما طلب على أن يضموا له الجسر بن جميعا ويقموا له الاتزال والضيافة والاسواق
والجسور ما بين القسطنطينية الى الاسكندرية ففعلوا وصارت لهم القبط أعوانا كما
جاء فى الحديث واشتعدت الروم وجاشت وقدم عليهم من أرض الروم جمع عظيم ثم
انتقلوا بسطيس فاقتتلوا بها قتالا شديدا ثم هزمهم الله ثم التقوا بالكربون
فاقتتلوا بها بضعة عشر يوما وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة وحامل اللواء
يومئذ وردان مولى عمرو وصلى عمرو يومئذ صلاة الخوف ثم فتح الله يومئذ على
المسلمين وقتلوا منهم مقتلة عظيمة واتبعوهم حتى بلغوا الاسكندرية فحصن بها
الروم وكانت عليهم حصون مبنية لآرام حصن دون حصن فنزل المسلمون ما بين
حلوله الى قصر فارس الى ما وراء ذلك ومعهم رؤساء القبط بمدونهم بما احتاجوا
اليه من الاطعمة والعلوفة ورسل ملك الروم يختلف الى الاسكندرية فى المراكب
بمادة الروم وكان ملك الروم يقول لئن ظفرت العرب على الاسكندرية ان ذلك
انقطاع ملك الروم وهلاكهم لأنه ليس للروم كنائس أعظم من كنائس
الاسكندرية وإنما كان عيد الروم حين غلبت العرب على الشام بالاسكندرية فقال
الملك لئن غلبوا على الاسكندرية لقد هلكت الروم وانقطع ملكها فأمر بجهازه
ومصلحته لخروجه الى الاسكندرية حتى يباشر قتالها بنفسه اعظاما لها وأمر أن

لا يتخلف أحد من الروم وقال ما بقي للروم بعد الاسكندرية حرمة فلما فرغ من جهازه
صرعه الله فأمانه وكفى الله المسامين مؤنته وكان موته سنة تسع عشرة ووقال الليث
ابن سعد مات هرقل سنة عشرين فكسر الله بموته شوكة الروم فرجع كثير ممن قد
توجه الى الاسكندرية وانتشرت العرب عند ذلك وألحت القتال على أهل
الاسكندرية فقاتلهم قتالا شديدا وحاصروا الاسكندرية تسعة أشهر بعد موت
هرقل وخمسة قبل ذلك وفتحت يوم الجمعة في شهر المحرم سنة عشرين وقال ابن عبد
الحكم أقام عمرو بن العاص محاصرا الاسكندرية أشهرها ولما بلغ ذلك عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال ما أبطأ بفتحها الا لما أهدنوا وكتب الى عمرو بن العاص
أما بعد فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر انكم تقاتلونهم منذ سنتين وما ذاك الا
لما أهدتكم وأجبتكم من الدنيا ما أحب عدوكم وان الله تبارك وتعالى لا ينصر
قوما الا بصدق نيابهم وقد كنت وجهت اليك أربعة نفر وأعلمتلك أن الرجل
منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف الا أن يكون غيرهم ما غيرهم فاذا أناك
كتابي فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم وورغهم في الصبر والنية وقدم
أولئك الأربعة في صدور الناس وهم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة
ابن الصامت ومسلمة بن مخلد وأمر الناس جميعا أن تكون لهم صدمة كصدمة
رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فانها ساعة تنزل الرحمة فيها ووقت
الاجابة وليعج الناس الى الله ويسألوه النصر على عدوهم ففعلوا ففتح الله عليهم
قال ابن عبد الحكم حدثني أبي قال لما أبطأ على عمرو بن العاص فتح الاسكندرية
استلقى على ظهره ثم جلس فقال اني فكرت في هذا الامر فانه لا يصلح آخره الا
من أصلح أوله يريد الانصار فدعا عبادة بن الصامت فعلقه ففتح الله على يديه
الاسكندرية من يومهم ذلك ثم روى ابن عبد الحكم عن الامام مالك ان ذلك كان
سنة عشرين ولما هزم الله الروم وقصفت الاسكندرية وهرب الروم في البر والبحر
خلف عمرو بن العاص بالاسكندرية ألف رجل من أصحابه ومضى عمرو ومن معه
في طلب من هرب من الروم في البر ورجع من كان هرب من الروم في البحر الى

الاسكندرية فقتلوا من كان فيها من المسلمين الا من هرب منهم وبلغ عمرو بن
العاص فكر راجعا ففحصها وأقام بها وكتب الى عمر بن الخطاب ان الله قد فتح
علينا الاسكندرية عنوة بغير عقد ولا عهد فكتب اليه عمر بن الخطاب يأمره أن
لا يجاوزها و يقبح رأيه في اتباعه من هرب والذين قتلوا من المسلمين من حين
حصار الاسكندرية الى أن فتحت عنوة اثنان وعشرون رجلا ولما فتحت بعث
عمرو بن العاص معاوية بن خديج وافدا الى عمر بن الخطاب مبشرا له بالفتح فقال
معاوية بن خديج لعمر بن العاص ألا تكتب معي كتابا فقال عمر وما تصنع
بالكتاب ألسنت رجلا عربي يا تبليغ الرسالة وما رأيت وما حضرت فلما قدم على عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه وأخبره بفتح الاسكندرية خر عمر ساجدا وقال الحمد لله
وقيل بل كتب عمرو بن العاص مع الرسول كتابا لعمر بن الخطاب وقال فيه
أما بعد فاني فتحت مدينة لأصف ما فيها غير أني أصبت فيها أربعة آلاف متنه وهي
المكان الصلب المرتفع بأربعة آلاف حمام وأربعين ألف يهودي وأربع مائة ملهى
للؤلؤ قال ابن عبد الحكم لما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية وجد فيها اثني عشر
ألف بقال يبيعون البقل الاخضر ورجل منها سبعون ألف يهودي في الليلة
التي خافوا فيها دخول عمرو بن العاص وقيل ان سبب فتح الاسكندرية أن رجلا
كان يقال له ابن بسامه كان يوابا فسأل عمرو بن العاص أن يؤمنه على نفسه
وأرضه وأهل بيته ويفتح له الباب فأجابهم عمرو الى ذلك ففتح له الباب فدخل وكان
عدة من بالاسكندرية من الروم مائتي ألف من الرجال فلحق بأرض الروم أهل
القوة وركبوا السفن وكان بها مائة مراكب من المراكب الكبار فحمل فيها
ثلاثون ألفا مع ما قدروا عليه من المال والمتاع والاهل وبقى من بقي من الاسارى
ممن بلغ الخراج فأحصى يومئذ ست مائة ألف سوى النساء والصبيان فاختلف الناس
على عمرو في قسمتهم وكان أكثر الناس يريدون قسمتها فقال عمرو لا أقدر أقسمها
حتى أكتب الى أمير المؤمنين فكتب اليه يعلمه بفتحها وشأنها ويعلمه أن
المسلمين طلبوا قسمتها فكتب اليه عمر لا تقسمها وذرهم يكون خراجهم فينا

للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فأقرها عمرو وأحصى أهلها وفرض عليهم
الخراج فكانت مصر صلحا بقرضة دينارين دينارين على كل رجل لا يزال على
كل واحد في جزية أكثر من دينارين إلا أنه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الأرض
والزرع إلا الإسكندرية فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من
وليهم لأن الإسكندرية قعت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة
وأخرج ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب قال كانت قرى من قرى مصر
قاتلت ونقضوا فسبوا منها قرية يقال لها بلهيت وقرية يقال لها الخيس وقرية يقال
لها ساطيس وقرطس وفرق سببا بهم بالمدينة وغيرها فردهم عمر بن الخطاب رضي
الله عنه إلى قراهم وصبرهم وجماعة القبط أهل الذمة وأخرج عن يحيى بن أيوب
أن أهل ساطيس وهصيل وبلهيت ظاهروا الروم على المسلمين في جمع كان لهم
فلما ظهر عليهم المسلمون استعابوهم وقالوا هؤلاء لنا في مع الإسكندرية فكتب
عمرو بن العاص بذلك إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه أن يجعل الإسكندرية
وهؤلاء الثلاث قريات ذمة للمسلمين ويضربون عليهم الخراج ويكون خراجهم
وما صالح عليه القبط قوة للمسلمين على عدوهم ولا يجعلوا فينا ولا عبيدا ففعلوا ذلك
وأخرج ابن عبد الحكم عن هشام بن أبي رقية اللخمي أن عمرو بن العاص رضي
الله عنه لما فتح مصر قال لقطب مصر من كفتي كنزاً عنده فقدرت عليه قتله وإن
قبطيا من أهل الصعيد يقال له بطرس ذكروا لعمر وإن عنده كنزاً فأرسل إليه
فسأله فأنكر وجحد فخبسه في السجن وعمرو يسأل عنه هل يسمعونه يسأل عن
أحد فقالوا لا إنما سمعناه يسأل عن راهب في الطور فأرسل عمرو إلى بطرس
فنزعه خاتمه من يده فكتب عمرو إلى ذلك الراهب أن ابعث إلى بما عندك
وختمه بخاتم بطرس فجاءه رسوله بقسلة شامية محتومة بالرصاص ففحصها عمرو
فوجد فيها صحيفة مكتوباً فيها ما لكم تحت الفسقية الكبيرة فأرسل عمرو إلى
الفسقية فخبس عنها الماء ثم قلع منها البلاط الذي تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين
أردبا ذهباً مضروبة فضرب عمرو رأس بطرس عند باب المسجد فأخرج القبط

كنوزهم شفقة أن يسعى على أحد منهم فيقتل قتل بطرس ثم ذكر الجلال
السيوطي في حسن المحاضرة اختلاف العلماء في ان مصر قعت صلحا أو عنوة
فنقل عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب ان مصر كلها صلح الا الاسكندرية
فانها قعت عنوة ونقل عن عون بن حطان انه كان بقريات من مصر ممن أم
دين عهد وأخرج عن يحيى بن أيوب وخالد بن حميد قال فتح الله أرض مصر كلها
بصلح غير الاسكندرية وثلاث قريات ظاهر والروم على المسلمين سلطيس وهصيل
وبلهيت ونقل عن ابن هبيرة ان مصر قعت عنوة وأخرج عن عبد الرحمن بن
زياد قال سمعت أشياخنا يقولون ان مصر قعت عنوة بغير عهد ولا عقد وأخرج
عن أبي العالية انه سمع عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول لقد قدمت مقعدى
هذا وملا حدم من قبط مصر على عهد ولا عقد الا أهل انطا بلس فان لم عهد ابوقى
لم به وزاد في رواية عن ابن لهيعة ان عمر اقال ان شئت قتلت وان شئت خست
وان شئت بعت وفي رواية عن ربيعة بن عبد الرحمن بن عمرو بن العاص ان عمر بن
الخطاب حبس درها وصرها أن يخرج منه شيء نظر الاسلام وأهله وأخرج عن
زيد بن أسلم قال كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين أحد من
عاهده فلم يوجد فيه لاهل مصر عهد وأخرج عن الصلت بن أبي عاصم أنه قرأ كتاب
عمر بن عبد العزيز الى خيان بن شريح أن مصر قعت عنوة بغير عهد ولا عقد
وأخرج نحو ذلك عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعراك بن مالك وسالم بن عبد الله
ابن عمر وأخرج ابن عبد الحكم ومحمد بن الربيع الجيزي من طرق عن سفيان بن
وهب الخولاني قال لما فتننا مصر بغير عهد قام الزبير بن العوام فقال يا عمر واقسمها
فقال عمرو بن العاص لا أقسمها فقال الزبير والله لتقسمها كما قسم رسول الله صلى
الله عليه وسلم خيبر فقال عمرو لم أكن لاحد حدث حدثنا حتى أكتب بذلك الى أمير
المؤمنين فكتب اليه عمر بن الخطاب أقرها حتى يفندوا منها جبل الحبلية يعني ولد
الولدوروى ابن عبد الحكم عن ابن شهاب قال كان فتح مصر بعضها بعهد ودومة
وبعضها عنوة فجعلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه جميعا دومة وحملهم على ذلك

فضى ذلك فيهم الى اليوم قال القضاعي ان فتح مصر كان يوم الجمعة في شهر محرم سنة
عشرين وانهم ساروا الى الاسكندرية في شهر ربيع الاول سنة عشرين وقيل
في جمادى الآخرة وان عمرو بن العاص رضى الله عنه فقل من الاسكندرية بعد
قصها والمقام بها في ذى القعدة سنة عشرين وقال الليث بن سعد أقام عمرو
بالاسكندرية في حصارها وفتحها ستة أشهر ثم انتقل الى الفسطاط فاتخذها دارا
وأخرج ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب ان عمرو بن العاص لما فتح
الاسكندرية ورأى بيوتها وبنائها هم أن يسكنها فكتب الى عمر بن الخطاب رضى
الله عنه يستأذنه في ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بيني وبين المسلمين ماء قال
نعم يا أمير المؤمنين اذا جرى النيل فكتب عمر الى عمرو ولا أحب أن تنزل المسلمين
منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف فتحول عمرو من الاسكندرية الى
الفسطاط وأخرج ابن عبد الحكم أيضا عن يزيد بن أبي حبيب ان عمر بن
الخطاب كتب الى سعد بن أبي وقاص وهو نازل بمداين كسرى والى عامله بالبصرة
والى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية أن لا تجع لواء بيني وبينكم ماء متى
أردن أن أركب اليكم را حلتى حتى أقدم اليكم قدمت فتحول سعد من مداين
كسرى الى الكوفة وتحول صاحب البصرة من المكان الذي كان فيه فنزل
البصرة وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى الفسطاط قال ابن عبد
الحكم ان عمرو بن العاص لما كان بمصر كان له فسطاط فلما أراد التوجه الى
الاسكندرية أمر بنزع فسطاطه فاذا فيه بمام قد فرخ فقال لقد تحرم بنا فأمر به
فأقره كما هو حتى يطير الفراخ وأوصى به صاحب القصر فلما فقل المسلمون من
الاسكندرية قالوا أين نزل قال الفسطاط يعنى فسطاطه الذي خلعه وكان مضروبا
في موضع الدار الذي يعرف اليوم بدار الحصار لذلك سميت مصر الفسطاط قال
القضاعي لما رجع عمرو بن العاص من الاسكندرية ونزل موضع الفسطاط
انصمت القبائل بعضها الى بعض وتنافسوا في المواضع فولى عليهم أمراء
فكانوا هم الذين أنزلوا الناس وفصلوا بين القبائل وقال ابن قتيبة ان العرب تقول

لكل مدينة فسطاط ولذلك قيل لمصر فسطاط قال ابن فضل الله في المسالك مسجده
عمرو بن العاص مسجد عظيم بمدينة الفسطاط بناه عمرو وموضع فسطاطه
جامره وموضع فسطاطه حيث المحراب والمنبر وبنى عمرو بن العاص دار العم
ابن الخطاب وكتب له ان اقاد اختططنا لك دارا عند المسجد الجامع فكتب الي
عمرو اني لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر وامره ان يجعلها سوقا للمسلمين قال
ابن لهيعة هي دار البركة فجعلت سوقا فكان يباع فيها الرقيق وبنى خارجة بن
حنيفة غرفة عالية فكتب عمر بن الخطاب الي عمرو بن العاص سلام عليك
بعد فقد بلغني ان خارجة بن حنيفة بنى غرفة وارا دان يطلع على عورات جبرته
فاذا اناك كتابي هذا فاهدمها ان شاء الله والسلام فلما جاءه الكتاب هدمها وسأل
المقوقس عمرو بن العاص ان يبيعه سفح الجبل المقطم بسبعين ألف دينار فمجب
عمرو من ذلك فكتب في ذلك الي عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر سلمه لم أعط
به ما أعطاك وهي لا تزرع وهي لا يستنيط بهاماء ولا ينتفع بها فسأله فقال انال
صفتها في الكتاب ان فيها غراس الجنة وفي رواية انال نجد في كتابنا ان ما بين
الجبل وحيث نزلتم ينبت فيه شجر الجنة فكتب بقوله الي عمر بن الخطاب فقل
صدق فاجعلها مقبرة للمسلمين وفي رواية انال نعلم غراس الجنة الا للمؤمنين فاقبر
من مات قبلك من المسلمين ولا تبعه بشئ فكان أول من دفن فيها رجل من مغامر
يقال له عامر فليل عمرت وروى عمرو بن العاص عن أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتح الله
عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيرا فذلك الجندي خيرا جنادا الارض فقال أبو
بكر رضي الله عنه ولم يارسول الله قال لانهم وأزواجهم في رباط الى يوم القيامة
ثم قال عمرو بن العاص فاحمدوا الله معاشر المسلمين على ما أولاكم ولما فتح عمرو
مصر أتى أهلها اليه حين دخل بؤنة من أشهر العجم فقالوا له أيها الامير ان لينا
هذا سنة لا يجري الا بها فقال لهم وما ذلك قالوا اذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلون
هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين ابويها فأرضينا ابويها وجعلنا عليها من

الخلي والنياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فأقاموا بؤنة وأيب ومسرى لا يجرى النيل قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجللاء فلما رأى ذلك عمرو كتب الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه قد أصبت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وقد بعثت اليك بطاقة فألقها في داخل النيل اذا أتاك كتابي فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فاذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلانجر وان كان الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الواحد القهار أن يجريك فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد نهى أهل مصر للجللاء والخروج منها لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها الا النيل فأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا وقد زالت تلك السنة اسوء عن أهل مصر وعن يزيد بن أبي حبيب ان موسى عليه السلام دعا على فرعون فخبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجللاء حتى طلبوا من موسى أن يدعو الله رجاء أن يؤمنوا فدعا الله فأصبحوا وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا فاستجاب الله لعمر بن الخطاب كما استجاب لنبيه موسى عليه السلام

﴿ ذكر فتوحات العراق بعد مسير خالد بن الوليد الى الشام ﴾

لما أراد خالد بن الوليد المسير الى الشام بأمر أبي بكر رضي الله عنه أخذ معه بعض الجند كما تقدم واستخلف على من بقى بالعراق المثني بن حارثة الشيباني وهو صحابي من نسل ذهل بن شيبان وينتهي نسبه الى ربيعة بن نزار وقد المثني على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع مع وفود قومه وسيره أبو بكر الصديق رضي الله عنه في صدر خلافته الى العراق قبل مسير خالد بن الوليد الى العراق وهو الذي أطمع أبا بكر والمسلمين في الفرس وهون أمر الفرس عندهم وكان شهما شجاعا ميمون النقيبة حسن الرأي أبلى في قتال الفرس بلاء لم يبلغه أحد وكان استخلاف خالد له على جيش العراق بأمر من أبي بكر رضي الله عنه فلما توجه خالد الى الشام واستخلفه على الجند أقام بالحيرة وذلك سنة ثلاث عشرة وكان الفرس قد هلك ملكهم كسرى

كما تقدم ثم استقام أمرهم على تملك شهرزان بن ازدشير بن شهر يار بن سابور
فوجه الى المثنى بن حارثة جيشا عظيما عليهم هرمرز جاذو به فخرج المثنى من الحيرة
نحوه فأقام ببابل فأقبل هرمرز نحوه وكتب ملكهم كسرى الذى ملكوه عليهم
الى المثنى كتابا انى قد بعثت اليكم جندا من وحش أهل فارس انما هم رعاة
الدجاج والخنازير ولست أقاتلكم الا بهم فكتب اليه المثنى انما أنت أحد رجلين
اما باغ فذلك شر لك وخير لنا واما كاذب فأعظم الكاذبين عند الله فضيعة وعند
الناس الملوكة وأما الذى يدلنا عليه الرأى فانكم انما أضرتهم بهم فالحمد لله الذى رد
كيدكم الى رعاة الدجاج والخنازير فجزع الفرس من كتابه فالتقى المثنى وهرمرز
ببابل فاقتلوا قتالا شديدا وكان معهم فيل يفرق الناس فانتدب له المثنى ومعه ناس
فقتلوه وانهم الفرس وتبعهم المسلمون الى المدائن يقتلونهم ومات ملكهم
كسرى شهرزان لما انهزم هرمرز واختلف الفرس وبقى مادون دجلة بيد المثنى
ثم اجتمعت الفرس وملكوا دخترنان ابنة كسرى فلم ينفذ لها أمر فخلعوها
وملكوا سابور بن شهرزان وقام بتدبير أمره الفراعزاد بن ليند وان فقتل
وثارت بينهم فتنة وحصروا الملك سابور ثم قتلوه وملكوا ازرميد اخت بنت
كسرى وتشاغلوا بتلك الفتنة وابطأ على المثنى خبر أبى بكر رضى الله عنه
فاستغف على المسلمين بشير بن الخصاصية وهو صحابى من نسل سدوس بن
شيبان والخصاصية جدته نسب اليها وهى من الازد وأبوه يزيد بن سعيد قدم على
النبي صلى الله عليه وسلم مع وفد الازد وكان اسمه زجافسماه النبي صلى الله عليه وسلم
بشير او كان سير المثنى الى أبى بكر رضى الله عنهما بالبغبره خبر المشركين ويستأذنه
فى الاستعانة بمن حسنت نوبته من المردين فانهم أنشط الى القتال من غيرهم
فقدم المدينة وأبو بكر رضى الله عنه مريض قد أسفى فأخبره الخبر فاستدعى عمر
وقال انى لا رجوان أموت بومى هذا فاذا أنامت فلا تمسين حتى تندب الناس مع
المثنى ولا تشغلنكم مصيبة عن أمر دينكم ووصية ربكم فقد رأيتنى متوفى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما صنعت وما أصيب الخلق بمنله واذا فتح الله على أهل الشام

فأرسل أهل العراق إلى العراق فانهم أهلهم وولاية أمرهم وأهل الجرأة عليهم ومات
أبو بكر رضي الله عنه ليلا فدفنه عمر رضي الله عنه وندب الناس مع المثني وكان
الانتداب إلى فارس أثقل الوجوه على المسلمين وأكرهها اليهم لشدة سلطانهم
وقوة شوكتهم وقهرهم الأمم فكان عمر رضي الله عنه يبايع الناس ثلاثة أيام وفي
الرابع ندب الناس إلى العراق فكان أول منتدبه أبو عبيد بن مسعود الثقفي
وهو صحابي أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهو والد المختار وانتدب أيضا
سعد بن عبيد الانصاري وسليط بن قيس الانصاري وكانا ممن شهد بدرًا وتتابع
الناس وتكلم المثني فقال أيها الناس لا يعظم عليكم هذا الوجه فانا قد قصنا
ريف فارس وغلبناهم على خير شقي السواد ونلنا منهم واجترأنا عليهم ولنا ان شاء
الله ما بعدها فاجتمع الناس فقبل لعمر أمر عليهم رجلا من السابقين من
المهاجرين والانصار قال لا والله لا أفعل وانما رفعهم الله بسبقهم ومسارعتهم إلى
العدو فاذا فعل فعلهم قوم وتثاقفوا كان الذين ينفرون خفا فاثقالوا ويسبقون
إلى الرفع أولى بالرياسة فهم والله لا أوامر عليهم الا أولهم انتدبا ثم دعأ ابا عبيد وسعدا
وسليطا وقال لهما لو سبقتما لوليتكما ولادر كتابهما مالكما من السابقة فأمر ابا عبيد
وقال له اسمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشر كهم في الامر ولا يمنعني
ان أوامر سليطا الاسرعة إلى الحرب وفي التسرع إلى الحرب ضياع الاعراب
فانه لا يصلحها الا الرجل المكث وأوصاه بجندل فكان بعث ابي عبيد أول جيش
سيره عمر رضي الله عنه ثم بعده سير يعلى بن أمية إلى اليمن وأمره باجلاء أهل
تجران بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن لا يجتمع بجزيرة العرب دينان
واعتمد عمر في عزله المثني عن الامارة بقوله اني لم أعزله وخالد بن الوليد عن
ريسة ولكن الناس عظموهم فخشيت أن ياكلوا اليهما فأحببت أن يعلموا
أن الله هو الصانع وأن لا يكونوا معرضين فتنه

﴿ ذكر خبر المنار ﴾

فسار أبو عبيد الثقفي وسعد بن عبيدة وسليط بن قيس الانصاريان ومن معهم

والثني بن حارثة وأمره عمر بالتقدم الى أن يقوم عليه أصحابه وأمرهم باستنفار من
حسن اسلامه من أهل الردة ففعلوا ذلك وسار المثني فقدم الحيرة وكان الفرس
تساغلو عن المسلمين بما وقع بينهم ثم ملكوا عليهم بوران بنت كسرى بشرط أن
تملك رستم بن الفرخ زاد عشر سنين ثم يكون الملك في آل كسرى ان وجدوا من
علمائهم والافني نساءهم فدعت بوران مرازبة فارس وأمرتهم أن يسمعو الرستم
ويطيعوا وتو جته فدانت له فارس قبل قدوم أبي عبيد ثم قدم المثني الى الحيرة
في عشر وقدم بعده أبو عبيدة بشهر فكتب رستم الى الدهاقين ان يؤثروا
بالمسلمين ويبت في كل رستاق رجلا يؤثر بأهله ووعدهم يوما وبعث جنده المصادمة
المثني وبلغ المثني الخبر فعجل نخرج من الحيرة ونزل خفان ونزل جيش الفرس
التمارق فسار اليه أبو عبيد واقتتلوا بالنار قتالا شديدا فهزم الله أهل فارس
وأسر رئيس جيشهم واسمه جابان ولحق المنهزمون كسكرو بهارسي ابن خلة
الملك فسار اليهم أبو عبيد واقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزم الفرس وهرب زسي
وغلب المسلمون على عسكره وأرضه وجمعوا الغنائم ولما بلغ بوران ورستم هزيمة
جابان بعثا الجالينوس بجيش فنزل بباقيسنا فاسار اليه أبو عبيد فهزمه وهرب
الجالينوس وغلب أبو عبيد على تلك البلاد ثم ارتحل حتى قدم الحيرة وكان عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه قال لا بي عبيد انك تقدم على أرض المكر والخديعة
والخيانة والخبرية تقدم على قوم تجروا على الشرف فعلاموه وتناسوا الخبر فجهلوه
فانظر كيف تكون واحذر اسانك ولا تنفسين سرك فان صاحب السر ما يضبطه
متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه واذا ضيعه كان بمضيعة فكان أبو عبيد شديد الخدر
والتحفظ حسن التدبير محافظا على ما أوصاه به عمر رضى الله عنه
(ذكر وقعة قس الناطف ويقال لها الجسر واستشهاد أبي عبيدة رضى الله عنه)
ولما رجع الجالينوس الى رستم منهزما ومن معه من جنده قال رستم أى العجم أشد
على للعرب قالوا بهم من جادويه المعروف بذئ الحاجب فوجهه ومعه فيله ورد
الجالينوس معه وقال لهم ان انهزم الجالينوس ثانية فاضرب عنقه فأقبل بهم من

جاذو به فنزل بقس الناطف وأقبل أبو عبيد فنزل بالمر وحة فرأت دومة امرأة
أبي عبيد في منامها ان رجلا نزل من السماء باناء فيه شراب فشرب أبو عبيد ومعه
نقر فأخبرت بها أبو عبيد فقال هذه الشهادة ان شاء الله تعالى وعهد الى الناس فقال
ان قتلت فعلى الناس فلان فان قتل فعليهم فلان حتى أمر الذين شربوا من الاناء
وكلمهم من قومه ثقيف ثم قال فان قتل فلان فعلى الناس المثني بن حارثة ثم عبر على
الجسر بجيوشه الى قس الناطف فالتقى مع بهم من وجيوشه واقتتلا وقتالا شديدا
واشد الأمر بالمسلمين فترجل أبو عبيد والناس ثم مشوا اليهم ثم صافحهم
بالسيوف فجعلت القبيلة لا تحمل على جماعة الا دفعتهم فنادى أبو عبيد احتوشوا
القبيلة وقطعوا بطانها واقلبوا عنها أهلها ووثب هو على القبيل الابيض فقطع
بطانه ووقع الذي عليه وفعل القوم مثل ذلك فآثر كوا قبلا الا حطوا رحله وقتلوا
أصحابه وأهوى القبيل لابي عبيد فضر به أبو عبيد بالسيف وخبطه القبيل بيده
فوقع فوطئه القبيل وقام عليه فلما بصر به الناس نحت القبيل خشعت أنفس
بعضهم ثم أخذ اللواء الذي أمر به بعده فقاتل القبيل حتى نضح عن أبي عبيد
فأخذ المسلمون فأحرقوه ثم قتل القبيل الامير الذي بعد أبي عبيد وتتابع سبعة
أنفس من ثقيف كلهم يأخذ اللواء ويقا تل حتى يموت ثم أخذ اللواء المثني بن حارثة
فهرب عنه الناس فلما رأى عبد الله بن مرشد الثقفي مالتى أبو عبيد وما يصنع الناس
بادرهم الى الجسر فقطعه وقال أيها الناس موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو
تظفروا وحاز المشركون المسلمين الى الجسر فتوانب بعضهم الى الفرات ففرق
من لم يصر وأسرعوا فبين صبر وحجى المثني وفرسان من المسلمين الناس وقال
انادونكم فاعبروا على هينتكم ولاندهشوا ولا تغرقوا أنفسكم وقاتل عروة بن
زبد الخيل وأبو محجن الثقفي قتالا شديدا وقاتل أبو زبيد الطائي قتالا شديدا حمية
للعرب وكان نصرانيا فدم الحيرة لبعض أمر ونادى المثني من عبر نجبا وأمر بعقد
الجسر فعبى الناس وكان آخر من قتل سليط بن قيس وعبر المثني فلما عبر ارفض
عنه أهل المدينة وبقي المثني في قلة وكان قد جرح وانبت فيه حلق من درعيه وكان

جملة من مات من المسلمين أربعة آلاف بين قتيل وغريق وقتل من الفرس ستة
آلاف وأراد بهم من جاذويه العبور خلف المسلمين فأناه الخبر باختلاف الفرس
وأنتهم قد ثاروا برستم ونقضوا الذي بينهم وبينه وأنهم صاروا فريقين الفهلوج على
رستم وأهل فارس على الفيرزان فرجع بهم من إلى المدائن

﴿ ذكر وقعة البويب ﴾

لما بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقعة أبي عبيد بالجسر ندب الناس إلى المثنى
وكان ممن ندب بجيلة وأمرهم إلى جرير بن عبد الله البجلي فاجتمع كثير منهم
فأمرهم عمر بالتوجه إلى العراق فأبوا إلا الشام فعزم عليهم عمر التوجه إلى
العراق وينقلهم ربع الخمس فأجابوا وسبرهم إلى المثنى وكتب إلى أهل الردة فلم
يأتهم أحد إلا بعثه إلى المثنى وبعث المثنى الرسل فيمن يليه من العرب فتوافدوا إليه
في جمع عظيم وجاءه أنس بن هلال النخري في جمع عظيم من النمر نصارى وقالوا
نقاتل مع قومنا وبلغ الخبر رستم والفيرزان فجمعوا وجوعهم من وراء الفرات
واجتمع المسلمون بالبويب وكان على جيش الفرس مهران الهمداني فأرسل
إلى المثنى يقول أما أن تعبر إلينا وأما أن نعبر إليك فقال المثنى اعبر وافعب مهران
فنزل على شاطئ الفرات وعبي المثنى أصحابه وكان في رمضان فأمرهم بالافطار
ليقوا وأعلى عدوهم فأفطروا وأقبل الفرس في ثلاثة صفوف مع كل صف فيل
ولهم زجل فقال المثنى لأصحابه إن الذي تسمعون فسل فالزموا الصمت ودنوا من
المسلمين وطاف المثنى في صفوفه يحرضهم وقال إنى مكبر ثلاثا فتهيؤوا ثم احموا في
الرابعة فلما كبر أول تكبيرة أعجزتهم فارس وخالطوهم فلما طال القتال واشتد قال
المثنى لأنس بن هلال النخري إنك امرؤ عربي وإن لم تكن على ديننا فاذا حلت على
مهران فاحمل معي فاجابه فحمل المثنى على مهران فأزاله حتى دخل في ميمنته ثم
خالطوهم واجتمع القلبان وارتفع الغبار والمجنبتان تقتتل ولا يستطيعون أن
يفزعوا لنصر أميرهم لا المسلمون ولا المشركون وأفنى المثنى قلب المشركين فلما
رأوه قد أزال القلب وثب مجنبتا المسلمين على مجنبتى المشركين وجعلوا يردون

الاعاجم على أديارهم حتى هزموا الفرس وسبقهم المثنى الى الجسر وأخذ طريق
الاعاجم فافترقوا مصعدين ومنحدرين وأخذتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم
وجعلوهم جثا بقيت عظام القتلى دهر اطويلا وكانوا يحرزون القتلى مائة ألف
وسمى ذلك اليوم يوم الاعشار أحصى مائة رجل من المسلمين قتل كل رجل منهم
عشرة من الفرس وتبعهم المسلمون الى الليل ومن الغد الى الليل وغنم المسلمون
غنم كثيرة وأعطى بحيلة ربع الخمس كما شرط لهم عمر رضى الله عنه

﴿ ذكر خبر الخنافس وسوق بغداد ﴾

سوق الخنافس يجتمع بها تجار مدائن كسرى والسواد وقضاة وربيعة
يخفرونهم فركب المثنى وأغار على الخنافس يوم سوقها فانتهب السوق وما فيها
وسلب الخضراء ثم رجع الى الانبار فتحصن أهلها منه فلما عرفوه نزلوا اليه وأتوه
بالاعلاف والزاد وأخدمتهم الادلاء على سوق بغداد وهو موضع المدينة التي
اختطفها المنصور فيما بعد وصحبهم في أسواقهم فوضع السيف فيهم وأخذ ماشاء ثم
رجع الى الانبار وشن الغارات بخيول أصحابه على الاطراف وبعث خيلا على
أحياء تغلب بصفين فأغاروا عليهم وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية واستاقوا الاموال
وأغاروا على قوم من تغلب والنمر بشاطئ دجلة ففروا وأدركوهم بتكريت
فأصابوا ماشاؤا من النعم

﴿ ذكر الخبر الذي هيج أمر القادسية وتملك يزيد جرد ﴾

لما رأى أهل فارس ما يفعل المسلمون بالسواد قالوا لرستم والفيروزان وهما على
أهل فارس لم يبرح بكما الاختلاف حتى رهنتما أهل فارس وأطمعتا فيهم عدوهم ولم
يبلغ من أمركما ان نفركما على هذا الرأي وان تعرضا للهلاكه ما بعد بغداد وساباط
وتكريت الامداين والله لتجفعا أولئبدان بكما ثم نهلك وقد اشتفتينا منكما ولم
يبقى من ولد كسرى من الذكور الا غلام عمره أحد وعشرون سنة يدعى يزيد جرد
فلكوه واجتمعوا عليه فاطمأنت فارس واستوثقوا وتبارى المرزبة في طاعته
ومعونته فجنودا كثيرة فبلغ ذلك المثنى والمسلمين فكتبوا الى عمر بن

الخطاب ثم بلغهم ان أهل السواد كفروا وصار من له عهد يمكن لاعهده فلما وصل
الكتاب الى عمر رضى الله عنه قال والله لا ضرب بن ملوك العجم بملوك العرب فلم
يدع رأسا ولا ذراعى وشرف وبسطة ولا خطيبا ولا شاعرا الا ورماهم به فرماهم
بوجوه الناس وغررهم وكتب عمر الى المثني ومن معه يأمره بالخروج من بين
العجم والتفرق في المياه التي تلى العجم وأن لا يدعوا في ربيعة ومضر وحلفاتهم
أحد من أهل النجدات ولا فارسا الا أحضره اما طوعا أو كرها ففعلوا ذلك
وكان ذلك في ذى القعدة سنة ثلاث عشرة وأرسل عمر في الحجة عند مخرجه الى
الحج الى عماله على العرب أن لا يدعوا من له نجدة أو فرس أو سلاح أو رأى
الا وجهه اليه فاما من كان على النصف ما بين المدينة والعراق فجاء اليه بالمدينة لما
عاد من الحج وأما من كان أقرب الى العراق فانضم الى المثني بن حارثة وجاءت
امداد العرب الى عمر ولما اجتمع الناس استخلف على المدينة عليا رضى الله عنه
وخرج من المدينة حتى نزل على ماء يدعى ضرار فعسكر به في ابتداء سنة أربع
عشرة ولا يدري الناس ما ذا يريد ايسير أم يقيم فسأله عثمان عن سبب حركته
فاحضر الناس فاعلمهم الخبر واستشارهم في المسير الى العراق فقال العامة سر
وسر بنا معك فدخل معهم في رأيهم وقال اغدوا واستعدوا فاني سائر الا أن يجيء
رأى هو أو مثل من هذا ثم جمع وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرسل
يطلب حضور علي رضى الله عنه من المدينة فحضر فاجتمع أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف ثم استشارهم فاتفقوا
على أن يبعث رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرميه بالجنود فان
كان الذي يشتهي فهو الفتح والا أعاد رجلا وبعث آخر ففي ذلك غبن العدو فجمع
عمر بقية الناس وقال لهم انى كنت عزمت على المسير حتى صرفنى ذوو الرأى منكم
وقدر أيت انى أقيم وأبعث رجلا فاشير وا على برجل وكان سعد بن أبي وقاص بعثه
لصدقاته هو ازن وكتب اليه بانتخاب ذوى الرأى والنجدة والسلاح فجاءه كتابه
وعمر يستشير الناس فيمن يبعثه يقول سعد فى كتابه قد انتخب لك ألف فارس

كلهم ذو وفجدة ورأى وصاحب حيلة يحفظ حريم قومه اليهم انتهت أحسابهم
ورأيهم فلما وصل كتابه لعمر قالوا له قد وجدته يا أمير المؤمنين قال من هو قالوا سعد
ابن مالك وهو سعد بن أبي وقاص فانتهى الى قولهم فأرسل اليه وطلبه وأقره على
حرب العراق وأوصاه بوصايا كثيرة وسرحه فيمن اجتمع اليه من نفر المسلمين
وهم أربعة آلاف ثم أمده بالفين من أهل اليمن وألفين من أهل نجد وكان المثنى
في ثمانية آلاف وكان سعد بن أبي وقاص من بني زهرة بن كلاب وهم رهط
آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم فهو سعد بن مالك بن وهب بن عبد مناف بن زهرة
ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن
كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وآمنة
أم النبي صلى الله عليه وسلم بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب فيلتقي
نسيبه مع آمنة في عبد مناف بن زهرة ومع النبي صلى الله عليه وسلم في كلاب بن
مرة وكان سعد رضى الله عنه من السابقين في الاسلام ومن العشرة المبشرين
بالجنة ومن الشجعان المشهورين وهو أول من أراق دما في سبيل الله وأول
من رمى بسهم في سبيل الله وشاهد بدر أو أحدا والمجاهد كلها مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأبلى يوم أحد ببلاء عظيما وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو عن راض وشهد له بالجنة ودعاه ان الله يجيب دعوته فكان محاب الدعوة
ومناقبه كثيرة رضى الله عنه وبه فتح الله العراق ولما طعن عمر رضى الله عنه جعله
من الستة أصحاب الشورى المستحقين للخلافة ومما أوصاه به عمر رضى الله عنه
لما جعله أميراً على جيوش العراق أن قال لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله لا يحو بالسيء
السيء ولو كنه يحو السيء بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب الاطاعته
فالناس في ذات الله سواء الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويذكرون
ما عندهم بالطاعة فانظر الامر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه
فالزمه ووصاه بالصبر وسار سعد والمثنى قبله وصار ينتظر قدومه فمات المثنى قبل

فقدوم سعد من جراحات كانت به انتقضت عليه ولما وصل سعد رتب الجيوش ولم
ينزل عمر رضي الله عنه يمدده بالرجال حتى استكمل عنده سنة وثلاثون ألفا وأوصى
المتني قبل موته أخاه المعنى بن حارثة أن يبلغ سعدا إذا قدم أن يقاتلوا الفرس على
حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب ولا يقاتلوه في قعر دارهم فإن
يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم وإن كانت الأخرى رجعوا إلى فئة ثم يكون
أعلم بسبيلهم وأجر أعلى أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم فلما بلغ سعد ذلك
ترحم على المتني ومن معه وكان مع سعد تسعة وتسعون من أهل بدر وثلاثمائة وبضعة
عشر ممن كانت لهم صحبة فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك وثلاثمائة ممن شهدوا
فتح مكة وسبعمائة من أبناء الصحابة وقدم على سعد كتاب عمر يمثل رأي المتني روى
الطبراني أن عمر رضي الله عنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص قد وجهت إليك أو
أمددتك بالنفي رجل عمرو بن معدى كرب وطلحة بن خو يلد فشا ورهما في
الحرب ولا تولهما وإنما قال ولا تولهما لما يعلم فيهما من شدة الأقدام بالعسكر وعدم
التأني وكان كل منهما يعد بألف فارس لشجاعتهما وشدهما وسيأتي ذكر شيء
مما كان منهما مما يدل على ذلك وكان ملك العرب عامل كسرى بالحيرة قبيصة بن
أياس الطائي فلما سمع بمجيء سعد سأل عنه وعنده عبد الله بن سنان الأسدي
فاخبره أن سعدا رجل من قريش فقال قبيصة والله لا حاد به القتال فإن قريشا
عبيد من غلب والله لا يخرجون من بلادهم إلا يخفين فغضب عبد الله بن سنان
من قوله وأمهله حتى دخل قبته فقتله ولحق بسعد فأسلم وسار سعد بالجيوش حتى
نزل القادسية وهي قريب من موضع الكوفة وكتب عمر بن الخطاب لسعد رضي
الله عنهما إنكم إذا لقيتم العدو وهزم مقوهم فتى لأعب أحد منكم أحد من العجم
بأمان أو بإشارة أو بلسان كان عندهم أمانا فأجر والهم ذلك مجزى الأمان والوفاء فإن
الخطا بالوفاء ببقية وإن الخطا بالعدو هلكة فيها وهنكم وقوة عدوكم وكان سعد قد
جعل على مقدمة جيشه زهرة بن عبد الله بن قتادة بن الحوية التميمي وهو صحابي
وقد على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم فلما نزل زهرة في المقدمة وأمسى بعث سرية

في ثلاثين معروفين بالنجدة وأمرهم بالغارة على الخيرة فلما جاوزوا السليحين
سمعوا جلبة فمكثوا حتى حاذوهم وإذا أخت ازاد مرد بن ازاد به مرزبان الخيرة
تزف الى صاحب الصين وهو من أشرف العجم فحمل بكير بن عبد الله الليثي
أمير السرية على شيرزاد بن ازاد به فدق صلبه وطارت الخيل على وجوهها
وأخذوا الاثقال وآنية ازاد به في ثلاثين أمراء من الدهاقين ومائة من التوابع
ومعهم مالا يدري قيمته فاستاق ذلك ورجع به وأنى به سعد اقسام ذلك على المسلمين
ومكث سعد بالقادسية شهر الم يأنه أحد من الفرس وخيله تغير بالاطراف وتأتى
بغنائم كثيرة حتى أخصب المسلمون ووصف بعض من كان مع سعد قوم سعد
الذين كانوا معه في الجيش للحجاج بن يوسف بقوله ما رأينا قط أزهدي في دنيا منهم
ولأشد بغضا لها وكانوا أبرارا أتقيا ليس فيهم جبان ولا غدار فاستغاث أهل
السواد الى يزيد جرد وأعلموه أن العرب قد نزلوا القادسية ولا يبقى على فعلهم شيء
وقد أخرجوا ما بينهم وبين الفرات ونهبوا الدواب والاطعمة وان أبطأ الغياث
أعطيناهم بأبدينا وكتب له بذلك الذي لهم الضياع وهي جوده على ارسال الجنود
فأرسل يزيد جرد الى رستم وقال له اني أريد ان أوجهك في هذا الوجه فأنت رجل
فارس اليوم وقد نرى ما حل بالفرس مما لم يأتهم مثله فأظهر له الاجابة ثم قال له دعني
فان العرب لا تزال تهاب العجم ما لم تضربهم بي ولعل الدولة ان تثبت بي اذا
لم أحضر الحرب فيكون الله قد كفي ونكون قد أصبنا المكيدة والرأى في
الحرب أنفع من بعض الظفر والاناة خير من العجلة وقتال جيش بعد جيش أمثل
من هزيمة بكرة وأشد على عدونا فأبى عليه وأعاد رستم كلامه وقال قد اضطر
تضييع الرأى الى اعظام نفسي وتزكيتها ولو أجد من ذلك بدالم أتكلم به فأشددك
الله في نفسك وملكك ودعني أقم بعسكري وأسرح الجالينوس فان تكمن لنا
فذلك والابعثنا غيره حتى اذالم نجد بدا صبرنا لهم وقد وهناهم ونحن حامون فاني
لا أزال مرجوا في أهل فارس ما لم أهزم فأبى الا أن يسير فخرج حتى ضرب
عسكره بساباط وعلى مقدمته الجالينوس في أربعين ألفا وخرج هو في ستين ألفا

وفي ساقته عشر ون ألفا وجاءت الاخبار الى سعد بذلك فكتب الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر لا يكر بنك ما يأتيتك عنهم واستعن بالله وتوكل عليه وابعث اليه رجلا من أهل المناظرة والرأى والجلد يدعونه الى الله فان الله جاعل دعاءهم توهيناهم فأرسل سعد نفرا ممن هم كذلك وأمرهم أن يأنوا يزدجرد فخرجوا من العسكر وتركوا رستم واستأذنوا على يزدجرد فأذن لهم فدخلوا وقد أحضر وزراءه ورستم معهم واستشارهم فيما يصنع ويقوله لهم واجتمع الناس ينظرون اليهم وتحتهم خيول كلها صهال وعليهم البرود وبأيديهم السياط وأحضر الترجان وقال سلهم ما جاء بكم وما دعاكم الى غزونا والولوع ببلادنا من أجل اننا نشاغلنا عنكم اجترأتم علينا فقال النعمان بن مقرن لاصحابه ان شئتم تكلمت عنكم ومن شاء آثرته فقالوا بل تكلم فقال ان الله رحمتنا فأرسل اليها رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ووعدنا على اجابته خيري الدنيا والآخرة فلم يدع قبيلة الاوقار به منها فرقة وتباعده عنه منها فرقة ثم أمر ان يبتدىء الى من خالفه من العرب فبسد أنابهم فدخلوا معه على وجهين مكره عليه فاغتنبط وطامع فازداد فعر فنا جميعا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق ثم أمرنا أن يبتدىء بمن يلينا من الامم فندعوهم الى الانصاف فنحن ندعوكم الى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح فان أبيتهم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزية فان أبيتهم فالمناجزة فان أجبتم الى ديننا خلقنا فيكم كتاب الله وأقننا على ان تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وان بدلتهم الجزية قبلنا ومنعناكم والا فالتناكم فتكلم يزدجرد وقال اني لأعلم أمة في الارض كانت أشقى ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين منكم قد كنا نؤكل بكم قرى الضواحي فيكفونا أمركم ولا نطمعوا أن تقدموا لفارس فان كان غرر لحقكم فلا يغرنكم منا وان كان الجهد فرضنا لكم فوننا الى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم فقام المغيرة بن زرارة الاسدي وقال أيها الملك ان هؤلاء رؤس العرب وجوههم وهم أشرف يستحيون من الأشرف وانما يكرم

الاشراف ويعظم حقهم الاشراف وليس كل ما أرسلوا به قالوه ولا كل ما تكلمت
به أجاؤك عنه فجاؤ بني لا كون الذي أبلغك وهم يشهدون على ذلك فأما
ما ذكرت من سوء الحال فهي على ما وصفت وأشد ثم ذكر من سوء عيش العرب
وأرسال الله النبي صلى الله عليه وسلم إليهم نحو قول النعمان وقتال من خالفهم أو
الجزيرة ثم قال له اختر ان شئت الجزيرة عن يد وأنت صاغر وان شئت فالسيف أو
تسلم فتنجي نفسك فقال لولا أن الرسل لا تقتل اقتلتكم لاشئ لكم عندي ثم
استدعى بوقر من تراب فقال اجلوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من
باب المدائن ثم قال لرسول سعد ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه اني مرسل اليه رستم
حتى يدفنه ويدفنكم معه في خندق القادسية ثم أوردته بلادكم حتى أشغلكم
بأنفسكم بأشد مما نالكم من سابور فقام عاصم بن عمرو الكناني اللبني ليأخذ التراب
وقال أما أنسرفهم أنا سيد هؤلاء فحمله على عنقه وخرج إلى راحلته فأخذ التراب
وركبها وقال لسعد لما جاءه ابشر لقد أعطانا الله مقاليد ملكهم واشتد ذلك على
جلساء الملك وقال الملك لرستم ما كنت أرى أن في العرب مثل هؤلاء ما أنتم
بأحسن جواربناهم ولقد صدقني القوم لقد وعدوا أمرا ليدركنه أولموتن عليه
على أني وجدت أفضلهم أحقهم حيث حمل التراب على رأسه فقال رستم أيها الملك
انه أعقلهم وتطير إلى ذلك وأبصرها دون أصحابه وخرج رستم من عند الملك
غضبان كئيبا وبعث في أثر الوفد وقال لثقتة ان أدركهم الرسول تلافينا أرضنا
وان أعجزوه سلبكم الله أرضكم فرجع الرسول من الحيرة بقواتهم فقال ذهب
القوم بأرضكم من غير مثال وكان منجبا كاهنا وأغار سواد بن مالك التميمي بعد
مسير الوفد إلى يزدجر على النجاف والقراض فاستاق ثلاثمائة دابة من بين بغل
وحمار ونور وأوقروها سمكا وصبح العسكر فقسمه سعد بين الناس ويسمون
ذلك اليوم يوم الحيتان وبعث سعد سرية أخرى فأصابوا إبلابني تغلب والنمر
واستاقوها ومن فيها فخر سعد الإبل وقسمها في الناس فأخصبوا وغار عمرو بن
الحرث على النهر بن فاستاق مواشي كثيرة وعادوسار رستم من ساباط وجمع

آلة الحرب وقال رستم للملك يشجعه بذلك ان فتح الله علينا توجهنا الى ملكهم في
دارهم حتى نشغلهم في أهلهم وبلادهم الى أن يقبلوا المال ولما فصل رستم عن
ساباط كتب الى أخيه البنسندوان أما بعد فرموا حصونكم وأعدوا واستعدوا
فكأنكم بالعرب قد قارعوكم عن أرضكم وأبنائكم وقد كانت من رأيي
مدافعهم ومطاولتهم حتى تعود سعادتهم نحو سافان السمكة قد كدرت الماء وان
النعام حسنت والزهرة قد حسنت واعتدل الميزان وذهب بهرام ولا أرى هؤلاء
القوم الا سيظهرون علينا ويستولون على ما يلينا وان أشد ما رأيت ان الملك قال
لتسيرن أو لأسيرن بنفسي ولقي جابان رستم على قنطرة ساباط وكانا منجمين فمشكا
اليه وقال له ألا ترى ما أرى فقال له رستم أما أنا فأقاد بخشاش وزمام ولا أجد بدا
من الانقياد ثم سار فنزل بكوئي فأتى برجل من العرب فقال ماجاء بكم وماذا
تطلبون فقال جئنا نطلب موعد الله بملك أرضكم وأبنائكم ان أيتتم أن تسلموا
قال رستم فان قتلتهم قبل ذلك قال من قتل منادخل الجنة ومن بقي منا أنجزه الله ما
وعده ففعلن على يقين فقال رستم قد وضعنا اذن في أيديكم فقال أعمالكم وضعتكم
فأسلمكم الله بها فلا يغرنك من ترى حولك فانك لست تجاول الانس وانما تجاول
القدر فضرب عنقه ثم سار فنزل البرس فغضب أصحابه الناس أبناءهم وأموالهم
ووقعوا على النساء وشربوا الخمر وفضح أهلها الى رستم فقال يامه شرفارس والله
لقد صدق العربي والله ما أسلمنا الا أعمالنا والله ان العرب مع هؤلاء وهم لهم
حزب أحسن سيرة منكم ان الله كان ينصركم على العدو ويمكن لكم في البلاد
بحسن السيرة وكف الظلم والوفاء والاحسان فاذا تغيرتم فلا أرى الله الا مغيرا ما بكم
وما أنا با آمن من أن ينزع الله سلطانه منكم وأنى به بعض من يشكى منه فضرب
عنقه ثم سار حتى نزل الحيرة ودعا أهلها وتهددهم وهم بهم فقال له ابن بقبيلة لا تجمع
علينا أن تعجز عن نصرتنا وتلو منا على الدفع عن أنفسنا ولما نزل رستم بالجحف
رأى في منامه كأن ملكا نزل من السماء ومعه النبي صلى الله عليه وسلم وعمر فأخذ
الملك سلاح أهل فارس فحمله ثم دفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه النبي صلى

الله عليه وسلم الى عمر فأصبح رستم حزينا وأرسل سعد السرايا ورستم بالنجف
والجالينوس بين النجف والسليعين فطافت في السواد فبعث سوادا وحيضة في
مائة فأغاروا على النهريين وبلغ رستم الخبر فأرسل اليهم رستم خيلا وسمع سعد أن
خيبله قد وغلث فأرسل عاصم بن عمرو وجابر الاسدي في آثارهم فلقيهم عاصم
وخيل فارس نحو شهر ليخلصوا ما بأيديهم فلما رأته الفرس هربوا ورجع المسلمون
بالغائم وأرسل سعد عمرو بن معدى كرب وطلبة الاسدي طليعة فساروا في
عشرة فلم يسيروا الا فرسخا وبعض آخر حتى رأوا مسالحهم وسرحهم على
الطفوف قد ملؤوها فرجع عمرو ومن معه وأبى طليعة الا التقدم فقالوا له أنت
رجل في نفسك غدر ولن تفاح بعد قتل عكاشة بن محصن فارجع معنا فأبى
فرجعوا الى سعد فأخبروه بقرب القوم ومضى طليعة حتى دخل عسكر رستم
وبات فيه بجوسه ويتوسم فهتك أطناب بيت رجل عليه واقتاد فرسه ثم هتك
على آخر بيته وحل فرسه ثم فعل بالآخر كذلك ثم خرج بعدو به فرسه ونذر به
الناس فركبوا في طلبه فأصبح وقد لحقه فارس من الجند فقتله طليعة ثم آخر فقتله
ثم لحق به ثالث فرأى مصرع صاحبيه وهما ابنا عمه فازداد فلحق طليعة ففكر
عليه طليعة وأسرته ولحق الناس فرأوا فارسى الجند قد قتلوا وأسر الثالث وقد
شارف طليعة عسكره فأحجموا عنه ودخل طليعة على سعد ومعه الفارسى
وأخبره الخبر فسأل الترجمان الفارسى عن ذلك فطلب الامان فأمنه سعد فقال
أخبركم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عن قبلى باثرت الحروب منذ أنا غلام
الى الآن وسمعت بالابطال ولم أسمع بمثله هذا ان رجلا قطع فرسخين الى عسكر
فيه سبعون ألفا يستخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة فلم يرض أن يخرج كما دخل
حتى سلب فرسان الجند وهتك عليهم البيوت فلما أدركناه قتل الاول وهو يعد
بألف فارس ثم الثانى وهو نظيره ثم أدركته أنا وخلقنا من بعدى من بعد لى وأنا
النائر بالقتيلين فرأيت الموت واستوسرت ثم أخبره عن الفرس وأسلم ولزم طليعة
وكان من أهل البلاء بالقادسية وسماه سعد مسامثم سار رستم وقدم الجالينوس

وهم من ذوالحاجب فنزل الجالينوس بمحيا زهرة بن الخوية ونزل ذوالحاجب
بطر ناباذ ونزل رستم بالجزارة ثم سار رستم فنزل بالقادسية وكان بين مسيره من
المدائن ووصوله القادسية أربعة أشهر لا يقدم لاجل أن يطاول المسلمون رجاء أن
يضجروا بمكانهم فينصرفوا وكان قصده أن يطاولهم أكثر من ذلك لولا أن الملك
يستعجله وينهضه وكان عمر قد كتب الى سعد يأمره بالصبر والمطاوله أيضا فاستعد
للمطاوله ولم يتضرر بها وكان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيل منها فيل سابور الابيض
وكانت القبيلة تآلفه فجعل في القلب ثمانية عشر فيلا وفي المجنبتين خمسة عشر فيلا
فلما أصبح رستم من تلك الليلة ركب وسار حتى أتى على منقطع عسكر المسلمين
ثم صعد حتى انتهى الى القنطرة فتأمل المسلمين ووقف على موضع يشرف منه
عليهم ووقف على القنطرة وأرسل الى زهرة فوافقه فأداره على أن يصالحه
ويجعل له جعلاً على أن ينصرفوا عنه من غير أن يصرح له بذلك بل يقول له كنتم
جيراننا وكننا نحسن اليكم ونحفظكم ونخبره عن صنيعهم مع العرب فقال له زهرة
ليس أمرنا أمر أولئك انالم نأتكم لطلب الدنيا انما طلبتنا وهمتنا الآخرة وقد كنا
كما ذكرت الى أن بعث الله فينا رسولا فدعانا الى ربه فأجبناه فقال الله لرسوله
اني سلطت هذه الطائفة على من لم يدين بديني فأما من تقم بهم منهم وأجعل لهم العلية
ماداموا مقرين به وهودين الحق لا يرغب عنه أحد الا ذل ولا يعتصم به أحد الا
عز فقال له رستم ما هو قال أما عموده الذي لا يصلح الابيه فشهاده أن لا اله الا الله وأن
محمد رسول الله قال وأي شيء أيضا قال واخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة
الله والناس بنو آدم وحواء اخوة لاب وأم قال ما أحسن هدانا قال رستم أرأيت
ان أجببت الى هذا ومعى قومي كيف يكون أمركم أن رجعون قال أي والله قال
صدقتي أما ان أهل فارس منسذولي ازدشير لم يدعوا أحدا يخرج من عمله من
السفلة وكانوا يقولون اذا خرجوا من أعمالهم تعدوا طورههم وعادوا أشرفهم
فقال زهرة نحن خير الناس للناس فلان يستطيع أن نكون كما تقولون بل نطيع
الله في السفلة ولا يضرنا من عصى الله فينا فانصرف عنه ودعا رجال فارس

فدا كرمهم هذا فانفوا فأرسل الى سعد أن ابعت الينار جلانكامة ويكلمنا فدعا
سعد جماعة ليرسلهم فقال له ربي بن عامر متى نأتمهم جميعا يروا انافدا اختلفنا بهم فلا
زدهم على رجل فأرسله وحده فسار اليهم فخبسوه على القنطرة وأعلم رستم بمجيئه
فأظهر زينته وجلس على سرير من ذهب وبسط البسط والتمارق والوسائد
المسوجة بالذهب وأقبل ربي على فرسه وسيفه في خرقة ورمح مشدود بعصب
وقد فلما انتهى الى البسط قيل له انزل فحمل فرسه عليها ونزل وربطها بوسادتين
شقهما وأدخل الجبل فيهما فلم ينهوه وأروه النهاون وعليه درع وأخذ عباءة بعبيره
فدرعها وشدها على وسطه فقالوا اضع سلاحك فقال لم آتكم لأضع سلاحي بأمركم
أنتم دعوتوني فأخبر وارستم فقال ائذ نواله فأقبل يتوكأ على رمح ويقترب
خطوه فلم يدع لهم تمرفا ولا بساطا الا أفسده وهتكه برمح فامادنا من رستم
جلس على الارض وركز رمح على البسط فقبل له ما حملك على هذا قال انالا
نسحب القمود على زينتك فقال له نرجحان رستم ماجاء بك قال الله جاء بنا وهو
بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان
الى عدل الاسلام فأرسلنا بدينه الى خلقه من قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه
وأرضه دوننا ومن أبي قتلناه حتى نفضى الى الجنة أو الظفر فقال رستم قد سمعنا
قولكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الامر حتى ننظر فيه قال نعم وان مما سن لنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يمكن الاعداء أكثر من ثلاث فحقن مترددون
عنكم ثلاثا فانظر في أمرك واختر واحدة من ثلاث بعد الاجل اما الاسلام وندعك
وأرضك أو الجزية فنقبل ونكف عنك وان احتجت الينا نصرناك أو المناجدة في
اليوم الرابع الا أن تبدأ بنا أنا كقيل بذلك عن أصحابي قال أسيدهم أنت قال لا
لكن المسلمون كالجسد الواحد بعضهم من بعض يميز أديانهم على أعلامهم فخلا
رستم رؤساء قومه فقال هل رأيتم كلاما قط أعز وأوضح من كلام هذا الرجل
فقالوا ما عاد الله أن نميل الى دين هذا السكاب أماترى الى ثيابه فقال ويحكم لا
تنظروا الى ثيابه ولكن انظروا الى الرأي والكلام والسيرة ان العرب تستخف

باللباس وتوصون الاحساب ليسوا مثلكم فلما كان من الغد أرسل رستم الى سعد
ابعت الينا ذلك الرجل فبعث اليهم حديفة بن محصن فأقبل في نحو من ذلك الزم
ولم ينزل عن فرسه ووقف على رستم راكبا قال له انزل قال لأفعل فقال له ماجاء
بك ولم يجئ الاول قال له ان أميرنا يحب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء وهذه
نوبتي فقال ماجاء بكم فأجابه مثل الاول فقال رستم المواعدة الى يوم ما قال
نعم ثلاثا من أمس فرده وأقبل على أصحابه وقال ويحكم أمازون ما أرى جاءنا الاول
بالامس فغلبنا على أرضنا وحقر ما نعظم وأقام فرسه على زبرجنا وجاء هذا اليوم
فوقف علينا وهو في يمن الطائر يقوم على أرضنا دوننا فلما كان الغد أرسل الى
سعد ابعت الينا رجلا فبعث المغيرة بن شعبه فأقبل اليهم وعليهم التيجان والثياب
المنسوجة بالذهب وبسطهم على غلوة لا يوصل الى صاحبهم حتى يمشی عليها فأقبل
المغيرة حتى جلس موضع رستم على سريره فوثبوا عليه وأنزلوه ومعكوه فقال
قد كانت تبالغنا عنكم الاحلام ولا أرى قوما أسفه منكم انما عشر العرب لا نستعيد
بعضنا بعضا فظننت انكم تواسون قومكم كما تتواسى فكان أحسن من الذي
صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض فان هذا الامر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه
أحد واني لم آتكم ولكن دعوتوني اليوم علمت أنكم مغلوبون وأن ملكا
لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول فقالت السفلة صدق والله العرجي
وقالت الدهاقين والله لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا ينزعون اليه قاتل الله أولينا
حيث كانوا يصغرون أمر هذه الامة ثم تكلم رستم فحمد قومه وعظم أمرهم وقال لم
نزل منكم في البلاد ظاهرين على الاعضاء أشرفا في الامم فليس لاحد مثل
عزنا وسلطاننا ننصر عليهم ولا ينصرون علينا الا اليوم واليومين والشهر للذنوب
فاذا انتقم الله منا ورضى علينا يرد لنا الكرة على عدونا ولم يكن في الامم أمة أصغر
عندنا أمر امنكم كنتم أهل قشف ومعيشة سيئة لانراكم شيئا وكنتم تقصدوننا اذا
فحطت بلادكم فنا أمر لكم بشئ من التمر والشعير ثم زدكم وقد علمت انه لم يحمله لكم
على ما صنعتم الا الجهد في بلادكم فأننا أمر لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم وأمر

لكل واحد منكم بوقرتمو وتنصرفون عنافاني لست أشتهي ان اقتلكم فتسكالم
المغيرة فحمد الله وأثنى عليه وقال ان الله خالق كل شيء ورازقه فمن صنع شيئا فاما هو
يصنعه وأما الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك فتعفن نعره فوالله صنعه بكم ووضع
فيكم وهوله دونكم وأما الذي ذكرت فينا من سوء الحال والضيق والاختلاف
فتعفن نعره ولسنا ننكره والله ابتلائنا به والدينيا دول ولم يزل أهل الشدائد
يتوقعون الرخاء حتى يصبروا اليه ولم يزل أهل الرخاء يتوقعون الشدائد حتى تنزل
بهم ولو شكرتم ما آنا لكم الله لكان شكركم يقصر عما أوتيتهم وأسألكم ضعف
الشكر الى غير الحال ولو كنا فيما ابتليناباه أهلال كان عظيم ما ابتليناباه مستجلبا من
الله رحمة ورافة علينا ان الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولا ثم ذكر مثل ما تقدم من
ذكر الاسلام والجزية والقتال وقال له وان عيالنا قد ذاقوا طعام بلادكم فقالوا
لاصبر لنا عنه فقال رسنم اذن تموتون دونها فقال المغيرة يدخل من قتل منا الجنة
ومن قتل منكم النار ويظفر من بقي منا بمن بقي منكم فاستشاط رسنم غضبا ثم
حلف أن لا يرتفع الصبح غدا حتى نقتلكم أجمعين وانصرف المغيرة وخلا رسنم
بأهل فارس وقال أين هؤلاء منكم هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا أم كاذبين
والله لئن كان بلغ من عقلهم وصونهم لسرهم أن لا يختلفوا فاقوم أبلغ لما أرادوا
منهم ولئن كانوا صادقين فمايقوم هؤلاء شيء فلجوا وتجلدوا فأرسل رسنم رسوله
خلف المغيرة وقال له اذا قطع القنطرة فأعلمه أن عينه تفقأ غدا فأعلمه الرسول
بذلك فقال المغيرة بشرتني بخير وأجر ولولا أن أجاهد بعد هذا اليوم أشباهكم
من المشركين لتميت أن الاخرى ذهبت فرجع الى رسنم فأخبره فقال أطيعوني
يا أهل فارس اني لأرى فيكم نهمة لانسستطيعون رد هائم أرسل اليه سعد بقية
ذوى الرأي فساروا وكانوا ثلاثة فقالوا الرسنم ان أميرنا يدعوك الى ما هو خير لنا
ولك والعافية أن تقبل ما دعاك اليه وترجع الى أرضنا وترجع الى أرضك وداركم
لكم وأمركم فيكم وما أصبتم كان زيادة لكم دوننا وكنا عوننا لكم على أحد ان
أرادكم فاتق الله ولا يكونن هلاك قومك على يديك وليس بينك وبين أن تغبط

بهذا الامر الآن تدخل فيه وتطرد به الشيطان عنك فقال لهم ان الامثال اوضح
من كثير من الكلام انكم كنتم اهل جهد وقشف لا تنصفون ولا تمتنعون فلم
نسىء جواركم وكنائيركم ونحسن اليكم فلما طعمتم طعامنا وشربتم شرابنا
وصفتم لقومكم ذلك ووعدتموهم ثم اتيتونا وانما مثلكم ومثلنا كمثل رجل كان له
كرم فرأى فيه ثعلبا فقال وما ثعلب فانطلق الثعلب فدعا الثعالب الى ذلك
الكرم فلما اجتمعوا اليه سد صاحب الكرم النقب الذي كن يدخلن منه
فقتلن فقد علمت ان الذي حملكم على هذا الحرص والجهاد فارجموا ونحن
نميركم لاني لا أستهي أن أقتلكم ومثلكم أيضا كالذباب يرى العسل فيقول من
يوصلني اليه وله درهمان فاذا دخل غرق ونشب فيقول من يخرجني وله أربعة
دراهم وقال أيضا ان رجلا وضع سلة وجعل طعاما فيها فأتى الجرذان فمخروا
السلة فدخلوا فيها فأراد سدها فقالوا له لا تفعل اذن تخرقه ولكن انقب بحباله
ثم اجعل قصبة مجوفة فاذا دخلها الجرذان وخرجن منها فاقتل كل ما خرج منها وقد
سدت عليهم أن يقتصموا القصبة ولا يخرج منها أحد الا قتل فادعكم الى ما صنعتم
ولا أرى عددا ولا عدة قال فتكلم القوم وذكروا سوء حالهم وما من الله به عليهم من
إرسال رسوله واختلافهم أولا ثم اجتمعهم على الاسلام وما أمرهم به من الجهاد
قالوا وأما ما ضربت لنا من الامثال فليس كذلك ولكن انما مثلكم كمثل رجل
غرس أرضا واختار لها أشجارا وأجرى اليها الانهار وزينها بالقصور وأقام فيها
فلاحين يسكنون قصورها وبقومون على جناتها فخلا الفلاحون في القصور
على ما لا يحب فأطال امهالهم فلم يستحيوا فدعا اليها غيرهم وأخرجهم منها فان ذهبوا
عنها تخطفهم الناس وان أقاموا فيها صاروا خولا لهؤلاء فيسومونهم الخسف أبدا
والله لو لم يكن ما نقول حقوا لم يكن الا لدينا لما صبرنا عن الذي نحن فيه من لذيذ
عيشكم ورأينا من زبرجكم ولقار عناكم عليه فقال رستم أنعبرون الينا أم نعبر
اليكم فقالوا اعبروا الينا ورجعوا من عنده عشيا وأرسل سعد الى الناس أن
يقفوا مواقفهم وأرسل اليهم شأنكم والعبور فأردوا القنطرة فقال لا ولا كرامة

أما شئ غلبناكم عليه فلا تزده عليكم فباتوا يسكرون (أي يسدون) العتيق حتى
الصباح بالتراب والعصب والبرادع حتى جعلوه طر يقا واستم بعد ما ارتفع النهار
ورأى رستم من الليل كأن ملكا نزل من السماء فأخذ قسي أصحابه فحتم عليها ثم
صعد بها إلى السماء فاستيقظ مهموما واستدعى خاصيته فقصها عليهم وقال إن الله
ليعظننا لو اتعظنا ولما ركب رستم ليغير كان عليه درعان ومغفر وأخذ سلاحه ووثب
فأذا هو على فرسه ولم يضع رجلاه في الركاب وقال غدا ندقهم دقا فقال له رجل إن
شاء الله فقال وإن لم يشأ ثم قال إنما صفا للتعلم حين مات الأسد يعني كسرى واني
أخشى أن تكون هذه سنة القروود وإنما قال هذه الأشياء توهينا للمسلمين عند
الفرس والأفالمشهور عنه الخوف من المسلمين وقد أظهر ذلك إلى من يتق به

﴿ ذكر يوم ارمات ﴾

لما عبر الفرس العتيق (اسم للماء مطلقا يسمى به نهر هناك) وجلس رستم على
سريره وضرب عليه طياره ووعى في القلب ثمانية عشر فيلأعياها صناديق ورجال
وفي المجنبتين ثمانية أو سبعة أفيال وأقام الجالينوس بينه وبين ميمينته والفيروزان
بينه وبين ميسرته وكان الملك يزدجرد قد وضع بينه وبين رستم رجلا على كل
دعوة (أي وظيفة) رجلا أولهم على باب إيوانه وآخرهم مع رستم فكل ما فعل
رستم شيا قال الذي معه للذي يليه كان كذا وكذا ثم يقول الثاني ذلك للذي يليه
وهكذا إلى أن ينتهي إلى يزدجرد في أسرع وقت وأخذ المسلمون مصافهم وكان
أميرهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أصابه دماميل وعرق النساء فلا
يستطيع الجلوس إنما هو مكب على وجهه في صدره وسادة على سطح القصر
يشرف على الناس والصف في أصل حائطه ولو تعداه الصف فواق ناقة لاخذ برمته
وما نقص ذلك من شجاعة سعد رضي الله عنه وعابه بعض من كان يبغضه فقال

نقاتل حتى أنزل الله نصره * وسعد بباب القادسية معصم

فأبنا وقد آمت نساء كثيرة * ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فبلغت أبيان سعدا وكان مجاب الدعوة فقال اللهم إن كان هذا كاذبا وقال الذي

قاله رياء وسمعة فاقطع عنى لسانه فيبيناهو واقف في الصف يومئذ اناه سهم غرب
فأصابه فكان سبب الاعتقال لسانه فاتكلم بكلمة حتى لحق بالله تعالى ونزل سعد الى
الناس فاعتذر اليهم وأراهم ما به من القروح في فخذه واليتية فعذره الناس
وعاموا حاله ولما عجز عن الركوب استخلف خالد بن عرفطة على الناس فاختلف
عليه فأخذ نفر امن شغب عليه فحبسهم في القصر منهم أبو عرجن الثقفي وقيدهم
وقيل بل كان حبس أبي عرجن بسبب شرب الخمر وأعلم الناس انه قد استخلف خالد
ابن عرفطة فسمعوا وأطاعوا وخطب الناس يومئذ وهو يوم الاثنين من المحرم
سنة أربع عشرة وحثهم على الجهاد وذكروا ما وعدهم الله من فتح البلاد وما نال
من كان قبلهم من المساهين من الفرس وكذلك فعل أمير كل قوم وأرسل سعد نفر
من ذوى الرأي والنجدة منهم المغيرة وحذيفة وعاصم وطليعة وقيس الاسدي
وغالب وعمرو بن معدى كرب وأمثالهم ومن الشعراء الشماخ والحطيئة وأوس بن
مغرة وعبيدة بن الطيب وغيرهم وأسروهم بتحرير بض الناس على القتال ففعلوا
وكان صف المساهين مع حائط قديس والخندق فكان المسامون والمشركون بين
الخندق والعقيق وقد تقدم ان جيش رستم كان مائة وعشرين ألفا وجيش
المساهين كان بضعة وثلاثين ألفا وكان مع الفرس ثلاثون ألف مسل وأمر سعد
الناس بقراءة سورة الجهاد وهي الانتقال فلما قرئت هشت قلوب الناس وعيونهم
وعرفوا السكينة مع قراءتها فلما فرغ القراء منها قال سعد الزموا موافكم حتى
تصلوا الظهر فاذا صليتم فاني مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا فاذا سمعتم الثانية
فكبروا والبسوا عدتكم فاذا كبرت الثالثة فكبروا وينشط فرسانكم الناس
فاذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا الاحول ولا قوة الا
بالله فلما كبر سعد الثانية برز أهل النجدات فأنشبوا القتال وخرج اليهم من
الفرس أمثالهم فاعتوروا الطعن والضرب وبرز غالب بن عبد الله الاسدي
وأشد أيباتا فخرج اليه رمز وكان من ملوك الباب وكان متوجا فأسره غالب
فجاء به سعد اورجع وبرز عاصم بن عمرو التميمي وطارد فارسا فانهزم فقبه عاصم

حتى خالط صفهم فموه فأسرع عاصم رجلا على بغل وعاد به واذا هو خباز الملك
ومعه من طعام الملك وخبيصه فأتى به سعد فنقله أهل موقفه وخرج فارس فطلب
البراز فبرز اليه عمرو بن معدى كرب فأخذه وجاد به الارض فدبحه وأخذ
سوار به ومنطقته وحملت القبيلة على المسلمين ففرقت بين الكتاب فنفرت
الخيول وكانت الفرس قد قصدت بجيلة بسبعة عشر فيلا فنفرت خيل بجيلة
فكادت بجيلة نهلك لنفار خيلها عنها وعمن معها وأرسل سعد الى بني أسدان
دافعوا عن بجيلة وعمن معها من الناس فخرج طليحة بن خويلد وجمال بن مالك
في كتابهما فباثروا القبيلة وخرج الى طليحة فيل عظيم منهم فقتله طليحة وقام
الاشعث بن قيس في كندة فقال معشر كندة لله در بني أسد أي فر يفرون وأي هر
يهزون عن موافقهم أعنى كل قوم ما يليهم وأنتم تنتظرون من يكفيكم أشهد
ما أحسنتم أسوة قومكم من العرب فنهضوا ونهض معه فأزالوا الذين بازأهم فلما
رأى الفرس ما يلقى الناس والقبيلة من أسد رموهم بجدهم وحملوا عليهم وفيهم
ذوالحاجب والجالينوس والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد
فاجتمعت جلبة فارس على أسد ومعهم تلك القبيلة فثبتهوا لهم وكبر سعد الرابعة
وزحف اليهم المسلمون ورحا الحرب تدور على أسد وحملت القبيلة على الميمنة
والميسرة فكانت الخيول تحيد عنها فأرسل سعد الى عاصم ابن عمر والتميمي فقال
يا معشر بني نعيم أما عندكم لهذه القبيلة من حيلة قالوا بلى والله ثم نادى في رجال
من قومه رماة وآخرين لهم ثقافة فقال يا معشر الرماة ذبوا ركبان القبيلة عنهم
بالنبيل وقال يا معشر الثقافة استدبروا القبيلة فقطعوا وضنها (الوضين ما يربط به
القتب) وخرج بحميتهم ورحا الحرب تدور على أسد وقد جالت الميمنة والميسرة غير
بعيد وأقبل أصحاب عاصم على القبيلة فأخذوا بأذنان نوابيتها فقطعوا وضنها
وارتفع عواثهم فابقي لهم فيل الاعوى وقتل أصحابها ونفس عن أسد وردوا
فارسا عنهم الى موافقهم واقتتلوا حتى غربت الشمس ثم حتى ذهب هدأة من
الليل ثم رجع هؤلاء وهؤلاء وأصيب من أسد تلك العشية خمسمائة وكانوا ردا

للناس وكان عاصم حامية للناس وهذا اليوم الاول وهو يوم ارمات

﴿ ذكر يوم اغوات ﴾

ولما أصبح القوم وكل سعد القتلى والجرحى من ينقلهم فسلم الجرحى الى النساء
ليقمن عليهم وأما القتلى فدفنوا هنالك على شرف وهو واد بين العديب وعين
الشمس فلما نقل سعد القتلى والجرحى طلعت نواصي الخيل من الشام وكان فتح
دمشق قبل القادسية فلما قدم كتاب عمر على أبي عبيدة بن الجراح بارسال أهل
العراق سيرهم والامير عليهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وكان من الشجعان
المشهورين وكان له صحبة أسلم عام الفتح رضى الله عنه وعلى مقدمته القعقاع بن
عمر و التميمي وله صحبة روى عنه انه قال شهدت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتمجّل القعقاع فقدم على الناس صبيحة هذا اليوم وهو يوم اغوات وقد عهد الى
أصحابه أن يتقطعوا اعشارا وهم ألف كل ما بلغ عشرة مدى البصر سرحوا
عشرة تقدم أصحابه في عشرة فأتى الناس فسلم عليهم وبشرهم بالجنود وحرضهم
على القتال وقال اصنعوا كما صنع وطلب البراز فقاتلوا فيه (أى القعقاع) يقول
أبو بكر رضى الله عنه لا يهزم جيش فيهم مثل هذا فخرج اليه ذو الحاجب فعرفه
القعقاع فنادى بالثارات أبى عبيدوس ليط وأصحاب الجسر وتضاربوا فقتله القعقاع
وجعلت خيله ترد الى الليل وتنشط الناس وكان لم يكن بالامس مصيبة وفرحوا
بقتل ذى الحاجب وانكسرت الاعاجم بذلك وطلب القعقاع البراز فخرج اليه
الفيرزان والبندوان فانضم الى القعقاع الحارث بن ظبيان بن الحارث أحد بنى
تيم اللات فتبارزوا فقتل القعقاع الفيرزان وقتل الحارث البندوان ونادى
القعقاع يا معشر المسلمين باشر وهم بالسيوف فاتمأ بمحمد الناس بها فاقتتلوا حتى
المساء فلم ير أهل فارس في هذا اليوم ما يعجبهم وأكثر المسلمون فيهم القتل ولم
يقاتلوا في هذا اليوم على فيل لان توابيتها كانت قد تكسرت بالامس فاستأنفوا
عملها فلم يفرغوا منها حتى كان الغد وكان القعقاع كلما طلعت قطعة من أصحابه كبر
وكبر المسلمون ويحملون ويحملون وحمل بنوعم القعقاع عشرة عشرة على إبل

قد البسوها وهي مجللة ببرقعة وأطافت بهم خيولهم تحميمهم وأمرهم القعقاع أن
يحملوها على خيل الفرس يتشبهون بالقبيلة ففعلوا بهم هذا اليوم وهو يوم
اغواث كما فعلت فارس يوم ارمات فجعلت خيل الفرس تفر منها وركبتها خيول
المسلمين فلما رأى الناس ذلك سرروا بهم فلقى الفرس من الابل أنظلم ما لقي
المسلمون من القبيلة وحمل رجل من نيم على رستم يريد قتله فقتل دونه وخرج
رجل من فارس يبارز فبرز اليه الأعرف بن الأعمى فقتله ثم برز اليه آخر
فقتله وأحاطت به فوارس منهم فصرعوه وأخذوه بسلاحه فغبر في وجوههم
التراب حتى رجع إلى أصحابه وحمل القعقاع يومئذ ثلاثين جملة كلما طلعت قطعة
حملت جملة وأصاب فيها وقتل فكان آخرهم بزرجمهر الهمداني وبارز الأسور بن
قطبة شهر يارسجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه وقاتلت الفرسان إلى نصف
النهار فلما اعتدل النهار تراخف الناس فاقتتلوا حتى انتصف الليل فكانت ليلة
أرمات ندعى الهدأة وليلة اغواث ندعى السواد ولم يزل المسلمون يرون يوم
اغواث الظفر وقتلوا عامة اعلامهم وجالت فيه خيل القلب وثبت رجلهم فولوا
أن خيلهم عادت أخذ رستم أخذ اوبات الناس على ما بات عليه القوم ليلة أرمات
وقد ذكرنا أن أبا محجن الثقفي كان قد حبس بالقصر وقيده فلما كان يوم اغواث
قال لسامى زوج سعد بن أبي وقاص هل لك أن تخلين عني وتعيروني باللقاء وهي
فرس سعد فله على ان سامى الله أن أرجع اليك حتى أضع رجلي في قيدي فأبت
فلم يزل بها حتى رضيت أن تطلقه فأطلقته وأعطته اللقاء فرس سعد فركبها وخرج
للقتال ولم يعلم به أحد فلما كان بجبال الميمنة كبر ثم حمل على ميسرة الفرس ثم
رجع خلف المسلمين وحمل على ميمنة الفرس فكان يقصف الناس قسفا منكرا
وتعجب الناس منه وهم لا يعرفون من هو فقال بعضهم هو من بعض أصحاب هاشم
أوهاشم بنفسه وكان سعد يقول لولا محبس أبي محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه
اللقاء وقال بعض الناس هذا الخضر وقال بعضهم لولا أن الملائكة لا تبأشر
الحرب لقلنا انه ملك فلما انتصف الليل وتراجع المسلمون والفرس عن القتال

أقبل أبو محجن فدخل القصر وأعاد رجليه في القيد فقالت له سامى فى أى شئ
حبسك سعد فقال والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ولا كنت صاحب
شراب فى الجاهلية وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لسانى فقلت
إذ امت فادفنى الى أصل كرمه * تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى فى الفلاة فاننى * أخاف اذا مات أن لا أذوقها
فلذلك حبسنى فلما أصبحت سامى أتت سعدا فصالحته وكانت مغاضبة له وأخبرته
بخبير أبى محجن فأطلقه فقال اذهب فإنا نأموأخذك بشئ تقوله حتى تفعله فقال
لا جرم لأجيب لسانى الى قبج أبدا وكان عدد قتلى المساهين وجرحاهم يوم أغوات
ألفين من جر يجميت ومن المشركين عشرة آلاف فجعل المساهون ينقلون
قتلاهم الى المقابر والجرحى الى النساء وكان النساء والصبيان يحفرون القبور
وكان على الشهداء حاجب بن زيد وأما قتلى المشركين فبين الصغين وكان ذلك مما
يقوى المساهين وبات القعقاع تلك الليلة يسرب أصحابه الى المسكان الذى فارقه
فيه وقال اذا طلعت الشمس فأقبلوا مائة مائة فان جاء هاشم فذاك والا جددتم
للناس رجاء وجد الا يشعر به أحد وأصبح الناس على موافقهم فلما ذر قرن الشمس
أقبل أصحاب القعقاع فعبى أصحابه وكان المشركون قد باتوا يعملون توأبيت القبيلة
حتى أعادوها وأصبحوا على موافقهم وأقبلت الرجال مع القبيلة بحمونها أن تقطع
وضها ومع الرجال فرسان بحمونها فلم تنفرا الخيل منهم كما كانت بالامس لان
الفيل اذا كان وحده كان أوحش واذا أطافوا به كان أونس فلما انتشب القتال
كبر المساهون وتقدموا وكثر الطعن والضرب وأقبل هاشم والحرب قائم فعبى
أصحابه سبعين سبعين وحمل حتى خالط القلب واشتد القتال وحمل عمرو بن
معدى كرب وضرب فى الفرس حتى ستره الغبار وحمل أصحابه فأفرج المشركون
عنه بعدما صرعوه وان سيفه لى يده يصادمهم وقد طعن فرسه فأخذ برجل فرس
أعجمى فلم يطق الجرى فنزل عنه صاحبه وفر الى أصحابه وركبه عمرو وبرز فارس
فبرز اليه رجل من المساهين يقال له بشر بن علقمة وكان قصيرا فترجل الفارس

اليه فاحمله وجلس على صدره ثم أخذ سيفه ليذبحه ومقود فرسه مشدود في
منطقته فإسلس سيفه نقر الفرس فجذبه المقود فقلبه عنه وتبعه المسلم فقتله وأخذ
سلبه فباعه بأثنى عشر ألفا فلما رأى سعد الفيول قد فرقت بين الكتائب وعادت
لفعلها أرسل إلى القعقاع وعاصم بن عمرو وكفياني الأبيض وكانت كلها آلفة
له وكان بازائهما وقال لجمال والزبييل وكفياني الأجرى وكان بازائهما فأخذ
القعقاع وعاصم ربحين وتقدما في خيل ورجل وفعل جمال والزبييل بمثل فعلهما
فحمل القعقاع وعاصم فوضعا ربحهما في عين الفيل الأبيض فنفض رأسه فطرح
ساسته ودلى مشفره فضر به القعقاع فرمى به ووقع جنبه وقتلوا من كان عليه
وحمل جمال والزبييل الاسديان على الفيل الآخر فطعنه جمال في عينه فألقى ثم
استوى وضر به الزبييل فأبان مشفره وبصر به سائسه فبقر أنف الزبييل وجبينه
بالطبرزين فأفلت الزبييل جريحا وبقي الفيل جريحا متخيرا بين الصفيين كلما جاء
صف المسلمين وخزوه وإذا أنى صف المشركين نخسوه وولى الفيل وكان يدعى
الأجرى وقد عور جمال عينه فالتقى نفسه في العتيق فاتبعته القبيلة فخرقت صف
الاعاجم فعبرت في أثره فأتت المدائن في نوايتها وهلك من فيها فلما ذهبت القبيلة
وخلص المسلمون والفرس ومال الظل وتزاحف المسلمون فاجتلدوا حتى أمسوا
فأشد القتال وصبر الفريقان وجاء الليل وكانت تسمى تلك الليلة ليلة الهرير
لتركهم الكلام وإنما كانوا يهرون هريرا وأرسل سعد طليحة الاسدي وعمرو بن
معدى كرب ليلة الهرير إلى مخاضة أسفل العسكر ليقوموا عليها حرسا خشية أن
يأتى القوم منها فلما أتياها قال طليحة لو خضنا وأتينا الاعاجم من خلفهم قال عمرو
بل نعبأ أسفل فافترقا وأخذ طليحة وراء العسكر وكبر ثلاث تكبيرات ثم ذهب وقد
ارتاع أهل فارس وتهجب المسلمون وطلبه الاعاجم فلم يدركوه وأما عمرو فإنه
أغار أسفل المخاضة ورجع وخرج جماعة من فرسان المسلمين وطاردوا جماعة من
الفرس فاذا هم لا يشدون ولا يربدون غير الزحف فقدم المسلمون صفوفهم
وزاحفهم بغير إذن سعد وكان أول من زاحفهم القعقاع فقال سعد اللهم اغفرها

له وانصره فقد أذنت له ان لم يستأذني ثم لحقهم أسد فقال اللهم اغفرها لهم
وانصرهم ثم حملت النخ فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم حملت بجيلة فقال
اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم حملت كندة فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم
زحف الرؤساء ورعا الحرب تدور على القعقاع وكان سعد قال لهم اذا كبرت ثلاثا
فاجلوا فكبر في أثناء تلك الجملة تكبيرتين فلما كبر الثالثة لحق الناس بعضهم بعضا
وخالطوا القوم واستقبلوا الليل استقبالا بعد ما صلوا العشاء وكان صليل الحديد
فيها كصوت القيون جمع قين وهو الحداد ليبتهم الى الصباح وأفرغ الله الصبر
عليهم افرغوا ما في صدورهم لم يبق لهم من العجم أمر المير وامله قط
وانقطعت الاخبار والاصوات عن سعد ورستم وأقبل سعد على الدعاء فلما كان
عند الصبح انقضى الناس فاستدل بذلك على أنهم الأعلون وأصبح الناس ليلة الهرب
وتسمى ليلة القادسية من بين تلك الليالي وهم حسري لم يغمضوا ليبتهم كلها فسار
القعقاع في الناس فقال ان الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم فاصبر واساعة فاجلوا
فان النصر مع الصبر فاجتمع اليه جماعة من الرؤساء وصعدوا لرستم حتى خالطوا
الذين دونه مع الصبح فلما رأته ذلك القبائل قام فيهم رؤسائهم وقالوا لا يكون
هؤلاء أجد في أمر الله منكم ولا هؤلاء يعني الفرس أجزأ على الموت منكم فحملوا
فيما يليهم وخالطوا من بازائهم فاقتتلوا حتى قام قائم الظهيرة فكان أول من زال
الفيرزان والمهرمزان فتأخر أو ثبتا حتى انتهيا وانفرج القلب وركد عليهم النخ
وهبت ريح عاصف فقلعت طيارة رستم عن سريره فهوت في العتيق وهي دبور
ومال القبار عليهم وانتهى القعقاع ومن معه الى السرير فعضوا به وقد قام رستم عنه
حين أطارت الريح الطيارة الى بغال قد قدمت عليه بمال فهي واقفة فاستظل في
ظل بغل وحمله وضرب هلال بن علقمة الجل الذي تحته رستم فقطع حباله ووقع
عليه أحد العدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به فأزال عن ظهره فقارا فرآه هلال
فضربه ضربة فنفخت مسكا ومضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه واقتحمه
هلال عليه وأخذ برجليه ثم خرج به فضرب جبينه بالسيف حتى قتله ثم ألقاه بين

أرجل البغال ثم صعد السرير وقال قتلت رستم ورب الكعبة الى الى فأطافوا به
وكبر وافنقله سعد سلبه ولم يظفر بقلنسونه ولو ظفر بها لكانت قيمتها مائة ألف
وقيل ان هلالا لما قصد رستم رماه رستم بنشابه أثبت قدمه بالر كاهم عليه هلال
فضر به فقتله ثم احتز رأسه وعلقه ونادى قتلت رستم فانهزم قلب المشركين وقام
الجالينوس على الردم (بالدال) ونادى الفرس الى العبور وكانت الهزيمة عليهم
وأما المقترون فانهم جشعوا فنهافتوا في العتيق فوخزهم المسلمون برماحهم فا
أفلت منهم مخبر وهم ثلاثون ألفا وأخذ ضرار بن الخطاب العلم الا كبر الذي كان
للفرس فعوض عنه ثلاثين ألفا وكانت قيمته ألف ألف ومائتي ألف وقتل من
الفرس في المعركة عشرة آلاف سوى من قتلوا في الايام قبله وقتل من المساميين
قبل ليلة الهرب ألفان وخمسمائة وقتل ليلة الهرب ويوم القادسية ستة آلاف
وجمعت الاسلاب والاموال فجمع شيء لم يجمع قبله ولا بعده مثله وأمر سعد القعقاع
وشرحبيل باتباع المنهزمين حتى بلغا مقدار الحرارة من القادسية وخرج زهرة
ابن الحوية النخعي في آثارهم في ثلثمائة فارس ثم أدركه الناس فلحق المنهزمين
والجالينوس بجمعهم فقتله زهرة وأخذ سلبه وقتلوا ما بين الحرارة الى السلحين
الى النجف وعادوا من أثر المنهزمين ومعهم الأسرى فرؤى شاب من النخع وهو
يسوق ثمانين رجلا أسير من الفرس واستكثر سعد سلب الجالينوس فكتب فيه
الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب عمر الى سعد تهمة مد الى مثل زهرة بن
الحوية وقد صلى بمثل ما صلى به تفسد قلبه وقد بقي عليك من حربك ما بقي أمض له
سلبه وفضله على أصحابه عند عطائه بخمسمائة فلما اتبع المسلمون الفرس كان
الرجل يشير الى الفارس فيأتيه فيقتله وربما أخذ سلاحه فقتله به وربما أمر
رجلين فيقتل أحدهما صاحبه ولحق سلمان بن ربيعة الباهلي وعبد الرحمن بن
ربيعة بطائفة من الفرس قد نصبوا راية وقالوا الانبرح حتى نموت فقتلهم سلمان
ومن معه وكان قد ثبت بعد الهزيمة بضعة وثلاثون كتيبة من الفرس استخيموا من
الفرار فقصدهم بضعة وثلاثون من رؤساء المساميين لكل كتيبة منهارئيس وكان

قتال أهل الكتاب من الفرس على وجهين منهم من هرب ومنهم من ثبت حتى
قتل وكان ممن هرب من أمراء الكتاب الهرمزان ثم تراجع الناس من طلب
المنزعين وقد قتل مؤذنيهم فتشاح المسلمون في الأذان حتى كادوا يقتتلون
وأفرع سعد بنهم فخر ح سهم رجل منهم فأذن وفضل أهل البلاء من أهل
القادسية عند العطاء بخمسمائة خمسمائة وهم خمسة وعشرون رجلا وأما أهل
الأيام قبلها فإنه فرض لهم على ثلاثة آلاف وفضلوا على أهل القادسية فقبل لسعد
لواحقت بهم أهل القادسية فقال لم أكن لألحق بهم من لم يدركهم وقيل له
لو فضلت من بعدت داره على من قاتلهم بفنائهم قال كيف أفضل عليهم وهم شجعن
العدو وهل فعل المهاجرون بالأصهار هذا وكانت العرب تتوقع وقعة العرب وأهل
فارس بالقادسية فيما بين العديب إلى عين أبيين وفيما بين الأبله وإبله يرون أن ثبات
ملكهم وزواله بها وكانت في كل بلدة مصيخة إليها تنظر ما يكون من أمرها فلما
كانت وقعة القادسية سارت بها الجن فأتت بها أناسا من الأنس فسبقت أخبار
الأنس وكتب سعد إلى عمر بالفتح وبعده من قتلوا وبعده من أصيب من المسلمين
وسمى من يعرف مع سعد بن عميلة الفزاري وكان عمر يسأل الركبان من حين
يصبح إلى انتصاف النهار عن أهل القادسية ثم يرجع إلى أهله وينزله قال فلما لقي
البشير سأله من أين فأخبره قال يا عبد الله حدثني قال هزم الله المشركين وعمر يحب
معه يسأله والآخر يخبره وهو يسير على ناقته لا يعرفه حتى دخل المدينة وإذا
الناس يسلمون عليه بأمره المؤمنين قال البشير هلا أخبرتني رحمتك الله أنك أمير
المؤمنين فقال عمر لا بأس عليك يا أخي وأقام المسلمون بالقادسية في انتظار قدوم
البشير وأمر عمر الناس أن يقوموا على أقباضهم ويصلحوا أحوالهم ويتابع
اليهم أهل الشام ممن شهد اليرموك ودمشق بمدين لهم والصحيح أن وقعة القادسية
كانت سنة أربع عشرة كما تقدم وقيل كانت سنة خمسة عشرة وقيل ستة عشرة
والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر الوقائع بعد فتح القادسية الى أن فقت مدائن كسرى ﴾
لما فرغ سعد رضى الله عنه من أمر القادسية أقام بها بعد الفتح شهرين وكاتب عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه فيما يفعل فكتب اليه عمر يأمره بالمسير الى المدائن وأن
يخلف النساء والعيال بالعتيق وأن يجعل معهم جندا كثيفا وان يشركهم في كل
مغنم ماداموا يخلفون المسلمين في عيالتهم ففعل ذلك وسار من القادسية لآيام يقين
من شوال فلما وصلت مقدمة المسلمين برس لقوا جندا من الفرس فقاتلهم
المسلمون فهزم الله الفرس وقتل المسلمون كثيرا منهم وانحاز المنهزمون الى بابل
وكان بها كثير من جندهم وعليهم الفيرزان فقصدهم المسلمون فقاتلوهم وقتلوا
كثيرا منهم وهزموا الباقين فانطلقوا على وجوههم فسار الهرمزان نحو الاهواز
فأخذ ما فيها من الاموال لكسرى وسار الى نهاوند فأخذ ما فيها من الاموال
كلها وكان بها كنوز لكسرى وسار الفخري خان ومهران الرازي الى المدائن
وقطعا الجسر فأقام سعد ببابل وأرسل زهرة بن الحوية الى نهر شير قبالة المدينة
العتيقة من المدائن الغربية فلتقاه دهقان سابط للصلح فأرسله الى سعد فصالحه
على تأدية الجزية فوصل سعد والمسلمون الى نهر شير ليحاصروا المدائن فرأوا
الايوان من بعد فقال ضرار بن الخطاب الله أكبر أبيض كسرى هذا ما وعد الله
ورسوله وكبر الناس معه فكانوا كلما وصلت طائفة كبروا ثم نزلوا على المدينة
محاصرين لها وكان نزولهم عليها في ذي الحجة فحاصروها شهرين ونصبوا عليها
عشرين من جنيتها ودفنوا اليهم بالديارات وأرسل سعد الخيول فاغارت على من ليس
له عهد فأصابوا مائة ألف فلاح فأرسل سعد الى عمر بالخبر فكتب له عمر ان من
من جاءكم من الفلاحين ممن لم يعينوا عليكم فهو في أمان ومن هرب فأدر كتموه
فتأنكم به فيخلى سعد عنهم وأرسل الى الدهاقين ودعاهم الى الاسلام أو الجزية
ولهم الذمة فتراجعوا فلم يسبق في غربى دجلة الى أرض العرب سوادى الا آمن
واغتبط بملك الاسلام واشتد الحصار بأهل المدائن الغربية حتى أكلوا السنابير
والكلاب وصبروا من شدة الحصار على أمر عظيم فينهم يحاصرونهم اذا شرف

عليهم رسول الملك فقال الملك يقول لكم هل لكم الى المصالحة على أن لنا ما يلينا
من دجلة الى جبلنا ولكم ما يليكم من دجلة الى جبلكم وما شبعتم لا أشبع الله
بطونكم فقال له أبو مقرن الاسود مقالة أنطقه الله بها ولا يدري ما قال لهم لا هو
ولا من كان معه فرجع الرجل فقطعوا دجلة الى المدائن الشرقية التي فيها الابوان
فقال لأبي مقرن من كان معه ما قلت له فقال والذي بعث محمد بالحق ما أدري وأنا
أرجو أن أكون نطقت بالذي هو خير وسأله سعد والناس عما قال فلم يعلم فنأدى
سعد في الناس فهضوا اليهم فاظهر على المدينة أحد ولا يخرج رجل الا رجل ينادي
يطلب الامان فأمنوه فقال لهم ما بقي بالمدينة من يمنعكم فدخلوا واوجدوا فيها شياً
ولاً أحدا الأاسارى وذلك الرجل فسأله لآى شئ هربوا فقال بعث الملك اليكم
يعرض عليكم الصلح فأجبتوه أنه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبدا حتى نأكل
عسل افريدون بأترج كوئي فقال الملك يا ويلنا ان الملائكة تتكلم على ألسنتهم
ترد علينا فساروا الى المدينة القصوى فدخل المسامون المدينة الغربية وأنزلهم
سعد المنازل

﴿ ذكر فتح المدائن التي فيها ابوان كسرى ﴾

لمادخل المسامون المدائن الغربية كان البحر بينهم وبين المدائن الشرقية التي
فيها الابوان وليس للساميين سفن يعبرون فيها ورأى سعد رؤيا بأن خيول المساميين
اقتحمت دجلة فعبرت فعزم سعد لتأويل الرؤيا فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه
ثم قال ان عدوكم قد اعتصم بهذا البحر فلا تخلصون اليهم معه ويخلصون اليكم
اذا شاؤا في سفنهم فيناوشونكم وليس وراءكم شئ تخافون أن تؤثروا منه قد كفاكم
أهل الايام وعظماؤا تغورهم وقد رأيت من رأى أن تجاهدوا العدو قبل أن
تحصدكم الدنيا الا أنى قد عزمتم على قطع هذا البحر اليهم فقالوا جميعا عزم الله لنا
ولك على الرشد فافعل فتدب الناس الى العبور وقال من يبدأ ويحمى لنا الفراض
(وهى فريضة النهر ومن البحر محيط السفن) حتى تتلاحق به الناس لسكى
لا يمنعوهم من العبور فانتدب له عاصم بن عمرو وذوو البأس في ستائة من أهل
النجادات فاستعمل عليهم عاصم ما تقدمهم عاصم في ستين فارسا وجعلهم على خيل

ذكور واناث ليكون أساسا لسباحة الخيل ثم اقتصموا دجلة فلما رآهم الاعاجم
وما صنعوا أخرجوا للخيل التي تقدمت مثلها فاقتصموا عليها دجلة فلقوا عاصما
وقد دنا من الفراض فقال عاصم الرماح الرماح اشرعوا وتوخوا العيون
فالتقوا فأطعنوا وتوخى المسلمون عيونهم فولوا ولحقهم المسلمون فقتلوا
أكثرهم ومن نجا منهم صار أعور من الطعن وتلاقوا الستائة بالستين غير متعبين
ولما رأى سعد عاصم على الفراض قدمها أذن للناس في الاقتحام وقال قولوا
نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه
وليطهرن دينه وليهزمن عدوه ولا قوة الا بالله العلي العظيم وتلاحق الناس في
دجلة وأهم يتعدون كما يتعدون في البر وطبقوا دجلة حتى ما يرى من الشاطئ
شيء وكان الذي يسار سعدا سلمان الفارسي رضي الله عنهما فغابت بهم خيولهم
وسعد يقول حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليطهرن دينه
وليهزمن عدوه ان لم يكن في الجيش بغى أو ذنوب تغلب الحسنات فقال له سلمان
الاسلام جديد ذلت لهم البحور كما ذلت لهم البر أما والذي نفس سلمان بيده
ليخرجن منه أفواجا كما دخل فيه أفواجا فخرجوا منه كما قال سلمان لم يفقدوا شيئا
الا أن مالك بن عامر العنبري سقط منه قدح فذهبت به جربة الماء فقال الذي يساره
معيرا له أصابه القدر فطاح فقال والله اني لعلى حالة ما كان الله ليسلبنى قدحى من
بين العسكر فلما عبروا ألقته الريح الى الشاطئ فتناولوه بعض الناس وعرفه
صاحبه فأخذه صاحبه ولم يغرق منهم أحد غير أن رجلا من بارقي بدعي عرفه زال
عن ظهر فرس له أشقر وكاد يغرق فثنى القعقاع عنان فرسه اليه فأخذه بيده
فأخرجه سالما وخرج الناس سالمين وخيلهم تنفض أعرافها فلما رأى الفرس
ذلك وأناهم أمر لم يكن في حسابهم خرجوا هار بين نحو حلوان وكان يزدجرد قد
قدم عياله الى حلوان قبل ذلك وخلف مهران والنخیر خان وكان على بيت المال
بالنهران وخرجوا معهم بما قدروا عليه من الثياب والمتاع والآنية والفصوص
والألطاف ما لا بدري قيمته وخلفوا ما كانوا أعدوا للحصار من البقر والغنم

والأطعمة وكان في بيت المال ثلاثة آلاف ألف ثلاث مرات أخذ منها
مرستم عند مسيره الى القادسية النصف وبقى النصف ولما دخلوا المدائن نزل سعد
القصر الابيض وجاء جماعة من الفرس وعقدوا ذمة على تأدية الجزية وبعث سعد
جماعة الى الاطراف من كل جهة يغيرون ويؤمنون من أراد الامان واتخذ سعد
ايوان كسرى مصلى ولم يغير ما فيها ولما دخل سعد الايوان قال كم تركوا من جنات
وعيون الى قوله قوما آخرين وصلى فيه صلاة الفتح ثمان ركعات ولم يكن بالمدائن
أعجب من عبور الماء وكان يدعى يوم الجراثيم لا يعيا أحد الا انه خرت له جرثومة
من الارض يستريح عليها الماء يبلغ الماء حزام فرسه

﴿ ذكر ما جمع من غنائم أهل المدائن وقسمتها ﴾

اجتمع عند سعد بعد دخوله المدائن من الغنائم والاموال ما لا يحصى ورأوا بالمدائن
قبابا مملوءة سلا لا تختومة برصاص فحسبوه طعاما فاذا فيه آنية الذهب والفضة
وكان الرجل يطوف ليبيع الذهب بالفضة مائتين ورأوا كافورا كثيرا فحسبوه
ملحافا فجنوا به فوجدوه مرا وأدرك الطلب مع زهرة جماعة من الفرس على
جسر الهروان فازدحموا عليه فوقع منهم بغل في الماء فعبجوا وكبوا عليه فقال
بعض المسلمين ان لهذا البغل لشأنا فجالدهم المسلمون عليه حتى أخذوه واذا هو
محمل عليه حلية كسرى ووشاحه ودرعه التي فيها الجوهر وكان يجلس فيها
للباهة ولحق الكاح بغلين معه فارسا فقتلها وأخذ البغلين فاذا عليهم ما
سقطان فيهما ناج كسرى مرصعا وعلى البغل الآخر سقطان فيهما ثياب كسرى
التي كان يلبس من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجواهر وغير الديباج
منسوجا منظوما وأدرك القعقاع فارسا فقتله وأخذ منه عيبتين في احداهما خمسة
أسياف وفي الأخرى ستة أسياف وأدراع منها درع كسرى ومغافره ودرع هرقل
ودرع خاقان ملك الترك ودرع النعمان ودرع داهر ملك الهند استلبها الفرس أيام
غزاهم خاقان وهرقل وداهر وأيام هرب النعمان من كسرى وكذا الاسياف
فأحضر القعقاع الجميع عند سعد فغيره بين الاسياف فاختر سيف هرقل وأعطاه

درعهم ورام ونفل سائرهما الاسيف كسرى والنعمان بعث بهما الى عمر بن الخطاب
لتسمع العرب بذلك وبعثوا بتاج كسرى وحبليته وثيابه الى عمر ليراه المسلمون
وأدرك عصمة بن خالد الضبي رجلين معهما جماران فقتل أحدهما وهرب الآخر
وأخذ الجمار بن فاذا على أحدهما سفظان في أحدهما فرس من ذهب بسرج من
فضة وعلى نقره ولبانه الياقوت والزمر والمنظوم على الفضة ولجام كذلك وفارس
من فضة مكال بالجواهر وفي الآخر ناقة من فضة عليها شليل من ذهب وبطان من
ذهب ولها زمام من ذهب وكل ذلك منظوم بالياقوت وعليها رجل من ذهب
مكال بالجواهر كان كسرى يضعهما على اسطوانة التاج وأقبل رجل بحق الى
صاحب الاقباض فقال هو والذي معه ما رأينا مثل هذا ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه
فقالوا هل أخذت منه شيئا فقال والله لولا الله ما أتيتكم به فقالوا من أنت فقال والله
لا أخبركم فتصمدوني ولكن أحمد الله وأرضى بشوابه فأتبعوه رجلا فسأل عنه فاذا
هو عامر بن عبد قيس وقال سعد والله ان الجيش لذو أمانة ولولا ما سبق لاهل بدر
لقلت انهم على فضل اهل بدر لقد تتبععت منهم هناة ما أحسبها من هؤلاء وقال جابر
ابن عبد الله رضى الله عنهما والله الذي لا اله الا هو ما اطلعنا على أحد من اهل
القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة فلقد اتهمنا ثلاثة نفر فإرأينا كما ماتتهم وهم
طلحة وعمر وبن معدى كرب وقيس بن المكشوح وقال عمر رضى الله عنه لما قدم
عليه بسيف كسرى ومنطقته وزبرجده ان قوما أذوا هذ الذو وأمانة فقال على
رضى الله عنه انك عفتت فعتت الرعية فلما جمعت الغنائم قسم سعد الفى بين
الناس بعدما حسبه وكانوا ستين ألفا فأصاب الفارس اثنا عشر ألفا وكلهم كان
فارسا ليس فيهم راجل ونفل من الاخماس فى أهل البلاء وقسم المنازل بين الناس
واحضر العيالات فأنزلهم الدور فأقاموا بالمداين حتى فرغوا من جلولاء وحلوان
وتكريت والموصل ثم تحولوا الى الكوفة وأرسل سعد من الخمس كل شئ أراد
أن يعجب منه العرب وما كان يعجبهم أن يقع وكان من جملة ما غنوه بساط
كسرى ويقال له القطيف وهو من أعجب ما كان للملك الفرس وهو بساط واحد

طوله ستون ذراعا وعرضه ستون ذراعا كانت الاكاسرة تعده للشتاء اذا
ذهبت الرياحين شر بواعليه فكأنهم في رياض فيه طرق كالصور وفيه
فصوص كالانهار أرضها مذهبة وخلاف ذلك فصوص كالدر وفي حافته
كالأرض المزروعة والأرض المبجلة بالنبات في الربيع والورق من الحر ير على
قضبان الذهب وزهره الذهب والفضة وثمره الجوهر وأشباه ذلك وأراد سعد
اخراج خمس القطيف فلم يعتدل قسمته فقال للمسلمين هل تطيب أنفسكم على
أربعة أخماسه فنبعت به الى عمر يضعه حيث يشاء فانالانراهم ينقسم وهو يتناقليل
وهو يقع من أهل المدينة موقعا فقالوا نعم فبعث به الى عمر فلما قدم خمس الغنائم
على عمر رضي الله عنه قسمه في مواضع ثم قال أشير واعلى في هذا القطيف فن
بين مشير بابقائه ذخيرة للملأه وآخر مفوض اليه فأشار على رضي الله عنه بقسمته
بين المسلمين وقال ان تبقيه على هذا اليوم لم تعدم في غد من يستحق به ما ليس له
فقال صدقتني اذنصحتني فقطعه بينهم فأصاب عليا قطعة منه قال ابن الاثير فباعها
بعشرين ألفا وفي السيرة الحلبية بعشرين ألف دينار وكان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لسراقة بن مالك الكناني حين أراد التعرض للنبي صلى الله عليه وسلم
وهو مهاجر الى المدينة كيف بك اذا لبست سوارى كسرى ومنطقته وتواجه فلما
أتى بذلك كله لعمر بن الخطاب مع جملة ما أتى به من خمس الغنائم دعاسراقة بن
مالك وألبسه اياهما وكان سراقة رجلا أزب أي كثير شعر الساعد بن فقال عمر ارفع
يديك وقل الله أكبر الحمد لله الذي سلهما كسرى بن هرمز الذي كان يقول أنا
رب الناس وألبسهما سراقة رجلا أعراييا من مدج ورفع عمر صوته ثم أركب
سراقة وطيف به في المدينة اظهار المعجزة النبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبر
بذلك قبل وقوعه ولم يأخذ عمر رضي الله عنه شيئا من تلك الغنائم التي قسمها بين
الناس وكان يقرأ قوله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية ويقول اللهم انه
لا طاقة لنا أن نحب الا ما زينته فوفقني أن أنفقه في حقه وكان رضي الله عنه يبكي
ويقول ان الله زوى الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه وقتعها الى فأخاف

أن أكون مستدرجا وروى البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق أن عمر رضي
الله عنه قال اللهم اننا نستطيع الآن نفرح بما زينته لنا اللهم اني أسألك أن أنفقه
في حقه ورواه الدارقطني بأبسط من هذا فقال ان عمر بن الخطاب أتى بمال من
المشرق يقال له نفل كسرى فأمر به فصب وغطى ثم دعا الناس فاجتمعوا ثم أمر
به فكشف عنه فاذا هو حلي وجواهر ومتاع فبكى عمر رضي الله عنه وحمد الله
عز وجل فقالوا له ما يبكيك يا أمير المؤمنين هذه غنائم غنمها الله لنا ونزعها من أهلها
فقال ما فتح الله من هذا على قوم الاسفكوا دماءهم واستحلوا حرمهم قال زيد بن أسلم
فبقي من ذلك المال مناطق وخواتم فرفع فقال عبد الله بن أرقم لعمر رضي الله عنه
حتى تى نجسه لا تقسمه فقال اذا رأيتني فارغا فادنى به فلما آراه فارغا بسط شيئا في
حش نخله ثم جاء به في مكنل فصب فكأنه استكثره ثم قال اللهم أنت قلت زين
للناس حب الشهوات فتسلا الآية حتى فرغ منها ثم قال لانستطيع الا أن نحب ما
زينت لنا فقتنى شره وارزقني أن أنفقه في حقه فاقام حتى ما بقي منه شيء

﴿ ذكر وقعة جلولاء وفتح حلوان في سنة ست عشرة أيضا ﴾

لما انتهى الفرس الى جلولاء بعد الهرب من المدائن احتفروا خندقا واجتمعوا على
مهران الرازي وتقدم يزدجرد الى حلوان وأحاطوا بخندقهم بحسك الحديد
الاطرفهم فبلغ ذلك سعدا فأرسل الى عمر فكتب اليه عمر أن سرح هاشم بن عتبة
الى جلولاء واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو وان هزم الله الفرس فاجعل
القعقاع بين السواد والجبل وليكن الجندي اثني عشر ألفا فيهم وجوه المهاجرين
والانصار وأعلام العرب ففعل ذلك سعد وسار هاشم من المدائن فر ببايل فصالحه
دهقانها على أن يفرش له جريب الارض دراهم ففعل وصالحه ثم مضى حتى قدم
جلولاء فحاصره في خنادقهم وأحاط بهم وطاولهم الفرس وجعلوا لا يخرجون
الا إذا أرادوا زاحفهم المسلمون نحو ثمانين يوما كل ذلك ينصر المسلمون عليهم
وجعلت الامداد ترد من يزدجرد الى مهران وامد سعد المسلمين وخرجت الفرس
وقد اختلفوا فاقتتلوا فأرسل الله عليهم الريح حتى أظلمت عليهم البلاد فتعاجزوا

فسقط فرسانهم في الخندق فجعلوا فيه طرقا مما يليهم ليصعد منه خيلهم فأفسدوا
حصنهم وبلغ ذلك المسلمين فنهضوا اليهم وقاتلوهم قتالا شديدا لم يبقتمسوا مثله
ولا ليلة الهرب الا أنه كان أعجل وانتهى القعقاع بن عمرو من الوجه الذي زحف
فيه الى باب خندقهم فأخذه وأمر مناديا فنادى يا معشر المسلمين هذا أميركم قد
دخل الخندق وأخذه فاقبلوا اليه ولا يمنعكم من بينكم وبينه من دخوله وانما أمر
بذلك ليقوى المسلمين فحملوا ولا يشكون بأن هاشميا في الخندق فاذا هم بالقعقاع
ابن عمرو وقد أخذه فانهمز المشركون عن المجال يمنة ويسرة فهلكوا فيما أعدوا
من الحسك فعمرت دوابهم وعادوا رجاله واتبعهم المسلمون فلم يفلت منهم الا
القليل وقتل يومئذ منهم مائة ألف فجالت القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه
فسميت جلولا بما جلاها من قتلهم فهي جلولا الواقعة فسار القعقاع بن عمرو في
الطلب حتى بلغ خانقين ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حلوان نحو الرى وقدم
القعقاع حلوان فتنزلها في جنس ولما سار يزدجرد من حلوان استخلف عليها
خسر سنوم وكان الزينبي دهقان حلوان فلما قرب القعقاع من حلوان خرج عليه
خسر سنوم والزينبي بمن معه فقتل الزينبي وهرب خسر سنوم واستولى
المسلمون على حلوان وبقى القعقاع بها الى أن تحول سعد الى الكوفة فلحقه
القعقاع واستخلف على حلوان قباد وكان أصله خراسانيا وكتبوا الى عمر بالفتح
و بنزول القعقاع حلوان واستأذنه في اتباعهم فأبى وقال لو ددت ان بين السواد
وبين الجبل سدا لا يخلصون اليه ولا يخلص اليهم حسبنا من الريف السوادانى
آثرت سلامة المسلمين على الانفال وأدرك القعقاع في اتباعه الفرس مهران
بخانقين فقتله وأدرك الفيرزان فنزل وتوغل في الجبل فتصاحى وأصاب القعقاع
سبايا فأرسلهن الى هاشم فقسمهن فاتخذن سرارى فولدن ومن ينسب الى ذلك
السبي أم الشعبي وقسمت الغنمة وأصاب كل واحد من الفوارس تسعة آلاف
وتسعة من الدواب وقيل ان الغنمة كانت ثلاثين ألفا وبعث سعد الاخماس
الى عمر رضى الله عنه بعد أن قسم الاربعة الاخماس على الغانمين فلما قدم الخس

على عمر رضى الله عنه قال والله لا يجنبه سقف حتى أقسمه فبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن الأرقم بحرسانه في المسجد فلما أصبح جاء في الناس فكشف عنه فلما نظر الى ياقوته ووزر جده وجواهره بكى فقال له عبد الرحمن بن عوف ما يبكيك يا أمير المؤمنين فوالله ان هذا الموطن شكر فقال عمر والله ما ذلك يبكينى وبالله ما أعطى الله هذا قوم الا تحاسدوا وتباغضوا ولا تحاسدوا الا لى الله بأسهم بينهم ومنع عمر من قسمة السواد لانه قد ذلك بسبب الآجام والغياض وتبعيض المياه وما كان لبيوت النار وسكك البرد وما كان لكسرى ومن جاء معه وما كان لمن قتل وخاف أيضا الفتنة بين المسامين فلم يقسمه ومنع من بيعه لأنه لم يقسم وأقروها حبسا بولونهما من أجمعوا عليه بالرضا وكانوا لا يجمعون الا على الأمر فلا يحل بيع شئ من أرض السواد ما بين حلوان والقادسية واشترى جرير أرضا على شاطئ الفرات فرد عمر ذلك الشراء وكرهه

﴿ ذكر اتخاذ البصرة والكوفة مصر من الأمصار ﴾

اختلف في السنة التي اتخذت البصرة فيها مصرا فقبل سنة ست عشرة بعد فتح جلولاء أرسل سعد عتبة بن غزوان رضى الله عنه بأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاتخذها مصرا وخرج عليه أهل الابله فقاتلهم عتبة فهزمهم واجتمع أهل دستيسان فقتلهم عتبة فهزمهم وأخذهم زبانا أسيرا وكان من سبي ميسان يسار أبو الحسن البصرى وارطبان جد عبد الله بن عون بن ارطبان وقيل ان اتخاذ عتبة البصرة مصرا كان في سنة أربع عشرة وقيل خمس عشرة وأما الكوفة فاتخذها سعد مصرا سنة خمس عشرة دلم على موضعها بن بقبله قال لسعد الا أدلك على أرض الله ارتفعت عن القبة وانحدرت عن الفلاة فدلته على موضعها فتحول سعد من المدائن اليها وسبب ذلك ان العرب استوخت المدائن وبعث سعد أناسا يستطيبن لهم أرضا ينزلونها فاستطابوا الكوفة وهواءها فتحول اليها سعد ومن معه سنة سبع عشرة

﴿ ذكر فتح تكريت والموصل في سنة ست عشرة أيضا ﴾

كان ذلك بعد فتح جلولاء وسبب ذلك أن الانطاق سار من الموصل الى تكريت (٨ - الفتوحات الاسلامية - ل)

وخذق عليه ليصمى أرضه ومعه الروم وايدوتغلب والنمر والشهارجة فبلغ ذلك
سعدا فكتب الى عمر فكتب اليه عمر أن سرح اليه عبد الله بن المعتم واستعمل
علي مقدمته ربي بن الافكل وعلي الخليل عرفجة بن هرثمة فسار عبد الله الى
تكريت ونزل على الأنطاق فحصره ومن معه أربعين يوما فتراحقوا أربعة
وعشرين زحفا وأرسل عبد الله بن المعتم الى العرب الذين مع الانطاق يدعوهم
الى نصرته وكانوا لا يخفون عليه شيئا ولما رأته الروم المسلمين ظاهرين عليهم
تركوا أمرهم ونقلوا متاعهم الى السفن فأرسلت تغلب وايدو والنمر الى عبد الله
بالخبر وسألوه الامان وأعلموه أنهم معه فأرسل اليهم ان كنتم صادقين فأسلموا
فأجابوه وأسلموا فأرسل اليهم عبد الله اذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا اننا أخذنا أبواب
الخذق فخذوا الأبواب التي تلي دجلة وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه ونهض
عبد الله والمسلمون وكبروا وكبرت تغلب وايدو والنمر وأخذوا الأبواب فظن الروم
ان المسلمين قد أتوهم من خلفهم مما يلي دجلة فقصدوا الأبواب التي عليها المسلمون
وأخذتهم سيوف المسلمين وسيوف الربعيين الذين أسلموا تلك الليلة فلم يفلت
من أهل الخندق الا من أسلم من تغلب وايدو والنمر وأرسل عبد الله بن المعتم ربي بن
الافكل الى نينوى والموصل وقال اسبق الخبر وسرح معه تغلب وايدو
والنمر فقدمهم ابن الافكل الى الحصين فسبقوا الخبر وأظهروا الظفر والغنمية
وبشروهم ووقفوا بالأبواب وأقبل ابن الافكل فاقتحم عليهم الحصين وكتبوا
أبوابها فنادوا بالاجابة الى الصلح وصاروا ذمة وقسموا الغنمية فكان سهم
الفارس ثلاثة آلاف درهم وسهم الراجل ألف درهم وبعثوا بالأناس الى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وولى حرب الموصل ربي بن الافكل والخراج عرفجة بن
هرثمة ثم فتحت بقية أعمال الموصل وجميع معاقل الأكراد وصار الجميع للمسلمين
﴿ ذكر فتح ماسبذان في سنة ست عشرة أيضا ﴾

لما انقضى فتح جلولا بلغ سعدا ان آذين بن هرمران قد جمع جمعا وخرج بهم الى
السهل فأرسل اليهم ضرار بن الخطاب في جيش فالتقوا بسهل ماسبذان فاقتتلوا

فأسرع المسلمون القتال في المشركين وأخذ ضرار آذين أسيرا فضرب رقبتة ثم
خرج في الطلب حتى انتهى إلى السير وان فأخذ ماسبندان عنوة فهرب أهلها
في الجبال فدعاهم فاستجابوا له وأقاموا بها حتى تحول سعد إلى الكوفة فأرسل إليه
فنزّل الكوفة واستخلف على ماسبندان ابن الهذيل الأسدي فكانت أحد فروح
الكوفة ﴿ ذكر فتح قريسا في سنة عشرة أيضا ﴾

لما انقضى أيضا فتح جلولاء أرسل سعد عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف
في جند نحو هيت فنزل من بها وقد خندقوا عليهم فلما رأى اعتصامهم بخندقهم
ترك الاخبية على حالها وخلف عليهم الحارث بن يزيد بحاصرهم وخرج في نصف
الناس فجاء قريسا على غرة فأخذها عنوة فأجابوا إلى الجزية ثم إن الحارث
ابن يزيد أرسل أهل هيت فأجابوا إلى الجزية وكانت ثغور الكوفة أربعة حلوان
وعليها القعقاع وماسبندان وعليها ضرار بن الخطاب وقريسا وعليها عمر بن مالك
والموصل وعليها عبد الله بن المعتم وكان بها خلفاؤهم إذا غابوا عنها

﴿ ذكر غزوة فارس من البحرين في سنة سبع عشرة ﴾

لما كان العلاء الحضرمي على البحرين في خلافة أبي بكر ثم في خلافة عمر رضي
الله عنهما ندب الناس لغزو فارس في البحر وقد كان عمر نهاء عن الغزو في البحر
خوف الغرق فخالفه وندب الناس إلى قتال فارس فأجابوه ففرقهم أجنادا على
أحدها الجارود بن المعلى وعلي الآخر سوار بن همام وعلي الآخر خليلد بن المنذر
ابن ساوي وخليد علي جميع الناس وحملهم في البحر إلى فارس بغير إذن عمر فعبرت
الجنود من البحرين إلى فارس فخرجوا إلى اصطخر وبازاتهم أهل فارس وعليهم
أهرا بن ذقانلوهم قتالا شديدا يمكن يدعي طاوس فقتل سوار والجارود وقتل من
أهل فارس مقتلة عظيمة ثم أراد المسلمون الرجوع إلى البصرة فلم يجدوا إلى
الرجوع سبيلا وأخذت القرس منهم طرفهم فعسكروا وامتنعوا ولما بلغ عمر رضي
الله عنه صنيع العلاء أرسل إلى عتبة بن غزوان يأمره بانفاذ جنود كثيف إلى
المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا وقال فاني ألقى في روعي كذا وكذا نحو الذي كان

فأرسل عتبة جيشا كثيرا اثني عشر ألف مقاتل وعليهم أبو سبرة بن أبي رهم أحد
بنى عامر بن لؤي فسار بالناس على الساحل لا يعرض له أحد حتى التقى أبو سبرة
وخليد وكان أهل اصطخر حيث أخذوا الطريق على المسلمين جمعوا أهل
فارس اليهم من كل وجهة فالتقواهم وأبو سبرة بعد طاوس وقد توافقت إلى المسلمين
أمدادهم فاقتتلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركين وأصاب المسلمون منهم
مأشأوا وهي الغزوة التي شرفت بها نابتة البصرة وكانوا أفضل نوابت الامصار
ثم انكفوا بما أصابوا فرجعوا إلى البصرة سالمين

﴿ ذكر الخبر عن فتح الاهواز ومانذر ونهر تيرى ﴾

في سنة سبع عشرة فتحت الاهواز ومانذر ونهر تيرى وقيل سنة عشرين
وكان السبب في هذا الفتح انه لما انهزم الهرمزان يوم القادسية وهو أحد
البيوتات السبعة في أهل فارس قصد خوزستان فلحقها وقاتل بها من أرادهم
فكان الهرمزان يغير على أهل ميسان ودستقيسان من مانذر ونهر تيرى فاستمد
عتبة بن غزوان ساعدا فأمدته بجيوش والتقواهم والهرمزان بين نهر تيرى وبين
دلب وتوجه بعض جيوشهم لاخذ مانذر ونهر تيرى فبينما الهرمزان يقاتل الذين
التقى معهم جاءه الخبر بأخذ مانذر ونهر تيرى فسكس ذلك قلب الهرمزان ومن
معه فهزمه الله واياهم وقتل المسلمون منهم مأشأوا وأصابوا مأشأوا واتبعوهم حتى
وقفوا على شاطئ دجيل وأخذوا مادونه وعسكروا بجبال سوق الاهواز وعبر
الهرمزان جسر سوق الاهواز وأقام وصار دجيل بين الهرمزان والمسلمين فلما
رأى الهرمزان ما لا طاقة له به طلب الصلح فاستأمر واعتبته فأجاب إلى ذلك على
الاهواز كلها ما خلا نهر تيرى ومانذر وما غلب المسلمون عليه من سوق الاهواز
فانه لا يرد عليهم ثم وقع اختلاف بين المسلمين والهرمزان في حدود الارض
فغار بهم الهرمزان ومنع ما قبله واستعان بالاكراد فكتب عتبة بذلك إلى عمر
فكتب إليه عمر يأمره بقصدته وأمدته بجندته فالتقوا مع الهرمزان عند جسر
سوق الاهواز مما يلي السوق فانهزم الهرمزان وسار إلى رامهرمز وفتح المسلمون

سوق الاهواز وانتسعت لهم البلاد الى تستر ثم لم يزل القتال بينهم وبين الهرمزان الى ان طلب الصلح فأجاب عمر الى ذلك وأن يكون ما أخذه المسلمون بأيديهم واصطلحوا على ذلك وأقام الهرمزان والمسلمون بمنعونه اذا قصدوا الا كراد ويجبي اليهم ﴿ ذكر فتح رامهرمز وتستر وأسر الهرمزان ﴾

كان فتح رامهرمز وتستر والسوس في سنة سبع عشرة وكان سبب فتحها أن يزدجرد لم يزل وهو بمرو ويشير أهل فارس أسفا على ما خرج من ملكهم فحزروا وتكاتبواهم وأهل الاهواز وتعاقدوا على النصر فكتب الامراء بذلك الى سعد فكتب الى عمر فكتب اليه عمر أن ابعث الى الاهواز جندا كثيفا مع النعمان بن مقرن وعجل ولينزلوا بازاء الهرمزان ويتحققوا أمره وكتب الى أبي موسى الأشعري وكان على البصرة أن ابعث الى الاهواز جندا كثيفا وأمر عليهم سعد ابن عدى أخا سهيل وابعث معه البراء بن مالك ومجزة بن ثور وعرفجة بن هرثمة وغيرهم وعلى أهل الكوفة والبصرة جميعا أبا سبرة بن أبي رهم فخرج النعمان بن مقرن في أهل الكوفة فسار الى الاهواز وسار نحو الهرمزان وهو برامهرمز فلما سمع الهرمزان بمسير النعمان اليه بادره بالشدة ورجا أن يقتطفه ومعه أهل فارس فالتقى النعمان والهرمزان باريك فاقتلوا قتالا شديدا ثم ان الله عز وجل هزم الهرمزان فترك رامهرمز ولحق بتستر وسار النعمان الى رامهرمز ونزلها ووضعها الى ابدج فصالحه تير و به على ابدج ورجع الى رامهرمز فأقام بها ووصل أهل البصرة فنزلوا سوق الاهواز وهم يريدون رامهرمز فأتاهم خبر الواقعة وهم بسوق الاهواز وأتاهم الخبر أن الهرمزان نزل بتستر فساروا نحوه وسار أيضا النعمان وغيره من الامراء فاجتمعوا على تستر وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس والجيل والاهواز وعليهم الخنادق وأمد عمر المسلمين أيضا بأبي موسى وجعله على أهل البصرة وعلى الجميع أبا سبرة فحاصروهم أشهر وأكثروا فيهم القتل وزاحفهم المشركون أيام تستر ثمانين زحفا يكون لهم مرة وعليهم مرة فلما كان في آخر زحف منها واشتد القتال قال المسلمون للبراء بن مالك وهو أخو أنس

ابن مالك رضى الله عنهما يابرا اقسام على ربك اهزم منهم وكان مجاب الدعوة فقال
اللهم اهزمهم لنا واستشهدنى فهزمهم حتى ادخلوهم خنادقهم ثم اقتحموها
عليهم ثم دخلوا مدينتهم واحاط بها المسلمون فيبيناهم على ذلك وقد ضاقت المدينة
بهم وطالت حربهم خرج رجل الى النعمان يستأمنه على أن يبدله على مدخل
يدخلون منه ورمى في ناحية أبي موسى بسهم ان أمنتونى ذلكم على مكان تأتون
المدينة منه فأمنوه في نشابة فرمى اليهم بأخرى وقال انهضوا من قبل مخرج الماء
فانكم تقتحمونها فندب الناس اليه فانتدب له عامر بن قيس وبشر كثير ونهضوا
لذلك المكان ليلا وقد ندب النعمان أحجابه ليسير وامن الرجل الذي بدلهم على
المدخل الى المدينة فانتدب له بشر كثير فالتقواهم وأهل البصرة على ذلك المخرج
فدخلوا في السرب والناس من خارج فلما دخلوا المدينة كبر وفيها وكبر المسلمون
من خارج وقصت الابواب فاجتلدوا فيها فأناموا كل مقاتل وقصد الهرمزان القلعة
فحصن بها وأطاف به الذين دخلوا فنزل اليهم على حكم عمر فأوثقوه واقتسموا
ما أفاء الله عليهم فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف وسهم الراجل ألفا وجاء صاحب
الرمية والرجل الذي خرج بنفسه فأمنوهما ومن أغلق بابه معهما وقتل من
المسلمين بشر كثير ومن قتله الهرمزان بنفسه مجزاة بن ثور والبراء بن مالك
وخرج أبو سبرة بنفسه في أثر المهزمين الى السوس ونزل عليها ومعه النعمان بن
مقرن وأبو موسى وكتبوا الى عمر فكتب الى أبي موسى يرده الى البصرة
فانصرف اليها من السوس وسار زر بن عبد الله اللقيمي الى جنديسابور فنزل
اليها وأرسل أبو سبرة وقد االى عمر بن الخطاب فيهم أنس بن مالك والاحنف بن
قيس ومعهم الهرمزان فقدموا به المدينة وألبسوه كسوته من الديباج الذي فيه
الذهب وناجه وكان مكلا بالياقوت وألبسوه حليته ليراه عمر والمسلمون فطلبوا
عمر فلم يجدوه فسألوا عنه فقبل جلس في المسجد لو فدمن الكوفة فوجدوه في
المسجد متوسدا برنسه وكان قد ايسه للوفد فلما قاموا عنه توسده ونام فجلسوا دونه
وهونائم والدررة في يده فقال الهرمزان أين عمر قالوا هو ذا فقال أين حرسه

وحجابه قالوا ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب قال فينبغي أن يكون نبيا قالوا
بل يعمل بعمل الانبياء فاستيقظ عمر بجلبة الناس فاستوى جالسا ثم نظر الى
الهرمزان فقال الهرمزان قالوا نعم فقال الحمد لله الذي أدل بالاسلام هذا وغير
أشباهه فأمر بنزع ما عليه فترعوه وألبسوه ثوبا صفيقا فقال له عمر يا هرمزان
كيف رأيت عاقبة الغدر وعاقبة أمر الله فقال يا عمر إنا وإياكم في الجاهلية كان
الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم فلما كان الآن معكم غلبتمونا ثم قال له ما حاجتك
وما عذرک في انتقاصك مرة بعد أخرى فقال أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك قال
لا تخف ذلك واستسقي ماء فأنى به في قدح غليظ فقال لو مت عطشالم أستطع أن
أشرب في مثل هذا فأنى به في إناء برضاه فقال انى أخاف أن أقتل وأنا أشرب فقال
عمر لا بأس عليك حتى تشرب به فأكفاه فقال عمر أعيدوا عليه ولا تجتمعوا بين
القتل والعطش فقال لا حاجة لى في الماء انما أردت أن أستأمن به فقال له عمر انى
قاتلك فقال قد أمنتنى فقال كذبت قال أنس صدق يا أمير المؤمنين قد أمنتته قال عمر
يا أنس أنا أو من قاتل مجزأة بن نور والبراء بن مالك والله لتأتين بمخرج أو
لأعاقبتك قال انك يا أمير المؤمنين قلت له لا بأس عليك حتى نخبرنى ولا بأس عليك
حتى تشرب به وقال لعمر من حوله مثل ما قال أنس فأقبل على الهرمزان وقال
خدعتنى والله لا أنخذع الا أن تسلم فأسلم ففرض له فمين فرض لهم ألفين وأنزله
المدينة وكان المترجم بينهما المغيرة بن شعبة لانه كان يفقه بالفارسية الى أن جاء
المترجم

ذكر فتح السوس

لما نزل أبو سبرة على السوس كان بها شهر يار أخو الهرمزان فأحاط المسلمون بها
وناوشوهم القتال مرات وحاصروهم ثم اقتحموا الباب ودخلوا عليهم فألقى
المشركون بأيديهم ونادوا الصلح الصلح فلجأهم الى ذلك المسلمون بعدما دخلوها
عنوة واقتسموا ما أصابوا وقيل في فتح السوس ان يزيد جردسار بعد وقعة جلولاء
قتل اصطخر ومعه سياه في سبعين من عظام الفرس فوجهه الى السوس
والهرمزان الى تستر ونزل سياه بين رامهرمز وتستر ودعا من معه من عظام

الفرس وقال لهم قد علمتم أنا كنا نتحدث ان هؤلاء القوم سيغلبون على هذه
المملكة وتروث دوابهم في ابوانات اصطيخرو يشدون خيولهم في شجرها وقد
غلبوا على مارايتهم فانظروا لانفسكم فقالوا راينا رايتك قال اري ان ندخلوا في
دينهم ووجهوا شير و به في عشرة من الاساورة الى ابي موسى فشرط عليهم ان
يقاتلوا معه العجم ولا يقاتلوا العرب وان قاتلهم احد من العرب منعهم منهم و ينزلوا
حيث شاؤوا يلحقوا باشراف العطاء ويعقد لهم ذلك عمر على ان يسلموا فاعطاهم
عمر ما سألوا فاساموا وشهدوا مع المسلمين حصار تستر ومضى سياه الى حصن قد
حاصره المسلمون في زى العجم فالقى نفسه الى جانب الحصن ونضح ثيابه بالدم
فراه اهل الحصن صر يعافظنوه رجلا منهم ففتحوا له باب الحصن ليدخلوه اليهم
فوثب وقاتلهم حتى خلوا عن الحصن وهربوا فلكه

﴿ ذكر مصالحة جندي سابور ﴾

ثم سار بعض المسلمين عن السوس فنزل بجندي سابور وزير بن عبد الله محاصرهم
فأقاموا عليها يقاتلونهم فرمى الى من بهامن عسكر المسلمين بالأمان فلم يفجأ
المسلمين الا وقد فتحت ابوابها واخرجوا أسواقهم فسألتهم المسلمون فقالوا ربيتم
لنا بالأمان فقبلناه وأقررنا بالجزية فقال المسلمون ما فعلنا وسأل المسلمون بعضهم
من فعل ذلك فاذا هو عبد يدعى مكثفا كان أصله منها فعل هذا فقالوا هو عبد فقال
أهلها لانعرف العبد من الحر وقد قبلنا الجزية وما بد لنا فان شئتم فاعيدوا
فكتبوا الى عمر فأجاز أمانهم فأمنوهم وانصرفوا عنهم

﴿ ذكر مسير المسلمين الى كرمان وغيرها ﴾

قيل في سنة سبع عشرة أذن عمر للمسلمين في الانسياح في بلاد فارس وانتهى في
ذلك الى رأى الاحنف بن قيس حيث قال له يا أمير المؤمنين نهيتنا عن الانسياح
في البلاد وان فارس لا يزالون يقاتلوننا مادام ملكهم فيهم فلا يزال هذا دأبهم حتى
تأذن لنا في الانسياح فنسج في بلادهم ونزيل ملكهم فهناك ينقطع رجاء أهل
فارس فقال عمر صدقتني والله وأذن في الانسياح فأمر أبا موسى أن يسير من

البصرة الى منقطع ذمة البصرة فيكون هناك حتى يأتيه أمره وبعث بألويته من
ولى مع سهيل بن عدى فدفع لواء خراسان الى الاحنف بن قيس ولواء ازديشير
وسابور الى مشاجع بن مسعود السلمي ولواء اصطخر الى عثمان بن أبي العاص
الثقفي ولواء نسا ودار أيجرد الى سارية بن زعيم الكنانى ولواء كرمان الى سهيل
ابن عدى ولواء سجستان الى عاصم بن عمرو ولواء مكران الى الحكم بن عمير
التغلبى فخرجوا ولم يتهيا مسيرهم في ذلك الوقت وأمدهم بنفر من أهل الكوفة
وسأنى الكلام على تفصيل ذلك ﴿ ذكر وقعة نهاوند ﴾

قيل انها كانت سنة ثمان عشرة وقيل سنة تسع عشرة وقيل سنة احدى
وعشرين وكان الذى هيج أمر نهاوند أن المسلمين لما اخلصوا من جند العلاء من
بلاد فارس وفتحوا الأهواز كاتب الفرس ملكهم وهو عمرو فخر كوه وكاتب
الملوك بين الباب والسند وخراسان وحلوان فتحركوا وتكاتبوا واجتمعوا الى
نهاوند ولما وصل أوائلهم بلغ سعدا الخبر فكتب الى عمرو ونار بسعد قوم سعوا به
وتعصبوا عليه ولم يشغلهم منازل بالناس وكان جماعة خالفوا سعدا وصاروا
يشكون منه فمن تحرك في أمره الجراح بن سنان الاسدى في نفر فقال لهم عمر
والله ما بمنعنى منازل بكم من النظر فيما لديكم فبعث عمر محمد بن مسامة والناس في
الاستعداد للفرس وكان محمد بن مسامة صاحب العيال يقتص آثار من شئى زمان
عمر فطاف بسعد على أهل الكوفة يسأل عنه فاسأل عنه جماعة الا أنوا عليه
خيرا سوى من مالا الجراح الاسدى فانهم سكتوا ولم يقولوا سوا أو مالا يسوغ لهم
حتى انتهوا الى بنى عبس فسألهم فقال أسامة بن قتادة اللهم انه لا يقسم بالسوية ولا
يعدل فى القضية ولا يغزى فى السرية فقال سعد اللهم ان كان قاله رياء وكذباً وسمعة
فاعم بصره وأكثر عياله وعرضه لاضلات الفتن فعمى واجتمع عنده عشر بنات
وكان يسمع بالمرأة فيأتها حتى يعجبها فاذا عبر عليها قال دعوة سعد الرجل المبارك
ثم دعا سعد على أولئك النفر فقال اللهم ان كانوا خرجوا أشرا وبطرا ورياء
فاجهد بلادهم فجهدوا وقطع الجراح بن سنان بالسيوف يوم بادر الحسن بن على

رضي الله عنهما ليغتاله بساباط وشدخ قبيصة بالحجارة وقتل أربد بالوجي ونعال
السيوف وكان سعد رضي الله عنه مجاب الدعوة لأن النبي صلى الله عليه وسلم دعا
له بذلك وكان من العشرة المبشرين بالجنة ومن السابقين للإسلام ومن أخوال
النبي صلى الله عليه وسلم وهو أول رجل رمى بسهم في سبيل الله وأول رجل أهرق
دما من المشركين في سبيل الله وجمع له النبي صلى الله عليه وسلم أبو به فقال فدنا أبي
وأبي ثم إن محمد بن مسleme رجع إلى المدينة بسعد وبالقوم الذين شكوا منه فقدموا
على عمر فأخبروه الخبر فقال كيف تصلي يا سعد قال أطيل الأوليين وأخفف
الأخيرة قال فقال هكذا الظن بك يا أبا امصق ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بينا
فأراد عمر رضي الله عنه الاحتياط وقطع النزاع لئلا يطول الشر ويتسع الأمر
فقال من خليفتك يا سعد على الكوفة فقال عبد الله بن عبد الله بن عتبة فأقره
وأمر سعد بالبقاء معه في المدينة ولما طعن عمر رضي الله عنه جعله من الستة أصحاب
الشورى الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وقال إن تولوا
سعد فأهل هو والأفليس تمن به الوالى فاني لم أعزله عن ضعف ولا خيانة هكذا
كان سبب نهاوند فابتداء البعث كان في زمن سعد وأما الواقعة فهي في زمان عبد
الله بن عبد الله بن عتبة فنفرت الأعاجم بكتاب يزيد جرد فاجتمعوا بينها وتد على
الغيزان في خمسين ألفا ومائة ألف مقاتل وكان سعد كتب إلى عمر بالخبر ثم شافهه
به لما قدم عليه وقال له إن أهل الكوفة يستأذنون في الانسياح وأن يبدوهم بالشدة
ليكون أهيب لهم على عدوهم فجمع عمر الناس واستشارهم وقال لهم هذا يوم له
ما بعده وقد هممت أن أسير فبين قبلي ومن قدرت عليه فأزل منزلا وسطا بين
هذين المصرين ثم استنفرهم وأكون لهم ردا حتى يفتح الله عليهم أو يقضى ما
أحب فان فتح الله عليهم صبتهم في بلدانهم فقال طلحة بن عبيد الله يا أمير المؤمنين
قد أحكمتك الأمور وعجمتك البلايل واحتنكتك التجارب وأنت وسأنتك
ورأيك لا ينبو في يدك ولا يكمل عليه اليك هذا الأمر فمرنا نطع وادعنا نجيب
واجلنا نركب وقد نأنتقد فانك ولي هذا الأمر وقد بلوت وجربت واحتربت فلم

ينكشف شيء من عواقب قضاء الله لك الاعن خيارهم ثم جلس فعاد عمر فقام
عثمان فقال أرى بأمر المؤمنين ان تكتب الى أهل الشام فيسير وامن شامهم والى
أهل اليمن فيسير وامن بينهم ثم تسيروا أنت بأهل الحرمين الى الكوفة والبصرة
فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين فانك اذا سرت قل عندك ما قد تكاثروا من عدد
القوم وكنيت أعز غناء وأكثر يا أمير المؤمنين أنك لا تستبقي بعد نفسك من
العرب باقية ولا تمتع من الدنيا بعز يزولا تلوذ منها بحريزان هذا يوم له ما بعده من
الايام فاشهد برأيك وأعوانك ولا تغب عنه ووجلس فعاد عمر فقام علي بن أبي
طالب فقال أما بعد يا أمير المؤمنين فانك ان أنقصت أهل الشام من شامهم سارت
الروم الى ذرارهم وان أنقصت أهل اليمن من بينهم سارت الحبشة الى ذرارهم
وانك ان أنقصت من هذه الارض انتقصت عليك العرب من أطرافها
وأفطارها حتى يكون مائدع وراءك أهم اليك مما بين يديك من العورات والعيال
أفرر هؤلاء في أمصارهم واكتب الى أهل البصرة فليتفرقوا ثلاث فرق فرقة
في حرهم وذرارهم وفرقة في أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا ولتسرفرة الى
اخواتهم بالكوفة مدداهم ان الاعاجم ان ينتظروا اليك غدا قالوا هذا أمير العرب
وأصلها فكان ذلك أشد لكاهم عليك وأماما ذكرت من مسير القوم فان الله هو
أكرم مسيرهم منك وهو أقدر على تغيير ما يكره وأما عددهم فانك لم تكن تقابل فيما
مضى بالكثرة ولكن بالنصر فقال عمر هذا هو الرأي كنت أحب أن أتابع عليه
فأشير واعلى برجل أوليه ذلك الثغر وليكن عراقيا فقالوا أنت أعلم بجندك وقد
وفدوا عليك فقال والله لأولين رجلا يكون أول الاسنة اذا القها غدا فقبل من هو
فقال النعمان بن مقرن المزني فقالوا هو لها وكان النعمان يومئذ معه جمع من أهل
الكوفة فدأقنموا اجنديسابور والسوس فكتب اليه عمر يأمره بالمسير الى ماء
لتجتمع الجيوش عليه فاذا اجتمعوا اليه سار بهم الى الفيرزان ومن معه وكتب عمر
الى عبد الله بن عبد الله بن عتبان ايسقنفر الناس مع النعمان ويجمعوا عليه بماه
فندب الناس فكان أمرهم الى ذلك الرواد ليبلوا في الدين وليدركوا حفظا فخرج

الناس وعليهم حذيفة بن اليمان ومعه نعيم بن مقرن أخو النعمان بن مقرن حتى
قدموا على النعمان وكتب عمر إلى الجند الذين كانوا بالأهواز ليشتغلوا فإرساعن
المسلمين وعليهم المقرب وحمله وزر فأقاموا بتخوم أصبهان وفارس وقطعوا
أمداد فارس عن أهل نهاوند واجتمع الناس على النعمان وفيهم حذيفة بن اليمان
وعبد الله بن عمرو بن جريز بن عبد الله الجلي والمغيرة بن شعبة وغيرهم فأرسل النعمان
طلحة بن خويلد الأسدي وعمرو بن معدى كرب وعمرو بن ثني وهو ابن أبي سلمى
ليأتوه بخبر القوم فخرجوا وساروا يوماً إلى الليل فرجع إليه عمرو بن ثني فقالوا
ما أرجعك فقال لم أكن في أرض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرضاً عالمها
ومضى طلحة وعمرو بن معدى كرب فلما كان آخر الليل رجع عمرو وقالوا
ما أرجعك قال سرنا يوماً وليلة ولم نر شيئاً فرجعت ومضى طلحة حتى انتهى
إلى نهاوند وبين موضع المسلمين الذين هم به ونهاوند بضعة وعشرون فرسخاً
فقال الناس ارتد طلحة الثانية فعلم كلام القوم ورجع فلما رأوه كبروا فقال
ما شأنكم فاعلموه بالذي خافوا عليه فقال والله لو لم يكن دين إلا العربي ما كنت
لا حرز العجم الطماطم هذه العرب العادية فاعلم النعمان أنه ليس بينهم وبين نهاوند
شيء يكرهه ولا أحد فرحل النعمان وعبي أصحابه وهم ثلاثون ألفاً فجعل على
مقدمته أخاه نعيم بن مقرن وعلي مجنبيه حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن وعلي
المجردة القعقاع بن عمرو وعلي الساقة مجاشع بن مسعود وقد توافقت إليه أمداد
المدينة فيهم المغيرة بن شعبة فأتوها إلى أسبندهان والفرس وقوف على تعبيتهم
وأمرهم الفيرزان وعلي مجنبيه الزردق وبهم من جاذويه الذي جعل مكان ذي
الحاجب وقد توافقت إليهم الأمداد بنهاوند كل من غاب عن القادسية ليسوا بآبديونهم
فلما رآهم النعمان كبر وكبر معه الناس فتزلزلت الأعاجم وحطت العرب الانتقال
وضرب فسطاط النعمان فابتدر أشراف الكوفة فضر بوا فساطيطهم ونشب
القتال بعد حط الانتقال فاقتتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس والحرب بينهم سجال
وانهم انهم جزوا في خنادقهم يوم الجمعة وحاصرهم المسلمون وأقاموا عليهم ما شاء

الله والفرس بالخيار لا يخرجون الا اذا ارادوا الخروج فخافى المسلمون أن
يطول أمرهم حتى اذا كان ذات يوم في جمعة من الجمع اجتمع أهل الرأى من
المسلمين وقالوا تراهم علينا بالخيار وأنوا النعمان في ذلك فوافوه وهو يروى في
الذى روي فيه فأخبروه فبعث الى من بقى من أهل النجدات والرأى فأحضرهم
فتكلم النعمان فقال قد ترون المشركين واعتصامهم بخنادقهم ومدتهم وانهم
لا يخرجون الينا الا اذا شاؤوا ولا يقدر المسلمون على اخراجهم وقد ترون الذى
فيه المسلمون من التضاييق فالرأى الذى به نستفرجهم الى المناجزة وترك
التطوير فتكلم عمرو بن غنم وكان أكبر الناس وكانوا يتكلمون على الاسنان
فقال النعمان عليهم أشد من المطاولة عليكم فدعهم وقاتل من أنك منهم فردوا عليه
رأيه وتكلم عمرو بن معدى كرب فقال ناهضهم وكابدهم ولا تخفهم فردوا جميعا
عليه رأيه وقالوا اما بناطح بنا الجدران وهى أعوان علينا وقال طليحة أرى أن
تبعث خيلا لينشبو القتال فاذا اختلطوا بهم رجعوا الينا استتطرا اذا فانا لم
نستطرد لهم في طول ما قاتلناهم فاذا رأوا ذلك طمعووا وخرجوا فقاتلناهم حتى
يقضى الله فيهم وفيما أحب فأمر القعقاع بن عمرو وكان على المجردة فأنشب
القتال فأخرجهم من خنادقهم كأنهم جبال حديد وقد تواتقوا أن لا يفروا وقد
قرن بعضهم بعضا كل سبعة في قران والقوا حسك الحديد خلفهم لئلا ينزموا فلما
خرجوا نكص ثم نكص واغتتمها الاعاجم ففعلوا كما ظن طليحة وقالوا هى
هى فلم يبق أحد الا من يقوم على الابواب وركبوهم ولحق القعقاع بالناس وانقطع
الفرس عن حصنهم بعض الانقطاع والمسلمون على تعبئة في يوم جمعة صدر النهار
وقد عهد النعمان الى الناس عهده وأمرهم أن يلزموا الارض ولا يقاتلوا حتى يأذن
لهم ففعلوا واستتروا بالحجف من الرمي وأقبل المشركون عليهم يرمونهم حتى
أفسوا فيهم الجراح وشكا الناس وقالوا للنعمان ألا ترى ما نحن فيه فانتظروهم
أذن للناس في قتالهم فقال رو بدارو بدارو وانتظر النعمان بالقتال أحب الساعات
كانت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ياتى العدو فيها وذلك عند الزوال فلما

كان قريبا من تلك الساعة ركب فرسه وسار في الناس ووقف على كل راية
يذكرهم ويحرضهم ويمشيم الظفر وقال لهم اني مكبر ثلاثا فاذا كبرت الثالثة فاني
حامل فاحملوا وان قتلت فالامر بيد حديفة بن العيمان فان قتل ففلان حتى عد سبعة
آخرهم المغيرة ثم قال اللهم اعزز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان اول شهيد
اليوم على اعزاز دينك وانصر عبادك وقيل بل قال اللهم اني اسألك ان تقر عيني
اليوم بفتح يكون فيه عز الاسلام واقبضني شهيدا فيسكني الناس ورجع الى موقفه
وكبر ثلاثا والناس سامعون مطيعون مستعدون للقتال وحمل النعمان والناس
معه وانقضت رايته انقضاض العقاب والنعمان معلم ببياض القبا والقلنسوة
فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع السامعون بوقعة كانت أشد منها وما كان يسمع
الواقع الحديد وصبر لهم المسلمون صبرا عظيما وانهمزم الاعاجم وقتل منهم ما بين
الزوال والاعتام ما طبق أرض المعركة دما يزلقي الناس والدواب فلما أقر الله
عين النعمان بالفتح استجاب له فقتل شهيدا رمي بسهم في خاصرته فقتله وزلق
به فرسه فصرع فسجاه أخوه نعيم بثوب وأخذ الراية وناولها حديفة فأخذها
وتقدم موضع النعمان وترك نعيما مكاه وقال لهم المغيرة اكنفوا مصاب أميركم
حتى تنظر واما صنع الله فينا وفيهم لثلاثا يوهن الناس فاقتتلوا فلما أظلم الليل
عليهم انهمزم المشركون وذهبوا وتبعهم المسلمون وعمى الله على المشركين
فصدمهم فتركوه وأخذوا نحو الهب الذي كانوا دونه فوقعوا فيه فكان الواحد
منهم يقع فيقع عليه ستة بعضهم على بعض في قيادوا واحد فيقتلون جميعا وجعل
يعقرهم حسيك الحديد فمات منهم في الهب مائة ألف أو يزيدون سوى من قتل في
المعركة وقيل قتل في الهب ثمانون ألفا سوى من قتل في الطلب ولم يفلت الا
الشر يد ونجاة الفيرزان من الصرعي فهرب نحو همدان فتابعه نعيم بن مقرن
وقدم القعقاع قدماه فأدركه بئنية همدان وهي اذ ذلك مشحونة من بغال وحجير
موقرة عسلا فحبسه الدواب على أجله فلما لم يجد طر يقا نزل عن دابته وصعد
الجبل فتبعه القعقاع راجلا فأدركه فقتل المسلمون الفيرزان على الثنية وقالوا

ان
ثنية
ما
عن
بال
الفر
الفر
أخ
جو
نظر
البي
هنا
على
وال
عمر
ر
فس
نحو
ثم
ع
في
ر
ق
م

ان الله جنودا من غسل واستاقوا الغسل وما معه من الاحمال وسميت الثانية
ثنية الغسل ودخل المشركون همدان والمسلمون في آثارهم فنزلوا عليها وأخذوا
ما حولها فلم أر أي ذلك خسر شئ من استأمنهم ولما تم الظفر للمسلمين جعلوا يسألون
عن أميرهم النعمان بن مقرن فقال لهم أخوه معقل هذا أميركم قد أقر الله عينه
بالفتح وختم له بالشهادة فاتبعوا حذيفة ودخل المسلمون نهاوند يوم الواقعة بعد
الجزيمة واحتوا على ما فيها من الامتعة والاموال والاسلاب والاثاث وأنهم
المر بذي صاحب بيت النار على أمان فقال حذيفة أنؤمنني ومن شئت على ان
أخرج لك ذخيرة لكسرى تركت عندي لنوائب الزمان قال نعم فأحضر
جوهران فيسافى سقطين فأرسلهما حذيفة مع الاحماس الى عمر وكان حذيفة قد
نقل منها وأرسل الباقي مع السائب بن الاقرع الثقفي وكان كاتباً حاسباً أرسله عمر
اليهم وقال ان فتح الله عليكم فاقسم على المسلمين فيهم وخذ الخمس وانثني به وان
هلك هذا الجيش فاذهب فبطن الارض خير من ظهرها قال السائب فاما فتح الله
على المسلمين وأحضر الفارسي السقطين اللذين كانا عنده فاذا فيهما اللؤلؤ
والزبرجد والياقوت فلما فرغت من القسمة احقنتهما معي وقدمت على عمر وكان
عمر رضى الله عنه فدقده الواقعة فبات يتأمل ويخرج ويتوقع الاخبار فبينما
رجل من المسلمين قد خرج في بعض حوائجهم فرجع الى المدينة ليلا فر به راكب
فسأله من أين أقبل فقال من نهاوند وأخبره بالفتح وقتل النعمان فلما أصبح الرجل
تحدث به بعد ثلاث من الواقعة فبلغ الخبر عمر فسأله فأخبره فقال ذلك يريد الجن
ثم قدم البريد بعد ذلك فأخبره بما يسره ولم يخبره بقتل النعمان قال السائب فنخرج
عمر من الغديتوقع الاخبار قال فأتيت فقال ما وراءك فقلت خير يا أمير المؤمنين
فتح الله عليك وأعظم الفتح واستشهد النعمان بن مقرن فقال عمر ان الله وانا اليه
راجعون ثم بكى فنتج حتى بانته فروع كتفيه فوق كتفه فلما رأيت ذلك وما لقي
قلت يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده رجل يعرف وجهه فقال أولئك المستضعفون
من المسلمين ولكن الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم وما يصنع

أولئك بمعرفة عمر ثم أخبرته بالسفطين فقال أدخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما والحق بجنده قال ففعلت وخرجت سرىعاً إلى الكوفة وبات عمر فلما أصبح بعث في أثرى رسولاً فأتى حتى دخلت الكوفة فأئخت بعيرى وأناخ بعيره على عرفوب بعيرى فقال الحق بأمر المؤمنين فقد بعثنى فى طلبك فلم أقدر عليك إلا الآن قال فركبت معه فقدمت على عمر فلما رأى قال لى ومالى وللناسب قلت ولماذا قال ويحك والله ما هو إلا ان نمت الليلة التى خرجت فيها فباتت الملائكة تسحبنى إلى السفطين يشتهلان ناراً يقولون لتكويينك بهما فأقول انى سأقسمهما بين المسلمين فخذهما عنى فبعهما فى أعطية المسلمين وأرزاقهم قال فخرجت بهما فوضعتهما فى مسجد الكوفة فابتاعهما منى عمرو بن حريث المخزومى بألفى ألف درهم ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم فباعهما بأربعة آلاف ألف فأزال أكثر أهل الكوفة مالا وكان سهم القارس بنهاوند ستة آلاف وسهم الرجل ألفين وكان المسلمون يسمون فتح نهاوند فتح الفتوح لأنه لم يكن بعده للفرس اجتماع وملك المسلمون بلادهم ولم يزل يزدجر دأمره فى انتكاس ونقصان وكلما أخذت منه مدينة انتقل إلى أخرى إلى ان قتل فى خلافة عثمان رضى الله عنه سنة احدى وثلاثين وثمانين فى سنة احدى وثلاثين وثمانين

﴿ ذكر فتح الدينور والصيمرة وغيرهما ﴾

لما انصرف أبو موسى من نهاوند وكان قد جاء مدداً على بعث أهل البصرة فخر بالدينور فاقام عليها خمسة أيام وصالح أهلها على الجزية ومضى فصالحه أهل شيروان على مثل صلحهم وبعث السائب بن الأقرع الثقفى إلى الصيمرة مدينة مهرباً نقدياً ففتحها صلحاً

﴿ ذكر فتح همدان والماهين وغيرهما ﴾

لما انهزم المشركون دخل من سلم منهم همدان وحاصرهم نعيم بن مقرن والقعقاع ابن عمرو فلما رأى ذلك خسر شئوهم واستأمنهم وقبيل منهم الجزية على ان يضمن منهم همدان ودستبى وأن لا يؤتى المسلمون منهم فاجابوه إلى ذلك وأمنوه ومن

معه من الفرس وأقبل كل من كان هرب منهم وبلغ الخبر الماهين بفتح همدان
وملكها فاقتدوا بخمش نوم وكاتبوا حذيفة فاجابهم الى ما طلبوا وأجمعوا
على القبول

﴿ ذكر فتح أصبهان ﴾

بعث عمر رضى الله عنه اليها عبد الله بن عبد الله بن عتيان وكان شجاعا من
أشراف الصحابة ومن وجوه الانصار وأمه بأبي موسى وكان على جنده أصبهان
الاسيدان وعلى مقدمته شهر يار بن جاذويه شيخ كبير في جمع عظيم فاقتلوا
برستاق أصبهان قتالا شديدا ودعا الشيخ الى البراز فبرز له عبد الله بن ورقاء
الرياحي فقتله وانهمزم أهل أصبهان وسمى ذلك الرستاق رستاق الشيخ الى هذا
اليوم وصالحهم الاسيدان على رستاق الشيخ وهو أول رستاق أخذ من أصبهان
ثم سار عبد الله الى مدينة جى وهى مدينة أصبهان والمالك بأصبهان الفاذوسفان
فتزل بالناس على جى وحاصرها وقتلها ثم صالحه الفاذوسفان على أصبهان
وعلى أن من أقام الجزية أقام على ماله وان يجرى من أخذت أرضه عنوة مجراهم
ومن أبى وذهب كانت لكم أرضه فمخرج الناس من جى ودخلوا فى الذمة الا
ثلاثين رجلا من أهل أصبهان فلحقوا بكرمان ثم قدم كتاب عمر الى عبد الله
بأمره بالمسير الى سهيل بن عدى ليكون معه على قتال من بكرمان فسار
واستخلف على أصبهان السائب بن الاقرع ولحق بسهيل ونازلوا كرمان حتى
قتلوا وسياأتى ذكر ذلك فى فتوحات سنة ثلاث وعشرين

﴿ ذكر فتح زويلة ﴾

فى سنة احدى وعشرين بعث عمرو بن العاص من مصر عقبة بن نافع الفهري
بجيش فاقتح زويلة صلحا وما بين برقة وزويلة فصار سلا المسلمين

﴿ ذكر فتح همدان ثانيا ﴾

قد تقدم مسير نعيم بن مقرن الى همدان وقتلها على يده وبد القعقاع بن عمرو فلما
رجع عنها كفر أهلها فرجع اليهم نعيم بن مقرن فى سنة اثنتين وعشرين
وحاصروهم ثم سألو الصلح ففعل وقبل منهم الجزية وقيل ان ذلك كان سنة أربع

وعشر بن بعد مقتل عمر رضي الله عنه لسته أشهر وان نعيها خرج اليهم في جيش
كثيف وقاتلهم قتالا شديدا وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند فانهم هزموه
هزيمة قبيحة وقتل منهم مقتلة كبيرة لا يحصون وقيل ان المغيرة بن شعبة حين كان
عاملا على الكوفة أرسل جرير بن عبد الله البجلي الى همدان فقاتله أهلها وأصيبت
عين جرير بسهم فقال أحسبها عند الله الذي زين بها وجهي وسلبنيها في سبيله
ثم قمعها على مثل صلح نهاوند وغلب على أرضها قسرا وقيل كان قمعها على يد
المغيرة بنفسه وكان جرير على مقدمته وقيل قمعها قرظة بن كعب الانصاري

﴿ ذكر فتح قزوین و زنجان ﴾

لما سير المغيرة جريرا الى همدان ففتحها سير البراء بن عازب في جيش الى قزوین
فسار البراء حتى أتى أبهر وهو حصن فقاتلوه ثم طلبوا الامان فأمنهم وصالحهم
ثم غزا قزوین فها بلغ أهلها الخبر أرسلوا الى الديلم يطلبون النصرة فوعدوهم
ووصل المسلمون اليهم فخرجوا لقتالهم والديلم وقوف على الجبل لا يمدون يدا فلما
رأى ذلك أهل قزوین طلبوا الصلح على صلح أبهر ثم غزا البراء الديلم حتى أدوا
اليه الاتاوة وغزا جيلان والطيلسان وفتح زنجان عنوة ولما ولي الوليد بن عقبة
الكوفة غزا أيضا الديلم وجيلان وموقان والبير والطيلسان ثم انصرف

﴿ ذكر فتح الري ﴾

في سنة اثنتين وعشرين بن غز انعيم بن مقرن الري وخرج من الري الزينبي أبو
الفرخان فلقى نعيما طالبا الصلح ومسالمة ومخالفا لملك الري وهو سياوخش بن
مهران بن بهرام فاستمد ملك الري أهل دنباوند وطبرستان وقومس وجرجان
فأمدهم خوفا من المسلمين فالتقوا مع المسلمين في سفح جبل الري الى جنب
مدينتها فاقتتلوا به وكان الزينبي قال لنعيم ان القوم كثير وأنت في قلة فابعث معي
خيلا أدخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به وناهضهم أنت فانهم اذا خرجنا
عليهم لم يشتدوا لك فبعث معه نعيم خيلا من الليل عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو
فأدخلهم الزينبي المدينة ولا يشعروا القوم وبينهم نعيم يما تافسغ لهم عن مدينتهم

فاقتتلوا وصبروا حتى سمعوا التكبير من ورائهم فانهزموا فقتلوا مقتله عظيمة
وفاء الله على المسلمين بالري نحو ائمتنا في المدائن وصاحبه الزينبي علي الري ومرزبة
غلبهم نعيم وراسله المصمغان في الصلح على شئ يفتدى به منه على دنباوند فاجابه
الى ذلك وقيل ان فتح الري كان سنة احدى وعشرين

✽ ذكر فتح قومس وجرجان وطبرستان ✽

لما ارسل نعيم الى عمر بالبشارة واخماس الري كتب اليه عمر يا امره بارسال اخيه
سويد بن مقرن ومعه هند بن عمرو الجلي وغيره الى قومس فسار سويد نحو
قومس فلم يقم له احد فاخذها ساسا وعسكر بها وكاتبه الذين لجوا الى طبرستان
منهم اهل المفاوز فاجابهم الى الصلح والجزية ثم سار الى جرجان فعسكر بها
فكاتبوه وصالحوه على الجزية وقيل ان ذلك كان سنة ثلاثين في خلافة عثمان
رضي الله عنه

✽ ذكر فتح طرابلس الغرب و برقة ✽

في سنة اثنتين وعشرين سار عمرو بن العاص من مصر الى برقة فصالحه اهلها على
الجزية ثم سار الى طرابلس الغرب فحاصرها شهر فلم يظفر بها وكان قد نزل
شرقها فخرج رجل من المسلمين من بني مدج يتصيد في سبعة نفر وسلكوا
غربي المدينة فلما رجعوا اشتد عليهم الحر فاخذوا على جانب البحر ولم يكن السور
متصلا بالبحر والبلد فدخلوا المدينة من ذلك الجانب وكبروا فلما سمع الروم
التكبير في البلد ظنوا ان المسلمين دخلوها فلم يكن لهم ملجأ الا سفنهم ونظر
عمرو ومن معه فرأى السيوف في المدينة وسمعوا الصياح فاقبل بجيشه حتى
دخل عليهم البلد فلم يفلت من الروم الا القليل بما خف معهم في مراكبهم وكان
اهل حصن سبرة قد تحصنوا لما نزل عمر وعلى طرابلس فلما امتنع عليه فتح
طرابلس آمنوا واطمأنوا فلما فتحت طرابلس سير عمر وجند الى سبرة فصبحوها
وقد فتح أهلها الباب وأخرجوا مواشيهم لتسرح لانهم لم يكن بلغهم خبر فتح
طرابلس فوقع المسلمون عليهم ودخلوا الحصن مكابرة وغنموا ما فيه وعادوا الى

عمر وثم عاد عمر والى برقة وقد اجتمع بها قوم من البر بر فصالحوه على ثلاثة عشر
ألف دينار يؤدونها جزية وشرطوا أن يبيعوا من أرادوا من أولادهم في جزيتهم

﴿ ذكر فتح أذربيجان ﴾

لما فتح نعيم الري بعث سماك بن خرشة الانصاري وليس بابي دجانه محمد الكبير بن
عبدالله بأذربيجان وكان بكير قد سار اليها بأمر عمر رضى الله عنه فأمر عمر نعيما
أن يمد بكير اسمالك بن خرشة وكان بكير حين بعث اليها سار حتى اذا طلع بجبال
جرميدان طلع عليهم اسفنديار بن فرخزاد فاقتلوا فانهزم الفرس وأخذ بكير
اسفنديار أسيرا فقال له اسفنديار الصلح أحب اليك أم الحرب فقال بل الصلح
فقال امسكنى عندك فان أهل اذربيجان ان لم أصالح عليهم أو أجنى اليهم لم يقوموا
لك وجعلوا الى الجبال التي حولها ومن كان على التحصن تحصن فأمسكه عنده
وصارت البلاد اليه الا ما كان من حصن وقدم عليه سماك بن خرشة ممدوا اسفنديار
في أمان وقد افتتح ما يليه وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه وكتب بكير الى عمر يستأذنه
في التقدم فأذن له أن يتقدم نحو الباب وأن يستخلف على ما افتتحه فاستخلف عليه
عتبة بن فرقد فأقر عتبة سماك بن خرشة على عمل بكير الذي كان افتتحه وجمع عمر
اذر بيجان كلها العتبة بن فرقد وكان بهرام بن فرخزاد قصد طريق عتبة وأقام به في
عسكره حتى قدم عتبة فاقتلوا فانهزم بهرام فلما بلغ خبره اسفنديار وهو في الاسر
عند بكير قال الآن تم الصلح وطفئت الحرب فصالحه وأجاب الى ذلك أهل اذربيجان
كلهم وعادت اذربيجان سالما وكتب بذلك بكير وعتبة الى عمر وبعثا بما خسا

﴿ ذكر فتح الباب ﴾

الباب مدينة عظيمة بناها كسرى في هذه السنة أعنى سنة اثنتين وعشرين
أمر عمر رضى الله عنه سراقه بن عمرو وكان يدعى ذا النور بالمسير الى الباب
وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي وكان له صحبة وكان أيضا يدعى ذا
النور وجعل على أحد مجنبيه حذيفة بن سعيد العقفاري وعلى الاخرى بكير ابن
عبدالله الليثي وكان بكير سبقه الى الباب وجعل على المقاسم سامان بن ربيعة

الباهلي فسار سراقه فلما خرج من اذريبعان قدم بكيرا الى الباب وكان الملك بها يومئذ شهر يار وهو من ولد شهر يار الذي افسد بني اسراييل وغزا الشام بهم فلما اطل عبد الرحمن بن ربيعة على الباب كاتبه شهر يار واستأمنه على أن يأتيه ففعل فأناه فقال اني بازاء عدوك وكتب وأمم مختلفة ليست لهم احساب ولا ينبغي لذي الحسب والعقل أن يعينهم على ذى الحسب ولست من الفتح ولا الارمن في شئ وانكم قد غلبتم على بلادى وأمتى فانامنكم وبدي مع أيديكم وجزيتى اليكم والنصر لكم والقيام بما تحبون فلا تسومونا الجزية فتوهنونا بعدوكم فسيره عبد الرحمن الى سراقه فلقيه بمثل ذلك فأجابته بقبول ذلك منه ثم قال له سراقه لا بد من الجزية ممن يقيم ولا يجارب العدو فأجابته الى ذلك وكتب سراقه في ذلك الى عمر فأجازه عمر واستحسنه

﴿ ذكركم موقان ﴾

لما فرغ سراقه من الباب أرسل بكير بن عبد الله وحبيب بن مسلمة وحنيفة بن أسيد وسامان بن ربيعة الى أهل تلك الجبال المحيطة بآرمينية فوجه بكيرا الى موقان وحبيبا الى تفليس وحنيفة الى جبال اللان وسلمان الى الوجه الآخر وكتب سراقه الى عمر بفتح الباب وبارسال هؤلاء النفر الى الجهات المذكورة فأثنى عمر أمرها لم يظن أن يستتم له بغير مؤنة لانه فرج عظيم وجند عظيم فلما استوثقوا واستعلوا الاسلام مات سراقه واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة ولم يفتح أحد من أولئك القواد الا بكير فانه فض أهل موقان ثم تراجعوا على الجزية على كل حال دينارا ولما بلغ عمر موت سراقه واستخلفه عبد الرحمن بن ربيعة أقر عبد الرحمن على فرج الباب وأمره بغزو الترك

﴿ ذكركم غزوة الترك ﴾

لما أمر عبد الرحمن بن ربيعة بغزو الترك وكانوا في بلنجر بأقصى ولاية الباب وهم أمم كثيرة فخرج عبد الرحمن بالناس حتى قطع الباب فقال له شهر يار ما تريد أن تصنع قال أريد غزو الترك في بلنجر قال انا انرضى منهم أن يدعونا من دون

الباب قال عبد الرحمن لكننا لا نرضى حتى تغزوهم في ديارهم وبالله ان معنا أقواما
لو يأذن لهم أميرنا في الامعان لبلغت بهم الروم قال وما هم قال أقوام صحبوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا في هذا الأمر بنية ولا يزال هذا الامر لهم دائما ولا
يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم وحتى يلبتوا عن حالهم فغزوا بلبجر غزاة
في زمن عمر فقالوا اما اجترأ علينا الاومعه الملائكة تمنعهم من الموت فهربوا منه
وتحصنوا فرجع بالغنيمة والظفر وقد بلغت خيمه البيضاء على رأس مائتي فرسخ
من بلجر وعادوا ولم يقتل منهم أحد ثم غزاهم أيام عثمان بن عفان غزوات فظفر
كما كان يظفر حتى تبديل أهل الكوفة وظهر فيهم الاختلال فغزا عبد الرحمن
ابن ربيعة بعد ذلك الترك فتدامرت عليه واجتمعوا في الفيافي فرمى رجل منهم
رجلا من المسلمين على غرة فقتله وهرب عنه أصحابه فخرجوا عليه عند ذلك
فاقتتلوا واشتد قتالهم ونادى مناد من الجوصبر عبد الرحمن وموعدهم الجنة فقاتل
عبد الرحمن حتى قتل وانكشف أصحابه وأخذ الراية أخوه سلمان بن ربيعة
فقاتل بها ونادى مناد من الجوصبر آل سلمان فقال سلمان أو ترى جزعا وخرج
سلمان بالناس ومعه أبو هريرة الدوسي على جيلان فقطعوها الى جرجان ولم يمنعهم
ذلك من انجاء جسد عبد الرحمن فهم يستسقون به الى الآن

﴿ ذكر فتح خراسان ﴾

كان فتح خراسان في سنة ثلاث وعشرين على الصحيح وسبب ذلك أن يزدجرد
سار الى الري بعد هزيمة أهل جلولاء وانتهى اليها وعليها أبان جاذويه فوثب على
يزدجرد فاخذه فقال يزدجرد يا أبان تغدرني قال لا ولكن قد تركت ملكك
فصار في يد غيرك فاحببت أن أكتب ما كان لي من شيء وأخذ خاتم يزدجرد
واكتب صككا بكل ما أعجبه ثم ختم عليها ورد الخاتم الى يزدجرد فسار يزدجرد
من الري الى أصفهان ثم منها الى كرمان والنار التي يعبدونها معهم ثم قصد خراسان
فأتى مرو فزلهما وبنى للنار بيتا واطمأن وأمن من أن يوثق وان له من بقي من
الاعاجم وكانب المهرمزان وأثار أهل فارس فنكثوا وأثار أهل الجبال والفيروزان

فسكرتوا فاذن عمر للمسلمين فدخلوا بلاد الفرس وكتب الاحنف بن قيس
بالمسير الى خراسان وكان قبل ذلك قد عقد له لواء عليها مع الالوية التي عقدها
فسار بجيش كثيف فدخلها من الطبيين فافتتح هراة عنوة واستخلف عليها
صهار بن فلان العبدى ثم سار نحو مرو والشاهجان فأرسل الى نيسابور مطرف
ابن عبد الله بن الشخير والى سرخس الحارث بن حسان فلما دنا الاحنف من
مرو والشاهجان خرج منها يزدجرد الى مرو والروذ حتى نزلها ونزل الاحنف
مرو والشاهجان وكتب يزدجرد وهو بمرو والروذ الى خاقان والى ملك الصغد
والى ملك الصين يستمدهم وخرج الاحنف من مرو والشاهجان واستخلف عليها
حارثة بن النعمان الباهلي بعد ما لحقت به أمداد الكوفة وسار نحو مرو والروذ فلما
سمع يزدجرد سار عنها الى بلخ ونزل الاحنف مرو والروذ ووقف أمام أهل الكوفة
الى يزدجرد واتبعهم الاحنف فالتقى أهل الكوفة ويزدجرد ببلخ وانهمزم
يزدجرد وعبر النهر ولحق الاحنف بأهل الكوفة وقد فتح الله عليهم فبلخ من
فتوحهم وتتابع أهل خراسان منهم من هرب ومنهم من شدد على الصالح فيما بين
نيسابور الى طخارستان وعمد الاحنف الى مرو والروذ واستخلف على
طخارستان ربيع بن عامر وكتب الاحنف الى عمر بالفتح فقال عمر وددت أن
بيننا وبينها بحر من منار فقال على ولم يأمر المؤمنين قال لان أهلها ينتفضون
منها ثلاث مرات فيحتاجون في الثالثة فكان ذلك بأهلها أحب الى من أن يكون
بالمسلمين وكتب عمر الى الاحنف ان يقتصر على مادون النهر ولا يجوزه ولما
عبر يزدجرد النهر مهزوما أنجده خاقان من الترك وأهل فرغانة والصغد فرجع
يزدجرد وخاقان الى خراسان فنزل بلخ ورجع أهل الكوفة الى الاحنف بمرو
الروذ ونزل المشركون عليه بمرو أيضا وكان الاحنف لما بلغه خبر عبور يزدجرد
وخاقان النهر اليه خرج ليلا يستمع هل يسمع برأى ينتفع به فمر برجلين ينقيان
علقا وأحدهما يقول لصاحبه لو أسندنا الامير الى هذا الجبل فكان النهر بيننا
و بين عدونا خندقا وكان الجبل في ظهورنا فلا يأتون من خلفنا وكان قتالنا من

وجه واحد رجوت ان ينصرنا الله عليهم فرجع فلما أصبح جمع الناس ورجل بهم
الى سفح الجبل وكان معه من أهل البصرة عشرة آلاف ومن أهل الكوفة
نحو منهم وأقبلت الترك ومن معها فنزلت وجعلوا ينادونهم القتال وبراوحونهم
وفي الليل يتنصرون عنهم فخرج الاحنف ليلة طليعة لاصحابه حتى اذا كان قريبا
من عسكر خاقان وقف فلما كان في وجه الصبح خرج فارس الترك بطوقه
فضرب بطبله ثم وقف قريبا من العسكر ووقفا يقفه مثله فحمل عليه الاحنف
فتقاتلا فطعننه الاحنف فقتله وأخذ طوق التركي ووقف فخرج آخر من
الترك ففعل مثل فعل صاحبه فحمل عليه الاحنف فتقاتلا فطعننه فقتله وأخذ
طوقه ووقف ثم خرج الثالث من الترك ففعل مثل فعل الرجلين فحمل
عليه الاحنف فقتله ثم انصرف الاحنف الى عسكره وكانت عادة الترك أنهم
لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم أكفاء كلهم يضرب بطبله ثم يخرجون
بعد خروج الثالث فلما خرجوا تلك الليلة بعد الثالث فأتوا على فرسانهم
مقتولين فقام خاقان ونطير فقال قد طال مقامنا وأصيب فرساننا مالنا في قتال
هؤلاء القوم خير فرجعوا وارتفع النهار للمسلمين ولم يروا منهم أحدا وأتاهم الخبر
بانصراف خاقان والترك الى بلخ وقد كان يزدجرد ترك خاقان مقابلا للمسلمين
بمر والر وذوانصرف الى مر والشاهجان فقصن حارثة بن النعمان ومن معه
فحصروهم واستخرج يزدجرد خزائنه من موضعها وخاقان مقيم ببلخ فلما جمع
يزدجرد خزائنه وكانت كبيرة عظيمة وأراد ان يلحق بخاقان قال له أهل فارس
أي شيء تريد ان تصنع قال أريد اللحاق بخاقان فأكون معه أو بالصين قالوا ان
هنا رأى سوء ارجع بنا الى هؤلاء القوم فنصالحهم فانهم أوفياء هم أهل دين وان
عدوا يلينا في بلادنا أحب الينا ملكة من عدو يلينا في بلاده ولادين لهم ولا
ندري ما واثمهم فأبى عليهم فقالوا دع خزائننا نردها الى بلادنا ومن يلينا لا نخرجها
من بلادنا فأبى فاعتزلوه وقتلوه وأخذوا الخزائن واستولوا عليها وانهمز منهم
ولحق بخاقان وعبر النهر من بلخ الى فرغانة وأقام يزدجرد ببلد الترك فلم يزل مقيما

بها من عمر كاه الى ان كفر أهل خراسان زمن عثمان وكان يكتبهم ويكتبونه
وسيرد ذلك في موضعه ثم أقبل أهل فارس بعد رحيل يزيد جرد على الاحنف
فصالحوه ودفعوا اليه تلك الخزائن والاموال وتراجعوا الى بلدانهم وأموالهم
على أفضل ما كانوا عليه زمن الأ كاسرة واغتبطوا بملك المسلمين وأصاب
الفارس يوم يزيد جرد كسهمه يوم القادسية وسار الاحنف الى بلخ فنزلها بعد
عبور خاقان النهر منها ونزل أهل الكوفة في كورها الاربع ثم رجع الى مرو
الروذ فنزلها وكتب بفتح خاقان ويزد جرد الى عمر ولما عبر خاقان ويزد جرد
النهر لغوار سول يزيد جرد الذي أرسله الى ملك الصين فأخبرهما أن ملك الصين
قال له صف لي هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم فاني أراك نذ كر قلة
منهم وكثرة منكم ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل منكم مع كثرتكم الا يخبر فيهم وشي
فيكم فقلت سئني عما أحببت فقال أبو فون بالعهد قلت نعم قال وما يقولون لكم
قبل القتال قلت يدعوننا الى واحدة من ثلاث اما دينهم فان أجبننا أجر وناجراهم
أو الجزية والمنعة أو المنابذة قال فكيف طاعتهم أمراءهم قلت أطوع قوم
وأرشدهم قال فاجعلون وما يحرمون فأخبرته قال هل يحلون ما حرم عليهم أو
يحرمون ما حلل لهم قلت لا قال ان هؤلاء القوم لا يزالون على ظفر حتى يحلوا
حرامهم ويحرموا حلالهم ثم قال أخبرني عن لباسهم فأخبرته وعن مطاياهم فقلت
الخيل العرباب ووصفها له قال نعمت الحصون ووصفت له الابل وبروكها وقيامها
بحملها فقال هذه صفة دواب طوال الاعناق وكتب معه الى يزيد جرد أنه لم يمنعني
ان أبعث اليك بجند أوله بمر و آخره بالصين الا جهالة بما يحق علي ولو كن هؤلاء
القوم الذين وصفهم لي رسولك لو يحاولون الجبال لهدوها ولو خلاهم سر بهم
أز الوني ماداموا على وصفهم فسالمهم واراض منهم بالمسالمة ولا تهبجهم ما لم يهبجوك
فأقام يزيد جرد بفرغانة ومعه آل كسرى بعهد من خاقان ولما وصل خبر الفتح الى عمر
ابن الخطاب جمع الناس وخطبهم وقرأ عليهم كتاب الفتح وحمد الله تعالى في خطبته
على انجاز وعده ثم قال ألا وان ملك المجوسية قد هلك فليس يملكون من بلادهم

شبرا يضر بمسلم ألا وان الله أورانكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناؤهم لينظر
كيف تعملون فلا تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم فاني لأخاف على هذه الامة ان
تؤتى الامن قبلكم

﴿ ذكر فتح شهر زور والصامغان ﴾

استعمل عمر رضي الله عنه عزرة بن قيس على حلوان فحاول عزرة فتح
شهر زور فلم يقدر عليها فغزاها عتبة بن فرقد ففتحها بعد قتال على مثل صلح
حلوان فكانت العقارب تصيب الرجل من المسلمين فيموت وصالح أهل
الصامغان ودار اباد على الجزية والخراج وقتل خلقا كثيرا من الاكراد وكتب
الى عمران فتوحى قد بلغ أذربيجان فولاه اياها وولى هرثمة بن عرفة الموصل
ولم تزل شهر زور وأعمالها مضمومة الى الموصل حتى أفردت عنها آخر
خلافة الرشيد

﴿ ذكر غزو معاوية بلاد الروم ﴾

في هذه السنة أعنى سنة اثنتين وعشرين بن غزا معاوية بلاد الروم ودخلها في
عشرة آلاف من المسلمين فأخذ فيهم وغنم ورجع سالما

﴿ ذكر الخبر عن فتح توج ﴾

لما خرج أهل البصرة الذين توجهوا الى فارس أمراء عليها وكان فيهم سارية بن
زئيم الكنانى فساروا وأهل فارس مجتمعون بتوج فلم يقصدهم المسلمون بل
توجه كل أمير الى الجهة التي أمر عليها وبلغ ذلك أهل فارس فتفرقوا الى بلدانهم كما
افترق المسلمون فكانت تلك هزيمتهم ونشئت أمورهم فقصد مجاشع بن مسعود
السلمى سابور وازدشير فالتقى هو والفارس بتوج فاقتتلوا ما شاء الله ثم انهزم
الفارس وقتلهم المسلمون كيف شاءوا كل قتله وغنموا ما في عسكرهم وحصروا
توج فاقتنعوها وقتلوا منهم خلقا كثيرا وغنموا ما فيها وكان ذلك افتتاح سنة ثلاث
وعشرين وهذه توج الاخيرة والاولى هي التي استقدمتها جنود العلاء بن
الحضرمي أيام طاوس ثم دعوا الى الجزية فرجعوا وأقروا بها وأرسل مجاشع بن
مسعود السلمى بالبشارة والاحسان الى عمر رضي الله عنه

ذكر فتح اصطخر وجور وغيرهما

في سنة ثلاث وعشرين بقصد عثمان بن أبي العاص الثقفي اصطخر وكان عمر رضي
الله عنه عقده لواء اصطخر لما عقد الالوية لمن أذن لهم في الانسياب الى بلاد
فارس فالتقى عثمان هو وأهل اصطخر بجور فاقتتلوا وانهمزم الفرس وقع
المسلمون جور ثم اصطخر وقتلوا ما شاء الله ثم فر منهم من فر فدعاهم عثمان الى
الجزية والذمة فأجابهم الهربذ اليها فتراجعوا وكان عثمان قد جمع الغنائم لما همزمهم
فبعث بخمسها الى عمر وقسم الباقي في الناس وفتح عثمان كيزرون والنوبندجان
وغلب على أرضها وفتح هو وأبو موسى مدينة شيراز وارجان وفتح شينيز على
الجزية والخراج وقصد عثمان أيضا جنابا ففتحها واقبى جمع الفرس بناحية جهرم
فهزمهم وفتحها ثم ان شهرك خلع الطاعة في آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان
فوجه اليه عثمان بن أبي العاص ابنه وأتته الامداد من البصرة وأميرهم عبيد الله
ابن معمر وشبل بن عبد القوا بأرض فارس فقال شهرك لابنه وهما في المعركة
وبينهما وبين قرية شهرك ثلاثة فراسخ وتسمى القرية أيضا شهرك يا بني أين
يكون غداؤنا ههنا أم بشهرك قال له يا أبت ان تركونا فلا يكون غداؤنا ههنا ولا
بشهرك ولا يكون الا في المنزل وما أراهم يتركوننا فافرغنا من كلامهما حتى
شب المسلمون الحرب فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل شهرك وابنه وخلق كثير
والذي قتل شهرك الحكم بن أبي العاص أخو عثمان وقيل قتل سوار بن همام
العبدى حمل عليه فطعنه فقتله وحمل ابن شهرك على سوار فقتله وحوصر
الفرس بمدينة سابور فصالح عليهم ملكها ارزنيان وكان في جيوش المسلمين أبو
صفرة والدمهلب قيل ان عبد الله بن معمر أمير الامداد التي جاءت لهذا الجيش
من البصرة بلغه ان ارزنيان يريد الغدربه فقال له أحب أن تتخذ لأصحابي طعاما
وتذبح لهم بقرة وتجعل عظامها في الجفنة التي تلبني فاني أحب أن أتمشش العظام
ففعل وجعل يأخذ العظم الذي لا يكسر الا بالفؤس فيكسره بيده ويأخذ نحوه
وكان من أشد الناس فقام ارزنيان وقبل قدمه وقال هذا مقام العائذ بك وأعطاه

عهدا ﴿ ذكر فتح نساودار بمجرد ﴾

قد تقدم ان عمر رضى الله عنه لما عقد اوبة لمن اذن لهم في الانسياح في بلاد فارس
عقدوا لياسارية بن زعيم الكنانى على نساودار بمجرد في سنة ثلاث وعشرين
فسار حتى انتهى اليهم فنزل عليهم وحاصرهم ماشاء الله ثم انهم استقدوا وتجمعوا
وتجمعت اليهم اكراد فارس فدهم المسلمين امر عظيم وجمع كثير وانا هم الفرس
من كل جانب فرأى عمر فيما يرى النائم تلك الليلة معركتهم وعددهم في ساعة من
النهار فنادى من الغد الصلاة جامعة حتى اذا كان في الساعة التي رأى فيها مارأى
خرج اليهم وكان ابن زعيم والمسلمون بصحراء ان أقاموا فيها أحيط بهم وان
استندوا الى جبل خلفهم لم يؤثروا الامن وجه واحد فقام عمر على المنبر فقال يا أيها
الناس انى رأيت هذين الجمعين وأخبر بحالهما وصاح عمر وهو يخطب ياسارية بن
زعيم الجبل ياسارية الجبل ثم أقبل على الناس فقال ان الله جنودا ولعل بعضها
ان تبلغهم فسمع سارية ومن معه الصوت فلبجوا الى الجبل ثم قاتلوهم فهزمهم الله
تعالى كذا في الكامل لابن الاثير وهذه القصة رواها كثير من أئمة الحديث بأسانيد
صحيحة منهم البيهقي وأبو نعيم وابن مردويه واللالسكاى وابن الاعرابى والخطيب
بألفاظ متعددة والمعانى متقاربة فيهار واية لابن عمر قال وجهه عمر جيشا ورأس
عليهم رجلا يدعى سارية فبينما عمر يخطب جعل ينادى ياسارية الجبل ثلاثا ثم قدم
رسول الجيش فسأله عمر فقال يا أمير المؤمنين هزمنا فينا نحن كذلك اذ سمعنا
صونا ينادى ياسارية الجبل ثلاثا فأسندنا ظهورنا الى الجبل فهزمهم الله تعالى فان
قيل لعمر انك تصيح بذلك وذلك الجبل الذى كان سارية عنده بنهاوند من أرض
المعجم وفي رواية لابن عمر أيضا كان عمر يخطب يوم الجمعة فعرض في خطبته أن
قال ياسارية الجبل من استرعى الذئب ظلم فالتفت الناس بعضهم لبعض فقال لهم
على رضى الله عنه ليخرجن مما قال فلما فرغ سأله فقال وقع في خلدى أن
المشركين هزموا اخواننا وانهم يمرون بجبل فان عدلوا اليه قاتلوا من وجه واحد
وان جازوا هلكوا فخرج منى ما تزعمون أنكم سمعتموه فجاء البشير بعد شهر

قد كرامهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم قال فعدلنا الى الجبل ففتح الله علينا
وفي رواية عن عمرو بن الحارث قال بينا عمر يخطب يوم الجمعة اذ ترك الخطبة فقال
ياسارية الجبل مرتين أو ثلاثا ثم أقبل على خطبته فقال بعض الحاضرين لقد جن
انه لمجنون فدخل عليه عبدالرحمن بن عوف وكان يطعمه اليه فقال انك تجعل
لم على نفسك. قال لا بينا أنت تخطب إذ أنت تصيح ياسارية الجبل أي شيء هذا قال
اني والله ما ملكك ذلك رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤنون من بين أيديهم ومن
خلفهم فلم أملك أن قلت ياسارية الجبل ليلحقوا بالجبل فلبثوا الى أن جاء رسول
سارية بكتابه وفيه ان القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم حتى اذا حضرت الجمعة
سمعنا مناديا ينادي ياسارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا
حتى هزمهم الله وقتلهم فقال أولئك الذين طعنوا عليه دعوا هذا الرجل فانه
مصنوع له انتهى وأصاب المسلمون في مغناهم مع سارية سقط فيه جوهر
فاستوهبه منهم سارية وبعث به الى عمر فقدم الرسول على عمر وهو يطعم الطعام
فأمره فجلس وأكل فلما أنصرف عمر تبعه الرسول فظن عمر أنه لم يشبع فأمره
فدخل بيته فلما جلس أتى عمر بغدائه خبز وزيت وملح جريش فأكل فلما فرغا
قال الرجل أنا رسول سارية يا أمير المؤمنين قال مرحبا وأهلا ثم أدناه حتى مس
ركبته وسأله عن المسامين فأخبره بقصة السقط فنظر اليه وصاح به لا ولا كرامة
حتى يقدم على ذلك الجند فيقسمه بينهم فطرده فقال يا أمير المؤمنين اني قد أنصيت
جملتي واستقرضت في جائزتي فأعطني ما أتبلغ به فا زال به حتى أبدله بعيرا من إبل
الصدقة وجعل بعيره في إبل الصدقة ورجع الرسول مغضوبا عليه محروما وسأل
أهل المدينة الرسول هل سمعوا شيئا يوم الواقعة قال نعم سمعنا ياسارية الجبل وقد
كذناهم لك فلجأنا اليه ففتح الله علينا

﴿ ذكر فتح كرمان ﴾

كان سهيل بن عدي قد عقد له عمر لواء على كرمان مع الالوية التي عقدها فأمره
في هذه السنة أعني سنة ثلاث وعشر بن بالمسير الى كرمان فسار ولحقه عبداللّه بن

عبد الله بن عتبان وحشد لهم أهل كرمان واستعانوا عليهم بالقفص فاقتتلوا في
أداني أرضهم ففض الله تعالى المشركين وأخذ المسلمون عليهم الطريق وقتل
النسير بن عمر والعجلي مرزبانها فدخل النسير من قبل طريق القرى اليوم إلى
جبرفت وعبد الله بن عبد الله من مفازة سير فأصابوا ما أرادوا من بغير أوشاة
فقوموا الإبل والغنم فتخاصوها بالأمان لعظم البخت على العرب وكرهوا أن
يزيدوا وكتبوا إلى عمر بذلك فأجابهم إذا رأيتهم أن في البخت فضلا فزبدوا

﴿ ذكر فتح سجستان ﴾

كان عاصم بن عمر وقد عقد له عمر لواء على سجستان مع الألوية التي عقدها فأمره
في هذه السنة بالمسير إليها فصار ولحقه عبد الله بن عمير فاستقبلهم أهلها فالتقواهم
وأهل سجستان في أداني أرضهم فهزمهم المسلمون ثم اتبعوهم حتى حصرهم
بزرنج ومخروا أرض سجستان ثم انهم طلبوا الصلح على زرنج وما اجتازوا من
الأرضين فأعطوا وكانوا قد اشترطوا في صلحهم أن قندهار حتى فكان
المسلمون يتجنبونها خشية أن يصيبوا منها شيئا فيخفروا قيم أهل سجستان على
الخراج وكانت سجستان أعظم من خراسان وأبعد فروعها فقاتلون القندهار
والترك وأما كثيرة

﴿ ذكر فتح مكران بضم الميم وسكون الكاف ﴾

كان الحكم بن عمرو التغلبي قد عقد له عمر لواء على مكران مع الألوية التي عقدها
فأمره في هذه السنة بالمسير إليها فصار حتى انتهى إليها ولحقه شهاب بن المخارق
وسهيل بن عدي وعبد الله بن عبد الله بن عتبان فأنهى إلى دوين النهر وأهل
مكران على شاطئه فاستقدم ملكهم ملك السند فأمد به بجيش كثيف فالتقوا مع
المسلمين فانهزموا وقتل منهم في المعركة مقتلة عظيمة واتبعهم المسلمون يقتلونهم
أياما حتى انتهوا إلى النهر ورجع المسلمون إلى مكران فأقاموا بها وكتب الحكم إلى
عمر بالفتح وبعث إليه بالاجناس مع صحار العبدى فلما قدم المدينة سأله عمر عن
مكران فقال يا أمير المؤمنين هي أرض سهلها جبل وماؤها وشل ونمرها دقل

وعدوها بطل وخيرها قليل وشرها طويل والكثير فيها قليل والقليل فيها ضائع
وما وراءها شرم منها فقال أسبغ أنت أم مخبر لا والله لا يغزوها جيش لي أبدا وكتب
الى سهيل والحكم بن عمرو أن لا يجوزن مكران أحد من جنودهما وأمرهما
ببيع الفيلة التي غنمها المسلمون ببلاد الاسلام وقسم أثمانها على الغانمين

﴿ ذكر فتح بير وذو الالهواز ﴾

لما فصلت الخيول الى الكور اجتمع ببير وذجع عظيم من الاكراد وغيرهم وكان
عمر قده الى ابي موسى أن يسير الى أقصى ذمة البصرة حتى لا يؤتى المسلمون
من خلفهم وخشى أن يهلك بعض جنوده أو يخلفوا في أعقابهم فاجتمع الاكراد
ببير وذو أبطأ أبو موسى حتى تجمعوا ثم سار فزل بهم ببير وذو القوا في رمضان
بين نهر تيرى ومناذر فقام المهاجر بن زياد وقد تحنط واستقبل القوم وعزم أبو
موسى على الناس فأفطر واوتقدم المهاجر وقاتل قتالا شديدا حتى قتل ووهن الله
المشركين حتى تحصنوا في قلة وذلة واشتد جزع الربيع بن زياد على أخيه المهاجر
وعظم عليه فقده فرق له أبو موسى فاستخلفه عليهم في جند وخرج أبو موسى حتى
بلغ أصبهان واجتمع بها بالمسلمين الذين يحاصرون جيا فلما قعت رجع أبو موسى
الى البصرة وفتح الربيع بن زياد الحارثي ببير وذمن نهر تيرى وغنم ما معهم

﴿ ذكر خبر سلمة بن قيس الانجبى والاكراد ﴾

كان عمر رضى الله عنه اذا اجتمع اليه جيش من المسلمين أمر عليهم أميراً من
أهل العلم والفقهاء فاجتمع اليه جيش من المسلمين فبعث عليهم سلمة بن قيس
الانجبى فقال سر باسم الله قاتل في سبيل الله من كفر بالله فاذا قيمتم عدوكم
فادعوهم الى الاسلام فان أجابوا وأقاموا بدارهم فعليهم الزكاة وليس لهم من الفىء
نصيب وان ساروا معكم فلهم مثل الذى لكم وعليهم مثل الذى عليكم وان أبوا
فادعوهم الى الجزية فان أجابوا فاقبلوا منهم وان أبوا فقاتلوهم وان تحصنوا منكم
وسألوكم أن ينزلوا على حكم الله ورسوله أو ذمة الله ورسوله فلا تجيبوهم فانكم لا
تدرون أن تصيبون حكم الله ورسوله وذمتها أم لا ولا تغدروا ولا تقتلوا اولياد ولا

تمثلوا فساؤا حتى لقوا عددا من الأكراد المشركين فدعوههم الى الاسلام
والجزية فلم يجيبوا فقاتلوهم فهزموهم وقتلوا المغتالمة وسبوا الذرية ففسمه بينهم
ورأى سلمة جوهر في سفسط فاسترضى عنه المسلمون وبعث به الى عمر فقدم
الرسول بالبشارة وبالسفسط على عمر فسأله عن أمور الناس وهو يخبره حتى أخبره
بالسفسط فغضب غضبا شديدا وأمر به فوجئ به في عنقه ثم قال ان تفرق الناس قبل
أن تقدم عليهم ويقسمه سلمة فيهم لاسوء نك فسار حتى قدم على سلمة فباع
وقسمه في الناس وكان الفص يباع بخمسة دراهم وقيمة عشرة ون ألفا وفي
هذه السنة غزى معاوية الروم وفتح عسقلان صلحا الى هنا انتهت الفتوحات التي
كانت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه * واستشهد عمر رضي الله عنه
لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة فكانت خلافته
عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام وقصة استشهاده مشهورة لا حاجة الى الاطالة
بذكرها * أخرج أبو يعلى عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل آنفا فقلت يا جبريل حدثني بفضائل
عمر بن الخطاب فقال لو حدثتك بفضائل عمر منذ لبث نوح في قومه ما نفذت
فضائل عمر وان عمر حسنة من حسنات أبي بكر رضي الله عنهما وربما أن العقول
القاصرة تستبعد كثرة هذه الفضائل لعمر رضي الله عنه لكن من كان ذا بصيرة
وأمن فكره فيما خص الله به عمر من الفضائل في نفسه وفيما أجراه الله على يديه وما
حصل للاسلام وأهله بسببه من كونه أعز الله به الاسلام في ابتدائه ومن كثرة
الفتوحات التي فتحها الله على يديه حتى كثر العلم واتسع الاسلام وكثر المساهمون
يتضح له أن كل خير وقع لأهل الاسلام منذ خلافة عمر رضي الله عنه الى يوم القيامة
كله من فضائل عمر رضي الله عنه ومن حسناته ويكتب الله له مثل أجورهم وذلك
شيء كثير لا يمكن ضبطه ولا احصاؤه ولو مكث العبد منذ لبث نوح في قومه *
وأخرج عبد الله بن الامام أحمد في زوائد المسند عن أنس بن مالك رضي الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لأرجو لأمتي في جهم لأبي بكر وعمر

ما أرجو لهم في قول لا اله الا الله * وأخرج أبو ذر الهروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدى مع عمر حيث كان وهذا مثل ما قال صلى الله عليه وسلم في حق علي رضي الله عنه وأدر الحق معه حيث دار فكل من عمر وعلي رضي الله عنهما كان مع الحق ولهذا كان علي رضي الله عنه مع الخلفاء الثلاثة قبله في زمن خلافتهم ولم ينزع أحد منهم لعلمه بأنهم كانوا مع الحق فكان هو معهم فلما جاءت نوبة خلافته ونوزع في ذلك قاتل من نازعه فلا يصح أن ينسب إليه أن سكوتة في زمن الخلفاء الثلاثة كان تقيية حياء الله من المحاباة في دين الله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر الفتوحات في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴾

كانت البيعة لعثمان رضي الله عنه في أوائل المحرم سنة أربع وعشرين فغزل المغيرة بن شعبه عن الكوفة وولاهما سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عملاً بقول عمر رضي الله عنه أوصى الخليفة بعدى أن يستعمل سعداً فإنه لم أعزله عن سوء ولا خيانة فكان أول عامل بعنه عثمان رضي الله عنه

﴿ ذكر خلافة أهل الاسكندرية ﴾

في سنة خمس وعشرين خالف أهل الاسكندرية ونقضوا صلحهم وكان سبب ذلك ان الروم عظم عليهم فتح المسلمين الاسكندرية ووطنوا انهم لا يمكنهم المقام ببلادهم بعد خروج الاسكندرية عن ملكهم فكاتبوا من كان فيهم من الروم ودعوهم الى نقض الصلح فأجابوهم الى ذلك فسار اليه من القسطنطينية جيش كثير وعليهم منويل الخصى فأرسلوا بها واتفق معهم من بهامن الروم ولم يوافقهم المقوقس بل ثبت على صلحه فلما بلغ الخبر الى عمرو بن العاص سار اليهم وسار الروم اليه فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً فانهمز الروم وتبعهم المسلمون الى أن أدخلوهم الاسكندرية وقتلوا منهم في البلد مقتلة عظيمة منهم منويل الخصى وكان الروم لما خرجوا من الاسكندرية قد أخذوا أموال أهل تلك القرى من وافقهم ومن خالفهم فلما ظفروهم المسلمون جاء أهل القرى الذين خالفوهم فقالوا لعمرو بن العاص ان الروم

أخذوا دوابنا وأموالنا ولم نخالف نحن عليكم وكنا على الطاعة فرد عليهم ما عرفوا
من أموالهم بعد إقامة البينة وهدم عمرو سور الاسكندرية وتر كها بغير سور وفي
هذه السنة بلغ سعد بن أبي وقاص عن أهل الرى عزم على نقض العهد فأرسل اليهم
وأصلحهم وغزا الديل ثم انصرف

﴿ ذكر صالح أهل أرمينية وأذربيجان ﴾

في هذه السنة نقضت أهل أذربيجان فأمر عثمان رضى الله عنه الوليد بن عقبة بن
أبي معيط أن يغزوهم وكان على الكوفة لان سعد بن أبي وقاص اختصم مع عبد
الله بن مسعود فاستحسن عثمان رضى الله عنه أن يعزل سعدا قطعا للنزاع فعزله
وولاه الوليد فغزاهم الوليد وعلى مقدمته عبد الله بن شبيب الأحمسي فأغار على
أهل موقان والبير والطيلسان ففتح وغنم وسبي فطلب أهل كور اذر بيجان
الصلح فصالحهم على ثمانمائة ألف درهم وقبض المال وبت السرايا وبعث سلمان بن
ربيعة الباهلي الى أهل أرمينية في اثني عشر ألفا فسار في أرمينية يقتل ويسبي
ويغنم ثم انصرف وقدم لا يديه حتى أتى الوليد فعاد الوليد وقد ظفر وغنم وجعل
طريقه على الموصل ثم أتى المدينة فنزلها فأناها بها كتاب عثمان فيه ان معاوية بن
أبي سفيان كتب الى يخبرني ان الروم قد أجلبت على المسلمين في جموع كثيرة وقد
رأيت أن يمدهم اخوانهم من أهل الكوفة فابعت اليهم رجلا له نجدة وبأس في
ثمانية آلاف أو تسعة آلاف من المسكان الذي يأتيك كتابي فيه والسلام فقام
الوليد في الناس وأعلمهم الحال وندبهم مع سلمان بن ربيعة الباهلي فانتدب معه
ثمانية آلاف فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشام الى أرض الروم فشنوا الغارات
على أرض الروم فأصاب الناس ماشاؤا من الغنائم وافتعوا حصونا كثيرة وقيل
ان الذي أمد حبيب بن مسامة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص وكان على
الكوفة بعد عزل الوليد وكان سبب ذلك أن عثمان كتب الى معاوية أن يغزو
حبيب بن مسامة في أهل الشام أرمينية وهي غير التي باذر بيجان بالعراق فوجهه
اليها فأتى قالي قلا فحصرها وضيق على من بها فطلبوا الأمان على الجلاء أو الجزية

فجلا كثير منهم فلحقوا ببلاذ الروم وأقام حبيب بها فيمن معه شهرا ثم بلغه ان
بطريق ارمينا فس وهى البلاد التى صارت بعد يد أولاد السلطان قلع ارسلان
السلجوقى وهى ملاطية وسيمواس واقسراى وقونية وما والاها من البلاد الى
خارج القسطنطينية قد توجه نحوه فى ثمانين ألفا من الروم واسم القس المذكور
المورىان فكتب حبيب الى معاوية يخبره فكتب معاوية الى عثمان فأرسل عثمان
الى سعيد بن العاص يأمره بامداد حبيب فأمده بثمانين ألفا وأجمع
حبيب على تبليت الروم فسمعت امر أنه أم عبد الله بنت يزيد الكلبية فقالت أين
مؤعدك فقال سرادق المورىان ثم بينهم فقتل من وقف له ثم أتى السرادق فوجد
امر أنه قد سبقته اليه فكانت أول امرأة من العرب ضرب عليها حجاب سرادق
ولما انهزمت الروم عاد حبيب الى قالى قلا ثم سار منها ونزل مر بالا فتأناه بطريق
خلاط بكتاب عياض بن غنم بأمان البطريق المذكور فأجراه عليه وحمل اليه
البطريق ما عليه من المال ونزل حبيب خلاط ثم سار منها فقيه صاحب مكس
وهى من البسفرجان فقاطعه على بلاده ثم سار منها الى ازدشاط وهى القرية التى
يكون منها القرمز الذى يصبغ به قنزل على نهر ديبيل وسرح الخيول اليها
فحصرها فقتل من أهلها فنصب عليهم منجنيقا فطلبوا الأمان فأجابهم اليه وبت
السرايا فبلغت خيله ذات اللجم وانما سميت ذات اللجم لان المسلمين أخذوا لجم
خيولهم فكتبهم الروم قبل أن يلجموها ثم ألقوها فقاتلوهم فظفروا بهم ووجه
سرية الى سراج طبر وبغرونند فصالحه بطريقهما على اناوة فقدم عليه بطريق
البسفرجان فصالحه على جميع بلاده وأتى السيسجان فخار به أهلها فهزمهم وغلب
على حصونهم وسار الى جرذان فتأناه رسول بطريقها يطلب الصلح فصالحه وسار
الى تغليس فصالحه أهلها وهى من جزران وفتح عدة حصون تجاورها صلحا وسار
سلمان بن ربيعة الباهلى الى اران ففتح البيلقان صلحا على ان آتتهم على دماهم
وأموالهم وحيطان مدينتهم واشترط عليهم الجزية والخراج ثم أتى سلمان مدينة بردعة
فسكر على الثرور نهر بينه وبينها نحو فرسخ فقاتله أهلها أيا ما وشن الغارات

في قراها فصالحوه على مثل صلح البيلقان ودخلها ووجه خيله ففتحت رساتيق
الولاية ودعا أكراد البلاشجان الى الاسلام فقاتلوه فظفر بهم فأقر بعضهم على
الجزية وأدى بعضهم الصدقة وهم قليل ووجه سرية الى شمكور ففتحوها وسار
سامان الى مجمع ارس والسكر ففتحه وصالحه صاحب سكر وغيرها على الاتاوة
وصالحه ملك شروان وساثر ماوك الجبال وأهل مسقط والشابران ومدينة الباب
وهي غير التي في العراق وهذه بقرب حلب

﴿ ذكر غزوة معاوية الروم ﴾

في هذه السنة سنة ٢٥ غزا معاوية الروم فبلغ عمورية وهي الممبارة وسافو جند
الحصون التي بين انطاكية وطرسوس خالية فجعل عندها جماعة كثيرة من
أهل الشام والجزيرة حتى انصرف من غزاته ثم أغزى بعد ذلك يزيد بن الحر
العبيسي الصائفة وأمره ففعل مثل ذلك ولما خرج هدم الحصون الى انطاكية

﴿ ذكر غزوة أفرريقية ﴾

في هذه السنة سير عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن أبي سرح الى أطراف
أفرريقية غازيا بأمر عثمان وكان عبد الله من جند مصر فلما سار اليها أمده عمرو
بالبجنود ففتح هو وجنده فلما عاد عبد الله كتب الى عثمان يستأذنه في غزو أفرريقية
فأذن له في ذلك

﴿ ذكر غزوة كابل ﴾

في هذه السنة أرسل عثمان رضي الله عنه عبد الله بن عامر الى كابل وهي عمالة
سجستان فبلغها في قول فكانت أعظم من خراسان حتى مات معاوية
فامتنع أهلها

﴿ ذكر فتح أفرريقية ﴾

كان ذلك في سنة ست وعشرين قد تقدم أن عبد الله بن أبي سرح استأذن عثمان
رضي الله عنه في غزو أفرريقية فأذن له وقال له ان فتح الله عليك فلك من الفيء
خمس الخمس نفلا وأمر عثمان عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع بن
الحارث بن علي جند دوسرحهما وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن أبي سرح على
صاحب أفرريقية فخرجوا حتى قطعوا أرض مصر ووطؤا أرض أفرريقية

وكانوا في جيش كثير عدتهم عشرة آلاف من شجعان المسلمين فصالحهم أهلها
على مال يؤدون له ولم يقدموا على دخول أفرريقية والتوغل فيها الكثيرة أهلها ثم ان
عثمان ولي عبد الله بن أبي سرح مصر فأرسل الى عثمان يستأذنه في غزو أفرريقية
والاستكثار من الجموع فاستشار عثمان من عنده من الصحابة فأشار أكثرهم
بذلك فجهز اليه العساكر من المدينة وفيهم جماعة من أعيان الصحابة منهم عبد الله
ابن عباس وغيره فسار بهم عبد الله بن أبي سرح الى أفرريقية فلما وصلوا الى
برقة لقيهم عبد الله بن نافع فبين معه من المسلمين وكانوا بها وساروا الى طرابلس
الغرب فتهبوا من عندها من الروم وساروا نحو أفرريقية وبت السرايا في كل
ناحية وكان ملكهم اسمه جرجير وملكه من طرابلس الى طنجة وكان هرقل
ملك الروم قد ولاء أفرريقية فهو يحمل الخراج اليه كل سنة فلما بلغه خبر المسلمين
تجهز وجمع العساكر وأهل البلاد فبلغ عسكره مائة ألف وعشرين ألف فارس
والتقى هو والمسلمون بمكان بينه وبين مدينة سيطة يوم وليلة وهذه المدينة
كانت ذلك الوقت دار الملك فأقاموا هناك يقتتلون كل يوم وراسله عبد الله بن
أبي سرح يدعو الى الاسلام أو الجزية فامتنع منهما وتكبر عن قبول أحدهما
وانقطع خبر المسلمين عن عثمان فسار عبد الله بن الزبير في جماعة اليهم ليأتيه
باخبارهم فسار مجدا ووصل اليهم وأقام معهم ولما وصل كثير الصياح والتكبير في
المسلمين فسأل جرجير عن الخبر فقبل قد أتاهم عسكر ففت ذلك في عضده ورأى
عبد الله بن الزبير قتال المسلمين كل يوم من بكرة الى الظهر فاذا أذن الظهر عاد
كل فريق الى خيامه وشهد القتال من الغد فلم يراى من أبي سرح معهم فسأل عنه
فقبل انه سمع منادى جرجير يقول من قتل عبد الله بن أبي سرح فله مائة ألف
دينار وأزوجه ابنتي وهو يخاف على جيش المسلمين ان قتل فحضر عنده عبد
الله بن الزبير وقال له تأمر مناديا بنادي من أناني برأس جرجير نقلته مائة ألف
وزوجه ابنته واستعملته على بلاده ففعل ذلك فصار جرجير يخاف أشد من عبد
الله ثم ان عبد الله بن الزبير قال لعبد الله بن أبي سرح ان أمرنا يطول مع هؤلاء

وهم في امداد متصلة و بلادهم لهم ونحن منقطعون عن المسلمين و بلادهم وقد
رأيت ان نترك غدا جماعة سالحة من أبطال المسلمين في خيامهم متأهبين و تقاتل
نحن الروم في باقى العسكر الى ان يضجر و او بما واغفلوا جمعوا الى خيامهم و رجع
المسلمون ركب من كان في الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم
مستريحون و تقصدهم على غرة فلعل الله ينصرنا عليهم فأحضر جماعة من أعيان
الصحابه و استشارهم فوافقوه على ذلك فلما كان الغد فعل عبد الله ما اتفقوا
عليه و أقام جميع شجعان المسلمين في خيامهم و خيولهم عندهم مسرجه و مضى
الباقون فقاتلوا الروم الى الظهر فتلا شديد افلما أذن بالظهر هم الروم بالانصراف
على العادة فلم يمكنهم ابن الزبير و أخ عليهم بالقتال حتى أتبعهم ثم عاد عنهم هو
والمسلمون فكل من الطائفتين ألقى سلاحه و وقع تعباً فعند ذلك أخذ عبد الله
ابن الزبير من كان مستريحاً من شجعان المسلمين و قصد الروم فلم يشعر و اجهم حتى
خالطوهم و حملوا جملة رجل واحد و كبروا فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم
حتى غشيم المسلمون و قتل جرجير قتله عبد الله بن الزبير و انهزم الروم و قتل
منهم مقتلة عظيمة و أخذت ابنة الملك جرجيرسية و أعطيت لعبد الله بن الزبير
مع مائة ألف و نازل عبد الله بن أبي سرح المدينة فحصرها حتى قتها و رأى فيها
من الاموال ما لم يكن في غيرها فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار و سهم
الراجل ألفاً و لما فتح عبد الله مدينة سبيلته بث جيوشه في البلاد فبلغت قفصة
فسبوا و غنموا و سير عسكرا الى حصن الاعاجم و قد أحرقى به أهل تلك البلاد
فحصره و قعه بالامان فصالحه أهل أفر يقية على ألفي ألف و خمسمائة ألف دينار
و أرسل الى عثمان بالبشارة بفتح أفر يقية ثم عاد عبد الله بن أبي سرح الى مصر
و كان مقامه بأفر يقية سنة و ثلاثة أشهر و لم يفقد من المسلمين سوى ثلاثة منهم
أبو ذؤيب الهذلي الشاعر فدفن هناك

﴿ ذكر انتفاض أفر يقية و قصتها ثانية ﴾

كان هرقل ملك القسطنطينية يؤدى اليه كل ملك من ملوك النصارى الخراج

من مصر وأفر يقية واندلس وغير ذلك فلما صار ملك أفر يقية للمسلمين أرسل
هرقل بعد مدة إلى أهل بطريقا وأمر أن يأخذ منهم مثل ما أخذ المسلمون
فنزله بطريق في فرطاجنة وجمع النصارى الذين في أفر يقية وأخبرهم بما أمر
الملك فأبوا عليه وقالوا نحن نؤدى ما كان يؤخذ منا وقد كان ينبغي له أن يسأحنا
لما ناله المسلمون منا وكان قد قام بأمر أفر يقية بعد قتل جرجير رجل آخر من
الروم فطرده البطريق بعد فتن كثيرة وتغلب الروم على أفر يقية فسار ذلك
الرجل إلى الشام وبه معاوية وقد استقر له الأمر بعد قتل علي رضي الله عنه
فوصف له أفر يقية وطلب أن يرسل معه جيشا فيسير معه معاوية بن خديج
السكوني فوصل إلى أفر يقية وهي نار تضطرم ومعه عسكر عظيم فنزل عند
قونية وأرسل البطريق إليه ثلاثين ألف مقاتل فلما سمع بهم معاوية بن خديج
سير إليهم جيشا من المسلمين فقاتلهم فانهزم الروم وحصر حصن جاولا فلم يقدر
عليه فانهدم الحصن فلكه المسلمون وغنموا ما فيه وبت السرايا فسكن الناس
وأطاعوا وعاد إلى مصر

﴿ ذكر غزوة الاندلس ﴾

لما افتتحت أفر يقية في خلافة عثمان رضي الله عنه أمر عثمان رضي الله عنه عبد الله
ابن نافع بن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس أن يسيرا إلى الاندلس فأثابها
من قبل البصر وكتب عثمان إلى من انتدب معهم ما أبا بعد فإن القسطنطينية إنما
تفتح من قبل الاندلس فخرجوا معهم البربر ففتح الله على المسلمين فتوحات كثيرة
من أراضي أفر يقية وزاد في سلطان المسلمين مثل أفر يقية وأما الاندلس فلم تفتح
إلا في خلافة الوليد بن عبد الملك كما سيأتي إن شاء الله

﴿ ذكر غزوة قبرس ﴾

وفي سنة سبع وعشر بن غزاه معاوية بقبرس بن فقتل وسبي وغنم ورجع وفي سنة
ثمان وعشر بن كان فتح قبرس على يد معاوية

﴿ ذكر فتح قبرس في خلافة عثمان رضي الله عنه غزاه معاوية سنة ٢٨ ﴾

وكان معه جماعة من الصحابة منهم أبوذر وأبو الدرداء وعبادة بن الصامت ومعه

زوجته أم حرام وكان معاوية قد استأذن عمر رضي الله عنه أن يغزو في البحر فلم يأذن له خوفا على المسلمين من ركوب البحر فلما كانت خلافة عثمان رضي الله عنه استأذن وألح عليه فأذن له وقال لا تنتخب الناس ولا تفرع بينهم بل خيرهم فمن اختار الغز وطائعا فاجله وأعنه ففعل وسار المسلمون من الشام إلى قبرس وسار عبد الله بن أبي سرح من مصر فاجتمعوا عليها فصالحهم أهلها على جزية سبعة آلاف دينار كل سنة بعد قتل وسبي كثير في قبرس ويؤدون مثلها للملك الروم وفي هذه الغزوة ماتت أم حرام بنت ملحان الأنصارية ألقها بغلها بجزيرة قبرس فاندقت عنقها فانت تصديقه النبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبرها أنها في أول من يغزو في البحر كما في صحيح البخاري

﴿ ذكر انتفاض أهل فارس ﴾

في سنة تسع وعشرين انتفض أهل فارس فسار إليهم عبيد الله بن معمر فالتقوا على باب اصطخر فقتل عبيد الله وانهمزم المسلمون وبلغ الخبر عبد الله بن عامر بن كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وكان على البصرة بعد عزل أبي موسى وكان لعبد الله بن عامر صحبة فاستنفر أهل البصرة وسار بالناس إلى فارس فالتقوا باصطخر واشتد القتال فانهمزم الفرس وقتل منهم مقتلة عظيمة وفتحت اصطخر عنوة وأنى دارا بجرد وقد غدر أهلها ففتحتها وسار إلى مدينة جور فالتقت اصطخر فلم يرجع وتم السير إلى جور وحاصرها إلى أن فتحها وكان سبب فتحها أن بعض المسلمين قام يصلي ذات ليلة وإلى جانبه جراب له فيه خبز ولحم فجاء كلب فجره وغدابه حتى دخل المدينة من مدخل لها خفي فلزم المسلمون ذلك المدخل حتى دخلوها منه وفتحوها عنوة فلما فرغ منها ابن عامر عاد إلى اصطخر وفتحها عنوة بعد أن حاصرها واشتد القتال عليها ورميت بالمجانيق وقتل بها خلقا كثيرا من الأعاجم وأفنى أكثر أهل البيونات ووجوه الأساورة وكانوا قد لجؤا إليها

﴿ ذكر غزوة سعيد بن العاص طبرستان ﴾

في سنة ثلاثين غزا سعيد بن العاص طبرستان وكان على الكوفة بعد عزل الوليد

ابن عقبة وكان أهل طبرستان في خلافة عمر صالحوا سويد بن مقرن على مال
بذلوه ثم نقضوا فغزاهم سعيد بن العاص ومعه الحسن والحسين وابن عباس وابن
عمر وابن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص وحذيفة بن اليمان وأناس من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وخرج ابن عامر من البصرة يريد خراسان
فسبق سعيدا ونزل نيسابور ونزل سعيد قومس وأنى جرجان فصالحوه على مائتي
ألف ثم أتى طميسة فقاتله أهلها وضرب سعيد يومار جلابا بالسيف على جبل عاتقه
فخرج السيف من تحت مرفقه فسألوه الأمان فأعطاهم وفتح أيضا نامية وفي هذه
السنة غزا حذيفة الباب مددا لعبد الرحمن بن ربيعة وفي هذه الغزوة رأى حذيفة
اختلافا كثيرا بين الناس في القرآن فلما رجع أشار على عثمان بجمع القرآن في
المصاحف ففعل وقصة ذلك مشهورة لا حاجة لذكرها

ذ ك ر غ ز و ة الص و ا ر ي

في سنة إحدى وثلاثين غزاهم معاوية الصواري وسبها ان المسلمين لما أصابوا من
أهل افر يقية وقتلوهم وسبوهم خرج قسطنطين بن هرقل في جمع له لم تجمع الروم
مثله منذ كان الاسلام فخرجوا في خمسمائة مركب أو ستمائة وخرج المسلمون
وعلى أهل الشام معاوية بن أبي سفيان وعلى أهل مصر عبد الله بن أبي سرح على
طريق البحر وكانت الرج على المسلمين لما شاهدوا الروم فارسي المسلمون
والروم وسكنت الرج فقال المسلمون الأمان بيننا وبينكم فباتوا لياتهم
والمسلمون يقرؤن القرآن ويصلون ويدعون والروم يضربون بالنواقيس
وقربوا من الغدس فنهزم وقرب المسلمون سفنهم فربطوا بعضها مع بعض واقتتلوا
بالسيوف والخنابجر وقتل من المسلمين بشر كثير وقتل من الروم ما لا يحصى
وصبر الفريقان صبرا لم يصبروا في موطن قط مثله ثم أنزل الله نصره على المسلمين
فانهزم قسطنطين جرحا ولم ينج من الروم الا الشر يدوسا قسطنطين الى
صقلية فسأله أهلها عن حاله فأخبرهم فقالوا أهلكت النصرانية وأفنيت رجالها
ولو أنانا العرب لم يكن عندنا من يمنعهم ثم أدخلوه الحمام وقتلوه وتركوا من كان

معه وأذنوا لهم في المسير إلى القسطنطينية

ذكر مقتل يزدجرد بن شهر يار ملك الفرس

في سنة إحدى وثلاثين كان مقتل يزدجرد واختلف في كيفية قتله اختلافا كثيرا وكان قد هرب من فارس إلى خراسان ولم يزل المسلمون يتبعونه ويقفون أثره من مدينة إلى مدينة وهو يهرب ثم بيته جماعة من الترك فقتلوه وقيل بام عند رجل ينقر الأرحاء فقتله وقيل غير ذلك وكان ملكه عشر بن سنة منها أربع سنين في دعة وست عشرة في تعب من محاربة العرب أياه وغلظتهم عليه وكان آخر من ملك من آل أزدشير بن بابك وصفا الملك بعد للعرب

ذكر مسير عبد الله بن عامر إلى خراسان وفنصها

لما قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه نقض أهل خراسان وغدروا فلما افتتح ابن عامر فارس قام إليه حبيب بن أوس التميمي فقال له أيها الأمير إن الأرض بين يديك ولم يفتح منها إلا القليل فسر فان الله ناصر لك قال أولم تؤمر بالمسير وقيل إن الأحنف بن قيس قال له إن عدوك منك هارب ولك هائب والبلاد واسعة فسر فان الله ناصر لك ومعز دينه فسار إلى كرمان واستعمل عليها مجاشع بن مسعود السلمي وله صحبة وأمره بمحاربة أهلها وكانوا قد نكثوا أيضا واستعمل على سجستان الربيع بن زياد الحارثي وكانوا أيضا قد نقضوا الصلح وغدروا ثم سار ابن عامر إلى نيسابور وجعل على مقدمته الأحنف بن قيس وأنى البسطين وهما حصنان وهما بابا خراسان فصالحه أهلها على ستمائة ألف درهم وبعث سرية إلى رستاق زام من أعمال نيسابور ففتحها عنوة وفتح باخرزمن أعمال نيسابور أيضا وفتح جوين من أعمال نيسابور أيضا ووجه الأسود بن كلثوم المدوي إلى بهق من أعمالها أيضا فقصده فصبته ودخل حيطان البلاد من ثامة كانت فيه ودخلت معه طائفة من المسلمين فأخذ العدو عليهم تلك الثامة فقاتل الأسود حتى قتل هو وطائفة ممن معه وقام بأمر الناس بعده أخوه أدهم بن كلثوم فظفر وفتح بهق وكان الأسود يدعو الله أن يعشره في بطون السباع والطيور فلم يواره أخوه ودفن من استشهده من

أصحابه وافتتح ابن عامر في هذه الغزوة بشت من نيسابور وهند بشت بالشين
المعجمة وليست بيست التي بالسين المهملة فان تلك من بلاد الدوان وهذه من
خراسان من نيسابور وافتتح أيضا خواف واسفر ابن وارغيان ثم قصد نيسابور
بعدهما استولى على أعمالها وافتتحها فحصر أهلها شهر او كان على كل ربع منها
مرزبان للفرس يحفظه فطلب صاحب ربع من تلك الارباع الامارة على أن
يدخل المسلمون المدينة فأجيب الى ذلك فادخلهم ليلا ففتحو الباب وتمحصن
مرزبانها الأكبر في حصنها ومعها جماعة وطلب الأمان والصلح على جميع نيسابور
فصالحه على ألف ألف درهم وولى نيسابور قيس بن المهين السلمي وسير جيشا الى
نساوا بيورد فافتحوها واصلحوا وسير سرية أخرى الى سرخس مع عبد الله بن
خازم السلمي فقاتلوا أهلها ثم طلبوا الأمان والصلح على أمان مائة رجل
فأجيبوا الى ذلك فصالحهم مرزبانها على ذلك وسمى مائة رجل ولم يذكر نفسه
فقتله عبد الله ودخل سرخس عنوة وأتى مرزبان طوس الى ابن عامر فصالحه
عن طوس على ستائة درهم وسير جيشا الى هراة عليهم عبد الله بن خازم فبلغ
مرزبان هراة ذلك فسار الى ابن عامر فصالحه عن هراة وبادغيس وبوشنج وقيل
بل سار ابن عامر في الجيش الى هراة فقاتله أهلها ثمصالحه مرزبانها على ألف
ألف درهم ولما غلب ابن عامر على هذه البلاد أرسل اليه مرزبان مرو فصالحه على
ألف ألف ومائتي ألف درهم وأرسل ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلي الى
مرزبانها وكانت مرو وكلها صلحا الا قرية منها يقال لها شنج فانها أخذت عنوة ووجه
ابن عامر الاحنف بن قيس الى طخارستان ثم برستاق يعرف بعد ذلك برستاق
الاحنف و يدعى سوانجرد فحصر أهلها فصالحوه على ثلثائة ألف درهم فقال
الاحنف أصالحكم على أن يدخل رجل منا القصر فيؤذن فيه ويقم فيكم حتى
ينصرف فرضوا بذلك ومضى الاحنف الى مرو الروذ فقاتله أهلها فقتلهم
وعزهم وحصرهم وكان مرزبانها من أقارب بادان صاحب اليمن فكتب الى
الاحنف أنه دعاني الى الصلح اسلام باذان فصالحه على ستائة ألف وسير الاحنف

سرية فاستولت على رستاق بنغ واستاقت منه مواشي ثم صالحه أهلها وجمع له
أهل طخارستان فاجتمع أهل الجوزجان والطارقان والفارياب ومن حولهم
في خلق كثير فالتقوا وافتتلوا وحمل ملك الصغانيين على الاحنف فانزع الاحنف
الرمح من يده وقاتل قتالا شديدا فانهزم المشركون وقتلهم المسلمون قتلا ذريعا
كيف شاؤوا وعاد الى مرو والروذ ولحق بعض العدو بالجوزجان فوجه اليهم
الاحنف الاقرع بن حابس التميمي في خييل وقال يا بني تميم تحابوا وتباذلو وانعدل
أموركم وابدؤا بجهاد بطونكم وفر وجكم يصلح لكم دينكم ولا تغلوا يسلم لكم
جها دكم فسار الاقرع فلقى العدو بالجوزجان فكانت بالمسلمين جولة ثم عادوا
فهمزوا المشركين وقصوا الجوزجان عنوة وفتح الاحنف الطارقان صلحا وفتح
الفارياب ثم سار الاحنف الى بلخ وهي مدينة طخارستان فصالحه أهلها على
أربعمائة ألف وقيل سبعمائة ألف واستعمل على بلخ أسيد ابفتح الهمزة ابن المتشمس
ثم سار الى خوارزم وهي على نهر جيحون فلم يقدر عليها فاستشار أصحابه فقال له
حضين بالضاد المعجمة ابن المنذر قال عمر وبن معدى كرب

إذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

فعاد الى بلخ وقد قبض أسيد صلحها ولما تم لابن عامر هذا الفتح قال له الناس ما فتح
لأحد ما فتح عليك فارس وكرمان وسجستان وخراسان فقال لا جرم لا جعلن
شكري لله تعالى على ذلك أن أخرج محرمان موقفي هذا فأحرم بعمرة من نيسابور
وقدم على عثمان واستخلف على خراسان قيس بن الهيثم فسار قيس بعد شخصه
في أرض طخارستان فلم يأت بلدا منها الا صالحه أهلها وأذعنوا له حتى أتى
سمجان فامتنعوا عليه فحصرهم حتى قضوا عنوة

* ذكر فتح كرمان *

لما سار ابن عامر عن كرمان الى خراسان واستعمل مجاشع بن مسعود السلمي
على كرمان أمره أن يفتحها وكان أهلها قد نكثوا وغدروا ففتحهم هيمد عنوة
واستبقى أهلها وأعطاهم أمانا وبنى بها قصر يعرف بقصر مجاشع وأتى السيرجان

وهي مدينة كرمان فأقام عليها أياما يسيرة وأهلها متعصنون وفتحها عنوة فجلا
كثير من أهلها عنها وفتح جيرفت عنوة وسار في كرمان فدوخ أهلها وبنى القفص
وقد تجمع له خلق كثير من الاعاجم الذين جالوا فقاتلهم فظفر بهم وظهر عليهم
وهرب كثير من أهل كرمان فركبوا البحر ولحق بعضهم بمكران وبعضهم
ببجستان فأقطعت العرب منازلهم وأراضيتهم فعموها واحتفروا لها القنى في
مواقع منها وأدوا العشر

ذكر فتح سجستان وكابل وغيرهما

فقد قدم ذكر فتح سجستان أيام عمر بن الخطاب ثم ان أهلها انقضوا بعده فلما توجه
ابن عامر الى خراسان سير اليها من كرمان الربيع بن زياد الحارثي فقطع المفازة
حتى أتى حصن زالق فأغار على أهله يوم مهرجان وأخذ الدهقان فاقتدى نفسه
بأن غرز عنزة وغمرها ذهباً وفضة وصالحه على صلح فارس ثم أتى بلدة يقال لها
كركويه فصالحه أهلها وسار الى زرنج فنزل على مدينة روست بقرب زرنج فقاتله
أهلها وأصيب رجال من المسلمين ثم انهزم المشركون وقتل منهم مقتلة عظيمة
وأتى الربيع ناسروا ودفقت بها ثم أتى شروان فغلب عليها وسار منها الى زرنج فنازلها
وقاتله أهلها فهزمهم وحصرهم فأرسل اليه مرزبانها ليصالحه واستأمنه على نفسه
لبعض عنده فأمنه وجلس له الربيع على جسد من أجساد القتلى واتكأ على
آخر وأمر أصحابه ففعلوا مثله فلما آهم المرزبان هاله ذلك فصالحه على ألف وصيف
مع كل وصيف جام من ذهب ودخل المسلمون المدينة ثم سار منها وبنى القرية التي
بها مريوط فرس رستم الشديد فقاتله أهلها فظفر بهم ثم عاد الى زرنج وأقام بها نحو
سنة وعاد الى ابن عامر واستخلف عليها عاملاً فأخرج أهلها العامل وامتنعوا
فكانت ولاية الربيع سنة ونصفا وسبى فيها أربعين ألف رأس وكان كاتبه الحسن
البصرى فاستعمل ابن عامر عبد الرحمن بن سمرة حبيب بن عبد شمس على
سجستان فسار اليها فحصر زرنج فصالحه مرزبانها على ألفي ألف درهم وألفي
وصيف وغلب عبد الرحمن مابين زرنج والكش من ناحية الهند وغلب من ناحية

الرخج على ما بينه وبين الداون فلما انتهى الى بلد الداون حصرهم في جبل الزوز ثم
صالحهم ودخل على الزوز وهو صنم من ذهب عيناه ياقوتتان فقطع يده وأخذ
الياقوتتين ثم قال للرزبان دونك الذهب والجوهر وانما أردت أن أعلمك أنه
لا يضر ولا ينفع وفتح كابل وزابلستان وهي ولاية غزنة ثم عاد الى زرنج فأقام بها ثم
استخاف عليها أمير بن أحمري وانشكرى وانصرف فأخرج أهلها أمير بن أحمري

وامتنعوا ﴿ غزوة مضيق القسطنطينية ﴾

في سنة اثنين وثلاثين غزاه معاوية بن أبي سفيان مضيق القسطنطينية فقتل وسبي
وغنم ورجع ﴿ ذكر غزوة بلنجر ﴾

لمتتابعة الغزوات على الخزر والترك تذامر واو قالوا كنا لا يقرن بنا أحد حتى
جاءت هذه الامة القليلة فصرنا لانقوم لها فقال بعضهم ان هؤلاء لا يموتون
وما أصيب منهم أحد في غزوهم وكان المسلمون غزوهم قبل ذلك فلم يقتل منهم أحد
فلهذا ظنوا انهم لا يموتون فقال بعضهم أفلا تجربون فكمنوا لهم في الغياض
شر بالكمين نفر من الجند فرموهم منها فقتلوهم فتواعده رؤسهم على حربهم ثم
أعدوا يومًا وكان عثمان قد كتب الى عبد الرحمن بن ربيعة وهو على الباب ان
الرعية قد أبطرها البطنة فلا تقمهم بالمسامين فاني أخشى أن يقتلوا فلم يرجع عبد
الرحمن عن مقصده فغزاهم بلنجر وكان الترك قد اجتمعت مع الخزر فقاتلوا
المسامين قتالًا شديدًا وقتل عبد الرحمن وكان يقال له ذوالنون وهو اسم سيفه
فأخذ أهل بلنجر جسده فجعلوه في نابوت فيهم يستسقون به فلما قتل وقتل كثير ممن
معه انهزم الناس واقتربوا فرقتين فرقة نحو الباب فلقوا سلمان بن ربيعة أخا عبد
الرحمن كان قد سيره سعيد بن العاص مددًا للمسلمين بأمر عثمان فلما القوه نجوا معه
وفرقة نحو جيلان وجزجان فيهم سلمان الفارسي وأبو هريرة

﴿ ذكر خروج الترك مع ملكهم قارن ﴾

في سنة ثنتين وثلاثين خرجت جموع من الترك من ناحية خراسان في أربعين
ألفًا عليهم قارن من ملوكهم فانتهى الى الطيبين واجتمع له أهل بادغيس وهرارة

وقهستان وكان على خراسان يومئذ قيس بن الهيثم الساسي استخلفه عليها ابن عامر
عند خروجه الى مكة محرما فدوخ جهتها وكان معه ابن عمه عبد الله بن خازم فقال
لابن عامر اكتب لي على خراسان عهدا اذا خرج منها قيس ففعل فلما اقبلت
جوع الترك قال قيس لابن خازم ما ترى قال اري ان تخرج من البلاد فان عهد
ابن عامر عندي بولايتها فترك منازعته وذهب الى ابن عامر وقيل اشار عليه ان
يخرج الى ابن عامر يسقده فله اخرج أشهر عهد ابن عامر له بالولاية عنده غيب
قيس وسار ابن خازم للقاء الترك في أربعة آلاف وأمر الناس فحملوا الودك
فلما قرب من قارن أمر الناس أن يدرج كل رجل منهم على زج رمح خرقة أو فطنا
ثم يكثر وا دهنه ثم سار حتى أمسى فقدم مقدمته ستمائة ثم اتبعهم وأمر الناس
فأشعلوا النار في أطراف الرماح فانتهت مقدمته الى معسكر قارن نصف الليل
فناوشوهم وهاج الناس على دهش وكانوا آمنين من البيات ودنا ابن خازم منهم
فأروا النيران بمنة وبسرة تتقدم وتتأخر وتخفض وترفع فهاهم ذلك ومقدمة
ابن خازم يقاتلونهم ثم غشيه ابن خازم وأكثروا القتل في المشركين وقتل
ملكهم قارن فانهم زعم المشركون واتبعهم المسلمون يقتلونهم كيف شاؤوا وأصابوا
سبيا كثيرا وكتب ابن خازم بالفتح الى ابن عامر فرضى وأقره على خراسان

﴿ غزوة حصن المرأة ﴾

في سنة ثلاث وثلاثين غزا معاوية حصن المرأة من أرض الروم بناحية ملاطية
فقتل وسبي وغنم ورجع وفي هذه السنة كانت غزوة عبد الله بن سعد بن أبي
سرح افریقیة الثانية حين نقض أهلها العهد

﴿ ذكر انتفاض أهل قبرس وغزوهم في سنة ٣٣ ﴾

وفي هذه السنة نقض أهل قبرس وأعانوا الروم على الغزو في البحر بمراكب
أعطوهم اياها فغزا معاوية أهل قبرس وقتلها عنوة وقتل وسبي ثم أقرهم على
صلحهم وبعث اليهم اثني عشر ألفا فبنوا المساجد وبنى مدينة وفي تاريخ جنابي
أن في سنة خمس وثلاثين ركب البحر أمير مصر عبد الله بن أبي سرح من

الاسكندرية بقصد غزو القسطنطينية فاستقبلهم ملك الروم في ألف مركب وكان
المسلمون في مائة مركب فالتقوا بأسكدة فنكحهم مغربا نطا كية فرأى ملك الروم
رؤيا عبرت له بتعبير مستخرج من الالفاظ التي رآها فجتمعت وخرج منها حروف
ترجمتها لتطلب الغلبة فلم يعمل بمقتضى ذلك بل استهان بالمسلمين وقتلهم ففتح الله
النصر للمسلمين وولى الكفار هار بين فذهب من غرق في البحر ومنهم من أخذ
السيف ومنهم من أسر وغنم المسلمون كثيرا من مراكبهم ورجعوا الى جزيرة
رودس وشنوا عليها الغارة وقتحوها في أسرع زمان وضر بواعلى من فيها الجزية
وأعطوهم الأمان ❦ ذكر فتح رودس في سنة ٣٥ ❦

وفي تاريخ ابن الاثير ان فتح رودس كان في سنة ثلاث وخمسين في خلافة معاوية
فتحها جنادة بن أبي أمية الازدي وسيأتي ذكر ذلك ولعله فتح نان بعده هذا الفتح
انتهت الفتوحات التي كانت في خلافة عثمان رضي الله عنه ثم وقع الاختلاف بين
المسلمين في شأن الامراء الى أن قتل عثمان رضي الله عنه شهيدا وقصته مشهورة
لا حاجة لنا الى ذكرها ❦ وكان استشهاده لثمان عشرة خلت من ذى الحجة سنة
خمس وثلاثين يوم الجمعة وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة الاثني عشر يوما وقيل
الاثمانية أيام وقيل بل قتل أيام التشريق وكان عمره اثنتين وثمانين سنة وقيل ثمانيا
وثمانين وقيل تسعين ثم بويع على رضي الله عنه ووقع الاختلاف بين الصحابة
رضي الله عنهم في قتله عثمان وكانوا مجتهدين في طلب الحق فذهبوا من أصاب ومنهم
من أخطأ فالمصيب له أجران والمخطئ له أجر واحد فيجب الامساك عما جرى
بينهم وتأويله بأحسن التأويل وحمله على أحسن المحامل ❦ واستمر الحال الى ان
استشهد على رضي الله عنه سبع عشرة خلت من رمضان سنة أربعين وعمره
ثلاث وستون سنة ومدة خلافته خمس سنين الاثلاثة أشهر ❦ ثم بويع ابنه الحسن
رضي الله عنه واستقر ستمة أشهر ❦ ثم نزل عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه حقا
لدماء المسلمين وتحقيقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم ان ابني هذا سيد وسيطع
الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان اجماع الصحابة على خلافة معاوية

رضى الله عنه سنة احدى وأربعين في ربيع الاول وقيل الآخر وفي هذه السنة
استعمل عمرو بن العاص وكان على مصر عقبه بن نافع بن عبد قيس على افرقية
فانتهى الى لوانة ومزانة فأطاعوا ثم كفروا فغزاهم من سنته فقتل وسبي ثم افتتح في
سنة اثنتين وأربعين غدامس فقتل وسبي * وفتح في سنة ثلاث وأربعين كورامن
كورالسودان وافتتح ودان وهي من برقة وافتتح عامة بلاد البربر وهو الذي
اخط القير وان سنة خمسين وفي سنة اثنتين وأربعين أيضا غزا المسلمون اللان
وغزوا الروم أيضا وهزموهم هزيمة منكروة وقتلوا جماعة من بطارقتهم * وفي سنة
ثلاث وأربعين غزا بسر بن أبي ارطاة الروم وشق بأرضهم حتى بلغ القسطنطينية
وفيها أعاد معاوية عبد الله بن عامر على ولاية البصرة وجعل اليه ولاية خراسان
وسجستان فاستعمل ابن عامر عبد الرحمن بن سمرة على سجستان فأتاها وعلى
شرطته عباد بن الحصين الحبطي فكان يغزو البلد قد كفر أهلها فيفتحه حتى
بلغ كابل فحصرها أشهراً ونصب عليها مجانيق فتم سورها ثمانية عظيمة فبات عليها
عباد بن الحصين ليلة يطا عن المشركين حتى أصبح فلم يقدروا على سدها
وخرجوا من الغد يقاتلون فهزمهم المسلمون ودخلوا البلد عنوة ثم سار الى
بست ففتحها عنوة وسار الى زران فهرب أهلها وغلب عليها ثم سار الى خشك
فصالح أهلها ثم أتى الرخج فقاتلوه فظفر بهم وفتحها ثم سار الى زابلستان وهي
غزنة وأعمالها فقاتله أهلها وقد كانوا كثروا ففتحها وعاد الى كابل وقد نكت
أهلها ففتحها واستعمل ابن عامر على نغر السند عبد الله بن سوار العبدي فغزا
القيقان فأصاب مغنا ثم غزاهم مرة أخرى فاستجدوا بالترك فقتلوه وكان كريما
لم يوقد أحداً في عسكره ناراً فرأى ذات ليلة نارا فقال ما هذه قالوا امرأة نفسها
يعمل لها الخبيص فأمر أن يطعم الناس الخبيص ثلاثة أيام

* ذكر غزوة السند *

وفي سنة أربع وأربعين دخل المسلمون مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد
الروم وشتوا بها وغزا بسر بن أبي ارطاة في البحر وغزا المهلب بن أبي صفرة نغر
(١١ - الفتوحات الاسلامية - ل)

السند فأتى بنة والاهواز بين الملتان وكابل فلقبه العدو وقتله ولقي المهلب ببلاد
القيقان ثمانية عشر فارسا من الترك إفاقتلوه فقتلوا جميعا وفي سنة ست وأربعين
غزا الروم مالك بن عبد الله وشتى في أرض الروم وقيل بل كان عبد الرحمن بن
خالد بن الوليد وقيل بل كان مالك بن هبيرة السكوني وفي سنة سبع وأربعين
كان مشتى مالك بن هبيرة بأرض الروم غازيا ومشتى عبد الرحمن القيسي باطما كية
وفيهاسار الحكم بن عمرو الغفاري وكان على خراسان إلى جبال القور فغزا من
بها وكانوا قد ارتدوا فأخذهم بالسيف عنوة وقتلها وأصاب منها غنائم كثيرة وسببا
وكان المهلب بن أبي صفرة مع الحكم بن خراسان وغزا معه بعض جبال الترك فغفوا
وأخذ الترك عليهم الشعاب والطرق فعمي الحكم بالأمر فولى المهلب الحرب فلم
يزل بحتال حتى أسر عظيمًا من عظماء الترك فقال له إيمان نخرجنا من هذا المضيق
أولا فقتلتك فقال له أوفد النار حمال طريق من هذه الطرق وسير الأثقال نحو
فانهم يستجمعون فيه ويخلون ما سواه من الطرق فبادرهم إلى طريق أخرى فإ
يدركونكم حتى تخرجوا منه ففعل ذلك فلم الناس بما معهم من الغنائم وفي سنة
ثمان وأربعين كان على غزو المسلمين الروم في الشتاء عبد الرحمن القيسي وفي
الصيف عبد الله بن قيس الفزاري وغزا مالك بن هبيرة السكوني البحر وغزا
عقبة بن عامر الجهني بأهل مصر البحر بن وغزا يزيد بن شجرة الرهاوي بأهل
الشام في البحر

﴿ ذكر غزوة القسطنطينية ﴾

في سنة تسع وأربعين وقيل ثمان وأربعين سمر معاوية جيشا كثيفا إلى بلاد الروم
للغزو وجعل عليهم سفيان بن عوف الأزدي وكان في الجيش عبد الله بن عباس
وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري ويزيد بن معاوية فأوغلوا في بلاد
الروم وحاصروا القسطنطينية واقتتل المسلمون والروم قتالا شديدا واستشهد
أبو أيوب رضي الله عنه ودفن بالقرب من سورها وفي سنة خمسين أغزا معاوية
بسر بن أبي أرطاة وسفيان بن عوف الأزدي أرض الروم وأغزا فضالة بن عبيد

لله الانصارى في البحر وفي هذه السنة استعمل معاوية عقبه بن نافع الفهرى على
أفريقية وكان مقبلا يرفقه وزويلة منذ فتحها أيام عمرو بن العاص وله في تلك البلاد
جهاد وفتوح فلما استعمله معاوية سيرا إليه عشرة آلاف فارس فدخل أفريقية
وأضاف إليه من أسلم من البربر فكثر جمعه ووضع السيف في أهل البلاد لأنهم
كانوا إذا دخل اليهم أمير أطاعوا وأظهروا بعضهم الاسلام فإذا عاد الأمير عنهم
سكنوا وأرند من أسلم ثم رأى أن يتخذ مدينة يكون بها عسكر المسلمين وأهلهم
وأموالهم ليأمنوا من ثورة تكون من أهل البلاد فقدم موضع القبر وان وكانت
أجعة مشتبكة بهاشي كثير من أنواع الحيوان من السباع والحيات وغير ذلك فدعا
لله تعالى وكان مستجاب الدعوة ومن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم نادى
بها الحيات والسباع أنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحلوا عنافانا
فلو ن ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه فنظر الناس ذلك اليوم الى الدواب تحمل
أولادها وتنقل ورأى ذلك كثير من قبائل البربر فأسلموا وقطع الأشجار وأمر
ببناء المدينة فبنيت وبني المسجد الجامع وبني الناس مساجدهم ومساكنهم حتى
كان دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع وكان في أثناء عمارة المدينة المذكورة
يمر و يرسل السرايا فتغير وتهدب ودخل كثير من البربر في الاسلام واتسعت
خطة المسلمين وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القبر وان وأمنوا
والطوائف على المقام فثبت الاسلام فيها وفي سنة احدى وخمسين كان على غزو
المسلمين فضالة بن عبيدة فشتى بالروم وفي الصيف بسر بن أبي أرطاة وفي السنة
المذكورة غزا بلخ الربيع بن زياد والحرث وكان على خراسان ففتحها صلحا
وكانت قد نقضت بعد ما صلحهم الاحنف بن قيس وفتح الربيع أيضا قهستان
غزوة وقتل من بنا حيتها من الأتراك وبقى منهم نيزك طرخان فقتله قتيبة بن مسلم
في ولايته وفي سنة ثنتين وخمسين كان على غزو المسلمين الروم سفيان بن عوف
وبسر بن أبي أرطاة في الشتاء وفي الصيف محمد بن عبد الله الثقفي وفي سنة ثلاث
وخمسين كان على الجيش في الشتاء عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي بالروم وفي

هذه السنة فتح رودة في جزيرة في البحر فتحها جنادة بن أبي أمية الأزدي ونزلها
المسلمون وهم على حذر من الروم وكانوا أشد شئ على الروم يعترضونهم في البحر
ويأخذون سفنهم وكان معاوية يكثر لهم العطاء وكان العدو قد خافهم فلما توفي
معاوية أقفلهم ابنه يزيد وأخذ الجزيرة والحراج من أهلها * وفي سنة أربع وخمسين
كان على جيش المسلمين في غزوهم الروم محمد بن مالك شتاء ومعن بن يزيد
السلمي صيفاً وفي هذه السنة فتح المسلمون جزيرة ارواد قريب القسطنطينية
ومقدمهم جنادة بن أبي أمية وفي هذه السنة أيضاً استعمل معاوية على خراسان
عبيد الله بن زياد فسار إلى خراسان فقطع النهر إلى جبال بخارى على الأبل في
جيش وفتح رامني ونسف ويكنده وهي من بخارى وغنم غنائم كثيرة ولما لقي التلا
وهزمهم كان مع ملكهم زوجته فعبأوها عن لبس خفيها فلبت أحدهما وبقى
الآخر فأخذ المسلمون فقوّم بمائتي ألف درهم وفي سنة خمس وخمسين كان على
جيش المسلمين في الغزو شتاء عمرو بن محرز وقيل عبد الله بن قيس الفزاري *
وفي سنة وست وخمسين كان على جيش المسلمين في غزو الروم جنادة بن أبي أمية
وغزا في البحر يزيد بن شجرة وفي البر عياض بن الحارث وفي هذه السنة استعمل
معاوية على خراج خراسان وحر بها سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه فلما
قدم خراسان قطع جيحون إلى سمرقند والصغد وهزم الكفار وفتح ترمذ صلحا
* وفي سنة سبع وخمسين كان على جيش المسلمين بأرض الروم عبد الله بن قيس
شتاء * وفي سنة ثمان وخمسين كان على جيش المسلمين بأرض الروم مالك بن
عبد الله الخثعمي وفي البحر عمرو بن يزيد الجهني وقيل جنادة بن أبي أمية * وفي
سنة تسع وخمسين كان على جيش المسلمين عمرو بن مرة الجهني بأرض الروم في
البر وفي البحر جنادة بن أبي أمية وقيل لم يكن في البحر غزو هذه السنة وفي هذه
السنة غزا المسلمون حصن كنج من بلاد الروم ومعهم عمير بن الحباب السلمي
فصعد عمير السور ولم يزل يقاتل عليه وحده حتى كشف الروم فصعد المسلمون
فكان الفتح بعمير وبذلك كان يفخر * وفي سنة ستين كانت غزوة مالك بن

عبيد الله في سورية وفي السنة المذكورة توفي معاوية رضي الله عنه * وفي سنة
احدى وستين استعمل يزيد على خراسان سلم بن زياد فقدم خراسان وعبر نهر
جيصون وكان معه المهلب بن أبي صفرة وكان مما يلي خوارزم مدينة يجتمع فيها
كثير من ملوكهم وكان المسلمون يطالبون أمراءهم بغزو تلك المدينة فيأبون
عليهم فأح المهلب على سلم وسأله التوجه الى تلك المدينة فوجهه في ستة آلاف
فحاصروهم فطلبوا أن يصالحهم على أن يقدوا أنفسهم فأجابهم الى ذلك وصالحوه
على نصف وعشرين ألف ألف وكان في صالحهم يأخذ منهم عروضا فكان يأخذ
الرأس والدابة والمتاع بنصف ثمنه فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف وغزا
سلم سمرقند ووجه جيشا الى خجندة فهزموا واستعمل سلم أخاه يزيد على
سجستان فغدر أهل كابل فنكثوا وأسر واأبا عبيدة بن زياد فسار اليهم يزيد
بن زياد في جيش فاقتلوا وانهزم المسلمون وقتل منهم كثير فلما بلغ الخبر سلم بن
زياد سير طلحة بن عبد الله الخزاعي وهو طلحة الطلحات ففدى أبا عبيدة بن زياد
بخمسة آلاف درهم وسار طلحة من كابل الى سجستان واليا عليها فجبي المال
وأعطى زواره ومات بسجستان وفيه يقول القائل

رحم الله أعظما دفنوها * بسجستان طلحة الطلحات

ذ كرز وعقبة بن نافع بلاد السوس وكثيرا من وقائع افریقیة *

في سنة ثنتين وستين ترك بالقير وان عقبة بن نافع جندا مع الذراري والاموال
واستخلف بهازهير بن قيس البلوي وأحضر أولاده فقال اني قد بعثت نفسي من
الله عز وجل فلا أزال أجاهد من كفر بالله وأوصى بما يفعل بعده ثم سار في عسكر
عظيم حتى دخل مدينة باغايه وقد اجتمع بها خلق كثير من الروم فقاتلوه قتالا
شديدا وانهزموا عنه وقتل فيهم قتلا ذريعا وغنم منهم غنائم كثيرة ودخل المنهزمون
المدينة وحاصروهم عقبة ثم كرهه المقام عليهم فسار الى بلاد الزاب وهي بلاد واسعة
فيها عدة مدن وقرى كثيرة فقصد مدينتها العظمى واسمها اربة فامتنع بها من هناك
من الروم والنصارى وهرب بعضهم الى الجبال فاقتتل المسلمون ومن بالمدينة من

النصارى عدة دفعات ثم انهزم النصارى وقتل كثير من فرسانهم ورحل الى
تاهرت فلما بلغ الروم خبره استعانوا بالبربر فأجابوهم ونصرهم فاجتمعوا في جمع
كثير واقتتلوا قتالا شديدا واشتد الأمر على المسلمين لكثرة العدو ثم ان الله
تعالى نصرهم فانهزم الروم والبربر وأخذهم السيف وكثرت فيهم القتل وغنم
المسلمون أموالهم وسلاحهم ثم سار حتى نزل على طنجة فلقينه بطريق من الروم
اسمه بليان فأهدى له هدية حسنة ونزل على حكمه ثم سأله عن الاندلس فعظم
الأمر عليه فسأله عن البربر فقال هم كثير ون لا يعلم عددهم الا الله تعالى وهم
بالسوس الأدنى وهم كفار لم يدخلوا في النصرانية ولهم بأس شديد فسار عقبه
اليهم نحو السوس الأقصى وهو مغرب طنجة فانهى الى أوائل البربر فلقوه في
جمع كثير فقتل فيهم قتلا ذريعا وبعث خيله في كل مكان هربوا اليه وسار هو حتى
وصل الى السوس الأقصى وقد اجتمع له البربر في عالم لا يحصى فلقبهم وقاتلهم
وهزمهم وقتل المسلمون فيهم حتى ملوا وغنموا منهم وسبوا سبييا كثيرا وسار حتى
بلغ ماليان ورأى البحر المحيط فقال يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدا
في سبيلك ثم عاد فنفر الروم والبربر عن طريقه خوفا منه واجتاز بمكان يعرف
اليوم بماء الفرس فنزله ولم يكن به ماء فلهحق الناس عطش كثير وأشرفوا على
الهلكة فصلى عقبه ركعتين ودعا فبعت فرس له الارض بيديه فكشف له عن
صفاة فأنفجر الماء فنادى عقبه في الناس فحفروا حسا كثيرة وشربوا فسمى
ماء الفرس فلما وصل الى مدينة طنجة وبينها وبين القيروان ثمانية أيام أمر أصحابه
ان يتقدموا فوجافو جائقة منه بما نال من الله وانه لم يبق أحدي يخشاه وسار الى
يهوذا لينظر اليها في نفر يسير فلما رآه الروم في قلة طمعو فيه وأغلقوا باب
الحصن وشتموه وقتلوه وهو يدعوهم الى الاسلام فلم يقبلوا منه ثم أرسل الروم
الى كسيلة بن كرم البربري ليسرع لقتال عقبه فبادر الى ذلك وكان كسيلة
المدكور قد أسلم في مدة اماره أبي المهاجر فبقية قبل عقبه وحسن اسلامه وهو
من أكابر البربر وصحب أبا المهاجر فلما ولي عقبه عرفه أبو المهاجر محل كسيلة

وأمره باكرامه فلم يقبل عقبه واستخف بكسيلة وأتى عقبه مرة بغنم فأمر كسيلة
بذبحها وسلخها مع السلاخين فقال كسيلة هؤلاء فتياني وغلمانى يكفونى المؤنة
فستنه وأمره بسلخها ففزع أبو المهاجر ذلك عند عقبه فلم يرجع فقال له أوثق الرجل
فأبى أخاف عليك منه فهاون به عقبه فأضمر كسيلة الغدر فلما كان الآن ورأى
الروم قلة من مع عقبه أرسلوا الى كسيلة وأعلموه حاله وكان فى عسكر عقبه وقد
أضمر الغدر وأعلم الروم بذلك وأطمعهم فلما أسلوه أظهر ما كان يضمه وجمع
أهله وبى عمه وقصد عقبه فقال أبو المهاجر عاجله قبل أن يقوى جمعه فزحف
عقبه الى كسيلة فتنصى كسيلة عن طريقه ليكثر جمعه فلما كثر جمعه قاتل عقبه
فهزمه فكسر عقبه والمسامون أجفان سيوفهم وتقدموا الى البربر وقتلوهم
فقتل المسامون جميعهم لم يفلت منهم أحد وأمر محمد بن أوس الانصارى فى نفر
يسير فخلصهم صاحب قفصة وبعث بهم الى القير وان فغزم زهير بن قيس البلوى
على القتال وكان خليفة عقبه بالقير وان تخالفه جيش الصنعانى وعاد الى مصر
فتبعه أكثر الناس فاضطر زهير الى العود معهم فسار الى برقة وأقام بها وأما
كسيلة فاجتمع اليه جمع من أهل افرريقية وقصد افرريقية وبها أصحاب الانفال
والذرارى من المسامين فطلبوا الأمان من كسيلة فأمنهم ودخل القير وان
واستولى على افرريقية وأقامها وحصلت الفتنة بين عبد الملك بن مروان وعبد الله
ابن الزبير فلما قوى أمر عبد الملك أنفذ الجيوش الى افرريقية وكتب الى زهير بن
قيس البلوى بولاية افرريقية فسار سنة تسع وستين الى افرريقية بالجيوش فبلغ
خبره الى كسيلة فاحتفل وجمع وحشد البربر والروم وأحضر أشراف أصحابه
وقال قد رأيت أن أرحل الى ممش فانزلها فان بالقير وان خلقا كثيرا من المسامين
ولهم علينا عهد فلا تغدر بهم ونخاف ان قاتلنا زهير ان يثبت هؤلاء من ورائنا
فاذا نزلنا ممش أمناهم وقاتلنا زهير ان ظفرونا بهم تبعناهم الى طرابلس وقطعنا
أثرهم من افرريقية وان ظفروا بنا نعلقنا بالجبال ونجونا فأجابوه الى ذلك ورحل
الى ممش وبلغ ذلك زهير فلم يدخل القير وان بل أقام ظاهرها ثلاثة أيام حتى

أراح واستراح ثم رحل في طلب كسيلة فلما قاربته نزل وعبي أصحابه وركب اليه
فالتقى العسكران واشتد القتال وكثر القتل في الفريقين حتى أيس الناس من
الحياة فلم يزلوا كذلك أكثر النهار ثم نصر الله المسلمين وانهمزم كسيلة وأصحابه
وقتل هو وجماعة من أعيان أصحابه بممش وتبع المسلمون الروم والبربر فقتلوا
من أدركوا منهم فأكثروا وفي هذه الواقعة ذهب رجال البربر والروم وملوكهم
وأشرافهم وعاد زهير إلى القير وان ثم ان زهير رأى بافريقيمة ملكا عظيما فأبى ان
يقيم وقال انما قدمت للجهاد فأخاف ان أميل إلى الدنيا فأهلك وكان عابدا زاهدا
فترك بالقير وان عسكر اوهم آمنون فخلوا البلاد من عد وأوذى شوكة ورحل في
جمع كثير يريد مصر وكان قد بلغ الروم بالقسطنطينية مسير زهير من برقة إلى
افريقيمة لقتال كسيلة فاغتنموا خلوها فخرجوا إليها في مراكب كثيرة وقوة
قوية من جزيرة صقلية وأغاروا على برقة فأصابوا منها سبيا كثيرا وقتلوا ونهبوا
ووافق ذلك قدوم زهير من افريقيمة إلى برقة فأخبر الخبر فأمر العسكر بالسرعة
والجد في قتالهم ورحل هو ومن معه وكان الروم خلقا كثيرا فلما رآه المسلمون
استغاثوا به فلم يتمكن الرجوع فباشروا القتال واشتد الأمر وعظم الخطب وتكاثرت
الروم عليهم فقتلوا زهيرا وأصحابه ولم ينج منهم أحد وعاد الروم بما غنموا إلى
القسطنطينية ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل زهير عظم عليه واشتد وكان
مشغولا بما كان بينه وبين ابن الزبير فلما قتل ابن الزبير واجتمع المسلمون عليه
جهز جيشا كثيرا ثم سيرهم إلى افريقيمة واستعمل عليهم وعلى افريقيمة حسان
ابن النعمان الغساني ولم يدخل افريقيمة قط جيش مثله فلما ورد القير وان تجهز
منها وسار إلى قرطاجنة وكان صاحبها أعظم ملوك افريقيمة ولم يكن المسلمون قط
حاربوها فلما وصل إليها رأى بها من الروم والبربر ما لا يحصى كثرة فقاتلهم وحصرهم
وقتل منهم كثيرا فلما رأوا ذلك اجتمع رأيهم على الهرب فركبوا في مراكبهم وسار
بعضهم إلى صقلية وبعضهم إلى الأندلس فدخل حسان قرطاجنة بالسيف فسبي
ونهب وقتلهم قتلا ذريعا وأرسل الجيوس فيما حو لها فأسرعوا إليه خوفا فأمرهم

فهدموا من قرطاجنة ما قدروا عليه ثم بلغه ان الروم والبربر قد اجتمعوا له في
صطفورة وبنزت وهم ساء دينتان فسار اليهم وقاتلهم ولقي منهم شدة وقوة فصبر
لهم المسلمون فانهزمت الروم وكثر القتل فيهم واستولوا على بلادهم ولم يترك
حسان موضعاً من بلادهم الا وطئته وخافه أهل افرريقية خوفاً شديداً ولجأ
المنزموون من الروم الى مدينة باجة فحصنوا بها وتحصن البربر بمدينة بونه فعاد
حسان الى القيروان لان الجراح قد كثرت في أصحابه فأقام بها حتى صحوا فلما صلح
الناس قال حسان دلوني على أعظم من بقي من ملوك افرريقية فدلوه على امرأة
تملك البربر تعرف بالكاهنة وكانت تخبرهم بأشياء من الغيب ولهذا سميت
الكاهنة وكانت بربرية وهي بجبل أوراس وقد اجتمع حولها البربر بعد قتل
كسيلة فسأل أهل افرريقية عنها فعظموا محلها وقالوا له ان قتلها لم يختلف البربر
بعد عليك فسار اليها فأقربها هدمت حصن باغايه ظن انها نهزمت بها الحصون فلم
يعرج حسان على ذلك وسار اليها فالتقوا على نهر نيني واقتتلوا أشد قتال رآه
الناس فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير وأسر منهم كثير وانهزم حسان ثم
انها أطلقت الاسرى سوى خالد بن يزيد القيسي وكان شريفاً شجاعاً فاتخذته ولداً
فسار حسان حتى فارق افرريقية وأقام وكتب الى عبد الملك بالمقام الى أن يأتيه
أمره فأقام بعمل برقة خمس سنين فسمى ذلك المكان قصور حسان الى الآن
وملكت الكاهنة افرريقية كلها وأساءت السيرة في أهلها وعسفتهم وظلمتهم ثم
سير اليه عبد الملك الجنود والاموال وأمره بالمسير الى افرريقية وقتال الكاهنة
فأرسل حسان رسوله سرا الى خالد بن يزيد وهو عند الكاهنة بكتاب ليتعلم منه
الامور فكتب اليه خالد جوابه في رقعة يعرفه بفرق البربر ويأمره بالسرعة
وجعل الرقعة في خبزة وعاد الرسول فخرجت الكاهنة ناشرة شعرها تقول ذهب
ملكهم فيما يأكل الناس فطلب الرسول فلم يوجد فوصل الى حسان وقد احترق
الكتاب بالنار فعاد الى خالد وكتب اليه بما كتب أولاً وأودعه قربوس السرج
فوصل الى حسان فسار فلما علمت الكاهنة بمسيره اليها قالت العرب يريدون

البلاد والذهب والفضة ونحن انما نريد المزارع والمراعي ولا أرى الا أن أخرج
افريقية حتى يأسوا منها وفرقت أصحابها ليخربوا البلاد فخرّبوها وهدموا
الحصون ونهبوا الاموال وهذا هو الخراب الاول لافريقية فلما قرب حسان من
البلاد لقيه جمع من أهلها من الروم يستغيثون من الكاهنة ويشكون اليه منها
فسره ذلك فسار الى قابس فلقية أهلها بالاموال والطاعة وكانوا قبل ذلك
يتحصنون من الامراء وجعل فيها عاملا وسار الى ففصة ليتقرب الطريق فأطاعه
منها واستولى عليها وعلى قسطنطينية ونقراوة وبلغ الكاهنة قدومه فأحضرت
ولدين لها وخالد بن يزيد وقالت لهم اني مقتولة فامضوا الى حسان وخذوا انفسكم
منه أما ناسار واليه وبقوامه وسار حسان نحوها فالتقوا واقتتلوا واشتد
القتال وكثر القتل حتى ظن الناس أنه الفناء ثم نصر الله المسلمين وانهمز البربر
وقتلوا قتالا ذريعا وانهمزمت الكاهنة ثم أدركت فقتلت ثم ان البربر استأمنوا
الى حسان فأمنهم وشرط عليهم أن يكون منهم عسكر مع المسلمين عدتهم اثنا عشر
ألفا يهاجرون العدو فأجابوه الى ذلك فجعل على هذا العسكر ابني الكاهنة ثم
فشا الاسلام في البربر وعاد حسان الى القيروان وأقام لا ينازعه أحد الى أن توفي
عبد الملك سنة ست وثمانين فلما ولي ابنه الوليد ولي افريقية عمه عبد الله بن مروان
وعزل حسان ثم استعمل الوليد على افريقية موسى بن نصير سنة تسع وثمانين
وسياتي الكلام على غزواته

ذكر صلح عبد الملك بن مروان الملك الروم

كانت الصوائف تعطلت من الشام منذ وفاة معاوية لحدوث الفتن بين المسلمين
والصوائف الجيوش التي كانت تجهز في أوان الصيف لسد الثغور وحرب الكفار
واسفر ذلك من صدر الاسلام الى أواخر الدولة العباسية ولما اشتدت الفتنة بين
ابن الزبير وعبد الملك اجتمعت الروم سنة سبعين واستجاشوا على من بالشام من
المسلمين فصالح عبد الملك ملكهم على أن يؤدّي اليه كل جمعة ألف دينار خوفانه
على المسلمين وفي سنة ثلاث وسبعين خرج الروم من ناحية أرمينية في ستين ألفا

وكان على أرمينية محمد بن مروان من قبل أخيه عبد الملك فقَاتلهم وهزمهم وأكثرت
القتل فيهم وفي سنة أربع وسبعين استعمل عبد الملك على خراسان أمية بن عبد
الله بن خالد بن أسيد فلما وصل أمية إلى كرمان استعمل ابنه عبد الله على سجستان
فلما قدمها غزا ملك الترك رتبيل وكان رتبيل هائبا للمسلمين فلما وصل عبد الله إلى
بست أرسل رتبيل يطلب الصلح وبذل ألف ألف وبعث إليه بهدايا ورفيق فأبى
عبد الله قبول ذلك وقال إن ملائ هذا الرواق ذهبيا والافلا صلح وكان غزا
فخلى له رتبيل البلاد حتى أوغل فيها وأخذ عليه الشعاب والمضايق فطلب أن يخلى
عنه وعن المسلمين ولا يأخذ منه شيئا فأبى رتبيل وقال بل يأخذ ثلاثمائة ألف درهم
صلحا ويكتب لنا كتابا ولا يغزو بلادنا ما كنت أميرا ولا بحرق ولا يخرب ففعل
ذلك وبلغ ذلك عبد الملك فعزله وفي هذه السنة غزا محمد بن مروان صائفة وكانت
الروم خرجت من قبل مرعش وكذا في السنة التي بعدها وفي سنة خمس وسبعين
كان على نغرا السند مجاعة بن سعد التميمي من قبل الحجاج فغزا وفتح أما كن من
قندا بيل وفي سنة ست وسبعين غزا محمد بن مروان الروم من ناحية ملاطية وفي
سنة سبع وسبعين غزا الصائفة الوليد بن عبد الملك وفي سنة ثمان وسبعين ولي
الحجاج عبيد الله بن أبي بكر سجستان وكان رتبيل ملك الترك مصالحا وكان
يؤدى الخراج وربما امتنع فبعث الحجاج إلى عبيد الله بن أبي بكر بأمره
بمناجزته وأن لا يرجع حتى يستبج بلاده ويهدم قلاعهم ويقتد رجاله فسار عبيد
الله في أهل البصرة وأهل الكوفة وكان على أهل الكوفة شريح بن هانيء كان
من أصحاب علي رضي الله عنه ومضى عبيد الله حتى دخل بلاد رتبيل فأصاب من
الغنائم ماشاء وهدم حصونا وغلب على أرض من أراضيهم وأصحاب رتبيل من
الترك يتركون لهم أرضا بعد أرض حتى أمعنوا في بلادهم ودنوا من مدينتهم
وكانوا منها على ثمانية عشر فرساضا فأخذوا على المسلمين العقاب والشعاب فسقط
في أيدي المسلمين فظنوا أن قد هلكوا فاصالحهم عبيد الله على سبعمائة ألف درهم
يوصلها إلى رتبيل ليتمكن المسلمين من الخروج من أرضه فلقية شريح فقال له

انكم لانصالحون على شئ الاحسبه السلطان من أعطياتكم وقد بلغت من العمر
طويلا وقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان وان فاتتني اليوم الشهادة ما أدركها
حتى أموت ثم قال شريح يا أهل الاسلام تعاونوا على عدوكم فقال له عبيد الله بن
أبي بكره انك شيخ قد خرفت فقال له شريح انما حسبك أن يقال بستان عبيد الله
وحمام عبيد الله يا أهل الاسلام من أراد منكم الشهادة فإلى فاتبعه ناس من
المتطوعة وفرسان الناس وأهل الحفاظ فقاتلوا حتى أصيبوا الا قليلا وقاتل
شريح حتى قتل في أناس من أصحابه ونجاش من نجاش جوامن بلاد رتييل وفي هذه
السنة أصاب أهل الروم أهل انطاكية وظفروا بهم * وفي سنة ثمان وسبعين عزل
عبد الملك أمية بن عبد الله عن خراسان وضمها لأعمال الحجاج فولى على
خراسان المهلب بن أبي صفرة

* ذكر غزوة المهلب ما وراء النهر حين كان واليا على خراسان *
في سنة ثمانين قطع المهلب نهر بلخ ونزل على كش فأناه ابن عم ملك الختل ودعاه الى
غزوا الختل وكان اسم ملكهم السبل فوجه المهلب مع ابن عم الملك ابنه يزيد بن
المهلب فنزل يزيد ناحية ونزل ابن عم الملك ناحية فيبته السبل وأخذ فقتله
فحصر يزيد قلعة السبل فصالحوه على فدية حملت اليه ورجع يزيد عنهم ووجه
المهلب ابنه حبيب فوا في صاحب بخارى في أربعين ألفا فنزل جماعة من العدو
قرية فسار اليهم حبيب في أربعة آلاف فقتلهم وأحرق القرية فسميت المحترقة
ورجع حبيب الى أبيه وأقام المهلب بكش سنتين فقبل له لو تقدمت الى ما وراء
ذلك فقال ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذا الجند وصالح المهلب أهل كش
على فدية يأخذها منهم وأناه كتاب ابن الأشعث بمخلع الحجاج ويدعوه الى
مساعدته فبعث بكتابه الى الحجاج وأقام بكش

* ذكر تسيير الجنود الى رتييل مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث *
قد تقدم ذكر حال المسلمين حين دخل بهم ابن أبي بكره بلاد رتييل ثم استأذن
الحجاج عبد الملك في تسيير الجنود نحو رتييل فأذن له عبد الملك فأخذ الحجاج

في تجهيز الجيش فجعل على أهل الكوفة عشرين ألفا وعلى أهل البصرة
عشرين ألفا وجد في ذلك وأعطى الناس أعطيانهم كمالا وأنفق فيهم ألفي ألف
سوى أعطيانهم وأنجدهم بالخيل الرائفة والسلاح الكامل وأعطى كل رجل
يوصف بشجاعة وغناء وكان يسمى جيش الطواويس لحسنه فلما فرغ من أمر
الجندي بعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بأمر من عبد الملك وكان الحجاج
يبغض عبد الرحمن المذكور فسبره على ذلك الجيش طاعة لأمر عبد الملك فسار
بهم حتى قدم سجستان وبلغ الخبر رتبيل فأرسل يعتذر وبيد الخراج فلم يقبل
منه فسار إليه ودخل بلاده وترك له رتبيل أرضا أرضا ورضا ورضا ورضا ورضا
حصنا وعبد الرحمن يحوى ذلك وكلما حوى بلد ابعت إليه عاملا وجعل معه أعوانا
وجعل الارصاد على العقاب والشعاب ووضع المساح بكل مكان مخوف حتى اذا
جاز من أرض عظيمة وملا الناس أيديهم من الغنائم العظيمة منع الناس من
الوغول في أرض رتبيل وقال نكتفي بما أصبناه العام من بلادهم حتى نجيبها
ونعرفها ويجتري المسلمون على طرفها وفي العام المقبل نأخذ ما وراءها ان شاء
الله تعالى ثم كتب الى الحجاج بما فتح الله عليه وبما يريد أن يعمل فلما أتى كتابه الى
الحجاج كتب جوابه ان كتابك كتاب امرىء يحب الهدنة ويستريح الى الموادعة
وقد صانع عدوا قليلا قليلا قد أصابوا من المسلمين جندا كان بلاؤهم حسنا
وغناؤهم عظيما وأحببت أن تكف عن ذلك العدو وتسخر النفس بمن أصيب
من المسلمين فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم والهدم لحصونهم وقتل
مقاتليهم وسبي ذراريهم ثم أردفه كتابا آخر بنحو ذلك وفيه أما به يدفر من قبلك
من المسلمين فليعربوا وليقيموا بها فانها دارهم حتى يفتقها الله عليهم ثم كتب
كتابا بالثابت ذلك ويقول له ان مضيت لما أمرتك به والافأخوك اسحق بن محمد أمير
الناس فدعا عبد الرحمن الناس وقال لهم أيها الناس إني لكم ناصح ولصالحكم محب
ولكم في كل ما يحيط به نفعكم ناظر وقد كان رأيي فيما بيني وبين عدوي بما رضوه
ذو وأحلامكم وأولى التجربة منكم وكتبت بذلك الى أميركم الحجاج فأنا في كتابه

يعجزني ويضعفني ويأمرني بتعجيل الوغول بكم في أرض العدو وهي البلاد
التي هلك فيها اخوانكم بالامس وانما انا رجس منكم امضى اذا مضيتم وآبي اذا
أبينم فتثار اليه الناس وقالوا بل نأبي على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع فكان أول
من تكلم أبو الطفيل عامر بن واثله الكنانى وله صحبة رضى الله عنه فقال بعد حمد
الله أما بعد فان الحجاج يرى بكم ما أرى القائل الاول احمل عبدك على الفرس فان
هلك فلك وان نجافلك وان الحجاج ما يبالي أن يحاطر بكم فيقحمكم بلايا كثيرة
ويغشى اللهوب واللصوب فان ظفرتم وغنتم أكل البلاد وحاز المال وكان ذلك
زيادة في سلطانه وان ظفر عدوكم كنتم أنتم الاعداء البغضاء الذين لا يبالي عنهم
ولا يبقى عليهم اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا الامير عبد الرحمن فاني أشهدكم أنى
أول خالع فنادى الناس من كل جانب فعلنا فعلنا قد دخلنا عدو الله وقام عبد
المؤمن بن شيب بن ربيع فقال عباد الله انكم ان أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد
بلادكم مابقيتم وجرمكم تجمير فرعون الجنود (النجمير حبس الجيش في أرض
العدو من غير رجوع) فانه بلغنى أنه أول من جر البعوث ولن تعانوا الاحبة أو
يموت أكثركم فيما أرى فبايعوا أميركم وانصرفوا الى عدوكم الحجاج فانفوه عن
بلادكم فوثب الناس الى عبد الرحمن فبايعوه على خلع الحجاج ونفيه من أرض
العراق وعلى النصر لعبد الرحمن ولم يذكروا عبد الملك وجعل عبد الرحمن
على بست عياض بن هيمان الشيبانى وعلى زرنج عبد الله بن عامر التميمى
وصالح رتبيل على أن ابن الأشعث ان ظهر فلاخراج عليه أبدا مابقي وان هزم
فأراد منعه رجوع الى العراق وجعل عبد الرحمن على مقدمته عطية بن عمرو
العنبرى وجعل على كرمان حريبة بن عمرو التميمى فلما بلغ فارس اجتمع الناس
بعضهم الى بعض وقالوا اذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك فقد دخلنا عبد الملك
فاجتمعوا الى عبد الرحمن فكان أول الناس خلع عبد الملك تيجان بن أبجر من بنى
تيم الله بن ثعلبة قام فقال أيها الناس انى خلعت ابا ذبان (كنية عبد الملك) كخلع
قيصى نخلعه الناس الا قليلا منهم وبايعوا عبد الرحمن وكانت بيعته تبايعوا على

كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى جهاد أهل الضلالة وخلقهم وجهاد
المخلفين فلما بلغ الحجاج خلعته كتب إلى عبد الملك بن عبد الرحمن ويسأله أن يعجل
بعثه بجنود إليه ولما بلغ المهلب خبر عبد الرحمن كتب إلى الحجاج من خراسان أما
بمدفان أهل العراق فدأقبوا اليك وهم مثل السيل ليس يردنه شيء حتى ينتهي إلى
فراره وأن لاهل العراق شدة في أول مخرجهم وصبابة إلى أبنائهم ونسائهم
فأتركهم حتى يسقطوا إلى أهاليهم ويشموا أولادهم ثم واقعهم عندها فان الله
ناصرك عليهم فلما قرأ كتابه شتمه وسبه وقال ما إلى نظر وإنما نظر إلى ابن عمه يعني
عبد الرحمن لأن كلام المهلب وعبد الرحمن من فحطان ثم بعد وقوع بعض
الوقائع بين الحجاج وعبد الرحمن نظر في كتاب المهلب فاستصوب ما قاله وقال لله
دره أي صاحب حرب هو ولما وصل كتاب الحجاج له الملك هاله ودها خالد بن
يزيد بن معاوية فأقرأه الكتاب فقال يا أمير المؤمنين كان الحد من
سجستان فلا تخفه وان كان من خراسان فاني أتخوفه فجهز عبد الملك الجند إلى
الحجاج على البر بدم مائة ومن خمسين وأقل وأكثر وكتب الحجاج تتصل بعبد
الملك كل يوم بخبر عبد الرحمن فنزل الحجاج البصرة ولما اجتمع الجند عنده سار
من البصرة ليلتي عبد الرحمن ولم يتركهم حتى يسقطوا إلى أهاليهم كما كتب إليه
المهلب فنزل تستر وقدم بين يديه مقدمة إلى دجيل فلقوا عنده خيلا لعبد الرحمن
فانهزم أصحاب الحجاج بعد قتال شديد وكان ذلك يوم الاضعى سنة إحدى وعثمانين
وقتل منهم جمع كثير فلما أتى خبر الهزيمة إلى الحجاج رجع إلى البصرة وتبعه أصحاب
عبد الرحمن فقتلوا منهم وأصابوا بعض أنقالمهم وأقبل الحجاج حتى نزل الزاوية
وجمع عنده الطعام وترك البصرة لأهل العراق فأقبل عبد الرحمن حتى دخل
البصرة فبايعه جميع أهلها قراؤها وكهولها مستبصرين في قتال الحجاج ومن
معه من أهل الشام ثم دخل عبد الرحمن ومن معه الكوفة وبايعه أهلها وصار له
جيش يبلغ مائة ألف فيهم كثير من الصحابة وأبنائهم وعلماء التابعين وغيرهم ومن
بايع عبد الرحمن وكان في جيشه سعيد بن جبير والشعبي وعبد الرحمن بن أبي ليلى

وهؤلاء من كبار علماء التابعين ومن الصعابة أبو الطفيل عامر بن وائلة ووقع
بينهم وبين جيوش الحجاج وقائع كثيرة في أكثرها كان النصر لجيوش عبدالرحمن
ثم ان عبد الملك وأهل الشام قالوا ان كان يرضى أهل العراق بنزع الحجاج عنهم
نزعناه فان عزله أيسر من حربهم ونحقق بذلك الدماء فبعث عبد الملك ابنه عبد الله
وأخاه محمد بن مروان الى الحجاج في جند كثيف وأمرهما أن يعرضاه على أهل
العراق عزل الحجاج وأن يجريا عليهم أعطيانهم كما يجري على أهل الشام وأن
ينزل عبد الرحمن بن الأشعث أي بلد شاء من بلاد العراق فاذا نزله كان والياعليه
مادام حيا وعبد الملك خليفة فان أجاب أهل العراق الى ذلك عزل الحجاج وصار
محمد بن مروان أمير العراق وان أبي أهل العراق قبول ذلك فالحجاج أمير الجماعة
ووالى القتال ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعته فلم يأت الحجاج
أمر قط كان أشد عليه ولا أوجع لقلبه من ذلك تخاف أن يقبل أهل العراق عزله
فيعزله عنهم فكتب الى عبد الملك والله لو أعطيت أهل العراق نزعى لم يلبثوا الا
قليلا حتى يخالفوك ويسيروا اليك ولا يزيدهم ذلك الاجراءة عليك وذكر له أشياء
مما فعله أهل العراق أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه ثم قال له ان الحديد بالحديد
يلمع فأبى عبد الملك الا عرض عزله على أهل العراق فلما اجتمع عبد الله بن عبد
الملك ومحمد بن مروان مع الحجاج خرج عبد الله بن عبد الملك وقال يا أهل العراق
أنا ابن أمير المؤمنين وهو يعطيكم كذا وكذا وخرج محمد بن مروان وقال أنا رسول
أمير المؤمنين وهو يعرض عليكم كذا وكذا فذكر هذه الخصال فقالوا نرجع
العشيرة فرجعوا واجتمع أهل العراق عند ابن الأشعث فقال لهم قد أعطيتهم أمرا
انتهزكم اليوم اياه فرصة وانكم اليوم على النصف فان كانوا اعتدوا عليكم بيوم
كذا فأنتم تعتدون عليهم بيوم كذا فاقبلوا ما عرضوا عليكم وأنتم أعزاء أقوياء
لقوم لكم هائبون وأنتم لهم منتقضون فوالله لا زلت عليهم اجراء وعندهم أعزاء
أبدا ما بقيتم ان أنتم قبلتم فوثب الناس من كل جانب فقالوا ان الله قد أهلكم
خاصصوا في الضنك والجماعة والقللة والذلة ونحن ذوو العدد الكثير والسعر

الرخية
عبد الم
فانا قد
يسامان
ذلك يص
أصحاب
الموص
مع عبد
قتله فأت
فقال له
أشهد
أهل ال
ما أظنه
أهل الا
أبي وقاه
وتتشبه
رأسه به
معمر ف
وتشر
فدخلت
منه نبين
منها الا
الحجاج
ذكر

الرخيص والمادة القريبة والله لا تقبل وأعادوا خلعه ثانية وأبلغوا ذلك عبد الله بن
عبد الملك ومحمد بن مروان فقالا للحجاج شأنك بعسكرك وجندك واعمل برأيك
فأنا قد أمرنا أن نسمع لك ونطيع فقال قد قلت انه لا يراد بهذا الأمر غيركم فكأنا
يسمان عليه بالامرء ويسلم عليهم بالامرء ثم أعيد القتال واشتد الأمر وتفصيل
ذلك يطول وجملة الأيام التي اقتتلوا فيها مائة يوم وثلاثة أيام ثم وقعت الهزيمة على
أصحاب عبد الرحمن ثم رجع الحجاج الى الكوفة وعاد محمد بن مروان الى
الموصل وعبد الله بن عبد الملك الى الشام وأخذ الحجاج يبايع الناس الذين كانوا
مع عبد الرحمن وكان لا يبايع أحدا الا قال له اشهد أنك كفرت فان نعم بايعه والا
قتله فأتاه رجل من خشم كان معتزلا للناس جميعا فسأله عن حاله فأخبره باعتزاله
فقال له أنت متربص أشهد أنك كافر قال بنس الرجل أنا عبد الله ثمانين سنة ثم
أشهد على نفسي بالكفر قال اذن أقتلك قال وان قتلني فقتله ولم يبق أحد من
أهل الشام والعراق الا رجمه ثم أتى بعده بأخر فقال له الحجاج أرى رجلا
ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر فقال له الرجل أتخادعني عن نفسي أنا كافر
أهل الارض وأكفر من فرعون فضحك منه وخلي سبيله وأتى بمحمد بن سعد بن
أبي وقاص فقال له يا بطل الشيطان أعظم الناس تها وكبراً أتأبى بيعته بزبد من معاوية
وتتشبه بالحسين وعبد الله بن عمر ثم صرت مؤذناً لابن الأشعث وجعل يضرب
رأسه بعود في يده حتى أدماه ثم أمر به فقتل ثم أتى بعمر بن موسى بن عبيد الله بن
عمر فقال يا عبد المرأة يقوم بالعامود على رأسك ابن الحائك يعني ابن الأشعث
وتشرب معه في الحمام فقال اصلى الله الأمير كانت فتنة شملت البر والفاجر
فدخلنا فيها فقداً مكنك الله منافان عفوت فبجلك وفضلك وان عاقبت عاقبت
من نبيين فقال الحجاج أما أنها شملت البر فكذبت ولكها شملت الفاجر وعوفي
منها الا برار وأما اعترافك فعسى انه ينفعك فرجاله السلامة ثم أمر به فقتل وأتى
الحجاج بأسيرين فأمر بتملئهما فقال أحدهما ان لي عندك يد اقال وماهي قال
ذكر عبد الرحمن بن الأشعث يوماً أمك بسوء فنهيته قال ومن يعلم ذلك قال هذا

الأسير الآخر فسأله الحجاج فصدقه فقال له الحجاج فلم تفعل كما فعل قال وينفعني
الصدق عندك قال نعم قال منعني البغض لك ولقومك فقال خاوا عن هذا لفعله
وعن هذا الصدق وقتل الحجاج يوم الهز بمة ممن قبض عليهم عشرة آلاف ولما
انهزم أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث نادى منادى الحجاج من لحق بقتيبة بن
مسلم الباهلي فهو آمن وكان قدولى قتيبة الري وسار اليه فلحق به ناس كثير وكان
منهم الشعبي فذكره الحجاج يوما فسأل عنه فقالوا له انه لحق بقتيبة بن مسلم بالري
فكتب الحجاج الى قتيبة يأمره بإرسال الشعبي فأرسله قال الشعبي فلما قدمت على
الحجاج لقيت يزيد بن أبي مسلم وكان صديقي فاستشرته فقال اعتذر مهما
استطعت وأشار بمثل ذلك اخواني ونصحتني فلما دخلت على الحجاج فرأيت غير
ما ذكر والى فسألت عليه بالامرأة وقالت أيها الأمير ان الناس قد أمروني ان أعتذر
بغير ما يعلم الله انه الحق وأيم الله لأقول في هذا المقام الا الحق قد والله مر دنا عليك
وحرصنا وجهدنا فاكننا بالأقوياء الفجرة ولا بالأتقياء البررة ولقد نصرك الله
علينا وأنظرك بنا فان سطوت فبذنو بنا وما جرت اليه أيدينا وان عفوت عنا
فبهاك وبعد فالحجة لك علينا فقال الحجاج أنت والله أحب الي قولنا ممن يدخل
علينا يقطر سيفه من دماننا ثم يقول ما فعلت ولا شهدت وقد أمنت يا شعبي كيف
وجدت الناس بعدنا فقلت أصلح الله الأمير اكنعت بعدك السهر واستوعرت
الجناب واستعلست الخوف وفقدت صالح الاخوان ولم أجد من الأمير خلقا قال
انصرف يا شعبي فانصرفت وأما سعيد بن جبير فانه اختفى ثم هرب الى خراسان
وتنقل الى أماكن كثيرة محتفيا ثم جاور بمكة فلما ولي امارة مكة خالد بن عبد الله
القسري بعد موت عبد الملك ومبايعة ابنه الوليد قيل لسعيد بن جبير ان خالدا
رجل سوء فلوسرت عن مكة فقال والله لقد فررت حتى استحييت من الله
ويستحيني ما كتب الله لي فلما قدم خالد مكة كتب له الوليد يحمل أهل العراق الى
الحجاج فأخذ سعيد بن جبير وأرسله مع حرسيين فانطلق أحدهما الحاجة وبقي
الآخر فقال لسعيد اني أبرأ الى الله من دمك اني رأيت في منامي فقيل لي تبرأ من دم

سعيد
تلك
في دار
نظرت
ياسعبد
علي
ثم عاود
أم أفد
عبد
لامير
والله لا
رأسه
انه يريد
الحجاج
مالي ولي
قال الام
بينهما
مونه فق
سبعين
سعيد
أحمد
علمه و
ابن الا
ومنا

سعيد بن جبير فاذهب حيث شئت فاني لا اطلبك فأبى سعيد فرأى ذلك الحر سبي
ثلاث الرُّبائلانا ويأذن لسعيد في الذهب وهو لا يفعل فقدموا به الكوفة فأنزل
في داره وأناه قراء الكوفة فجعل يحدتهم وهو يضحك وبنية له في حجره فلما
نظرت الى القيد في رجله بكيت ثم أدخلوه على الحجاج فلما أتى به أقبل عليه فقال
يا سعيد ألم أشركك في امارتي ألم أفعل بك كذا ألم استعملك قال بلى فأخرجك
عليّ قال انما انا امرؤ من المسلمين يخطئ مرة ويصيب مرة فطابت نفس الحجاج
ثم عاوده في شيء فقال انما كانت بيعة في عنقي فغضب الحجاج وانتفخ وقال يا سعيد
ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأسير المؤمنين
عبد الملك قال بلى قال ثم قدمت الكوفة واليا فجددت البيعة فأخذت بيعتك
لأسير المؤمنين ثانية قال بلى قال فنكثت بيعتين وتوفي بوأحدة للحائك ابن الحائك
والله لا تقتلنك قال انى اذن لسعيد كما سمعتنى أمى فأمر به فضربت عنقه فلما سقط
رأسه هلل ثلاثا فما قتل التيس عقل الحجاج فجعل يقول قيودنا قيودنا فظنوا
انه يريد القيود فقطعوا رجلي سعيد من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود وكان
الحجاج اذا نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول يا عدو الله فيم قتلتنى فيقول
مالي ولسعيد بن جبير مالي ولسعيد بن جبير وعاش الحجاج بعده أياما ثم هلك
قال الامام الشعراني في الطبقات قتله في شعبان وتوفي الحجاج في رمضان وكان
بينهما خمسة عشر يوما وفي نار ينج ابن خلكان ان الحجاج روى في النوم بعد
مونه فقيل له ما فعل الله بك قال قتلتنى بكل قتيل قتله قتله وقتلتنى بسعيد بن جبير
سبعين قتله وكان عمر سعيد بن جبير سبعا وأربعين سنة وقيل سبعا وخسين قيل ان
سعيد بن جبير قال اللهم لا تسلطه على أحد بعدى فلم يقتل أحد بعده قال الامام
أحمد قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الارض أحد الا وهو مفتقر الى
علمه وكان قتله سنة أربع وتسعين وقيل خمس وتسعين فبين قتله وانتهاء فتنة
ابن الأشعث احدى عشرة سنة فقد كان ابتداء فتنة ابن الأشعث سنة احدى
وثمانين وانهاؤها سنة ثلاث وثمانين وأما ابن الأشعث فإنه لما انهزمت جيوشه

سار الى رتبيل ملك الترك فأكرمه وآواه ثم أرسل اليه الحجاج يتوعده ويهدده
فقتله وبعث برأسه الى الحجاج وقيل بل أصابه مرض فأت فقطن رأسه وأرسله
للحجاج فبعث به الى عبد الملك فطيف به في الشام ليريه الناس ثم أرسله لآخيه
عبد العزيز بن مروان بمصر فطيف به في مصر وكان ذلك سنة خمس وثمانين

﴿ فتح قالى قلا ﴾

في سنة احدى وثمانين سير عبد الملك بن مروان ابنه عبيد الله في جيش ففتح قالى قلا
وفي هذه السنة هجم جماعة من الديلم على قزو بن فتصاح الناس وأغلقوا
الابواب وقتلواهم قتلا عظيما ونظف المساهون بهم فلم يقات منهم أحد وفي هذه
لسنة كان يزيد بن المهلب في مقارة بسما في ستين فارسا فلقبهم خمسمائة من
الترك فقاتلواهم قتلا شديدا فقتلوا كثيرا من الترك الى أن انهزموا وفي سنة
انفتحت وثمانين توفي المهلب واستخلف على خراسان ابنه يزيد فاقره الحجاج وفي
سنة أربع وثمانين فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك بباذغيس بعد حصار وقتال
ذلكها وما فيها من الاموال والذخائر وكانت من أحسن القلاع وأمنها وكان نيزك
اذا رآها سجد لها معظما لها وفي هذه السنة غزا عبيد الله بن عبد الملك الروم ففتح
المصيصة وبنى حصنها ووضع بها ثمانمائة مقاتل من ذوى البأس ولم يكن المسلمون
سكنوها اقبل ذلك وبنى مسجدها وفي هذه السنة غزا محمد بن مروان ارمينية
فهمزهم ثم سأله الصلح فصالحهم وفي سنة خمس وثمانين عزل الحجاج يزيد بن
المهلب وولى أخاه الفضل بن المهلب فغزا باذغيس وأصاب غنما فقسمها فأصاب كل
رجل ثمانون ثم غزا آخرون (اسم بلد) وشومان فغنم وقسم ما أصاب ولم يكن
للفضل بيت مال كان يعطى الناس كلما جاءه شيء وان غنم شيئا قسمه فيهم وفي هذه
السنة غزا محمد بن مروان ارمينية فصاف بها ارشتم وفي سنة ست وثمانين توفي
عبد الملك بن مروان وولى ابنه الوليد فأبقى الحجاج وولى الحجاج خراسان قتيبة
ابن مسلم الباهلي وباهلة من قيس عيلان بن مضر وعزل الفضل وافتتح قتيبة
خوارزم وسمرقند وبخارى وقد كانوا كفروا بعد فتحها الاول وبلغ ما لم يبلغه

المهلب ولا غيره فجهز قتيبة عند قدومه الجيوش للغزو فلما كان بالطالقان أتاه
دهاقين بلخ وساروا معه فقطع النهر فملاقاته ملك الصغانيان بهدايا ومفاتيح من
ذهب ودعاه الى بلده فضى معه فسامها اليه لان ملك أخرون وشومان كان يسمى
جواره ثم سار قتيبة الى أخرون وشومان وهما من طخارستان فصالحه ملكها
على فدية أداها اليه فقبلها قتيبة ثم انصرف الى مرو (احدى قواعداقليم خراسان
الاربع وهى مرو وهرارة وبلخ ونيسابور) واستخاف على الجند أخاه صالح بن
سلم ففتح صالح بعد رجوع قتيبة كاشان وأورشت وهى من فرغانة وفتح
اخشيكت وهى مدينة فرغانة القديمة وفى هذه السنة غزا مسامة بن عبد الملك
أرض الروم * وفى سنة سبع وثمانين كتب قتيبة الى نيزك طرخان صاحب
بادغيس أن يطاق من عنده من أسرى المسلمين وكتب اليه يتهدده بخافه نيزك
فأطلق الأسرى وبعث بهم اليه وكتب له قتيبة مع سليم الناصح مولى عبيد الله بن
أبي بكره يدعوه الى الصلح والى أن يؤمنه وكتب اليه يحلف بالله لأن لم يقدم عليه
ليغزونه ثم ليدلبنه حيث كان حتى يظفر به أو يموت دونه فقدم سليم بالكتاب
فقال له نيزك وكان يستنصحه ياسايم ما أظن عند صاحبك خيرا كتب الى كتابا
لا يكتب الى مثل فقال له سليم انه رجل شديد فى سلطانه سهل اذا سهل صعب اذا
عوسر فلا يمنعك منه غلاظة كتابه اليك فأحسن حاله عنده فعقد الصلح لأهل
بادغيس على أن لا يدخلها قتيبة وفى هذه السنة غزا مسامة بن عبد الملك الروم
فقتل منهم عددا كثيرا بسوسنة من ناحية المصيصة وقيل ان الذى غزا فى هذه
السنة هشام بن عبد الملك ففتح حصن بواق وحصن الأنحرم وحصن بولس وفتح
وقتل من المستعربة نحو من ألف وسبى ذريتهم ونساءهم

﴿ ذكر غزوة قتيبة بيكند ﴾

كانت غزوة بيكند سنة سبع وثمانين وهى أدنى مداين بخارى اسار اليهم قتيبة
بجيوشه فلما نزل بهم استنصروا الصغد واستمدوا من حولهم فأتوهم فى جمع كثير
وأخذوا الطرق على قتيبة فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل اليه خبر شهرين وأبطأ

خبره على الحجاج فأشفق على الجند فأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد وهم يقتتلون كل يوم وكان لقتيبة عين من العجم يقال له تندر فأعطاه أهل بخارى مالا ليرد عنهم قتيبة فأناه سرا من الناس وقال له ان الحجاج قد عزل وقد أتى عامل الى خراسان فلورجعت بالناس كان أصلح فأمر به فقتل خوفا من أن يظهر الخبر فيهلك الناس ثم أمر أصحابه بالجد في القتال فقاتلهم قتالا شديدا فانهزم الكفار يريدون المدينة وتبعهم المسلمون قتلا وأسرا كيف شاؤوا وتحصن من دخل المدينة بها فوضع قتيبة الفعلة ليهدم سورها فسألوه الصلح فصالحهم واستعمل عليهم عاملا وارتحل عنها يريد الرجوع فلما سار خمسة فراسخ نقضوا الصلح وقتلوا العامل ومن معه فرجع قتيبة فقب سورهم فسقط فسألوه الصلح فلم يقبل ودخلها عنوة وقتل من كان بها من المقاتلة وكان فيمن أخذوا من المدينة رجل أعور هو الذي استجاش الترك على المسلمين فقال لقتيبة أفدى نفسي بخمسة آلاف حريرة فبئها ألف ألف فاستشار قتيبة الناس فقالوا له ان زيادة في الغنائم وما عسى أن يبلغ كيد هذا قال لا والله لا يروع بك مسلم أبدا فأمر به فقتل وأصابوا فيها من الغنائم والسلاح وآنية الذهب والفضة مالا يحصر ولا أصابوا بخراسان مثله فقوى المسلمون فلما فرغ قتيبة من فتح بيكندر جمع الى مرو

﴿ ذكر فتح طروانة من بلد الروم ﴾

في سنة ثمان وثمانين غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك بلد الروم وكان الوليد قد كتب الى صاحب أرمينية يأمره أن يكتب الى ملك الروم يعرفه ان الخزر وغيرهم من ملوك جبال أرمينية قد أجمعوا على قصد بلاده ففعل ذلك وقطع الوليد البعث على أهل الشام الى أرمينية وأكثر وأعظم جهازه وسار وانحوا الجزيرة ثم عطفوا منها الى بلد الروم فاقتتلواهم والروم فانهزم الروم ثم رجعوا فانهزم المسلمون فبقى العباس في نفر منهم ابن مجير بن الجمحي فقال له العباس أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة فقال ابن مجير نادهم بأنوا فنادى العباس يا أهل القرآن فأقبلوا جميعا فهزم الله الروم حتى دخلوا طروانة وحصرهم

المسلمون وقتحوها قيل وفي هذه السنة أيضا غزا مسلمة بن عبد الملك الروم أيضا
ففتح ثلاثة حصون أحدها حصن قسطنطين وجزالة وحصن الأخرم وقتل من
المستعربة نحو من ألف وأخذ الأموال

﴿ ذكر غزوة نومشكت ورامثنة ﴾

في هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم نومشكت واستخلف على مرو وأخاه يسار بن مسلم
فتقاء أهلها فصالحهم ثم سار إلى رامثنة فصالح أهلها وانصرف عنهم وزحف إليه
الترك ومعهم الصغد وأهل فرغانة في مائتي ألف وملكهم ابن أخت ملك الصين
فاعترضوا المسلمين فلحقوا عبد الرحمن بن مسلم أخا قتيبة وهو على الساقية بينه
وبين قتيبة وأوائل العسكر ميل فلما قربوا منه أرسل إلى قتيبة يخبره وأدركه الترك
فقاتلوه ورجع قتيبة فأنهى إلى عبد الرحمن وهو يقاتل الترك وقد كاد الترك
يظهرون عليه فلما رأى المسلمون قتيبة طابت نفوسهم وقاتلوا إلى الظهر وأبلى
يومئذ نيزك وهو مع قتيبة فانهزم الترك ورجع قتيبة فقطع النهر عند ترمذ وأتى
مرو وفي سنة تسع وثمانين غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد الروم
فافتتح مسلمة حصن عمورية وفتح العباس أذرولية ولقي من الروم جمعا فنهزمهم
وقيل إن مسلمة قصد عمورية فلقى بها جمعا من الروم كثيرا فهزمهم وافتتح هرقله
وقونية وغزا العباس الصائفة من ناحية البندون

﴿ ذكر غزوة قتيبة بخارى ﴾

في هذه السنة أتى قتيبة كتاب الحجاج يأمره بقصد وردان خذاه فعبى النهر من
زم فلقى الصغد وأهل كش ونسف في طريق المفازة فقاتلوه فظفر بهم ومضى إلى
بخارى فنزل خرقانة السفلى عن يمين وردان فلقوه في جمع كثير فقاتلهم يومين
وليلتين فظفر بهم وغزا وردان خذاه ملك بخارى فلم يظفر بشيء فرجع إلى مرو
وكتب إلى الحجاج يخبره فكتب إليه الحجاج أن صورها فبعث إليه بصورتها
فكتب إليه الحجاج أن تب إلى الله جل ثناؤه مما كان منك وإثما من مكان كذا
وكذا وكتب إليه أن كش بكش وانسف نسف وورد وردان وإياك واتحو يطرد عنى

من ثنيات الطريق فلما ورد الكتاب على قتيبة خرج غازي سنة تسعين فاستباح
وردان خذاه بالصغد والترك ومن حوله فأنوه وقد سبق اليها قتيبة فحصرها فلما
جاءتهم أمدادهم خرجوا الى المسلمين يقاتلونهم فقالت الازد اجعلونا ناحية
وخلوا بيننا وبين قناهم فقال قتيبة تقدموا فتقدموا وقاتلوهم قتالا شديدا ثم ان
الازد انهزموا حتى دخلوا العسكر وركبهم المشركون فخطموهم حتى أدخلوهم
عسكرهم وجازوه حتى ضرب النساء وجوه الخيل وبكين فكروا راجعين
فانطوت محبتنا المسلمين على الترك فقاتلوهم حتى ردوهم الى موافقهم فوقف
الترك على نسر فقال قتيبة من يزيهم عن هذا الموضع فلم يقدم عليهم أحد من
العرب فأنى قتيبة بنى تميم فقال لهم يوما كياكم فأخذ وكيع بن حسان بن قيس
التميمي اللواء وقال يا بنى تميم أسلموني اليوم قالوا لا يا أبا مطرف وكان هريم بن
أبي طلحة على خيل تميم وكيع رأسهم فقال وكيع باهريم قدم خيالك ودفع اليه
الراية فتقدم هريم وتقدم وكيع في الرجال فأتته هريم الى نهر بينهم وبين الترك
فوقف فقال وكيع تقدم باهريم فنظر هريم نزل الجمل الهاجج الصائل وقال أقفم
الخيل هذا النهران انك كشفت كان هلا كهيا أحق فقال وكيع يا بن اللخناء
أترد امرى فخذفه بعمود كان معه فعبه هريم في الخيل وانتهى وكيع الى النهر
فعمل عليه جسر من خشب وقال لا صحابه من وطن نفسه على الموت فليعبه والا
فليثبت مكانه فاعبر معه الاثمانمائة رجل فلما عبر بهم ودنا من العدو قال له هريم انت
مطاع عنهم فاشغلهم عنا بالخيل فحمل عليهم حتى خالطهم وحمل هريم في الخيل
فطاع عنهم ولم يزالوا يقاتلونهم حتى أحدروهم من التل ونادى قتيبة ما ترون العدو
منهزمين فلم يعبر أحد النهر حتى انهزموا وعب الناس ونادى قتيبة من أتى برأس فله
مائة فأنى برؤس كثيرة فجاء يومئذ أحد عشر رجلا من بنى قريع كل رجل
رأس فيقال له من أنت فيقول قريعي فجاء رجل من الازد برأس فقبل له من
أنت فقال قريعي فعرفه جههم بن زحر فقال كذب والله انه أزدى فقال له قتيبة
مادعاك الى هذا فقال رأيت كل من جاء يقول قريعي فظننت أنه ينبغي لكل من

جاء برأس أن يقوله فضحك قتيبة وجرح خاقان وابنه وفتح الله عليهم وكتب بالفتح
الى الحجاج

﴿ ذكر صلح قتيبة مع الصغد ﴾

لما وقع قتيبة بأهل بخارى هابه الصغد فرجع طر خون ملكهم ومعه فارسان فدنا
من عسكر قتيبة وطلب رجلا يكلمه فأرسل اليه قتيبة حيان النبطي فطلب
الصلح على فدية يؤدبها اليهم فأجاب قتيبة الى ما طلب ورجع طر خون الى بلاده
ورجع قتيبة ومعه نيزك

﴿ ذكر غدر نيزك وفتح الطالقان ﴾

لما رجع قتيبة من بخارى ومعه نيزك وقد خاف لما يرى من الفتوح فقال لاصحابه أنا
مع هذا يعني قتيبة ولست آمنه فلو استأذنته ورجعت كان الرأي قالوا افعل
فاستأذن قتيبة فأذن له وهو باءل فرجع يريد طخارستان وأسرع السير حتى
أتى النوبهار قال لاصحابه لا أشك ان قتيبة قد ندم على اذنه وسيبعث الى المغيرة بن
عبد الله بأمره بحبسى وندم قتيبة على اذنه له فأرسل الى المغيرة بأمره بحبس نيزك
وسار نيزك وتبعه المغيرة فوجده قد دخل شعب خلم فرجع المغيرة وأظهر نيزك
الخلع وكتب الى اصبه بدباخ والى باذان ملك مرو والى ملك الطالقان والى
ملك الفرياب والى ملك الجوزجان يدعوهم الى خلع قتيبة فأجابوه فواعدهم
الربيع ان يبعثوا وبعثوا وفتية وكتب الى كابل شاه يستظهر به وبعث اليه
بثقله وماله وسأله ان يأذن له ان اضطر اليه ان يأتيه فأجابته الى ذلك وكان جبعو به
ملك طخارستان ضعيفا فأخذه نيزك فقيده بقيد من ذهب ثملا يخالف عليه
وكان جبعو به هو الملك ونيزك عبده فاستوثق منه وأخرج عامل قتيبة من بلاد
جبعو به وبلغ قتيبة خلمه قبل الشتاء وقد تفرق الجند فبعث أخاه عبد الرحمن بن
مسلم في اثني عشر ألفا الى البروقان وقال أقم بها ولا تحدث شيئا فاذا انقضى الشتاء
سرنحو طخارستان واعلم انى قريب منك فسار فلما كان آخر الشتاء كتب قتيبة
الى نيسابور وغيرها من البلاد ليقدم عليه الجنود فقدموا قبل أو انهم فسار نحو

الطالقان وكان ملكها قد خلع وطابق نيزك على الخلع فأناه قتيبة فأوقع باهل
الطالقان فقتل من أهلها مقتلة عظيمة وصاب منهم سباطين أربعة فراسخ في نظام
واحد ثم استعمل على الطالقان أخاه عمر بن مسلم ثم سار إلى الفارياب فخرج إليه
ملكها مندعنا فقبل منه ولم يقتل بها أحدا واستعمل عليها رجلا من أهله وبلغ ملك
الجوزجان خبرهم فهرب إلى الجبال وسار قتيبة إلى الجوزجان فلقية أهلها سامعين
مطيعين فقبل منهم ولم يقتل بها أحدا واستعمل عليها عمر بن ملك الحانج ثم أتى
بلخ فلقية أهلها فلم يبق بها إلا يوم واحد وسار يتبع أخاه عبد الرحمن إلى شعب خلم
ومضى نيزك إلى بغلان وخلف مقاتلة على فم الشعب ومضائقه ليمنعوه ووضع
مقاتلته في قلعة حصينة من وراء الشعب فأقام قتيبة أياما يقانلهم على مضيق الشعب
لا يقدر على دخوله ولا يعرف طريقا يسلكه إلى نيزك إلا الشعب أو مغارة
لا تحتلها العساكر فبقى متحيرا فقدم إنسان فاستأمنه على أن يبدله على مدخل
القلعة التي من وراء الشعب فأمنه قتيبة وبعث معه رجلا فانتهى بهم إلى القلعة
من وراء شعب خلم فطرقوهم وعم آمنون فقتلوهم وهرب من بقي منهم ومن كان
في الشعب فدخل قتيبة الشعب فأتى القلعة ومضى إلى سمنجان فأقام بها أياما ثم
سار إلى نيزك وقسم أخاه عبد الرحمن فارتحل نيزك من منزله فقطع وادي فرغانة
ووجه نقله وأمواله إلى كابل شاه ومضى حتى نزل الكرز وعبد الرحمن يتبعه
فنزل عبد الرحمن حذاء الكرز ونزل قتيبة بمنزل بينه وبين عبد الرحمن فرسخان
فحصن نيزك في الكرز وليس إليه مسلك إلا من وجه واحد وهو صعب لا ينطقه
الدواب فحصره قتيبة شهرين حتى قل ما بقي يد نيزك من الطعام وأصابهم الجدرى
وجدر جبعوبه وخاف قتيبة الشتاء فدعاه ليليا الناصح وكان يصادق نيزك فقال
انطلق إلى نيزك واحتمل لنا تينين به من غير أمان فإن احتمال وأبى فأمنه واعلم أني إن
عابنتك وليس هو معك صلبتك قال فاكتب إلى عبد الرحمن لا يخالفني فكتب
إليه فقدم عليه فقال له ابعث رجلا ليكونوا على فم الشعب فاذا خرجت أنا ونيزك
فليعطوا من ورائنا فيحولوا بيننا وبين الشعب فبعث عبد الرحمن خيلا فكانت

هناك وحمل سليم معه أطعمة وأخبصة وأقارا وأنى نيزك فقال له انك أسأت الى
قتيبة وغدرت قال نيزك فما الرأي قال أرى أن تأتيه فانه ليس يبارح وقد عزم على
أن يشتمو مكانه هلك أو سلم قال نيزك كيف آتية على غير أمان قال ما اظنه يؤمنك
لما في نفسه عليك لانك قدملا أنه غيظا ولكني أرى أن لا يعلم حتى تضع يدك في
يده فاني أرجو أن يستعصى ويعفو قال انى أرى نفسي تأبى هذا وهو ان رأى قتلى
فقال سليم ما أتيتك الا لأشير عليك بهذا ولو فعلت لرجوت أن تسلم وتعود حالك
عنده فاذا أبيت فاني منصرف وقد سلم الطعام الذى معه ولا عهد لهم بمثله
فاتهبه أصحاب نيزك فساء ذلك فقال له سليم انى لك من الناصحين أرى أصحابك
قد جهدوا وان طال بهم الحصار لم آمنهم أن يستأمنوا بك فأتت قتيبة فقال لا آمنه
على نفسي ولا آتية الا بأمان وان ظنى أن يقتلنى وان أمنى ولاكن الامان أعذر
الى قال ابن خلدون ولم يزل يقتل له فى الذرورة والغارب وهو يمتنع حتى قال وانه
قد أمنك وقوله ولم يزل الخ هو مثل من أمثال العرب يضرب فى الخداع والمماكرة
اه منيدانى فقال سليم قد أمنك أفتهمنى قال لا وقال له أصحابه اقبل قول سليم فلا
يقول الا حقا فخرج معه ومع جبغويه وصول طرخان خليفة جبغويه وجلس
طرخان صاحب شمرطنه وشقران ابن أخى نيزك فلما خرجوا من الشعب عطف
الحيل التى خلفها سليم فخالوا بين الانراك أصحاب نيزك والخروج فقال نيزك هذا
أول الغدر قال سليم تخلف هؤلاء عنك خير لك وأقبل سليم ونيزك ومن معه حتى
دخلوا على قتيبة فحبسهم وكتب الى الحجاج يستأذنه فى قتل نيزك واستخرج قتيبة
ما كان فى السكر من متاع ومن كان فيه فقدم به على قتيبة فانتظر بهم كتاب
الحجاج فأماه كتاب الحجاج بعد أن بعين يوما أمره بقتل نيزك فدعا قتيبة الناس
واستشارهم فى قتله واختلفوا فقال ضرار بن حصين انى سمعتك تقول أعطيت
الله عهدا ان أمكنك منه أن تقتله فان لم تفعل فلا ينصرك الله عليه أبدا فدعا نيزك
فضرب عنقه بيده وأمر بقتل صول وابن أخى نيزك وقتل من أصحابه سبعائة
وقيل اثني عشر ألفا وصلب نيزك وابن أخيه وبعث برأسه الى الحجاج وأخذ

الزبير مولى عباس الباهلى حقا النبى فيه جوهر فكان أكثر من فى بلاده مالا
وعقار من ذلك الجوهر وأطلق قتيبة جبنو به ومن عليه وبعث به الى الوليد فلم
يزل بالشام حتى مات الوليد فلما قتل قتيبة نزلك رجوع الى مرو وأرسل ملك
الجوزجان يطلب الامان فأمنه على أن يأتيه فطلب رهنا ويعطى رهائن فأعطاه
قتيبة حبيب بن عبد الله بن حبيب بن محمد وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل
بيته وقدم على قتيبة ثم رجعت ذات بطالقان فقال أهل الجوزجان انهم سموه فقتلوا
حبيبا وقتل قتيبة الرهائن الذين كانوا عنده وذلك سنة احدى وتسعين

ذكر قتل زاهر ملك السند وفتح السند

قد تقدم ذكر أول غزو المسلمين فى السند فى سنة ثلاث وأربعين فى خلافة عثمان
رضى الله عنه وان عبد الله بن عامر استعمل على نجر السند عبد الله بن سوار
العيدى وفى سنة أربع وأربعين غزا المهلب بن أبى صفرة نجر السند عاملا للحكم
ابن عمر والغفارى حين كان على خراسان وفى سنة خمس وسبعين كان على نجر
السند جماعة بن مسعر التميمى من قبل الحجاج وفى سنة سبع وثمانين ثم فتح بقية
السند للمسلمين على يد محمد بن القاسم بن الحكم بن أبى عقيل الثقفى ابن عم
الحجاج لان الحجاج هو ابن يوسف بن الحكم فيجتمع هو والحجاج فى الحكم بن
أبى عقيل وللى الحجاج محمد بن القاسم المذكور واستعمله على ذلك الثغر وسير معه
سنة آلاف مقاتل وجهزه بكل ما يحتاج اليه حتى المسال والابر والخيوط فسار
محمد الى مكران فأقام بها أياما ثم أتى قنز بور ففتحها ثم سار الى ارمائيل ففتحها ثم
سار الى الديبيل فقدمها يوم الجمعة ووافته سفن كان حمل فيها الرجال والسلاح
والاداة فخندق حين نزل الديبيل وأنزل الناس منازلهم ونصب منجنيقا يقال له
العروس كان يمد به خمسمائة رجل وكان بالديبيل بد عظيم والبديصم فى بناء عظيم
وكان تحت منارة عظيمة مرتفعة وفى رأس المنارة دقل عظيم وعلى الدقل راية
حمر اذ اهبت الريح أطافت بالمدينة وكانت تدور وكل ما يعبد فهو عندهم بد فحصر
الديبيل وطال حصارها فرمى الدقل بحجر العروس فكسره فتطير الكفار بذلك

ثم خرجوا اليه ففناهم القتال فهزمهم حتى ردهم الى البلد وأمر بالسلايم
فصبت فصعد عليها الرجال ففتحت عنوة وقتل فيها ثلاثة أيام وهرب عامل ذاهر
ملك السند عنها وأزلهما محمد بن القاسم أربعة آلاف من المسلمين وبني جامعها وسار
عنها الى البيرون وكان أهلها بعثوا الى الحجاج فصالحوه فلقوا محمد بالميرة وأدخلوه
مدينتهم ثم سار عنها فجعل لا يمر بمدينة الا فتحها حتى عبر نهر مهرا دون مهرا فأنه
أهل سر بيلس فصالحوه ووظف عليهم الخراج ثم عبر نهر مهرا واستعد ملك
السند لمحاربتهم واسم ذاهر بن صعصعة ثم عقد الجسر على النهر فقاتله ذاهر وهو
على فيل وحوله الفيلة ومعه التسكاكرة وهم قواد السند فاقتلوا قتالا شديدا
لم يسمع بمثله وترجل ذاهر فقاتل حتى قتل عند المساء ثم انهزم الكفار وقتلهم
المسامون كيف شاؤوا فلما قتل ذاهر لحقت امرأة ذاهر بمدينة راور فساروا اليها
وخافته فأحرقت نفسها وجواربها وملك المدينة ولحق المنهزمون بمدينة رهمنا باد
العتيقة ففتحها عنوة وقتل من وجد بها وخر بها ثم استولى على مدائن السند
واحدة واحدة وقطع نهر بياس الى الملتان فحاصرها وقطع الماء عنها فنزلوا على
حكيمه فقتل المقاتلة وسبي الذرية وقتل سدنة البدوهم ستة آلاف وأصابوا ذهباً
كثيراً فجمع في بيت طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية أذرع يلقى اليه من كوة
في وسطه فسميت الملتان فرج بيت الذهب والفرج الثغر وكان بد الملتان تهدي
اليه الاموال ويحجج من البلاد ويحلقون رؤسهم ولحاهم عندهم ويؤمنون أن
صنعه هو أبوب النبي صلى الله عليه وسلم وعظمت فتوح محمد بن القاسم ونظر
الحجاج في النفقة على ذلك الثغر فكان ستين ألف درهم ونظر في الخمس
الذي حمل اليه فكان مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف فقال ربمنا النصف
وهو ستون ألف ألف وأدر كنا نارنا ورأس ذاهر والمات الحجاج سنة خمس
وتسعين كان محمد بن القاسم بالملتان فأنه خبر وفاته فرجع الى الرور والبغور
وكان قد قصهما فأعطى الناس ووجهه الى البيمان جيشاً فلم يقاتلوا وأعطوا
الطاعة ثم أتى محمد الكبير نجران الى دهر فقاتله فانهزم دهر وقيل بل قتل

ونزل أهل المدينة على حكم محمد فقتل وسبي ومات الوليد بن عبد الملك وولى أخوه سليمان فعزل محمد بن القاسم عن السند وولاه يزيد بن أبي كبشة السكسكى فأخذ محمد أوقيدته وحمله الى العراق فبكى أهل السند على محمد فلما وصل الى العراق حبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط فعذب به صالح ثم قتله وكان الحجاج قتل آدم أخا صالح وكان يرى رأى الخوارج ومات يزيد بن أبي كبشة بعد قدمه أرض السند بثمانية عشر يوماً واستعمل سليمان بن عبد الملك على السند حبيب بن المهلب فقدمها وقدر جمع ملوك السند الى ممالكهم وغلبوا عليها فنزل حبيب على شاطئ مهران فأعطاه أهل الرور الطاعة وحارب قوما فظفر بهم ثم مات سليمان واستخلف عمر بن عبد العزيز فكتب الى الملوك يدعوهم الى الاسلام والطاعة على أن تملكهم ولهم مالمسلمين وعليهم ما عليهم فأسلم جيشة بن زاهر والملوك وتسموا بأسماء العرب وكان عمرو بن مسلم الباهلي عامل عمر بن عبد العزيز على ذلك الثغر

﴿ ذكر غزو الهند وقصه ﴾

لما كان عمرو بن مسلم الباهلي عاملاً لعمر بن عبد العزيز على السند غزا بعض الهند فظفر ثم ان الجنيد بن عبد الرحمن المرى ولى السند أيام هشام بن عبد الملك فأتى الجنيد شط مهران فثمنه جيشة بن زاهر العبور وأرسل اليه انى قد أسلمت وولانى الرجل الصالح بلادى ولست آمنك فأعطاه رهنا وأخذ منه رهنا على خراج بلاده ثم زادوا وكفر جيشة وحارب وقيل انه لم يحارب ولكن الجنيد تجنى عليه فأتى الهند فجمع جوعا وأعد السفن واستعد للحرب فسار اليه الجنيد بالسفن فالتقوا فى بطيعة فأخذ جيشة أسيرا فقتله وهرب صصة بن زاهر وهو يريد أن يمشى الى العراق ويشكو غدر الجنيد فلم يزل الجنيد يؤنسه حتى وضع يده فى يده فقتله وكان ذلك سنة سبع ومائة وغزا الجنيد الكبير من آخر الهند وكانوا قد نقضوا فاتخذ كباشا وصلك بها سور المدينة والكباش آله من خشب وحديد يجر ونها بنوع من الخيل فتدق الحائط فيهدم فلما صلك السور بالكباش نامه فدخلاه فقتل وسبي ووجه العمال الى المرند والمنديل ودهنج و برونج وبعث

بجيشا الى أز بن فأغار واعليها وحر قوار بضا وفتح البيمان وحصل عنده سوى
لما حمل أربعون ألف ألف وحمل مثلها وولى الجنيد الهند تميم بن زيد القيني فضعف
بزووهن ثم مات وفي أيامه خرج المسلمون عن بلاد الهند ورفضوا مرا كزهم ثم ولى
الحكم بن عوام السكبي وقد كفر أهل الهند الأهل قصة فبنى مدينة سماها المحفوظة
بوجعلها مأوى للمسلمين وكان معه عمر بن محمد بن القاسم الثقفي وكان يفوض اليه
تنظيم الامور فأغزاه من المحفوظة فلما قدم عليه وقد ظفر أمره فبنى مدينة سماها
النصورة فهي التي ينزلها الامراء واستخلص ما كان قد غلب عليه العدو ورضى
الناس بولايته ثم قتل الحكم وكان العمال يقاتلون العدو فكانوا يفتتحون ناحية
ويأخذون ما تيسر لهم لضعف الدولة الأموية بعد ذلك الى أن جاءت الدولة العباسية
﴿ ذكر فتوحات موسى بن نصير بافر يقية ﴾

في سنة تسع وثمانين استعمل الوليد على افر يقية موسى بن نصير فوصل الى
افر يقية وكان البربر قد طمعو في البلاد وبلغه أن بأطراف البلاد قومًا خارجين
عن الطاعة فوجه اليهم ابنه عبد الله فقاتلهم فظفر بهم وسبي منهم ألف رأس وسير
ابنه أيضا في البحر الى جزيرة ميورقة فنهبا وغنم منها ما لا يحصى وعاد سالما فوجه
ابنه هرون الى طائفة أخرى فظفر بهم وسبي منهم نحو ذلك وتوجه هو بنفسه الى
طائفة أخرى فغنم نحو ذلك فبلغ الخس ستين ألف رأس من السبي ولم يذكر
أحد أنه سمع بسبي أعظم من هذا ثم ان افر يقية فحطت واشتد بها الغلاء فاستقى
بالناس وخطبهم ولم يذكر الوليد فقبل له في ذلك فقال هذا مقام لا بدعى فيه لأحد
ولا يذكر الا الله عز وجل فسقى الناس ورخصت الاسعار ثم خرج غازيا الى طنجة
زبد من بقي من البربر وقد هربوا خوفا منه فاتبهم وقتلهم قتلا ذريعا حتى بلغ
السوس الاذنى لا يدافع أحد فاستأمن البربر اليه وأطاعوه واستعمل على طنجة
مولا طارق بن زياد وجعل معه جيشا كثيرا جعلهم البربر وجعل معهم من يعلمهم
القرآن والفرائض وعاد الى افر يقية فبقلة مجانة فحصن أهلها منه وترك عليها
من يحاصرها حتى قصت وحينئذ لم يبق له في افر يقية من ينازعه وقيل كانت

ولاية موسى سنة ثمان وسبعين استعمله عليها عبد العزيز بن مروان وهو حينئذ
على مصر لآخيه عبد الملك وفي هذه السنة أعنى تسعا وثمانين غزا مسلمة بن عبد
الملك الترك من ناحية اذربيجان ففتح حصونا ومدائن هناك وغزا مسلمة أيضا
أرض الروم سنة تسعين ففتح حصونا خمسة وغزا العباس بن الوليد حتى بلغ أردن
﴿ ذكر غزوة قتيبة بن مسلم شومان وكش ونسف ﴾

في سنة احدى وتسعين سار قتيبة الى شومان فحصرها وكان سبب ذلك أن ملكها
طرده عامل قتيبة من عنده فأرسل اليه قتيبة رسولين أحدهما من العرب اسمه
عياش والآخر من أهل خراسان يدعوان ملك شومان أن يؤدي ما كان صالح
عليه فقدم ما على شومان فخرج أهلها اليهما فرموهما فأنصرف الخراساني وقتلهم
عياش فقتلوه ووجدوا به ستين جراحة وبلغ قتله قتيبة فسار اليهم بنفسه فلما أنها
أرسل أخاه صالح بن مسلم الى ملكها وكان صديقا له يأمره بالطاعة ويضمن له
رضا قتيبة ان يرجع الى الصلح فأبى وقال لرسول صالح أنتخوفني من قتيبة وأنا أمتنع
المملوك حصنا فأتاه قتيبة وقد تحصن بببله فوضع عليه المجانيق ورمى الحصن
فهشمه وقتل رجلا في مجلس الملك بحجر فلما خاف أن يظهر عليه قتيبة جمع
ما كان بالحصن من مال وجوهر ورمى به في بئر بالقلعة لا يدرك قعرها ثم فتح
القلعة وخرج اليهم فقاتلهم حتى قتل وأخذ قتيبة القلعة عنوة فقتل المقاتلة وسبي
الذرية ثم سار الى كش ونسف ففتحها وامتنت عليه فارياب فأحرقها فسميت
المحترقة وسير من كش ونسف أخاه عبد الرحمن الى الصغد وكان ملكها طرخون
فقبض عبد الرحمن من طرخون ما كان صالحا عليه قتيبة ودفع اليه رهنا كان
معه ورجع الى قتيبة ببخاري وكان قد سار اليها من كش ونسف فرجعوا الى مرو
ولما كان قتيبة ببخاري تملك بخاري خذاه وكان غلاما حذنا وقتل من يخاف ان
يضاده وقيل ان قتيبة سار بنفسه الى الصغد فلما رجع عنهم قالت الصغد لطرخون
انك رضيت بالذل واستطبت الجزية وأنت شيخ كبير لا حاجة لنا فيك فخبسوه
وولوا غوزك فقتل طرخون نفسه وفي هذه السنة غزا عبد العزيز بن الوليد

الصائفة وفيها عزل الوليد عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وأرمينية واستعمل عليها أخاه مسleme بن عبد الملك فغزا مسleme الترك من ناحية اذربيجان حتى بلغ الباب وفتح مدائن وحصونا ونصب عليها المجانيق وغزا مسleme بن عبد الملك أرض الروم في سنة ثنتين وتسعين ففتح حصونا ثلاثة وجلا أهل سوسنة الى بلاد الروم

﴿ ذكر فتح الأندلس ﴾

في سنة ثنتين وتسعين في خلافة الوليد بن عبد الملك غزا طارق بن زياد موسى بن نصير الأندلس في اثني عشر ألفا وكانوا قبل ذلك سبعة آلاف فنزلوا جبل طارق ثم أمدهم موسى بخمسة آلاف فصاروا اثني عشر ألفا فلقى ملك الأندلس بعد أن جمع جيوشه في أعمال شنونة فزحف له طارق بجميع من معه وزحف الملك وكان جيشه مائة ألف وانصت الحرب ثمانية أيام ثم قتل ملكهم قتله طارق بيده وهزم الله الكفار وسار طارق متبعاهم فأدرك خلقا من المهزمين فقاتلوه قتالا شديدا ثم انهزموا ولم يلق المسامون بعدها حرا بامثلها ولم تقف هزيمة العدو على موضع بل كانوا يسامون له بلادا وبلدا ومعقلا ومعقلا فتوغل في بلاد الأندلس وقعتها مدينة بعد مدينة والكلام على ذلك يطول وهو مبسوط في التواريخ واستقامت الأمور هناك وعلا الاسلام وأما القتل من الكفار من أول الفتح الى آخره فشيء كثير لا يمكن احصاؤه والقتل من المسلمين بالنسبة لذلك قليل جدا وأما الغنائم من الذهب والفضة والخيل والجواهر والأثاث وبقية الأشياء فشيء كثير لا يمكن حصره ولا ضبطه وكانت توجد الطنفسة منسوجة بقضبان الذهب وتنظم السلسلة من الذهب باللؤلؤ والياقوت والزبرجد فكان الجنود اذا وجدوها لا يستطيعون حملها فيأتون بالفاس فيضربون به وسطها فيأخذوا حدهم نصفها والآخر النصف الآخر ومما وجد في تلك الغنائم مائة وسبعون نالما من الذهب الأحمر من صعة بالدر وأصناف الجواهر الثمينة ووجد فيها ألف سيف ملوكي من صعة بالجواهر ووجد فيها من الدر والياقوت أكيال ومن أواني الذهب والفضة ما لا يحيط به وصف ومما وجدوه مائة سليمان عليه السلام قيل انها

من منهوبات بخت نصر لما خرب بيت المقدس وقيل انها لم تكن لسليمان وانما
أصلها أن العجم في أيام ملكهم كان أهل الثروة منهم اذا مات أحدهم أوصى بمال
للكنائس فصاغوا من ذلك المال تلك المائدة وكانت مصنوعة من الذهب وقيل
من الذهب والفضة مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزمر ولم ير الاون مثلها وكان
عليها طوق اولو وطوق ياقوت وطوق زمرد كلها مكالمة بالجواهر وحافانها
وأرجلها منها وكان لها ثلاثمائة وستون رجلا وقيل خمسة وستون فحملت الى
الوليد ومعها ثلاثون ألف رأس من السبي ومن الذهب والفضة والجواهر
ونقائس الأمتعة مالا يقدر قدره وكان ابتداء القتال والفتح لليلتين بقيتا من
رمضان سنة ثنتين وتسعين والتحق موسى بن نصير بمولاه طارق بن زياد في
رمضان سنة ثلاث وتسعين ومعه ثمانية عشر ألفا وتوغلا في الأندلس الى أن
وصلوا الى بلاد الافرنج ففنى الخبر الى الوليد بن عبد الملك واشتد قلقه على المسلمين
فبعث اليهم يأمرهم بالرجوع قيل انهم انتهوا الى مفازة كبيرة وأرض سهلة ذات
آثار فأصابوا فيها صنما عظيما قائما كالسارية مكتوب بافيه بالنقر كتابة عربية فرتت
فاذا فيها يابني اسماعيل انتهيتم فارجعوا وان سألتهم الى ماذا ترجعون أخبرتهم
انكم ترجعون الى الاختلاف فيما بينكم حتى يضرب بعضكم أعناق بعض وقد
فعلتم فرجعوا سنة خمس وتسعين وولى موسى على افرريقية ابنه عبد الله وعلى
الأندلس ابنه عبد العزيز وعلى طنجة ابنه عبد الملك فصار جميع الأندلس والمغرب
بين أولاده ورجع هو ومولاه طارق قيل كان رجوعهم قبل وفاة الوليد وقيل
بل كان بعد موت الوليد وولاية سليمان وقيل قدموا والوليد مريض مرض
الموت ثم انسح أمر المسلمين بالأندلس وصار لهم ملك ضخم ثم استولى عليها
النصارى شيئا فشيئا الى سنة تسعمائة وأربع فاستولوا عليها جميعها وبقي قليل من
المسلمين لناصرهم قاموا في بعض الجبال على النصارى ثم تقووا واعلهم
وأخرجوهم وكان آخرهم خروج سنة ألف وعشر وأسأل الله أن يهيء للاسلام
من ينصره حتى يسترجع ما استولى عليه الكفار

ذكر غرق المسلمين الذين حصل منهم غلول في غنائم الاندلس ✽
لما فتح موسى بلاد الاندلس سير طائفة من عسكره في البحر الى جزيرة سردانية
وهي في بحر الروم من أكبر الجزائر كثيرة القوا كه فدخلها المسلمون وعمد
النصارى الى ما لهم من آنية ذهب وفضة فألقوا الجميع في المينا التي لهم وجعلوا
أموالهم في سقف بنوه للبيعة العظمى التي لهم تحت السقف الأول وغنم المسلمون
فيها ما لا يحصى ولا يوصف وأكثروا الغلول فاتفق أن رجلا اغتسل في المينا فعلفت
رجله في شيء فأخرجه فإذ اصحفة من فضة فأخذ المسلمون جميع ما في المينا ثم
دخل رجل من المسلمين الى تلك الكنيسة فنظر الى حمام في سقف الكنيسة
فرماه بسهم فأخطأه ووقع في السقف وانكسر لوح فنزل منه شيء من الدنانير
فاستخرج المسلمون جميع ما كان في السقف وأخذوه وازدادوا غلولا فكان
بعضهم يذبح الهرة ويرمي ما في جوفها ويملا جلد هادنانير ويخيط عليه ويلقيها في
الطريق فاذا خرج أخذها وكان يضع قائم سيفه على الجفن ويلوذه ذهباً فلما
ركبوا في البحر سمعوا قائل يقول اللهم غرقهم فغرقوا عن آخرهم فوجدوا
أكثر الغرقى والدنانير على أوساطهم وفي سنة خمس وثلاثين ومائة غزا هذه
الجزيرة عبد الرحمن بن حبيب الفهري وكان على الاندلس فقتل من بها قتلا
ذريعا ثم صالحوه على الجزيرة فأخذت منهم ثم منعوا وبقيت لم يغيرها أحد بعده
فعمرها الروم فلما كانت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة أخرج اليها المنصور
ابن القائم العلوي صاحب افرقيصة اسطولا من المهدي فمروا بجنوة ففتحوا
المدينة وأوقعوا بأهل سردانية وسبوا فيها وأحرقوا مراكب كثيرة وأخربوا
جنوة وغنموا ما فيها وفي سنة ست وأربعمائة غزاها محمد العامري من الأندلس
وكان صاحبها في البحر في مائة وعشرين مراكب ففتحها وقتل فأكثر وسي النساء
والذرية فسمع بذلك ملوك الروم فجمعوا اليه وساروا اليه من البر الكبير في جمع
عظيم فاقتتلوا وانهمزم المسلمون وأخرجوا من جزيرة سردانية ولم يغير بعد ذلك

✽ ذكر غزو سجستان ✽

وفي سنة ثنتين ودمعين غزا قتيبة بن مسلم سجستان وأراد قصد تبيل الاعظم فلما

نزل قتيبة سجستان أرسل رتييل اليه رسالا بالصلح فقبل ذلك وانصرف
واستعمل عليهم عبدربه بن عبد الله الليثي

﴿ ذكر صلح خوارزم شاه وفتح خام جرد ﴾

في سنة ثلاث وتسعين صالح قتيبة بن مسلم خوارزم شاه وكان سبب ذلك ان ملك
خوارزم كان ضعيفا فغلبه أخوه خرزاد على أمره وكان أصغر منه وكان اذا بلغه
ان عند أحد من هو منقطع الى الملك جارية أو مالا أو دابة أو بنتا أو اختا أو امرأة
جمله أرسل اليه وأخذه منه وكان لا يمتنع عليه أحد ولا الملك فاذا قيل للملك قال
لا أقوى به وهو مغناط عليه فلما طال ذلك عليه كتب الى قتيبة يدعو به الى أرضه
ليسأله واشترط عليه أن يدفع اليه أخاه أو كل من يضاده ليحكم فيهم بما يرى ولم يطلع
أحد من مرزبته على ذلك فاجابه قتيبة الى ما طلب وتجهز للغزو وأظهر قتيبة أنه
يريد الصغد وسار من مرو وجمع خوارزم شاه أجناده ودهاقينه وقال ان قتيبة
يريد الصغد وليس بغازيكم فهموا وانتعم في ربيعنا هذا فاقبلوا على الشرب والتعم
فلم يشعروا حتى نزل قتيبة في هزار سب فقال خوارزم شاه لا صاحب له ماترون قالوا
نري ان نقاتله قال لكني لا أرى ذلك لانه قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشد شوكة
ولكني أصرفه بشئ أو دبه اليه فاجابوه الى ذلك فسار خوارزم شاه ونزل بمدينة
القبيل من وراء النهر وهي أحسن بلاد وقتيبة لم يعبر النهر فأرسل اليه خوارزم
شاه فصالحه على عشرة آلاف رأس وعين ومتاع وعلى أن يعينه على خام جرد
فقبل قتيبة ذلك وقيل صالحه على مائة ألف رأس ثم بعث قتيبة أخاه عبد الرحمن
الى خام جرد وكان أحد أعداء خوارزم شاه وكان يغازي خوارزم شاه فقاتله
فقتله عبد الرحمن وغلب على أرضه وقدم منهم باربعة آلاف أسير فقتلهم قتيبة وسلم
قتيبة الى خوارزم شاه أخاه ومن كان يخالفه فقتلهم ودفع أموالهم الى قتيبة

﴿ ذكر فتح سمرقند ﴾

لما قبض قتيبة صلح خوارزم شاه قام اليه المجشر بن مزاحم السلمي فقال له سرا
ان أردت الصغد بوما من الدهر فالآن فانهم آمنون من أن يأبنهم عامل وانما بينك

و بينهم عشرة أيام فقال أشار عليك بهذا أحد قال لا قال فسمع منك أحد قال لا قال
والله لئن تكلم به أحد لا ضرب بن عنقك فلما كان الغد أمر أخاه عبد الرحمن فصار
في الفرسان والرماة وقدم الانتقال الى مرو وفسار يومه فلما أمسى كتب اليه قتيبة
اذا أصبحت فوجه الانتقال الى مرو وسر بالفرسان والرماة الى الصغدوا كتم
الاخبار فاني في الاثر ففعل عبد الرحمن ما أمره وخطب قتيبة الناس وقال لهم ان
الصغد شاغرة برجلها وقد نقضوا العهد الذي بيننا وصنعوا ما بلفكم واني أرجو
أن تكون خوارزم والصغد كقر يظة والنضير ثم سار فاتي الصغد فبلغها بعد
عبد الرحمن بثلاث أو أربع فخصرهم بسمرقند شهرا واستجاشوا ملك الشاش
واخشا دخاقان وفرغانة وكتبوا لهم ان العرب ان ظفر وابتاؤكم بمثل ما أتونا به
فانظر والانفسكم ومهما كان عندكم من قوة فابذلوها فنظر واوقالوا انما نؤتي
من سفلتنا فانهم لا يجيبون كجدنا فانخبوا أهل النجدة من أبناء الملوك والمرازبة
والاساورة والابطال وولوا عليهم ابن خاقان وأمر وهم أن يأتوا عسكر قتيبة فيبيتوه
فانه مشغول بحصار سمرقند فصاروا وبلغ قتيبة الخبر فانخب من عسكره ستمائة
فارس من الشجعان وبعث بهم أخاه صالح بن مسلم وأمرهم بالمسير الى عدوهم
فساروا فبرزوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم فجعل صالح له كمينين
فاما مضى نصف الليل جاءهم عدوهم فلما رأوا اصالحا حملوا عليه فلما اقتتلوا شد
الكمينان عن يمين وشمال فلم يرقوم كانوا أشد من أولئك قال بعض أصحاب صالح
انا لثقتلهم في الليل اذ رأيت قتيبة وقد جاء سرا فضربت ضربة أعجبتني فقلت
كيف ترى بأبي وأمي قال اسكت فض الله فاك ثم قاتلوهم أشد القتال فهزموهم
وقتلوهم وقتلوا ابن خاقان ولم يفلت منهم الا الشريد وخوينا أسلابهم وسلاحهم
واحتز زنا رؤسهم وأسروا منهم أسرى فسألناهم عن قتلنا فقالوا ما قتلنا الا ابن
ملك أو عظيما أو بطلا كان الرجل منهم بعد بمائة رجل وكتبنا أسماءهم على آذانهم
ثم دخلنا العسكر حين أصبحنا فلم يأت أحد بمثل ما جئنا به من القتلى والاسرى
والخيل ومناطق الذهب والسلاح قال وأكرمني قتيبة وأكرم معي جماعة

وظننت انه رأى منهم مثل الذي رأى منى ولما رأى أهل الصغد ذلك خافوا خوفا
شديدا ونصب قتيبة عليهم المجانيق فرماهم بها ونلم نامة فقام عليها رجل فشم قتيبة
فرماه ببعض الرماة فقتله فاعطاه قتيبة عشرة آلاف وسمع بعض المسلمين قتيبة
وهو يقول كأنه يناجى نفسه حتى متى يأسر قنديعشش فيك الشيطان أما والله
لئن أصبحت لأحاولن من أهلك أقصى غاية فانصرف ذلك الرجل فقال لأصحابه
كم من نفس تموت غدا وأخبر الخبر فلما أصبح قتيبة أمر الناس بالجد في القتال
فقاتلوهم واشتد القتال وأمرهم قتيبة أن يبلغوا نامة السور فجعلوا الترس على
وجوههم وحلوا فبلغوها ووقفوا عليها ورماهم الصغديا بالنشاب فلم يبرحوا فأرسل
الصغد الى قتيبة فقالوا انصرف عنا اليوم حتى نصالحك غدا فقال قتيبة لا نصالحهم
الا ورجالنا على النامة فصالحوه والرجال على النامة على ألف ألف ومائتي ألف
مقال في كل عام وأن يعطوه في تلك السنة ثلاثين ألف رأس وأن يخلوا القتيبة
مدينة سمرقند فلا يكون لهم فيها مقاتل الى أن يبني فيها مسجدا ويدخل ويصلي
ويخطب ويتغدى ويخرج فلما تم الصلح وأخلوا المدينة وبني المسجد دخلها قتيبة
في أربعة آلاف انتخبهم فدخل المسجد فصلى فيه وخطب وأكل طعاما ثم أرسل
الى الصغد من أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذ فاني لست خارجا منها ولست
أخذ منكم الا ما صالحتكم عليه غير أن الجندي يقيمون فيها فأكرههم على اقامة
جند فيها وقيل انه شرط عليهم أيضا بيوت النيران وحلية الاصنام فقبض ذلك
وأتى الاصنام فكانت كالقصر العظيم وأخذ ما عليها من الحلية وأمر بها
فأحرقت فجاءه غوزة فقال ان شكرك على واجب لا نتعرض لهذه الاصنام
فان منها أصناما من أحرقها هلك فقال قتيبة أنا أحرقها بيدي فمدعابا النار فكبر ثم
أشعلها فاحترقت فوجدوا من بقايا مسامير الذهب خمسين ألف مقال وأصاب
بالصغد جارية من ولد يزيد جرد فأرسلها الى الحجاج فأرسلها الحجاج الى الوليد
فولدت له يزيد بن الوليد ولما بعث قتيبة بالفتح الى الحجاج انتقل الى مرو
واستعمل على سمرقند اياس بن عبد الله ثم ان أهل خوارزم استضعفوا اياسا

فجمع مواله جموعا وأرادوا قتاله فوجه قتيبة جموعا إلى خوارزم مع المغيرة بن عبد الله وعزل إياسا من سمرقند وولى أخاه عبد الله بن مسلم فلما قدم المغيرة على سمرقند خشي ملكهم من أبناء الذين كان قتلهم ففر إلى بلاد الترك وجاء المغيرة فقتل وسبي وملك خوارزم وصالحه الباقر بن علي الجزية

﴿ ذكر غزوة قتيبة الساش وفرغانة ﴾

في سنة أربع وتسعين قطع قتيبة النهر وفرض على أهل بخارى وكش ونسف وخورزم عشرين ألف مقاتل فساروا معه فوجههم إلى الساش وتوجه هو إلى فرغانة فأتى خجندة فجمع له أهلها جموعا واقتلوا معه مرارا كل ذلك يكون الظفر للمسامين ثم إن قتيبة أتى كاشان مدينة فرغانة وأتاه الجنود الذين وجههم إلى الساش وقد قنعوها وأحرقوا أكثرها وانصرف إلى مرو وفي هذه السنة غزا العباس بن الوليد أرض الروم ففتح انطاكية وفيها غزا عبد العزيز بن الوليد غزاة وبلغ الوليد بن هشام المعيطى برج الحمام ويزيد بن أبي كبشة أرض سورية

﴿ ذكر غزوة الساش ﴾

في سنة خمس وتسعين بعث الحجاج بجيش من العراق إلى قتيبة فغزا بهم الساش فلما كان بشاش أو بكشماهان أتاه موت الحجاج في شوال فغمه ذلك ورجع إلى مرو وتفرق الناس فأناه كتاب الوليد فقدم في أمير المؤمنين بلاءك وجدك واجتهادك في جهاد أعداء المساميين وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك الذي يجب لك فأنتم مغازيك وانتظر ثواب ربك ولا تغيب عن أمير المؤمنين كتبك حتى كافي أنظر إلى بلائك والثغر الذي أنت فيه وفي هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح هرقله وفيها فتح آخر الهند إلا الكبير حج والمندل وقد تقدم ذكر ذلك وفي هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسر بن

﴿ ذكر فتح قتيبة مدينة كاشغر ﴾

في سنة ست وتسعين غزا قتيبة كاشغر فسار وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعهم بسمرقند فلما عبر النهر استعمل رجلا على أمير النهر ليمنع من يرجع إلا بجواز منه

ومضى الى فرغانة وأرسل الى شعب عصام من يسهل الطريق الى كاشغر وهي
أدنى مداين الصين وبعث جيشا مع كبير بن فلان الى كاشغر فغنم وسبي سبيانا فغنم
أعناقهم وأوغل حتى بلغ قريب الصين فكتب اليه ملك الصين أن ابعث الى رجلا
شريف ياخبرني عنكم وعن دينكم فانتخب قتيبة عشرة لهم جمال والسن وبأس
وعقل وصلاح فأمر لهم بعدة حسنة ومتاع حسن من الخبز والوشى وغير ذلك
وخيول حسنة وكان منهم هبيرة بن مشمرج الكلابي فقال لهم اذا دختم عليه
فأعلموه أني قد حلفت أني لا أنصرف حتى أطأ بلادهم وأختم ملوكهم وأجبي
خراجهم فساروا وعليهم هبيرة فله اقدموا عليه دعاهم ملك الصين فلبسوا ثيابا
بياضا تحتها الغلائل وتطيّبوا ولبسوا النعال والارديّة ودخلوا عليه وعنده عظام
قومه فجالسوا فلم يكلمهم الملك ولا أحد من عنده فنهضوا فقال الملك لمن حضره
كيف رأيتم هؤلاء فقالوا رأينا قومًا منهم الانساء ما بقي منا أحد الا انتشر ما عنده
فلما كان الغد دعاهم فلبسوا الوشى والعمائم الخبز والمطارف وغدوا عليه فلما
دخلوا قيل لهم ارجعوا وقال لاصحابه كيف رأيتم هذه الهيئة قالوا هذه أشبه بهيئة
الرجال من تلك فلما كان اليوم الثالث دعاهم فشدوا سلاحهم ولبسوا البيض
والمغافر وأخذوا السيوف والرماح والقسي وركبوا فنظروا اليهم ملك الصين
فرأى مثل الجبل فلما دنوا ركز وارماحهم وأقبلوا مشمر بن فقيسل لهم ارجعوا
فركبوا خيولهم وأخذوا رماحهم ودفعوا خيولهم كأنهم يتطاردون فقال الملك
لاصحابه كيف ترؤنهم فقالوا ما رأينا مثل هؤلاء فلما أمسى بعث اليهم أن ابعثوا الى
زعيمكم فبعثوا اليه هبيرة بن مشمرج فقال له قدر رأيتم عظيم ملكي وانه ليس أحد
يمنعكم مني وأنتم في يدي بمنزلة البيضة في كفي واني سألتكم عن أمر فان لم تصدقوني
قتلتكم قال سل قال لم صنعتم بزيك الا اليوم الاول والثاني والثالث ما صنعتم قال
اما زينا اليوم الاول فلباسنا في أهلنا واما اليوم الثاني فزينا اذا أممنا أمراءنا واما
الثالث فزينا بعدونا قال ما أحسن ما دبرتم دهركم فقولوا لصاحبكم ينصرف
فاني قد عرفت قلبه واصحابه والابعثت عليكم من يهلككم قالوا كيف يكون قليل

الاصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون يعنون الشام وأما
نحو يفتك ابانا بالقتل فان لنا آجالا اذا حضرت فامرهما القتل ولسانا كرهه
ولانخافه وقد حلف أميرنا ان لا ينصرف حتى يطاء أرضكم ويختتم ملوككم وتعطوا
الجزية قال فاننا نخرجه من يمينه ونبعث تراب أرضنا فيطوه ونبعث اليه ببعض
أبنائنا فيضيقهم ونبعث اليه بجزية برضاها ثم بعث اليه بهدية وأربعة غلمان من
أبناء ملوكهم وثمن من تراب أرضهم وأجاز العشرة الوافدين فأحسن جائزتهم
فقدموا على قتيبة فقبل الجزية وختم الغلمان وردهم ووطئ التراب ووصل الخبر
الى قتيبة في هذه الغزوة بموت الوليد فرجع

﴿ ذكر مقتل قتيبة بن مسلم ﴾

كان قتيبة فحل عمال الدولة الاموية والحجاج فرعونها ومكث قتيبة على خراسان
ثلاث عشرة سنة وفتح كثيرا من المداين التي كانت فتمت قبله ثم كفر أهلها وغلبوا
فقاتلهم حتى قمعها وفتح غيرها أيضا كما تقدم وفي هذه السنة أعنى سنة ست وتسعين
قتل وعمره سبع وأربعون سنة وسبب قتله موافقته للوليد بن عبد الملك حين
أراد خلع أخيه سليمان وذلك أن عبد الملك بن مروان عهد بالخلافة لابنه الوليد ثم
من بعده لأخيه سليمان فأراد الوليد أن يخلع أخاه سليمان ويبايع لابنه عبد العزيز
فلم يوافق على ذلك إلا الحجاج وقتيبة بن مسلم ثم مات الحجاج ثم مات الوليد ولم
يتمكن من خلع أخيه فبويبع لأخيه سليمان فخاف قتيبة منه وكان سليمان بن عبد
الملك صديقا ليزيد بن المهلب فخاف قتيبة أن يعزله ويولي يزيد بن المهلب فدعا
الناس لخلع سليمان وكان قتيبة قد عزل وكيع بن حسان عن رياسة بني نعيم وصيرها
لضرار بن حصين الضبي فلما أراد خلع سليمان لم يوافق وكيع وتجمع معه كثير من
قومه فثار من ذلك فتنة بين المسلمين بخراسان يطول الكلام بذلك كرها فقتل
فيها قتيبة وقتل معه من أهله أخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحصين
وعبد الكريم ومسلم وقتل كثيرا منه وكان عدة من قتل مع قتيبة من أهل بيته أحد
عشر رجلا ونجا عمر بن مسلم أخو قتيبة وحمل رأس قتيبة ورؤس أهل بيته الى

سليمان بن عبد الملك وقام بالامر بمخراسان وكيع بن حسان تسعة أشهر ولما قتل
قتيبة قال رجل من أهل خراسان يا معشر العرب قتلتم قتيبة والله لو كان منافات
لجعلناه في نابوت فكنا نستسقي به ونستفتح به وفي هذه السنة جهز سليمان بن
عبد الملك الجيوش الى القسطنطينية واستعمل ابنه داود على الصائفة فافتح
حصن المرأة وفيها غزاة مسامة بن عبد الملك الوضاحية ففتح الحصن الذي قعه
الوضاح صاحب الوضاحية وفيها غزاة عمر بن هبيرة أرض الروم في البحر فشتى بها
﴿ ذكر ولاية يزيد بن المهلب خراسان ﴾

كان سليمان بن عبد الملك ولي يزيد بن المهلب العراق وبعدهم قتيبة بتسعة
أشهر ولاء خراسان فأقام عماله بالعراق وتوجه الى خراسان
﴿ ذكر فتح جرجان وطبرستان ﴾

في سنة ثمان وتسعين غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان لما قدم خراسان وسبب
غزوها واهتمامه بهما أنه لما كان عند سليمان بن عبد الملك بالشام كان سليمان كلما فتح
قتيبة فتحها يقول ليزيد ألا ترى الى ما يفتح الله على قتيبة فيقول يزيد ما فعلت جرجان
التي قطعت الطريق وأفسدت قومس ونيسابور ويقول هذه الفتوح ليست
بشيء الشأن هي جرجان ولم تكن جرجان يومئذ مدينة انما هي جبال ومخارم
وأبواب يقوم الرجل على باب منها فلا يقدم عليه أحد فلما ولاء سليمان خراسان لم
يكن له همة غير جرجان فسار اليها في مائة ألف من أهل الشام والعراق وخراسان
سوى الموالى والمتطوعة فابتدأ بقهستان فحاصرها وكان أهلها طائفة من الترك
وكان أهلها بمخرجون ويقاتلون فيهمهم المسامون في كل ذلك فاذا هزموا
دخلوا الحصن فخرجوا ذات يوم وخرج اليهم الناس فاقتتلوا وقتلوا اشديدا ثم
انهزموا ودخلوا الحصن ثم ألح عليهم قتال وقطع عنهم المواد واشتد عليهم
الحصار فطلب الصلح صول دهمقان قهستان على أن يؤمنه على نفسه وأهله وماله
ليدفع له المدينة بما فيها فصالحه ووفى له ودخل المدينة فاخذ مما كان فيها من
الاموال والكنوز والسبي ما لا يحصى وقتل أربعة عشر ألف تركي صبرا وكتب

الى سليمان بن عبد الملك بذلك ثم خرج حتى أتى جرجان وكان أهل جرجان قد
صالحهم سعيد بن العاص وكانوا يجيبون أحيانا مائة ألف وأحيانا مائتي ألف
وأحيانا ثلاثمائة ألف ربما أعطوا ذلك وربما منعه ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا
خرجا ولم يأت جرجان بعد سعيد أحد ومنعوا ذلك الطريق فلم يكن يسلك
طريق خراسان أحد الا على فارس وكرمان وأول من صبر الطريق من قومس
قتيبة بن مسلم حين ولي خراسان وبقى أمر جرجان كذلك حتى ولي يزيد بن المهلب
فأنهم فاستقبلوه بالصلح وزادوه وهاجوه فأجابهم الى ذلك وصالحهم فلم يفتح
قهرستان وجرجان طمع في طبرستان أن يفتحها فعزم على أن يسير اليها فاستعمل
عبد الله بن المعمر اليشكري على ساسان وقهرستان وخلف معه أربعة آلاف ثم
أقبل الى أدنى جرجان مما يلي طبرستان فاستعمل على ايزوساراشد بن عمر وجعله
في أربعة آلاف ودخل بلاد طبرستان فأرسل اليه الاصبهيد صاحبها يسأله الصلح
وأن يخرج من طبرستان فأبى يزيد ورجا أن يفتحها ووجه أخاه أبا عيينة من وجه
وابنه خالد بن يزيد من وجه وأبا الجهم السكابي من وجه ومع كل منهم جيش وقال اذا
اجتمعتم فأبوعيينة على الناس فسار أبوعيينة وأقام يزيد معسكرا واستجاش
الاصبهيد أهل جيلان والديلم فأتوه فالتقوا في سفح الجبل فانهزم المشركون في
الجبل واتبعهم المسامون حتى انتهوا الى قم الشعب فدخل المسلمون وصعد
المشركون في الجبل واتبعهم المسامون ويرومون الصعود فرماهم العدو بالنشاب
والحجارة فانهزم أبوعيينة والمسامون يركب بعضهم بعضا يتساقطون في الجبل
حتى انتهوا الى عسكر يزيد وكف عدوهم عن اتباعهم وخافهم الاصبهيد فكانت
أهل جرجان وقد قدمهم المرزبان يسألهم ان يبيتوا من عندهم من المسلمين وأن
يقطعوا عن يزيد المادة والطريق فيما بينه وبين بلاد الاسلام ويعدهم أن يكافئهم
على ذلك فناروا بالمسلمين فقتلواهم أجمعين وهم غارون في ليلة وقتل عبد الله بن
المعمر ومن معه فلم ينج منهم أحد وكتبوا الى الاصبهيد بأخذ المضائق والطرق وبلغ
ذلك يزيد بن المهلب وأصحابه فعظم عليهم وهاجم وفرع يزيد الى حيان النبطي

وكان من رؤساء جنده ليسير الى الاصهيد في عمل الصالح فأتى حيا الاصهيد فقال
له أنا رجل منكم وان كان الدين فرق بيني وبينكم فانا لكم ناصح فأنت أحب الي
من يزيد بن المهلب وقد بعث يستمدوا مداده منه قريبة وانما أصابوا منه طرفا
ولست آمن من أن يأتيتك من لا تقوم له فأرح نفسك وصالحه فان صالحته صبر
حده على أهل جرجان بغدرهم وقتلهم أصحابه فصالحه على سبعمائة ألف وأربعمائة
وقرز عفران أوقيته من العين وأربعمائة رجل على كل رجل منهم ترس وطيلسان
ومع كل رجل جام من فضة وخرقة حرير وكسوة ثم رجع حيان الى يزيد بن المهلب
فقال ابعث من يحمل صلحتهم فقال من عندهم أو من عندنا فقال من عندهم وكان
يزيد قد طابت نفسه أن يعطيهم ما سألوها ويرجع الى جرجان فأرسل يزيد من
يقبض ما صالحهم عليه حيان وانصرف الى جرجان

ذكر فتح جرجان الفتح الثاني

قد تقدم ذكر فتح قهستان وجرجان ثم غدر أهلها بأصحاب يزيد بن المهلب فلما
صالح يزيد اصهيد طبرستان سار الى جرجان وعاهد الله لئن ظفر بهم لا يرفع
السيف حتى يطعن بسائل دماهم ويأكل من ذلك الطحين فأتاها وحصر أهلها
بمحصر فجاءت سبعة أشهر وهم يخرجون اليه في الايام فيقاتلون ويرجعون وكانوا
متمنعين في الجبل والاعار فيبيناهم كذلك اذ ظفروا برجل يعرف الطريق فضمن
له يزيد دية ان دلهم على الحصن وطرقه ومعاله فانتخب معه يزيد ثلاثمائة رجل
واستعمل عليهم ابنه خالد بن يزيد وقال يزيد للرجل متى تصلون قال غدا العصر
فساروا فلما كان الغد وقت الظهر أحرق يزيد كل حطب عنده حتى اضطربت
النيران ونظر العدو الى النار فهالهم ذلك فهجم خالد بن يزيد ومن معه عليهم قبل
العصر وهم آمنون من ذلك الوجه وسار يزيد بن يزيد معهم يقاتلهم من جهة أخرى فإ
شعروا بالالتكبير من ورائهم فانقطعوا جميعا الى حصنهم وركبهم المسلمون
فأعطوا أيديهم ونزلوا على حكم يزيد فسبى ذراريهم وقتل مقاتلتهم وصلبهم
فرسختين الى بين الطريق ويساره قيل ان الذين قتلهم أربعمائة ألفا لذلك كان

عمر بن عبد العزيز يسمى يزيد بن المهلب جبارا وأجرى الماء على الدم وعليه
أرماه ليطحن بدمائهم ليبر يمينه فطحن وخبز وأكل وبني مدينة جرجان ولم
تكن بنيت قبل ذلك مدينة ورجع إلى خراسان واستعمل على جرجان جهم بن
زحر الجعفي وكتب بالفتح إلى سليمان وأخبره أنه قد حصل من الخمس ستائة ألف
فقال له كاتبه المغيرة بن أبي قررة مولى بني سدوس لا تكتب تسمية المال فانك من
ذلك بين أمرين إما استكثره فأمرك بحمله وإما سمحت بنفسه لك به فأعطاكه
فكف المهدية فلا يأتيه من قبلك شيء إلا استقله فكأن في بك قد استغرقت
ما سميت ولم يقع منه موقعا ويبقى المال الذي سميت تخلفا في دواوينهم فان ولى
وآل بعده أخذك به وان ولى من يتخامل عليك لم يرض بأضعافه ولكن اكتب
فسله القدم وشافه بما أحببت فهو أسلم فلم يقبل منه وأمضى الكتاب فكان
الأمر كما قال كاتبه فان عمر بن عبد العزيز لما ولى بعد سليمان طالبه بذلك المال سنة
تسع وتسعين وعزله وقيده وحبسه ثم هرب من السجن في مدة مرض عمر بن
عبد العزيز ثم لما بويع يزيد بن عبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز طالب يزيد بن
المهلب فجمع جموعا وقاتل يزيد بن عبد الملك بعد أن خلعه وبايع الناس لنفسه
وكانت جموع يزيد بن المهلب نحو مائة ألف وآخر الأمر قتل هو وكثير من
أخوته وأهل بيته وذلك سنة اثنتين ومائة وقصة ذلك طويلة مند كورة في
التواريخ فيقول ان يزيد بن المهلب أصاب في غنم جرجان ناجا فيه جوهر فقال
لأصحابه أنزرونا أحدا يزيه في هذا قالوا لا فدعا محمد بن واسع الأزدي فقال خذ
هذا التاج قال لا حاجة لي فيه قال عزمت عليك فأخذه فأمر يزيد رجلا ينظر
ما يصنع به فلقى سائلا فدفعه إليه فأخذ الرجل السائل فأتى به يزيد فأخبره فأخذ
يزيد التاج وعوض السائل مالا كثيرا

ذكر محاصرة القسطنطينية

وفي هذه السنة أعنى سنة ثمان وتسعين سار سليمان بن عبد الملك إلى دابق ووجه
جيشا مع أخيه مسامة بن عبد الملك ليسير إلى القسطنطينية وسبب ذلك انه مات

ملك الروم فأتى اليون من اذربيجان لسليمان بن عبد الملك فأخبره بموته وضمن
له فتح الروم فوجه ذلك الجيش مع أخيه مسلمة فسار الى القسطنطينية فلما دنا منها
أمر كل فارس أن يحمل معه مدين من طعام على عجز فرسه الى القسطنطينية
ففعلو فلما أتوها أمر بالطعام فالتقى أمثال الجبال وقال للمسلمين لاتأكلوا منه شيئا
وأغبروا في أرضهم وازرعوا وعمل بيوتان من خشب فشتى فيها وصيف وزرع
الناس وبقى الطعام في الصحراء والناس يأكلون ما أصابوا من الغارات والزرع
وأقام مسلمة قاهر للروم معه أعيان الناس فارسل الروم الى مسلمة يعطونه عن
كل رأس دينار فلم يقبل فقالت الروم لايون ان صرفت عنا المسلمين ملكناك
فاستوثق منهم فأتى مسلمة فقال له ان الروم قد علموا انك لاتصدقهم القتال وانك
تطاولهم مادام الطعام عندك فلواحرقته أعطوا الطاعة بأيديهم فأمر به فأحرق
فقوى الروم وأصابوا المسلمين حتى كادوا يهلكون وبقوا على ذلك حتى مات
سليمان سنة تسع وتسعين وقيل انما خدع اليون مسلمة بأن سأله أن يدخل من
الطعام الى الروم بمقدار ما يعيشون به ليلة واحدة ليصدقوا أن أمر مسلمة وأمره
واحد وأنهم في أمان من السبي والخروج من بلادهم فأذن له وكان اليون قد أعد
السفن والرجال فنقلوا تلك الليلة الطعام فلم يتركوا في تلك الحظائر الا ما لا يدكر
وأصبح اليون محاربا وقد خدع مسلمة خديعة لو كانت لامرأة لعيبت بها ولقي الجند
مالم يلقه جيش آخر حتى ان الرجل كان يخاف أن يخرج من العسكر وحده
وأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق وكل شيء غير التراب وسليمان
مقيم بدابق ودخل الشتاء فلم يقدر أن يمدهم حتى مات فلما بويع عمر بن عبد العزيز
بعده بعث الى مسلمة وهو بأرض الروم يأمره بالقبول مهاجرا معه من المسلمين
ووجه له خيلا عتاقا وطعاما كثيرا وحث الناس على معاونتهم فرجعوا سنة تسع
وتسعين وفي سنة مائة واحد في توفي محمد بن مروان وتوفي عمر بن عبد العزيز
فيويع ليزيد بن عبد الملك وكان في مدته الحرب المتقدم ذكره بينه وبين يزيد بن
المهلب
✽ ذكر غزوة الترك ✽
في سنة اثنتين بعد قتل يزيد بن المهلب استعمل يزيد بن عبد الملك على العراق

وخراسان أخاه مسامة بن عبد الملك فاستعمل مسامة على خراسان سعيد الملقب
خدينة ومعناه الدهقانة ربة البيت لانه كان رجلا لينامتنعها وهو سعيد بن عبد
العزیز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص فجدده الحارث أخو مروان بن الحكم
فاستضعفه الناس وسموه خدينة فطمعت الترك فجمعهم خاقان ووجههم الى
الصغد وعلى الترك صول فأقبلوا حتى نزلوا قصر الباهلي محاصر بن لمن فيه من
المسلمين وفيه أهل مائة بيت من المسلمين بذرارهم وكان على سمرقند عثمان بن
عبد الله بن مطرف بن الشخير استعمله سعيد خدينة فكتبوا اليه يستقدونه
وخافوا أن يبغى عليهم المدد فصالحوا الترك على أربعين ألفا وأعطوهم سبعة
عشر رجلا رهينة وندب عثمان الناس فانتدب أربعة آلاف مع المسيب بن بشر
الرياحي من سائر القبائل فقال لهم المسيب من أراد الغزو والصبر على الموت
فليتقدم فرجع عنه ألف وقال ذلك أيضا بعد فرسخ فرجع ألف آخر ثم أعادها
ثالثة بعد فرسخ فاعتزله ألف فلما كان على فرسخين من العدو أخبره بعض
الدهاقين بأن القوم أناهم ملك الترك وبايعه كل الدهاقين غيري وأنا في ثلاثمائة
مقاتل فهم معكم وعندى الخبر قد كانوا صالحوهم وأعطوهم سبعة عشر رجلا
رهينة فلما بلغهم مسيركم اليهم قتلوا الرهائن وميعادهم أن يقاتلوا غدا ويفتحوهم
القصر يعني قصر الباهلي الذي فيه أهل مائة بيت فبعث المسيب الى القصر
المدكور رجلين عجميا وعر بيابا يتيانه بالخبر فجاؤا في ليلة مظلمة وقد أجرت الترك
الماء بدائر القصر لئلا يصل اليه أحدون وامن القصر فصاح بهما الربيثة فقالا له
اسكت وادع لنا فلان من المسلمين الذين في القصر فدعاه فأعلماه قرب العسكر
وسألاه هل عندكم امتناع غدا فقال لهما نحن مستميتون وقد أجمعنا على تقديم
نساءنا للموت أمامنا حتى نموت جميعا غدا فرجعا الى المسيب فأخبراه فقال لمن معه
انى سأرى هذا العدو والمحاصر بن للقصر فن أحب أن يذهب فليذهب فلم يفارقه
أحد وبايعوه على الموت فأصبح وسار وقد ازداد القصر تحصينا بالماء الذي أجراه
الترك فلما كان بينه وبين الموضع الذي فيه الترك نصف فرسخ نزل وكان قد أجمع

على بيانهم فلما أمسى أمر أصحابه بالصبر وحنهم عليه وقال ليكن شعاركم يا محمد ولا
تتبعوا مواليا وعليكم بالدواب التي لهم فاعقروها فانها اذا عقرت كانت أشد عليهم
منكم وليست بكم قلة فان سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر الا أو هنوه وان
كثرا أهله فلما دنوا منهم كبر واوذلك في السحر ونار الترك وخالطهم المسلمون
فعاقروا الدواب وترجل المسيب في رجال معه فقاتلوا قتالا شديدا وانقطعت بين
رجل من المسلمين فأخذ السيف بشماله فقطعت فجعل يذب بيده حتى استشهد
وقتلوا كثيرا منهم وعظيما من عظمائهم فانهم تركوا ونادى منادى المسيب لا
تتبعوهم واقصدوا القصر لاطلاق من فيه واجلوا من فيه ولا تحملوا من متاعهم
الاملاء ومن حمل امرأة أو صبيا أو رجلا ضعيفا لا يقدر على المشى حسبة فأجره
على الله ومن أبي فله أربعون درهما وان كان في القصر أحد من أهل عهدكم
فاجلوه فأتوا القصر وحملوا من فيه وأخرجوهم ثم ساروا الى سمرقند ورجعت
الترك من الغد فلم يروا في القصر أحدا ورأوا قتلاهم فقالوا لم يكن الذين جاؤنا
بالامس من الانس قال بعض من كان بالقصر لما التقوا ظننا ان القيامة قد قامت
لما سمعنا من همهم القوم ووقع الحديد وصهيل الخيل وفي هذه السنة غزا عمر بن
هبيرة الروم من ناحية أرمينية وهو على الجزيرة قبل أن يلي العراق فمئزهم وأسر
منهم خلقا كثيرا وقتل سبعمائة أسير وفيها غزا عباس بن الوليد بن عبد الملك الروم
فافتتح دلسه

✽ ذكروا غزوة الصغد ✽

وفي هذه السنة عبر سعيد خذينة النهر وغزا الصغد وقد كانوا نقضوا العهد
وأعانوا الترك على المسلمين فقال الناس لسعيد انك قد تركت الغزو وقد أغار
الترك وأعانهم أهل الصغد فقطع النهر وقصد الصغد فلقبه الترك وطائفة من الصغد
فهمهم المسلمون فقال سعيد لا تتبعوهم وقال لهم جباية أمير المؤمنين يعني يأخذ
منهم المال ففي استئصالهم ضياع له وفي رواية قال لهم بسستان أمير المؤمنين وقد
هزمتموهم أفتر يدون بوارهم وقد قاتلتم يا أهل العراق الخلفاء غير مرة فهل
أبادوكم فانكفوا عنهم ثم سار المسلمون الى وادي بينهم وبين المرج فقطعه بعض

العسكر وقد أكن لهم الترك فخرجوا عليهم وانهزم المسلمون الى الوادي ثم
تلاحق المسلمون وجاء الامير والناس فانهزم العدو وكان سعيد اذا بعث سرية
فأصابوا وغنموا وسبوا ردا لسبي وعاقب السرية فثقل سعيد على الناس وضعفوه
وسعوا في عزله فعزل سنة ثلاث ومائة وولى مكانه سعيد الحرشي بالحاء المهمة
والشين المعجمة من بني الحر يش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ينتهي
الى قيس بن عيلان بن مضر وفي سنة ثلاث ومائة غزا العباس بن الوليد الروم
ففتح مدينة يقال لها دلسة

ذكر الواقعة بين الحرشي والصغد

لما قدم الحرشي خراسان كان الناس بازاء العدو وقد تكبروا فخطبهم وحث
الناس على الجهاد وقال انكم لا تقاتلون بكثرة ولا بعدة ولكن بنصر الله وعز
الاسلام فقولوا لا حول ولا قوة الا بالله ولما سمع أهل الصغد بقوم الحرشي خافوا
على أنفسهم لانهم كانوا قد أعانوا الترك على أصحاب خذينة فأجمع عظماءهم على
الخروج من بلادهم فقال لهم ملكهم لا تفعلوا وأقيموا واحملوا خراج ماضى
واضمنوا له خراج ما يأتى وعمارة الارض والغزومعه ان أراد ذلك واعتدروه مما
كان منكم وأعطوه رهائن قالوا نخاف أن لا يرضى ولا يقبل ذلك منا ولكن نأتى
خجندة فنستجير ملكها ونرسل الى الامير فنسأله الصفح عما كان منا ونوثق انه
لا يرى أمرا يكرهه فقال لهم ملكهم أنارجل منكم والذي أشرت به عليكم خير
لكم فأبوا وخرجوا الى خجندة وأرسلوا الى ملك فرغانة يسألونه أن يمنهم
وينزلهم مدينته فأراد أن يفعل فقالت أمه لا بدخلى هؤلاء الشياطين مدينتك
ولكن فرغ لهم رستاقا يكونون فيه فأرسل اليهم سهوار ستاقا تكونون فيه حتى
أفرغ لكم وأجازنى أربعين يوما وقيل عشرين يوما فاخترنا وشعب عصام بن
عبد الله الباهلى وكان قتيبة فدخلفهم فيه فقال نعم ولا أنا على عقد وجوار حتى
ندخلوه وان أتتكم غزبة قبل أن ندخلوه ليس لكم على جوار فرضوا ففرغ لهم
الشعب فجاء الخبر الى الحرشي فغزاهم وعاجلهم قبل أن يدخلوا شعب عصام

وخرج أهل الصغد للقتال فانهزموا وقد كانوا حفر واخذنقا وغطوه بالتراب
ليسقط فيه المسلمون عند القتال فلما انهزموا أخطأهم الطريق وأسقطهم الله في
ذلك الخندق ثم حاصرهم الحرشي ونصب عليهم المجانيق فأرسلوا إلى ملك فرغانة
ليجبرهم فقال قد شرطت عليكم أن لا جوار قبل الاجل الذي بيني وبينكم
فطلبوا الصلح من الحرشي على أن يردوا ما في أيديهم من سبي العرب ويعطوا
ما كسر من الخراج ولا يتخلف أحد منهم بخجندة ولا يفتالوا أحد فان أحدثوا
حدنا استيحت دماؤهم فقبل منهم وخرجوا من خجندة ونزلوا في العسكر وبلغ
الحرشي أنهم قتلوا امرأة ممن كان في أيديهم من المسلمين فقتل الذي قتلها فخاف
منه بعض عظمائهم أن يقتله فنقض وخرج واعترض الناس ومعه جماعة منهم فقتل
ناسا وتضعع العسكر ولقوا منه ثرا وانتهى إلى ثابت بن عثمان بن مسعود فقتله
ثابت وقتل الصغد أسرى عندهم من المسلمين مائة وخمسين رجلا فأخبر الحرشي
بذلك فأمر بقتلهم وعزل التجار عنهم فقاتلهم الصغد بالخشب ولم يكن لهم سلاح
فقتلوا عن آخرهم وكانوا ثلاثة آلاف وقيل سبعة آلاف وغنم أموال الصغد
وذرايرهم وأخذ منه ما أعجبه وكتب إلى يزيد بن عبد الملك بالفتح وسرح الحرشي
سرية إلى حصن يطيف به وادى الصغد فتلقوها على فرسخ وقاتلوا فهزموا ودخلوا
الحصن فحصره وفيه ثم طلبوا الصلح على أن لا يتعرض لنسائهم وذرايرهم
ويسلموا القلعة فقبل منهم ذلك وبعث الامناء لقبض ما في القلعة فقبضوه وباعوه
وقسموه وسار الحرشي إلى كش وصالحوه على عشرة آلاف رأس وولى نصر
ابن سيار قبض صلح كش وكان في نفس خزائن منيعة فوجه إليها المسربل
ابن الخريت وكان صديقا للملكها فاجاء للملك وأخبره بما صنع الحرشي بأهل
خجندة وخوفه قال فأتري قال ان تنزل بأمان قال فما أصنع بمن لحق بي قال تجعلهم
في أمانك فصالحهم فأمنوه وبلاده ورجع الحرشي إلى بلاده ومعه الملك فقتله
وصلبه ومعه الامان وكانت هذه الوقائع سنة أربع ومائة وفيها عزل الحرشي عن
خراسان وولياها مسلم بن سعيد الكلابي

﴿ ذكر غزوة المسلمين ببلاد الخزر وظفر الخزر بهم ﴾

في هذه السنة دخل جيش للمسلمين ببلاد الخزر من أرمينية وعليهم ثبيت النهراني
فاجتمعت الخزر وهم التركمان في جمع كثير وأعانهم قفجاق وغيرهم من أنواع الترك
ولقوا المسلمين في مكان يعرف بمرج الحجارة فاقتتلوا هناك قتالا شديدا فقتل
كثير من المسلمين واحتوت الخزر على عسكرهم وغنموا جميع ما فيه وأقبل
المنهزمون إلى الشام فقدموا على يزيد بن عبد الملك وفيهم ثبيت فوبخهم يزيد
على الهزيمة فقال ثبيت يا أمير المؤمنين ما جنبت ولا نكبت عن لقاء العدو ولقد
لصقت الخيل بالخيل والرجل بالرجل ولقد طاعت حتى انقص رمحى وضاربت
حتى انقطع سيفي غير أن الله تبارك وتعالى يفعل ما يريد

﴿ ذكر غزوة أخرى على الخزر ﴾

ولما تمت الهزيمة المذكورة على المسلمين طمع الخزر في البلاد فجمعوا وحشدوا
فولى يزيد على أرمينية الجراح بن عبد الله الحكمي وأمد به جيش كثيف فسار
لغزو الخزر فتسامعوا به فعادوا حتى نزلوا بالبواب والابواب ونزل الجراح إلى
برذعة فأقام بها حتى استراح هو ومن معه وسار نحو الخزر فعبهر نهر الكرف فسمع
بأن بعض من معه من أهل تلك الجبال قد كاتب ملك الخزر يخبره بمسير الجراح
إليه فينشد أمر الجرح مناديه فنادى في الناس أن الأمير مقيم ههنا عدة أيام
فاستكثروا من الميرة فكتب ذلك الرجل إلى ملك الخزر يخبره أن الجراح مقيم
ويشير عليه بترك الحركة فلما كان الليل أمر الجراح بالرحيل فسار مجدا حتى انتهى
إلى مدينة الباب والابواب فلم ير الخزر فدخل البلد وبت السرايا بالنهب والغارة
على ما يجاوره فغنموا وعادوا من الغد وسار الخزر إليه وعليهم ابن ملكهم فالتقوا
عند نهر الران واقتتلوا قتالا شديدا فظفروا بالخزر وهزموهم وتبعهم المسلمون
يقتلون ويأسرون فقتل منهم خلق كثير وغنم المسلمون جميع ما معهم وساروا حتى
نزلوا على حصن يعرف بالحصنين لنزول أهله بالأمان على مال يحملونه فأجابهم
ونقلهم عنها ثم سار إلى مدينة برغو فأقام عليها ستة أيام وهو مجدف في قتالهم فطلبوا

الامان فأمهم وتسلم حصنهم ونقلهم منه

﴿ ذكر فتح بلنجر ﴾

ثم سار الجراح الى بلنجر وهو حصن مشهور من حصونهم فنازله وكان أهل
الحصن قد جمعوا ثلاثمائة عجلة فسدوا بعضها الى بعض وجعلوا حول حصنهم
ليحتموا بها وتمنع المسلمين من الوصول الى الحصن وكانت تلك العجلة أشد شئ على
المسلمين في قتالهم فلما رأوا الضرر الذي عليهم انتدب جماعة منهم نحو ثلاثين
رجلا ونماهدوا على الموت وكسر واجفون سيموفهم وحملوا حمله رجل واحد
وتقدموا نحو العجل وجد الكفار في قتالهم ورموا من الشباب ما كان يحجب
عين الشمس فلم يرجع أولئك حتى وصلوا الى العجل وتعلقوا ببعضها وقطعوا
العجل الذي يسكنها وجد بوها فاتحدرت وتبها يائرا العجل لان بعضها كان
مشدودا الى بعض واتحدرا الجميع الى المسلمين والتحم القتال واشتد وعظم الامر
على الجميع حتى بلغت القلوب الحناجر ثم ان الخزر انهزموا واستولى المسلمون
على الحصن عنوة وغنموا جميع ما فيه فأصاب الفارس ثلاثمائة دينار وكانوا بضعة
وثلاثين ألفا ثم ان الجراح أحضر صاحب بلنجر ورد اليه أمواله وأهله وحصنه
وجعله عيناهم بخبرهم بما يفعله الكفار ثم سار عن بلنجر فنزل على حصن
الو بندر وبه نحو أربعين ألف بيت من الترك فصالحوا الجراح على مال يؤدونه
ثم ان الترك والتركان تجمعوا وأخذوا الطرق على المسلمين فكتب صاحب
بلنجر الى الجراح يعلمه بذلك فعاد مجددا حتى وصل الى رستاق ملي وأدركهم الشتاء
فأقام المسلمون به وكتب الجراح الى يزيد بن عبد الملك يخبره بما فتح الله عليه وبما
اجتمع من الكفار ويسأله المدد فوعده انفاذا العساكر اليه وأدرك يزيد أجله
قبل انفاذ الجيش وكان مونه في شعبان سنة خمس ومائة فلما مات يزيد وبيع
أخوه هشام بن عبد الملك أرسل الى الجراح وأقره على عمله ووعده المدد ثم أرسله
اليه فقوى أمر الجراح فغزا اللان في سنة ست وصالحه أهلها فأدوا الجزية ثم ان
هشاما عزل الجراح عن أرمينية سنة سبع ومائة وولاه أخاه مسامة بن عبد الملك

الى سنة احدى عشرة ثم عزل أخاه مسامة وولاه الجراح ثانية فدخل بلاد الخزر
من ناحية تفتليس ففتح مدينتهم البيضاء وانصرف سالما فجمعت الخزر جوعها
وحشدها وسارت الى بلاد الاسلام من ناحية اللان فلقبهم الجراح فبين معه من
أهل الشام فاقتتلوا أشد قتال رآه الناس فصبر الفريقان وتكاثرت الخزر
والترك على المسلمين فاستشهد الجراح ومن كان معه بمرج أردبيل وكان قد
استخلف أخاه الحجاج بن عبد الله على أرمينية ولما قتل الجراح طمع الخزر
وأوغلوا في البلاد حتى قاربوا الموصل وعظم الخطب على المسلمين وكان الجراح
خبيرا فاضلا وكان أولامن عمال عمر بن عبد العزيز على خراسان ورناء كثير من
الشعراء ولما بلغ هشام ما خبره دعاسعيد الحرشي وكان قد عزل عن خراسان فقال
له بلغني ان الجراح قد انحاز عن المشركين قال كلا يا أمير المؤمنين الجراح أعرف
بأن الله من أن ينزوم ولكنك قتل قال ثار أليك قال تبعثني على أر بعين دابة من دواب
البريد ثم تبعثني الى كل يوم أربعين رجلا ثم اكتب الى أمراء الاجناد يوافقوني
ففعّل ذلك هشام وسار الحرشي فكان لا يمر بمدينة الا ويستنهض أهلها فيجيبه
من يريد الجهاد ولم يزل كذلك حتى وصل الى مدينة أرزن فلقبته جماعة من أصحاب
الجراح وبكوا وبكى لبكائهم وفرق فيهم نفقة وردد لهم معه وجعل لا يلقاه أحد من
أصحاب الجراح الا رده معه ووصل الا خلاط وهي ممتعة عليه فحصرها وقتلها
وقسم غنائمها في أصحابه ثم سار عن خلاط وفتح القلاع والحصون شيئا بعد شيء الى
أن وصل الى بردعة فنزلها وكان ابن خاقان يومئذ يباذر بيجان يغير وينهب ويسبي
ويقتل وهو محاصر مدينة ورنان فخاف الحرشي ان يملكها فأرسل بعض
أصحابه الى أهل ورنان سرا يعرفهم ووصولهم ويأمرهم بالصبر فسار القاصد ولقى
بعض الخزر فأخذوه وسألوه عن حاله فأخبرهم وصدقهم فقالوا له ان فعلت
ما نأمرك به أحسننا إليك وأطلقناك والاقتلناك قال فما الذي تريدون قالوا تقول
لأهل ورنان انكم ليس لكم مدد ولا من يكشف ما بكم وتأمرهم بتسليم البلد الينا
فأجابهم الى ذلك فلما قارب المدينة وقف بحيث يسمع أهلها كلامه فقال لهم

أتعر فوني قالوا نعم أنت فلان قال فان الحرشي قد وصل الى مكان كذا في عسا كر
كثيرة وهو يأمركم بحفظ البلد والمبر في هذين اليومين يصل اليكم فرفعوا
أصواتهم بالتكبير والتهليل وقتلت الخزر ذلك الرجل ورحلوا عن مدينة
ورثان فوصلها الحرشي في العسا كر وليس عندها أحد فارتحل يطلب الخزر
الى أردبيل فسار الخزر عنها ونزل الحرشي باجروان فأناه فارس على فرس أبيض
فسلم عليه وقال له هل لك أيها الأمير في الجهاد والغنمة قال كيف لي بذلك قال هذا
عسكر الخزر في عشرة آلاف ومعهم خمسة آلاف من المسلمين أسارى وسبايا
وقد نزلوا على أربعة فراسخ فسار الحرشي ليلا فوافاهم آخر الليل وهم نيام ففرق
أصحابه في أربعة جهات فكبسهم مع الفجر ووضع المسلمون فيهم السيف فا
بزغت الشمس حتى قتلوا أجمعون غير رجل واحد وأطلق الحرشي من معهم
من المسلمين وأخذهم الى باجروان فلما دخلها أناه ذلك الرجل صاحب الفرس
الابيض فسلم وقال هذا جيش للخزر ومعهم أموال للمسلمين وحرم الجراح وأولاده
بمكان كذا فسار الحرشي اليهم فاشعر والاول المسلمون معهم فوضعوا فيهم السيف
فقتلوهم كيف شاؤوا ولم يفلت من الخزر الا الشريد واستنقذوا من معهم من
المسلمين والمسلمات وغنموا أموالهم وأخذوا اولاد الجراح فأكرمهم وأحسن اليهم
وحل الجميع الى باجروان وبلغ خبر ما فعله الحرشي بعسا كر الخزر ابن ملكهم
فخرج عسا كره وذمهم ونسبهم الى العجز والوهن فحرض بعضهم بعضا وأشاروا
عليه بجمع أصحابه والعود الى قتال الحرشي فجمع أصحابه من نواحي أذربيجان
فاجتمع معه عسا كر كثيرة وسار الحرشي اليه فالتقيا بأرض برزند واقتتل
الناس أشد قتال وأعظمه فانهز المسلمون يسيرا فحصرهم الحرشي فأمرهم
بالصبر فعادوا الى القتال وصدقوهم الجلة واستغاث من مع الخزر من الاسارى
ونادوا بالتكبير والتهليل والدعاء فعندها حرض المسلمون بعضهم بعضا ولم يبق
أحد الا وبكى رحمة للاسرى واشتدت نكايتهم في العدو فولوا الادبار منهزمين
وتبعهم المسلمون حتى بلغوا بهم نهر آرس وعادوا عنهم وحووا ما في عسا كره

من الاموال والغنائم وأطلقوا الاسرى والسببايا وحملوا الجميع الى باجروان
ثم ان ابن ملك الخزر جمع من لحق به من عساكره وعاد بهم نحو الحرشي فنزل
على نهر البيلقان وبلغ الخبر الحرشي فسار نحوه في عساكر المسامين فوافاهم
وهم على نهر البيلقان فالتقوا هنالك فصاح الحرشي بالناس فحملوا حملة صادقة
ضعفوا صفوف الخزر وتابع الجمالات وصبر الخزر صبرا عظيما ثم كانت الهزيمة
عليهم فولوا الادبار منهزمين وكان من غرق منهم في النهر اكثر ممن قتل وجمع
الحرشي الغنائم وعاد الى باجروان فقسمها وأرسل الخمس الى هشام بن عبد الملك
وعرفه بما فتح الله على المسامين فكتب اليه هشام يشكره وأقام بباجروان فأناه
كتاب هشام يأمره بالمسير اليه واستعمل أخاه مسامة بن عبد الملك على ارمينية
واذريجان فوصل الى البلاد وسار الى الترك في شتاء شديد حتى جاز البلاد في
آثارهم وفي سنة ثلاث عشرة ومائة فرق مسامة الجيوش ببيلاد خاقان ففتحت
مدائن وحصون على يديه وقتل منهم وأسروسي وأحرق ودان له من وراء جبال
بلنجر وقتل ابن خاقان فاجتمعت تلك الأمم جميعها الخزر وغيرهم عليه في جمع لا
يعلم عددهم الا الله تعالى وقد جاز مسامة بلنجر فلما بلغه خبرهم أمر أصحابه فأوقدوا
النيران ثم ترك خيامهم وأنقالمهم وعاد هو وعسكره جريدة وقدم الضعفاء وأخر
الشجعان وطوى المراجل كل مرحلتين في مرحلة حتى وصل الى الباب
والأبواب في آخر رمق فعزله هشام وولى ارمينية واذريجان مروان بن محمد
وسياق الكلام ان شاء الله على غزوانه وما افتتحه وانما تابعنا الكلام الى سنة
ثلاث عشرة لارتباط بعضه ببعض ولنرجع الى انمام الكلام على الفتوحات
الحاصلة في غير اذريجان ورمينية من سنة خمس الى سنة ثلاث عشرة فنقول
كان في سنة خمس غزوة لسعيد بن عبد الملك بأرض الروم فبعث سرية في نحو
ألف مقاتل فأصيبوا جميعا وفي سنة ١٠٤ استعمل مسلم بن سعيد الكلابي أميرا
بخراسان بعد عزل الحرشي عنها فغزا الترك بمأزراء النهر سنة ١٠٥ فلم يفتح شيئا
وقفل فقبعة الترك فلحقوه والناس يعبرون جيصون فوقف على الساقعة عبيد الله

ابن زهير ومعه خيل بنى تميم حتى عبر الناس سالمين وغزاهم مسلم أيضا تلك السنة
فشاهن فصالح أهله على ستة آلاف رأس وودفع اليه القلعة وفي سنة خمس أيضا غزا
مروان بن محمد الصائفة اليمنى فافتتح قونية من أرض الروم وكنت

﴿ ذكر غزو مسلم بن سعيد الكلابي الترك ﴾

في سنة ست ومائة قطع مسلم النهر ولحق به من لحق من أصحابه فلما بلغ بخاري أناه
كتاب خالد بن عبيد الله القسري بخبره بولاية العراق ويأمره بانتمام غزاه
فسار الى فرغانة فلما وصلها بلغه أن خاقان قد أقبل عليه وأنه في موضع ذكره
فارتحل فسار ثلاث مراحل في يوم وأقبل اليهم خاقان فلقى طائفة من المسلمين
وأصاب دوابهم وقتل جماعة من المسلمين ثم أطاف خاقان بالعسكر ونار الناس
في وجوههم فأخرجوهم من العسكر فرحل مسلم بالناس فسار ثمانية أيام والترك
يحيطون بهم وأصاب الناس عطش وأحرق الناس ما نقل من الأمتعة فخرقوا
ما قيمته ألف ألف وأتوا خجندة فأصابتهم مجاعة ولما أراد عبور النهر والترك
يحيطون به أمر مسلم الناس أن يختطفوا سيوفهم ويحملوا ففعلوا وصارت الدنيا
كلها سيوفاً فأفرجوا لهم فعبروا ثم وافاه كتاب خالد بن عبد الله بعزله وولاية أخى
خالد وهو أسد بن عبد الله القسري وفي سنة سبع ومائة ملك الجنيد بن
عبد الرحمن بعض بلاد السند وقتل صاحبه جيشة وتقدم تفصيل ذلك

﴿ ذكر غزوة بالاندلس ﴾

في سنة سبع ومائة غزا عنبسة بن شعم الكلابي عامل الأندلس لهشام بن عبد الملك
بلاد الفرنج في جمع كثير ونازل مدينة قرقونه وحصر أهلها فصالحوه على نصف
أعمالهم وعلى جميع ما في المدينة من أسرى المسلمين وأسلامهم وأن يعطوا الجزية
ويلتزموا بأحكام الذمة من محاربة من حاربه المسلمون ومسالمة من سلموه فعاد
عنهم عنبسة

﴿ ذكر غزوة الغور ﴾

في هذه السنة غزا أسد بن عبد الله الغور وهو جبال هراة فعمد أهلها الى
أنقالهم فصبر وهافي كهف ليس اليه طريق فأمر أسد بانخاد توأبيت ووضع فيها

الرجال ودلاها بسلاسل فتواصلوا الى الكهف فاستخرجوا ما قدروا عليه

﴿ ذكر غزوة الختل والغور ﴾

في سنة ثمان ومائة قطع أسد النهر وأناه خاقان فلم يكن بينهما قتال وقيل عاد مهزوما من الختل وأظهر أنه يريد يشتمو بسرخ دره فأمر الناس فارتحلوا ووجه أياته وسار في ليلة مظلمة الى سرخ دره فكبر الناس فقال ما لهم فقالوا هذه علامتهم اذا قفلوا فقال للمنادي نادان الأمير يريد الغور بين فضي اليهم فقاتلهم يوما وصبروا لهم ثم عادوا من الغد فافتتلوا وانهمز المشركون وحوى المسلمون عسكرهم وظهروا على البلاد وأسروا وسبوا وغنموا ورجعوا وفي هذه السنة غزا مسلمة ابن عبد الملك الروم بمائلي الجزيرة ففتح قيسارية وهي مدينة مشهورة وفيها أيضا غزا ابراهيم بن هشام ففتح حصن من حصون الروم وفيها أيضا سار ابن خاقان ملك الترك الى ادريجان فحصر بعض مدنها فسار اليه الحارث بن عمرو الطائي فالتقوا وافتتلوا فانهمز الترك وتبعهم الحارث حتى عبر نهر ارس فعاد اليه ابن خاقان فعادوا للحرب أيضا فانهمز ابن خاقان وقتل من الترك خلق كثير وفي سنة تسع ومائة فصل هشام بن عبد الملك ولاية خراسان عن ولاية العراق وعزل أسدا عن خراسان واستعمل على خراسان اشرس بن عبد الله السلمي وله وقائع مع أهل سمرقند ستاني وفي هذه السنة غزا عبد الله بن عقبة الفهري في البصر وغزا معاوية بن هشام أرض الروم ففتح حصنا يقال له طيبة وفيها غزا أيضا مسلمة بن عبد الملك الترك من ناحية ادريجان وتقدم ذكر ذلك وفي هذه السنة أيضا غزا بشر ابن صفوان عامل افر بقية جزيرة صقلية فغنم شيئا كثيرا ثم رجع الى القبر وان

﴿ ذكر ماجرى لاشرس بن عبد الله السلمي مع أهل سمرقند وغيرها ﴾

في سنة عشر ومائة أرسل اشرس جماعة الى سمرقند وغيرها مما وراء النهر يدعوهم الى الاسلام على أن توضع عنهم الجزية فدعوهم لذلك فأسلموا فاجاء الخبر الى اشرس بأن الخراج قد انكسر فكتب اشرس الى العامل بلغني أنهم لم يسلموا رغبة وانما أسلموا نفورا من الجزية فانظر وامن اختن وأقام الفرائض

وقرأ سورامن القرآن فرفعوا الجزية عنه وعزل ذلك العامل وولى ابن هانى
فكتب لاشرس انهم أسلموا وبنوا المساجد فكتب اليه اشرس ان يعيد الجزية
على من كانت عليه ولو أسلم فاعتزلوا في سبعة آلاف على فراسخ من سمرقند
وامتنعوا وأرادوا القتال فكتب اشرس بوضع الخراج عنهم فرجعوا وضعف
أمرهم ثم تتبعوا وحبسوا وأقيمت عليهم العقوبات وخرقت ثيابهم وألقيت
مناطقهم في أعناقهم وأخذت الجزية ممن أسلم فكفرت الصغد وبخارى
واستجاشوا بالترك فخرج اشرس غازيا فنزل آمل وأقام شهرا وقدم قطن بن قتيبة
ابن مسلم في عشرة آلاف فعبر النهر ولقي الترك وأهل الصغد وبخارى ومعهم
خاقان فحصر واقطننا في خندقه وأغار الترك على سرخ المسلمين فبعث اشرس
خيلا استنقذت من أيدي الترك ما أخذوه ثم عبر اشرس النهر بالناس ولحق بقطن
ولقيهم العدو فانهم هزموا أمامهم وسار اشرس بالناس حتى جاء بيككند فحصرها
المسلمون فقطع أهل البلد عنهم الماء وأصابهم العطش فرحلوا قاصدين البلد
فاعترضهم دونها العدو فقاتلوهم قتالا شديدا حتى أزالوا الترك عن الماء وحل
قطن بن قتيبة في جماعة تعاقدوا على الموت فانهم هزم العدو وأتبعهم المسلمون
يقتلونهم الى الليل ثم رجع اشرس الى بخارى وجهز عليها عسكريا محاصرونها
ثم حاصر خاقان مدينة كمرجه من خراسان وبها جمع من المسلمين فأغلقوا الباب
وقطعوا القنطرة التي على الخندق لمنعوا الكفار من الدخول اليهم ثم أمر
خاقان بقطع الخندق فجعلوا يلقون فيه الحطب الرطب ليعبروا عليه وجعل
المسلمون يلقون حطبا يابساً على الحطب الرطب حتى سوى الخندق فأشعلوا فيه
النيران وهاجت ريح شديدة صنعها من الله فأحترق الحطب في ساعة واحدة
وكانوا جمعوه في سبعة أيام ثم فرق خاقان على الترك أغناما وأمرهم أن يأكلوا لحما
ويحسبوا جلودها ترايا ويكبسوا خندقها ففعلوا ذلك فأرسل الله سبحانه فأمرت
مطر أشد يدا فاحتمل السيل ما في الخندق وألقاه في النهر الاعظم ورماهم
المسلمون بالسهام فأصابت بازغرى نشابة في سرته ثبات من ليلته وكان داهية

وكان خاقان لا يخالفه فدخل عليهم بموته أمر عظيم فلما امتد النهار جاؤا بالأسرى
الذين عندهم وهم مائة فقتلواهم وكان عند المسلمين مائتان من أولاد المشركين
رهائن فقتلواهم واستماتوا واشتد القتال ولم يزل أهل كمرجه كذلك حتى أقبلت
جنود العرب فنزلت فرغانة فغير خاقان قومه في طول المدة وعدم الفتح قال زعمتم
أهاتفتح في خمسة أيام فصارت الخمسة شهرين وأمرهم بالرحيل وشتمهم فقالوا
أمهلنا إلى غد وانظر ما نصنع فلما كان الغد وقف خاقان وتقدم ملك الطار بنده
فقاتل المسلمين وقتل منهم ثمانية وجاء حتى وقف على ثلثة إلى جنب بيت فيه
مريض من تميم فرماه التميمي بكلوب فتعلق بدرعه ثم نادى النساء والصبيان
فجذبوه فسقط لوجهه ورماه رجل بحجر فأصاب أصل أذنه فصرع وطعنه آخر
فقتله فاشتد قتله على الترك وأرسل خاقان إلى المسلمين أنه ليس من رأينا أن
نرحل عن مدينة نحاصر هادون افتتحها فاحلوا أنتم عنا فقالوا له ليس من
ديننا أن نعطي بأيدينا حتى نقتل فاصنعوا ما بدا لكم فأعطاهم الترك الأمان على
أن يرحل خاقان عنهم ويرحلواهم عنها إلى سمرقند أو الدبوسية فرأى أهل كمرجه
مام فيه من الحصار فأجابوا إلى ذلك فأخذوا من الترك رهائن أن لا يعرضوا لهم
وطلبوا أن كورصول التركي يكون معهم في جماعة يمينهم إلى الدبوسية فسلموا
اليهم الرهائن وأخذواهم أيضا من المسلمين رهائن وارتحل خاقان عنهم ثم رحلوا
هم بعده فقال الأتراك الذين مع كورصول أن بالدبوسية عشرة آلاف مقاتل
ولأننا من أن يخرجوا علينا فقال لهم المسلمون إن قاتلواكم قاتلناهم معكم فساروا
فلما صار بينهم وبين الدبوسية فرسخ نظر أهلها إلى الفرسان فظنوا أن كمرجه
قصت وأن خاقان قد قصدهم فتأهبوا للحرب فأرسل المسلمون اليهم بخبر ونهم
خبرهم فأتقواهم وحلوا من كان يضعف عن المشي ومن كان مجروحا فلما بلغ
المسلمون الدبوسية أرسلوا إلى من عنده الرهائن يعلمونه بوصولهم ويأمرونه
بإطلاقهم فجعلت العرب تطلق رجلا من الرهن والترك رجلا حتى بقي سباع بن
النعمان مع الترك ورجل من الترك عند العرب وجعل كل فريق يخاف من صاحبه

الغدرة فقال سباع خلوا رهينة الترك فخلوه وبقى سباع مع الترك فقال له كورصول
ما حملك على هذا قال وثقت بك وقلت ترفع نفسك عن الغدرة فوصله كورصول
وأعطاه سلاحه وبردونا وأطلقه وكان مدة حصار كمرجة ثمانية وخمسين يوما فقال
انهم لم يسبقوا إليهم خمسة وثلاثين يوما وفي هذه السنة ارتد أهل كردر فأرسل
اليهم أمثرس جند افظفر وابهم وفي هذه السنة غزا معاوية بن هشام الروم ففتح
صملة وغزا الصائفة عبد الله بن عقبة الفهري وفيها مات الحسن البصري وعمره
سبع وثمانون سنة وفيها أيضا مات محمد بن سيرين وعمره احدى وثمانون سنة

﴿ ذكر غزو ماوراء النهر ﴾

في سنة احدى عشرة ومائة عزل هشام بن عبد الملك أمثرس بن عبد الله عن
خراسان واستعمل عليها الجنيد بن عبد الرحمن المري العطفاني القيسي فلما قدم
خراسان سار الى ماوراء النهر وأرسل الجنيد الى أمثرس وهو يقاتل أهل بخارى
والصغد أن أمدني بخيل وخافي أن يقطع دونه فوجه اليه أمثرس عامر بن مالك
الجماني في جماعة فلما كان عامر ببعض الطريق عرض له الترك والصغد فدخل
حائطا حصينا وقتلهم على التلثة وكان ممن معه واصل بن عمر والقيسي وعاصم بن
عمر السمرقندي فاستداروا مع جماعة من القوم حتى صاروا من وراء الماء الذي
هناك ثم جمعوا اقصبا وخسبا وعبروا عليه فلم يشعروا خافن الا والتكبير من خلفه
وحمل المسلمون على الترك فقاتلوهم وقتلوا عظيمًا من عظيماتهم وانهمزم الترك وسار
عامر الى الجنيد فلقبه وأقبل معه فلما انتهى الى فرسخين من بيكند تلقته خيل الترك
فقاتلهم فكاد الجنيد يهلك ومن معه ثم أظهره الله وسار حتى قدم العسكر فظفر
الجنيد وقتل الترك وزحف اليه خافان فالتقوا دون رزمان من بلاد سمرقند
وأسر الجنيد من الترك ابن أخي خافان فبعث به الى هشام ورجع الجنيد الى مرو
وقد ظفر وفي هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسري وغزا سعيد بن
هشام الصائفة الجبني حتى أتى فيساريه وغزا في البحر عبد الله بن أبي كريم وفي
سنة اثنتي عشرة ومائة كان دخول الجراح بن عبد الله الحكمي بلاد الخزر وقتله
وتقدم الكلام على ذلك مستوفي

ذكر وقعة الجنيد بن عبد الرحمن المري بالشعب

في سنة ثلثي عشرة ومائة خرج الجنيد من مرو وغازياطخارستان فوجه عمارة بن
حريم الى طخارستان في ثمانية عشر ألفا ووجه ابراهيم بن بسام الليثي في عشرة
آلاف الى وجه آخر وجاشت الترك فأتوا سمرقند وعليها سورة بن الحر فكتب
سورة الى الجنيد ان خاقان جاش الترك فخرجت اليهم فلم أطلق أن أمنع حائط
سمرقند فالغوث الغوث فأمر الجنيد الناس بعبور النهر فقال له جماعة من جنده
ان الترك ليسوا كغيرهم لا يلقونك صفا ولا زحفا وقد فرقت كثيرا من الجند ولا
يعبر النهر في أقل من خمسين ألفا فكتب الى عمارة فليأتك وامهل ولا تعجل قال
فكيف بسورة ومن معه من المساهين لو لم أكن الا في بني مرة أو من طلع معي من
النمام لعبرت ثم عبر الجنيد بمن كان حاضر افتزل كس وتأهب للمسير وبلغ الترك
سبيرة فغوروا الآبار التي في طريق كس فقال الجنيد أي طريق الى سمرقند
أصلح فقالوا طريق المحترقة فقال المجشر بن مزاحم السلمي القتل بالسيف
أصلح من القتل بالنار طريق المحترقة كثير الشجر والخشيش ولم يزرع منذ سنين
فإن لقينا خاقان أحرق ذلك كله فقتلنا بالنار والدخان ولو كن خذ طريق العقبة فهو
يسناو بينهم سواء فأخذ الجنيد طريق العقبة فارتقى في الجبل فأخذ المجشر بعنان
دابته وقال انه كان يقال ان رجلا مترقا من قيس يملك على يديه جنود من جنود
خراسان وقد خفنا أن تكونه فقال لي فرخ زرع وعك قال أما ما كان بيننا مثلك فلا
فبات في أصل العقبة ثم سار بالناس حتى صار بين وبين سمرقند أربع فراسخ
ودخل الشعب فصعبه خاقان في جمع عظيم وزحف اليه أهل الصفد وفرغانة
والشاش وطائفة من الترك فحمل خاقان على المقدمة فرجعوا الى العسكر والترك
تبعهم وقاتلوا من كل وجه فرتب الجنيد جيشه وجعل على كل جهة رئيسا مشهورا
بالشجاعة وشد نصر بن سيار هو ومن معه على العدو فكشفوهم ثم كروا عليهم
وقتل يومئذ من الأزد ثمانون رجلا وصر الناس يقاتلون حتى أعيوا فكانت
السيوف لا تقطع شيئا فمطع عبيد هم الخشب يقاتلون به حتى مل الفريقان

فكانت المعانقة ثم تحاجزوا فبينما الناس كذلك اذا قبل رهج وطلعت فرسان
فنادى منادى الجنيد الارض الارض فترجل وترجل الناس ثم نادى لبغندق كل
قائد على حياله فخذقوا وتحاجزوا وقد أصيب من الازدمائة وتسعون رجلا
وكان قتالهم يوم الجمعة فلما كان يوم السبت قصدهم خاقان وقت الظهر فلم يجد
موضعا للقتال أسهل من الموضع الذي نزل به قبائل بكر بن وائل فقصدهم فلما
قر بواجمت بكر عليهم فأفرجوا لهم وسجد الجنيد واشتد القتال بينهم فلما رأى
الجنيد شدة الامر استشار أصحابه فقال له عبد الله بن حبيب اخترا ما أن تهلك أنت
أو سورة بن الحر قال هلاك سورة أهون أعلی قال فاكتب له فليأتك من سمرقند
في أهل سمرقند فانه اذا بلغ الترك اقباله توجهوا اليه فكتب اليه الجنيد بأمره
بالقدوم فقال لسورة حليس بن غالب الشيباني ان الترك بينك وبين الجنيد فان
خرجت كروا عليك فاخطفوك فكتب الى الجنيد اني لا أقدر على الخروج
فكتب اليه الجنيد يا ابن اللخناء تخرج والوجهت اليك شداد بن خليل الباهلي
وكان عدوه فاخرج والزم الماء ولا تقارقه فاجمع على المسير وقال اذا سرت على النهر
لا أصل في يومين وبنين وبين هذا الوجه ليلة فاذا سكنت الرجل سرت بجاءت
عيون الاتراك فاخبروهم بمقالة سورة ورحل سورة واستخلف على سمرقند موسى
ابن أسود الحنظلي وسار في اثني عشر ألفا فأصبح على رأس جبل فتلقاء خاقان
حين أصبح وقد سار ثلاثة فراسخ وبيته وبين الجنيد فرسخ فقاتلهم أشد القتال
وصبروا فقال غورك لخاقان اليوم حار فلانقاتلهم حتى يحمى عليهم السلاح
فوافقهم وأشعل النار في الحشيش وحال بينهم وبين الماء فقال سورة لعبادة ما نرى
يا أباسليم فقال أرى أن الترك يريدون الغنمة فاعقر الدواب واحرق المتاع وجر
السيف فانهم يخلون لنا الطريق وان منعونا نثرعنا الرماح وتزحف زحفا وانما
هو فرسخ حتى نصل الى العسكر فقال لأقوى على هذا ولا فلان وعلان وعد رجلا
ولكن أجمع الخيل فأصكهم بها سلمت أم عطيت وجمع الناس وحملوا فانكشفت
الترك ونار الغبار فلم يبصر واوكان من وراء الترك لهيب فسقطوا فيه وسقط

العدو والمسلمون وسقط سورة فاندقت فخذته وتفرق الناس فقتلهم الترك ولم
ينج منهم غير ألفين ويقال ألف وكان ممن انجعاصم بن عمير السمرقندي وانحاز
المهلب بن زياد العجلي في سبعمائة الى رستاق يسمى المرغاب فنزلوا قصره هناك
فأتاهم الاشكند صاحب نسف ومعه غوزك فأعطاهم غوزك الامان فقال
قريش بن عبد الله العبدى لا تتقوا بهم ولكن اذا جننا الليل خرجنا عليهم حتى
نأنى سمرقند فعصوه فنزلوا بالامان فساقمهم الى خاقان فقال لا أجبر أمان غوزك
فقاتلم الوحف بن خالد ومعه المسلمون فأصيبوا غير سبعة عشر رجلا فقتلوا
غير ثلاثة وقتل سورة في اللهب فلما قتل خرج الجنيد من الشعب يريد سمرقند
مبادرا فقال له خالد بن عبيد الله سر وأسرع فقال له المجشر انزل وأخذ بلجام دابته
فنزل ونزل الناس معه فلم يستم نزولهم حتى طلع الترك فقال المجشر له لولقونا قبل
نزولنا ونحن نسير ألم يهلكونا فلما أصبحوا اتنا هضوا فجال الناس فقال الجنيد أيها
الناس انها النار فرجعوا ونادى الجنيد أي عبد قاتل فهو حر فقاتل العبيد قتالا
عجب منه الناس فسر وبارأوا من صبرهم وصبر الناس حتى انهزم العدو ومضوا
فقال موسى بن الثغراء تفرحون بما رأيتم من العبيد ان لكم منهم ليوما أروزيان
أي ذار ياسة ومضى الجنيد الى سمرقند فحمل عيال من كان مع سورة الى مرو
وأقام بالصغد أربعة أشهر ولما انصرف الترك بعث الجنيد بالخبر الى هشام وكتب
اليه ان سورة عصاني أمرته بلزوم الماء فلم يفعل فتفرق عنه أصحابه فأنتنى طائفة
وطائفة الى نسف وطائفة الى سمرقند وأصيب سورة في بقية أصحابه فكتب
هشام الى الجنيد قد وجهت اليك عشرة آلاف من أهل البصرة وعشرة
آلاف من أهل الكوفة ومن السلاح ثلاثين ألف رمح ومثلها ترسة ومثلها
سيفا فافرض أي ماشئت في العطا فلا غاية لك في الفريضة بخمسة عشر ألفا
ولما سمع هشام مصاب سورة قال ان الله وانا اليه راجعون مصاب سورة بخراسان
ومصاب الجراح بالباب وأبلى نصر بن سيار يومئذ بلاء حسنا وأرسل الجنيد
ليلة بالشعب رجلا وقال له تسمع ما يقول الناس وكيف حالهم ففعل ثم رجع اليه

فقال رأيتهم طيبة أنفسهم يتناشدون الأشعار ويقرؤون القرآن فسره ذلك قال
عبيد بن حاتم بن النعمان رأيت فساطيط بين السماء والارض فقلت لمن هذه
فقالوا لعبدالله بن بسطام وأصحابه فقتلوا في غد فقال رجل مررت في ذلك
الموضع بعد ذلك بحين فشممت رائحة المسك وأقام الجنيد بسمرقند وتوجه خاقان
الى بخارى وعليها قطن بن قتيبة بن مسلم فخاف الجنيد الترك على قطن بن قتيبة
فشاو أصحابه فقال قوم نازم بسمرقند وقال قوم نسير منها فأتى ربنجن ثم كش
ثم الى نسف فنتصل منها الى أرض زم ونقطع النهر ونزل آمل فأتى عليه
بالطريق واستشار عبدالله بن أبي عبدالله مولى بنى سالم وأخبره بما قالوا فاشترط
عليه أن لا يخالفه فيما يشير به عليه من ارتحال ونزول وقاتل فقال نعم فاني أطلب
اليك خصا لا قال وما هي قال تخندق حينما نزلت ولا يفوتك حمل الماء ولو كنت
على شاطئ نهر وان تطيعني في نزولك وارتحالك قال نعم قال اما ما أشاروا عليك
في مقامك بسمرقند حتى يأتيك الغيات فالغيات يبطن عنك وأما ما أشاروا من
طريق كش ونسف فانك ان سرت بالناس من غير الطريق فقتل في أعضادهم
وانكسر واعن عدوهم واجسرا عليك خاقان وهو اليوم قد استفتح بخارى فلم
يفتحوا له فان أخذت غير الطريق بلغ أهل بخارى ما فعلت فيستسلموا لعدوهم
وان أخذت الطريق الأعظم هابك العدو والرأي عندي أن تأخذ عيال من قتل
مع سورة فتقسمهم على عشائهم وتحملهم معك فاني أرجو بذلك أن ينصرك
الله على عدوك وتعطى كل رجل تخلف بسمرقند ألف درهم وفرسا فأخبر أبه
وخلف بسمرقند عثمان بن أبي عبدالله بن الشخير في أربع مائة فارس وأربع مائة
راجل فشم الناس عبدالله بن أبي عبدالله وقالوا ما أراد الا اهلا كنا فخرج
الجنيد وحمل العيال معه وسرح الاثني عشر بن عبيد الحنظلي ومعه عشرة من
الطلائع وقال كلما مضت مرحلة تسرح الى رجلا يعاين الخبر وسار الجنيد فأمرع
سبزه فقال له عطاء الدبوسي انظر أضعف شيخ في العسكر فسلحه سلاحا ما يسيفه
ورمحه وترسه وجعبته ثم سر على قدم مشيه فانالانقدر على سرعة المسير والقتال

فعمل الجنيد ذلك ولم يعرض للناس عارض حتى خرجوا من الأماكن المخوفة
ودنا من الطواويس وأقبل إليه خاقان بكر مينية أول يوم من رمضان واقتتلوا
فأناه عبد الله بن أبي عبد الله وهو يضحك فقال الجنيد ليس هذا يوم ضحك قال
الحمد لله اذ لم يلقك هؤلاء في جبال معطشة وعلى ظهر انما أتوك وأنت مخندق
آخر النهار كالين وأنت معك الزاد فقاتلوا قليلا ثم رجعوا ثم قال للجنيد ارنحل
فان خاقان ودألك تقيم فينطوي عليك اذا شاء فسار وعبد الله على الساقة ثم
أمره بالنزول فنزل واستقى الناس وباتوا فلما أصبحوا ارتحلوا فقال عبد الله أتوقع
أن خاقان يصدم الساقة اليوم فتدوها بالرجال فقواهم الجنيد وجاءت الترك قالت
على الساقة فاقتتلوا واشتد القتال بينهم وقتل مسلم بن أحو زعظما من عظماء
الترك فتطير وامن ذلك وانصرفوا من الطواويس وسار المسلمون فدخلوا
بخاري يوم المهرجان فنلقوهم بالدرهم البخارية فأعطاهم عشرة عشرة قال عبد
المؤمن بن خالد رأيت عبد الله بن أبي عبد الله في المنام بعد موته فقال حدث الناس
عني برأي يوم الشعب وكان الجنيد يذكر خالد بن عبد الله فيقول زبده من الزبد
صنبور من صنبور قل من قل هيفة من الهيف والهيفة الضبع والقل الفرد
والصنبور الذي لأخيه وقدمت الجنود من الكوفة والبصرة على الجنيد فسرح
معهم حويزة بن زبد العنبري فمينا انتدب معه وبقي الجنيد في ولايته الى سنة ست
عشرة ومائة كما سيأتي وفي هذه السنة غزاه معاوية بن هشام الصائفة فافتتح
خرشنة وفي سنة ثلاث عشرة ومائة غزا عبد الله البطل أرض الروم ومعه
عبد الوهاب بن بخت فانهمز الناس عن البطل فحمل عبد الوهاب وهو يقول
مارأيت فرسا أجبن منك وسفك الله دمي ان لم أسفك دمك ثم ألقى بيضته عن رأسه
وصاح أنا عبد الوهاب بن بخت أمن الجنة تفرون ثم تقدم في نحر العدو وفر برجل
يقول واعطشاه فقال تقدم الرمي أمامك فخالط القوم فقتل وقتل فرسه وفي هذه
السنة أيضا فرق مسامة بن عبد الملك الجيوش ببلاذ خاقان ففتحت مداين
وحصون على يديه وقتل منهم وأسروسي وأحرق ودان له من كانوا وراء جبال

بلنجبر وقتل ابن خاقان فاجتمعت تلك الامم جميعها الخزر وغيرهم على خاقان في
جمع لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقد جاز مسامة بلنجبر فلما بلغه خبرهم أمر أصحابه
فأوقدوا النيران ثم ترك خيامهم وأنقأهم وعاد هو وعسكره جريدة وقدم
الضعفاء وآخر الشجعان وطوى المراحل كل مرحلتين في مرحلة حتى وصل
الى الباب والابواب في آخر رمق وقد تقدم ذكر ذلك وأعيد هنا ليرتبط الكلام
ببعضه ❦ ذكر قتل عبد الرحمن الغافقي أمير الاندلس ❦

وفي سنة ثلاث عشرة أيضا كان غزو من المسلمين الذين بافريقية على بلاد
افرنجة وذلك أن هشام بن عبد الملك كان قد استعمل عبيدة بن عبد الرحمن
السلمي على افريقية والاندلس فاستعمل عبيدة على الاندلس عبد الرحمن بن
عبد الله الغافقي فغزا افرنجة وأوغل في أرضهم وغنم غنائم كثيرة وكان فيما أصاب
صورة رجل بكسر الراء وسكون الجيم من ذهب مفصصة بالدر والياقوت
والزمرد وكسرها وقسمها في الناس فبلغ ذلك عبيدة فغضب غضبا شديدا وكتب
اليه يتهدده فأجابه عبد الرحمن وكان رجلا صالحا ما بعد فان السموات والأرض
لو كانتا رتقا لجعل الله للمتقين منها مخرجا يعني فان الله قادر أن ينجي مني مما تهديني به
ثم خرج غازيا مرة ثانية ببلاد الفرنج فقتل هو ومن معه شهداء

❦ ذكر ولاية مروان بن محمد أرمينية وأذربيجان بعد انقضاء

غزو مسامة بن عبد الملك ❦

في سنة أربع عشرة ومائة استعمل هشام بن عبد الملك مروان بن محمد بن مروان
وهو ابن عمه على الجزيرة وأذربيجان وأرمينية وكان سبب ذلك انه كان في عسكر
مسامة بأرمينية حين غزا الخزر فلما عاد مسامة سار مروان الى هشام فلم يشعر به
حتى دخل عليه فسأله عن سبب قدومه فقال ضقت ذرعاي بما أذكره ولم أر من
يحمي له غيري قال وما هو قال مروان قد كان من دخول الخزر الى بلاد الاسلام
وقتل الجراح وغيره من المسلمين ما دخل به الوهن على المسلمين ثم رأى أمير
المؤمنين انه بوجه أخاه مسامة بن عبد الملك اليهم فوالله ما واطئ من بلادهم الا أدناه

ثم انه لما رأى كثرة جمعه أعجبه ذلك فكتب الى الخزر يؤذنههم بالحرب وأقام بعد ذلك ثلاثة أشهر فاستعد القوم وحشدوا فلما دخل بلادهم لم يكن له فيهم نكابة وكان قصاراه السلامة وقد أريدت أن تأذن لي في غزوة أذهب بها عننا العار وأنقم من العدو قال قد أذنت لك قال وتمدني بمائة وعشرين ألف مقاتل قال قد فعلت قال وتسكنم هذا الأمر عن كل واحد قال قد فعلت وقد استعملتك على ارمينية فودعه وسار الى ارمينية واليا عليها وسير هشام الجنود من الشام والعراق والجزيرة فاجتمع عنده من الجنود والمتطوعة مائة وعشرون ألفا فأنظر انه يريد غزو اللان وقصد بلادهم وأرسل الى ملك الخزر يطلب منه المهادنة فأجابه الى ذلك وأرسل اليه ملك الخزر من بقر الصلح فأمسك الرسول عنده الى أن فرغ من جهازه وما يريد ثم أغلظ لهم القول وأذنههم بالحرب وسير الرسول الى صاحبه بذلك وكل به من يسيره على طريق فيه بعد وسار هو في أقرب الطريق فواصل الرسول الى صاحبه الا امر وان قد وافاهم فأعلمه صاحبه الخبر وأخبره بما قد جمع له مروان وحشد واستعد فاستشار ملك الخزر أصحابه فقالوا ان هذا قد اغتربك ودخل بلادك فان أقت الى أن تجمع جنودك لم يجتمعوا عندك الا بعد مدة فيبلغ منك ما يريد وان أنت لقيته على حالك هذه هزمك وظفر بك والرأي أن تتأخر الى أقصى بلادك وتدعه وما يريد فقبل رأيهم وسار حيث أمره ودخل مروان البلاد وأوغل فيها وأخربها وغنم وسبي وانتهى الى آخرها وأقام فيها عدة أيام حتى أدلهم وانتقم منهم ودخل بلاد ملك السرب فأوقع بأهله وفتح قلاعها ودان له الملك وصالحه على ألف رأس نصفين خمسمائة غلاما وخمسمائة جارية سود الشعور ومائة ألف مدين البر تحمل الى الباب وصالحه أهل فرمان على مائة رأس نصفين وعشرين ألف مدين البر ثم دخل أرض زريكرا ن فصالحه ملكها ثم أتى أرض حمز بن فأبى حمز بن أن يصالحه فحاصرهم فافتتح حصنهم عنوة ثم أتى سفدان فافتتحها صلحا ووظف على طير شانشاه عشرة آلاف مدبر كل سنة تحمل الى الباب ثم نزل على قلعة صاحب اللكر فدامت من أداء الوظيفة فخرج ملك

اللكزير يدملك الخزر فقتله راع بسهم وهو لا يعرفه فصاح أهل اللكز مروان
واستعمل عليهم عاملا وسار الى قلعة شر وان وهى على البحر فأذعن أهلها بالطاعة
وسار الى الدودانية فأوقع بهم ثم عاد وفي هذه السنة غزا معاوية بن هشام
الصائفة اليسرى فأصاب ربحض أقرن وغزا عبد الله البطلال الروم والتقى هو
وقسطنطين في جمع فهزمهم البطلال وأسر قسطنطين وغزا سليمان بن هشام
الصائفة اليمنى وبلغ قيسارية وفي سنة خمس عشرة ومائة غزا معاوية بن هشام
أرض الروم وغزا عبد الملك بن قطن عامل الأندلس أرض البشكنس فغنم
وعاد سالما وفي سنة ست عشرة ومائة غزا معاوية بن عبد الملك أرض الروم
الصائفة وفيها عزل هشام بن عبد الملك الجنيد بن عبد الرحمن المري عن خراسان
واستعمل عليها عاصم بن عبد الله الهلالى وسبب ذلك أن الجنيد تزوج الفاضلة
بنت يزيد بن المهلب فغضب هشام لعداوته ليزيد بن المهلب لانه خلع أخاه يزيد بن
عبد الملك كما تقدم فولى عاصم خراسان وكان الجنيد أصابه استسقاء فقال هشام
لعاصم ان أدركته و به رمق فأزحق نفسه فقدم عاصم وقدمات الجنيد وفي هذه
السنة استعمل هشام على افر يقية عبيد الله بن الحجاب الموصلى فسير جيشا الى
صقلية وهى بكسرات مشددة اللام جزيرة بالمغرب فلقبهم مراكب الروم
فاقتتلوا وقتلوا الشديدا فانهزمت الروم وكانوا قد أسروا جماعة من المسامين منهم عبد
الرحمن بن زياد فبقي أسيرا الى سنة احدى وعشرين ومائة وفي سنة ست عشرة
أيضا جهز عبيد الله بن الحجاب جيشا مع حبيب بن أبى عبيدة وسيرهم الى أرض
السودان فظفر بهم ظفرا لم يظفر أحد مثله وأصاب ماشاء ثم غزا البحر ثم
انصرف سالما وفيها سير أيضا ابن الحجاب جيشا الى السوس فغنموا وظفروا
وعادوا وفي سنة سبع عشرة ومائة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزا
سليمان بن هشام الصائفة اليمنى من نحو الجزيرة و فرق سراياه فى أرض الروم
وفيها بعث مروان بن محمد وهو على ارمينية بعثين وافتتح أحدهما حصونا ثلاثة
من اللان ونزل الآخر على نومان شاء فنزل أهلها على الصلح وفي هذه السنة عزل

هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان وأعاد أمر خراسان لوالي
العراق خالد بن عبد الله القسري فولى خالد خراسان أخاه أسد بن عبد الله وهذه
ولايته الثانية وسيأتي ذكر غزواته وفيها بعث عبيد الله بن الحجاب حبيب بن أبي
عبيدة بن عقبة بن نافع غازيا إلى المغرب فبلغ السوس الأقصى وأرض السودان
فلم يقاتله أحد الاظفر به وأصاب من الغنائم والسبي أمر اعظيما إلى أهل المغرب
منه رعبا وأصاب في السبي جاريين من البربر ليس لكل واحدة منهما غير ندى
واحد ورجع سالما وسير جيشا في البحر سنة سبع عشرة ومائة أيضا إلى جزيرة
السرديانية وهي جزيرة كبيرة يعبر المغرب ففقدوا منها ونهبوا وغنموا وعادوا
وسير جيشا إلى صقلية سنة اثنتين وعشرين فلم يلقه أحد الا هزمه فظفر ظفرا لم
ير مثله حتى نزل على مدينة سرقوسة وهي من أعظم مدن صقلية فقاتلوه فهزمهم
وحصرهم فمالحوه على الجزيرة وفي سنة ثمان عشرة ومائة غزا معاوية وسليمان
ابن هشام بن عبد الملك أرض الروم وفي هذه السنة كانت وفاة معاوية المدكور
في حياة والده وأعقب أولاد منهم عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام الذي
ملك الأندلس ثم أولاده بعده وفي هذه السنة غزا أسد بن عبد الله القسري
والى خراسان طخارستان ثم أرض جبوية فغنم وسبي وفيها غزا مروان بن محمد
ابن مروان ارمينية ودخل أرض ورنيس من ثلاثة أبواب فهرب منه ورنيس
إلى الخزر ونزل حصنه فحصره مروان ونصب عليه المجانيق فقتل ورنيس قتله
بعض من اجتاز به وأرسل رأسه إلى مروان فنصبه لاهل حصنه فنزلوا على حكمه
فقتل مقاتله وسبي الذرية

﴿ ذكر مقتل خاقان ﴾

لما كانت سنة تسع عشرة ومائة غزا أسد بن عبد الله القسري بلاد الختل فافتح
منها قلاعها وامتلاأت أيدي العسكر من السبي والشاء ولما بلغ الخزر خاقان جيش
جيوشه وقصد أسد افعبر المسلمون النهر را جعين إلى بلادهم فتبعهم خاقان
والتقوا بعد عبور النهر واقتتلوا قتالا شديدا وهزموا خاقان ثم مضى أسد إلى

بلخ وشتى فيها ثم قصدهم خاقان بجيوشه الى بلخ ثم التقوا على فرسخين من
الجوزجان فانهزم خاقان ومن معه وتبعهم المسلمون ثلاثة فراسخ وغنموا مائة
وخسين ألفا من الشاء وودوا الى كثيرة ورجع أسد الى بلخ ثم وصل خاقان الى
بلاداه وأخذ في الاستعداد للحرب ولاعب يوما خاقان بالترد كورصول فغمزه
كورصول ونشاجر افسك كورصول يد خاقان فكسرها فحلف خاقان
ليكسرن يده فتنحى وجمع جمعائهم بيت خاقان فقتله وتفرقت الترك واشتغلت
الترك يغير بعضهم على بعض وأرسل أسد مبشرا الى هشام فلما بلغ هشام بن
عبد الملك مقتل خاقان سجد شكر الله ثم غزا أسدا لختل مرة ثانية وفرق عسكره
في أودية الختل فلوأ أيديهم من الغنائم والسبي وهرب أهله الى الصين * وفي سنة
تسع عشرة أيضا غزا الوليد بن القعقاع أرض الروم وغزا مروان بن محمد بن
مروان من ارمينية فدخل بلاد اللان وسار فيها حتى خرج منها الى بلاد الخزر
فربيلنجرو سمندر وانتهى الى البيضاء التي يكون فيها خاقان وكان ذلك قبل مقتل
خاقان فهرب منه خاقان * وفي سنة عشرين توفي أسد بن عبد الله بمدينة بلخ وفيها
عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن العراق وولى يوسف بن عمر الثقفي
وولى نصر بن سيار الكناني خراسان بعد موت أسد بن عبد الله وفي هذه السنة
غزا سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة وفتح سندرة وغزا اسحاق بن مسلم
العقيلي نومان شاء وافتتح قلاعها وخرب أرضها وفي هذه السنة توفي مسلمة بن
عبد الملك بن مروان * وفي سنة احدى وعشرين ومائة غزا مسلمة بن هشام الروم
فافتح بها مطامير

✽ ذكر غزوات نصر بن سيار الكناني ما وراء النهر ✽

كان نصر بن سيار عاقلا حازما شجاعا مدبرا عمرت خراسان في مدة ولايته عمارة
لم تعمر قبلها وأحسن الولاية والجابة مكث واليا على خراسان الى سنة ثلاثين
ومائة فكانت مدة ولايته عشرين سنة وكان قبل ولايته من أمراء الاجناد
بخراسان وولى على بعض المداين وكان جعفر بن حنظلة الذي استخلفه أسد على

خراسان عندهمونه قد عرض على نصر أن يولييه بخارى فاستشار البغترى بن
مجاهد مولى بنى شيبان فقال له لا تقبلها لأنك شيخ مضر وكانك بعهدك قد جاء
على خراسان كلها فله أناه عهده بعث الى البغترى ليأتميه فقال البغترى لأصحابه
قدولى نصر خراسان فلما أناه سلم عليه بالامارة فقال من أين علمت فقال كنت
تأتينى فلما بعثت الى عامت أنك قد وليت ولما مات أسد بن عبد الله وبلغ خبر موته
هشام بن عبد الملك استشار عبد الكرىم بن سليط الحنفى وكان عالما فبين يولييه
خراسان فقال عبد الكرىم يا أمير المؤمنين أما رجل خراسان حزماء ونجدة
فالكرىماني فاعرض عنه وقال ما اسمه قال جديع بن على قال لا حاجة لى فيه وتطير
قال فالمن الجرب يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيبانى قال هشام ربيعة لا تسد بها
الثغور قال عبد الكرىم فقلت فى نفسى كره ربيعة واليمن فارمه بمضر فقلت
عقيل بن معقل الليثى ان غفرت هنته قال ماهى قلت ليس بالعفيف قال لا حاجة
لى فيه فقلت منصور بن أبى الخرقاء السامى ان غفرت نكره فانه مشؤوم قال
غيره قلت فالجشم بن مزاحم السامى عاقل شجاع له رأى مع كذب فيه قال لا خير فى
الكذب قلت يحيى بن الحصين قال ألم أخبرك ان ربيعة لا تسد بها الثغور قال
فقلت نصر بن سيار قال هو لها قلت هو عفيف مجرب عاقل ان غفرت له واحدة
قال ماهى قلت عشيرته بخراسان فليله قال لا أبالك تريد أكثر منى عشيرة أنا
عشيرته فكتب عهدته وبعثه مع عبد الكرىم فاعطاه نصر لما أناه به عشرة
آلاف درهم واستعمل نصر على أعمال خراسان رجال مضر الى أربع سنين لم
يستعمل أحدا من غير مضر وغز نصر فى سنة إحدى وعشرين ما وراء النهر
مرتين أحدا هما من نحو الباب الجديد فسا من بلغ من تلك الناحية ثم رجع الى
مرو وخطب الناس وأخبرهم أنه أقام منصور بن عمر بن أبى الخرقاء على كشف
المظالم وأنه قد وضع الجزية عنهم قد أسلم وجعلها على من كان يخفف عنهم من
المشركين فرغبوا فى الاسلام فلم تمض جمعة حتى أناه ثلاثون ألف مسلم كانوا
يؤدون الجزية عن رؤوسهم وثمانون ألفا من المشركين كانت قد أقيمت عنهم

فحول ما كان على المسلمين اليهم ووضعه عن المسلمين ثم ضيف الخراج ووضعه مواضع ثم غزا الثانية الى زر سمرقند ثم رجع ثم غزا الثالثة الى الشاش من سمرقند وفتحها بينه وبين عبور نهر الشاش كورصول في خمسة عشر ألفا وكان معهم الخارث بن سريج وكان قبل ذلك من أمراء المسلمين على جند خراسان ثم وقعت فتنة بينهم فاعتزلهم وصار مع خاقان ثم مع كورصول فعبير كورصول في أربعين رجلا في بيت العسكر في ليلة مظلمة ومع نصر ملك بخاري في أهل بخاري ومعه أهل سمرقند وكش ونسف وهم عشر و ألفا فنادى نصران لا يخرجن أحدوا ثبتوا على مواضعكم فخرج عاصم بن عمير السعدي وهو على جند سمرقند ففرت به خيل الترك فحمل على رجل في آخرهم فأسره فاذا هو ملك من ملوكهم صاحب أربعة آلاف فبتهن ثم تبين انه كورصول فأتى به الى نصر فقال له نصر من أنت قال كورصول فقال نصر الحمد لله الذي أمكن منك يا عبد الله قال ما ترجو من قتل شيخ وأنا أعطيك أربعة آلاف بعير من ابل الترك وألف برذون تقوى به جندك ونطلق سبيلي فاستشار نصر أصحابه فاشاروا باطلاقه فلم يوافقهم ثم سأله عن عمره قال لأدري قال كم ثروت قال اثنتان وسبعين غزوة قال أشهدت يرمي انعطش قال نعم قال نصر لو أعطيتني ما طلعت عليه الشمس ما أفلت من يدي بعد ما ذكرت من مشاهدك وقال لعاصم بن عمير السعدي قم الى صلبه فيخذه فقال من أسرنى فقال نصر وهو يضحك أسرك يزيد بن قران الحنظلي وأشار اليه قال هذا لا يستطيع أن يغسل استه أولا يستطيع أن يتم له بوله فكيف بأسرنى أخبرني من أسرنى قال أسرك عاصم بن عمير قال لست أجد ألم القتل اذا كان أسرنى فارس من فرسان العرب فقتله وصلبه على شاطئ النهر فلما قتل كورصول أحرقت الترك ابنتيه وقطعوا آذانهم وقطعوا شموهم واذناب خيلهم فلما أراد نصر الرجوع أحرقه لئلا يحملوا عظامه فكان ذلك أشد عليهم من قتله وارتفع الى فرغانة فسبى بها ألف رأس وكتب يوسف بن عمر أمير العراق الى نصر سر الى هذا الغادر دينه في الشاش يعني الحارس بن سريج فان أنظرك

الله
فقير
المؤ
فحة
مق
عليه
قار
وسا
اخر
التر
سب
ور
نيز
وكان
صا
فوق
التر
وأ
سليما
نم
والمر
وطي
ماء
أوب

الله به وبأهل الشاش فخر ببلادهم واسب ذرارهم واياك وورطة المسلمين
فقرأ الكتاب على الناس واستشارهم فقال يحيى بن الحسين أنظر أهدا من أمير
المؤمنين أو من الأمير فقال نصر يحيى تكلمت بكلمة أيام عاصم فبلغت الخليفة
فحظيت بها وبلغت الدرجة الرفيعة فقلت أقول مثلها سر يحيى فقد وليتك
مقدمتي فلام الناس يحيى فسار إلى الشاش فأنهم الحارث بن سريج فنصب
عليهم عرادتين بالتشديد تثنية عرادتشي أصغر من المنجنيق وأغار الأخرم وهو
فارس الترك على المسلمين فقتلوه والقوار أسه إلى الترك فصاحوا وانهم زموا
وسار نصر إلى الشاش فلتاقاه ملكها بالصلح والهدية والرهن واشترط عليه نصر
إخراج الحارث بن سريج عن بلده فأخرجه إلى فاراب ثم تنقل الحارث في بلاد
الترك إلى سنة ست وعشرين ثم اصطالح مع المسلمين ورجع إلى خراسان سنة
سبع وعشرين فكانت مدة مفارقتهم للمسلمين واتصاله بالترك ثنتي عشرة سنة
ورد عليه نصر ما كان أخذه ثم استعمل نصر على الشاش بعد الصلح مع أهله
نيزك بن صالح مولى عمرو بن الهام ثم سار حتى نزل قباء من أرض فرغانة
وكانوا أحسوا بمجيئه فأحرقوا الحشيش وقطعوا الميرة فوجه نصر إلى ولي
صاحب فرغانة فحاصروه في حصن وغفلوا عنه فخرج وغنم دواب المسلمين
فوجه إليهم نصر رجالا من نعيم ومهم محمد بن المثنى وكان المسلمون لهم فخرج
الترك واستاقوا بعض الدواب فخرج عليهم المسلمون فهزموهم وقتلوا الدهقان
وأسر وامنهم وأسروا ابن الدهقان فقتله نصر ثم سأله الصلح فأرسل نصر
سليمان بن صول بكتاب الصلح إلى صاحب فرغانة فأمر به فادخل الخزائن ليرأها
ثم رجع إليه فقال كيف رأيت الطريق فيما بيننا وبينكم قال سهلا كثيرا الماء
والمرعى فكره ذلك وقال ما أعلمك قال سليمان قد غزوت غرستان وغور الختل
وطبرستان فكيف لا أعلم قال فكيف رأيت ما أعد لنا قال عدة حسنة ولكن
ما علمت أن المحصور لا يسلم من خصال لا يامن أقرب الناس إليه وأوثقهم في نفسه
أو يفنى ما جمع فيسلم برمتيه أو يصيبه داء فيموت فكره ما قال له وأمره فاحضر

كتاب الصلح فأجاب اليه وسير أمه معه وكانت صاحبة أمره فقد مدت على نصر
فأذن لها وجعل يكلمها وكانت مما قالت له كل ملك لا يكون عنده ستة أشياء
لا يكون ملكا وزير يبيت اليه ما في نفسه ويشاوره ويثق بنصيحته وطباخ اذا لم
يشته الطعام اتخذ له ما يشتهي وزوجة اذا دخل عليها مغتاف نظر الى وجهها زال غمه
وحصن اذا فرغ أناه فاتجاه تعنى البرذون وسيف اذا قاتل لا يخشى خيانتة وذخيرة
اذا حملها عاش بها أين كان من الارض ثم دخل تميم بن نصر في جماعة فقالت من
هذا قالوا هذافتي خراسان تميم بن نصر فقالت ماله نبل الكبير ولا حلاوة الصغير
ثم دخل الحجاج بن قتيبة بن مسلم الباهلي فقالت من هذا فقالوا الحجاج بن قتيبة
ابن مسلم فأحبهت وسألت عنه وقالت يا معشر العرب ما لكم وفاء ولا يصلح بعضكم
بعضا قتيبة الذي ذلل لكم ما أرى وهذا ابنه تقعه دونك فخقه ان تجلسه أنت هذا
المجلس وتجلس أنت مجلسه وعقدت الصلح ورجعت

ذ ك ر غ ز و م ر و ان بن محمد بن مروان

في سنة احدى وعشرين بن غز امر وان بن محمد بأرمينية وهو واليهافأنى قلعة بيت
السرى فقتل وسبى ودخل غوميسك وهو حصن فيه بنت الملك وسريره فهرب
الملك منه حتى أتى حصنا يقال له خيزج فيه سريره من ذهب فسار اليه مروان
ونازله صيفيته وشتوته فصالح الملك على ألف رأس كل سنة ومائة ألف مد فصالحه
وسار مروان فدخل أرض أزرو وبطران فصالحه ملكها ثم سار في أرض تومان
فصالحه وسار حتى أتى جزين فأخرب بلاده وحصر حصناله شهر فصالحه ثم أتى
مروان أرض مسداه فافتتحها على صلح ثم نزل مروان كيران فصالحه طبرسران
وفيلان وكل هذه الولايات على شاطئ البحر من ارمينية الى طبرستان وفي هذه
السنة غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح بها مطامير وفي هذه السنة قتل البطال
واسمه عبد الله أبو الحسين الانطاكي وقتل معه جماعة من المسلمين ببلاد الروم
وكان كثير الغز والى الروم والاغارة على بلادهم وله عندهم ذكر عظيم حكى انه
دخل بلادهم في بعض غزواته هو وأصحابه فدخل قرية لهم ليلا وامرأة تقول

الصغير لها يبكي تسكت والاسامتك للبطل ثم رفعته بيدها وقالت خذني يا بطل وكان
قريباً منها ولم تعلم به فتناولته من يدها وكان عبد الملك بن مروان يرسله مع ابنه مسامة
الى بلاد الروم وأمره مرة على رؤساء أهل الجزيرة والشام وأمر ابنه مسامة أن
يجعله على مقدمته وطلانعه وقال انه ثقة شجاع مقدم فجمعه مسامة على عشرة
آلاف فارس وله قصص ووقائع كثيرة

﴿ ذكر صلح نصر بن سيار مع الصغد ﴾

في سنة ثلاث وعشرين ومائة صالح نصر بن سيار الصغد وسبب ذلك ان خاقان لما
قتل في ولاية أسد بن عبد الله تفرقت الترك في اغارة بعضها على بعض فطمع أهل
الصغد في الرجعة اليها وانحاز قوم منهم الى الشاش فلما ولي نصر بن سيار أرسل
اليهم يدعوهم الى الرجوع الى بلادهم وأعطاهم ما أرادوا وكانوا يسألون شر وطا
أنكرها أمراء خراسان منها أن لا يعاقب من كان مسلماً فار تدعن الاسلام ولا
يعدى عليهم في دين لا حد من الناس ولا يؤخذ أسراء المساميين منهم الا بقضية قاض
وشهادة عدول فعاب الناس ذلك على نصر وتكلموا فيه فقال لو عاينتم شوكتهم
في المساميين مثل ما عاينت ما أنكرتم ذلك وأرسل رسولا الى هشام بن عبد الملك
في ذلك فأجابه اليه * وفي سنة أربع وعشرين ومائة غزا سليمان بن هشام الصائفة
فأتى أليون ملك الروم فهزمه وقتل وسبي وغنم * وفي سنة خمس وعشرين توفي
هشام ابن عبد الملك وبويع الوليد بن يزيد بن عبد الملك فأقصر نصر بن سيار
على خراسان ثم ثارت فتن بين أولاد عبد الملك وقتل الوليد بن يزيد سنة ست
وعشرين وبويع يزيد بن الوليد بن عبد الملك وتوفي بعد ستة أشهر وبويع
أخوه ابراهيم بن الوليد ثم خلع بعد سبعين يوماً وبويع مروان بن محمد سنة سبع
وعشرين فأقر نصر بن سيار على ولاية خراسان واستقر مروان بن محمد خمس
سنين وعشرة أشهر وثارت الفتن بينه وبين بني العباس وقتل مروان بن محمد سنة
اثنين وثلاثين وعمره اثنان وستون سنة وقامت الدرلة العباسية وتفصيل ذلك
كله طويل مذكور في التواريخ والقصد في هذا الكتاب ذكر الفتوحات

التي فيها جهاد الكفار وفي مدة هذه الفتن انقطع الغزو والجهاد وانتشرت
الفتن بين المسلمين في كل قطر واقليم

﴿ ذكر ملك الروم ملطية ﴾

نشأ من الفتن التي كانت بين المسلمين في هذه السنين ان الروم طمعوا في البلاد
فأقبل قسطنطين ملك الروم الى ملطية وكنخ في سنة ثلاث وثلاثين في خلافة
السفاح أول خلفاء بني العباس فلما أقبل قسطنطين نازل كمنخ فأرسل أهلها الى أهل
ملطية يستنجدونهم فسار اليهم منها ثمانمائة مقاتل فقاتلهم الروم فانهزم المسلمون
ونازل الروم ملطية وحصرها وأرسل قسطنطين الى أهل ملطية اني لم أحضركم
الا على علم من المسلمين واختلافهم فلكنم الامان وتعودون الى بلاد المسلمين
حتى احترز ملطية فلم يجيبوه الى ذلك فنصب المجانيق فاذعنوا وسلموا البلد
على الامان وانتقلوا الى بلاد الاسلام وحملوا ما أمكنهم حمله وما لم يقدر رواعى
حمله القوه في الآبار والمجاري وسار ملك الروم الى قاليقلا فنزل مرج الخصى
وأرسل كوشان الارمني فحصرها فنقب اخوان من الارمن من أهل المدينة
ردما كانت في سورها فدخل كوشون ومن معه المدينة فغلبوا عليها وقتلوا رجالا
وسبوا النساء وساقوا الغنائم الى ملك الروم وفي هذه السنة كان متوليا على
خراسان أبو مسلم القائم بدعوة بني العباس فوجه أباداود خالد بن ابراهيم الذهلي
الى الختل فدخلها فلما انتهى الى أرض فرغانة تخالف اخشيديد فرغانة وملك
الشاش واستمد اخشيديد ملك الصين فأمدت بمائة ألف مقاتل فحصر وملك الشاش
فنزل على حكم ملك الصين وبلغ الخبر بأب مسلم فوجه الى حربهم زياد بن صالح فالتقوا
على نهر طراز فظمر بهم المسلمون وقتلوا منهم زهاء خمسين ألفا وأسروا نحو
عشرين ألفا وهرب الباقيون الى الصين

﴿ ذكر غزوة كش ﴾

في سنة أربع وثلاثين غزا أبوداود خالد بن ابراهيم الذهلي أهل كش فقتل ملكها
وهو سامع مطيع وقتل أصحابه وأخذ منهم من الاواني الصينية المنقشة بالذهب ما لم

يرمئها ومن السروج ومتاع الصين من الديباج والطرف شيئا كثيرا وجعله الى
أبي مسلم وهو بسمرقند وقتل عدة من دهاقينهم ورجع أبوداود الى بلخ وفي
سنة خمس وثلاثين غزا عبد الله بن حبيب جزيرة صقلية وغنم بها وسبي بعد أن
غزا أيضا تلمسان وفي سنة ست وثلاثين توفي السفاح وبيع أخوه المنصور
وقتل أبامسلم سنة سبع وثلاثين وولى خراسان بعد قتل أبي مسلم أباداود خالد بن
ابراهيم الذهلي وفي سنة ثمان وثلاثين خرج قسطنطين ملك الروم الى بلاد الاسلام
فدخل ملطية عنوة وغلب وقهر أهلها وهدم سورها وعفا عن فيها من المقاتلة
والذرية فبعث المنصور أخاه العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي
الله عنهما ومعه صالح بن علي وعيسى بن علي في جيش فبنوا ما كان ملك الروم
أخبر به من سور ملطية ثم غزوا الصائفة سنة تسع وثلاثين ومائة من درب الحدث
فوغلوا في أرض الروم وغزاهم صالح أخناه أم عيسى ولبابية وكانتناذرنا ان زال
ملك بني أمية أن تجاهدا في سبيل الله وغزاهم من درب ملطية جعفر بن حنظلة
المهراني وفي هذه السنة كان الفداء بين المنصور وملك الروم فاستفدى المنصور
أسرى قالية لا وغيرهم من الروم وبناهما وعمرها ورد أهلها اليها وندب اليها جندا
من أهل الجزيرة وغيرهم فأقاموا فيها وحوها ولم يكن بعد ذلك صائفة الى سنة ست
وأربعين لاستغال المنصور بالفتنة التي كانت بينه وبين بني عبد الله بن الحسن بن
المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وقيل ان الحسن بن قحطبة غزا
الصائفة سنة أربعين مع عبد الوهاب بن ابراهيم الامام وأقبل قسطنطين ملك
الروم في مائة ألف فبلغ جيعان فدمع كثيرة المسبيين فأحجم عنهم ثم لم يكن بعدها
صائفة الى سنة ست وأربعين لكن حصلت وقائع وغزوات بخراسان وغيرها في
هذه المدة كما سئرى ذلك وفي سنة تسع وثلاثين ومائة كان دخول عبد الرحمن بن
معاوية بن هشام بن عبد الملك الاندلس وتملكها فخرجت الاندلس عن ولاية
بني العباس وقصة تملك عبد الرحمن الداخل الاندلس طوييلة لمخصها انه لما قامت
الدولة العباسية أخذوا يتبعون بني أمية فتمت لافهر بن عبد الرحمن المذكور مختفيا

وما زال يتنقل حتى دخل الاندلس وكان بالاندلس رجال من بقايا عمال بني أمية
ومواليهم فأعانوه حتى انتزع الاندلس من عمال بني العباس بعد حروب كثيرة
واستفحل ملكه وملك بنيه بعده بالاندلس وكان دخوله الاندلس في خلافة
المنصور العباسي وكان المنصور يعجب من أمره ويسميه صقر قریش وأراد
استرجاع الاندلس من يده فلم يتمكن له ذلك والكلام على ذلك طويل ذكرته
في التاريخ الذي جمعته في أخبار الاندلس ملخصا من نفع الطيب وغيره ولما
استقامت أموره وتمكنت دولته بلغه عن بعض من أعاناه أنه يقول لولا ما
توصل لهذا الملك وكان منه أبعد من النجم وقال قائل آخر انما أعاناه سعده لاعتقله
وتديره فخره ذلك الى أن قال

لا يلف ممتن علينا قائل * لولاى ماملك الامام الداخلى
سعدى وحزمى والمهند والقنا * ومقادر بلغت وحال حائل
ان الملوك مع الزمان كواكب * نجم يطالعنا ونجم آفل
والحزم كل الحزم أن لا يغفلوا * أبروم تدير البرية غافل
ويقول قوم سعده لاعتقله * خير السعادة ما حواها العاقل
أبى أمية قد جبرنا صدعكم * بالغرب رغما والسعود قبائل
مادام من نسلى امام قائم * فالملك فيكم ثابت متواصل

وما زال مستمر في ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر الى أن توفي سنة ١٧٢
وعمره تسع وخمسون سنة واستمر الملك في بنيه الى أواخر القرن الرابع وبياني
ذكر كثير من غزواته وفتوحاتهم ولترجع الى تمام الكلام على فتوحات بني
العباس في سنة ١٤٠ مات أبوداود خالد بن ابراهيم الدهلي عامل خراسان وأقيم
مقامه عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي ثم ظهر منه مخالفة وعصيان وأراد خلع
المنصور فجهز المنصور في سنة احدى وأربعين ابنه المهدي وعمره نحو خمس
عشرة سنة ومعه جيش فأسر عبد الجبار وبعث به الى المنصور فقتله وصارت
ولاية خراسان للمهدي بن المنصور وكان كثير من أهل خراسان قد نقضوا لما تغيرت

الدولة واسترجع بعض الكفار ما كان لهم من الملك فكتب المنصور الى ابنه المهدي أن يغزو طبرستان

﴿ ذكر غزوة طبرستان ﴾

في سنة احدى وأربعين ومائة كتب المنصور الى ابنه المهدي وهو على خراسان أن يغزو طبرستان وينزل الري ويوجه أبا الخصيب وخازم بن خزيمه والجنود الى الاصبهين وكان الاصبهين يومئذ محاربا للمصمغان ملك دنباوند معسكر أبازائه فلما بلغه دخول جنود الاسلام بلاده ودخول أبي الخصيب سايره فقال المصمغان للاصبهين متى فهدوا فصاروا الى فاجتمعوا على حرب المسلمين فانصرف الاصبهين الى بلاده فحارب المسلمين فطالت تلك الحروب فوجه المنصور عمر بن العلاء الى طبرستان وكان عالما ببلاد طبرستان فأخذ الجنود وقصد الرويان ففتحها وأخذ قلعة الطلق وما فيها وطالت الحرب فأخ خازم على القتال ففتح طبرستان وقتل منهم فأكثر وسار الاصبهين الى قلعة فحصر فطلب الامان على أن يسلم القلعة بما فيها من الذخائر وكتب المهدي الى المنصور بذلك فوجه المنصور رجالا أحصوا ما في الحصن وانصرفوا ودخل الاصبهين بلاد جيلان من الديلم وأخذت ابنته وقصدت الجنود بلاد المصمغان فظفروا به وبالحيرة أم منصور بن المهدي وفي سنة ثنتين وأربعين ومائة خلع الطاعة عيينة بن موسى بن كعب عامل السند فبعث المنصور عمر بن أبي حفص السعدي عامل السند والهند فسار وغلب عليها بعد حروب

﴿ ذكر نكح الاصبهين ﴾

في سنة ثنتين وأربعين ومائة نكح الاصبهين بطبرستان العهد بينه وبين المسلمين وقتل من كان ببلادهم فلما انتهى الخبر الى المنصور سير مولاه أبا الخصيب وخازم ابن خزيمه وروح بن حاتم فأقاموا على الحصن يحاصرونه وهو فيه فلما طال عليهم المقام احتال أبو الخصيب في ذلك فقال لاصحابه اضربوني واحلقوا رأسي ولحيتي ففعلوا ذلك ولحقوا بالاصبهين فقال له فعل بي هذا تهمة منهم لي أن يكون هو ابي معك وأخبره أنه معه وأنه دليل على عورة عسكرهم فقبل ذلك الاصبهين وجعله في

خاصته وألفه وكان باب حصنهم من حجر يلقى القاء يرفعه الرجال وتضعه عند فتحه
واغلاقه وكان الاصبهنيون كل به ثقات أحبابه نو بايديهم فلما وثق الاصبهنيون إلى أبي
الخصيب وكنه بالباب فتولى فتحه واغلاقه حتى أنس به ثم كتب أبو الخصيب إلى روح
وخازم وألقى الكتاب في سهم وأعلمهم أنه قد ظفر بالحيلة وواعدهم ليلة في فتح
الباب فلما كانت تلك الليلة فتح لهم فقتلوا من في الحصن من المقاتلة وسبوا الذرية
وأخذوا أسكلام إبراهيم بن المهدي وكان مع الاصبهنيون فشر به ومات

﴿ ذكر نكث الديلم ﴾

في سنة ثلاث وأربعين نكث الديلم وثاروا بالمسلمين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة فبلغ
ذلك المنصور فندب الناس إلى قتال الديلم وجهادهم فساروا إليهم وقاتلواهم حتى
أخضعوهم سنة أربع وأربعين وفي سنة خمس وأربعين كان ابتداء بناء مدينة
بغداد وانتقل المنصور إليها سنة ست وأربعين وفيها خرجت الترك والخزر بباب
الابواب فقتلوا من المسلمين بأرمينية جماعة كثيرة وفي سنة ست وأربعين غزا
الصائفة جعفر بن حنظلة البهراني وغزاه مالك بن عبد الله الخنعمي بلاد الروم فغنم
غنائم كثيرة وفي سنة سبع وأربعين أغار استرخان الخوارزمي في جمع من الترك
على المسلمين بناحية أرمينية وسبى من المسلمين خلقا ودخلوا تفلين فسير
المنصور إلى محاربتهم جبرائيل بن يحيى وحرب بن عبد الله في جند كثير فقاتلواهم
فهزم جبرائيل وقتل حرب وقتل من أصحاب جبرائيل خلق كثير وفي سنة سبع
وأربعين غزا العباس بن محمد أرض الروم ومعه الحسن بن قحطبة ومحمد بن
الاشعث وأغزاه عبد الرحمن الداخل صاحب الاندلس مولاه بدر إلى بلاد العدو
فجاوز إليه وأخذ الجزية

﴿ ذكر خروج استاذيس ﴾

في سنة خمسين ومائة خرج استاذيس في أهل هراة وبادغيس وسجستان
وغيرها من خراسان وكان فيما قيل في ثلاثمائة ألف مقاتل فغلبوا على عامة خراسان
وساروا حتى التقواهم وأهل مرو والروذ فخرج إليهم الاجشم المرودي في أهل مرو

الروذ فقاتلوه قتالا شديدا فقتل الاجشم وكثر القتل في أصحابه وهزم عدده من القواد فوجه المنصور وهو بالراذان خازم بن خزيمة الى المهدي فولاه المهدي محاربة استاذ سيس وضم اليه القواد فسار خازم وأخذ معه من انهزم وجعلهم في آخريات الناس يكثر بهم من معه وكان معه من هذه الطبقة اثنان وعشرون ألفا ثم انتخب منهم ستة آلاف وضمهم الى اثني عشر ألفا كانوا معه من المنتخبين وكان بكار بن سلم العقيلي فيمن انتخب وتعي للقتال وكان اولوثة مع الزرقان فسكر بهم وراوغهم في أن ينقلهم من موضع الى موضع وخندق الى خندق حتى قطعهم ثم سار خازم الى موضع فنزله وخندق عليه وعلى جميع أصحابه وجعل له أربعة أبواب وجعل على كل باب ألفا من أصحابه الذين انتخبوا وأتى أصحاب استاذ سيس ومعهم الفوس والرازه والزبرليطمو والخندق فأتوا الخندق من الباب الذي عليه بكار بن سلم فحملوا على أصحاب بكار حملة هزموهم بها فرمى بكار بنفسه فترجل على باب الخندق وقال لأصحابه لا يؤتى المسامون من ناحيتنا فترجل معه من أهله وعشيرته نحو خمسين رجلا وقتلواهم حتى ردوهم من بابهم أقبل على الباب الذي عليه خازم رجل من أصحاب استاذ سيس اسمه الحر يش وهو الذي كان يدبر أمرهم فلما رآه خازم مقبلا بعث الى الهيثم بن شعبة وكان في الميمنة يأمره أن يخرج من الباب الذي عليه بكار فان من بازائه قد شغلوا عنهم ويسير حتى يغيب عن أبصارهم ثم يرجع من خلف العدو وقد كانوا يتوقعون قدوم أبي عون وعمرو بن مسلم بن قتيبة من طبخارستان وبعث خازم الى بكار يقول له اذا رأيت رايات الهيثم قد جاءت فكبر واوقولوا قد جاء أهل طبخارستان ففعل ذلك الهيثم وخرج خازم في القلب على الحريش يش فغلهم بالقتال وصبر بعضهم لبعض فيبيناهم على ذلك نظروا الى اعلام الهيثم قد أقبلت فتنادوا بينهم جاء أهل طبخارستان وحمل أصحاب خازم فكشفوهم ولقبهم أصحاب الهيثم فطعنوهم بالرمح ورموهم بالنشاب وخرج نهار ابن حصين من ناحية الميسرة وبكار بن سلم وأصحابه من ناحيتهم فهزموهم ووضعوا فيهم السيوف فقتلهم المسامون فأكثر وافسكنا عدد من قتل سبعين ألفا وأسروا

أربعة عشر ألفا ونجا استاذيسيس الى جبل في نفر يسير فحصرهم خازم وقتل
الاسرى ووافاه أبو عون وعمرو بن سلم ومن معهما فنزل استاذيسيس على حكم
أبي عون فحكم أن يوثق استاذيسيس وبنوه وأهل بيته بالحديد وأن يعتق
الباقون وكانوا ثلاثين ألفا فأمضى خازم حكمه وكسا كل رجل ثوبين وكتب
الى المهدي بذلك فكتب المهدي الى المنصور وقد قيل ان استاذيسيس قد ادعى
النبوة وأظهر أصحابه الفسق وقطع السبيل قيل انه جحد المأمون أبو أمه مر اجل
وابنه غالب خال المأمون وفي هذه السنة قدم المهدي من خراسان فقدم عليه أهل
بيته من الشام والكوفة والبصرة وغيرها فهنؤوه بمقدمه فأجازهم وحملهم وكساهم
وفعل بهم المنصور مثل ذلك وبنى له الرصافة وفيها غزا الصائفة عبد الوهاب بن
ابراهيم الامام بن محمد بن علي * وفي سنة ثنتين وخمسين ومائة استعمل المنصور على
خراسان حميد بن قحطبة فغزا كابل وغزا الصائفة عبد الوهاب بن ابراهيم الامام
* وفي سنة ثلاث وخمسين غزا الصائفة معيوف بن يحيى فوصل الى حصن من
حصون الروم ليلا وأهله نيام فسبى وأسرى من كان فيه ثم فصد اللاذقية الخراب
فسبى منها ستة آلاف رأس سوى الرجال البالغين * وفي سنة أربع وخمسين غزا
الصائفة زفر بن عاصم الهلالي فبلغ الفرات * وفي سنة خمس وخمسين غزا الصائفة
يزيد بن أسيد السلمي وفيها طلب ملك الروم الصلح الى المنصور على أن يؤدي
الجزية * وفي سنة ست وخمسين غزا الصائفة زفر بن عاصم الهلالي * وفي سنة سبع
وخمسين غزا الصائفة يزيد بن أسيد السلمي فسبى وغنم * وفي سنة ثمان وخمسين
توفي المنصور وبويع ابنه محمد المهدي وغزا الصائفة معيوف بن يحيى من درب
الحدث فلقى العدو فاقتتلوا ثم تحاجزوا * وفي سنة تسع وخمسين غزا العباس بن
محمد الصائفة الرومية فبلغوا القره وقتلوا مدينة للروم ومطمورة ولم يصب من
المسلمين أحد ورجعوا سالمين

✽ ذكر فتح مدينة باربد بالهند ✽

في سنة ستين ومائة فتحت مدينة باربد وكان المهدي سير في سنة تسع وخمسين جيشا

في البحر وعليهم عبد الملك بن شهاب المسمعي الى بلاد الهند في جمع كثير من الجند
والمتطوعة وفيهم الربيع بن صبيح فساروا حتى نزلوا على مدينة باربد فلما نزلوها
حصرها من نواحيها وحرص الناس بعضهم بعضا على الجهاد وضايقوا أهلها
ففتحها الله عليهم عنوة واحتمى أهلها بالبلد الذي لهم فأحرقه المسلمون عليهم
فأحرق بعضهم وقتل الباقيون واستشهد من المسامين بضعة وعشرون رجلا
وأفاءها الله عليهم وفي سنة ستين أيضا غزا ثمامة بن العباس الصائفة وغزا الغمر بن
العباس الخثعمي بحر الشام وفي سنة إحدى وستين غزا الصائفة ثمامة بن الوليد
فزل بدابق وجاشت الروم في ثمانين ألفا فأتى ثمامة عمق مرعش فقتل وسبي
وأنى مرعش فحاصرها فقاتلهم وقتل من المسامين عدة كثيرة وكان عيسى بن
علي مرابطا بحصن مرعش فانصرف الروم الى جيحان وبلغ الخبر المهدي فعظم
عليه وتجهز لغزو الروم كما سذكه وفي سنة اثنتين وستين خرجت الروم الى
الحد فهدموا سورها وغزا الصائفة الحسن بن قحطبة في ثمانين ألف مرزق
سوى المتطوعة فبلغ اذرولية وأكثر التصريق والتخريب في بلاد الروم ولم يفتح
حصنا الا لقي جمعاً ورجع الناس سالمين وفيها غزا يزيد بن أسيد السلمي من ناحية
قالبه لافغم وافتح ثلاثة حصون وسبي

ذكر غزو المهدي

في سنة ثلاث وستين تجهز المهدي لغزو الروم فخرج وعسكر بالبردان وجمع
الاجناد من خراسان وغيرها وسار عنها واستخلف على بغداد ابنه موسى الهادي
وعمره نحو عشر بن سنة واستصحب معه ابنه هارون الرشيد وعمره نحو سبع
عشر سنة وسار على الموصل والجزيرة وعبر القرات الى حلب وأرسل وهو
بحلب فجمع من تلك الناحية من الزنادقة فجمعوا فقتلهم وقطع كتبهم وسار عنها
مشيعة لابنه هارون الرشيد حتى جاز الدرب وبلغ جيحان فسار هارون بالجيش
حتى نازل حصن سألو فحصره ثمانية وثمانين يوماً ونصب عليه المجانيق ففتحها الله
عليهم بالأمان ووفي لهم وقتعوا فتوحا كثيرة ورجعوا ولما عاد المهدي من الغزاة

زار بيت المقدس * وفي سنة أربع وستين ومائة غزا عبد الكبير بن عبد الحميد بن زيد بن الخطاب من درب الحدث فأناه ميثائيل البطريق في تسعين ألفا فخاف عبد الكبير ومنع الناس من القتال ورجع بهم فأراد المهدي قتله فشفع فيه فقبسه وفي هذه السنة غزا عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس بلاد الأفرنج فدوخها ونهب وسبي وبلغ قلهره وفتح مدينة فكيرة وهدم قلاع تلك الناحية وسار إلى بلاد البشكنس ونزل على حصن مئتين الأقرع فاقتعه ثم تقدم إلى ملدوثون ابن اطلال وحصر قلعته وقصد الناس جبلها وقتلهم فيها فلكوها عنوة ونزبوها ثم رجعوا

ذكر غزو هرون الرشيد الروم

في سنة خمس وستين سير المهدي ابنه هارون الرشيد لغزو الروم في خمسة وتسعين ألفا وتسعمائة وثلاثة وتسعين رجلا فأوغلوا في بلاد الروم ولقيهم عسكر نقيظا قومس القوامسة فبارزه يزيد بن مزيد الشيباني فأئخنه يزيد وانهمزمت الروم وغلب المسلمون على عسكرهم وساروا إلى الدستق وهو صاحب المساح أي الثغور فحمل لهم مائة ألف دينار وثلاثة وتسعين ألفا واربعمائة وخمسين دينارا ومن الفضة احدا وعشرين ألف درهم وأربعة عشر ألفا وثمانمائة درهم وسار الرشيد حتى بلغ خاج القسطنطينية وملك الروم يومئذ عطسة امرأة أليون وذلك أن ابنها كان صغيرا فدهلك أبوه وهو في حجرها فجري الصلح بينها وبين الرشيد على الفدية وأن تقيم له الادلاء والأسواق في الطريق وذلك أنه دخل مدخلا ضيقا مخوفا فأجابته إلى ذلك ومقدار الفدية سبعون ألف دينار كل سنة ورجع عنها وكانت الهدنة ثلاث سنين وكان مقدار ما غنم المسلمون إلى أن اصطلحوا خمسة آلاف رأس سببا وستمائة وثلاثة وأربعين رأسا ومن الدواب الذلل بأدواتها عشرين ألف رأس وذبح من البقر والغنم مائة ألف رأس وقتل من الروم في الوقائع قبل الصلح أربعة وخمسون ألفا وقتل من الأسرى صبورا ألفان وتسعون أسيرا * وفي سنة ثمان وستين ومائة نقض الروم الصلح فوجه على

ابن سليمان وهو على الجزيرة وقنسر بن يزيد بن البدر بن البطال فغنموا
وظفروا وفي سنة تسع وستين ومائة توفي المهدي وبويح ابنه موسى الهادي وغزا
الصائفة معيوف بن يحيى من طريق الراهب وقد كانت الروم قبل ذلك جاؤا مع
بطريقهم الى الحديثة فهرب الوالى وأهل السوق فدخلها الروم فقصدهم معيوف
فبلغ مدينة أشنة فغنم وسي وفي سنة سبعين ومائة توفي الهادي وبويح أخوه
هارون الرشيد واستقر الى سنة ثلاث وتسعين ومائة فكانت مدته ثلاثا وعشرين
سنة وكان يحج سنة ويغزو سنة وفي سنة احدى وسبعين توفي عبد الرحمن بن
معاوية بن هشام صاحب الأندلس وكانت دولته بالأندلس ثلاثا وثلاثين سنة ثم
صار الملك لأولاده بعده فقام بالأمر بعده ابنه هشام وفي سنة أربع وسبعين غزا
الصائفة عبد الملك بن صالح الهاشمي من قبل هارون الرشيد وفي سنة خمس
وسبعين غزاها ابنه عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح وفيها سار هشام بن عبد
الرحمن صاحب الأندلس الى بلاد الافرنج فقصد ألبنة والقلاع فلقية العدو فظفر
بهم وقتل منهم خلقا كثيرا وفتح الله عليه وفي السنة التي بعدها غزا عبد الملك بن
عبد الواحد ففعل مثل ذلك وكذا في سنة سبع وتسعين فدخلوا بلاد العدو وبلغوا
أربونة وجرندة وكان بها حامية الفرنج فقتل رجالها وهدم أسوارها وأبراجها
وأشرف على قصورها فحل عنها الى أربونة ففعل مثل ذلك وأوغل في بلادهم
ووطئ أرض برطانية فاستباح حربها وقتل مقاتلتها وجاس البلاد شهورا بخرب
الحصون ويحرق ويغنم فدا جفل العدو من بين يديه هاربا وأوغل في بلادهم
ورجع سالم معه من الغنائم ما لا يعلمه الا الله تعالى وهي من أشهر مغازي المسلمين
بالأندلس وفعل مثل ذلك في السنتين اللتين بعدها وتوفي هشام صاحب
الأندلس سنة ثمانين ومائة وقام بالأمر بعده ابنه الحكم ومن غزوات الرشيد
الشهيرة غزوة أرض الروم في سنة احدى وثمانين فتح فيها حصن المصفاة
وفيها غزا عبد الملك بن صالح أرض الروم فبلغ انقرة وافتتح مطمورة وفي هذه
السنة كان الفسداء بين المسلمين والروم وكان عدة الأسرى ثلاثة آلاف

وسبعماية * وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة غزا المائفة عبد الرحمن بن عبد الملك
ابن صالح فبلغ افسوس مدينة أصحاب الكهف

﴿ ذكر غزو الخزر بلاد الاسلام ﴾

في سنة ثلاث وثمانين ومائة خرج الخزر من باب الابواب فأوقعوا بالمسلمين وأهل
الذمة وسبوا أكثر من مائة ألف رأس ولتهكروا أمر أعظيالم يسمع بمثله فولى
الرشيد أرمينية ايزيد بن يزيد الشيباني مضافا الى اذريجان ووجه اليهم فظفر
بهم * وفي سنة ست وثمانين ومائة ملك الفرنج لعنهم الله مدينة برشلونة بالاندلس
وأخذوها من المسلمين ونقلوا حجارة ثغورهم اليها وتأخر المسلمون الى ورائهم
وكان سبب ملكهم اياها اشتغال المسلمين بفتنة كانت بينهم

﴿ ذكر غزو الروم ﴾

وحيث ذكر الروم هنا وفيما تقدم وفيما يأتي فالمراد بهم النصارى اليونان الذين
كان لهم ملك القسطنطينية وهم غير النصارى المعروفين بالافرنج كالفرنسيس
وانكثرا * وفي سنة سبع وثمانين ومائة دخل القاسم بن الرشيد أرض الروم
فأناخ على قرطوحصرها ووجه العباس بن جعفر بن محمد بن الاشعث فحصر
حصن سنان حتى جهد أهلها فبعث اليه الروم ثلاثمائة وعشرين أسيرا من
المسلمين على ان يرحل عنهم فأجابهم ورحل عنهم صلحا وكان يملك الروم حينئذ
امرأة اسمها ريني نخلعها الروم وملكته نقفور فكتب نقفور الى الرشيد من
نقفور ملك الروم الى هارون ملك العرب أما بعد فان الملكة التي كانت قبلي
أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق فحملت اليك من أموالها ما كنت
حقيقا بحمل أضعافه اليها لكن ذلك أضعف النساء وحققهن فاذا قرأت كتابي
هذا فارد ما حصل لك من أموالها الا فالسيف بيننا وبينك فلما قرأ الرشيد
الكتاب استغزه الغضب حتى لم يقدر أحدا ينظر اليه دون ان يخاطبه وتفرق
جلساؤه فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من هرون
أمير المؤمنين الى نقفور ركب الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب

ماتراء دون ما سمعه والسلام ثم سار من يومه حتى نزل على هرقله ففتح وغنم
وأحرق وخرب فسأله نقفور المصالحة على خراج يحمله كل سنة فأجابته الى ذلك فلما
رجع من غزوته وصار بالرفقة نقض نقفور العهد وكان البرد شديدا فأمن رجعة
الرشيد اليه فلما جاء الخبر بنقضه ماجسرا أحد على اخبار الرشيد خوفا على أنفسهم
من العود في مثل ذلك البرد واشفاقا من الرشيد فاحتيل له بشاعر من أهل جنده
فقال أبيتا منها

نقض الذي أعطيته نقفور * فعليه دائرة البوار تدور

أبشر أمير المؤمنين فانه * فتح أناك به الاله كبير

فتح يزيد على الفتوح يؤمنا * بالنصر فيه لو أولك المنصور

فلما سمع الرشيد ذلك قال أو قد فعل ذلك نقفور فرجع الى بلاد الروم في أشد زمان
وأعظم كلفة حتى بلغ بلادهم فأقام بها حتى شفي واشتفى وبلغ ما أراد ورجع وفي
هذه السنة ملك الفرنج مدينة تطيلة بالاندلس فجهز الحكيم صاحب الاندلس
وسير العسكر مع ابن عم له فلقى المشركين وقتلهم ففرض جمعهم وهزمهم وقتل
أكثرهم ونجا الباقون منهزمين * وفي سنة ثمان وثمانين ومائة غزا ابراهيم بن
جبرائيل الصائفة فدخل أرض الروم فخرج اليه نقفور ملك الروم واقتلوا
وقتل من الروم أربعون ألفا وسبعمائة * وفي سنة تسع وثمانين كان الفداء بين
المسلمين والروم فلم يبق بأرض الروم مسلم

ذ كرفتح هرقله وقبرس وغيرها *

في سنة تسعين غزا هارون الرشيد الروم في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفا من
المرتزقة سوى الاتباع والمتطوعة وفتح هرقله وأخر بها ووجه داود بن عيسى
سائر في أرض الروم في سبعين ألفا يخرب وينهب ففتح الله عليه وفتح شراحيل
ابن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودلسة وافتتح يزيد بن مخلد الصفصاف
ومقدونية واستعمل حميد بن معيوف على سواحل الشام ومصر فبلغ قبرس
وكانوا قد نقضوا العهد فهدم وأحرق وسبي من أهلها سبعة عشر ألفا ثم سار الرشيد

الى طوانة فنزل بها وبعث نقفور بالخراج والجزية عن رأسه أربعة دنانير وعن رأس ولده دينارين وعن بطارفته كذلك وكتب نقفور الى الرشيد في جارية من سبي هرقله كان خطبها الولده فأرسلها اليه

﴿ ذكر غزى والفرنج بالاندلس ﴾

في سنة احدى وتسعين ومائة تجهز لذريق ملك الفرنج بالاندلس وجمع جموعه ليسير الى مدينة طرطوشة ليحصرها فبلغ ذلك الحكم صاحب الاندلس فجهز العساكر وسير هانم ولده عبد الرحمن فاجتمعوا في جيش عظيم وتبعهم كثير من المتطوعة فسار فلحقوا الافرنج في أطراف بلادهم قبل ان ينالوا من بلاد المسلمين شيئا فاقتتلوا وبذل كل من الطائفتين جهده واستنقذوا معه فأنزله الله تعالى نصره على المسلمين فانهزم الكفار وكثر القتال فيهم والاسر ونهبت أموالهم وأتقالم وعاد المسلمون ظافرين غانمين وفي هذه السنة غزا يزيد بن مخلد الهبيري أرض الروم في عشرة آلاف فأخذت الروم عليه المضيق فقتلوه وخسبوا رجلا وسلم الباقون وفيها أمر الرشيد بهدم الكنائس التي في الثغور وألزم أهل الذمة بمخالفة هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم وفي سنة اثنتين وتسعين تحركت الحزمية بناحية أذربيجان فوجه اليهم الرشيد عبد الله بن مالك في عشرة آلاف فقتل وسبي وأسرف أمره الرشيد بقتل الاسرى وبيع السبي وفي هذه السنة كان الفداء الثاني بين المسلمين والروم وكان عدة الاسرى من المسلمين ألفين وخمسمائة أسير وفي سنة ثلاث وتسعين توفي هارون الرشيد وبيع ابنه الأمين ثم وقع الاختلاف بينه وبين أخيه المأمون الى ان قتل الأمين سنة ثمان وتسعين ومائة وكان المأمون بخراسان فبيع وقدم العراق سنة اثنتين ومائتين وقيل

سنة أربع ﴿ ذكر الغزى والاندلس الى بلاد الفرنج ﴾

في سنة مائتين جهز الحكم صاحب الاندلس جيشا مع وزيره عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الفرنج فسار بالعساكر حتى دخل أرضهم وتوسط بلادهم فخر بها ونهبها وهدم عدة من حصونها كلها ذلك موضعا وصل الى غيره فاستخرج

خزائن ملوكهم فها رأى ملكهم فعل المسلمين ببلادهم كاتب ملوك جميع تلك
النواحي مستنصر بهم فاجتمعت اليه النصرانية من كل اوب فأقبل في جموع
عظيمة بازاء عسكر المسلمين و بينهم نهر فاقتتلوا قتلا شديدا عدة أيام والمسلمون
يريدون ان يعبروا النهر وهم يمنعون المسلمين من ذلك فلما رأى المسلمون ذلك
تأخروا عن النهر فعبر المشركون اليهم فاقتتلوا أعظم قتال فانهم المشركون
الى النهر فأخذهم السيف والاسر فغن عبر النهر سلم وأسر جماعة من ملوكهم
وقامضهم وعاد الفرينج ولزموا جانب النهر بمنعون المسلمين من جوازه فبقوا
كذلك ثلاثة عشر يوما يقتتلون كل يوم فيجاءت الامطار وزاد النهر وتعدر
جوازه ففقل عبد الكريم عنهم وفي سنة احدى ومائتين وقع انتفاض في الديلم
فسير المأمون عبد الله بن خرداذبه والى طبرستان فافتتح جبال طبرستان وأسر
ملك الديلم وأشغفه الى المأمون وفي سنة ست ومائتين توفي الحكم صاحب
الاندلس وقام بالامر بعده ابنه عبد الرحمن الاوسط وفي هذه السنة غز المسلمون
من افريقية جزيرة سردانية فغنموا وأصابوا من الكفار وأصيب منهم ثم عادوا
وفي سنة ثمان ومائتين سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى
الافرنج واستعمل عليه الوزير عبد الكريم بن عبد الواحد بن نميت فساروا
الى البتة والقلاع فهبوا بلاد البتة وأحرقوها وحصروا عدة من الحصون ففتحوها
بعضها وصالحه بعضها على مال واطلاق الأسرى من المسلمين فغنم أموالا جلييلة
القدر واستنقذوا من أسارى المسلمين وسبيهم كثيرا وعادوا سالمين وفي سنة عشر
ومائتين سير عبد الرحمن بن الحكم أيضا جيشا الى بلاد الافرنج واستعمل عليه ابنه
عبيد الله المعروف بابن البلسي فسار ودخل بلاد العدو وتردد فيها بالغارات
والسبي والقتل والأسر ولقي جيوش الاعداء في ربيع الاول فاقتتلوا وانهمز
المشركون وكثر القتل فيهم وكان فتعا عظيما وفيها افتتح عسكر سيده عبد الرحمن
أيضا حصن القلعة من أرض العدو وتردد فيها بالغارات منتصفا شهر رمضان
وفي سنة ثنتي عشرة ومائتين سير عبد الرحمن أيضا جيشا الى بلاد الافرنج فوصلوا

الى برشلوبية ثم ساروا الى جرنده وقاتل أهلها فأقام الجيش شهرين ينهبون
ويقتلون ويخربون ثم رجعوا وفي هذه السنة سير زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب
عامل المأمون على افريقية جيشا في البحر الى جزيرة صقلية وكان الروم تغلبوا
عليها فلما وصلوا اليها ملكوا كثيرا منهم ثم أمد الروم قسطنطين ملكهم بجيوش
ووقعت وقائع كثيرة ثم كان النصر للمسلمين وقتلوا من الروم خلقا كثيرا

✽ ذكر غزوة المأمون الى الروم ✽

في سنة خمس عشرة ومائتين سار المأمون الى الروم في المحرم وانتهى الى طرسوس
ودخل منها بلاد الروم في جمادى الاولى ودخل ابنه العباس من ملطية فأقام
المأمون على حصن قره حتى افتحه عنوة وهدمه وقيل ان أهله طلبوا الامان
فأمهم وفتح قبله حصن ماجدة ووجه اشناش الى حصن سندس فأناه برئيسه ووجه
عجيف بن عنبسة وجعفر الخياط الى صاحب حصن سناذ فسمع وأطاع ثم رجع
المأمون وفي سنة ست عشرة ومائتين عاد المأمون الى بلاد الروم وسبب ذلك انه
بلغه ان ملك الروم قتل ألفا وستمائة من أهل طرسوس والمصيصة فسار حتى دخل
أرض الروم وقيل ان سبب دخوله ان ملك الروم كتب اليه بدأ بنفسه فسار ولم
يقرأ كتابه فلما دخل أرض الروم أناخ على انطيعو فخرجوا على صلح ثم سار
الى هرقله فخرج أهلها على صلح ووجه أخاه المعتصم فافتح ثلاثين حصنا
ومطمورة ووجه يحيى بن أكرم من طوانة فأغار وقتل وأحرق وأصاب سبيا
ورجع ثم سار المأمون الى كيسوم فأقام بها يومين ثم رحل الى دمشق ثم الى مصر
ثم رجع الى الروم سنة سبع عشرة ومائتين فأناخ على لؤلؤة وهي اسم الحصن مائة
يوم ثم رحل عنها وترك عجيفا عليها فخدع وأسر ثمانية أيام ثم أطلق ثم جاء ملك الروم
فأحاط بعجيف فبعث اليه المأمون الجنود فارتحل ملك الروم وخرج أهل لؤلؤة
الى عجيف بأمان وأرسل ملك الروم يطلب المه سادنة فلم يتم ذلك وفي سنة ثمان
عشرة ومائتين توفي المأمون وهو في بلاد الروم عند نهر البندنون ورحل الى
طرسوس فدفن بها وبويع أخوه المعتصم بوصية منه وعهد اليه وفي هذه السنة

دخل كثير من أهل الجبال وهمدان وأصفهان وما سبندان وغيرها في دين الخزمية
وتجمعوا فمسكروا في عمل همدان فوجه اليهم المعتصم العساكر وعليهم اسحاق بن
ابراهيم بن مصعب فأوقع بهم في أعمال همدان وقتل منهم ستين ألفا وهرب الباقيون
الى بلاد الروم والخزمية فرقة من المجوس يعتقدون مذهب التناسخ وان الارواح
تنتقل من حيوان الى غيره والرجل منهم ينكح أمه وأخته وبنته ورئيسهم بابك
الخرمي وكان للمعتصم معهم وقائع يطول الكلام بذكرها الى ان أباد كثير منهم
بالمقتل والاسر

﴿ ذكر خروج الروم الى زبطرة ﴾
في سنة ثلاث وعشرين ومائتين خرج ملك الروم الى بلاد الاسلام وأوقع بأهل
زبطرة وغيرها قيل انه خرج في مائة ألف وقيل أكثر من ذلك فقتل أهل زبطرة
الرجال وسبي الذرية والنساء وأغار على أهل ماطية وغيرها من حصون المساميين
وسبي المسلمات ومثل بمن صار في يده من المسلمين وسمل أعينهم وقطع أنوفهم
وأذنانهم فنفر الى قتالهم أهل الثغور من الشام والجزيرة الا من لم يكن له
دابة ولا سلاح

﴿ ذكر فتح عمورية وهي بروسة ﴾
لما خرج ملك الروم وفعل في بلاد الاسلام ما فعل بلغ الخبر المعتصم فاستعظمه وكبر
لديه وبلغه أن امرأة هاشمية صاحت وهي أسيرة في أيدي الروم وامعتصماه
فأجابها وهو جالس على سرير له لبيك لبيك ونهض من ساعته وصاح في قصره
افنير النفير وبلغه أن عمورية عين النصرانية وأشرف عندهم من القسطنطينية
لتمجهز بما لم يعهد من السلاح وحياض الادم وغير ذلك وفرق عساكره ثلاث
فرق فخر بوابلاد الروم وقتلوا كثيرا وأحرقوا ووصلوا الى انقورية ثم
اجتمعوا في عمورية وحاصروها ونصبوا عليها المجانيق وكانت في غاية الحصانة
وقد ذكر الشيخ محيي الدين بن العربي في كتابه المسمى بالمسامرة فتح عمورية
فقال فتحها المعتصم في رمضان سنة ثلاث وعشرين ومائتين وسبب فتحها ان
رجلا وقف على المعتصم فقال يا أمير المؤمنين كنت بعمورية وجارية من أحسن
النساء سيرة فدلطمتها علج في وجهها فنادت وامعتصماه فقال العليج وما يقدر عليه

المعتصم بجيء على ابلق ينصره و زاد في ضربها فقال المعتصم وفي أي جهة
عمورية فقال له الرجل هكذا وأشار الى جهتها فرد المعتصم وجهه اليها وقال لبيك
أيتها الجارية لبيك هذا المعتصم بالله أجابك ثم تجهز اليها في اثني عشر ألف فرس
أبلق وفي هذه التلبية يقول له في قصيدة أبو تمام حبيب الطائي

ليبت صوتا رطيبا فدهرقت له * كأس الكرى ورضاب الخرد العرب
فلما حاصرها و طال مقامه عليها جمع المنجمين فقالوا له انك ما تفتحها الا في
زمان نضج العنب والتين فبعد عليه ذلك واغتم لذلك فخرج ليلته متجسسا في
العسكر يسمع ما يقول الناس فر بنحيمه حننا يصرب نعال الخيل وبين يديه غلام
أقرع فبيح الصورة يضرب نعال الخيل ويقول في رأس المعتصم فقال له معلمه
اتركنا من هذا مالك والمعتصم فقال ما عنده تديره كذا وكذا يوم اعلی هذه المدينة
مع قوته ولا يفتحها لو أعطاني الامر ما بان غدا الا فيها فتعجب المعتصم مما سمع
وانصرف الى خيامه وترك بعض رجاله موكلا بالسلام فلما أصبح جاؤا به فقال
ما حملك يا هذا على ما بلغني عنك فقال الذي بلغك حق و لني ما وراء خيائك وقد فتح
الله عمورية فقال قد وليتك وخلع عليه وقدمه على الحرب فجمع الرماة واختار
منهم أهل الاصابة وجاء الى بدن من أبدان الصور وفي البدن من أوله الى آخره
خط اسود من خشب عرضه ثلاثة أشبار أو أكثر فحمى السهام بالنار وقال للرماة
من أخطأ منكم ذلك الخط الاسود ضربت عنقه واذا بذلك الخط خشب ساج
فعند ما حصلت فيه السهام المحمية قامت النار فيه واحترق فنزل البدن كما هو ونحاهم
الرجال ودخل البلد بالسيف وذلك قبل الزمان الذي ذكره المنجمون وفي ذلك
يقول أبو تمام حبيب الطائي في قصيدته التي امتدح بها المعتصم عند فتحه عمورية
السيف أصدق انباء من الكتب * في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفايح لاسود الصعائف في * متونهن جلاء الشك والريب
الى آخر ما ذكره في القصيدة فلما دخلها ومعه الرجل الذي بلغه حديث الجارية
قال له سر بي الى الموضع الذي رأيتها فيه فسار به وأخرجهما من موضعها وقال لها

يا جارية هل أجابك المعتصم وملكها العليج الذي اطمها والسيد الذي كان يملكها
وجميع ماله وأخذ السيف الروم وأقبل الناس بالأسرى والسبي من كل وجه وأقام
عليها خمسة وخمسين يوما وقرق الأسرى على القواد وسار الى نحو طرسوس ثم
رجع الى دار ملكه

﴿ ذكر غزوات زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب عامل افرقية ﴾

قد تقدم ذكر غزوة من غزواته سنة ثنتي عشرة ومائتين ثم كانت له غزوة في سنة
ثلاث عشرة وكذا في سنة أربع عشرة وهكذا الى سنة ثلاث وعشرين ومائتين
والكلام على تفصيل تلك الغزوات طويل وفي أكثرها كان النصر للمسلمين
وتوفي زيادة الله المذكور سنة ثلاث وعشرين وولى بعده أخوه الأغلب بن ابراهيم
ابن الأغلب وسير سنة أربع وعشرين الى صقلية فغنمت وسامت وفي
سنة خمس وعشرين استأمن عدة حصون الى المسلمين من جزيرة صقلية منها
حصن البلوط وقرلوره ومرو وسار اسطول المسلمين الى فلورية ففتحها ولقي
اسطول صاحب القسطنطينية فهزموه بعد قتال فعاد الاسطول الى
القسطنطينية مهزوما فكان فتحا عظيما وفي سنة ست وعشرين ومائتين سارت
سرية للمسلمين بصقلية الى قصر يانة فغنمت وأحرقت وسبت فلم يخرج اليهم أحد
فسارت الى حصن الغيران وهو أربعون غارا فغنمت جميعها وفي سنة ثلاث
وعشرين سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى البسة والقلاع
فتزلوا حصن الفرات وغنموا ما فيه وقتلوا أهله وسبوا النساء والذرية وعادوا
وسير جيشا أيضا في سنة أربع وعشرين فكان بينهم وبين المشركين حرب شديدة
فانهزم المشركون وقتل منهم ما لا يحصى وفعل مثل ذلك سنة خمس وعشرين
ومائتين وفي سنة أربع وعشرين بنقض كثير من أهل طبرستان فجهز المعتصم
عليهم الجيوش وقتلهم وقتل كثيرا منهم وأسرا آخرين حتى رجعوا الى الطاعة
وتوفي المعتصم سنة سبع وعشرين ومائتين وبويج ابنه الواثق وفي هذه السنة
سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى أرض العدو فلما كانوا بين

أر بونة وشرطانية تجمعت الروم عليهم وأحاطوا بالعسكر وقتلواهم الليل كله فلما أصبحوا أنزل الله نصره على المسلمين وهزم عدوهم وفي هذه السنة أيضا سير عبد الرحمن بن الحكم جيشا وجعل عليه عبد الله المعروف بابن البلتسي الى بلاد العدو فوصلوا الى البتة والقلاع فخرج اليه المشركون في جمهم وكان بينهم حرب شديدة وقتال عظيم فانهزم المشركون وقتل منهم ما لا يحصى وجمعت الرؤس أكدا سا أي مجموها بعضها فوق بعض حتى كان الفارس لا يرى من يقابله وفيها خرج ملكهم لذريق في عسكره وأراد الغارة على مدينة سالم من الاندلس فسار اليه فرنون بن موسى في عسكر جرار فلقيه وقاتله فانهزم لذريق وكثر القتل في عسكره وسار فرنون الى الحصن الذي كان بناه أهل البتة وراء نفور المسلمين فحصره وافتحه وهدمه

﴿ ذكر غزوات بأفريقية ﴾

وفي سنة ثمان وعشرين ومائتين غزا في البحر بأفريقية الفضل بن جعفر الهمداني فنزل مرسى مسيني وبث السرايا فغنموا غنائم كثيرة واستأمن اليه أهل نابل وصاروا معه وقاتل الفضل الروم الذين بهامدة سنتين واشتد القتال فلم يقدر على أخذها فغضى طائفة من العسكر واستداروا خلف جبل مطل على المدينة فصعدوا اليه ونزلوا الى المدينة وأهل البلاد مشغولون بقتال الفضل بن جعفر ومن معه فلما رأى أهل البلدان المسلمين دخلوا عليهم من خلفهم انهزموا وفتح البلد وفتح أيضا مدينة مسكان وفي سنة تسع وعشرين ومائتين خرج أبو الغلب العباس ابن الفضل في سرية فبلغ شرقة فقاتله أهلها قتالا شديدا فانهزمت الروم وقتل منهم ما يزيد على عشرة آلاف رجل واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر ولم يكن بصقلية مثلها وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين حصر الفضل بن جعفر مدينة مسيني فأخبر الفضل أن أهل مسيني كاتبوا البطريرق الذي بصقلية لينصرهم فأجابهم وقال لهم ان العلامة عند وصولي أن يوقد النار ثلاث ليال على الجبل الفلاني فاذا رأيتم ذلك في اليوم الرابع أصل اليكم فنجتمع أنا وأنتم على المسلمين بغتة فأرسل الفضل من أوقد النار على ذلك الجبل ثلاث ليال فلما رأى أهل مسيني النار أخذوا في أمرهم

وأعد الفضل ما ينبغي أن يستعده به وكمن الكمناء وأمر الذين يحاصرون المدينة
أن ينهزموا إلى جهة الكمين فإذا خرج أهلها عليهم قاتلوهم فإذا جاوزوا الكمين
عطفوا عليهم فلما كان اليوم الرابع خرج أهل مسيني وقاتلوا المسلمين وهم
ينتظرون وصول البطريق فانهزم المسلمون واستجروا الروم حتى جاوزوا
الكمين ولم يبق بالبلد أحد الا خرج فلما جاوزوا الكمين عاد المسلمون عليهم
وخرج الكمين من خلفهم ووضعوا السيف فيهم فلم ينج منهم الا القليل فسألوا
الامان على أنفسهم وأموالهم ليساموا المدينة فأجابهم المسلمون الى ذلك وأمنوهم
وساموا المدينة وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وصل عشر شلنديات من الروم
فأرسوا بمرسى الطين وخرجوا ليغيروا فاضلوا الطريق فرجعوا خائبين وركبوا
البحر راجعين فغرق منها سبع قطع وفي سنة أربع وثلاثين ومائتين صالح أهل
رغوس وساموا المدينة الى المسلمين بما فيها فهدمها المسلمون وأخذوا منها ما يمكن
حمله وفي سنة خمس وثلاثين سار طائفة من المسلمين الى المدينة فصرىانة فغنموا
وسبوا واحرقوا وقتلوا في أهلها وكان الامير على صقلية للمسلمين محمد بن عبد الله بن
الاغلب وكان مقبلا بمدينة بلرم ولم يخرج منها وانما كان يخرج الجيوش والسرايا
فتفتح وتغنم وكانت امارته عليها تسع عشرة سنة وتوفي سنة ست وثلاثين ومائتين
وفي سنة ثمان وعشرين ومائتين بعث عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس
جيشا عليهم الحارث بن بزيع لقتال الافرنج فوقع القتال وأصاب الحارث ضربة
في وجهه فامت عينه ثم أسر فجهز عبد الرحمن بن الحكم جيشا واستعمل عليه ابنه
محمد فأوقع بالافرنج وقتل ملكهم غرسية وكثيرا من قومه وأطلق الحارث بن
بزيع وفي سنة ثلاثين ومائتين خرج جماعة كثير من في بحر الاندلس من المجوس
وأوقعوا بالمسلمين في مدائن كثيرة فجهز عليهم عبد الرحمن بن الحكم جيشا
كبيرة مع قواده فقاتلوا المجوس فتلاشديدوا وهزموهم وقتلوا كثيرا منهم في
وقائع كثيرة وفي سنة احدى وثلاثين ومائتين بعث الواثق جيشا لقتال الروم
فقتلوا واجباقية وقتلوا وأسروا وسبوا وغنموا ثم قصدوا مدينة اليون فحصروها

ورموا بالمجانيق فخاف أهلها فتركوها بما فيها وخر جواهرها بين فغنم المسلمون
منهم ما أرادوا وخر بوا البلاد ولم يقدروا على هدم سورها لان عرضها سبع
عشرة ذراعا فتركوه ومضوا وقد ثاموا فيه ثلما كثيرة وفي هذه السنة أمر الوائق
بفداء المسلمين واجتمع المسلمون والروم على نهر اللامس وأحضر المسلمون
من معهم من الاسرى وأحضر المشركون من معهم من الاسرى وكان النهر بين
الطائفتين فكان المسلمون يطلقون الاسير فيطلق الروم الاسير من المسلمين
فيلتقيان في وسط النهر ويأتي كل الى أصحابه فاذا وصل الاسير الى المسلمين كبروا
واذا وصل الاسير الى الروم صاحوا حتى فرغوا وكان النهر مخاضة تعبها الاسرى
وكان عدة أسرى المسلمين أربعة آلاف وأربعمائة وستين نفسا ومن النساء
والصبيان ثمانمائة نفس والملحق بالمسلمين من أهل الذمة مائة نفس ولما فرغوا من
الفداء غزا أحمد بن سعيد بن مسلم الباهلي المقدم في أمر الفداء شاتيا فأصاب
الناس ثلج ومطرفات من المسلمين مائتا نفس وأسروا نحوهم وغرق بالبد ندون
خلق كثير وجاء بطريق من الروم يندره فقال وجوه الناس لاجدان عسكريا فيه
سبعة آلاف لا تخوف عليهم فان كنت كذلك فواجه القوم واطرق بلادهم
ففعل وغنم نحوها من ألف بقرة وعشرة آلاف شاة ورجع فغزله الوائق
واستعمل مكانه نصر بن حمزة الخزاعي وتوفي الوائق سنة اثنين وثلاثين وبويع
أخوه المتوكل بن المعتصم وفي سنة خمس وثلاثين سير عبد الرحمن بن الحكم
صاحب الاندلس جيشا كثيفا لقتال الافرنج فبلغوا البتة وغنموا وظفروا وفي
سنة ست وثلاثين سير جيشا الى برشلونة فقتلوا من أهلها فأكثروا وأسروا
غفيرا وغنموا وعادوا سالمين وكذا في سنة سبع وثلاثين وتوفي الحكم سنة ثمان
وثلاثين وقام بالامر بعده ابنه محمد

﴿ ذكر غزوات وفتوحات بأفريقية ﴾

قد تقدم أن ابتداء فتوح المسلمين لأفريقية كان في خلافة سيدنا عثمان بن عفان
رضي الله عنه على يد عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة عشر من الهجرة ولما

كانت خلافة هارون الرشيد ولي على أفريقية ابراهيم بن الاغلب التميمي سنة
أربع وثمانين ومائة وتوارث بنوه الملك بعده عمال الخلفاء بنى العباس واستقر ذلك
فيهم الى سنة مائتين وست وتسعين فزال دولتهم لما صار ملك أفريقية للفاطميين
ويقال لهم العبيديون فكانت مدة ملك بنى الاغلب مائة سنة واثنى عشرة سنة
وكان مقر ملكهم القيروان واتسع ملكهم وقوى بأفريقية وصار لهم أموال كثيرة
وخيل وجنود وافرة وملك ضخم ومراكب في البحر ولهم كثير من الماثر
المحمودة والمواقف المشهودة والغزوات الكثيرة والفتوحات الشهيرة وقد تقدم
ذكر كثير منها وسيأتي غيرها وأكثر فتوحات أفريقية كان على أيديهم وتقدم
أن أول من اختط مدينة القيروان عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه ولد في
عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم تثبت له صحبة وكان صالحا من كبار التابعين
وخيارهم وكان خطة القيروان سنة خمسين من الهجرة حين كان أميراً على
أفريقية في خلافة معاوية رضي الله عنه فلما اختطها صارت قاعدة أفريقية
ومقر ملكها ثم بعد سنين كثيرة صارت مدينة تونس بدلا عنها وأفريقية بلاد
واسعة قال في القاموس أن أفريقية قبالة الاندلس وقال السيد مرئى في
شرح على القاموس أن أفريقية قبالة جزيرة صقلية منحرفة الى الشرق
والاندلس منحرفة عنها الى جهة المغرب وصقلية بكسرات مشددة اللام
جزيرة عظيمة بالمغرب كثيرة البلدان والقرى والمواشي افتتح المسلمون كثير من
مدائنها وقرىها بعد غزوات كثيرة وكان أول الغزوات اليها من ولاية معاوية بن خديج
على أفريقية في خلافة معاوية رضي الله عنه ولم يفتحها وتتابع الغزوات اليها في زمن
ولاية بنى الاغلب من أول دولتهم الى آخرها وتماكروا أكثر الجزيرة ولم يزل الفتح
فيها والغزوات اليها ولم يتم فتحها الى أن انقضت ولاية بنى الاغلب سنة مائتين وست
وتسعين وجزيرة صقلية الآن داخله في ممالك ايطاليا واعلم أن المغرب يشتمل على
ثلاث ممالك عظام وهي المغرب الاذن والمغرب الاوسط والمغرب الاقصى فالمغرب
الاذني القيروان وتونس وطرابلس الغرب وأعمال كل منها والمغرب الاوسط

تلمسان والجزائر وأعمالها وذلك الآن بيد الفرنسيس تملكوه من سنة ألف
ومائتين وست وأربعين والمغرب الأقصى فاس ومراكش والسوس وأعمال كل
منها وذلك الآن بيد سلطان فاس وإنما قيل لذلك المغرب الأقصى لأنه أبعد عن دار
الخلافة في صدر الاسلام وكان قبل استحداث مدينة تونس موجود مدينة
عظيمة تسمى (قرطاجنة) بتشديد النون المفتوحة وكانت مدينة شهيرة
من عجائب الدنيا وكانت عند الروم تضاهاى مدينة رومة وكان بها كثير من ملوك
الفرنج ومعهم من الفرنج أم لا تحصى فغزاها المسلمون سنة تسع وستين من
الهجرة بأربعين ألفا من الجند أميرهم حسان بن النعمان في خلافة عبد الملك بن
مروان فحاصرها حسان بن النعمان بمن معه من الجند إلى أن افتتحها وقتل كثيرا
من كان فيها ونجا قوم منهم في المراكب إلى جزيرة صقلية وقوم منهم إلى الأندلس
ولما انصرف عنها حسان بن النعمان دخلها قوم من أهل الضواحي والبادية
وتحصنوا بها فرجع اليهم حسان وقتلهم أشد قتال وافتتحها عنوة وأمر بتخريبها
واعفاء أثرها وكسرقنواتها فذهبت كأمس الدابر ولم يبق بها إلا آثار خفيفة
تدل على ما كان فيها من عجائب الصنعة واحكام العمل وعمر بانقاضها مدينة تونس
بالقرب منها ومن غزوات بنى الأغلب غزوة لزيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب في
سنة مائتين واثنين جهز جيشا في مراكب البحر إلى مدينة سردانية وهي
جزيرة كبيرة ببحر المغرب كانت للروم ففتحوا وقتلوا كثيرا ورجعوا سالمين
* وفي سنة سبع ومائتين سير جيشا ففتحوا مواضع من جزيرة صقلية وسير أيضا
جيشا في سنة ثنتي عشرة ففتحوا أيضا مواضع كثيرة من جزيرة صقلية ثم وقع
اختلاف بين ملوك الروم الذين كانوا في صقلية فاستنجد بعض منهم بزيادة الله بن
الأغلب ووعدته بأنه يملكه جزيرة صقلية فسير معه جيشا في ربيع الأول من سنة
ثنتي عشرة ومائتين فوصلوا إلى مدينة مازر من صقلية ثم ساروا فلقبهم جمع من
الروم فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا فانهزمت الروم وقتل كثير منهم وغنم المسلمون
أموالهم ودوابهم واستولى المسلمون على عدة حصون من الجزيرة ثم توجهوا

الى حصار قصر يانة وهى من جزيرة صقلية وبت المسمون السرايا فى كل ناحية
فغنموا شيا كثيرا وافتنحوا عمرانا كثيرة حول سرقوسة وحاصر واسرقوسة
براو بحر اولحقهم الامداد من افريقية فضيقتوا على سرقوسة فوصل أسطول من
القسطنطينية فيه جمع كثير من الروم مددا لجماعانهم وذلك فى سنة ثلاث عشرة
ومائتين وكان قد حل بالمسلمين وباء شديد هلك فيه كثير منهم فلما رأى المسلمون
شدة الوباء ووصول الروم تحمل المسلمون فى مراكبهم ليسيروا ويتركوا
الحصار فوقف الروم فى مراكبهم على باب المرسى فغنموا المسلمين من الخروج
فلما رأى المسلمون ذلك أحرقوا مراكبهم وعادوا ورحلوا الى مدينة ميناء
فحصروها ثلاثة أيام وتسلموا الحصن وسار طائفة منهم الى حصن جرجنت
فقاتلوا أهله وملكوه وسكنوا فيه واشتدت نفوس المسلمين بهذا الفتح وفرحوا
ثم ساروا الى مدينة قصر يانة ووصل جيش كثير من القسطنطينية مدد المن فى
الجزيرة فمتصافوا بهم والمسلمون واقتتلوا فانهزم الروم وقتل منهم خلق كثير
ودخل منهم من سلم قصر يانة ثم ان سرية للمسلمين سارت للغنمة فخرج عليها
طائفة من الروم فاقتتلوا وانهزم المسلمون وعادوا من الغدوم معهم جمع من عسكر
المسلمين فخرج اليهم الروم وقد اجتمعوا وحشدوا وتصافوا مرة ثانية واقتتلوا
فانهزم المسلمون أيضا وقتل منهم نحو ألف قتيل وعادوا الى معسكرهم وخندقوا
عليهم فحصرهم الروم ودام القتال بينهم فضاقت الأقوات على المسلمين فغزموا
على بيات الروم فعلموا بهم ففارقوا الخيام فلما خرج المسلمون لبيات الروم لم
يجدوا أحدا وأقبل عليهم الروم من كل ناحية فأكثروا القتل فى المسلمين
وانهزم الباقون من المسلمين ودخلوا ميناء فحصرهم الروم ودام الحصار على
المسلمين حتى أكلوا الدواب والكلاب فلما سمع بذلك من فى مدينة جرجنت من
المسلمين هدموا المدينة وساروا الى مازرو ولم يقدر واصل نصرة اخوانهم من
المسلمين ودام الحال الى أن دخلت سنة أربع عشرة ومائتين وقد أشرف
المسلمون على الهلاك اذا قبل أسطول كثير من المسلمين الذين فى الأندلس

خرجوا غزاة ووصل أيضا في ذلك الوقت مراكب كثيرة من افريقية مددا
للمسلمين فبلغت عدة الجميع ثلاثمائة مركب فنزلوا الى الجزيرة فانهزم الروم عن
حصار المسلمين وفرج الله عنهم وسار المسلمون الى مدينة بلرم وكانت للروم
محصروها وضيقوا على من بها فطلب صاحبها الامان لنفسه ولأهله وللماله
فأجيب الى ذلك وسار في البحر الى بلاد الروم ودخل المسلمون البلد في رجب
سنة ست عشرة ومائتين فلم يروا فيه الاقل من ثلاثة آلاف انسان وكان فيهما
حصروه سبعون ألفا وماتوا كلهم وبقى المسلمون الى سنة تسع عشرة ومائتين
ثم ساروا الى مدينة قصر يانة فخرج اليهم من كان فيها من الروم فاقتتلوا أشد
قتال ففتح الله على المسلمين وانهزم الروم الى معسكرهم ثم رجعوا في الربيع
فقاتلهم فنصر الله المسلمين أيضا ثم سار المسلمون أيضا سنة عشر من الى
قصر يانة فقاتلهم الروم فهزمهم الله تعالى وانتصر المسلمون عليهم وأسرت امرأة
لبطريقهم وابن له وغنم المسلمون ما كان في معسكرهم وعادوا الى بلرم ثم سيروا
عسكرا الى ناحية طبرمين فغنموا غنائم كثيرة ثم عاد بعض عسكر المسلمين على
أمير المسلمين وهو محمد بن سالم فقتلوه ولحقوا بالروم فأرسل زيادة الله بن الأغلب
من افريقية الفضل بن يعقوب عوضا عنه فسار في سرية الى ناحية سر قوسة
فأصابوا غنائم كثيرة وعادوا ثم سارت سرية كبيرة فغنمت وعادت فعرض لهم
الملك صاحب صقلية ومعه جمع كثير من الروم فحاصروا من الروم في أرض وعرة
وشجر كثيف فلم يتمكن الملك من قتالهم وواقفهم الى العصر فلما رأى أنهم لا
يقاتلونهم عاد عنهم فتفرق أصحابه وترهبوا التعبية فلما رأى المسلمون ذلك حملوا
عليهم جملة صادقة فانهزم الروم ووطعن الملك وجرح عدة جراحات وسقط عن
فرسه فأتاه جماعة أصحابه واستنقذوه جرحا وجلاوة وغنم المسلمون ما معهم من سلاح
ومتاع ودواب فكانت وقعة عظيمة وسير زيادة الله بن الأغلب من افريقية الى
صقلية أبا الاغلب ابراهيم بن عبد الله أميرا على تلك الجيوش فوصل اليهم منتصف
رمضان فبعث أسطولاً فلقوا بجمعا للروم في أسطول فغنم المسلمون ما فيه من مال

وأمر وأما فيه من رجال فضرب أبو الاغلب رقاب كل من فيه وبعث أسطولا
آخر الى قوصرة فظفر بمحراقة فيها رجال من الروم ورجل من أهل افريقية
كان مسلما فتصرفا فيهم فضربت رقابهم وسارت سرية أخرى الى جبل النار
والحصون التي في تلك الناحية فأحرقوا الزرع وغنموا وأكثروا القتل ثم سير
أبو الاغلب سنة احدى وعشرين ومائتين سرية الى جبل النار أيضا فغنموا غنائم
عظيمة حتى يبيع الرقيق بأبخس الأثمان وعادوا سالمين وفيها سير أبو الاغلب أيضا
سرية الى قسطنطينية فغنموا وسبوا ولقيهم العدو فكانت بينهم حرب استظهر فيها
الروم وفيها أيضا جهز أسطولا فساروا نحو الجزائر فغنموا غنائم عظيمة وفتحوا
مدنا وعاقل وعادوا سالمين وفيها أيضا سير سرية الى مدينة قصر يانة فخرج اليهم
العدو فافتتلوا فانهمز المسلمون وأصيب منهم جماعة ثم كانت وقعة أخرى بين
الروم والمسلمين فانهمز الروم وغنم المسلمون منهم تسعة مراكب كبار برجالها
وشلندي فلما جاء الشتاء وأظلم الليل رأى رجل من المسلمين غفلة من أهل
قصر يانة فتقرب ورأى طرفا فدخل منه ولم يعلم به أحد ثم انصرف الى العسكر
فأخبرهم فجاؤا معه فدخلوا من ذلك الموضع وكبروا وملكوا ربهضه ونحصن
المشركون منهم بحصنه وطلبوا الامان فأمنوهم وغنم المسلمون غنائم كثيرة
وعادوا الى بلرم وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين وصل كثير من الروم في البحر الى
صقلية وكان المسلمون قد حاصروا جلفوزي وقد طال حصارها فلما وصل الروم
رحل المسلمون عنها وجرى بينهم وبين الروم الواصلين حروب كثيرة ثم جاء
للمسلمين الخبر بوفاة زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب أمير افريقية فوهن
المسلمون ثم تشجعوا وضبطوا أنفسهم (سرقوسة) بسين مفتوحة وقاف
وواو وسين ثانية (و بلرم) بفتح الباء الموحدة واللام وتسكين الراء وبعدها ميم
(ميناو) ميم وياء تحته نقطتان ونون وبعدها الف واو (جرجت) بجيم وراء
وجيم ثانية مفتوحة وناء فوقها نقطتان و(قصر يانة) بالفاء والصاد المهملة
والراء والياء تحته نقطتان وبعدها الف نون مشددة وها، وهذه الغزوات هي التي

ذَكَرَتْ بِمَجْمَلَةٍ قَبْلَ هَذَا الْمَوْضِعِ بِوَرَقَةٍ اسْتَحْسِنَانِدَارِكَ ذَكَرَهَا تَفْصِيلاً مَا
اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْفَوَائِدِ وَلَمَّا تَوَفَّى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرَ صَقْلِيَّةَ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ
كَمَّا تَقَدَّمَ اجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ بِهَا عَلَى وِلَايَةِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ يَعْقُوبَ فَوَلَّوهُ
أَمْرَهُمْ وَكَتَبُوا بِذَلِكَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْأَغْلَبِ أَمِيرِ أFRِيقِيَّةٍ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَهْدَ بُولَايَتِهِ
فَكَانَ الْعَبَّاسُ يَرْسِلُ السَّرَايَا وَيَأْتِيهِ الْغَنَائِمُ إِلَى أَنْ أَنَاهُ عَهْدُهُ بِوِلَايَتِهِ فَخَرَجَ
بِنَفْسِهِ وَأَرْسَلَ سَرِيَّةً إِلَى فُلَعَةَ أَبِي ثَوْرٍ فَغَنِمُوا وَأَسْرُوا وَعَادُوا فَقَتَلَ الْأَسْرَى ثُمَّ
تَوَجَّهَ إِلَى مَدِينَةِ قَصْرِ يَانَةَ فَهَبَّ وَأَحْرَقَ وَخَرَّبَ لِيُخْرِجَ إِلَيْهِ الْبَطْرِيْقَ فَلَمْ يَفْعَلْ فَعَادَ
الْعَبَّاسُ * وَفِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ خَرَجَ حَتَّى بَلَغَ قَصْرَ يَانَةَ وَهِيَ الْمَدِينَةُ
الَّتِي بِهَا دَارُ الْمَلِكِ بِصَقْلِيَّةٍ وَكَانَ قَبْلَهَا يَسْكُنُ سَرْقُوسَةَ فَلَمَّا مَلَكَ الْمُسْلِمُونَ بَعْضَ
الْجَزِيرَةِ نَقَلَ دَارَ الْمَلِكِ إِلَى قَصْرِ يَانَةَ لِخِصَانَتِهَا فَخَرَجَ الْعَبَّاسُ وَمَعَهُ جَمْعٌ عَظِيمٌ فَغَنِمَ
وَخَرَّبَ وَأَتَى قَطَانِيَّةً وَسَرْقُوسَةَ وَنُوطُسَ وَرَغُوسَ فَغَنِمَ مِنْ جَمِيعِ هَذِهِ الْبِلَادِ
وَخَرَّبَ وَأَحْرَقَ وَنَزَلَ عَلَى شَيْبَةَ وَحَصَرَهَا خَمْسَةَ أَشْهُرٍ فَصَالَحَ أَهْلَهَا عَلَى خَمْسَةِ
آلَافِ رَأْسٍ * وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَارَ الْعَبَّاسُ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ فَفَتَحَ حِصُونًا
جَمَّةً * وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ سَارَ إِلَى قَصْرِ يَانَةَ فَخَرَجَ أَهْلُهَا فَلَقَوْهُ فَهَزَمَهُمْ وَقَتَلَ
فِيهِمْ فَأَكْثَرَ وَقَصَدَ سَرْقُوسَةَ وَطَبْرَمِينَ وَغَيْرَهُمَا فَهَبَّ وَخَرَّبَ وَأَحْرَقَ وَنَزَلَ عَلَى
الْقَصْرِ الْجَدِيدِ وَحَصَرَهُ وَضَيَّقَ عَلَى مَنْ فِيهِ مِنَ الرُّومِ فَبَدَلُوا لَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ
دِينَارٍ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ وَأَطَالَ الْحَصْرَ فَسَلِمُوا إِلَيْهِ الْحِصْنَ عَلَى شَرْطِ أَنْ يُطْلَقَ مِائَتِي
نَفْسٍ فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَمَلَكَهُ وَبَاعَ كُلَّ مَنْ فِيهِ سِوَى مِائَتِي نَفْسٍ وَهَدَمَ الْحِصْنَ

ذَكَرَ فَنَحَى قَصْرَ يَانَةَ

فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ فَفَتَحَ الْمُسْلِمُونَ مَدِينَةَ قَصْرِ يَانَةَ وَهِيَ الْمَدِينَةُ الَّتِي بِهَا
دَارُ الْمَلِكِ بِصَقْلِيَّةٍ وَكَانَ الْمَلِكُ قَبْلَهَا يَسْكُنُ سَرْقُوسَةَ فَلَمَّا مَلَكَ الْمُسْلِمُونَ بَعْضَ
الْجَزِيرَةِ نَقَلَ دَارَ الْمَلِكِ إِلَى قَصْرِ يَانَةَ لِخِصَانَتِهَا وَسَبَبَ فَتَحَهَا أَنَّ الْعَبَّاسَ سَارَ فِي
جَيْشٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَدِينَةِ قَصْرِ يَانَةَ وَسَرْقُوسَةَ وَسِيرَ جَيْشًا فِي الْبَحْرِ فَلَقِيَهُمْ
أَرْبَعُونَ ثَلَاثِينَ مِنَ الرُّومِ فَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ فَانْهَزَمَ الرُّومُ وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ

عشر شلنديات برجالها وعااد العباس الى مدينته فلما كان الشتاء سير سرية فبلغت
قصر يانة فنهبوا وخر بوا وعاادوا وكان معهم أسير من الروم له عند الروم قدر
ومنزلة فأمر العباس بقتله فقال استبقني ولك عندي نصيحة قال وما هي قال
أملكك قصر يانة والطريق في ذلك أن القوم في هذا الشتاء وهذه الثلوج
آمنون من قصدكم اليهم فهم غير محترسين ترسل معي طائفة من عسكركم حتى
أدخلكم المدينة فانخب العباس ألفي فارس أنجدا أبطالا وسارا لي أن قاربها
وكن هناك مستترا وسير عمر باحافي شجعانهم فساروا مستخفين في الليل والرومي
معهم مقيد بين يدي رباح فأراهم الموضع الذي ينبغي أن يملك منه فنصبوا السلاح
وصعدوا حتى وصلوا الى سور المدينة فربما من الصبح والحرس نيام فدخلوا من
باب صغير فيه يدخل منه الماء وتلقى فيه الأقدار فدخل المسلمون كلهم فوضعوا
السيف في الروم وفتحوا الابواب وجاء العباس في باقي العسكر فدخلوا المدينة
وصلوا الصبح بها يوم الخميس وبنى فيها في الحال مسجدا ونصب فيه منبرا وخطب
فيه يوم الجمعة وقتل من وجد فيه من المقاتلة وأخذوا ما فيها من بنات البطارقة
بعلين وأبناء الملوكة وأصابوا فيها ما يعجز الوصف عنه وذل الشرك يومئذ بصقلية
ذلا عظيما ولما سمع الروم بذلك أرسل ملكهم بطريقا من القسطنطينية في ثلاثمائة
شلندي وعسكر كثير فوصلوا الى سرقوسة فخرج اليهم العباس من المدينة ولقي
الروم وقاتلهم فهزمهم فركبوا في مراكبهم هاربين وغنم المسلمون منهم مائة
شلندي وكثر القتل فيهم ولم يصب من المسلمين ذلك اليوم غير ثلاثة نفر بالنشاب
وفي سنة ست وأربعين ومائتين نسكت كثير من قلاع صقلية فخرج العباس اليهم
وقاتلهم فانهزم الروم وقتل كثير منهم وسار الى بعض القلاع التي نسكت فحصرها
فأناه الخبر بأن كثير من عساكر الروم قد وصلت فرحل اليهم وجرى بينه وبينهم
قتال شديد فهزمهم وعااد الى قصر يانة فحصرها وشجعها بالعساكر وفي سنة سبع
وأربعين ومائتين سار العباس الى سرقوسة فغنم وسار الى غيران فرقته فاعتل
ومات بعد ثلاثة أيام فنبشه الروم وأحرقوه وكانت ولايته احدى عشرة سنة وأدام

الجهاد شتاء وصيفا وغزا أرض قلورية وانكبردة وأسكنها المسلمين

﴿ ذكر مسير الروم الى أرض مصر ﴾

في سنة تسع وثلاثين ومائتين في خلافة المتوكل جاءت ثلاثمائة مراكب للروم مع
ثلاثة رؤساء فأناخ أحدهم في مائة مراكب بدمياط وبينها وبين الشط شيبة بالبحيرة
يكون ماؤها الى صدر الرجل فنجازها الى الارض أمن من مراكب البحر
فجازره قوم فسلموا وغرق كثير من نساء وصبيان ومن كان به قوة سار الى
مصر وكان على معونة مصر عنبسة بن اسحاق الضبي فلما حضر العيد أمر الجنيد
الذين بدمياط أن يحضروا الى مصر فساروا منها فاتفق وصول الروم وهي فارغة
من الجند فنهبوا وأحرقوا وسبوا وأحرقوا جامعها وأخذوا ما بها من سلاح ومتاع
وغير ذلك وسبوا من النساء المسلمات والذميات نحو ستمائة امرأة وأوقروا سفنهم
من ذلك وكان عنبسة قد حبس بسر بن الاكشاف بدمياط فكسر قيده وخرج
يقاتلهم وتبعه جماعة وقتل من الروم جماعة وسارت الروم الى أشنوم تيس وكان
عليه سور وبابان من حديد قد عمله المصم فنهبوا ما فيه من سلاح وأخذوا البابين
ورجموا ولم يعرض لهم أحد وغزا الصائفة في هذه السنة على بن يحيى اليرميني
وفي سنة أربعين كان قتال بين محمد بن عبد الرحمن صاحب الأندلس وبين
الافرنج فكان النصر له عليهم وقتل منهم نحو ثمانية آلاف وفي سنة إحدى
وأربعين قتلت ندورة ملكة الروم من أسرى المسلمين اثني عشر ألفا فانها
عرضت النصرانية على الأسرى فن تنصرت ركنة ومن أبي قتلته وأرسلت تطلب
المفاداة لمن بقي منهم ففداهم المتوكل وكانوا سبعمائة وخمسة وثمانين رجلا ومن
النساء مائة وخمسة وعشرين امرأة

(ذكر اغارة البجاة على مصر و بجاوة أرض النوبة والبعجة أهل تلك الارض)
في سنة إحدى وأربعين أغارت البجاة على أرض مصر وكانت قبل ذلك لانغزوا
بلاد الاسلام لمدينة قديمة وفي بلادهم معادن الذهب يؤدون منها الخس الى أهل
مصر فامتنعوا أيام المتوكل وقتلوا من وجدوه من المسلمين فلما بلغ الخبر المتوكل

شاور وزراءه في أمرهم فذكر والده أنهم أهل بادية وأهل إبل وشباه وأن الوصول
إلى بلادهم صعب لانها مقاوزو بين أرض الاسلام وبينها مسيرة شهر في أرض
قفر وجبال وعرة وأن كل من يدخلها من الجيوش يحتاج أن يتزود للمدة التي
يتوهم أنه يقيمها إلى أن يخرج إلى بلاد الاسلام فإن جاوز تلك المدة هلك
وأخذتهم البجاة باليد وإن أرضهم لا ترد على سلطان شيأ فأمسك المتوكل عنهم
فطمعوا وزاد شرهم حتى خاف أهل الصعيد على أنفسهم فولى المتوكل محمد
ابن عبد الله القمي محاربهم وكتب إلى عنبسة بن اسحق عامل حرب مصر بأزاحة
عنته واعطائه من الجند ما يحتاج إليه ففعل ذلك وسار محمد إلى أرض البجاة وتبعه
ممن يعمل في المعادن والمتطوعة عالم كثير فبلغت عدتهم نحو من عشرين ألفا
بين فارس وراجل ووجه إلى القازم فعمل في البحر سبعة مراكب موقورة
بالذخيرة وأمر أصحابه أن يوافوه بها في ساحل البحر مما يلي بلاد البجاة وسار حتى
جاوز المعادن التي يعمل منها الذهب وسار إلى حصونهم وقلاعهم وخرج إليه
ملكهم وكان معه صنم من - بجارة كهيمة الصبي يسجد له في جيش كثير أضعاف
من مع القمي وكانت البجاة على الإبل فتصاربوا أياما وطولم البجاة لتفني أزواد
المسلمين وعلوفاتهم فبأخذوهم بغير حرب فأقبلت تلك المراكب التي فيها الاقوات
في البحر ففرق القمي ما كان فيها في أصحابه فأتسعوا فيها فلما رأى ملك البجاة ذلك
صدقهم القتال وجمع لهم فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا وكانت إبلهم ذعرة تنفر من
كل شيء فلما رأى القمي ذلك جمع كل جرس في عسكره وجعلها في أعناق خيله ثم
جاءوا على البجاة فنفرت إبلهم لاصوات الاجراس فملتهم على الجبال والودية
وتبعهم المسلمون فقتلوا وأسرا حتى أدركهم الليل ثم رجع إلى عسكره ولم يقدر على
احصاء القتلى لكثرتهم ثم إن ملكهم طلب الامان فأمنه على مملكته وبلادها فآدى
لهم الخراج للدة التي كان منعها وهي أربع سنين وسار القمي إلى المتوكل فخلع
عليه وعلى أصحابه وفي هذه السنة أغارت الروم على عين زربة فأخذت من كان بها
أسير من الرظ (الزط جيل من السودان طوال الاجسام) من نساءهم وذرايرهم

ودوابهم وفي هذه السنة أيضا سير محمد صاحب الاندلس الجيوش الى غزوا الافرنج
فدخلوا بلادهم ووصلوا الى البنة والقلاع وافتتحوا بعض حصونها وعادوا هـ وفي
سنة اثنتين وأربعين خرجت الروم من ناحية سميساط حتى قاربوا آمد وخرجوا
من الثغور الجزرية فانهبوا وأسروا نحو من عشرة آلاف ثم رجعوا فخرج
قوم من المتطوعة في آثارهم فلم يلحقوهم وكتب المتوكل الى علي بن يحيى الارميني
أن يسير الى بلادهم نانيا ففعل وفي هذه السنة سير محمد بن عبد الرحمن صاحب
الاندلس جيشا الى بلاد الافرنج فدخلوا الى برشاونة وحوار بواقلاعا وجاوزوها
الى ماوراء أعمالها ففتحوها كثيرا وافتتحوها حصنا من أعمال برشاونة يسمى طراجة
من آخر حصون برشاونة هـ وفي سنة أربع وأربعين بعث المتوكل بغا الكبير في
العساكر الصائفة فدخل بلاد الروم فدوخها واكتسبها من سائر النواحي
ورجع هـ وفي سنة خمس وأربعين أغارت الروم على سميساط فقتلوا وسبوا وأسروا
خلقا كثيرا وغزاعلي بن يحيى الارميني الصائفة ومنع أهل لؤلؤة رئيسهم من
الصعود اليها فبعث اليهم ملك الروم يضمن لكل رجل منهم ألف دينار على أن
يسلموا اليه (لؤلؤة) قلعة للصقالبة فأصعدوا البطريق اليهم ثم أعطوا أرزاقهم
الفائتة وما أرادوا ثم سلموا البطريق ولؤلؤة الى بلسكا جور فسيره الى المتوكل
فبذل ملك الروم في فدائه ألف مسلم كانوا مسورين عنده هـ وفي سنة ست
وأربعين أيضا غزا عمر بن عبيد الله الاقطع الصائفة فجاؤا بسبعة عشر ألف
رأس وغزاقريباس فجاء بخمسة آلاف رأس وغزا الفضل بن قارون فافتح
حصن انطاكية وغزابلسكا جور فغنم وسبي وغزاعلي بن يحيى الارميني فأخرج
خمسة آلاف رأس ومن الدواب والرمك والخيير نحو من عشرة آلاف رأس
وفي هذه السنة كان الفداء على يد علي بن يحيى الارميني ففودى بألفين وثلاثمائة
وسبعة وستين نفسا وفي هذه السنة والتي قبلها خرج الجيوش من بلاد الاندلس في
مراكب الى بلاد الاسلام فأمر محمد بن عبيد الرحمن صاحب البلاد باخراج
العساكر الى قنالهم فوصلت مراكب الجيوش الى أشبيلية فحلت بالجزيرة

ودخلت الى قتالهم وأحرقت المسجد الجامع ثم جازت الى العدو ثم تقدموا الى
حائط أفرنجية وأغاروا وأصابوا من النهب والسبي كثيرا ثم انصرفوا فلقيتهم
مراكب محمد فقاتلهم فأحرقوا مرابين من مراكب المجوس وأخذوا مرابين
آخرين فغفروا ما فيها فسمى المجوس عند ذلك وجدوا في القتال واشتهد جماعة
من المسلمين ثم مضت مراكب المجوس حتى وصلت الى مدينة بنبالونه فأصابوا
صاحبها غرسية الفرنجى فاقتدى نفسه منهم بتسعين ألف دينار وفي هذه السنة
غزا عامل طرسوسة بنبالونه فافتح حصن بيلسان وسبى أهله ثم كانت على المسلمين
في اليوم الثانى وقعة استشهد فيها جماعة * وفي سنة سبع وأربعين غزا محمد
صاحب الاندلس فى جيوش كثيرة بنبالونه فوطى بلادها وود وخها وخر بها
ونهبها وقتل فيها فأكثر وافتح حصونا وأسرفوتون بن غرسية فحبسه بقرطبة
عشر بن سنة ثم أطلقه وفي هذه السنة قتل المتوكل قتله خدمه الأتراك وبويع
ابنه المنتصر ومات بعد ستة أشهر وبويع المستعين بن المعتصم

﴿ ذكر فتوحات وغزوات باقر بقرية ﴾

لما توفي أمير صقلية العباس بن الفضل سنة سبع وأربعين ولى الناس عليهم ابنه
عبد الله وكتبوا الى الامير باقر بقرية بذلك وأخرج عبد الله السرايا ففتح قلاعا
متعددة وبعد خمسة أشهر وصل من افر بقرية خفاجة بن سفيان أميراً على صقلية
وكان وصوله سنة ثمان وأربعين فأكثر الغزوات والسرايا على الروم الذين بتلك
النواحي وشن عليهم الغارات ففتح حصونا كثيرة واستقر الى سنة خمس وخمسين
وتوفي وأقيم بعده ابنه محمد وكان الروم يحاصرون مالطة فسير اليهم جيشا سنة ست
وخمسين فلما سمع الروم بذلك رحلوا ثم قتل محمد بن خفاجة سنة سبع وخمسين قتله
خدمه الخصيان وهربوا فطلبهم الناس فأدركوهم فقاتلهم * وفي سنة ثمان وأربعين
ومائتين سار جيش للمسلمين بالاندلس الى مدينة برشلونه وهى للفرنج فأوقعوا
بأهلها فأسل صاحبها ملك الفرنج يسقده فأرسل اليه جيشا كثيفا وأرسل
المسلمون يسقدهون فأنامهم المدد فنزلوا برشلونه وقاتلوا قتالا شديدا فلكوا

أرباضها وبرجين من أبراج المدينة فقتل من المشركين خلق كثير وسلم المسلمون
وعادوا وقد غفوا وفي سنة ثمان وأربعين غزا وصيف التركي بلاد الروم ومعه اثنا
عشر ألفا دخل بلاد الروم وافتتح حصن فرورينة وفي سنة تسع وأربعين سير
محمد صاحب الاندلس جيشا الى مدينة البتة والقلاع من بلاد الفرنج فجالت الخيل
في ذلك الثغر وغنمت وافتتحت بها حصونا كثيرة وفي سنة تسع وأربعين أيضا
غزا جعفر بن دينار الصائفة فافتتح حصونا كثيرة واستأذنه عمر بن عبيد الله
الافطح في المسير الى بلاد الروم ما من افسار في زمان كثير من أهل ملطية فلقبه
الملك في جمع عظيم من الروم خرج الاستيلاء على بلادهم فشد بدة قتل فيها من
الفرقيين خلق كثير ثم أحاطت به الروم وهم خسران ألفا وقتل عمر وممن معه
ألفان من المسلمين فلما قتل عمر بن عبيد الله خرج الروم الى الثغور الجزرية
وكلبوا عليها وعلى أموال المسلمين وحرمهم فلما بلغ ذلك علي بن يحيى وهو قافل من
أرمينية الى ميافارقين في جماعة من أهلها ومن أهل السلسلة فنفر اليهم فقتل في
نحو من أربع مائة رجل ولما اتصل الخبر ببغداد أمرت بقتل عمر بن عبيد الله
وعلي بن يحيى وكانا من شجعان الاسلام شديد بأسهما على الأعداء وهما عن المسلمين
في الثغور شق ذلك عليهم مع استعظامهم فقتل الأثر اللتوكل واستيلائهم على أمور
المسلمين فاجتمعت العامة ببغداد بالصراخ والنداء بالنفير وقام بعض الاجناد
يطلبون أرواقهم ونار من ذلك فتن متتابعة يبارل الكلام بكرها واستقرت
الى أن خلع المستعين وبويع المعتز بن التوكل سنة احدى وخسين ومائتين ثم
قتل المستعين سنة ثنتين وخسين ومائتين وفي سنة ثلاث وخسين أيام المعتز غزا
محمد بن معاذ من ناحية ملطية فانهزم وأسر

ذكر غزوة عظمى بالاندلس على بلاد الفرنج

في سنة احدى وخسين وقيل اثنتين وخسين سير محمد بن عبد الرحمن صاحب
الاندلس جيشا مع ابنه المنذر الى بلاد الفرنج فصاروا يفسدوا الملاحه وكانت
أموال لذريق ملك الفرنج بناحية البتة والقلاع هالكة المسلمون بلدهم بالخراب

والنهب جمع لذريق عسا كره وسار بر يدهم فالتقوا بموضع يقال له فجع المراكوبين
فاقتلوا فانهمز الفرنج الا أنهم لم يبعوا راجعتهم واهضتة بالقرب من موضع
المعركة فتبعهم المسلمون وجرار اعطيتهم واشتد القتال فولى الفرنج منهزمين لا يلوون
على شيء وتبعهم المسلمون قتالهم ويأخرون وكان عددا ما أخذ من رؤس الفرنج
الفين وأربعمائة واثنين وتسعين رأسا وكان جماعظما وعباد المسلمون بالغنائم
الكثيرة وسير جيشا أيضا في السنة التي بعدها فقتلوا البتة والقلاع ومدينة
مانه وقتلوا من أهلها عددا كثيرا ثم قتلوا سائرهم وفي سنة ثلاث وخمسين أيضا
سير جيشا فافتسوا حصون جرفيتي وغابوا على أكثرها وفي سنة خمس
وخمسين ومائتين خلع المعتز ثم قتل وبويع الهندي بن الواثق وخلع ثم قتل سنة
ست وخمسين وبويع المعتد على الله بن المتوكل وفي سنة تسع وخمسين ومائتين
خرجت عسا كروم فجازلوا اسميساط ثم نالوا ما طيبة وقتلهم أهلها فانهمز الروم
وقتل بطريق من بطارقتهم وفي هذه السنة سارت سرية للمسلمين بافريقية الى
سرقوسة فصالحهم أهلها على أن يطلقوا الاسرى من المسلمين الذين كانوا
عندهم وكانوا اثلاثمائة وستين أسيرا فلما أطلقوهم عادوا عنهم

ذكر القتال مع صاحب الزنج

ابتداء ظهور صاحب الزنج كان في سنة خمس وخمسين ومائتين وذكرا القتال معه
ماحق بالقتال مع الكفار لانه وان كان يدعي الاسلام لكن ما فعله بأهل الاسلام
أشنع مما فعله الكفار كما ستراه والكلام على قصته طويل مبسوط في التواريخ
وتلخيصها أن رجلا من بني عبد القيس اسمه علي بن محمد بن عبد الرحيم كان في سر
من رأى وأصله من الري وكان متصلا بجاشية المنتصر بن المتوكل يدحهم بشعره
ويستفتحهم من عطاهم ثم انه شخص من سر من رأى سنة تسع وأربعين ومائتين
الى البحرين وادعى نسبه في العلوين فقال مرة انه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى
ابن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وقال مرة انه من
ولد الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب ودعا الناس بهجر الى

طاعته فاتبعه جماعة كثيرة من أهلها ومن غيرهم وخالفه آخرون فجرى بين
الطائفتين عصبية وقتال قتل فيه جماعة وكان أكثر البعيرين قد أحلوه محل نبي
وجبي الخراج ونفذ فيهم حكمه وقتلوا أصحاب السلطان بسببه فقام منهم جماعة
وتنكروا له فانتقل إلى الأحساء وصحبه جماعة من أهل البعيرين ثم تنقل في البادية
وقال أوتيت في تلك الأيام بالبادية آيات من آيات امامتي ظاهرة للناس منها أني لقت
سور من القرآن فجرى بها الساني في ساعة وحفظتها في دفعة واحدة منها سبحان
والسكف ووص ومنها أني تفكرت في الموضع الذي أقصده حيث نبت بي البلاد
فاظلمتني غمامة وخوطبت منها فقبل لي أقصد البصرة إلى غير ذلك من مقالاته
المختصرة وفي تاريخ الخلفاء للجلال السيوطي أنه ادعى أنه أرسل إلى الخلق فرد
الرسالة وكان له منبر يصعد إليه ويسب عثمان وعلياً ومعاوية والزبير وطلحة وعائشة
وفي تاريخ ابن الأثير وابن خلدون أنه كان يرى رأى الخوارج وهذا يبطل انتسابه
إلى العلويين وكان أول ظهوره للناس سنة خمس وخمسين ومائتين وكان في مبدأ
أمره يدعو الغلمان من الزنوج الذين يسكنون السباح في جهة البصرة فاجتمع له
منهم خلق كثير وكان يعدهم بالعتق ويرغبهم في الاحسان فاذا جاء أحد من موالى
الزنوج يطلبون عبيدهم يأمر كل عبدان يضرب مولاه ثم يحبسهم ثم يطلقهم فامتنع
موالى الزنوج من طلب عبيدهم وكان يخطب العبيد وغيرهم ممن تبعه في كل وقت
ويرغبهم ولم يزل هذا دأبه والزنوج يأتون إليه بكثرة ويتابعونه ويدخلون في
أمره وانخذله راية وكتب عليها قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة الآية فكثرت جيوشه واستحكم أمره وشن الغارات وبت
أصحابه يمينا وشمالا للاغارة والنهب وسار بالجيش إلى الابله فخرجوا له بأربعة
آلاف فهزمهم وملك الابله ثم سار إلى القادسية فلكها ونهبها فكثر عنده المال
والسلاح فخرج جماعة من أهل البصرة لقتاله فهزمهم وقتل منهم وأخذ سلاحهم
ثم خرج طائفة أخرى فكذلك وأخرى فكذلك ثم خرج له قائدان من البصرة
بجيش فهزمهما وقتل منهما وكان معهما سفن ألقتها الريح إلى الشط فغنم ما فيها

وكثر شعبه وفساده وجاء أبو هلال من قواد الانراك في أربعة آلاف مقاتل فلقبه
فهزمنه وقتل كثيرا من أصحابه ثم خرج اليه أبو منصور أحد موالي الهاشميين في
عسكر عظيم فهزمهم وكان من أعيان أصحابه يحيى بن محمد الأزرق البصراني
وسليمان بن جامع وهو قائد جيشه وذ كرر بمحان أحمد غلمان السورجيين وهو
أول من صحبه منهم أنه قال كنت موكلا بغلمان مولاي أنقل لهم الدقيق فأخذني
أصحابه فساروا بي اليه وأمروني أن أسلم عليه بالامرة ففعلت فسألني عن الموضع
الذي جئت منه فأخبرته وسألني عن أخبار البصرة فقلت لا علم لي وسألني عن
غلمان السورجيين وعن أحوالهم وما يجري لهم فأعلمته فدعاني الى ما هو عليه
فأجبتة فأمرني ان أحتال على من قدرت عليه من الغلمان الزنج وأقبل بهم عليه
ووعدني ان يجعلني قائدا على من أتيتهم فعدت اليه من الغداة وقد أتيتهم بجماعة
من الزنج وجاء جماعة مع غلمان الدباشين وما زال يدعو غلمان أهل البصرة وغيرهم
فيقبلون اليه للخلاص من الرق والتعب فاجتمع عنده خلق كثير منهم فخطبهم
ووعدهم ان يجعلهم قوادا ويملكهم الاموال وحالف لهم بالايان أن لا يغدر بهم
ولا يخذلهم ولا يدع شيئا من الاحسان اليهم ولمن أتى به وجاء اليه بعض موالي العبيد
وبذلوا له على كل عبد خمسة دنانير ليسلم لكل منهم عبده فبطح أولئك الموالي
وأمر كل من عنده من العبيد فضر بوامواليهم كل سيد خمسمائة سوط وكان اذا
خطب العبيد يذكروهم ما كانوا فيه من الشقاء وسوء الحال وان الله تعالى أبعدهم
من ذلك وانه يريد ان يرفع أقدارهم ويملكهم العبيد والاموال وجاءه مرة رجل
من رؤساء الزنج يكنى بأبي صالح بثلاثمائة من الزنج فلما كثروا جعل القواد فيهم
منهم وقال لهم كل من أتى منكم برجل فهو مضموم اليه وما زالت جيوشه تكثر من
الزنج وغيرهم حتى بلغت الوفامؤلفة وأعدادا لا تحصى فشن الغارات على القرى
والامصار وأكثر القتل والنهب وجهزله الخليفة الجيوش الكثيرة المرة بعد
الاخرى وهو يهزم تلك الجيوش ويقتل كثيرا منها ويسبي من القرى والامصار
النساء والذرية وما زال أمره هكذا أربع عشرة سنة حتى ظفروا به وقتلوه

واضح محل أمره قال الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء استمر القتال مع صاحب
الزنج من حين تولى المعتد على الله بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد سنة
ست وخسين ومائتين الى سنة سبعين ومائتين فقتل في هاريس الزنج لعنه الله قال
وذكر الصولي ان الذين قتلهم من المسلمين ألف ألف وخمسة ألف انسان
وقتل باليوم الواحد بالبصرة ثلاثمائة ألف ولما قوى أمر صاحب الزنج صار
المباشر لقتاله وقيادة الجيوش الموفق طلحة بن المتوكل وهو أخو الخليفة المعتد
على الله بن المتوكل وباشر معه أيضا القيادة بعض تلك الجيوش ابنه أبو العباس
أحمد الذي صار بعد المعتد على الله خليفة ولقب بالمعتد قال المسعودي في تاريخه
المسمى مروج الذهب شخص الموفق لمحاربة صاحب الزنج في صفر سنة سبع
وسبعين ومائتين وقدم الموفق ابنه أبا العباس في ربيع الآخر الى سوق الجيش
وقيادته وكان رجل يقال له الشعراني من أصحاب صاحب الزنج قد تحصن في
جمع كثير من الزنج ففتح أبو العباس بن الموفق هذا الموضع وغنم جميع ما كان فيه
ثم فتح مواضع كثيرة وقتل من كان فيها من الزنج وسار الموفق الى الاهواز فأصلح
ما أفسده الزنج ثم عاد الى البصرة فلم يزل منازل أصحاب الزنج حتى قتل فكانت
مدة أيامه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر يقتل الصغير والكبير والذكور والانثى
ويحرق ويحرب وقد كان أنى البصرة في وقعة واحدة من وقايعه فقتل ثلاثمائة
ألف من الناس وكان المهلبى من أصحاب صاحب الزنج بعد هذه الوقعة بالبصرة
ف نصب منبرا وكان يصلى يوم الجمعة بالناس ويخطب على ذلك المنبر ويدعو لصاحب
الزنج ويلعن جبابرة بني العباس وكثيرا من الصحابة فاجتمع من بقي من أهل
البصرة وأرادوا الخروج على المهلبى ليقتلوه فعلم بهم فوضع السيف فيهم فن
ناج سالم ومن مقتول ومن غريق واختنى كثير من الناس في الدور والآبار
فكانوا يظهرون في الليل فيأخذون الكلاب فيذبونها فيأكلونها والقبيران
والسننير فأفنوها حتى لم يقدروا منها على شيء فكانوا اذا مات منهم الواحد
أكلوه وعدموا مع ذلك الماء العذب وذكروا عن امرأة منهم انها حضرت امرأة

تنازع وعندها أختها وقد احتوشوها ينظرون ان تموت فيأ كلون لهما قالت
المرأة فامانت حتى ابتدرنا فقطعناها وأكلناها ولقد حضرت أختها ثم جاءت
وهي تبكي ومعها رأس أختها فقبل لها وبكى مالك تبكين قالت اجتمعوا على
أختي فآزر كوها حتى تموت موتا حسنا حتى قطعوها فظلموني فلم يعطوني من
لحمها شيأ الا رأسها هذا وهي تشكي ظلمهم لها في أختها ومثل هذا كثير وأعظم
مما وصفنا ثم قال المسعودي وبلغ من أمر عسكر صاحب الزنج أنه كان ينادي فيه
على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولدهائهم وقريش
 وغيرهم من سائر العرب وأبناء الناس فتباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة
 وينادي عليها بنسبها هذه فلانة ابنة فلان الفلاني ولكل زنجي منهم العشرة
 والعشرون والثلاثون بطوهم من الزنج ويخدم من النساء الزنجيات كما تخدم
 الوصائف ولقد استغاثت الى صاحب الزنج امرأة من ولد الحسن بن علي بن أبي
 طالب رضي الله عنهما كانت عند بعض الزنج وسألته أن ينقلها منه الى غيره من
 الزنج أو يعتقها مما هي فيه فقال هو مولاك وأولى بك من غيره ثم قال المسعودي
 وقد تكلم الناس في مقدار ما قتل في هذه السنين من الناس فكثير ومقلل فأما
 المكثرفانه يقول أفنى من الناس ما لا يدركه العد ولا يقع عليه الاحصاء ولا يعلم ذلك
 إلا الله تعالى عالم الغيب فيما فتح من هذه الأمصار والبلدان والاضباع وأباد أهلها
 والمقلل يقول أفنى من الناس خمسمائة ألف ألف انتهى وقال الجلال السيوطي
 في تاريخ الخلفاء ولما قتل هذا الخبيث لعنه الله تعالى أتى برأسه على رمح ودخلوا
 به بغداد وعملت الزينة ووضح الناس بالدعاء للموفق طلحة ومدحه الشعراء وكان
 يوما مشهودا وتراجع الناس الى المدائن التي كان أخذها وهي كثيرة كواسط
 والبصرة وغيرهما انتهى وبالجملة فان هذه القضية كانت مصيبة عظيمة على أهل
 الاسلام هذا تلخيص قصة صاحب الزنج باختصار وان أردت تفصيل الوقائع
 والحروب التي كانت لهذه القصة في تلك السنين فانظرها في التواريخ نجدتها
 مبسوطه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر ملك الروم ولؤلؤة ﴾

في سنة ثلاث وستين ومائتين سلمت الصقالبة لؤلؤة الى الروم وهي قلعة للصقالبة
وكان سبب ذلك أن أحمد بن طولون قد أدمن الغزو بطرسوس قبل أن يلي مصر
فلهما ولي مصر سنة خمس وخمسين كان يؤثر أن يلي طرسوس لينغزو منها أميرافلم
يجب الى ذلك وكان العمال الذين يأتون الى طرسوس يسيئون السير وآل الأمر
الى استيلاء الروم على القلعة المذكورة فشق ذلك على أهل طرسوس لأنها كانت
شجعي في حلق العدو ولم يكن يخرج الروم في برأ و بجزالارأوه وأنذر وابه واتصل
الخبر بالمعتد على الله فقلد طرسوس أحمد بن طولون واستعمل عليها من يقوم
بغزو العدو و يحفظ ذلك الثغر و يقيم الجهاد * وفي هذه السنة سير محمد صاحب
الأندلس ابنه المنذر في جيش كبير وجعل طريقه على ماردة فلما جاوزها الى
أرض العدو تبعه تسعمائة فارس من العسكر فخرج عليهم جمع كثير من الفرنج
فاقتلوا قتالا كثيرا صبر وافية وقتل من الفرنج عدد كثير ثم استظهر المشركون
على التسعمائة فوضعوا السيف فيهم فقتلواهم عن آخرهم أكرمهم الله بالشهادة
* وفي سنة أربع وستين غزا بالاصافة عبد الله بن رشيد بن كاووس في أربعين ألفا
من أهل الثغور الشامية فأخذ في الروم وغنم ورجع فلما رحل عن البدندون
خرج عليه جمع من الروم فأحاطوا بالمسلمين فاستمات المسلمون ونزلوا وعرفوا
دوابهم وقاتلوا حتى قتلوا إلا خمسمائة فانهم حملوا حمله رجل واحد ونجوا على
دوابهم وقتل الروم من قتلوا وأسر واعبد الله بن رشيد بعد ضربات أصابته وحمل
الى ملك الروم فبعث به الى أحمد بن طولون صاحب مصر ومعه كثير من الاسرى
وأهدى لابن طولون عدة مصاحف

﴿ ذكر ملك المسلمين مدينة سرقوسة ﴾

في سنة أربع وستين ومائتين ملك المسلمون سرقوسة وهي من أعظم مدائن
صقلية وكان سبب ملكها أن جعفر بن محمد أمير صقلية غزاها فأفسد زرعها
وزرع ما حولها من بلاد صقلية التي بأرض الروم ونازل سرقوسة وحصرها برا

وبحر او ملك بعض ارباضها فوصل مراكب الروم نجدة لها فسير اليها أسطولا فأصابوها فتمكنوا حينئذ من حصرها فأقام العسكر محاصر الهاتسعة أشهر وفتحت عنوة وقتل من أهلها عدة ألوف وأصيب فيها من الغنائم ما لم يصب بمدينة أخرى ولم ينج من رجالها إلا القذا النادر وأقاموا فيها بعد فتحها شهرين ثم هدموها ثم وصل بعد هدمها من القسطنطينية أسطول فالتقواهم والمسلمون فظفر بهم المسلمون وأخذوا منهم أربع قطع فقتلوا من فيها وانصرف المسلمون الى بلادهم وفي هذه السنة سير محمد بن عبد الرحمن صاحب الأندلس ابنه المنذر في جيش الى مدينة بنبلونة وجعل طريقه على سرقسطة فقاتل أهلها ثم انتقل الى تطيلة وجال في مواضع ثم دخل بنبلونة فحرب كثيرا من حصونه وأذهب زروعه وعاد سالما * وفي سنة خمس وستين خرج خمسة من بطارقة الروم الى ادنه فقتلوا وأسروا فقتلوا نحو من ألف وأربعمائة وأسروا نحو من أربعمائة وكان ارجوز والى الثغور فعزل عنها * وفي سنة ست وستين ومائتين وردت سرية من الروم الى ديار ريعة فأسرت نحو من مائتين وخمسين انسانا ومثلت بالمسلمين فنفر اليهم أهل الموصل ونصيبين فرجعت الروم * وفي هذه السنة لقي أسطول المسلمين أسطول الروم عند صقلية فظفر الروم بالمسلمين بعد قتال شديد وخلق من سلم منهم الى مدينة بلرم من صقلية * وفي هذه السنة أيضا غزا عامل ابن طولون الثغور الشامية في ثلاثمائة من أهل طرسوس واعترضهم أربعة آلاف من الروم فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل المسلمون خلقا كثيرا من العدو وأصيب من المسلمين جماعة * وفي سنة سبع وستين ولى جزيرة صقلية الحسن بن العباس فبعث السرايا الى كل ناحية وخرج الى قطانية فأفسد زرعها وزرع طبرمين وقطع أشجارها وسار الى بقارة فأفسد زرعها وانصرف الى بلرم وأخرجت الروم سرايا فأصابوا من المسلمين كثيرا * وفي سنة ثمان وستين سارت سرية من صقلية فلقبهم جيش الروم فأصيب المسلمون كلهم غير سبعة نفر وعزل الحسن بن العباس عن صقلية وولياها محمد بن الفضل فبث السرايا في كل ناحية من صقلية وخرج هو في جيش عظيم

فسار الى مدينة قبطانية فأهلك زرعها ثم رحل الى أصحاب الشلندية فقاتلهم فأصاب فيهم فأكثر القتل ثم رحل الى طبرمين فأفسد زرعها ثم رحل فلقى عسكر الروم فاقتلوا وانهمزم الروم وقتل أكثرهم فكانت عبدة القتلى ثلاثة آلاف قتيل ووصلت رؤسهم الى بلرم ثم سار المسلمون الى قلعة كان الروم بنوها عن قريب وسموها مدينة الملك فلحقها المسلمون عنوة وقتلوا مقاتلتها وسبوا من فيها * وفي هذه السنة خرج ملك الروم المعروف بابن الصقلية فنازل ملطية فأعانهم أهل مرعش والحدث فانهمزم ملك الروم وغزا الصائفة من ناحية النغور الشامية الفرغاني عامل ابن طولون فقتل من الروم بضعة عشر ألفا وغنم الناس فبلغ السهم أربعين دينارا * وفي سنة تسع وستين خرج محمد بن الفضل أمير صقلية في عسكر الى ناحية رمطة وبلغ العسكر الى قطنانية فقتل كثير من الروم وسبي وغنم ثم انصرف الى بلرم * وفي سنة سبعين زحف الروم في مائة ألف ونزلوا قامية على ستة أميال من طرسوس فخرج اليهم بازمار عامل طرسوس لابن طولون ليلا فبيتهم وقتل منهم سبعين ألفا وجماعة من البطارقة وقتل مقدمهم بطريق البطارقة وغنم منهم سبعة صلبان ذهب وفضة وكان أعظمها من ذهب مكلا بالجواهر وغنم خمسة عشر ألف دابة ومن السروج والسيوف مثل ذلك وأربعة كراسي من ذهب ومائتين من فضة وعشرين عالما من الديباج وآنية كثيرة ونحوها من عشرة آلاف علم ديباج وديباجا كثيرا وغير ذلك * وفي هذه السنة أراد اسماعيل بن موسى أحد أمراء الأندلس بناء مدينة ماردة فلما سمع الفرنجي صاحب برشاونة جمع وحشدير يدمنعه من ذلك فسمع به اسماعيل فقصده وقاتله وهزمه وقتل أكثرهم وبقى أكثر القتلى في تلك الأرض دهر اطويلا * وفي سنة احدى وسبعين سارت سرية للمسلمين بصقلية الى رمطة فخرجت وغنمت وسبت وأسرت كثيرا وعادت وسار جيش كثير من صقلية الى قطنانية فأهلك ما فيها زار الى طبرمين فقاتل أهلها وأفسد زرعها وتقدم فيها فأتى رسول بطريق الروم يطلب الهدنة والمفاداة فهادنه ثلاثة أشهر وقاداه ثلاثمائة أسير من المسلمين

ورجع الجيش * وفي سنة اثنتين وسبعين غزا الصائفة بازمار وخرجت سرية من صقلية الى الروم الذين بها فغتمت وعادت وفيها قدم بطريق من القسطنطينية في عسكر كبير فنزل على مدينة سبرينة فحصرها وضيق على من بها من المسلمين فسلموها على امان ولحقوا بصقلية ثم سار عسكر البطريرق الى مدينة منتمية فحصرها حتى سلمها أهلها بامان * وفي سنة ثلاث وسبعين غزا الصائفة بازمار وتوغل في أرض الروم وقتل وغنم وأسروسي وعاد الى طرسوس وفيها توفي محمد بن عبد الرحمن صاحب الأندلس ومدة ملكه أربع وثلاثون سنة وولي بعده ابنه المنذر وتوفي بعد سنة وأحد عشر شهرا وبويع أخوه عبد الله .

✽ ذكر غز الروم ووفاة بازمار ✽

في سنة ثمان وسبعين خرج بازمار غازيا في جيش فبلغوا واشكند ونازلوها فاصاب بازمار شظية من حجر من جنين سق فرجع ومات في الطريق ودفن بطرسوس * وفي سنة تسع وسبعين توفي المعتمد على الله وبويع المعتضد بن الموفق بن المتوكل * وفي سنة ثمانين غزا اسماعيل بن أحمد الساماني صاحب خراسان بلاد الترك وافتتح مدينة ملكهم وأسراباه وامر أنه خاتون ونحوها من عشرة آلاف وقتل منهم خلقا كثيرا وغنم من الدواب ما لا يحصى وأصاب الفارس من الغنمية ألف درهم * وفي سنة احدى وثمانين غزا المسلمون الروم فدامت الحرب بينهم اثني عشر يوما فظفر المسلمون وغنموا غنمية كثيرة وعادوا

✽ ذكر حصر الصقالبة القسطنطينية ✽

في سنة ثلاث وثمانين سارت الصقالبة الى الروم فحصرها القسطنطينية وقتلوا من أهلها خلقا كثيرا وخرّبوا البلاد فلم يجد ملك الروم منهم خلاصا فجمع من عنده من أسارى المسلمين وأعطاهم السلاح وسألهم معونته على الصقالبة ففعلوا لكون الصقالبة كفارا فكشفوا الصقالبة وأراحوهم عن القسطنطينية ولما رأى ملك الروم ذلك خاف من المسلمين على نفسه فردهم وأخذ السلاح منهم وفرّهم في البلاد حذرا من جنائهم عليه وفي هذه السنة كان الفداء بين المسلمين

والروم فكان جملة من فدى من المسلمين الرجال والنساء والصبيان ألفين وخمسمائة
وأربعة أنفس وفي سنة خمس وثمانين غزارا غلب مولى الموفق في البحر فغنم
مراكب كثيرة فضرب أعناق ثلاثة آلاف من الروم كانوا فيها وأحرق المراكب
وفتح حصونا كثيرة وعاد سالما وفيها غزرا ابن الاخشيدي صاحب مصر بأهل
طرسوس ففتح الله على يديه وبلغ اسكندر ونة وفي سنة سبع وثمانين غزرا أبو
العباس أحمد بن الاغلب مدينة بلرم براو بحر افخرج اليه أهلها فقاتلوه ثم انهزموا
ووقع القتل فيهم وملك البلد ثم رحل الى طبرمين فقطع كرومها وقتلهم ثم رحل
الى قطنانية فحصرها فلم ينل منها غرضا فرجع الى صقلية الى أن دخلت سنة ثمان
وثمانين فجهز للغزو وطاب الزمان وعمر الاسطول وسيره الى قطنانية ونصب عليها
المجانيق وأقام أياما ثم انصرف الى مسيني وجاز الى ريو وقد اجتمع بها كثير من
الروم فقاتلهم على باب المدينة وهزمهم وملك المدينة بالسيف وغنم من الذهب
والفضة ما لا يحصى وشحن المراكب بالديق والامتعة ورجع الى مسيني وأهدم
سورها ووجد بها مراكب وصلت من القسطنطينية فأخذ منها ثلاثين مركبا
ورجع الى المدينة وفي سنة ثمان وثمانين ومائتين سير المعتضد جيشا الى صائفة الروم
ففتحوا حصونا كثيرة ورجعوا باسرى كثيرة ثم ان الروم ساروا في البر والبحر
الى ناحية كيسوم فأخذوا من المسلمين أكثر من خمسة عشر ألفا وعادوا وفي
سنة تسع وثمانين توفي المعتضد وبيع ابنه المكتفي وفي سنة احدى وتسعين
ومائتين خرجت الترك في خلق كثير الى ما وراء النهر فوجه اليهم صاحب
خراسان اسماعيل الساماني جيشا كثيرا وتبعهم من المتطوعة خلق كثير فساروا
نحو الترك فوصلوا اليهم وهم غارون فكبسهم المسلمون مع الصبح وقتلوا منهم خلقا
عظيما لا يحصون وانهم لم يبقون واستبج عسكرهم وعاد المسلمون سالمين غائبين
وفي هذه السنة خرج من الروم مائة الف عشرة صلبان مع كل صليب عشرة
آلاف الى الثغور فقصدها جماعة منهم الحداد (بلدة الروم) فانغاروا وسبوا وأحرقوا
وفي هذه السنة غزرا من طرسوس القائد المعروف بعلام زرافة ففتح مدينة

انطاكية بالسيف وقتل خمسة آلاف من الروم وأسروا مثلهم واستنفذوا الاسارى
خمسَةَ آلافٍ وغنم ستين من حرا كبر الروم بما فيها من المال والمتاع فقسه ما مع
غنائم انطاكية فكان السهم ألف دينار * وفي سنة اثنتين وتسعين أغار الروم على
مرعش ونواحيها فنفروا أهل المصيصة وأهل طرسوس وأجلوهم وأصيب جماعة
من المسلمين * وفي هذه السنة كان الفداء فكان جملة من فودى من أسرى
المسلمين ألف نفس ومائتى نفس وفي سنة ثلاث وتسعين أغار الروم على
قورس من أعمال حلب فقاتلهم أهلها قتالا شديدا ثم انهزموا وقتل الروم
أكثرهم ودخل الروم قورس فاحرقوا جامعا وساقوا من بقي من أهلها * وفي سنة
أربع وتسعين غزا ابن كيغلق من طرسوس فأصاب من الروم أربعة آلاف
رأس سبي ودواب ومتاع ودخل بطريق من بطارقة الروم في الامان وأسلم * وفيها
أيضا غزا ابن كيغلق فبلغ شكند وفتح الله عليه وسار الى الليس فغنموا نحو من
خمسين ألف رأس وقتلوا مقتلة عظيمة من الروم وانصرفوا سالمين وكان بطريق
على حرب أهل الثغور من قبل ملك الروم فأرسل ذلك البطريرق الى المكتفى
يطلب الامان فاعطاه فخرج من حصنه ومعه مائتا أسير من المسلمين كانوا معه في
الحصن وكان ملك الروم أرسل ليقبض عليه فاعطى المسلمين سلاحا فخرجوا معه
وقبضوا على الذين أرسلهم ملك الروم ليقبضوا عليه وقتلوا منهم خلقا كثيرا
وغنموا ما في عسكرهم فاجتمعت الروم لمحاربة البطريرق فسار اليهم جمع من
المسلمين ليغاصوه ومن معه من أسرى المسلمين فبلغوا قونية فبلغ الخبر الى الروم
فانصرفوا عنه فانصرف البطريرق ومن معه الى بغداد وأخرب المسلمون قونية
وأرسل ملك الروم الى الخليفة المكتفى فطلب الفداء * وفي سنة ثلاث وتسعين
افتتح اسماعيل الساماني صاحب خراسان مدائن كثيرة من بلاد الترك والديلم *
وفي سنة خمس وتسعين توفي المكتفى وبويع أخوه المقتدر بن المعتضد * وفي
هذه السنة فودى من المسلمين ثلاثة آلاف نفس رجالا ونساء * وفي سنة ست
وتسعين كان ابتداء دولة العبيديين بأفريقية وتفصيل ذلك طویل مذکور فی

التوار يخ وفي هذه السنة بعث المقتدر جيشا لغزو الروم وعليه مؤنس الخادم
فظفر وغنم وأسروا منهم جماعة وعاد * وفي سنة سبع وتسعين وجه المقتدر القائد
ابن سيبا لغزو الصائفة وكذا في سنة ثمان وتسعين * وفي سنة تسع وتسعين غزا
الصائفة رستم أمير الثغور من ناحية طرسوس فحصر حصن ملج الأرمني ثم دخل
بلده وأحرقها * وفي سنة ثلاثمائة توفي عبد الله بن محمد صاحب الأندلس
وبويع حفيده عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله واستقر عبد الرحمن
الناصر خمسين سنة وهو أول من تسمى منهم بأمير المؤمنين لما رأوا ظهور
الضعف في خلفاء بني العباس وكانوا قبل ذلك يقال لمن ولي منهم الأمير فلان وغزا
عبد الرحمن الناصر في بلاد الفرنج غزوات كثيرة وأئخن فيهم حتى خضعوا له
وصاروا يهادونه ويلتقون رضاه وتفصيل غزواته يطول الكلام بذكرها
وسياق ذكر شيء منها * وفي سنة اثنتين وثلاثمائة سار الوزير للمقتدر علي بن
هيسى لغزو الصائفة فلم يتيسر له فغزاها ثانية في برد شديد وتلج وغزا أيضا بشر
الخادم والى طرسوس بلاد الروم ففتح فيها وغنم وسبي وأسروا مائة وخمسين بطريقا
وكان السبي نحو من ألفي رأس * وفي سنة ثلاث وثلاثمائة أغارت الروم على
الثغور الجزرية وقصدوا حصن منصور وسبوا من فيه وجرى على الناس أمر
عظيم وظهرت الروم أيضا فوقعوا بجماعة من مقاتله طرسوس والغزاة فقتلوا
منهم نحو ستائة فارس ولم تكن للمسلمين صائفة في هذه السنة لكثرة الفتن في
بغداد في مدة المقتدر وفيها خرج ملج الأرمني إلى مرعش فعات في بلدها وأسروا
جماعة ممن حولها وعاد * وفي سنة أربع وثلاثمائة سار مؤنس الخادم إلى بلاد
الروم لغزو الصائفة بجيوش كثيرة وفتح حصونا كثيرة من الروم وعاد فأكرمه
المقتدر وخلع عليه * وفي سنة خمس وثلاثمائة جاءت رسل من ملك الروم للخليفة
المقتدر يطلبون المهادنة والفداء فأجيبوا إلى ذلك وأنفذ المقتدر مع مؤنس
للفداء مائة ألف وعشرين ألف دينار وكان قبل ذلك عقد لئمال الخادم على الغزاة
في بحر الروم وسار وكان قبل ذلك أيضا غزاه جنى الصفوانى بلاد الروم فغنم ونهب

وسبي وعادسا الما ففرت الكتب على المنابر ببغداد بذلك ثم جاءت رسلا ملك
الروم يطلب الهدنة * وفي سنة ثلاثمائة وثمان غزا عبد الرحمن الناصر صاحب
الأندلس الى جليقية فاستجد عليه ملوك الافرنج بعضهم بعضا فهنزهم ووطئ
بلادهم ودوخ أرضهم وفتح معاقلمهم وخرّب الحصون * وفي سنة ثنتي عشرة
وثلاثمائة غزا ابن بلونة وفتح أكثر من ذلك وله غزوات غيرها يطول الكلام
بذكرها والجلالقة هم الاسبيول * وفي سنة عشر انقضت الهدنة التي كانت بين
المقتدر وملك الروم فغزا المسلمون في البر والبحر فغفروا وواسموا ودخل أهل
طرسوس ملطية فظفروا وبلغوا من بلاد الروم والظفر بهم ما لم يظنوه وعادوا *
وفي سنة احدى عشرة غزا مؤنس بلاد الروم فغنم وفتح حصونا وغزا ثمال أيضا في
البحر فغنم من السبي ألف رأس ومن الدواب ثمانية آلاف رأس ومن الغنم مائتي
ألف رأس ومن الذهب والفضة شيئا كثيرا * وفي سنة ثنتي عشرة جاء رسول ملك
الروم يهدى يطلب الهدنة وتقرر الفداء فأجيب الى ذلك ثم غدروا بالصائفة
فدخل المسلمون بلاد الروم فأخذوا ونهبوا وسبوا وعادوا * وفي سنة ثلاث
عشرة كتب ملك الروم الى أهل الثغور يأمرهم بحمل الخراج فان فعلوا والا
قصدهم فقتل الرجال وسبي الذرية وقال اني قد صبح عندي ضعف ولا تكمل فملم يفعلوا
ذلك فسار اليهم وأخرّب البلاد ودخل ملطية وأخرّبها وسبي منها سنة أربع عشرة
وفتح الروم أبوابا من الرض فدخلوا فقتلهم أهلها وأخرّبوا قري كثيرة
من قراها ونهبوا الموتى ومثّلوا بهم وقصد أهل ملطية ببغداد مستغيثين فلم يغاثوا
فعادوا وبغير فائدة وغزا أهل طرسوس صائفة فغفروا وعادوا

ذكر حرب بين المسلمين والروم

في سنة خمس عشرة وثلاثمائة خرجت سرية من طرسوس الى بلاد الروم فوقع
عليها العدو فاقتتلوا واستظهر الروم وأسروا من المسلمين أربع مائة رجل فقتلوا
صبرا وسار الدمستق في جيش عظيم الى مدينة ديبل فحاصرها وضيق عليها
والدمستق عندهم ملك عظيم يلي بلاد الروم التي هي شرقي دجلة القسطنطينية

ويكون تحت أمر الملك الذي في القسطنطينية وكان مع الدمستق دبابات
ومجانيق ومزاريق تزرق بالنار فلا يقوم بين يديها أحد وكان الراعي بها من
أشجعهم فرماه رجل من المسلمين بسهم فقتله وأراح الله المسلمين منه وكان
الدمستق يجلس على كرسي عال يشرف على البلد وعلى عسكره فأمرهم بالقتال
على ما يراه فصبر له أهل البلد وهو ملازم للقتال حتى وصلوا إلى سور المدينة
فنقبوا فيه نقوبا كثيرة ودخلوا المدينة فقاتلهم أهلها ومن فيها من العسكر قتالا
شديدا فانتهصر المسلمون وأخرجوا الروم منها وقتلوا منهم نحو عشرة آلاف
رجل * وفي هذه السنة أيضا غزا شمال الصائفة من طرسوس ولقي جمعا كثيرا من
الروم فاقتلوا فانتهصر المسلمون عليهم وقتلوا من الروم كثيرا وعانوا في أنعامهم
وغنموا ثلاثمائة رأس من الغنم ولقيهم رجل من رؤساء الأكراد يعرف بابن
الضवाल وكان له حصن يعرف بالجمفرى وكان قد ارتد عن الإسلام وتناصر
وسار إلى ملك الروم وخدمه فأجزل له القطيعة وأمره بالعود إلى حصنه فلقية
المسلمون فقاتلوه فأسروه وقتلوا كل من معه * وفي سنة ست عشرة وثلاثمائة
خرج الدمستق في عساكر الروم فحاصر خلاط وملكها صلحا وجعل الصليب
في جامعها ورحل إلى بدليس ففعل بها كذلك وخاف أهل أرزن وغيرهم فقارقوا
بلادهم وانحدر أعينهم إلى بغداد واستغاثوا إلى الخليفة فلم يغاثوا * وفي هذه السنة
وصل سبعمائة رجل من الروم والأرمن إلى ملطية ومعهم الفؤوس والمعاول وأظهروا
أنهم يتكسبون بالعمل ثم ظهر أن ملبعا الأرمني وضعهم ليكونوا بها فإذا
حصرها ساءوها إليه فعلم بهم أهل ملطية فقتلواهم وأخذوا ما معهم * وفي سنة سبع
عشرة خلع المقتدر وبيع أخوه القاهر ثم بعد يومين أعيد المقتدر وخلع
القاهر وكانت هذه الفتنة هائلة وبسببها ضعفت الثغور الجزرية عن دفع الروم
عنهم منها ملطية وميافارقين وآمدوارزن وغيرها وعزموا على طاعة ملك الروم
والتسليم إليه لعجز الخليفة المقتدر بالله عن نصرهم وأرسلوا إلى بغداد يستأذنون
في التسليم ويذكرون عجزهم ويستقدون العساكر لتمنع عنهم فلم يحصلوا على

فائدة فعادوا فاصالحوا الروم وملكوهم البلاد وفي سنة سبع عشرة أيضا كان
دخول القرامطة مكة يوم التروية وهو الثامن من ذي الحجة فنهبوا أموال
الحجاج وقتلوهم حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه وقاموا الحجر الأسود
وأنفذوه الى هجر وقلعوا باب البيت وأصعدوا رجلا يقطع الميزاب وكان من ذهب
فأصيب بسهم من جبل أبي قبيس فما أخطأ نحره وخر ميتا فأصعد وآخر مكانه
فسقط من فوق الى أسفل على رأسه ومات فهاب الثالث الاقدام على القلع
فتركوا قلع الميزاب وكان جملة من قتلوه من الطائفين والمصلين والمحرمين في مكة
وشعابها زهاء ثلاثين ألفا وسبوا من النساء والذرية مثل ذلك وتلك مصيبة ما
أصيب الاسلام بمثلها وكان رئيسهم عدو الله المكاني بأبي طاهر وركض عند
الكعبة فرسه وسيفه مشهور بيده وصفر لفرسه عند البيت الشريف فبال
وراث قبل ان الذين قتلهم في المطاف ألف وسبعمائة وملا بئر زمزم من رؤسهم
والكلام على هذه القصة وغيرها من وقائعهم طويل منذ كور في التواريخ وقاتلهم
خلفاء بني العباس ولهم معهم وقائع كثيرة (وكان ابتداء ظهورهم) سنة ثمان
وسبعين ومائتين ولهم عقائد فيجته يكفرون بها وان كانوا يدعون الاسلام
ويزعمون أنهم يدعون الناس للبيعة للهدي المنتظر وزعموا أنه محمد بن عبد الله بن
محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وكل ذلك زور وباطل قال ابن الأثير ولم يكن
لمحمد بن اسماعيل ولد اسمه عبد الله ومكث الحجر الأسود عندهم في هجر اثنتين
وعشر بن سنة وكانوا يريدون تحويل الحج الى هجر فلما أيسوا من ذلك رجعوه
الى موضعه من البيت وكان ذلك في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وابتلى أبو طاهر
رئيسهم بداء الأكلة فصار يتناثر لحمه بالدد وتقطعت أوصاله وطال عذابه ومات شر
ميتة ولعذاب الآخرة أشد وأبقى وانما ذكرنا هذه القصة لأن قتال هؤلاء وما
فعلوه ملحق بقتال الكفار وأفعالهم ولا عبرة بكونهم يدعون الاسلام فانهم
كانوا يستيخون دماء المسلمين ويرون ضلال كافة المسلمين ومن عقائدهم الزائفة
المكفرة أن الصلاة ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان بعد غروبها فقط

وان النبيذ حرام والحمر حلال ولا غسل من الجنابة الا الوضوء كوضوء الصلاة
وأن محمد بن الحنفية رسول الله بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك من
ضلالا لهم واسفرت شوكتهم الى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ثم اضمحل أمرهم
شيأ فشيأ حتى لم يبق لهم دولة ﴿ تنبيه ﴾
يوجد على وجه الحجر الأسود قطع كانت تكسرت منه ثم الصقت به واشهر على
السنة كثير من الناس أن سبب تكسر هذه القطع من القرامطة لما أخرجوا
الحجر الأسود وليس الامر كذلك بل سبب تكسرها ما ذكره السنجاري في
تاريخ مكة ونص عبارته في سنة أربع مائة وأربع عشرة يوم النفر الاول وكان جمعة
دخل المسجد رجل أشقر بيده سيف مسلول ودبوس من حديد فتقدم بعد أن
فرغ الامام من صلاة الجمعة وقصد الحجر الأسود فضر به بالدبوس ثلاث مرات
وقال الى متى يعبد هذا الحجر ومحمد وعلى فلم يعنى مانع من هذا حتى أريد رب هذا
البيت فخافه أكثر الحاضرين وكاد يهرب فنار اليه رجل فضر به بخنجر فقتله
وقطعه الناس بالسلاح ثم أحرقوه فحصل في الحجر الأسود شظب وخرج منه
قطع صغار فأعادها سدة الكعبة وأمير مكة وألصقوها بالملك فصارت آثار ذلك
باقية الى الآن اهـ ولترجع الى ما كنا بصدده وفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة غزا
ثمالة والى طرسوس بلاد الروم فعبيرتها ونزل عليهم ثلج الى صدور الخيل وأتاهم
جمع كثير من الروم فواقعوهم فنصر الله المسلمين فقتلوا من الروم ستمائة وأسروا
نحو مائة من ثلاثين ألف وغنموا من الذهب والفضة والديباج وغيره شيأ كثيرا
وعاد ثمالة الى طرسوس ودخل بلاد الروم صائفة في جمع كثير من الفارس
والراجل فبلغوا عمورية وكان قد تجمع بها كثير من الروم ففارقوها الماسعوا
خبر ثمالة ودخل المسلمون فوجدوا فيها من الطعام والامتعة شيأ كثيرا فأخذوا
وأحرقوا ما كانوا عمروه منها وأوغلوا في بلاد الروم ينهبون ويقتلون ويخربون
حتى بلغوا أنقرة وهي التي تسمى الآن انكورية وعادوا سالمين ولم يلقوا كيدا
فبلغت قيمة السبي مائة ألف دينار وستة وثلاثين ألف دينار وفي هذه السنة

كاتب ابن الديراني وغيره من الارمن وهم بأطراف ارمينية الروم وحثوهم
على قصد بلاد الاسلام ووعدوهم النصر فسارت الروم في خلق كثير فخر بوا
بذكرى وبلاد خلاط وماجاورها وقتل من المسلمين خلق كثير وأسروا كثيرا
منهم فبلغ خبرهم مفلحا غلام يوسف بن أبي الساج وهو والى أذربيجان فسار في
عسكر كبير وتبعه كثير من المتطوعة الى أرمينية وقصد بلاد ابن الديراني ومن وافقه
فخر به وقتل أهله ونهب أموالهم وبالغ الناس في كثرة القتل من الارمن حتى قيل
انهم كانوا مائة ألف قتيل والله أعلم وتحصن ابن الديراني بقلعة له وفي هذه السنة
أيضا سارت الروم الى سديساط فحصروها فاستصرخ أهلها بسعيد بن حمدان
صاحب الموصل وديار ربيعة فجهز وسار سراعا اليهم وقد كاد الروم يفتحونها
فلما أثار بهم هربوا منه فسار الى ملطية وكان أهلها قد ضعفوا فصالحوا الروم وسلموا
مفتاح البلد اليهم فحكموا على المسلمين وكان في ملطية جمع من الروم ومن
عسكر ملج الارمني ومعهم بنى ابن نفيس صاحب المقتدر وكان قد تنصر وهو
مع الروم فلما أحسوا باقبال سعيد خرجوا منها وخافوا أن يأتيهم سعيد بن حمدان
في عسكره من خارج المدينة ويثور أهلها بهم فيهلكوا فقار قوها ودخلها سعيد
ثم استغلف عليها أميرا وعاد عنها ودخل بلاد الروم غازيا وقدم بين يديه سريتين
فقتل من الروم خلقا كثيرا قبل دخوله إليها وفي سنة عشر بن قتل المقتدر
(استطراد) قال العلامة القطبي في تاريخه كان المقتدر في كل عام يصرف يوم
عرفته من الابل والبقر أربعين ألف رأس ومن الغنم خمسين ألفا وكان يصرف
في كل سنة في طريق مكة والحرمين ثلاثمائة ألف دينار وخمسة عشر ألف دينار
وكان في داره أحد عشر ألف غلام خصي غير الصقالب والروم والسود وختن
خمسة من أولاده فصرف في ختانهم ستمائة ألف دينار وقدم مرة عليه رسل ملك
الروم يدايا لطلب الهدنة فعمل المقتدر موكبا عظيما لارهاب العدو فأقام مائة
وستين ألف مقاتل بالسلح الكامل صفين من باب الشامية الى دار الخلافة
بيغداد لتمر الرسل بين الصفين في هذه المسافة وأقام بعدهم الخدم وهم سبعة آلاف

خادم ثم الحجاب وهم سبعمائة حاجب ونصبت الستور على حيطان دار الخلافة
فبلغت ثمانية وثلاثين ألف ستر من الديباج وكانت البسط الفاخرة التي فرشت
في الارض اثنين وعشرين ألف بساط وفي الحضرة مائة سبع في سلاسل الذهب
والفضة وكان من جملة الزينة شجرة صيغت وصنعت من الذهب والفضة والجواهر
وأغصانها تماثيل بحركات مصنوعة وعلى الاغصان طيور من ذهب وفضة ينفخ
الريح فيها فيسمع لكل طير تغريد وصفير خاص وهذا بعدد هن الدولة العباسية
وضعها فكيف كانت زينتها في أيام قوة دولتهم في كمال وصفها فبها من لا يزول
ولا يزال ولا يفنى ملكه ولا يعتربه الزوال ولا تغيره الشؤون ولا تحوله الاحوال وهو
الله الكبير المتعال لا اله الا هو وحده لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا مثال كونه
الا كوان وقدرها تقديرا الحمد لله الذي لم يخذولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم
يكن له ولي من الدن ولا كبره تكبيرا انتهى * ولقد كرقصة قتل المقتدر فان فيها
اعتبار الكل من كانت له بصيرة وهي تدل على هو ان الدنيا وخسرة قدرها عند
الله تعالى وذوى البصائر من عباده * وحاصلها ان مؤنسا الخادم كان عبدا خصيا من
عبيد المعتضد والد المقتدر فلما صارت الخلافة للمقتدر زاده في رفعة القدر وولاه
قيادة كثير من جيوشه وصار من أعظم وزرائه * وفي سنة عشرين وثلاثمائة
حصلت وحشة بينه وبين المقتدر فسار مؤنس الى الموصل مغاضبا للمقتدر
فاستولى المقتدر على أقطاع مؤنس وماله وأملاكه وأملاك أصحابه وكتب الى بنى
حمدان أمراء الموصل بصد مؤنس عن الموصل وقتاله فجري بين مؤنس وبينهم
قتال فانتصر مؤنس واستولى على الموصل واجتمعت عليه العساكر من كل
جهة فسار بهم الى جهة بغداد ثم لما وصل الى بغداد نزل عند باب الشامية
بجنوده فخرج المقتدر الى قتال مؤنس من بقي معه من العساكر لان كثيرا منهم
انزلوا عنه وانحدروا الى واسط ليكونوا مع مؤنس ولما خرج المقتدر للقتال
كان بين يديه الفقهاء والقراء ومعهم المصاحف منشورة وعليه البردة النبوية
ووقف على تل فالح عليه أصحابه بالتقدم الى القتال فتقدم ثم انهزمت أصحابه فلاحق

المقتدر قوم من العسكر مغاربة فقال لهم وبيحكم أنا الخليفة فقالوا قد عرفناك
يا سغله أنت خليفة ابليس فضر به واحد منهم بسيفه فسقط الى الارض فذبحوه
وقطعوا رأسه ورفعوه على خشبة وهم يكبرون ويعلنونه وأخذوا ما عليه حتى
سراويله وكشفت عورته ثم حفر والله في موضعه ودفنوه وعفي قبره وحملوا رأسه
الى مؤنس وهو بالاشدية لم يشهد الحرب فلما رأى مؤنس رأس المقتدر لطم وجهه
وبكى ثم ان القاهر أخا المقتدر لما بويغ بعد قتل المقتدر وتمكن له الأمر قتل
مؤنس ولم تطل مدة القاهر بل خلع سنة اثنتين وعشرين وسامت عيناه وعاش
دهرا طويلا أعمى محبوسا في دار الخلافة ثم أطلقوه وأهملوه فوقف يوما بجامع
المنصور بين الصفوف وقال تصدقوا على فأنامن قد عرفتم وذلك في أيام المستكفي
ليشنع عليه فثعوه من الخروج الى أن مات سنة تسع وثلاثين وعمره ثلاث
وخمسون سنة ولما خلع القاهر بويغ الراضي بن المقتدر وفي هذه السنة سار
الديستق الى مهيماط في خمسين ألفا ونازل ملطية وحصرها مدة طويلة هلك
أكثر أهلها بالجوع وضرب خميتين على احداهما صليب وقال من أراد النصرانية
انحاز الى خيمة الصليب ليرد اليه أهله وماله ومن أراد الاسلام انحاز الى الخيمة
الاشري وله الامان على نفسه ونبلغه مأمنه فانحاز أكثر المسلمين الى الخيمة التي عليها
الصليب طمعا في أهلهم وأموالهم وسير مع الباقين بطريقا يبلغهم مأمنهم وقصها
بالامان ثم افتنصوا مهيماط وخرّبوا أعمالها وأكثروا القتل وفعلوا الافاعيل
الشيعة وصار أكثر البلاد في أيديهم وقصوا بلد جنوة ومر وابسردانية فأرقعوا
بأهلها ثم مروا بقرقيسا من ساحل الشام فأحرقوا مراكبها وعادوا سالمين وفي
سنة ست وعشرين كان الفداء بين المسلمين والروم وكان عدة من فودى من
المسلمين ستة آلاف وثلاثمائة أسير ما بين ذكر وأنثى وفي سنة تسع وعشرين
وثلاثمائة توفي الراضي وبويغ أخوه المتقي بن المقتدر وفي سنة ثلاثين وصل
الروم الى قريب حلب ونهبوا وخرّبوا البلاد وسبوا نحو خمسة عشر ألف انسان
وفي هذه السنة غزا النملاني من ناحية طرسوس الى بلاد الروم فقتل وسبي

وغنم وعادسالمما وقد أسر عدة من بطارقهم * وفي سنة احدى وثلاثين أرسل ملك
الروم الى المتقي بالله يطلب منه منديلا يزعم ان المسيح مسح بها وجهه فصارت صورة
وجهه فيه وانه في بيعة الرهاوذ كرا أنه ان أرسل المنديل أطلق عددا كثيرا من
أسارى المسلمين فأحضر المتقي لله القضاة والفقهاء واستفتاهم فاختلفوا فبعض
رأى تسليمه الى الملك واطلاق الاسرى وبعض قال ان هذا المنديل لم يزل من قديم
الدهر في بلاد الاسلام لم يطلبه ملك من ملوك الروم وفي دفعه اليهم غضاضة وكان
في الجماعة على بن عيسى الوزير فقال ان خلاص المسلمين من الاسر ومن الضر
والضنك الذي هم فيه أولى من حفظ هذا المنديل فأمر الخليفة بتسليمه اليهم
واطلاق الاسرى ففعل ذلك وأرسل الى الملك من يستلم الاسرى من بلاد الروم
فاطلقوا ✽ ذكر خروج روسية على بلاد الاسلام ✽

في سنة ثنتين وثلاثين خرجت طائفة من الروسية في البحر الى نواحي أذربيجان
وركبوا في البحر في نهر السكر وهو نهر كبير فأتوها الى مدينة برذعة فخرج
اليهم نائب ملك الديلم بأذربيجان في جموع من الديلم والمتطوعة يزيدون على
خمسة آلاف رجل فلقوا الروس فلم يكن الا ساعة حتى انهزم المسلمون منهم
وقتلوا عن آخرهم وتبعهم الروس الى البلد فهرب من كان له من كوابل البلد
فتزله الروس ونادوا فيه بالامان وأقبلت العساكر الاسلامية من كل ناحية لمقاتلتهم
فكانت الروس تقاتلهم فلا يثبت المسلمون لهم وكان عامة البلدي يخرجون
ويرمون الروس بالحجارة ويصيحون بهم فينهاهم الروس عن ذلك فلم ينتهوا
سوى العقلاء فانهم كفوا أنفسهم وسار العامة والرعايا لضبطون أنفسهم فلما
طال ذلك عليهم نادى مناد بهم بخروج أهل البلد منه وان لا يقبوا بعد ثلاثة أيام
فخرج من كان له ظهر يحمله وبقى أكثرهم بعد الاجل فوضع الروسية فيهم
السلاح فقتلوا منهم خلقا كثيرا وأسر وابعد القتل بضع عشرة ألف نفس
وجمعوا من بقي بالجامع وقالوا اشتروا أنفسكم والافتلناكم وسعى لهم انسان
نصراني فقرر على كل رجل عشر بن درهما فلم يقبل منهم الا عقلاؤهم فلما رأى

الروس أنه لا يحصل منهم شيء قتلوهم عن آخرهم ولم ينج منهم الا الشريد وغفوا
أموال أهلها واستعبدوا السبي واختاروا من النساء من استحسنوها

﴿ ذكر مسير المرزبان بن محمد بن مسافر ملك الديلم اليهم ﴾

لما فعل الروس بأهل برذعة ما ذكرناه استعظمه المسامون وتنادوا بالنفير وجمع
المرزبان بن محمد الناس واستنفرهم فباع عدة من معه ثلاثين ألفا وسار بهم
فقاتلوهم فامتنعوا عليه فأمكن لهم بعض الايام فهزمهم وقتل أميرهم ونجا الباقون
الى حصن البلد وحاصروهم المرزبان حتى هربوا من البلد وجعلوا ما قدروا عليه
وطهر الله البلد منهم وملك الروس أيضا في هذه السنة رأس عين واستباحوها ثلاثا
وقاتلهم الاعراب فقارقوها وكانوا ثمانين ألفا مع من سبقه وفي سنة ثلاث
وثلاثين وثلاثمائة خلع المتقي بن المستكفي بن المكتفي بن المعتضد ومكث سنة
وأربعة أشهر ثم خلع وبيع المطيع لله بن المقتدر بن المعتضد سنة أربع وثلاثين
وثلاثمائة حين تغلب بنو بويه على الخلفاء وبنو بويه كزبير ويقال أيضا بسكون
الواو وفتح الياء ينتهي نسبهم الى ملوك الفرس وانما نسبوا الى الديلم لانهم طال
مقامهم ببلادهم وخدموا كثيرا من عمال الخلفاء حتى صاروا اقواد جيوش ثم
تقوى أمرهم حتى تغلبوا على الخلفاء وصار الملك بأيديهم وليس للخلفاء الا الاسم
والدعاء على المنابر وكتابة المناشير وكتابة أسماؤهم على الدراهم والدنانير وأخبارهم
طويلة مذكورة في التواريخ ودخل معز الدولة بن بويه بغداد بجيوشه سنة
أربع وثلاثين وثلاثمائة وخلع الخليفة المستكفي بن المكتفي وأقام في الخلافة
المطيع لله بن المقتدر وكان ابتداء ظهورهم سنة عشرين وثلاثمائة وما زالوا
يتغلبون على ممالك بني العباس شيئا فشيئا حتى تغلبوا على بغداد سنة أربع وثلاثين
وثلاثمائة وصاروا يتوارثون الملك بالتغلب الى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة فقامت
دولة السلجوقية وتغلبوا عليهم وعلى الخلفاء أيضا وفي سنة خمس وثلاثين كان
القداء بالثغور بين المساميين والروم على يد نصر التملي أمير الثغور لسيف الدولة
ابن حمدان صاحب حلب وحصن وكان عدة الاسرى ألفين وأربعمائة أسير

وثمانين أسيرا من ذكر وأنثى وفضل للروم على المساميين مائتان وثلاثون أسيرا
لكثرة من معهم من الأسرى فوفاهم ذلك سيف الدولة ومن هذا التاريخ نجا صار أمر
الصوائف إلى سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب وحصص * وفي سنة سبع
وثلاثين وثلاثمائة غزا سيف الدولة بن حمدان بلاد الروم فلقية الروم واقتتلوا
فانهزم سيف الدولة وأخذ الروم من عرش وأوقعوا بأهل طرسوس * وفي سنة
ثمان وثلاثين غزا سيف الدولة أيضا بلاد الروم وأوغل فيها وفتح حصونا كثيرة
وسبي وغنم فلما أراد الخروج من بلاد الروم أخذوا عليه المضايق فهلك من كان معه
من المساميين أسرا وقتلا واسترد الروم الغنائم والسبي وغنموا أنقال المساميين
وأموالهم ونجا سيف الدولة في عدة يسيرة

✽ ذكر غزوة بصقلية ✽

في سنة أربعين غزا الروم بصقلية الحسن بن علي الكلابي عامل المنصور العبيدي
وجاءت جنود من القسطنطينية مددا للروم بصقلية فاقتتلوا مع المساميين أشد
القتال ثم انهزم الروم وركبهم المساميون يقتلون ويأسرون إلى الليل وغنموا
جميع أنقالهم وسلاحهم وديارهم * وفي سنة إحدى وأربعين ملك الروم مدينة
سروج وسبوا أهلها وغنموا أموالهم وأخربوا المساجد * وفي سنة ثلاث
وأربعين غزا سيف الدولة بن حمدان بلاد الروم فقتل وأسرى وسبي وغنم وكان
فيمين قتل قسطنطين بن الدمستق فعظم الأمر على الروم وعلى الدمستق فجمع
عساكره من الروم والروس والبلغار وغيرهم وقصد الثغور فسار إليه سيف
الدولة فالتقوا عند الحدث فاشتد القتال بينهم وصبر الفريقان ثم إن الله تعالى نصر
المساميين فانهزم الروم وقتل منهم ومن معهم خلق كثير وأسرى صهر الدمستق
وابن ابنته وكثير من بطارقه وعاد الدمستق مهزوما مسلولاً * وفي سنة خمس
وأربعين وثلاثمائة سار سيف الدولة في جيوش إلى بلاد الروم وغزاها حتى بلغ
خرشنة وصارخة وفتح عدة حصون وسبي وأسرى وأحرق وخرب وأكثرت القتل
فيهم ورجع إلى اذنة فأقام بها ثم رجع إلى حلب فلما سمع الروم بما فعل جمعوا

وساروا الى ميفارقين وأحرقوا أسوارها ونهبوا وخرّبوا وسبوا أهلها
ونهبوا أموالهم وعادوا * وفي هذه السنة سار الروم في البحر فأوقموا بأهل
طرسوس وقتلوا منهم ألفاً وثمانمائة رجل وأحرقوا القرى التي حولها وفعّلوا
مثل ذلك أيضاً بطرسوس والرها سنة ثمان وأربعين * وفي سنة تسع وأربعين
غزا سيف الدولة بلاد الروم في جمع كثير فأثر فيها آثاراً كثيرة وأحرق وفتح
عدة حصون وأخذ من السبي والغنائم والأسرى شيئاً كثيراً وبلغ الى خرشنة
ثم ان الروم أخذوا عليه المضايق فلما أراد الرجوع قال له من معه من أهل
طرسوس ان الروم قد ملكوا الدرب خلف ظهرك فلا تقدر على العود منه
والرأى أن ترجع معنا فلم يقبل منهم وكان معجباً برأيه يحب أن يستبد ولا يشاور
أحد الثلايقال انه أصاب برأى غيره وعاد من الدرب الذي دخل منه فظهر الروم
عليه واستردوا ما كان معه من الغنائم وأخذوا أنقاله ووضعوا السيف في أصحابه
فأتوا عليهم قتلاً وأسرا وتخلص هو في ثلاثمائة رجل بعد جهد ومشقة وهذا من
سوء رأى كل من يجهل آراء الناس العقلاء والله أعلم بالصواب * وفي سنة ثلاثمائة
وخمسين سار قنصل عظيم من انطاكية الى طرسوس ومعهم صاحب انطاكية
فخرج عليهم كمين للروم فأخذ من كان فيها من المسلمين وقتل كثيراً منهم وأفلت
صاحب انطاكية وبه جراحات * وفي هذه السنة غزا نجا غلام سيف الدولة بلاد
الروم من ناحية ميفارقين وغنم ما قيمته قيمة عظيمة وسبي وأسروا وخرج سالماً
(ذكر استيلاء الروم على مدينة زربة وهو نغر قرب المصيصة والمصيصة بلدة بالشام)
في سنة احدى وخمسين وثلاثمائة نزل الروم مع الدمستق على عين زربة وهى في
سفح جبل عظيم وهو مشرف عليها وهم في جمع عظيم فانفذ بعض عسكره فصعدوا
الجبل فلما رآى ذلك أهلها وان الدمستق قد ضيق عليه ومعه الدبابات
وقد وصل الى السور وشرع في النقب طلبوا الأمان فأمنهم الدمستق وفتح له
باب المدينة فدخلها فرأى أصحابه الذين في الجبل قد نزلوا الى المدينة فنقدم على
اجابتهم الى الأمان ونادى في البلد أول الليل بأن يخرج جميع أهله الى المسجد

الجامع ومن تأخر في منزله قتل فخرج من أمكنه الخروج فلما أصبح أنفذ رجاله في المدينة وكانوا ستين ألفا وأمرهم بقتل من وجدوه في منزله فقتلوا خلقا كثيرا من الرجال والنساء والصبيان وأمر بجميع ما في البلد من السلاح فجمع فكان شيا كثيرا وأمر من في المسجد أن يخرجوا من البلد حيث شاؤوا يومهم ذلك ومن أمسى قتل فخرجوا مزدحين ثياب بالزجة جماعة ومروا على وجوههم لا يدرون أين يتوجهون وماتوا في الطرقات وقتل الروم من وجدوه بالمدينة آخر النهار وأخذوا كل ما خلفه الناس من أموالهم وأمتعتهم وهدموا سور المدينة وأقام الدمستق في بلاد الاسلام احدا وعشرين يوما وفتح حول عين زربة أربعة وخمسين حصنا للمسلمين بعضها بالسيف وبعضها بالامان وكان من جملة تلك الحصون التي فتحت بالامان حصن أمر أهله بالخروج منه فخرجوا فعرض أحد الارمن لبعض حرم المسلمين فلحق المسلمين غيرة عظيمة فجردوا سيوفهم فاغتناط الدمستق لذلك فأمر بقتل جميع المسلمين وكانوا أربع مائة رجل وقتل النساء والصبيان ولم يترك الامن يصلح أن يسترق فلما أدركه الزمن الذي يصوم فيه النصراني انصرف على أنه يعود بعد العيد وخلف جيشه بقيسارية وكان ابن الزيات صاحب طرسوس قد خرج في أربعة آلاف رجل من الطرسوسيين فأوقع بهم الدمستق فقتل أكثرهم وقتل أخا لابن الزيات فعاد الى طرسوس وكان قد قطع الخطبة لسيف الدولة بن حمدان فلما أصابهم هذا الوهن أعاد أهل البلاد الخطبة لسيف الدولة وأرسلوا له بذلك فلما علم ابن الزيات حقيقة الأمر صعد الى روشن في داره فألقى نفسه الى نهر تحتته فغرق وأرسل أهل بقراس الدمستق وبدلوا له مائة ألف درهم فأقرهم وترك معارضتهم

ذكر استيلاء الروم على مدينة حلب وعودهم منها بغير سبب

في هذه السنة استولى الروم على مدينة حلب دون قلعتها وكان سبب ذلك أن الدمستق سار الى حلب ولم يشعر به المسلمون لانه كان قد خلف عسكره بقيسارية ودخل بلادهم كما ذكرناه فلما قضى صوم النصراني وخرج الى عسكره

من البلاد جريدة ولم يعلم به أحد وسار بهم فعند وصوله سبق خبره وكبس مدينة
حلب ولم يعلم به سيف الدولة بن حمدان ولا غيره فلما بلغها وعلم سيف الدولة الخبر
أعجله الأمر عن الجمع والاحتشاد فخرج اليه فيمن معه فقاتله فلم يكن له قوة الصبر
لقلة من معه فقتل أكثرهم ولم يبق من أولاد داود بن حمدان أحد قتلوا جميعهم
فأهزم سيف الدولة في نفر يسير وظفر الدمستق بداره وكانت خارج مدينة
حلب تسمى الدارين فوجد فيها سيف الدولة ثلاثمائة بدره من الدراهم وأخذ له
ألفاً وأربعمائة بغل ومن خزائن السلاح ما لا يحصى فأخذ الجميع وخرب الدار
وملك الحاضر وحصر المدينة فقاتله أهلها وهدم الروم في السور ثلثة فقاتلهم
أهل حلب عليها فقتل من الروم كثير ودفعوهم عنها فلما جنهم الليل عمروها فلما
رأى الروم ذلك تأخروا إلى جبل جوشن ثم إن رجاله الشرطة بحلب قصدوا
منازل الناس وخانات التجار لينهبوها فلحق الناس أموالهم لينهبوها فخلا السور
منهم فلما رأى الروم السور خالي من الناس قصدوه وقرى بوا منه فلم يمنهم أحد
فصعدوا إلى أعلاه فرأوا الفتنة قائمة في البلدين أهلها فنزلوا وفتحوا الأبواب
ودخلوا البلد بالسيف يقتلون من وجدوا ولم يرفعوا السيف إلى أن تعبوا
وضجروا وكان في حلب ألف وأربعمائة من الأسارى فخلصوا وأخذوا السلاح
وقتلوا الناس وسبوا من البلد بضعة عشر ألف صبي وصبية وغنموا ما لا يوصف
كثرة فلما لم يبق مع الروم ما يحملون عليه الغنمية أمر الدمستق باحراق الباقي
وأحرق المساجد وكان قد بذل لاهل البلد الأمان على أن يسلموا إليه ثلاثة آلاف
صبي وصبية وما لا ذكروه وينصرف عنهم فلم يجيبوه إلى ذلك فلكمهم كما ذكرنا
وكان عدة عسكره مائتي ألف رجل منهم ثلاثون ألفاً بالجواشن وهي الصدر
والدرع وثلاثون ألفاً للهدم وإصلاح الطرق من الناج ومعه أربعة آلاف بغل
تعمل الحسك الحديدية وهي أداة للحرب من حديد لها شوك تلتقي حول العسكر
للحفظ من الدخول اليهم ولما دخل الروم البلد قصد الناس القلعة فن دخلها
فجاء بحشاشة نفسه وأقام الدمستق تسعة أيام وأراد الانصراف عن البلد بما غنم

فقال له ابن أخت الملك وكان معه هذا البلد قد حصل في أيدينا فليس من يدفعنا عنه فلا شيء سبب ننصرف عنه فقال له الدمستق قد بلغنا ما لم يكن الملك يؤمله وغننا وقتلنا وخربنا وأحرقنا وخلصنا أسرانا وبلغنا ما لم يسمع بمثله فتراجعا الكلام الى أن قال له الدمستق انزل على القلعة فحاصرها فاني مقيم بعسكري على باب المدينة فقدم ابن أخت الملك الى القلعة ومعها سيف وترس وتبعه الروم فلما قرب من باب القلعة ألقى عليه حجر فسقط ورعى بخشب فقتل فأخذته أصحابه وعادوا الى الدمستق فلما رآه قتيلا قتل من معه من أسرى المسلمين وكانوا ألفا ومائتي رجل وعادوا الى بلاده ولم يعرض لسواد حلب وأمر أهله بالزراعة والعمارة ليعود اليهم بزعمه ﴿ ذكر فتح طبرمين من صقلية ﴾

وفي هذه السنة سارت جيوش المسلمين بصقلية وأميرهم حينئذ أحمد بن الحسن بن علي بن أبي الحسن عامل العبيديين الى قلعة طبرمين من صقلية أيضا وهي بأبدي الروم فحاصروها وهي من أمنع الحصون وأشدها على المسلمين فامتنع أهلها ودام الحصار عليهم فلما رأى المسلمون ذلك عمدوا الى الماء الذي يدخلها فقطعوه عنها وأجروه الى مكان آخر فعظم الأمر عليهم وطلبوا الأمان فلم يجابوا اليه فعادوا وطلبوا أن يؤمنوا على دماءهم ويكونوا رقيقا للمسلمين وأموالهم فياً فأجيبوا الى ذلك وأخرجوا من البلد وملكه المسلمون وكان مدة الحصار سبعة أشهر ونصف وأسكن القلعة نفر من المسلمين وسميت المعزية نسبة للمعز العبيدي صاحب أفريقية وسار جيش الى رمطة مع الحسن بن عمار فحاصروها وضيقوا عليها فلما رأى الروم ذلك خافوا وأرسلوا الى ملك القسطنطينية يعلمونه الحال ويطلبون منه أن ينجدهم بالعساكر فجهز اليهم عسكرا عظيما يزيدون على أربعين ألف مقاتل وسيرهم في البحر فوصلت الاخبار الى الأمير أحمد أمير صقلية فأرسل الى المعز بافر ببيعة يعرفه ذلك ويسبقه ويسأله ارسال العساكر اليه سر يعاوشرع هو في اصلاح الاسطول والزيادة فيه وجمع الرجال المقاتلة في البر والبحر وأما المعز فانه جمع الرجال وحشد وفرق فيهم الاموال الجليله وسيرهم مع

الحسن بن علي والد أحمد فوصلوا الى صقلية في رمضان وساروا الى الذين يحاصرون رمطة فكانوا معهم على حصارها فأما الروم فأنهم وصلوا أيضا الى مدينة صقلية في شوال ونزلوا عند مدينة مسيني وزحفوا منها بمجموعهم التي لم يدخل صقلية مثلها الى رمطة فلما سمع الحسن بن عمار مقدم الجيش الذين يحاصرون رمطة ذلك جعل عليها طائفة من عسكره يمنعون من يخرج منها وبرز بالعساكر للقاء الروم وقد عزمو على الموت ووصل الروم وأحاطوا بالمسلمين ونزل أهل رمطة الى من يليهم ليأتوا المسلمين من ظهورهم فقاتلهم الذين جعلوا هناك لمنعهم وأبعدوهم عما أرادوا وتقدم الروم الى القتال وهم مدلون بكثيرتهم وبما معهم من العدد وغيرها والنعم القتال وعظم الامر على المسلمين وألحقهم العدو بخيابهم وأيقن الروم بالظفر فلما رأى المسلمون عظم ما نزل بهم اختاروا الموت ورأوا انه أسلم لهم وأخذوا بقول الشاعر

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما

فحمل بهم الحسن بن عمار أميرهم وحجى الوطيس حينئذ وحرضهم على قتال الكفار وكذلك فعل بطارقة الروم وحملوا وحرضوا عساكرهم وحمل منوبل مقدم الروم فقتل في المسلمين فطعنه المسلمون فلم يؤثر فيه لكثرة ما عليه من اللباس فرمى بعضهم فرسه فقتله واشتد القتال عليه فقتل هو وجماعة من بطارقه فلما قتل انهزم الروم أقيح هزيمة وأكثرت المسلمون فيهم القتل ووصل المنهزمون الى حرف خندق عظيم كالحفرة فسقطوا فيها من خوف السيف فقتل بعضهم بعضا حتى امتلأت وكانت الحرب من بكرة الى العصر وبات المسلمون يقاتلونهم في كل ناحية وغنوا من السلاح والخيل وصنوف الأموال ما لا يحصى وكان في جملة الغنمة سيف هندي عليه مكتوب هذا سيف هندي وزنه مائة وسبعون مثقالا طالما ضرب به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل الى المعز مع الاسرى والرؤس وسار من سلم من الروم الى ريو وأما أهل رمطة فانهم ضعفت نفوسهم وكانت الاقوات قد قلت عندهم فاخرجوا من فيها من الضعفاء وبقي المقاتلة

فرحف اليهم المسلمون وقتلوهم الى الليل ولزموا القتال في الليل أيضا وتقدموا
بالسلايم فلكوهاعنوة وقتلوا من فيها وسبوا الحرم والمغار وغنموا ما فيها
وكان شيا كثيرا عظيما ورتب فيها من المسلمين من يعمرها ويقيم فيها ثم ان الروم
تجمع من سلم منهم وأخذوا معهم من في صقلية وجزيرة روم منهم وركبوا امرا كبيرهم
يحفظون نفوسهم فركب الامير احمد في عساكره وأصحابه في المراكب أيضا
وزحف اليهم في الماء وقتلهم واشتد القتال بينهم وألقت جماعة من المسلمين نفوسهم
في الماء وخرقوا كثيرا من المراكب التي للروم فغرقت وكثر القتل في الروم
فانهزموا الى بلوى أحد على أحد وسارت سرايا المسلمين في مداين الروم فغنموا
منها في نيل أهلها لهم كثيرا من الأموال وهادنوهم وكانت هذه الوقائع في سنة ثلاث
وخمسين وثلاثمائة والهدنة في سنة أربع وخمسين وهذه الوقعة الاخيرة تعرف بوقعة
المجاز (ولنرجع) الى تمام الكلام على حوادث سنة احدى وخمسين ففيها أخذ
الروم حصن دلوك وثلاثة حصون مجاورته وفيها سير سيف الدولة حاجبه في
جيش مع أهل طرسوس الى بلاد الروم فغنموا وقتلوا وسبوا وعادوا فقصده الروم
حصن سيسية فلكوه وفيها سار نجبا غلام سيف الدولة في جيش الى حصن زياد
فلقية جمع من الروم فهزمهم واستأمن اليه من الروم خمسمائة رجل وفي هذه السنة
أيضا في شوال أسرت الروم أبافراس بن سعيد بن حمدان من منبج وكان متقلدا لها
وكان ذا فصاحة وبلاغة وله ديوان شعر جيد وبقي أسيرا الى سنة خمس وخمسين
فافتداه سيف الدولة بمال جزيل وتسلمه منهم * وفي سنة احدى وخمسين أيضا سار
جيش من الروم الى جزيرة اقريطش فأرسل أهلها الى المعز العبيدي صاحب
اقرية يقيه يستجده ونه فأرسل اليهم نجدة فقاتلوا الروم فانتصر المسلمون وأسروا
من كان بالجزيرة من الروم * وفي سنة اثنتين وخمسين دخل أهل طرسوس بلاد
الروم غازين ودخلها أيضا نجبا غلام سيف الدولة من درب آخر وأوغل أهل
طرسوس في غزوتهم حتى وصلوا الى قونية وعادوا وفي هذه السنة اجتمع جماعة
كثيرة من الارمن وقصدوا الرها فأغاروا عليها فغنموا وأسروا وعادوا موثورين

﴿ ذكر حصر الروم المصيصة ووصول الغزاة من خراسان ﴾
في سنة ثلاث وخمسين حصر الروم مع الهمستق المصيصة وقتلوا أهلها ونقبوا
سورها واشتد قتال أهلها على النقب حتى دفعوهم عنه بعد قتال عظيم وأحرق
الروم رستاقها ورستاق أدنه وطر سوس لمساعدتهما أهلها فقتل من المسلمين
خمس عشرة ألف رجل وأقام الروم في بلاد الاسلام خمسة عشر يوماً لم يقصد
من يقتلونهم فعادوا والغلاء الاسعار وقلة الاقوات ثم ان انسانا وصل الى الشام من
خراسان يريد الغزو ومعه خمسة آلاف رجل وكان طريقهم على أرمينية
وميفارقين فلما وصلوا الى سيف الدولة في صفر أخذهم سيف الدولة وسار بهم
نحو بلاد الروم لدفعهم عن المسلمين فوجد الروم قد عادوا وافترق الغزاة
الخراسانية الى الثغور لشدة الغلاء وعادوا كثيرهم الى بغداد ومنها الى خراسان
ولما أراد الهمستق العود الى بلاد الروم أرسل الى أهل المصيصة وادنه
وطرسوس اني منصرف عنكم لالعجز ولكن لضيق العلوقة وشدة الغلاء وأنا
عائد اليكم فن انتقل منكم فقد نجوا من وجدته بعد عودي فقتلته ثم نزل ملك
الروم بعد ذلك على طرسوس وحصرها وجرى بينهم وبين أهلها حرب كثيرة
سقط في بعضها الهمستق الى الارض وكاد يوشق فقاتلت عليه الروم وخلصوه
وأسر أهل طرسوس بطريقا كبيرا من بطارقة الروم ورحل الروم عنهم
وتركوا عسكرا على المصيصة مع الهمستق فحصرها ثلاثة أشهر لم يمنعم منها أحد
فاشتد الغلاء على الروم وكثرت فيهم الوباء فمات كثير منهم فاضطروا الى الرحيل

﴿ ذكر استيلاء الروم على المصيصة وطر سوس ﴾

في سنة أربع وخمسين وثلاثمائة سار نقفور ملك الروم الى قيسارية ليقترب من
بلاد الاسلام وأقام بها ونقل أهله اليها فأرسل اليه أهل طرسوس والمصيصة
يبدلون له اناوة ويطلبون منه أن ينفذ اليهم بعض أصحابه يقيم عندهم فعزم على
اجابتهم فأنابه الخبر بأنهم قد ضعفوا وعجزوا وأنهم لا ناصر لهم وان الغلاء قد اشتد
عليهم وقد عجزوا عن القوت وأكلوا الكلاب والميتة وقد كثرت فيهم الوباء فموت

منهم في اليوم نحو ثلاثمائة ألف نفس فعاد نقفور عن اجابتهم وأحضر الرسول
وأحرق الكتاب على رأسه واحترقت لحيمته وقال لهم أنتم كالحية في الشتاء تنحدر
وتذبل حتى تكاد تموت فان أخذها انسان وأحسن اليها وأدفاها انتعشت
ونهبته وأنتم انما أطعتم لضعفكم وان تركتكم حتى تستقيم أحوالكم تأذيت بكم
وأعاد الرسول وجمع جيوش الروم وسار الى المصيصة بنفسه فحصرها وقصعها عنوة
بالسيف ووضع السيف فيهم فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم رفع السيف ونقل كل من
بها الى بلد الروم وكانوا نحو مائتي ألف انسان ثم سار الى طرسوس فحاصرها
فأدعن أهلها بالطاعة وطلبوا الامان فاجابهم اليه ووقعوا البلد فلقبهم بالجميل
وأمرهم أن يحملوا من سلاحهم وأموالهم ما يطيقون ويتركوا الباقي ففعلوا ذلك
وساروا برا وبحرا وسير معهم من يحميهم حتى بلغوا انطاكية وجعل الملك المسجد
الجامع اصطبل للدوابه وأحرق المنبر وعمر طرسوس وحصنها وجلب الميرة اليها حتى
رخصت الاسعار وتراجع اليها كثير من أهلها ودخلوا في طاعة الملك وتنصر
بعضهم والعباد بالله تعالى وأراد الملك المقام بها ليقرّب من بلاد الاسلام ثم عاد الى
القسطنطينية وأراد الدمستق أن يقصد ميفارقين وبها سيف الدولة فأمره الملك
باتباعه الى القسطنطينية وفي هذه السنة نزلت طائفة من الترك على بلاد الخزر
فاستنصر أهل الخزر باهل خوارزم فلم ينجدوهم وقالوا أنتم كفار فان أسلمتم
نصرناكم فأسلموا الاملكهم فنصرهم أهل خوارزم وأزالوا الترك عنهم ثم
أسلم ملكهم بعد ذلك

﴿ ذكر خروج الروم الى بلاد الاسلام ﴾

في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة في شوال خرجت الروم فقصدوا مدينة آمد
ونزلوا عليها وحاصروها وقتلوا أهلها فقتل منهم ثلاثمائة رجل وأسروا نحو أربعمائة
أسير ولم يمكنهم فتحها فانصرفوا الى دارا وقرى بوامن نصيبين ولقيهم قافلة واردة من
ميفارقين فأخذوها وهرب الناس من نصيبين خوفا منهم حتى بلغت أجرة الدابة
مائة درهم وراسل سيف الدولة الاعراب ليهرب معهم وكان في نصيبين فاتفق ان

الروم عادوا قبل هربه فأقام بمكانه وساروا من ديار الجزيرة إلى الشام فنازلوا
انطاكية فأقاموا عليها مدة طويلاً يقاتلون أهلها فلم يملكهم فتحها فخر بوابلدها
ونهبوه وعادوا إلى طرسوس وفي سنة ست وخمسين توفي سيف الدولة وملك
ابنه أبو المعالي شريف وفي سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وصلت سرية كبيرة
من الروم إلى انطاكية فقتلوا في سوادها وغنموا وسبوا اثني عشر ألفاً من
المسلمين وفي سنة ثمان وخمسين دخل ملك الروم الشام ولم يمنع أحد ولا قتله
فسار في البلاد إلى طرابلس وأحرق بلدتها وحصر قلعة عرفة فلما كملها ونهبها وسبي
من فيها وكان صاحب طرابلس قد أخرجه أهلها لشدة ظلمه فقصد قلعة عرفة
فاخذ الروم جميع ماله وكان كثيراً وقصد ملك الروم حصن وكان أهلها قد انتقلوا
عنها وأخذوها فاحرقها ملك الروم ورجع إلى بلدان الساحل فأتى عليها نهباً
وتحريقاً وملك ثمانية عشر منبراً وأما القرى فكثيرة لا تحصى وأقام في الشام
شهرين يقصد أي موضع شاء ويحرب ما شاء ولا يمنع أحد إلا أن بعض العرب كانوا
يغيرون على أطرافهم فأتاه جماعة منهم وتناصروا وكادوا المسلمين من العرب
وغيرهم فامتنعت العرب من قصدهم وصار للروم الهيبة العظيمة في قلوب المسلمين
فأراد أن يحصر انطاكية وحلب فبلغه أن أهلها قد أعدوا الذخائر والأسلحة
وما يحتاجون إليه فامتنع من ذلك وعادوا معه من السبي نحو مائة ألف رأس ولم
يأخذ إلا المبيدان والصبايا والشبان فاما السكحول والشيوخ والعجائز فمنهم من
قتله ومنهم من أطلقه وكان بحلب قرعوه غلام سيف الدولة فصانع الروم عليها
فعادوا إلى بلادهم فقيل كان سبب عودهم كثرة الأمراض والموت وقيل ضجروا
من طول السفر والغيبة عن بلادهم فعادوا على عزم الرجوع وسير ملك الروم
سرية إلى الجزيرة فنهوا وسبوا وأحرقوا وعادوا

ذ كرم ملك الروم انطاكية

في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ملك الروم مدينة انطاكية وسبب ذلك أنهم حصروا
حصناً بالقرب من انطاكية يقال له حصن لوقا ووافقوا أهله وهم نصارى على أن

يرحلوا منه الى انطاكية ويظهروا انهم انما انتقلوا منه خوفا من الروم فاذا صاروا
بانطاكية اعانواهم على فتحها وانصرف الروم عنهم بعد موافقتهم على ذلك وانتقل
اهل الحصن ونزلوا بانطاكية بالقرب من الجبل الذي بها فلما كان بعد انتقالهم
بشهرين جاءت الروم مع اخي نقفور الملك وكانوا نحو اربعين الفا فاحاطوا
بسور انطاكية وصعدوا الجبل الى الناحية التي بها اهل حصن لوقا فلما رآهم
اهل البلد قد ملكوا تلك الناحية طرحوا انفسهم من السور وملك الروم البلد
ووضعوا في اهله السيف ثم اخرجوا المشايخ والعجائز والاطفال من البلد وقالوا
لهم اذهبوا حيث شئتم واخذوا الشباب من الرجال والنساء والصبيان والصبايا
فحملوهم الى بلاد الروم سببا وكانوا يزيدون على عشرين الفا

✽ ذكر ملك الروم مدينة حلب وعودهم عنها ✽

لما ملك الروم انطاكية انفذوا جيشا كثيرا الى حلب وكان ابو المعالي شريف
ابن سيف الدولة محاصرا لها وها فرعو به غلام سيف الدولة متقلبا عليها فمسمع
ابو المعالي خبر الروم فارق حلب وقصد البرية ليعدهم وحصرها والبلد وبه
قرعوبه واهل البلد قد تحصنوا بالقلعة فملك الروم المدينة وحصرها والقلعة فخرج
اليهم جماعة من اهل حلب وتوسطوا بينهم وبين قرعوبه وتزددت الرسل فاستقر
الامر بينهم على هدنة مؤبدة على مال بحمله فرعو به اليهم وان يكون الروم اذا
ارادوا الغزول يتمكن فرعو به اهل القرى من الجلاء عنها لئلا يتنازع الروم ما يحتاجون
اليه منها وكان مع حلب حماة وحصص وكفرطاب والمعرة واقاميسة وشبزر وما بين
ذلك من الحصون والقرى وسلموا الرهائن الى الروم وعادوا من حلب وسلمها
المسلمون

✽ ذكر ملك الروم ملاز كرد ✽

وفي هذه السنة ارسل ملك الروم جيشا الى ملاز كرد من أعمال ارمينية فحصرها
وضيقوا على من بها من المسلمين وملكوها عنوة وقهرها وعظمت شوكتهم وخافهم
المسلمون في اقطار البلاد وصارت كلها سائبة لا تمتنع عليهم يقصدون ايهاشاوا
لضعف ملوك الاسلام عن مدافعتهم ووقوع الفتان بينهم

﴿ ذكر ما فعله الروم بالجزيرة ﴾

في سنة احدى وستين وثلاثمائة في المحرم أغار ملك الروم على الرها ونواحيها
وساروا في يار الجزيرة حتى بلغوا نصيبين فغفوا وسبوا وأحرقوا وخرّبوا البلاد
وفعلوا مثل ذلك بديار بكر فسار جماعة من أهل تلك البلاد الى بغداد مستغربين
وقاموا في الجوامع والمشاهد واستغفروا المسلمين وذكروا ما فعل الروم من
النهب والقتل والأسر والسبي فاستعظمه الناس وخوفهم أهل الجزيرة من
انفتاح الطريق وطمع الروم وأهمهم لا مانع لهم عنهم فاجتمع معهم أهل بغداد وقصدوا
دار الخليفة المطيع لله وأرادوا الهجوم عليه فنعوا من ذلك وأغلقت الابواب
فاسمعوه ما يقبح ذكره

﴿ ذكر انهزام الروم وأسر الدمستق ﴾

في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة كانت وقعة بين هبة الله بن ناصر الدولة بن حمدان
وبين الدمستق بناحية ميفارقين وكان سببها ما ذكرناه من غزو الروم بلاد
الاسلام فلما رأوا أنهم لا مانع لهم قوى طمعهم على أخذ آمد فسار الدمستق اليها
وبها هزأ من دغلام أبي الهيجاء بن حمدان فكتب الى أبي تغلب بن ناصر الدولة
يستصرخه ويعلمه الحال فسير اليه أخاه هبة الله بن ناصر الدولة واجتمعوا على حرب
الدمستق وكان الدمستق في كثرة فلقياه في مضيق لا نجول فيه الخيل والروم على
غير أهبة فانهمزموا وأخذ المسلمون الدمستق أسيرا ولم يزل محبوسا الى أن مرض
سنة ثلاث وستين وبالغ أبو تغلب في علاجه وجمع الاطباء له فلم ينفعه ذلك ومات
وفي سنة ثلاث وستين أصاب الخليفة المطيع لله فالج فثقل لسانه وتعذرت عليه
الحركة فخلع نفسه وبويع لابنه الطائع لله وفي سنة ست وستين توفي الحكيم بن
عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس وأقيم بعده ابنه هشام وكان صغيرا ولقب
المؤيد وقام بأمره الوزير المنصور بن أبي عامر واشتغل بالغزو وفتح من بلاد
الاعداء كثيرا وامتلاّت الاندلس بالغنائم واستقر المنصور ستا وعشرين سنة
غزا فيها اثنتين وخمسين غزوة يطول الكلام بذكرها وسيأتي ذكر شئ منها ومن

محاسن غزواته أنه دخل بلاد الفرنج غازيا فجاز الدرب إليها وهو مضيق بين
جبلين وأوغل في بلاد الفرنج يسبي ويخرب ويغتم فلما أراد الخروج رآهم قد سدوا
الدرب وهم عليه يحفظونه من المسلمين فأظهر أنه يريد المقام في بلادهم وشرع
هو وعسكره في عمارة المساكن وزرع الغلات وأحضروا الحطب والتبن
والميرة وما يحتاجون إليه فلما رأوا عزمه على المقام مالوا إلى السلم فراسلوه في ترك
الغنائم والجواز إلى بلاده فقال أعازم على المقام فتركوا له الغنائم فلم يجيبهم إلى
الصلح فبدلوا له المالا ودواب تحمل له ما غنمه من بلادهم فأجابهم إلى الصلح وقصوا
له الدرب فجاز إلى بلاده

ذكر غزوات بالهند

وكان القائم بتلك الغزوات السلطان سبكتكين بضم السين وفتح الباء وسكون
الكاف الأولى وفتح التاء وكسر الكاف الثانية وبنوه بعده وسبكتكين كان
في الأصل غلاما لابي اسحق بن البتكين صاحب جيش غزنة للسامانية ملوك
خراسان عمال الخلفاء العباسيين وكان سبكتكين مقدما عند مولاه ابي اسحق
المدكور فلما مات ابي اسحق لم يخلف من أهله وأقاربه من يصلح للتقدم فاجتمع
عسكره واتفقوا على تقديم سبكتكين لما عرفوه من عقله ودينه ومروءته
فقدموه عليهم وولوه أمرهم سنة ست وستين وثلاثمائة فأحسن السيرة فيهم وصار
لهم ملك ضم توارنه بنوه في كابل والهند وخراسان إلى سنة سبع وأربعين
وخمسة مائة فتكون مدة ولايتهم مائتي سنة وثلاث عشرة سنة تقريبا وكان ملوكهم
من أحسن الملوك سيرة لاسيا السلطان محمود بن سبكتكين فان آثاره في الجهاد
معروفة وأعماله للآخرة مشهورة وكان مقر سلطنتهم غزنة فهي دار ملكهم وهي
من مدائن كابل وهذا أول ذكر غزواتهم في سنة ست وستين وثلاثمائة غزا
سبكتكين وهو والد السلطان محمود صاحب غزنة فافتتح قلاعا حصينة على
شواهيق الجبال وعاد سالما ظافرا ولما رأى جبال ملك الهند مادهمه وأن بلاده
تملك من أطرافها جمع الجيوش الكثيرة واستكثر من الفيول وسار حتى اتصل
بولاية سبكتكين فسار سبكتكين عن غزنة إليه ومعه عساكره وخلق كثير من

المتطوعة فالتقوا واقتتلوا أياما كثيرة وصبر الفريقان وبالقرب منهم عقبه
غورك وفيها عين ماء لا تقبل نجسا ولا قدرا واذا ألقى فيها شيء من ذلك اكفهرت
السماء وهبت الرياح وكثر الرعد والبرق والأمطار ولا تزال كذلك الى أن تطهر
من الذي ألقى منها فأمر سبكتكين بإلقاء نجاسة في تلك العين فجاء الغيم والرعد
والبرق وقامت القيامة على الهنود لأنهم رأوا ما لم يروا مثله ونوالت عليهم
السواقي والأمطار واشتد البرد حتى هلكوا وعميت عليهم المذاهب واستسماوا
لشدة ما عاينوه وأرسل ملك الهند الى سبكتكين يطلب الصلح وترددت الرسل
فأجابهم اليه بعد امتناع على مال يؤديه وبلاديسماها وخسين فيسلا يحملها اليه
فاستقر ذلك ورهن عنده جماعة من أهله على تسليم البلاد وسير معه سبكتكين من
يتسماها فان المال والقبيلة كانت معجولة فلما أبعد ملك الهند قبض على من معه من
المسلمين وجعلهم عنده عوضا عن رهائنه فلما سمع سبكتكين بذلك جمع العساكر
وسار نحو الهند فأخرب كل ما مر عليه من بلادهم وقصد لمغان وهي من أحسن
قلاعهم فاقتحمها عنوة وهدم بيوت الاصنام وأقام فيها شعار الاسلام وسارعها
يفتح البلاد ويقتل أهلها فلما بلغ ما أراد عاد الى غزنة فلما بلغ الخبر ملك الهند جمع
العساكر وسار في مائة ألف مقاتل فلقب سبكتكين وأمر أصحابه أن يتناوبوا
القتال مع الهنود ففعلوا ذلك فضجر الهنود من دوام القتال معهم وحملوا جملة
واحدة فعند ذلك اشتد الامر وعظم الخطب وحمل المسلمون أيضا جميعهم واختلط
بعضهم ببعض فانهم الهنود وأخذهم السيف من كل جانب وأسروا منهم ما لا يعد
وغنم أموالهم وأنفالهم ودوابهم الكثيرة وذل الهنود بعد هذه الواقعة ولم يبق لهم
بعد هارابة ورضوا بأن لا يطلبوا في أقاصي بلادهم ولما قوى سبكتكين بعده هذه
الوقعة أطاعه الافغانية والخلج وصاروا في طاعته

﴿ ذكر غزوة الامير أبي القاسم السككي أمير صقلية ﴾

في سنة احدى وسبعين وثلاثمائة في ذي القعدة سار الامير أبو القاسم من صقلية
يريد الجهاد وسبب ذلك ان ملكا من ملوك الفرنج يقال له بودويل خرج في جموع

كثيرة يريد صقلية فحصر قلعة مالطة وملكها وأصاب سر يتين للمسلمين فسار الأمير
أبو القاسم بعساكره ليرحله عنها فلما أقاربها خاف وجين فجمع وجوه أصحابه وقال
لهم اني راجع من مكاني هذا فلا تكسروا على رأبي فرجع هو وعساكره وكان
أسطول الكفار يسائر المسلمين في البحر فلما رأوا المسلمين راجعين أرسلوا الى
بردويل ملك الفرنج يعلمونه ويقولون له ان المسلمين خائفون منك فالحق بهم
فانك تظفر فجرد الفرنجي من عساكره أتقاهم وسار جريده وجد في السير
فأدركهم في العشرين من المحرم سنة ثنتين وسبعين فتبعي المسلمون للقتال
واقبلوا واشتدت الحرب بينهم فحمل طائفة من الفرنج على القلب والاعلام
فشقوا العسكر ووصلوا اليها وقد تفرق كثير من المسلمين عن أميرهم واختل
نظامهم فوصل الفرنج اليه فأصابته ضربة على رأسه فقتل وقتل معه جماعة من
أعيان الناس وشجعانهم ثم ان المنهزمين من المسلمين رجعوا مصعبين على القتال
ليظفروا أو يموتوا واشتد حينئذ الامر وعظم الخطب على الطائفتين فانهم
الفرنج أفرج هزيمة وقتل منهم نحو أربعة آلاف قتيل وأسروا من بطارقتهم كثير
وتبعهم المسلمون الى أن أدركهم الليل وغتموا من أموالهم كثيرًا وأفلت ملك
الفرنج هاربا ومعه رجل يهودي كان خصيصة به فوقف فرس الملك فقال له
اليهودي اركب فرسي فان قتلت فأنت لولدي فركبه الملك ونجا وقتل اليهودي
ولما قتل الأمير أبو القاسم كان معه ابنه جابر فقام مقام أبيه ورحل بالمسلمين لوقته
ولم يتمكن من اتمام الغنمة فتركوا كثيرا منها

✽ ذكر دخول الروسية في دين النصرانية ✽

قد تأخر دخول الروسية في النصرانية عن بقية الافرنج سكان أوروبا وذلك أنه
كان أول دخول الروسية في دين النصرانية سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وسبب
ذلك أنه وقع اختلاف بين ملوك الروم مع بعضهم فاستنجد بعض منهم بملوك الاسلام
وذلك البعض هو ورد الرومي وكان من أكابر رؤسائهم وقوادجيو شهرهم وعظماهم
بطارقتهم فطمع في الملك ولا قدرته له على قتال بقية المتنازعين فكاتب أبانغاب بن

حمدان أمير حلب والموصل نيابة عن الخليفة واستجده وصاهره فأجابه ابن
حمدان واستجاش بالمسلمين من الثغور فحصل له جيش ضخم فقصده قتال الروم
بذلك الجيش فأخرجوا له جيشا بعد جيش وهو يهزمهم فقوى جنانه فقصده
القسطنطينية ومع تلك الجيوش أيضا ورد الرومي الطالب لتملك القسطنطينية
فجمعوا له جيوشا كثيرة وقتلوه وقتلوا شديدا حتى انهزم فرجع ورد الرومي الى
بلاد الاسلام وقصد ديار بكر ونزل بظاهريا فارقين وكتب عضد الدولة بن بويه
المتغلب بالعراق على الخلفاء ووعدته ببذل الطاعة فأجابه بجواب حسن ووعدته
بأنه ينصره فبلغ ذلك ملوك الروم وكان ملكا منهما أخوين مشتركين في ملك
القسطنطينية فكاتبوا عضد الدولة وبعثوا له هدايا واستمالوه فقوى في نفسه ترجيح
جانها وأعرض عن نصرته ورد الرومي وكتب لنائبه ديار بكر وهو أبو علي
التميمي أن يقبض على ورد الرومي وأصحابه فشرع يبدوا الحيلة عليه فبلغ الخبر
بعض أصحاب ورد فقالوا له ان ملوك الروم قد كاتبوا عضد الدولة وراسلوه في
أمرنا ولا شك أنهم يرغبون بالمال وغيره فيسامنا اليهم فالرأى أن نرجع الى بلاد
الروم ونصطلح معهم ان أمكننا أو نغار بهم ونبذل أنفسنا فاما نطفرنا أو متنا كراما
فقال ورد ما هذا رأي ولا رأينا من عضد الدولة غير الجليل ولا يجوز أن ننصرف
قبل أن نعلم ما عنده فلما قال لهم ورد ذلك فارقه كثير من أصحابه فطمع فيه أبو علي
التميمي نائب عضد الدولة ديار بكر فكاتبه وطلب حضوره عنده والاجتماع به
فأجابه ورد الى ذلك وحضر عنده فلما اجتمع به قبض عليه وعلى ولده وأخيه
وبعض أصحابه وذلك سنة سبعين وثلاثمائة وحبسهم بما فارقين ثم حملهم لعضد
الدولة ببغداد فبقوا في الحبس الى أن مات عضد الدولة سنة خمس وسبعين وصار
ملك بني بويه لصمصام الدولة فأطلق ورد الرومي ومن كان محبوسا معه وشرط
عليه اطلاق عدد كثير من أسارى المسلمين وأن يسلم له سبع حصون عينها من
بلاد الروم برساتيقها وأن لا يقصد بلاد الاسلام لاهو ولا أحد من أصحابه مدة حياته
وجهزه بما يحتاج اليه من مال وغيره فسار ورد الى بلاد الروم واستمال في طريقه

خلقا كثيرا من أهل البوادي وغيرهم وأطعمهم في العطاء والغنمة فاجتمع معه جيش فسار به حتى نزل بملطية فملكها فقوى بها وبما فيها من مال وغيره وقصد من ملوك الروم ورديس بن لارن وراسله واستماله فاستقر الأمر بينهما على أن تكون القسطنطينية وما جاورها من شمال الخلق لورديس والجانب الآخر لورد ونحالفا ثم اجتمعا فقبض ورديس على ورد وجبسه ثم ندم فأطلقه عن قريب وعبر ورديس الخلق وحصر القسطنطينية وبها الملكان وضيق عليهما فكاتبها ملك الروسية واستجدابه وعرض عليه التزوج بأختها فأجابها بما طلباه منه من النجدة فامتنعت أختها من تسليم نفسها إلى من يخالفها في الدين فنصر ملك الروسية فكان ذلك أول دخول الروسية في النصرانية ثم تزوجها وسار بجنوده إلى قتال ورديس فاقتلوا فقتل ورديس واستقر الملكان في ملكهما وكاتبها وردا واصطلحا معه وأقره على ما يسده من الممالك وبقي دهر اطويلا ثم هلك

﴿ استطراد ﴾

حيثما ذكر بعض المؤرخين ابتداء دخول الروسية في النصرانية فينبغي أيضا ذكر ابتداء دخول غيرهم من دول الأفرنج في النصرانية وذلك يتوقف أولا على ذكر ابتداء دولة كل دولة منها وكيف كانت ديانتها قبل دخولها في النصرانية وبيان ذلك أن أقدم الدول وأقواها في أوائل الدهور دولة الفرس فانهم كانوا أقوى الدول وكانت الدول في أقطار الأرض تخضع لهم وتنقاد لأمرهم وينتهي نسب ملوك الفرس إلى وشهنج وهو مهلائيل بن قينان بن شيث بن آدم عليه السلام وكان وشهنج ملكا مسما صالحا له ملك واسع وآثار جيدة كثيرة ثم تغير من جاء بعده من عقبه فأخذوا دين المجوسية واتخذوا الهين اثنين النور والظلمة فأثبتوا الها وهو النور وشيطانا وهو الظلمة وقالوا ان النور هو الله وقالوا انه قديم وسموه يزدان وقالوا ان الظلمة اله مخلوق وهو الشيطان وسموه اهر من فأصل دينهم مبنى على تعظيم النور وهو يزدان وتعظيم الظلمة وهو اهر من فلما عظمو النور عبدوا النار وقيل ان الفرس وملكهم انتهى نسبهم إلى فارس بن

ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل انهم من نسل يافث بن نوح وهم يقولون
انهم من ولد كيومرث وهو آدم عليه السلام ويقولون ان الملك فيهم من كيومرث
وهو آدم عليه السلام وبقى فيهم الى ان استلبه منهم المسلمون من هذه الأمة في
أوائل ظهور الاسلام وكان في زمن قوة ملكهم موجودا في مشارق الارض
ومغاربها ملوك كثيرة ولكن هم كانوا أقوى الملوك وكان أكثر الملوك ينقادون
لهم ويدخلون تحت طاعتهم ومن جملة الملوك الذين كانوا يخضعون لهم ملوك
اليونان وملوك الروم الى أن صار ملك اليونان للاسكندر فقاتلهم وقهرهم
واستلب الملك منهم وجعل في أرضهم ملوكا من أكابرهم صاروا تحت طاعته
يسمون ملوك الطوائف وكانوا عشرين ملكا وكذلك قهر الاسكندر ملوك
الروم فكانوا تحت طاعته فن حين غلبه الاسكندر ملوك الفرس صار ملك
اليونان أقوى الملوك ودخل تحت طاعته ملوك الفرس وملوك الروم وهذا
الاسكندر يقال له الاسكندر الرومي مع أنه كان من اليونان لكنه نسب الى الروم
لغلبته اياهم وقهرهم ودخولهم تحت طاعته وينتهي نسب اليونان الى بزنان بن
يافث بن نوح عليه السلام وكان مبدأ ملك اليونان قبل ميلاد ابراهيم عليه السلام
لكنهم كانوا تحت طاعة ملوك الفرس الى زمن غلبة الاسكندر للفرس فصار
الروم أيضا تحت طاعته وقيل ان أول من ظهر أمره من اليونان رجل اسمه اللن
ولد سنة أربع وسبعين لمولد موسى عليه السلام وقيل ان تاريخ ظهور ملك
اليونان سنة ثمان وستين وخمسة لوفاته موسى عليه السلام وكان تاريخ غلبة
الاسكندر للفرس والروم بعد مضي خمسة آلاف سنة ومائتين واحدى وثمانين سنة
من هبوط آدم عليه السلام الى الأرض وذلك أيضا بعد مضي ثلاثة آلاف سنة
وتسع وثلاثين سنة من الطوفان وذلك أيضا بعد مضي ألف وتسعمائة سنة وثمان
وخسين سنة من مولد ابراهيم عليه السلام وبعد مضي ألف وستمائة سنة وثلاث
عشرة سنة من وفاة موسى عليه السلام وأما عيسى عليه السلام فكان ميلاده بعد
غلبة الاسكندر بثلاثمائة وثلاث سنين وكان الناس قبل ميلاد عيسى عليه السلام

يؤرخون بغلبة الاسكندر ثم بعد ميلاد عيسى عليه السلام صاروا يؤرخون
بميلاد عيسى عليه السلام وتروا التاريخ بغلبة الاسكندر ولم يبعث نبينا سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم اصطلاح المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
على أنهم يؤرخون بالهجرة وكان بين الهجرة وميلاد عيسى عليه السلام ستماية
واحدى وثلاثين سنة وقيل ستماية وحدى وعشرين سنة وكان اليونان يعبدون
الكواكب وكانت لهم أصنام على صور الكواكب يعبدونها وكان من اليونان
الفلاسفة الذين دونوا علم الطب اليوناني وكان كثير منهم يذكرون حدوث العالم
ويقولون انه قديم يعتقدون التأثير الطبيعي ولما غلب الاسكندر ملوك فارس
والروم بقي الملك في اليونان الى مضي ثلاثة عشر ملكا منهم وذلك في مدة مائتين
واثنتين وثمانين سنة أولها من غلبة الاسكندر ثم غلبهم الروم واستلبوا الملك منهم
فصارت الغلبة لملك الروم وهذا الاسكندر الذي غلب فارس الروم غير الاسكندر
المذكور في القرآن الذي يقال له ذوالقرنين كما حقق ذلك جواهر المفسرين
للقرآن فانهم حققوا أن الاسكندر ذا القرنين المذكور في القرآن كان مسلما
صالحا بل قيل بنبوته وانه كان قبل الاسكندر الرومي بدهور طويلة وأما الروم
الذين غلبوا اليونان واستلبوهم ملكهم فانهم من عقب روم بن عيص بن اسحق
ابن ابراهيم عليهما السلام فغلب الروم اليوم واستلبوهم ملكهم بعد مضي مائتين
واثنتين وثمانين سنة من غلبة الاسكندر ولم يرجع لليونان ملكهم واستقر رعية
لغيرهم وسكنوا المورة واستقر رعية أيضا الى ظهور الدولة العثمانية فلما كانت
سنة ألف ومائتين وست وثلاثين حصل منهم خروج عن الطاعة للسلطان محمود
الثاني العثماني فجهز عليهم وقاتلهم ثم توسط بعض الدول بينهم بالصلح وتوسطوا
أيضا في جعلهم دولة مستقلة ببلاد المورة فكان الأمر كذلك الى هذا الوقت وأما
الاروام فانهم بعد فتح السلطان محمد القسطنطينية سنة ثمان وخمسين وثمانماية
انقرضت دولتهم ولم ترجع لهم دولة بل هم رعية للدولة العثمانية الى الآن وكان
انتقال ملك اليونان للروم قبل ميلاد المسيح عليه السلام بمائة وخمس وأربعين

سنة وكانت ديانة الروم عبادة الكواكب والأصنام التي على صور الكواكب
فكانوا تابعين في ذلك لليونان لأن الغالب على الناس أن يكونوا على دين ملوكهم
واستمر الروم على ذلك إلى أن دخلوا في دين النصارى وذلك بعد مضي مائتين
وسبع وثلاثين سنة من ميلاد المسيح عليه السلام ثم إن بعض ملوك الروم أعاد
عبادة الأصنام وصار يقتل من يتبع الملة المسيحية وبعضهم يقبلها ويردها إلى أن
تملك منهم قسطنطين فارتضى الملة المسيحية ودخل فيها وأمر الناس بالدخول فيها
والتمسك بها وكان ذلك سنة ثمانمائة وست من ميلاد المسيح فتنصر الروم جميعا وكان
مقر ملك الروم مدينة روم إلى أن بنى القسطنطينية فان الملك قسطنطين المذكور
هو الذي بناها ونقل كرسي السلطنة من روم إلى القسطنطينية وكان ذلك سنة
ثلاثمائة واثنى عشرة من ميلاد المسيح عليه السلام وقيل إن هذا تاريخ بناء
القسطنطينية وأما نقل كرسي السلطنة إليها فكان سنة ثمانمائة وثلاثين من ميلاد
المسيح عليه السلام * وأما مدينة رومة فأول من بناها ملك من ملوك الروم قبل
غلبتهم لليونان اسمه روملس ويقال لها رومة ورومية وكان بناؤه إياها قبل
ميلاد المسيح عليه السلام بسبع مائة وثلاث وخمسين سنة * وأما بيان كيفية غلبة
اليونان للفرس وغلبة الروم لليونان والمجاريب الواقعة بينهم فلا حاجة إلى
ذكر شيء منها لأن ذلك شيء طويل لأفائدة في ذكره * ولما ملك الروم اليونان
وغلبوا عليهم واستلبوهم ملكهم خضع للروم كثير من الملوك ودخل تحت
طاعتهم كثير من الملوك الذين لا يستطيعون محاربة ملك الروم كملوك الأفرنج
الذين في أوروبا وكثير من ملوك أفريقيا وآسيا وصار ملك الروم ضعفا قويا
واسعا واستمر ذلك إلى سنة أربع مائة وست وسبعين مسيحية وذلك قبل
الهجرة بمائة وست وأربعين سنة فاستلب ملك إيطاليا ملك رومة وانتزعها من
ملك القسطنطينية وهو ملك الروم وفصلها عن ملكه وصارت من ممالك إيطاليا
لكنه لم يستقل بمملكها بل نازعه في ذلك كثير من دول أوروبا ووقع بينه
وبينهم مجاريب وانتزاع ورجوع مرة بعد أخرى والكلام على ذلك طويل وما

صار الملك ايطاليا استقلال تام بالملك الاسنة ألف وسبع وعشرين من ميلاد المسيح
الموافق ذلك سنة أربع مائة وثمان عشرة هجرية فاستقلالهم بالملك تأخر الى هذا
الوقت وان كانوا متقدمين بالنسبة الى وجود أصل ملكهم فهم أقدم دول أوروبا
بالنسبة لكونهم أول من أخرج رومة عن طاعة ملك الروم وان كان تمام
استقلالهم متأخرا * وأما أول الاستقلال فهو سنة أربع مائة وست وسبعين مسيحية
وذلك قبل الهجرة بمائة وست وأربعين سنة بل كان لهم ملوك أيضا قبل ذلك
لكنهم كانوا تحت طاعة ملوك الروم بل قال بعضهم ان أول وفودهم الى أرض
اطاليا وسكنهم فيها كان قبل ميلاد المسيح بألف وسبعمائة سنة فهذا وجه قول
من قال انهم أقدم ملوك الأفرنج الذين في أوروبا ومن حين وفودهم في ذلك
الوقت كان لهم رئيس بمنزلة الملك * وأما دخولهم في دين النصارى فكان بعد
ميلاد المسيح عليه السلام بخمسمائة سنة ثم لم يزل دين النصارى ينتشر عند الأفرنج
سكان أوروبا الى سنة خمسمائة وست وتسعين من ميلاد المسيح عليه السلام ثم زاد
انتشاره حتى عم أكثرهم وتأخر عن الدخول فيه الروسية لانهم انما دخلوا فيه
سنة ثلاثمائة وخمس وسبعين هجرية كما تقدم * ولما كانت ايطاليا أقدم تلك
الطوائف كان تأسيس دينهم ومقر رؤساء الدين عندهم وقد كانت النصارى بعد
رفع عيسى عليه السلام مثل ما كانوا عليه حين كان بين أظهرهم من الاقرار لله
بالوحدانية وله بالرسالة مع الاقرار بأنه عبد الله ورسوله ثم بعد رفعه دخلت عليهم
شبه حصل بسببها الافتراق في دينهم فانقسموا ثلاث طوائف ملكانية ونسطورية
ويعقوبية فالملكانية مصرحة بالتثليث كما قال الله تعالى لقد كفر الذين قالوا
ان الله ثالث ثلاثة فهؤلاء يقولون الآلهة ثلاثة المسيح وأمه والله ويقولون ان
المسيح ناسوت كلي قديم أزلي من قديم أزلي ويقولون ان مريم ولدت الهازليا
ويطلقون لفظ الابوة على الله تعالى وتنزه عما يقول الظالمون علوا كبيرا
ويطلقون أيضا لفظ البنوة على عيسى عليه السلام اطلاقا حقيقيا * وأما
النسطورية فخالفوا الملكانية فلم يقولوا بالامتزاج بل قالوا ان الكلمة أشرفت

على جسد عيسى كاشراق الشمس على كوة أو على بلور واما اليعقوبية
فيقولون انقلبت الكامة لجاود ما فصار الاله هو المسيح كما حكى الله عنهم ذلك
بقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم واما المسلمون فقالوا كما
ذكر الله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن
فيكون فهذا هو المراد من الكامة (ومن الشبه) التي دخلت على النصارى حتى
قالوا بالوهية عيسى عليه السلام انه يبرى الأكمة والابرص ويحيى الموتى وما
عقلوا ان ذلك بأمر الله بل هو فعل الله وخلقه وإيجاده أجراه على يد عيسى عليه
السلام وقد أقام الله عليهم الحجة في ابطال زعمهم فقال سبحانه وتعالى * ما المسيح
ابن مريم الا رسول قد دخلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يا كلان الطعام
انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون * فقوله سبحانه وتعالى كانا
يا كلان الطعام برهان على افتقارهما الى الطعام كافتقار جميع الحيوانات
فكيف يكون الهامن يفتقر الى الطعام ولا يكون قوامه الابن وأيضاً كل الطعام
يستلزم البول والغائط فكيف يكون الهامن يحتاج الى أن يبول ويتغوط
فأكل الطعام كناية عن البول والغائط لكن لم يعبر بالبول والغائط لفحش
الاثيان بلفظهما والقرآن العزيز الغاظة في غاية النزاهة والعذوبة مع غاية
الفصاحة والبلاغة * ومن شبههم أيضاً كون المسيح ولد بلا أب فنسبوه الى الله تعالى
وغاب عن عقولهم آدم عليه السلام فانه أغرب من عيسى عليه السلام فانه بلا أب
ولأم وقد أبطل الله لهم هذه الشبهة حيث قال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم
خلقهم من تراب ثم قال له كن فيكون فخلق آدم بلا أب ولأم أعجب من خلق
عيسى من أم بلا أب وبعده ورطوبه افرق النصارى فرقتين احدهما تسمى
كاتوليكية والاخرى بر وديستانية ومع ذلك فيبينهم اختلاف كثير ويتشعب من
اختلافهم مذاهب كثيرة ليس هذا محل تفصيلها وكلهم يقرون بالبعث ثم منهم من
يقول ان البعث بالاجساد والارواح ومنهم من يقول انه بالارواح فقط * وفي تاريخ
الامام محمد بن جرير الطبري ان قيام الساعة مما يؤمن ويقر به جميع أهل

الاسلام وأهل التوراة وأهل الانجيل والمجوس وانما ينكره قوم من غير أهل
التوحيد ثم قال وكل الذين ذكرناهم فانهم مقررون بفناء جميع العالم حتى لا يبقى
غير القديم الواحد ومقررون بأن الله عز وجل محيهم بعد فنائهم وبعثهم بعد
هلا كههم الاقوما من عباد الاوثان فانهم يقررون بالفناء وينكرون البعث اه
ويسمون الملكانية كاثوليكية وهي صفة مدح عندهم مثل التسمية بأهل
السنة عند المسلمين أما اليعقوبية والنسطورية فلم يوجد الآن أحد منهم في بلاد
الافرنج بل هم الآن كلهم ملكانية وكان اليعقوبية والنسطورية موجودين
في الزمن السابق وانقرضوا ولم يبقوا جداً أحد من اليعقوبية والنسطورية في
اصارى الشام ومصر والعراق والحبيشة (والحاصل) ان أهل المذهب
الكاثوليكي كلهم ملكانية ورئيس المذهب الكاثوليكي عند النصارى هو
الاسقف العظيم والخبر الكبير والقسيس الفخيم ويسمونه البابا ومقره وسكنه
رومة عند دولة ايطاليا فله الرياسة على كل متمسك بالمذهب المذكور بمعنى أن له
النظر في اجراء الاحكام الدينية الباطنية فهو عندهم بمنزلة القطب عند المسلمين
وكان له عندهم ملك سياسي في الاراضى التى تحت سلطته وأكثر ايطاليا على
المذهب الكاثوليكي وكانوا في سنة سبعمائة وست وعشرين من ميلاد المسيح
الموافق مائة وثمانية من الهجرة جعلوا للبابا دولة جمهورية تكون تحت رياسته
فكان ذلك التاريخ مبدأ أمره ولم يزل يترقى أمر الباباوات حتى صارت لهم سطوة
الدين والدنيا فكانت لهم ممالك واسعة في الارض وكانوار وساء في الدين والدنيا
بحيث انهم صار لهم حق كبير في تولية ملوك أوروبا وعزلهم حسب مشيئتهم
فكانت سطوتهم سائدة على كل ملوكهم وكان لغيرهم من الملوك نأج واحد وأمامهم
فكان لهم ثلاث تبعان واحد فوق واحد دلالة على كمال السلطنة وعلاوها وبلغ
اعتبارهم عندهم أنهم عندما كانوا يركبون على الخيل يمسك لهم الركاب كثير من
ملوكهم وكانوا اذا أمروا بمحاربة أمة لا يفهم أحد ويحرقون من خالفهم بالنار
وهو حى وكان البابا مرة ألزم امبراطور ألمانيا أن يقف حافياً ثلاثة أيام في فصل

الشيء أمام باب قصره ليطلب منه الغفران ورفض البابا مرة برجله ناج ملك
جرمانيا حيث كان جانياً أمامه يطلب الغفران قال بعض مؤرخي الافرنج
المتأخرين ان جهالة تلك الاعصار طمست بصائر الشعوب حتى لم يروا خطأ في
رؤساء الدين فكانوا يدعون لكل أحكامهم ويخضعون لكل ما يستقر عليه
رأيهم كأنه منزل من الله تعالى لا يشوبه عيب فلما بلغت شوكتهم الى هذا الحد لم يبق
في أوروبا مملكة الا واضطربت من أفعالهم ولا ملك الا تعكر من مطامعهم ولا
كرسي الا ورنج من شوكتهم فنشأ من ذلك فتن كثيرة كان منها انحطاط أمر
الباباوات شيئاً فشيئاً الى سنة ألف وثمانمائة واحدى وسبعين مسيحية الموافق ألفا
ومائتين وثمانيا وثمانين هجرية فسقط أمرهم بالكليّة ودخل الايطاليون الى
عاصمة مملكة البابا وأخذوها منه وأبقوه على الكاثوليكية رئيساً فقط ومقره في
الكنيسة الرومانية وليس له من الرياسة غير ذلك واستقر الأمر كذلك الى هذا
الوقت وأما الاحكام بين الرعايا وما يتعلق بالسياسة وتدير الملك فقد جعلوا لها
قوانين دونها بمقوله واتخذوا لكل نوع منها مجالس مخصوصة وهكذا ساثر دول
أوروبا بماع انه كان عندهم في الانجيل وفي الكتب القديمة أحكام مدونة تتعلق
بالعبادات والمعاملات والأنسحة فتركوا كثير منها وأسسوا تلك القوانين العقلية
ورأوها أقوى في تثبيت ملكهم ثم ان الملكانية الذين تقدم انهم يسمون
كاثوليكية استقروا على المذهب الكاثوليكي الى القرن التاسع فلما كثر
المنكرون رياسة البابا صاحب رومة وصاروا يسمون المنكرين لرئاسته
بروتستان وصارت هذه التسمية عندهم مثل تسمية المبتدعة الخارجين عن
مذهب أهل السنة عند المسلمين فان المسلمين أهل السنة يسمون المخالفين لهم
بالمبتدعة فصار عندهم النصارى الملكانية لا يسمي كاثوليكية الا من اعترف
برئاسة البابا ومن لم يعترف بها فهو بروتستان بمنزلة المبتدع عند المسلمين وكان هذا
الاصطلاح عندهم في القرن التاسع من قرون الهجرة النبوية فهذا هو الفرق
الاعظم عندهم بين الفريقين ومع ذلك فالذين يسمونهم بروتستان كثير منهم

لا يستأنفون من هذه التسمية لكن الاكثر منهم اذا قيل له أنت بروستان
يستأنف من ذلك ولا يرضى بهذا اللقب لانه بمنزلة المبتدع ويقول بل أنا كاثوليكي
وان كان غير معترف برئاسة البابا ثم ان بين الفريقين أيضا اختلاف في مسائل
كثيرة فأعظمها ان البر وستان لا يعترفون برئاسة البابا بل يقولون هو من
جملة رؤساء الاساقفة ولا تنحصر رئاسة الاساقفة فيه بل هي فيه وفي أسقف
القسطنطينية وأسقف اسكندرية لامرية ولارئاسة لأحد الثلاثة على الآخرين
ولا يزيد قدر أحد الثلاثة على الآخرين * وأما الكاثوليكية الاصيليون عندهم
فهم المعترفون برئاسة البابا صاحب رومة على غيره * ومن الاختلاف الواقع
بينهم أن بعض البر وستان يخالف مذهب الملكانية الاصلى للفريقين في اعتقاد
التثليث لانهم نظروا في كتب أهل الاسلام وأدلتهم على وحدانية الله فاعترفوا
بصحة تلك الأدلة واعترفوا بوحداية الله تعالى لكنهم لم يعترفوا برسالة سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم واعترفوا برسالة عيسى المسيح عليه السلام وقالوا انه عبد الله
ورسوله وبوافقون النصارى في بقية دياناتهم فهذا موضع من مواضع المخالفة
بينهم وبين الكاثوليكية لكن هذا الاعتقاد أعني اعتقاد الوحدانية لله تعالى
لا يقول به كل البر وستان بل بعضهم والبعض الآخر من البر وستان يقولون
بالتثليث مثل الكاثوليكية لكنهم سموهم بروستان لعدم اعترافهم برئاسة
البابا بل يقولون أصول الاساقفة أسقف رومة وأسقف القسطنطينية وأسقف
الاسكندرية ثم ان جميع الفريقين لهم عبادات ومشروعات مختلفة اختلافا كثيرا
لم يتفقوا كلهم على شئ منها الا الدعاء فانهم كلهم اعترفوا بمشروعيته * وأما صلاتهم
وصيامهم وباقي عباداتهم فهم مختلفون فيها اختلافا كثيرا فمن ذلك أن الصوم
يقول الكاثوليكية انه فرض ويقول البر وستان انه سنة وليس بفرض
والصوم المذكور هو صوم أربعين يوما في فصل الربيع الذي يكون قبل الصيف
بمحيث يكون آخر الاربعين موافقا لآخر الربيع هذا متفق عليه بينهم لكن
الكاثوليكية الاكثر منهم وهم أهل الديانة القوية منهم يقولون ان الصوم هو

امسك عن تناول الطعام والشراب من طلوع الشمس الى غروبها في الاربعين
يوما، وأما البر وتستان وبعض الكاثوليكية الذين ضعفت ديانتهم فانهم يجوزون
في حالة الصيام تناول الطعام والشراب لكنهم يقولون لا يجوز تناول اللحم
بجميع أنواعه وكذا ما تولد من الحيوان كاللبن والسمن الاحوت فانهم يجوزون
تناوله حالة الصيام ويتناولون أيضا الخبز والحلوى وسائر الاطعمة غير اللحم الذي
ليس لحم حوت ويشربون الخمر والماء في حالة الصيام ومن الفرق بين الفريقين
أن لكل منهم اولياء يعتقدون فيهم ويتوسلون بهم لكن بينهم اختلاف في بعض
الاولياء فهذا البعض يعترف به أحد الفريقين دون الآخر وبالعكس فاذا كان
الاولياء الذين يعتقدهم الكاثوليك لا يعتقدهم انسان يقولون انه بروستان
وهناك فرقة يسمونهم اللاتينية وفرقة يسمونهم أهل الديانة الروسية (أرثوذكس)
وذلك بسبب عدم اعترافهم برئاسة البابا وان كانوا وافقين الكاثوليك في جميع
ما هم عليه من الديانات والاعتقادات ومع ذلك فكثير من اللاتينية وأهل الديانة
الروسية يقولون نحن كاثوليك افتضار هذا اللقب فيقولون لهم كذبتم أنتم لاتينية
أو من أهل الديانة الروسية حيث انكم لم تعترفوا برياسة البابا وهناك فروق كثيرة
بين طوائفهم ومذاهب مختلفة يكفر فيها بعضهم بعضا لا حاجة الى ذكرها وانما المدار
عندهم في الفرق بين الكاثوليكية والبر وتستان الاعتراف برياسة البابا وعدم
الاعتراف بها وقد عرفت أن الاصل الاصيل عندهم في تأسيس الديانات
والاقدمية في الملك هي دولة ايطاليا ومع ذلك فبعض منهم ينكرون رياسة البابا
فيكونون عندهم بروستان لكن الاكثرون منهم يعترفون بها فيقرون لهم بأنهم
كاثوليك وبعض من الفرنسيين والانكليز وغيرهم خرجوا عن ملة النصارى
بالكلية في الباطن وان كانوا يعترفون بها في الظاهر وأما في الباطن فصاروا
كالزنادقة عند المسلمين فهؤلاء لا يعترفون في الباطن بشئ من دياناتهم بل
ولا بنبوته عيسى ولا غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بل بعض منهم ينكرون
الصانع ولا يعترفون ببعثه ولا نشور ويقولون ما هي الا أرحام تدفع وأرض تبلع

وما يهلكنا الا الدهر فهو لاء دهرية لكنهم لا يتظاهرون بذلك بل يخفونه
ويظهرون انهم على ملة النصارى وفي هذا القدر كفاية فلنقم الكلام على ذكر
بقية دولهم وكيفية ابتداء كل دولة ومتى كان دخولهم في النصرانية (أما دولة
الفرنسيس) فأصلهم أيضا شعوب وقبائل مختلفة دخلت تلك البلاد في أوقات
مختلفة واستوطنوا تلك الارض التي هم فيها الآن وأخص تلك القبائل وأشهرها
قوم يقال لهم الكايتيين ويقال لهم أيضا الافرنك بالكافي ثم غيرت بجيم فصار
الافرنج وقيل أصله فرنك بالكافي فأبدلت الكافي سينا فصار فرنسة وفي
تاريخ ابن خلدون عند ذكره الفرنسيس قال هذه الامة المعروفة بالفرنجة تسمىها
العامة بالافرنسيس نسبة الى بلد من أمهات بلدانهم تسمى افرنسة وينتهي نسب
الاكثر منهم الى يافت بن نوح عليه السلام ومع ذلك فقد اختلط بهم كثير من غير
جنسهم وصاروا ملحقين بهم والغالب أنه اذا أطلق الافرنج انما ينصرف اليهم فيراد
بهم الفرنسيس وقد يطلق اسم الافرنج على غيرهم من تلك الطوائف الساكنين
باورو وياحتى صار هذا الاطلاق شائعا في هذه الأزمان وابتدأ الملك في الفرنسيس
من سنة أربع مائة وعشرين من ميلاد المسيح عليه السلام وذلك قبل الهجرة بمائتين
واثنتين من السنين هذا ابتداء انتظام الملك فيهم واستقلالهم فيه وأما قبل ذلك
فكان لهم ملوك لم ينتظم أمرهم ولم يكمل لهم الاستقلال بل كانوا نارة يكون لهم
استقلال ونارة يكونون تحت طاعة غيرهم وقهره وأما اذا اعتبر ابتداء وهم الاصل
فانه كان قبل ميلاد المسيح عليه السلام بخمسة قرون وكانوا تحت قهر ملوك
اليونان ثم بعد ذهاب ملك اليونان صاروا تحت قهر ملوك الروم فلا يحسب لهم
ملك مستقل في تلك الأزمان وكانت دياناتهم عبادة الاوثان التي على صور
الكواكب وعبر بعضهم عن ديانتهم قبل دخولهم في النصرانية بأنها تشبه
ديانات أهل الهند عبادة الأوثان ثم دخلوا في النصرانية سنة تسعين
وأربع مائة من ميلاد المسيح عليه السلام وكان أول من دخل منهم في النصرانية
الملك كاويس وأكثرتهم يدعون أنهم على المذهب الكاثوليكي وكثير منهم

على المذهب البر وتستاني ومنهم من لا يتدين بدين النصارى ولا غيرهم وينكرون
بعثة الأنبياء عليهم السلام بل منهم من ينكر الصانع ولكنهم يتسترون ويقولون
أنهم على دين النصارى ومن مالوك الفرنسيس المشهورين كارلويس
الكبير المسمى شارلمان كان ساعيا في ترقى أسباب العلوم العقلية والفنون
الادبية والصناعية التي يتسع بها ملكهم وشاع صيته وانتشر ذكره ومكث في الملك
خمساً وأربعين سنة وكان معاصر المهارون الرشيد وكان بينه وبينه مكاتبات وأهدى
اليه الرشيد مرة شطرنجاً ثميناً وساعة فلوكية من مخترعات بلاد المشرق وأهدى
اليه أيضاً أنواعاً كثيرة من البزورات التي تزرع وليست في بلادهم الا فرنجية
وأرسل له مفاتيح كنيسة في بيت المقدس وأمر الرشيد العمال الذين كانوا له في بيت
المقدس أن يعاملوا الزوار الذين يأتيون من بلاد الفرنسيس للزيارة أحسن
المعاملة ومات شارلمان المدكور سنة ثمانمائة وأربع عشرة مسيحية الموافق مائة
وتسعا وتسعين هجرة فيكون موته بعد وفاة الرشيد وأما عدد سكان أرضهم
وعدد درعابهم وعدد عساكرهم وما هو عندهم من الاموال والسلاح وغير ذلك
فلا حاجة بنا الى ذكره وكذا ما كان يقع بينهم وبين بقية الدول الا فرنج من المحاربات
وتغلب بعضهم على بعض فلا حاجة بنا الى ذكره نعم وقع بينهم وبين الانكبايز
غريب عجيب وهو أنهم تجار بوا ومكث الحرب بينهم واستدام نحو مائة وست
عشرة سنة نارة تكون الغلبة لهؤلاء ونارة لهؤلاء وكان ابتداء ذلك الحرب من
سنة ألف وثلاثمائة وسبع وثلاثين مسيحية الموافق سبعمائة وثمانيا وثلاثين هجرية
وانتهاه بالصلح بينهم سنة ألف وأربعمائة وثلاث وخمسين مسيحية الموافق سنة
ثمانمائة وسبعا وخمسين هجرة وذلك مبسوط في تواريخهم ويسمونه حرب المائة
سنة وكان استيلاء الفرنسيس على الجزائر بافر بقية سنة ألف ومائتين وست
وأربعين وفي سنة ألف ومائتين وست وتسعين أدخلوا المحاكم التونسية في حمايتهم
(وأما دولة الانكبايز) ويقال لها دولة أنكلترا أو بريطانيا فكان أول ظهورهم
قبل ميلاد المسيح عليه السلام بخمس وخمسين سنة وكان بينهم وبين الا فرنج دول

أورو وباحاربات كثيرة ولم ينتظم الملك لهم ويتم الاستقلال الاسنة ثمانمائة وسبع
وعشرين مسيحية الموافق مائتين وثلاثا وأربعين هجرية وكان أول دخولهم
النصرانية سنة خمسمائة وست وتسعين مسيحية وذلك قبل الهجرة بست وعشرين
سنة وهم أيضا مثل الفرنسيين فيهم الكاثوليك والبرستانت والديهرية وأما
أصلهم الذي انتهى اليه أنسابهم فهم أيضا مجتمعون من أصناف وفروع شتى وفيهم
جماعة من الكايتيين وجماعة انتهى نسبهم الى بافت بن نوح عليه السلام ولهم
جزيرتان منفصلتان احدهما جزيرة بريتانيا والاخرى جزيرة ايرلندا ولذلك
اشتهرت مملكتهم بمملكة بريتانيا و ايرلندا وكانوا في أول أمرهم كالوحوش
ويلبسون جلود الوحوش وكانت مساكنهم حقيرة يقيمونها نارة من الاعواد
وأوراق الشجر وتارة من الطين وكان شغلهم صيد الحيوانات يتعيشون منها وحالهم
يشبه أجلاف العرب وكانوا يسجدون للصخور والحجارة ويتابع الماء ثم لم يزل
أمرهم يظهر ويقوى حتى صارت لهم دولة قوية وكان استيلاؤهم على الهند
مبتدؤه سنة ألف وسبعمائة وسبع وخمسين مسيحية الموافق سنة ألف ومائة وثلثين
وسبعين هجرية وتمام استيلاؤهم على الهند سنة ألف وثمانمائة وست عشرة
مسيحية الموافق سنة ألف ومائتين وثمانية هجرية وكان تمام استيلاؤهم المذكور
بعد حروب وعناء شديد واما استيلاؤهم على جبل الطارق الذي في المغرب فكان
سنة ألف ومائة وست عشرة هجرية انتزعه من الاسبانيول في السنة
المذكورة وقد حاول الاسبانيول والفرنسيين انتزاعه بعد ذلك من الانكابتز
مرارا عديدة فلم يتيسر لهم ذلك وكان الاسبانيول قبل أخذه منهم قد انتزعه من
المسلمين سنة ثمانمائة وسبع وستين هجرية وهذا الجبل من أعظم الحصون في
العالم ويعتبر مفتاح البحر المتوسط وهو مقابل للجزيرة الخضراء التي هي من
بلاد الاندلس فاصل بينها وبين افريقية ويسمى جبل القمح وجبل طارق
وهو طارق بن زياد الذي فتح الاندلس سنة ثنتين وتسعين من الهجرة وطارق
هذا هو مولى موسى بن نصير بصم النون وفتح الصاد مصغرا وموسى المذكور هو

سولى عبد العزيز بن مروان أخو عبد الملك بن مروان ووالد عمر بن عبد العزيز
فسمى الجبل باسم طارق المدكور لانه نزل بالمسلمين عنده لما قصد فتح الاندلس
ويسمى جبل الفتح أيضا للعله المدكور والعامية يسمونه جبل الطار وصوابه
جبل طارق ❦ وأما دولة النمسا المسماة أيضا أوستوريا ❦

فهم أيضا من أصناف شتى وأكثرهم من التتار وابتداء دولتهم كان من سنة ثلاث
وثلاثين من ميلاد المسيح عليه السلام وكان بعض دول أوروبا يدخلونهم تحت
طاعتهم ويتغلبون عليهم وما حصل للنمسا استقلال الملك التام الامن سنة تسعمائة
وثنتين وثمانين مسيحية الموافق سنة مائتين وثمانيا وأربعين هجرية ودخولهم في
النصرانية في حدود السنين التي دخل فيها من تقدم ذكرهم ومثل ذلك يقال
فمين يأتي ذكرهم من الدول الا الروسية فانه تأخر دخولهم في النصرانية الى
سنة ثلاثمائة وخمس وسبعين هجرية كما تقدم

❦ وأما دولة البروسية ❦

فهم قسم كبير من جرمانيا ويقال لجرمانيا أيضا ألمانيا وهم أمم كثيرة لهم ملوك شتى
والبروسية طائفة منهم وابتداء دولتهم من سنة أربع وخمسين من ميلاد المسيح
عليه الصلاة والسلام واستقلالهم التام بالملك من سنة ألف وثلاثمائة وخمس عشرة
مسيحية الموافق سنة ثمانمائة وثمان عشرة هجرية ثم انضم الى حمايتهم كثير من
الدول الصغار من دول جرمانيا فقوى ملكهم واتسع

❦ وأما دولة الروسية المسماة بالموسكوف ❦

فهم أيضا مجتمعون من أجناس كثيرة ومنهم من ينتهي نسبه الى يافث بن نوح عليه
السلام وكانوا قبل استقلالهم في الملك تحت الرومانية قبل ميلاد المسيح عليه
السلام ثم لما تقوى بعض دول أوروبا بانغلبوا عليهم فكانوا تحت طاعتهم وما كان
لهم الاستقلال التام بالملك الامن سنة ثمانمائة واثنتين وستين مسيحية الموافق مائتين
وثمانيا وأربعين هجرية وكانوا يعبدون الأوثان كغيرهم من دول أوروبا ودخولهم
في النصرانية سنة ثلاثمائة وخمس وسبعين كما تقدم

﴿ وأما دولة أسبانيا و يقال لهم أيضا الاسبانيول ﴾

فهم أيضا من أجناس مختلفة وكان لهم ملوك في القديم تابعون لدولة اليونان ثم لدولة الرومانيين بعد اليونان ثم تغلب عليهم بعض من هو أقوى منهم من ملوك أوروبا ثم استولى المسلمون على أكثر ممالكهم لما فتح الأندلس فكانت الأندلس تحت يد أسبانيا إلى سنة ثنتين وتسعين هجرية فانتزعه المسلمون منهم وبقى لهم ملك ضعيف في آخر الأندلس ووقع بينهم وبين المسلمين حروب كثيرة ثم انتزعوا الأندلس من المسلمين شيئا فشيئا إلى أواخر التسعمائة من الهجرة ثم أخرجوا من بقي من المسلمين بالأندلس في سنة ألف وعشر واستقلوا بالملك وكانت ديانتهم عبادة الأوثان كغيرهم ممن تقدم ودخلوا في النصرانية في الزمن الذي دخل فيه من تقدم ذكرهم

﴿ وأما دولة البرتوغال ﴾

فكانت تابعة أيضا للرومانيين وكانت ممالكهم في أواخر الأندلس فلما استولى المسلمون على الأندلس أضافوها إلى ما بيدهم من الأندلس ثم انتزعت من المسلمين سنة أربع مائة وتسع وثمانين هجرية واستولى عليها الاسبانيول ثم انتزعها البرتوغال من الاسبانيول واستقلوا بالملك فيها سنة ألف وخمسين هجرية

﴿ وأما دولة هولاندا و يقال لهم الفامنك ﴾

فكانت تحت طاعة أسبانيا وكان بين الدولتين حروب كثيرة استمرت نحو ثمانين سنة إلى أن استقلوا بالملك في حدود تسعمائة وسبع وثمانين من الهجرة وكان في السنين المذكورة استيلاؤهم على بلاد الجاوى وكان دخولهم في النصرانية في حدود السنين التي دخل فيها من تقدم ذكرهم

﴿ وأما دولة الدينبارك ﴾

فكانت تحت طاعة ملوك أوروبا إلى سنة ست وتسعين وثلاثمائة وألف مسيحية الموافق سبعمائة وتسع وتسعين هجرية فاستقلوا بالملك

﴿ وأما دولة السويد والنوريج ﴾

فكانت أيضا تحت ملوك أوروبا واتحت طاعة الدينبارك ثم استقلوا بالملك

سنة ألف وخمسمائة وثلاث وعشرين من مسيحية الموافق تسعمائة وثلاثين هجرية

﴿ وأمدولة البلجيك ﴾

فهي من ممالك جرمانيا وما صار استقلالها الامن سنة ألف وثمانمائة وثلاثين

مسيحية الموافق سنة ألف ومائتين وستا وأربعين هجرية

﴿ وأمدولة السويسرية ﴾

فكانت أيضا يتداول التملك عليها ملوك أوروبا واستقلت بالملك سنة ألف وستمائة

وثمان وأربعين من مسيحية الموافق سنة ألف وثمانيا وخمسين هجرية

﴿ وأمدولة باواريا ﴾

فملاكتهم تجتمع ملوكا كثيرة كل واحد منهم له مملكة صغيرة وكانت تلك الممالك

وملوكها تحت طاعة من قوى من ملوك أوروبا ثم صارت ممالك باواريا مستقلة

سنة خمسمائة وثلاثين من مسيحية الموافق لما قبل الهجرة باثنين وتسعين سنة ثم صارت

هذه الممالك في هذه السنين تابعة لملك البروسية

﴿ قائدتان ﴾

الاولى تتفرع مسئلة فقهية على معرفة تاريخ دخول هذه الطوائف في دين

النصرانية وهي أنه ان كان دخولهم فيه قبل نسخه فانهم يلحقون بأهل الكتاب

في حل كل ذبيحتهم وفي حل تزوج المسامين نساءهم وان كان دخولهم فيه بعد

نسخه فلا يلحقون بأهل الكتاب فيما ذكر ونسخ دينهم انما كان ببيعة نبينا محمد

صلى الله عليه وسلم قال الامام الرازي في تفسيره عند تفسير قوله تعالى والمحصنات

من الذين أتوا الكتاب من قبلكم مانصه قال الكثير انما يحل نكاح الكتابية

التي دانت بالتوراة والانجيل قبل نزول القرآن قالوا والدليل عليه قوله تعالى

والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم فقوله من قبلكم يدل على أن من

دان بالكتاب بعد نزول القرآن خرج عن حكم أهل الكتاب اه وذكر

الخطيب الشريبي في تفسيره مثل ذلك في حل كل ذبيحتهم وهذا الذي ذكره

كل منهما هو مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه وأما أهل المذاهب الثلاثة فلم

يقولوا بهذا التفصيل بل أطلقوا القول بحل كل ذبايح أهل الكتاب وحل
الزواج من نسائهم ولو دخلوا في دين أهل الكتاب بعد نسخه

✽ الفائدة الثانية ✽

كانت دول الفرنج قبل ظهور الاسلام في غاية التوحش وعدم المعرفة بالحرب
والصنائع وأنواع السياسات وتدير الحروب وأنواع العلوم العقلية وما وجد ذلك
فيهم وانتشر الابدظهور الاسلام ومخالطتهم للمسلمين فتعلموا ذلك منهم فحصل لهم
التمدن والحضارة قال بعض مؤرخيهم عند ذكر الحروب التي كانت بينهم وبين
المسلمين في القرن السادس أيام السلطان صلاح الدين الايوبي المسماة بحرب
الصليب ما نصه ان تلك الحروب وان هلك فيها كثير من النفوس وذهب فيها كثير
من الأموال من غير حصول على المقصود لكنه أعقب نتائج نافعة لهم منها أنهم من
ذلك الوقت شرعوا في ترتيب العساكر وتعلموا بمواصنهم المسلمين صناعة
التجارة والزراعة وكثيرا من العلوم العقلية والفلكية وألفوا التواريخ النافعة
وتوسعوا في معرفة علم الفلك والفواقيح وتخلقوا بأخلاق الحضرة وتعودوا
الأسفار برا وبحرا الاستكشاف أحوال الأقطار واكتشفوا على أمر يكافي
أسفارهم سنة ثمانمائة وتسعين هجرية ولم تكن قبل ذلك معلومة لاحد قط
واكتسبوا من المسلمين أنواع الفروسية واللعب بالخيول والرماح وتعاطوا المعاني
الغريبة في كلامهم وأشعارهم لاسيما من كانوا منهم مخالطين للمسلمين بالاندلس
وتعلموا أيضا المشورة في الأحكام وعلموا أن الملك يفسد بالاستبداد وعدم
المشورة فدونوا لهم أحكاما وقوانين يرجعون اليها واستكثر وامن جمع كتب
الاسلام وترجمتها بلسانهم ليعلموا معانيها فأخذوا منها ما يكون به صلاح الملك
واتخذوا مدارس لتعليم أنواع الفنون وعرفوا أن الملك لا ينتظم الا بذلك كله ومن
مقالات بعض مؤرخيهم لا تصلح السكنى ببلد حتى تكون الشريعة فيها أقوى
من السلطان ومراده بالشرعية ما أسسوه من القواعد العقلية لأحكامهم وسياسة
ملكهم واذا كان هذا في تلك الأحكام العقلية فكيف اذا رجع المسلمون الى

شريعتهم المطهرة المؤسسة بالوحي من الله تعالى وتمسكوا بها حتى يكون حكم
السلطان تابعا لحكمهم فلا شك أنها تكون أقوى من السلطان * وقال بعض
مؤرخيهم أيضا ما بلغت أمة من الأمم غاية الاستقامة بالاحترام قوانين أحكامها
المؤسسة على العدل كما أن عدم احترامها يكون منشأ الرجوع إلى القهقري
ولا يتوهم أن ذلك ببركة في قوانينهم العقلية وإنما ذلك بسبب ابتنائها على التجارب
العادية ومراعاة الوازع الديني * وأما الشريعة المطهرة فهي أقوى من ذلك
كله لأنها مبنية على الوحي الإلهي الذي يحصل من اتباعه كمال البركة وإذا كانت
مخالفة قوانينهم يرونها موجبة للانحطاط فلا شك أن مخالفة الشريعة المطهرة
يحصل منها كمال الانحطاط مع ما يعقب ذلك من العذاب في الدار الآخرة وقال
بعض مؤرخيهم وبالجملة في السبب المذكور وهو مخالطة الأور وبأبين للامة
الاسلامية المتقدمة عليهم في التمدن والحضارة كان ابتداء التمدن عند الأور وبأبين

﴿ تقسيم ﴾

ذكر كثير من المفسرين للقرآن العزيز وكثير من المؤرخين أن الذين ملكوا
الدنيا من مشرقها إلى مغربها ثلاثة مسلمين وكافر أما المسلمان فهما سليمان بن
داود عليهما السلام وذو القرنين وأما الكافر فهو النمرود الذي كان في زمن
ابراهيم الخليل عليه السلام وزاد بعضهم رابعا كافرا وهو بختنصر فيكونون
أربعة مسلمين وكافران لكن قال ابن الأثير في الكامل إن بختنصر لم يملك الدنيا
كلها وإنما كان له ملك واسع وهو الذي خرب بيت المقدس وقتل بني اسرائيل
وأسر سبعين ألفا منهم لأن الله سلطه عليهم لما كثرت فيهم المعاصي والمخالفات
وبختنصر هذا كان مجوسيا من مجوس بابل ولم يعرف له أب وكان عاملا على
العراق الملك الفرس وكان بين ابتداء ملكه وتخريبه بيت المقدس تسع عشرة سنة
وبين الهجرة وتخريبه بيت المقدس ألف وثلاثمائة وتسع وستون سنة وبقى خرايا
سبعين سنة ثم عمر وتراجعت إليه بنو اسرائيل والذي عمره بعض ملوك الفرس
بوحى من الله تعالى إلى النبي أرميا عليه السلام فأخبر ذلك النبي ملك الفرس

فامتثل أمره وعمره ثم خرب مرة ثانية بعد رفع عيسى عليه السلام بأربعين سنة
وذلك قبل الهجرة بخمسمائة ونيف وخمسين سنة وكان ذلك التخريب لما قتل
اليهودي يحيى بن زكريا عليهما السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم فقتلواهم
وسبواهم ونفواهم من ديارهم وخربوا بيت المقدس وقد ذكر الله تعالى هذين
التخريبين في القرآن العزيز في سورة الاسراء في قوله تعالى (وقضينا الى بنى
اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علوا كبيرا فاذا جاء
وعداؤلاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد الآية) * وذكر المرة الثانية
في قوله تعالى (فاذا جاء وعد الآخرة ليسوا وواجوهم) أى بعثناهم وسلطانهم
ليسوا وواجوهم وبقى خرابا الى أن عمره ملك من ملوك الروم بعد تنصرهم وبنى
كنيسة قائمة على القبر الذي تزعم النصارى ان عيسى عليه السلام دفن فيه وخربوا
هيكل بيت المقدس الى الأرض وأمروا أن يلقى في موضعه فقامت البلد وزبالته
فصار موضع الصخرة الشريفة مزبلة وبقى على ذلك الى أن قدم عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الشام سنة ست عشرة من الهجرة وفتح بيت المقدس فأزال ذلك
وأرجع موضع الصخرة كما كان والله سبحانه وتعالى أعلم (ولترجع) الى ما كنا
بصدده من ذكر الفتوحات الاسلامية فنقول * وفي سنة احدى وثمانين وثلاثمائة
خلع الطائع لله و بويغ القادر بالله أحمد بن اسحق بن المقتدر * وفي سنة ثنتين
وثمانين نزل ملك الروم بأرمينية وحصر خلاط وملاذ كردوار جيش فضعت
نفوس الناس عنه ثم هادنه أبو علي الحسن بن مروان الكردى مدة عشر سنين
فعاد ملك الروم الى بلاده * وفي هذه السنة سار بغراخان ايلك ملك الترك
بعساكره الى بخارى فسير اليه الأمير نوح بن منصور الساماني جيشا كثيرا
ولقيهم ايلك فهزمهم فعادوا الى بخارى وهو في أثرهم فخرج الأمير نوح بنفسه
وسائر عساكره ولقيه فاقتلوا قتالا شديدا أجلت المعركة عن هزيمة ايلك فعاد
منهزم الى بلاده * وفي سنة ثلاث وثمانين جمع ملك الترك جيوشا كثيرة وسار الى
بخارى فلما سبب اختلاف وقع بين المسلمين مع بعضهم * وفي سنة سبع وثمانين

توفي سبكتكين صاحب غزنة ووقع اختلاف بين ولديه اسماعيل ومحمود ثم تم
الملك لمحمود فاستولى على خراسان وغيرها وصار له ملك ضخم وجاءه التقليد من
الخليفة القادر بالله ولقب بيمين الدولة

﴿ ذكر غزوة يمين الدولة السلطان محمود بن سبكتكين صاحب غزنة ﴾
في سنة اثنتين وتسعين تجهز بجيوش كثيرة لغزو الهند وقصد برشور فأتاه عدو الله
جيبال ملك الهند في عساكر كثيرة فاختر يمين الدولة من عساكره خمسة عشر
ألف فارسا نحوهم فالتقوا واقتتلوا وصبر الفريقان فلما انتصف النهار انهزم الهنود
وقتل منهم مقتلة عظيمة وأسروا ملك الهند ومعه جماعة كثيرة من أهله وعشيرته وغنم
المسلمون منهم أموالا جليلية وجواهر نفيسة ومن جملة ذلك فلادة كانت في عنق
ملكهم من الجواهر العديم النظير قومت بمائتي ألف دينار وأصيب أمثالها في
أعناق مقدمي الأسرى وغنموا خمسة آلاف رأس من العبيد وفتح من بلاد الهند
بلاداً كثيرة فلهذا فرغ من غزواته أحب أن يطلق ملك الهند الذي أسره ليراه
الهنود في شعار النذل فأطلقه بما قرره عليه فأدى المال ومن عادات الهنود أنهم من
حصل منهم في أيدي المسلمين أسير لم ينمقه له بعد هارياصة فلما رأى ملك الهند حاله
بعد خلاصه حلق رأسه ثم ألقى نفسه في النار فاحترق بنار الدنيا قبل نار الآخرة

﴿ ذكر غزوة أخرى إلى الهند أيضا ﴾

لما فرغ يمين الدولة لسلطان محمود سبكتكين من أمر جيبال رأى أن يغزو غزوة
أخرى فسار نحو ويهند فاقام عليها محاصرها حتى فتحها قهرا وبلغه ان جماعة
من الهند قد اجتمعوا بشعاب تلك الجبال عازمين على الفساد والعناد فسير اليهم
طائفة من عساكره فأوقعوا بهم وأكثروا القتل فيهم ولم ينج منهم الا الشريد
الفر يدو عاد إلى غزنته سالما ظافرا

﴿ ذكر غزوة بهاطية من بلاد الهند ﴾

في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة غزا يمين الدولة بهاطية من أعمال الهند وهي مدينة
حصينة عالية السور يحيط بها خندق عميق فامتنع صاحبها ثم انه خرج إلى ظاهرها

فقاتل المسلمون ثلاثة أيام ثم انهزم في الرابع وطلب المدينة ليدخلها هو وأصحابه
فسبقه المسلمون الى باب البلد فلكوه عليهم وأخذتهم السيوف من بين أيديهم
ومن خلفهم فقتل المقاتلة وسبيت الذرية وأخذت الأموال وأما الملك فإنه لما عاين
الهلاك أخذ جماعة من ثقائه وسار الى رؤس تلك الجبال فسير اليه بين الدولة
سرية فلم يشعر الملك الا وقد أحاطوا به وحكموا السيوف في أصحابه فلما أيقن
بالعطب أخذ خنجر افقتل نفسه وأقام بين الدولة بهاطية حتى أصلح أمرها ورتب
قواعدها وعاد عنها الى غزنة واستخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها ما يجب عليهم
تعليمه ولقي في عودته شدة شديدة من الامطار وكثرتها وزيادة الانهار ففرق بما
معه ومن عسكره شئ عظيم ❦ ذكر غزوة المولتان ❦

في سنة ست وتسعين وثلاثمائة غزا السلطان بين الدولة المولتان وكان سبب ذلك
ان واليها كان قد أسلم ثم نقل عنه خبث الاعتقاد ونسب الى الاحاد ودعا أهل
ولايته الى ما هو عليه فأجابوه فرأى بين الدولة أن يجاهد به ويستنزله عما هو عليه
فسار نحو فرأى الانهار التي في طريقه كثيرة الزيادة عظيمة المد وخاصة
سيحون فإنه منع جانبه من العبور فأرسل الى انديال يطلب اليه أن يأذن له في
العبور من بلاده الى المولتان فلم يجبه الى ذلك فابتدأ به قبل المولتان فدخل
بلاده وجاسها وأكثرت القتل فيها والنهب لأموال أهلها والاحراق لابنيها ففر انديال
من بين يديه وهو في أثره كالشهاب في أثر الشيطان من مضيق الى مضيق الى أن
وصل الى قشمير ولما سمع ملك المولتان بخبر اقباله علم عجزه عن الوقوف بين يديه
والعصيان عليه فنقل أمواله الى سرنديب وأخلى المولتان فوصل بين الدولة
اليها ونار لها فاذا أهلها في ضلالهم بعمهون فحضرهم وضيق عليهم وتابع القتال
حتى افتتحها عنوة وألزم أهلها عشرين ألف درهم عقوبة لعصيانهم

❦ ذكر غزوة كوا كير ❦

ثم سار عن المولتان الى كوا كير وكان بها ستائة صنم فافتتحها وأحرق الاصنام
فهرب صاحبها الى قلعة له فسار خلفه اليها وهي حصن كبير يسع خمسمائة ألف

انسان وفيه خمسمائة فيل وعشرون ألف دابة وفي الحصن ما يكفي الجميع مدة فلما
قام بها بين الدولة وبقى بينهما سبعة فراسخ رأى من الغياض المانعة من سلوك
الطريق مالا أحاطا فأمر بقطعه ورأى في الطريق واديا عظيم العمق
بعيد القعر فأمر أن يطم منه مقدار ما يسع عشرين فارسا فطموه بالجلود المملوءة
ترايا ووصل الى القلعة فحصرها ثلاثة وأربعين يوما وراسله صاحبها في الصلح فلم
يجبه ثم بلغه اختلاف في خراسان فأراد الرجوع فصالح ملك الهند على خمسمائة
فيل وثلاثة آلاف فضة ولبس خلعة بين الدولة بعد ان استعفى من شد المنطقة
وقطع أصبعه الخنصر وأنفذها الى بين الدولة توثقة فيما يعتقدونه وعاد بين الدولة
الى خراسان لاصلاح ما اختلف فيها وكان عازما على الدخول في بلاد الهند

✽ ذكروا غزوة الى الهند ✽

في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة سار بين الدولة نحو الهند وسبب ذلك ان بعض
أولاد ملوك الهند كان قد أسلم على يده واستخلفه على بعض ما فتحه من بلادهم فلما
كان الآن بلغه أنه ارتد عن الاسلام ومال لاهل الكفر والطغيان فسار اليه مجدا
فحين قاربها فر الهندى من بين يديه واستعاد بين الدولة تلك الولاية وأعادها الى
حكم الاسلام واستخلف عليها بعض أصحابه وعاد الى غزوة

✽ ذكروا غزوة بهم نغر ✽

في سنة ثمان وتسعين غزا بين الدولة وانتهى الى شاطيء نهر هند مند فلاقاه هناك
ابراهيم بن اندبال في جيوش الهند فاقتلوا مليا من النهار وكادت الهند تنظر
بالمسلمين ثم ان الله تعالى نصر عليهم فظفر بهم المسلمون فانهمزوا على أعقابهم
وأخذهم المسلمون بالسيف وتبع بين الدولة أثر ابراهيم بن اندبال حتى بلغ بهم نغر وهي
على جبل عال وكان الهند قد جعلوا خزانة لصلتهم الاعظم فينقلون اليها انواع
الذخائر قرنا بعد قرن واعلاق الجواهر وهم يعتقدون ذلك دينا وعبادة فاجتمع
فيها على طول الازمان ما لم يسمع بمثله فنازلهم بين الدولة وحاصرهم وقتلهم فلما
رأى الهندو كثرة جمعه وحرصهم على القتال وزحفهم اليهم مرة بعد أخرى خافوا

وجبنوا وطلبوا الامان وفتحوا باب الحصن وملك المسلمون القلعة وصعد عدي بن
الدولة اليها في خواص أصحابه وثقافته فأخذ منها من الجواهر ما لا يحصى ومن الدراهم
تسعين ألف درهم شاهية ومن الأواني الذهبيات والفضيات سبعمائة ألف
وأربعمائة من وكان فيها بيت مملوء من الفضة طوله ثلاثون ذراعا وعرضه خمسة
عشر ذراعا الى غير ذلك من الامتعة وعاد الى غزنة بهذه الغنائم ففرش تلك
الجواهر في حوض داره وكان قد اجتمع عنده رسل الملوك فأدخلهم اليه فرأوا
ما لم يسموا بمثله ❦ ذ كر غزوة بالهند ❦

في سنة أربع مائة تجهز بين الدولة الى الهند عازما على غز و نارين فسار اليها
واخترقها واستباحها ونكس أصنامها فلما رأى ملك الهند انه لا قوة له به راسله
في الصلح والهدنة على مال يؤديه وخمسين فيلا وأن يكون في خدمته ألف فارس
لا يزدون فقبض منه ما بذله وعاد عنه الى غزنة

❦ ذ كر غزو بين الدولة بلاد الغور وغيرها ❦

في سنة احدى وأربعمائة غزا بين الدولة بلاد الغور وهي بلاد تجاور غزنة وكان
الغور كفار يقطعون الطريق ويخيفون السبيل وبلادهم جبال وعرة ومضائق
غلقة وكانوا يحشون بها ويعتصمون بصعوبة مسلكتها فلما كثرت ذلك منهم أنف
بين الدولة أن يكون مثل أولئك المفسدين جيرانه وهم على هذه الحال من الفساد
والكفر فجمع العساكر وسار اليهم حتى انتهى مقدمة جيشه الى مضيق قد مشن
بالمقاتلة فتناوشوا الحرب وصبر الفريقان فسمع بين الدولة الحال فجند في السير
اليهم وملك عليهم مسالكهم فتفرقوا وساروا الى عظيم الغور فبرز من مدينته
في عشرة آلاف مقاتل فقاتلهم المسلمون الى ان انتصف النهار فرأهم أشجع
الناس وأقواهم على القتال فأمر بين الدولة عساكره أن يولوا الأدبار على سبيل
الخدعة والاستدراج ففعلوا فلما رأى الغور ذلك ظنوه هزيمة فاتبعوه حتى
أبعدوا عن مدينتهم فعطف المسلمون عليهم ووضعوا السيف فيهم فبادوهم قتلا
وأسرا وكان في الأسرى كبيرهم وزعيمهم ودخل المسلمون المدينة وملكوها

وغنموا ما فيها وفتحوا تلك القلاع والحصون التي لهم جميعا فلما رأى كبيرهم ما فعل
المسلمون شرب سما كان معه فمات وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران
المبين وأظهر يمين الدولة في تلك الاعمال شعار الاسلام وجعل عندهم من يعلمهم
شرائعه وعاد ثم سار الى طائفة أخرى من الكفار فقطع مفازة من رمل وحق
عسا كره عطش شديد كادوا يهلكون منه فلطف الله سبحانه وتعالى بهم وأرسل
عليهم مطرا اسقاهم وسهل عليهم السير في الرمل فوصل الى الكفار وهم جمع عظيم
ومعهم ستائة فيل فقاتلهم أشد قتال صبر فيه بعضهم لبعض ثم ان الله نصر المسلمين
وهزم الكفار وأخذ غنائمهم وأكثرت القتل فيهم وعاد سالما مظفرا منصورا

﴿ ذكرك فتح يمين الدولة ناردين ﴾

في سنة أربع وأربع مائة سار يمين الدولة الى الهند في جمع عظيم وحشد كثير وقصد
واسطة البلاد من الهند فسار شهرين حتى قارب مقصده ورتب أصحابه
وعسا كره فسمع عظيم الهند به فجمع من عنده من قواده وأصحابه وبرز الى
جبل هناك صعب المرتقى ضيق المسالك فاحتفى به وطاول المسلمين وكتب الى
الهنود يستدعيهم من كل ناحية فاجتمع عليه منهم كل من يحمل سلاحا فلما تكاملت
عدته نزل من الجبل ونصافى هو والمسلمون واشتد القتال وعظم الامر ثم ان الله
تعالى منح المسلمين أكتافهم فهزمهم وأكثروا القتل فيهم وغنموا ما معهم من
مال وفيل وسلاح وغير ذلك فلما فرغ من غزوه أرسل الى الخليفة القادر بالله
يخبره فكتب له منشورا وعهدا بخراسان وما بيده من الممالك ولقبه بنظام الدين

﴿ ذكرك غزوة تانيشر ﴾

في سنة خمس وأربع مائة ذكرك ليمين الدولة ان بناحية تانيشر فيلة من جنس فيلة
الصيلمان الموصوفة في الحرب وان صاحبها غال في الكفر والطغيان والعناد
للمسلمين فعزم على غزوه في عقرداره وأن يذيقه شربة من كأس قتاله فسار في
الجنود والعسا كروا المتطوعة فلقى في طريقه أودية بعيدة القعر وعرة المسالك
وقفار افسحة الاقطار والاطراف بعيدة الاكتاف والماء بها قليل فلقوا أشدة

وقاسوا مشقة الى أن قطعوها فلما قاربوا مقصدهم لقوانهر اشديد الجربة صعب
المخاضة وقد وقف صاحب تلك البلاد على طرفه بمنع من عبوره ومعه عساكره
وفيلته التي كان يدل بها أي يتعزز بها فأمر بين الدولة شجعان عسكره بعبور
النهر واشتغال الكفار بالقتال ليتمكن باقي العسكر من العبور ففعلوا ذلك
وقاتلوا الهندود وشغلهم عن حفظ النهر حتى عبر سائر العسكر في المخاضات وقتلواهم
من جميع جهاتهم الى آخر النهار فاهزم الهندوظفر المسلمون وغنموا ما معهم من
أموال وفيلة وعادوا الى غزنة موفرين ظافرين

﴿ ذكر غزوة الى الهند ﴾

في سنة ست وأربعمائة غزا بين الدولة الهند على عادته فضل أدلاؤه الطريق ووقع
هو وعسكره في مياه فاضت من البحر ففرق كثير ممن معه وخاض الماء بنفسه
أيما حتى تخلص وعاد الى خراسان

﴿ ذكر غزوة قشمير وقنوج وغيرهما ﴾

في سنة سبع وأربعمائة سار بين الدولة السلطان محمود بن سبكتكين من غزنة الى
الهند عازما على غز قشمير إذ كان قد استولى على ما بينه وبين قشمير من بلاد
الهند وأناه المتطوعة نحو عشرين ألف مقاتل مما وراء النهر وغيره من البلاد
وسار اليها ثلاثة أشهر سيراد انما و عبر نهر سبعون وجياوم وهما نهران عميقان
شديدا الجربة فوطئ أرض الهند وأناه رسل ملوكها بالطاعة وبذل الاناوة فلما
بلغ درب قشمير أناه صاحبها وأسلم على يده وسار بين يديه الى مقصده فبلغ ماجون
في العشرين من رجب وفتح ما حولها من الولايات الفسحة والحصون المنيعه
حتى بلغ حصن هودب وهو آخر ملوك الهند فنظر هودب من أعلى حصنه فرأى
من العساكر ما هاله وأرعبه وعلم أنه لا ينجيه الا الاسلام فخرج في نحو عشرة
آلاف ينادون بكامة الاخلاص طلبا للخلاص فقبله بين الدولة وسار عنه الى
قلعة كلجند وهو من أعيان الهند وشياطينهم وكان على طريقه غياض ملتفة
لا يقدر السالك على قطعها الا بمشقة فسير كلجند عساكره وفيوله الى أطراف

تلك الغياض بمنعون من سلوكها فترك بين الدولة عليهم من بقائهم وسلك طريقا
مختصرة الى الحصن فلم يشعروا الا وهو معهم فقاتلهم فقاتلهم قتالا شديدا فلم يطيقوا
الصبر على حد السيوف فانهمزوا واخذهم السيف من خلفهم ولقوا نهر اعميقا
بين ايديهم فاقصموه فغرقوا اكثرهم وكان القتلى والغرقى قريبا من خمسين الفا
وعمد كل جند الى زوجته فقتلها ثم قتل نفسه بعدها وغنم المسلمون امواله وملكوا
حصونه ثم سار نحو بيت متعبد لهم وهو من مهرة الهند وهو من احصن الابنية على
نهر ولهم به من الاصنام كثير منها حية اصنام من الذهب الاحمر صعة بالجواهر
وكان فيها من الذهب ستمائة الف وتسعون الفا وثلاثمائة منقال وكان بها من
الاصنام المصوغة من النقرة نحو مائتي صنم فأخذ بين الدولة ذلك جميعه وأحرق
الباقى وسار نحو قنوج وصاحبها راجيال فوصل اليها في شعبان فرأى صاحبها قد
فارقها وعبر الماء المسمى كنيك وهو ماء شريف عندهم يرون أنه من الجنة وان من
غرق نفسه فيه طهر من الآثام فأخذها بين الدولة وأخذ قلاعها واعمالها وهي سبع
على الماء المذكور وفيها قريب من عشرة آلاف بيت صنم يذكرون انها
عملت من مائة الف سنة الى ثلاثمائة الف كذب منهم وزور او لما صنعها بأبائها عسكره
ثم سار الى قلعة البراهمة فقاتلوه ونبتوا فلما عضهم السلاح علموا انهم لا طاقة لهم
فاستسلموا للسيف فقتلوا ولم ينج منهم الا الشريد ثم سار نحو قلعة آسي وصاحبها
جندبال فلما قاربها هرب جندبال وأخذ بين الدولة حصنه وما فيه ثم سار الى قلعة
شروة وصاحبها جندر آي فلما قاربه نقل ماله وفيه نحو جبال هناك منيعة يحتمى
بها وعمى خبره فلم يدركه هو فنزل بين الدولة حصنه فاقتتعه وغنم ما فيه وسار في
طلب جندر آي جريدة وقد بلغه خبره فلحق به في آخر شعبان فقاتله فقتل أكثر
جند جندر آي وأسر كثيرا منهم وغنم مائة من مال وفيول وهرب جندر آي في نفر
من أصحابه فتبعوا وكان السبي في هذه الغزوة كثيرا حتى ان أحدهم كان يباع بأقل
من عشرة دراهم ثم عاد الى غزنة ظافرا ولما عاد من هذه الغزوة أمر ببناء جامع
غزنة فبنى بناء لم يسمع بمثله ووسع فيه وكان جامعها القديم صغيرا وأنفق ما غنمه في

هذه الغزوة في بنائه وفي هذه السنة تفرقت ممالك الاندلس وصار عامل كل قطر
منه متغلبا على ما بيده لضعف ملوك بني امية وكثرت الفتن بينهم وبين العلو بين بني
ادريس بن عبد الله بن الحسن المنفي

﴿ ذكر خروج الترك من الصين ﴾

في سنة ثمان وأربعمائة خرج الترك من الصين في عدد كثير يزيدون على ثلاثمائة
ألف حركاه وكانوا أجناسا منهم الخطاوية الذين ملكوا ما وراء النهر وكان
خروجهم للاستيلاء على ممالك الاسلام وكان أقرب بلاد الاسلام اليهم
بلاساغون وكان ملكها من صالحى ملوك الاسلام يحب العلم وأهله ويميل الى
أهل الدين ويصلهم ويقربهم واسمه طغان خان وكان قد ملك أيضا تركستان
ومرض مرضا شديدا وطال به المرض فطمعوا في البلاد لذلك فساروا اليه
وملكوا بعض ممالكه وغنموا وسبوا وبقى بينهم وبين بلاساغون ثمانية أيام فلما
بلغه الخبر وكان مرضها سأل الله أن يعافيه فينتقم من الكفرة ويحمي البلاد
منهم ثم يفعل به بعد ذلك ما أراد فاستجاب الله له وشفاه فجمع العساكر وكتب الى
سائر بلاد الاسلام يستنفر الناس فاجتمع اليه من المتطوعة مائة ألف وعشرون
ألفا فلما بلغ الترك خبر عافيته وجمعه العساكر وكثرة من معه عادوا الى بلادهم
فسار خلفهم نحو ثلاثة أشهر حتى أدركهم وهم آمنون لبعده المسافة فكبسهم
وقتل منهم زيادة عن مائتي ألف رجل وأسرنحو مائة ألف وغنم من الدواب
والخر كاهات وغير ذلك من الاواني الذهبية والفضية ومعمول الصين ما لا عهد
لأحد بمثله وعادوا الى بلاساغون فلما بلغها عاوده مرضه فمات منه وما أشبه قصته بقصة
سعد بن معاذ الأنصاري في غزوة الخندق فانه دعا الله لما جرح في أن يحمله أن يبقيه
حتى يأخذ ناره من بني قريظة فاستجاب الله دعاءه ثم بعد الانتقام منهم وقتلهم
انفجر جرحه ومات رضى الله عنه ولم مات طغان خان ملك بعده أخوه رسالان
خان ولقب شرف الدولة ﴿ ذكر غزوة يمين الدولة الى الهند والافغانية ﴾
في سنة تسع وأربعمائة سار يمين الدولة الى الهند غازيا واحتشد وجمع واستعد وأعد

أكثر مما تقدم وقصد بيده اللعين وكان أعظم ملوك الهند مملكة وأكثرهم جيشا
وتسمى مملكته كجوراها وساريمين الدولة عن غزنة وابتدأ في طريقه بالافغانية
وهم كفار يسكنون الجبال ويفسدون في الارض ويقطعون الطريق بين غزنة
وبينه فقصد بلادهم وسلك مضايقةها وفتح مغالقها وخرّب عامرها وغنم أموالهم وأكثر
القتل فيهم والأسر وغنم المسلمون من أموالهم الكثير ثم استقل على المسير وبلغ
الى مكان لم يبلغه فيما تقدم من غزوانه وعبر نهر كنتك ولم يعبره قبلها فلما جازته رأى
قفلا قد بلغت عدة أحماله ألف عدد فغنمها وهي من العود والامتعة الفاتقة وجد به
السير فأناه في الطريق خبر ملك من ملوك الهند يقال له بروجيبال قد سار من بين
يديه ملتجئا الى بيده ليحتجى به عليه فطوى المراحل فلاحق بروجيبال ومن معه
رابع عشر شعبان وبينه وبين الهنود نهر عميق فعبر اليهم بعض أصحابه وشغلهم
بالقتال ثم عبر هو وباقي العسكر اليهم فاقتتلوا عامة نهارهم فانهزم بروجيبال ومن
معه وكثرت فيهم القتل والاسر وأسلموا أموالهم وأهلهم فغنمها المسلمون وأخذوا
منهم الكثير من الجواهر وأخذوا ما يزيد على مائتي فيل وسار المسلمون يقتصون
آثارهم وانهمز ملكهم جرحا وتحير في أمره وأرسل الى يمين الدولة يطلب
الامان فلم يؤمنه ولم يقنع منه الا بالاسلام وقتل من عساكره ما لا يحصى وسار
بروجيبال ليلاحق بيده فانفرد به بعض الهنود فقتله فلما رأى ملوك الهند ذلك
تابعوا رسلهم الى يمين الدولة يبذلون له الطاعة والالتاوة وسار يمين الدولة بعد الواقعة
الى مدينة باري وهي من أحسن القلاع والبلاد وأقواها فرآها من سكانها خالية
وعلى عروشها خاوية فأمر بهدمها ونخر بيها وعشر قلاع معها متناهية الحصانة
وقتل من أهلها خلقا كثيرا وسار يطلب بيده الملك فلاحقه وقد نزل الى جانب نهر
وأجرى الماء من بين يديه فصار وحلا وترك عن يمينه وشماله طريقا يبسا يقاتل
منه اذا أراد القتال وكان عدة من معه ستة وخمسين ألف فارس ومائة ألف وأربعة
وثمانين ألف راجل وسبع مائة وستة وأربعين فيلا فأرسل يمين الدولة طائفة من
عساكره للقتال فأخرج اليهم بيده مثلهم ولم يزل كل عسكر يمد أصحابه حتى كثرت

الجمعان واشتد الضرب والطعان فأدر كههم الليل وحجز بينهم فلما كان الغد بكر
يمين الدولة اليهم فرأى الديار منهم بلاقع وركب كل فرقة منهم طريقا مخالفا للطريق
الاخرى ووجد خزائن الاموال والسلاح بحالها فغنموا الجميع واقتنى آثار
المهزومين فلحقوهم في الغياض والآجام وأكثر وافهم القتل والاسر ونجا بيدها
فريدا وحيدا وعاد يمين الدولة الى غزته منصورا

✽ ذكر فتح قلعة من الهند ✽

في سنة أربع عشرة وأربعمائة غزا يمين الدولة الهند وأوغل فيها فغنم وقتل حتى
وصل الى قلعة على رأس جبل منيع ليس له مصعد الا من موضع واحد وهي كبيرة
تسع خلقا وبها خمسمائة فيل وفي رأس الجبل من الغلات والمياه وجميع ما يحتاج
الناس اليه فحصرهم يمين الدولة وأدام الحصار وضيق عليهم واستقر القتال فقتل
منهم كثيرا فلما رأوا ما حل بهم أذعنوا له وطلبوا الامان فأمنهم وأقر ملكهم فيها على
خراج يأخذونه منهم وأهدى له هدايا كثيرة منها طائر على هيئة القمرى من خاصيته
أنه اذا أحضر الطعام وفيه سم دمعت عيناه هذا الطائر وجرى منها ماء وتعجز
فاداحك وجعل على الجراحات الواسعة ألحها

✽ ذكر فتح سومنات ✽

في سنة ست عشرة وأربعمائة فتح يمين الدولة في بلاد الهند عدة حصون ومدن
وأخذ الصنم المعروف بسومنات وهذا الصنم كان أعظم أصنام الهند وهم يحججون
اليه كل ليلة خسوف فيجتمع عنده ما ينيف على مائة انسان وتزعم الهندوان
الارواح اذا فارقت الاجساد اجتمعت اليه على مذهب التناسخ فينشأها فيمن شاء
وكانوا يحملون اليه كل علق نفيس ويعطون سدنته كل مال جزيل وله من
الاقواق ما يزيد على عشرة آلاف قرية وقد اجتمع في البيت الذي هو فيه من
نفيس الجوهر ما لا تحصى قيمته ولاهل الهند نهر كبير يسمى كنك يعظمونه غاية
التعظيم ويلقون فيه عظام من يموت من كبارهم ويعتقدون أنها تساق الى جنة
النعيم وبين هذا النهر وبين سومنات نحو مائتي فرسخ وكان يحمل من مائه كل يوم

الى سومنات ما يغسل به ويكون عنده من البرهمنين كل يوم ألف رجل لعبادته
وتقديم الوفود اليه وثلاثمائة رجل يحلقون رؤس زواره ولحاهم وثلاثمائة رجل
وحسبائة أمة يغنون ويرقصون على باب الصنم ولكل واحد من هؤلاء شيء معلوم
كل يوم وكان بين الدولة كلما فتح من الهند فتعوا وكسر صنما يقول الهنود ان هذه
الاصنام قد سقط عليها سومنات ولو أنه راض عنها لأهلك من قعد لها بسوء فلما بلغ
ذلك بين الدولة عزم على غزوه واهلاكه نظما منه أن الهنود اذا فقدوه ورأوا كذب
ادعائهم دخلوا في الاسلام فاستنخار الله تعالى وسار عن غزنة عاشر شعبان في هذه
السنة في ثلاثين ألف فارس من عساكره سوى المتطوعة وسلك سبيل الملتان
فوصلها منتصف شهر رمضان وفي طريقه الى الهند بركة قفر لاسا كن فيها ولا ماء
ولاميرة فتجهز هو وعسكره على قدرها ثم زاد بعد الحاجة عشرين ألف رجل
تعمل الماء والميرة وقصد انهاره فلما قطع المغارة رأى في طرفها حصونا مشحونة
بالرجال وعندها آبار قد غور وهاليتعذر عليه حصرها فيسر الله له فتحها عند قرب
منها بالرعب الذي قد فقه الله في قلوبهم ونسأها وقتل سكانها وأهلك أوثانها وامتاروا
منها الماء وما يحتاجون اليه وسار الى انهاره فوصلها مستهل ذي القعدة فرأى
صاحبها المدعو بهيم قد أجفل عنها وتركها وأمعن في الهرب وقصد حصناله يحتمى
به فاستولى بين الدولة على المدينة وسار الى سومنات فلقى في طريقه عدة حصون
فيها كثير من الاوثان شبه الحجاب النقباء لسومنات على ماسول لهم الشيطان
فقاتل من بها وقتلها وخربها وكسر أصنامها وسار الى سومنات في مغارة قفرة
قليلة الماء فلقى عشرين ألف مقاتل من سكانها لم يدينوا الملك فأرسل اليهم السرايا
فقاتلهم فهزم موهم وغنموا مالهم وامتاروا من عندهم وساروا حتى بلغوا دبولواره
وهي على مرحلتين من سومنات وقد ثبت أهلها ظن منهم أن سومنات بمنعهم
ويدفع عنهم فاستولى عليها وقتل رجالها وغنم أموالها وسار عنها الى سومنات
فوصلها يوم الخميس منتصف ذي القعدة فرأى حصنا حصينا مبنيا على ساحل
البحر بحيث تبلغه أمواجه وأهله على الاسوار يتفرجون على المسلمين واثقين أن

معبودهم يقطع دابرهم ويهلكهم فلما كان الغد وهو يوم الجمعة زحف وقاتل من به
فرأى الهنود من المسلمين قتالا لم يعهدوا مثله فقار قوا السور فنصب المسلمون
عليه السلايلم وصعدوا اليه وأعلنوا بكامة الاخلاص وأظهروا شعار الاسلام
فحينئذ اشتد القتال وعظم الخطب وتقدم جماعة الهنود الى سومنات فعفروا له
خدودهم وسألوه النصر وأدركهم الليل فكف بعضهم عن بعض فلما كان الغد بكر
المسلمون اليهم وقتلواهم فأكثر وافي الهنود القتل وأجلوهم عن المدينة الى بيت
صنهم سومنات فقاتلوا على يابه أشد قتال وكان الفريق منهم بعد الفريق يدخل
الى سومنات فيعتنقونه ويبكون ويتضرعون اليه ويخرجون فيقاتلون الى أن
يقتلوا حتى كاد الفناء يستوعبهم فبقى منهم القليل فدخلوا البحر الى مركبين لهم
لينجوا فيهما فأدركهم المسلمون فقتلوا بعضا وغرقوا بعضا وأما البيت الذي فيه
سومنات فهو مبنى على ست وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص
وسومنات من حجر طوله خمسة أذرع ثلاثة مدورة ظاهرة وذراعان في البناء
وليس بصورة مصورة فأخذه يمين الدولة فكسره وأحرق بعضه وأخذ بعضه الى
غزنة فجعله عتبة الجامع وكان بيت الصنم مظلما وانما الضوء الذي عنده من قناديل
الجوهر الفائق وكان عنده سلسلة ذهب فيها جرس وزنها مائتان كل ماضى
طائفة من الليل حركت السلسلة فيصوت الجرس فيقوم طائفة من البرهمنين الى
عبادتهم وعنده خزانة فيها عدة من الاصنام الذهبية والفضية وعليها الستور
المعلقة المرصعة بالجوهر كل واحد منها منسوب الى عظيم من عظمائهم وقيمة ما في
البيوت يزيد على عشرين ألف دينار فأخذ الجميع وكانت عدة القتلى تزيد
على خمسين ألف قتيل ثم ان يمين الدولة ورد عليه الخبر أن بهم صاحب
انها وارة قد قصد قلعة تسمى كندهة في البحر بينها وبين البر من جهة سومنات
أربعون فرسخا فسار اليها يمين الدولة من سومنات فلما حاذى القلعة رأى رجلين
من الصيادين فسألها عن خوض البحر هناك فعرفاه انه يمكن خوضه لكن ان
تحرك الهواء يسير اغرق من فيه فاستخار الله تعالى وخاضه هو ومن معه فخرجوا

سالمين فرأوا بهم قد فارق قلعتهم وأخلاه فاعاد عنها وقصد المنصورة وكان صاحبها قد أسلم ثم ارتد عن الاسلام فلما بلغه خبر مجيئهم بمين الدولة فارقه واحتفى بغياض أشبه فقصد به مين الدولة من موضعين فأحاط به وبمن معه فقتلوا أكثرهم وغرق منهم كثير ولم ينج منهم إلا القليل ثم سار الى بهاطية فأطاعه أهلها وادانوا له فرحل الى غزنة فوصلها عاشر صفر من سنة سبع عشرة وأربعمائة

✽ ذكركر غرق الأسطول بجزيرة صقلية ✽

في سنة ست عشرة وأربعمائة خرج الروم الى جزيرة صقلية في جمع كثير وملكوا ما كان للمسلمين في جزيرة فلورية وهي مجاورة لجزيرة صقلية وشرعوا في بناء المساكن ينتظرون وصول مراكبهم وجموعهم مع ابن أخت الملك فبلغ ذلك المعز بن باديس عامل افريقية للعبديين فجهز أسطولاً كبيراً أربعمائة قطعة وحشد فيها وجمع خلقاً كثيراً وتطوع جمع كثير بالجهاد رغبة في الاجر فسار الأسطول في كانون الثاني فلما قرب من جزيرة قوصرة وهي قريب من بر افريقية خرج عليهم ريح شديدة ونوء عظيم فغرق أكثرهم ولم ينج منهم إلا اليسير

✽ ذكركر غزوة المسلمين الى الهند ✽

في سنة احدى وعشرين وأربعمائة غزا أحمد بن بنالكين النائب عن ميين الدولة ببلاد الهند مدينة للهنود وهي من أعظم مدنها يقال لها نرسي ومع أحمد نحو مائة ألف فارس وراجل وشن الغارة على البلاد ونهب وسبي وخرب الاعمال وأكثر القتل والاسر فلما وصل الى المدينة دخل من أحد جوانبها ونهب المسلمون في ذلك الجانب يوماً من بكرة النهار الى آخر النهار ولم يفرغوا من نهب سوق العطارين والجوهر جيين حسب وباقى أهل البلد لم يعلموا بذلك لان طولهم منزل من منازل الهنود وعرضه مثله فلما جاء المساء لم يجسر أحد على المبيت فيه لكثرة أهله فخرج منه ليأمن على نفسه وعسكره وبلغ من كثرة ما نهب انهم اقتسموا الذهب والفضة كيلاً ولم يصل الى هذه المدينة عسكر للمسلمين قبله فلما فارقه أراد العود اليه مرة أخرى فلم يقدر على ذلك ومنعه أهله ✽ وفي هذه السنة توفي ميين

الدولة السلطان محمود بن سبكتكين وعمره إحدى وستون سنة ومدة ملكه أربع وثلاثون سنة وكان صالحا عادلا محبا للعلماء مكرما لهم ومحبا للجهاد ووقع بعده اختلاف بين ابنيه محمود ومسعود وتم الملك مسعود

﴿ ذكر خروج ملك الروم الى الشام وانهزاه ﴾

في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة خرج ملك الروم الى القسطنطينية في ثلاثمائة ألف مقاتل الى الشام فلم يزل بعساكره حتى بلغ قريب حلب فلحقهم عطش شديد وكان أصحابه مختلفين عليه وعبر على عسكره جمع من العرب ليسوا بالكثير فظن أنها كبسة تخاف ورحل وتبعهم العرب وأهل السواد حتى الارمن يقتلون وينهبون وأخذوا من الملك أربعمائة بغل محملة مالا وثيابا وهلك كثير من الروم عطشا ونجا الملك وحده ولم يسلم معه من أمواله وخزائنه شيء ألبتة وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا حتى ان الملك لبس خفا أسود وعادة ملوكهم لبس الخف الاحمر فتركه ولبس الاسود ليحتمى خبره على من يريد به وانهم ما واوغنم المسلمون جميع ما كان معهم

﴿ ذكر غزوة فضلون الكردي الخزر وما كان منه ﴾

كان فضلون الكردي هذا يده قطعة من أذربيجان استولى عليها وملكها فاتفق أنه غزا الخزر في هذه السنة فقتل منهم وسبي شيئا كثيرا فلما أراد العود الى بلاده أبطأ في سيره وظن أنه دؤخهم وشغلهم بما عملهم فاتبعوه مجدين وكبسوا وقتلوا من أصحابه والمتطوعة الذين معه أكثر من عشرة آلاف قتيل واستردوه والغنائم التي أخذت منهم وغنموا أموال العساكر الاسلامية وعادوا

﴿ ذكر عزو ملك الروم مدينة الرها ﴾

في سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة ملك الروم مدينة الرها وكان بالرهابرجان حصنان أحدهما أكبر من الآخر الكبير بيد ابن عطير والصغير بيد ابن شبل فراسل ابن عطير ارمانوس ملك الروم وباعه ما يده بعشرين ألف دينار وعدة قرى فتسلموا البرج الذي له ودخلوا البلد فلكوه وهرب منه أصحاب ابن شبل

وقتل الروم المسلمين وخرّبوا المساجد فسمع نصر الدولة بن مروان ملك بلاد
الكرد الخبر فسير جيشا الى الرها فحصرها وقتحوها عنوة واعتصم من بها من
الروم بالبرجين واحتفى النصارى غيرهم بالبيعة التي لهم وهي من أكبر البيع
وأحسنها عمارة فحصرهم المسلمون بها وأخرجوهم وقتلوا أكثرهم ونهبوا البلد
وبقى الروم بالبرجين وسير اليهم ابن مروان عسكر نحو عشرة آلاف مقاتل
فانهزم أصحاب ابن مروان من بين أيديهم ودخل الروم البلد وملكوها وما
جاورهم من بلاد المسلمين فصالحهم ابن وناب النخعي على حران وسروج وحمل
اليهم خراجا * وفي هذه السنة توفي الخليفة القادر بالله وكانت خلافته إحدى
وأربعين سنة وثلاثة أشهر ووبيع بعده ابنه القائم بأمر الله
* ذكر ملك الروم قلعة أفامية *

في سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة ملك الروم قلعة أفامية بالشام بسبب اختلاف
العمال من المسلمين فدخل حسان بن المقرح الطائي بلد الروم هاربا من الدزبري
عامل في الشام خليفة مصر ولبس خلعة ملكهم وخرج من عنده وعلى رأسه علم
فيه صليب ومعه عسكر كثير فسار الى أفامية فكبسها وغنم ما فيها وسبي أهلها
وأمرهم * ذكر فتح قلعة سرستي وغيرها من بلاد الهند *
في سنة خمس وعشرين وأربعمائة قصد السلطان مسعود بن محمود سبكتكين قلعة
سرستي وهي من أمنع حصون الهند وأحصنها فحصرها وقد كان أبوه حصرها
غير مرة فلم ينهيا له فتحها فلما حصرها مسعود راسله صاحبها وبذل له مالا على الصلح
فأجابته الى ذلك وكان فيها قوم من التجار المسلمين فعزم صاحبها على أخذ أموالهم
وحملها لمسعود من جملة ما تقرر عليه فكتب التجار رقعة في نشابة ورموا بها اليه
يعرفونه فيها ضعف الهندوبها وأنه ان صابروهم ملككم فرجع عن الصلح وطم
خندقها بالشجر وقصب السكر وغيره وفتح الله عليه وقتل كل من فيها وسبي
ذرائعهم وأخذ ما جاورها من البلاد ثم رحل عنها الى قلعة نغسي وحصرها فرآها
عالية لا ترام برند البصر دونها وهو حسيب إلا أنه أقام عليها بحصرها فخرجت

عجوز ساحرة فتكلمت باللسان الهندي طويلًا وأخذت مكنسة فبلتها بالماء ورشته
منها إلى جهة عسكر المسلمين ففرض وأصبح لا يقدر أن يرفع رأسه وضعفت قوته
ضعفًا شديدًا فرحل عن القلعة لشدة المرض فحين فارقه زال ما كان بها وأقبلت
الصحة والعافية إليه وسار إلى غزنة

﴿ ذكر غزوة ملك الروم قلعة بر كوى ﴾

هذه قلعة متاخمة للأرمن كانت في يد أبي الهيجاء بن ربيب الدولة ابن أخت
وهو دان بن مملان فتنافر هو وخاله فأرسل خاله إلى الروم فأطعمهم فيها فسير ملك
الروم إليها جمعًا كثيرًا فلكواها سنة خمس وعشرين وأربعمائة فبلغ الخبر إلى
الخليفة فأرسل إلى أبي الهيجاء وخاله من يصلح بينهما ليتفقا على استعادة القلعة
فأصطلحا ولم يتمكنوا من استعادتها واجتمع اليها خلق كثير من المتطوعة فلم
يقدروا على ذلك لثبات قدم الروم بها * وفي سنة سبع وعشرين اجتمع ابن وثاب
وابن عطير وتصاهرا وجماعا وعاوأمدهما نصر الدولة بن مروان بعسكر كثيف
فسارا واجمعا إلى السويديور بض الرها وكان الروم قد أحدثوا عمارتها في ذلك
الوقت واجتمع اليها أهل القرى المجاورة لها فحصرها المسلمون وقتلوا عنها
وقتلوا فيها ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل وغنموا ما فيها وسبوا خلقا كثيرا وقصدوا
الرها فحصروها وقطعوا الميرة عنها واشتد الأمر فخرج البطريرق الذي فيها متخفيا
ولحق بملك الروم وعرفه الحال فسير معه خمسة آلاف فارس فعاد بهم فعرف ابن
وثاب ومقدم عساكر نصر الدولة الحال فكمنناهم فمما قاربهم خرج الكمين
عليهم فقتل من الروم خلق كثير وأسر مثلهم وأسر البطريرق وحمل إلى باب الرها
وقالوا لمن فيها ما أن تفتحوا الباب والافتلنا البطريرق والأسرى الذين معه
ففتحوا الباب للعجز عن حفظه وتحصن أجناد الروم بالقلعة ودخل المسلمون
المدينة وغنموا ما فيها وامتلات أيديهم من الغنائم والسبي وأكثر والقتل وأرسل
ابن وثاب إلى أمدمائة وستين راحلة عليها رؤس القتلى وأقام محاصرا للقلعة ثم إن
حسان بن الجراح الطائي سار في خمسة آلاف فارس من العرب والروم نجدة

لمن بالرها فسمع ابن وثاب بقر به فصار اليه مجدا ليلقاه قبل وصوله فخرج من
الرها بجمع من الروم الى حران فقاتلهم أهلها وسمع ابن وثاب الخبر فعاد مسرعاً فوق
على الروم فقتل منهم كثيراً وعاد المنهزمون الى الرها ثم صالح ابن وثاب الروم الذين
بالرها العجزه عنهم وسلم اليهم ربح الرها وكثر الروم بها وعمرها وحصنها وفي
سنة تسع وعشر بن هادن المستنصر بالله العبيدي صاحب مصر ملك الروم
وشرط عليه اطلاق خمسة آلاف أسير وشرط الروم عليه أن يعمرها ويبيعه قامة
فأرسل الملك اليها من عمرها وأخرج على عمارتها ما لا جليلا ثم انتقضت الهدنة سنة
٣٢٢ وجهز الروم جيشا فالتقوا مع جيش المسلمين بين مدينة حماة واقامية واشتد
القتال ثم ان الله نصر المسلمين وأذل الكافرين فانهزموا وقتل منهم عدة كثيرة
وأسر ابن عم الملك وبنوا في فدائه ما لا جزيلاً وعدة وافرة من أسراء المسلمين
وانكف الروم عن الأذى بعدها * وفي سنة اثنتين وثلاثين أيضاً قتل مسعود بن
محمود سبكتكين وملك ابنه مودود والقاتل لمسعود أولاد أخيه محمد والقصة
طويلة ليس هذا محل ذكرها * وفي سنة خمس وثلاثين أخرج ملك الروم من
القسطنطينية المسلمين والغرباء ونادى أن لا يقيم أحد في البلد منذ ثلاثين سنة
فن أقام بعدها كحل فخرج منها أكثر من مائة ألف انسان ولم يبق بها أكثر من
اثني عشر نفساً فضعف الروم فتركهم

✽ ذكر ملك مودود بن مسعود بن محمد سبكتكين عدة من حصون بلاد الهند
وفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة اجتمع ثلاثة من ملوك الهند وقصدوا لها وور
وحصرها وهاجم مقدم العساكر الاسلامية بتلك الديار من عنده منهم وأرسل
الى صاحبه مودود يستجده فأرسل اليه العساكر فاتفق ان بعض أولئك الملوك
فارقهم وعاد الى طاعة مودود فرحل الملك الآسران الى بلدهما فسارت
العساكر الاسلامية الى أحدهما فانهزم منهم وصعد الى قلعة له منيعة هو
وعساكره فاحتواها وكانوا خمسة آلاف فارس وسبعين ألف راجل
وحصرهم المسلمون وضيقوا عليهم وأكثروا القتل فيهم فطلب الهنود الامان

على تسليم الحصن فامتنع المسلمون من اجابتهم الى ذلك الا بعد ان يضيفوا الى ذلك
باقي حصون ذلك الملك الذي لهم فحملهم الخوف وعدم الاقوات على اجابتهم الى
ما طلبوا وتسلم المسلمون الجميع وغفوا الاموال واطلقوا ما في الحصون من
أسرى المسلمين وكانوا نحو خمسة آلاف نفر فلما فرغوا من هذه الناحية قصدوا
ولاية الملك الثاني فتقدم اليهم واقبهم فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت الهنود
وأجلت المعركة عن قتل ملكهم وخمسة آلاف قتيل وجريح وأسرى ضعفاؤهم
وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ودوابهم فلما رأى باقي الملوك من الهند ما قى
هؤلاء أذعنوا بالطاعة وطلبوا الامان وحملوا الاموال وطلبوا الافرار على
بلادهم فأجيبوا الى ذلك

﴿ ذكر أخبار الروم والروسية ﴾

وفي سنة خمس وثلاثين ورد الى القسطنطينية عدد كثير من الروسية في البحر
يريدون حرب الروم فاجتمعت الروم على حربهم وكان بعضهم قد فارق المراكب
الى البر فأتى الروم في مرأى كبير النار فلم يهتدوا الى اطلاقها فهلك كثير منهم
بالحرق والغرق وأما الذين في البر فقاتلوا ثم انهزموا فلم يكن لهم ملجأ فن استسلم
أولا استرق ومن امتنع حتى أخذ فهر اقطع الروم أيمانهم وطيف بهم في البلد ولم
يسلم منهم الا قليل مع ابن ملك الروسية وفي سنة تسع وثلاثين سير المعز بن باديس
صاحب افريقية أسطولا الى جزائر القسطنطينية فظفر وغنم وعاد

﴿ ذكر غزرو الساجوقية بلاد الروم ﴾

ولندكرأولا ابتداء طهور الدولة السلجوقية أصلهم من الترك الذين مما وراء
النهر أسلم جدتهم سلجوق وواقفه على الاسلام جماعة منهم فخرج بهم من دار
الحرب الى ديار الاسلام وصار يقاتل الكفار من الترك ووقع بينه وبين ملوك
خراسان المسلمين وقائع وقاتل بطول الكلام بذكره وولده أولاد قاموا بالجهاد
بعده وكثرت جوعهم وقويت شوكتهم وصاروا يتغلبون على ممالك خراسان
والعراق شيئا فشيئا الى ان دخلوا بغداد وأذهبوا دولة بني بويه وتغلبوا على الخلفاء
كما كان بنو بويه وكان دخولهم بغداد في خلافة القائم بأمر الله بن القادر بالله

ابن اسحاق بن المقتدر سنة سبع وأربعين وأربعمائة وكان الداخل منهم بغداد
السلطان طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق وتوفي السلطان طغرلبك سنة خمس
وخمسين وأربعمائة وصار الملك بعده لابن أخيه الب أرسلان محمد بن داود بن
ميكائيل بن سلجوق واستمر الملك في بنيه الى سنة تسع وثمانين وخمسمائة وكان
ابتداء تملكهم طوس وقيل الري سنة أربعمائة وتسع وعشرين فتكون مدة
ملكهم مائة وستين سنة وطغرلبك ضبطه ابن خلكان بقوله بضم الطاء وسكون
الغين المعجمة وضم الراء وسكون اللام وفتح الباء الموحدة بعدها كاف وهو اسم
تركى مركب من طغرل وهو اسم علم و بك معناه أمير وسلجوق بفتح السين المهملة
وسكون اللام وضم الجيم وسكون الواو وبعدها قاف وكانت هذه الغزوة التي
سند كرها قبل تملكهم بغداد وهذه الغزوة التي سند كرها هي انه في سنة أربعين
وأربعمائة غزا السلجوقية بلاد الروم وقائد الجيش الامير ابراهيم ايتال أخو
السلطان طغرلبك السلجوقى فظفروا وغفوا ووصلوا الى ملاز كرد وأرزن
الروم وقالوا بلوغوا طرابزون وتلك النواحي كلها ولقيهم عسكر للروم يبلغون
خمسين ألفا فاقتتلوا واشتد القتال بينهم وكانت بينهم عدة وقائع نارية يظفروا هؤلاء
ونارية هؤلاء وكان آخر الامر الظفر للمسلمين فأكثروا القتل في الروم وهزم موهم
وأسروا جماعة كثيرة من بطارقهم ومن أسرقاريط وكان من ملوكهم فيندل في
فداء نفسه ثلاثمائة ألف دينار وهدايا بمائة ألف فلم يجب الى ذلك ولم يزل
السلجوقية يجوسون تلك البلاد الى أن صار بينهم وبين القسطنطينية خمسة عشر
يوما واستولى المسلمون على تلك النواحي فنهبوا وغنموا ما فيها وسبوا أكثر
من مائة ألف رأس وأخذوا من الدواب والبغال والغنائم والاموال ما لا يقع عليه
الاحصاء وحملت الغنائم على عشرة آلاف عجلة ومن جملة الغنائم عشرة آلاف
درع ثم في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة أرسل ملك الروم الى السلطان طغرلبك
هدية عظيمة وطلب منه الصلح والمعاهدة فأجابها اليها وعمر ملك الروم مسجدا
بالقسطنطينية وكان بها كثير من المسلمين فأقاموا بالمسجد المذكور الصلاة

والخطبة لطغرلبك بأمر ملك الروم ثم بعد ذلك دانت الناس لطغرلبك وتمكن في ملكه وتملك كثيرا من البلاد قبل دخوله بغداد

✽ ذكر غزوة أخرى للسلجوقية ✽

في سنة ست وأربعين وأربعمائة سار طغرلبك سلطان السلجوقية الى أرمينية وقصد ملاز كرد وهي للروم فحصرها وضيق على أهلها ونهب ما جاورها من البلاد وأخر بها وهي مدينة حصينة وأثر السلطان المذكور في هذه الغزوة آثارا عظيمة ونال منهم من النهب والقتل والاسر شيا كثيرا وبلغ في غزونه هذه الى ارض الروم وعاد الى أذربيجان لما هجم الشتاء ومن السلجوقية فتعاش ابن عم طغرلبك كانت له ولبنيه دولة في قونية واقصرا وبلاد الروم لان السلجوقية لما انتشروا في البلاد طالبين للملك دخل قتلهم هذا الى بلاد الروم وملك قونية واقصرا ونواحيا وافتتح بلادا واسعة وبقي الملك في بنيه الى ظهور الدولة العثمانية فن تلك الممالك التي افتتحوها وكانت تحت أيديهم قونية واقصرا وسيواس ونوقات وأنقورية وملطية وبلاد البستان وقيسارية وتيكسار وأماسية وأعمال هذه المدن ✽ ذكر فتح البارسلان مدينة ✽ آني ✽ وغيرها من بلاد النصرانية ✽

في سنة ست وخسين وأربعمائة غزا السلطان البارسلان بلاد النصارى فسار من الرى الى أذربيجان ثم سلك مضائق الى أن وصل الى نقجوان فأمر بعمل السفن لعبور نهر أرس فقبل له ان سكان خوى وسلماس من أذربيجان لم يقوموا بواجب الطاعة وانهم قد امتنعوا ببلادهم فسير اليهم عميد خراسان ودعاهم الى الطاعة ونهدهم ان امتنعوا فإطاعوا ووصاروا من جملة حزبه وجنده واجتمع عليه هناك من الملوك والعساكر ما لا يحصى فلما فرغ من جمع العساكر والسفن سار الى بلاد الكرج وجعل عسكرامع ولده ملكشاه ونظام الملك وزيره فسار ملكشاه ونظام الملك الى قلعة فيها جمع كثير من الروم فنزل أهلها منها ونحطفوا من العسكر وقتلوا منهم فئة كثيرة فنزل نظام الملك وملكشاه وقتلوا من بالقلعة وزحفوا اليهم فقتل أمير القلعة وملكها المسلمون وساروا منها الى قلعة سمرمارى

وهي قلعة فيها المياه الجارية والبساتين فقاتلوهها وملكوها وأنزلوا أهلها وكان
بالقرب منها قلعة أخرى ففتحها ملككشاه وأراد تخريبها فنهاه الوزير نظام الملك
عن ذلك وقال هي نغر للمسلمين وتحتنها بالرجال والاموال والسلاح والذخائر وسلم
هذه القلاع الى أمير نقيجوان وسار ملككشاه ونظام الملك الى مدينة مريم نشين
وفيهما كثير من الرهبان والقسيسين وملوك النصارى وعامتهم يتقربون الى أهل
هذه البلدة وهي مدينة حصينة سورها من الاحجار الكبار الصلبة المشدودة
بالرصاص والحديد عندها نهر كبير فأعد نظام الملك لقاتلها ما يحتاج اليه من
السفن وغيرها وقاتلها وواصل قتلها ليلا ونهارا وجعل العساكر عليها يقاتلون
بالنوبة فضجر الكفار وأخذهم الاعياء والكلال فوصل المسلمون الى سورها
وانصبوا عليه السلام وصعدوا الى أعلاه لان المعاول كلت عن نقيه لقوة حجره
فلما رأى أهلها المسلمين على السور فت ذلك في أعضادهم أى أضعفهم وسقط في
أيديهم ودخل ملككشاه ونظام الملك البلد وأحرقوا البيع وخربوها وقتلوا
كثيرا من أهلها وأسلم كثير منهم فنجوا من القتل واستدعى البارسلان ابنه
ملككشاه ونظام الملك فلحقوه في بلاد الكرج وفرح بما يسره الله من الفتح على يده
ولده وفتح ملككشاه في طريقه عدة من القلاع والحصون وأسرى من النصارى مالا
يحصى ثم ساروا جميعا مع السلطان البارسلان الى تسيند شهر فجرى بين أهلها
وبين المسلمين حروب شديدة استشهد فيها من المسلمين كثير ثم ان الله تعالى يسر
قصرها فلكها ألب أرسلان وسار منها الى مدينة اعال لال وهي حصينة عالية الاسوار
شاهقة البنيان وهي من جهة الشرق والغرب على جبل عال وعلى الجبل عدة من
الحصون ومن الجانبين الآخرين نهر كبير فلما رآها المسلمون عاموا عجزهم عن
فتحها والاستيلاء عليها وكان ملكها من الكرج وهكذا مات قدم من البلاد التي
ذكرنا فتحها وعقد السلطان جسرا على النهر عريضا واشتد القتال وعظم الخطب
فخرج من المدينة رجلان يستغيثن ويدللبان الامان والتمسا من السلطان أن
يرسل معهم طائفة من العسكر فسير جمعا صالحا فلما جاوز الفصيل أحاط بهم

الكرج من أهل المدينة وقتلواهم فأكثروا القتل فيهم ولم يتمكن المسلمون من
الهزيمة لضيق المسالك وخرج الكرج من البلد وقصدوا العسكر واشتد القتال
وكان السلطان ذلك الوقت يصلى فأناه الصريح فخرج فلم يبرح حتى فرغ من صلاته
وركب وتقدم إلى الكفار وقتلهم وكبر المسلمون عليهم فولوا منهزمين فدخلوا
البلد والمسلمون معهم ودخلها السلطان وملكها واعتصم جماعة من أهلها في
برج من أبراج المدينة فقاتلهم المسلمون فأمر السلطان بالقاء الحطب حول
البرج واحرقه ففعل ذلك وأحرق البرج ومن فيه وعاد السلطان إلى خيامه وغنم
المسلمون من المدينة ما لا يحصى ولا يحصى ولما جن الليل عصفت ريح شديدة
وكان قد بقي من تلك النار التي أحرق بها البرج بقية كثيرة فأطارنها الريح
فاحترقت المدينة بأسرها وملك السلطان قلعة حصينة كانت إلى جانب تلك
المدينة ثم سار منها إلى ناحية فرس ومدينة آني وبالقرب منها ناحيتان يقال لهما
دسل ورده ونوره فخرج أهلها مندعين بالاسلام وخرّبوا البيع وبنوا
المساجد وسار منها إلى مدينة آني فوصل إليها فرآها مدينة حصينة شديدة
الامتناع لا ترام ثلاثة أرباعها على نهر أرس والربع الآخر نهر عميق شديد الجربة
لو طرحت فيه الحجارة الكبار لأخذها وحملها والطريق إليها على خندق
عليه سور من الحجارة الصم وهي بلدة كبيرة عامرة كثيرة الأهل فيها
ما يزيد على خمسمائة بيعة فحصرها وضيق عليها إلا أن المسلمين قد أيسوا من
فتحها الماراً وأمن حصانها فعمل السلطان برجاً من خشب وشعنه بالمقاتلة ونصب
عليه المنجنيق ورماة النشاب فكشفوا الكرج عن السور وتقدم المسلمون
إليه لينقبوه فأنهم من لطف الله ما لم يكن في حسابهم فانهزمت قطعة كبيرة من
السور بغير سبب فدخلوا المدينة وقتلوا من أهلها ما لا يحصى عددهم بحيث أن
كثيراً من المسلمين عجزوا عن دخول البلد بسبب كثرة القتلى وأمرنا نحن بما
قتلوا وسارت البشرية بهذه الفتوحات في البلاد فسر المسلمون وقرئ كتاب
الفتح ببغداد في دار الخليفة بالثناء فبرز خط الخليفة على ألب أرسلان والدعاء له

ورتب فيها أميراً في عسكر جرار وعاد عنها وقد راسله ملك الكرج في الهدنة
فصالحه على أداء الجزية كل سنة فقبل ذلك وفي سنة ثنتين وستين وأربعمائة أقبل
ملك الروم من القسطنطينية في عسكر كثيف إلى الشام ونزل على مدينة منج ونهبها
وقتل أهلها وهزم جموعاً للعرب ثم ارتحل وعاد إلى بلاده ولم يمكنه المقام لشدة
الجوع

ذكر خروج ملك الروم إلى خلاط وأسرهم
في سنة ثلاث وستين وأربعمائة خرج أرماتوس ملك الروم في مائتي ألف من الروم
والفرنج والروس والكرج وغيرهم من طوائف تلك البلاد فجاءوا في تجمل كثير
وزى عظيم وقصدوا بلاد الإسلام فوصلوا إلى ملاز كرد من أعمال خلاط فبلغ
السلطان الب أرسلان الخبر وهو بمدينة خوى من أذربيجان وسمع ما فيه ملك
الروم من كثرة الجوع فلم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو فسير
الانقال مع زوجته ونظام الملك إلى همدان وسار هو فمينا معه من العساكر وهم
خمسة عشر ألف فارس وجد في السير وقال لهم اني أقاتل محتسباً صابراً فان سلمت
فنعمة من الله وان كانت الشهادة فان ابني ملك شاه ولي عهدي وساروا فلما قاربوا
العدو جعل له مقدمة فصادفت مقدمته عند خلاط مقدم الروسية في نحو عشرة
آلاف فاقتتلوا فانهزمت الروسية وأسر مقدمهم وحمل إلى السلطان فجدع أنفه
وأنفذ بالسلب إلى نظام الملك وأمره أن يرسله إلى بغداد فلما تقارب العسكران
أرسل السلطان إلى ملك الروم يطلب منه المهادنة فقال ملك الروم لا هدنة إلا بالرى
فانزعج السلطان لذلك فقال له امامه وفقهه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخارى
الحنفى انك تقاتل عن دين الله وقد وعد الله بنصره وانظاره على سائر الأديان
وأرجو أن يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح فالتقم يوم الجمعة بعد الزوال
في الساعة التي تكون الخطباء على المنابر فانهم يدعون للمجاهدين بالنصر
والدعاء مقرون بالاجابة فلما كانت تلك الساعة صلى بهم وبكى السلطان فبكى
الناس لبكائه ودعا ودعوا معه وقال لهم من أراد الانصراف فليصرف فما
ها هنا سلطان يأمر وينهى وألقى القوس والنشاب وأخذ السيف والدبوس

وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله ولبس البياض وتمحط وقال ان
قتلت فهذا كفى وزحف الى الروم وزحفوا اليه فلما قاربهم ترجل وعفر
وجهه على التراب وبكى واكثر الدعاء ثم ركب وحمل وحملت العساكر معه
فحصل المسلمون في وسطهم وحجز الغبار بينهم فقتل المسلمون فيهم كيف
شاؤا وانزل الله نصره عليهم فانهزم الروم وقتل منهم مالا يحصى حتى امتلأت
الارض من جنب القتلى واسر ملك الروم اسره بعض الغلمان فأراد قتله ولم
يعرفه فقال له خادم مع ملك الروم لا تقتله فانه الملك وكان هذا الغلام الذي أسره
قد عرضه سيده على نظام الملك فرده استحقارا له فأثنى عليه سيده فقال نظام
الملك عسى أن يأتينا بملك الروم أسيرا فكان كذلك فلما أسر الغلام ملك الروم
أحضره عند سيده فقصد السلطان وأخبره بأسر الملك فأمر باحضاره فلما
أحضره ضرب به السلطان البأسلان ثلاثة مقارع بيده وقال له ألم أرسل اليك
في الهدنة فأبيت فقال دعني من التوبيخ وافعل ما تريد فقال السلطان ما عزمتم أن
تفعل بي ان أسرتني فقال أفعل القبيح قال له فانظن أني أفعل بك قال اما أن تقتلني
واما أن تشهرني في بلاد الاسلام والاخرى بعيدة وهي العفو وقبول الاموال
واصطناعي نأثبا عنك قال ما عزمتم على غير هذا ففداه بألف ألف دينار وخمسة
ألف دينار وأن يرسل اليه عساكر الروم أي وقت طلبها وأن يطلق كل أسير في
بلاد الروم واستقر الامر على ذلك وأنزله في خيمة وأرسل اليه عشرة آلاف دينار
يتجهز بها وأطلق له جماعة من البطارقة وخلع عليه من الفد فقال ملك الروم أين
جهة الخليفة فدل عليها فقام وكشف رأسه وأومأ الى الارض بالخدمة وهادنه
السلطان خمسين سنة وسيره الى بلاده وسير معه عسكرا أوصلوه الى مأمنه وشيعة
السلطان فرسخا * وأما الروم فانهم لما بلغهم خبر الواقعة وأسرا الملك وثب ميخائيل
على المملكة فلك البلاد فلما وصل أرماتوس الملك الى قلعة دوقية بلغه الخبر فلبس
الصوف وأظهر الزهد وأرسل الى ميخائيل يعرفه ما تقرر مع السلطان وقال ان
شدت أن تفعل ما استقر وان شدت أمسكت فأجابه ميخائيل بايثار ما استقر وطلب

وساطته وسؤال السلطان في ذلك وجع أرمانوس عنده من المال وكان مائتي ألف دينار فارسله الى السلطان وطبقا ذهباً عليه جواهر بتسعين ألف دينار وحلف له أنه لا يقدر على غير ذلك ثم ان ارمانوس استولى على أعمال الأرمن وبلادهم ومدح الشعراء السلطان الب أرسلان وذكروا هذا الفتح فأكثر والألأنه يشبه فتوحات الصحابة رضي الله عنهم

﴿ ذكر مقتل السلطان الب أرسلان ﴾

في سنة خمس وستين وأربعمائة قصد السلطان الب أرسلان ما وراء النهر لقتال ملك من ملوك الاسلام خرج عن طاعته اسم الملك شمس الملك فعقد على جيحون جسرا وعبر عليه في نيف وعشر بن يوماء وعسكره يز بد على مائتي ألف فارس فأتاه أصحابه بمسحوظ قلعة يعرف بيوسف الخوارزمي جرى منه جنابة وارتكاب وحمل الى قرب سيره مع غلامين فأراد عقابه على ارتكابه فأمر أن تضرب له أربعة أوتاد وتشد أطرافه اليها فقال له يوسف يا مخنث مثلي يقتل هذه القنلة فغضب السلطان الب أرسلان وأخذ القوس والنشاب وقال للغلامين خلياه ورماه السلطان بسهم فأخطأه ولم يكن يخطئ سهمه فوثب يوسف يريده والسلطان على سيره فقام عنه وعثر فوق فبرك عليه يوسف وضربه في خاصرته بسكين كانت معه وقتل الأتراك يوسف وقطعوه ونهض السلطان فدخل الى خيمة أخرى ومات السلطان من جراحته تلك بعد أيام وكان أهل سمرقند لما بلغهم عبور السلطان النهر اجتمعوا وخنقوا خنات وسألوا الله أن يكفيهم أمره فاستجاب الله لهم ولما جرح السلطان قال ما من وجه قصدته وعدو أردته الا استعنت بالله تعالى عليه ولما كان أمس صعدت على تل فارنجت الارض نحى من عظيم الجيش وكثرة العسكر فقلت في نفسي أنا ملك الدنيا وما يقدر أحد على فعجزني الله تعالى بأضعف خلقه وأنا أستغفر الله وأستقبله من ذلك الخاطر وتلك بعده ابنه ملكشاه * وفي سنة سبع وستين وأربعمائة توفي القائم بأمر الله وبويغ حفيده المقتدى بأمر الله * وفي سنة ثمان وستين أخذت مدينة منج من

الروم ورجعت الى الاسلام والذي انتزعها منهم نصر بن محمود بن مرداس

﴿ ذكر فتوح في بلاد الهند ﴾

في سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة غزا الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود سبكتكين صاحب غزنة بلاد الهند فحصر قلعة أجور وهي على مائة وعشرين فرسخا من هاور وهي قلعة حصينة في غاية الحصانة كبيرة تحتوى عشرة آلاف رجل من المقاتلة فقاتلوه وصبروا تحت الحصر وزحف اليهم غير مرة فأوأم من شدة حربه ماملأ قلوبهم خوفا ورعبا فساموا القلعة اليه وفتح أيضا قلعة روباو وكانت على رأس جبل وليس لها طريق الا من مكان ضيق مملوء بالفيلة والمقاتلة وبها من رجال الحرب ألوف كثيرة فتابع عليهم الوقائع وأحاط عليهم بالقتال بجميع أنواع الحرب الى أن ملك القلعة واستنزلهم منها وكان في موضع يقال له دره نوره أقوام من الكفار لم يتعرض اليهم احد من الملوك فسار اليهم ابراهيم ودعاهم الى الاسلام أولا فامتنعوا من اجابته وقاتلوه فظفر بهم وأكثرت القتل فيهم وتفرق من سلم منهم في البلاد وسبي واسترق من النسوان والصبيان مائة ألف ثم قصد موضعا آخر يقال له وره في طريقه عقبات كثيرة وأشجار ملتفة وأهله كفار فقاتلهم ثلاثة أشهر الى أن نصره الله عليهم فقتل كثيرا منهم وسبي وغنم وعاد سالما وكان ابراهيم بن مسعود بن محمود عاقلا ذا رأى متين فمن آرائه أن السلطان ملكشاه السلاجوقى جمع عساكره يريد قتال ابراهيم المذكور في غزنة وينتزع الملك منه ونزل باسفرار فكتب ابراهيم بن مسعود كتابا الى جماعة من أعيان أمراء ملكشاه يشكرهم ويعتذر لهم بما فعلوا من تحسين قصد ملكشاه بلاده لينم لنا ما استقر بيننا من الظفر به وتخليصهم من يده ويعدهم الاحسان على ذلك وأمر القاصد بالكتب أن يتعرض ملكشاه في الصيد ففعل ذلك فأخذوا حضر عند السلطان فسأله عن حاله فأكره فأمر السلطان بجلبه فجلب فدفع الكتاب اليه بعد جهد ومشقة فلما وقف ملكشاه عليها تحييل على أمرائه وترك المسير الى ابراهيم وعاد الى بلده ولم يقل لأحد من أمرائه في هذا الأمر شيئا خوفا أن

يستوحشوا منه ثم وقعت المكاتبة بينه وبين ابراهيم والمصافاة حتى زو
ابنه مسعود ابنة ملك شاه

﴿ ذكر فتح انطاكية وانزاعها من الروم ﴾

في سنة سبع وسبعين وأربعمائة سار سليمان بن قناهش السلجوقي صاحب قونية
الى الشام فملك مدينة انطاكية وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة
حصرها بعساكرها ونصب السلام فصعدوا عليها وأخذوا البلد فقاتله أهل البلد
فهمزهم مرة بعد أخرى وقتل كثير من أهلها ثم أذعنوا له فغفاهم وتسلم القلعة
وأحسن الى الرعية ورجع سالما

﴿ ذكر استيلاء الفرنج على جزيرة صقلية ﴾

في سنة أربع وثمانين وأربعمائة خرج الفرنج بمجموع كثيرة وتملكوا جزيرة
صقلية بعد حروب كثيرة وكان ملوك المسلمين بصقلية لما ضعف أمر الخلفاء قد
تفرقوا مما لك صقلية وصارت كل جهة منها بيد ملك متغلب عليها مستبد لا يسأل
عن غيره فصار الفرنج ينتزعون تلك الممالك منهم مملكة بعد مملكة الى أن بقي بأيدي
المسلمين قصر يانة وجرجت فحصرهما الفرنج في سنة أربع وثمانين وأربعمائة
بجيوش كثيرة فكان من ذلك ذل للمسلمين وتضييق شديد عليهم حتى أكلوا
الأموات فلما اشتد الأمر عليهم أذعنوا الى التسليم فسلمها الفرنج لعنهم الله تعالى
في السنة المذكورة فصارت الجزيرة كلها بأيديهم * وفي سنة خمس وثمانين توفي
السلطان ملك شاه السلجوقي ووقع بين أولاده اختلاف وحروب كثيرة لطلب
الملك * وفي سنة سبع وثمانين وأربعمائة توفي المقتدى بأمر الله وبويع ابنه
المستظهر بالله ثم ان الفرنج لما ملكوا صقلية بالتمام كان الملك عليهم رجا الفرنج
من ملوك ايطاليا ثم طمعوا في تلك كثير من افر يقية فخرجوا في أسطول
كبير وجم غفير من مشهورى فرسان الفرنج فحاصروا مدينة جربة
ونزلوا بساحتها وأداروا المراكب بمجهااتها فاجتمع أهلها وقتلوا قتلا شديدا فقتل
منهم بشر كثير ثم انهزموا وملك الفرنج الجزيرة وغنموا أموالها وسبوا حريمها

ها وهلك أكثر رجالها ومن بقي منهم أخذوا لأنفسهم أمانا من صاحب صقلية
وافتكوا أمراهم وسبيهم وحرقتهم ثم بعد مدة سارت مراكب الفرنج من صقلية
إلى طرابلس الغرب فحصروها وعلقوا السكالا ليمب في سور البلد ونقبوه ثم
وصل جماعة من العرب نجدة لأهل البلد فقوى أهل البلد بهم فخرجوا إلى
الأسطول فحملوا عليه جملة منكرة فانهزموا هزيمة فاحشة وقتل منهم خلق كثير
ولحق الباقون بالأسطول ونزكوا الأسلحة والاثقال والدواب والآلات فنهبا
العرب وأهل البلد ورجع الفرنج إلى صقلية فجهزوا أسلحتهم وتجهزوا إلى
المغرب فوصلوا إلى جيجل فلما رأهم أهل البلد هربوا إلى البراري والجبال
فدخلها الفرنج وسبوا من أدركوا فيها وهدموا وأحرقوها وأخرى بالقصر الذي
بناه الأمير يحيى بن عبد العزيز بن حماد للترهة ثم عادوا ثم جهزوا أسطولا كثيرا
وسيروا إلى طرابلس الغرب فأحاطوا بها برا وبحرا فخرج اليهم أهلها وأنشأوا
القتال فدامت الحرب بينهم ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع وقع اختلاف بين
أهل طرابلس مع بعضهم آل الأمر فيه إلى قتال بعضهم بعضا فانهز الفرصة للفرنج
ونصبوا السلالم وطلعوا على السور واشتد القتال فلما كتبت الفرنج البلدة عنوة
وقهرا بالسيف فسفكوا دماء أهلها وسبوا نساءهم وأخذوا أموالهم وهرب من
قدر على الهرب والتجأ إلى البر والعرب ثم نودي بالامان في كافة الناس فرجع
كل من فر منها وأقام الفرنج ستة أشهر حتى حصنوا سورها وحفرها واخذوا ما
رجعوا أخذوا رهائن من أهلها ولوا عليها رجلا من أهلها وأخذوا رهائنه وحده
وأعادوا رهائن غيره واستقامت أمور المدينة وألزم ملكهم أهل صقلية والروم
بالسفر إليها وعمرت سر يعا ثم إن أهل قابس عصى أميرهم علي الحسن بن علي بن
يحيى بن نعيم أمير افرريقية وكاتب صاحب صقلية وبذل له الطاعة وقال له أريد منك
خلة وعهد بولاية قابس لا يكون نائباً عنك فسير إليه صاحب صقلية الخلة
والعهد فلبسها وقرى العهد بجميع من الناس فسمع بذلك الحسن أمير افرريقية
فجهز عسكريا كثيرا فساروا إلى قابس ونزلوها وحصرها فثار أهل البلد بالأمير

الذي ملكها لصاحب صقلية وقبضوا عليه بعد قتال بينهم وبينه وسيروه الى أمير
افريقية فقتله بعد تعذيبه بأنواع العذاب من ذلك أنهم قطعوا ذكروه وجعلوه في فيه
وتولى على قابس معمر بن رشيد وهرب جماعة من أقارب الأمير الأول الى صقلية
وشكوا الى صاحب صقلية واستجاروا به فغضب لذلك فجهز أسطولا كثيرا بلغ
نحو مائتين وخمسين شينيا مملوءة رجالا وسلاحا وقونا وقصدوا المهديّة وكان بها أمير
افريقية الحسن بن علي وكان قد حصل بافريقية في تلك السنين فحط وغلاء شديد
حتى ان أكثر الناس فارقوا البلاد والقرى وصاروا الى صقلية فلما علم الحسن بن
علي بمسير الفرنج اليه جمع الفقهاء والأعيان وشاورهم في القتال فقالوا انقاتل
عدونا فان بلدنا حصين فقال أخافى أن يحصر ونا برا وبحرا ويحولوا بيننا وبين
الميرة وليس عندنا ما نقتات به شهر افنو خندقها وأما أرى سلامة المساميين من
الاسر والقتل خيرا من الملك فالرأى أن نخرج بالأهل والولد ونسلم البلد فن أراد
أن يفعل ذلك فليبادر ثم أمر في الحال بالرحيل وأخذ معه من حضره وما خف
حمله وخرج ناس كثير معه بأهلهم وأموالهم وأولادهم ومن الناس من اختفى عند
النصارى وفي الكنائس ثم دخل الفرنج البلد بلا مانع ولا مدافع ووجدوا قصر
الأمير بحاله لم يأخذ الحسن منه الا ما خف من ذخائر المالوك وفيه جماعة من حظاياها
ورأوا الخزائن مملوءة من الذخائر وكل شئ نفيس غريب يقل وجود مثله فختم
الفرنج عليه وجمعوا سرارى الحسن من قصره ونهبت المدينة مقدار ساعتين ثم
نادوا بالامان فخرج من كان مستغفيا وبعدهم جمع أهل البلد وأما الحسن أمير
افريقية فانه سار الى ملك مرا كش عبد المؤمن بن علي فأكرمه وأحسن نزله
وبقى عنده مكرما الى أن فتح المهديّة عبد المؤمن بن علي كما سيأتي ذكر ذلك ولما
استقر الفرنج بالمهديّة سيروا أسطولا الى سفاقس وأسطولا الى مدينة سوسة
وأسطولا الى قابس فأما أهل سوسة فانهم لما سمعوا اخبر المهديّة وكان أميرهم علي بن
الحسن أمير افريقية خرج على المدكور والتحق بأبيه الحسن وخرج الناس
لخروجه ودخل الفرنج البلد بلا قتال وأما سفاقس فان أهلها أتاهم كثير من العرب

فامتنعوا بهم فقاتلهم الفرنج فخرج اليهم أهل البلد فأظهر الفرنج الهزيمة وتبعهم
الناس حتى أبعدها عن البلد ثم عطفوا عليهم فانهزم قوم إلى البلد وقوم إلى البرية
وقتل منهم كثير ودخل الفرنج البلد فلكوه بعد قتال شديد وقتلوا كثيرة وأسروا من
بقي من الرجال وسبوا الحرير ثم نودى بالامان فعاد أهلها اليها وافتكوا حريرهم
وفعلوا مثل ذلك بقابس وملكوها ثم سار الفرنج إلى قلعة قابلية وهي قلعة حصينة
فلما وصلوا اليها سمع بذلك العرب فاجتمع منهم خلق كثير وقتلوا الفرنج حتى
هزموهم وقتلوا من الفرنج خلقا كثيرا فرجعوا خاسرين إلى المهديّة ثم رجع
الفرنج اليهم مرة أخرى وملكوها والحاصل ان الفرنج لما ملكوا اصقلية تتابعت
اغاراتهم على افرريقية فلكوا الجزائر ومالطة وجزيرة ونطاون وغير ذلك وصار
للفرنج من طرابلس الغرب إلى قريب تونس ومن الغرب إلى القيروان وكانت
هذه الوقائع متتابعة في سنين وكان انتهاءها سنة ثلاث وأربعين وخمسة مائة
وذكرناها متتابعة ليتصل بعضها ببعض * وفي سنة أربع وأربعين وخمسة مائة
اختلف ملك الفرنج صاحب صقلية وملك القسطنطينية وجرى بينهما حرب
كثيرة ودامت عدة سنين فاشتغل بعضهم ببعض عن المسلمين ولولا ذلك لملك
صاحب صقلية جميع بلاد افرريقية وكان القتال بينه وبين صاحب القسطنطينية
براً وبحراً والظفر في جميع ذلك لصاحب صقلية حتى دخل في المينا وأخذ عدة
شواني لصاحب القسطنطينية وأسركثيراً من الروم ورمى الفرنج طاقات قصر
الملك بالنشاب وكان الذي يفعل هذا بالروم وبالمسلمين جرجي وزير صاحب
صقلية ثم هلك جرجي ولم يكن عند صاحب صقلية من يقوم مقامه فعقد صاحب
صاحب القسطنطينية وسكنت الفتنة * وفي سنة ثمان وأربعين وخمسة مائة هلك رجار
ملك صقلية وكان عمره قريبا من ثمانين سنة وملك بعده ولده غلبالم وكان فاسد
التدبير وسلك طريقة ملوك الاسلام من الجنائب والحجاب وغير ذلك وأسكن
في جزيرة صقلية الفرنج مع المسلمين وأكرم المسلمين ومنع من التعدي عليهم
وقربهم فخرج عن حكمه عدة حصون من حصون صقلية وتعدى الأمر إلى

افريقية فانه لما كانت سنة احدى وخمسين وخمسمائة قوى طمع الناس فيه فخرج
عن طاعته جزيرة جربة وجزيرة قرقنة وأظهروا الخلاف عليه وخالف عليه
أهل افريقية منهم أهل سفاقس وقد كان أبوه رجار لما فتحها استعمل عليها أبا
الحسين العرياني وكان من العلماء الصالحين فأظهر العجز والضعف وقال له
استعمل ولدي فاستعمل ولده عمر بن أبي الحسين وأخذ أباه رهينة الى صقلية فلما
أراد المسير اليها قال لولده عمر اني كبير السن وقد قارب أجلي فتي أمكنك الفرصة
في الخلاف على العدو فافعل ولا تراقبهم ولا تنظرني اني أقتل واحسب اني قدمت
فلما وجد الفرصة دعا أهل المدينة الى الخلاف وقال بطلع جماعة منكم الى السور
وجاعة يقصدون مساكن الفرنج والنصارى جميعهم ويقتلونهم كلهم فقالوا له
ان سيدنا الشيخ والدك نخاف عليه قال هو أمرني بهذا واذا قتل بالشيخ أوف
من الاعداء فامات فلم تطلع الشمس حتى قتلوا الفرنج عن آخرهم ثم تبعه يحيى بن
مطروح بطرابلس وفعل مثل فعله وبعدهما محمد بن رشيد بقابس وسار عسكر
لعبد المؤمن الى بونة فلككوها وخرج جميع افريقية عن حكم الفرنج ما عدا
المهدية وسوسة وأرسل عمر بن أبي الحسين الى زويلة وهي مدينة بينها وبين
المهدية نحو ميدان بحر ضهم على الوئوب على من معهم فيها من النصارى ففعلوا
ذلك وقدم عرب البلاد الى زويلة فأعانوا أهلها على من بها من الفرنج وقطعوا
الميرة عن المهدية فلما اتصل الخبر بغليالم ملك صقلية أحضر أبا الحسين والد عمر
صاحب سفاقس وعرفه ما فعل ابنه وأمره أن يكتب اليه ينهاء عن ذلك ويأمره
بالعود الى طاعته ويخوفه عاقبة فعله فقال له من قدم على هذا لا يرجع بكتاب
فأرسل ملك صقلية اليه رسولا يهدده ويأمره بترك ما ارتكبه فلم يمكنه عمر من
دخول البلد يومه ذلك فلما كان الغد خرج أهل البلد جميعهم ومعهم جنازة
والرسول يشاهدهم فدفنوها وعادوا وأرسل عمر الى الرسول يقول له هذا أبي قد
دفنته وقد جلست للعزاء فاصنعوا به ما أزدتم فعاد الرسول الى غليالم فأخبره بما
صنع عمر بن أبي الحسين فأخذ أباه وصلبه فلم يزل يذكر الله حتى مات وأما أهل

زويلة فانهم كثر جمعهم بالعرب و بأهل سفاقس وغيرهم فحصر والمهدية وضيّقوا
عليها وكانت الاقوات بالمهدية قليلة فسير اليهم صاحب صقلية عشر بن شينيا فيها
الرجال والطعام والسلاح فدخلوا البلد وأرسلوا الى العرب وبنلوا لهم مالا
لينهزموا وخرجوا من الغد فاقتتلواهم وأهل زويلة فانهم من العرب وبقى أهل
زويلة وأما أهل سفاقس فانهم ركبوا في البحر فنجوا وبقى أهل زويلة فحمل
عليهم الفرنج فانهم زويلة فوجدوا أبوابها مغلقة فقاتلوا تحت السور
وصبروا حتى قتل أكثرهم ولم ينج الا القليل فتفرقوا ومضى بعضهم الى عبد المؤمن
فماقتلوا من قتلوا هرب من سلم من الحرم والصبيان والشيوخ في البر ولم
يعرجوا على شيء من أموالهم ودخل الفرنج زويلة فقتلوا من وجدوا فيها من
النساء والاطفال ونهبوا الاموال واستقر الفرنج بالمهدية الى ان أخذها عبد
المؤمن وسيأني ان شاء الله ذلك هذا حاصل ما كان من الفرنج في افر بقية
وأما ما كان منهم في هذه السنين في الديار الشامية فسيأني ذكره عند ذكر
الحرب المسمى بحرب الصليب لكن ينبغي قبل ذلك ان تذكر بقية ما كان
بالاندلس من الفتوحات والغزوات وما يتبع ذلك ثم بعد اتمام ذلك تذكر
حرب الصليب

﴿ اتمام الكلام على غزوات الاندلس وما يتبع ذلك ﴾

قد تقدم ذكر بعض غزوات الاندلس باختصار ولو بسط الكلام فيها لطال
وبقى كثير من غزواتها وأخبارها لم يذكر فينبغي اتمام الكلام على ذلك تقريبا
للفائدة وأكثر التواريخ لم يذكرها فيها كثير من أخبار الاندلس فصار المشهور
المستفيض عند أكثر الناس أخبار غير الاندلس مع ان المسلمين كان لهم
بالاندلس ملك ضخم وكانت لهم وقائع ومجامع وأخبار عجيبة فينبغي ذكر كثير من
ذلك وان كان في بعض تلك الاخبار زيادة على الغزوات والفتوحات التي لاجلها
كان جمع هذا الكتاب لان ذلك يحصل به زيادة فائدة ولا يخل بمقصود
الكتاب وقد تقدم ان الاندلس فتح في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة اثنتين

وتسعين على يد طارق بن زياد مولى موسى بن نصير بضم النون مصغرا والصاد
المهملة وهو مولى عبد العزيز بن مروان والد عمر بن عبد العزيز وعبد العزيز
هو أخو عبد الملك بن مروان والاندلس مشتق على فحول العساء المبرزين في
كثير من الفنون ومشتق على كثير من العجائب والمعادن وغير ذلك قال في نفح
الطيب نقلا عن لسان الدين بن الخطيب خص الله بلاد الاندلس من الربيع
وغدق السقيا ولذا ذلة الاقوات وفرادة الحيوان ودرور الفواكه وكثرة المياه
وتبحر العمران وجودة اللباس وشرق الآنية وكثرة السلاح وصحة الهواء
وايضاض ألوان الاسنان ونبل الاذهان وفنون الصنائع وشهامة الطباع ونفوذ
الادراك واحكام التمدن بما حرمه الكثير من الاقطار مما سواها أعادها الله
للاسلام ببركة النبي عليه الصلاة والسلام وقال أيضا ان الاندلس بلد كريم البقعة
طيب التربة خصب الجنان منبجس الانهار الغزار والعيون العذاب قليل الهوام
وذوات السموم معتدل الهواء والجو والنسيم ربيع وخريفه ومشتاه ومصيفه
على قدر من الاعتدال وتوسط من الحال تتصل فواكه أكثر الأزمنة وتندوم
متلاحقة غير مفقودة وفي نفح الطيب ان من الاندلس مدينة شنترة من خواصها
أن القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضي أربعين يوما من زراعته
وان التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة أشبار وأكثر قال ابن اليسع قال لي أبو عبد
الله الباكوري وكان ثقة أبصرت عند المعتمد بن عباد رجلا من أهل شنترة
أهدى اليه أربعين من التفاح ما يقل الحامل على رأسه غيرها دور كل واحدة خمسة
أشبار وفي الاندلس من أنواع المعادن ما لا يحصى وفيه المدن الحصينة والمعقل
المنيع والقلع الحريزة والمصانع الجليلة وطول الاندلس ثلاثون يوما وعرضه
سبعة أيام ويشقها أربعون نهرا كبارا وبها ثمانون مدينة من القواعد الكبار
وأزيد من ثلاثمائة من المتوسط وفيها من القرى والحصون ما لا يحصى كثيرة حتى
قيل ان عدد القرى التي على نهر اشبيلية اثنا عشر ألف قرية وقيل ان طول
الاندلس أربعون يوما وعرضه ثمانية عشر يوما وأما طيب ثمار الاندلس فلا

يعادله شيء في الدنيا قال بعض العلماء ان النصارى حرموا جنة الآخرة فأعطاهم
الله جنة الدنيا يعني بذلك الاندلس وقال بعضهم ان المربة مدينة من مدائن
الاندلس كان بها النسيج طرز الحرير ثلاثمائة نول وللحلل النفيسة والديباج
الفاخر ألف نول وللأسقلاطون كذلك وللمثياب الجرجانية كذلك وللأصفهانية
كذلك وكان بها من الحمامات نحو الالف وأنسج ملك المسامين فيها وكانت دور
قرطبة أربعة عشر ميلا وعرضها ميلان وعدد دور الرعايا الواجب على أهلها
المبيت داخل السور مائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار غير دور الوزراء
وأكابر الناس وعدة دور أهل الدرلة ستة آلاف دار وثلاثمائة دار ومساجدها
ثلاثة آلاف وثمانمائة وثلاثون مسجدا وحماماتها سبع مائة وكانت قرطبة قبة الاسلام
وبها استقر سرير الخلافة المروانية وهي معدن العلماء وهي من الاندلس بمنزلة
الرأس من الجسد ومسجدها ليس له نظير في الدنيا طوله ثلاثمائة وثلاثون ذراعا
وعرضه مائتان وخمسون ذراعا وسواريه ألف وأربعمائة وهو مزخرف بالرخام
والمرمر وماء الذهب واللآلئ والياقوت وبخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية في كل
واحدة منها منبر وفتية مقلص تكون الفتية في الاحكام اليه وكانوا لا يكون فيهم
مقلص الامن حفظ الموطأ وقيل الامن حفظ عشرة آلاف حديث وحفظ
المدونة وكان هؤلاء المقلصون المجاورون لقرطبة يأتون يوم الجمعة للصلاة مع
الخليفة بقرطبة ويسامون عليه ويخبرونه بأحوال بلدهم ويجعلون في مساجدهم
نواب يصلون بالناس الجمعة نيابة عنهم وتقدم ان ملوك بني أمية الذين كانوا بالاندلس
أول من تملك منهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ويقال
له عبد الرحمن الداخل كان ابتداء ملكه بالاندلس سنة ثمان وثلاثين ومائة هرب
من الشام مستخفيا حين كان ابتداء دولة بني العباس وكانوا يقتلون بني أمية فلما
كان بالاندلس تغلب على عمال بني العباس الذين كانوا بالاندلس وانزع الملك
منهم فكان له ملك ضخم وكان في عصر المنصور ثاني خلفاء بني العباس وكان
المنصور يسميه صقر قريش قال المنصور يوما لأصحابه أخبروني عن صقر

قريش من هو قالوا أمير المؤمنين يعنون المنصور الذي راض الملك وسكن
الزلازل وحسم الادواء وأباد الاعداء قال ما صنعت شيأ فلو افعاوية قال ولا هذا
قالوا فعبدا الملك بن مروان قال ولا هذا قالوا فن يا أمير المؤمنين قال عبد الرحمن بن
معاوية بن هشام الذي عبر البحر وقطع القفر ودخل بلدا أعجميا مفردا فصر
الامصار وجند الاجناد ودون الدواوين وأقام ملكا بعد انقطاعه بحسن تديره
وشدة شكيمته ان معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان وذلك لاله صعبه وعبدا
الملك كان يبيعه له عقدها وأمير المؤمنين يعني نفسه بطلب غيره واجتماع شيعته
وعبدا الرحمن مفرد بنفسه مؤيد برأيه مستصحب لعزيمه اه وقد كانت
مدة ملك عبدا الرحمن الداخلة ثنتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر توفي سنة اثنتين
وسبعين ومائة وعمره تسع وخمسون أو ثمان وخمسون سنة ومن عقبه الخليفة
عبدا الرحمن الناصر بن محمد بن عبدا الله بن محمد عبدا الرحمن الاوسط بن الحكم بن
هشام بن عبدا الرحمن الداخلة ولي الملك سنة ثلاثمائة وتوفي سنة ثلاثمائة وخمسين
وانسع الملك بالاندلس في مدته ومن ادساعه انه بنى تجاه قرطبة مدينة سماها
الزهراء لسكناء هي من عجائب الدنيا دالة على عظم قدر بانها وانفق فيها من
الاموال خمسة وسبعين مائة ألف دينار وكان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر
ألف فتى وسبع مائة وخمسين فتى لهم من اللحم كل يوم ثلاثة عشر ألف رطل غير
أنواع الطير والحوت وعدد النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار والخدم ستة
آلاف وثلاثمائة وأربعة عشر وعدد الصبيان الصقالب ثلاثة آلاف وسبع مائة
وسبع وثمانون وقيل ستة آلاف وثمانمائة وثمانون والمرتب من الخبز لحياتان بحيرة
الزهراء اثنا عشر ألف خبزة وينقع لها من الحمص كل يوم ستة أفرزة وأما أوصاف
مدينة الزهراء فانها طوييلة ثم لما كثرت الفتن في الاندلس هدمت تلك المدينة
ومن أغرب ما يحكى عن الناصر أنه أراد الفصد يوما فقعده في الهوا الكبير
المشرف بأعلى مدينة الزهراء واستدعى الطبيب لذلك فأخذ الطبيب الآلة وجس
يد الناصر فبينما هو كذلك اذا طل زر زور فصعد على اناء من ذهب في المجلس
وأشد ذلك الزر زور

أبها الفاصد رفقا بأمر المؤمنين * انما تفصد عرفا فيه يحي العالمينا
وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة فاستظرف الناصر ذلك وسر به غاية السرور
وسأل عمن اهتدى الى ذلك وعلم الزر زور فذكر والده ان أم ولده الحكم صنعت ذلك
وأعدته لذلك الامر فوهب لها ما ينيف على ثلاثين ألف دينار وتقدم أن الناصر
مكث في الملك خمسين سنة وكان اذا حصل له يوم كان مسرورا فيه بدون نكد
وتكدير يكتبه ووجد ذلك مكتوبا بخطه فاذا هي أربعة عشر يوما في تلك الخمسين
سنة وكان جده هشام بن عبد الرحمن الداخل يقتدى في سيرته بعمر بن عبد العزيز
وكان يبعث بقوم من ثقائه يسألون الناس عن سيرة عماله ويخبرونه بحقائقها فاذا
انتهى اليه جور من أحد من عماله أوقع به وأسقطه وأنصف منه ولم يستعمله ولما
وصفه زياد بن عبد الرحمن للإمام مالك رضى الله عنه قال نسأل الله أن يزين
موسمنا بمثل هذا وفي رواية نسأل الله أن يزين حرمانا بملككم أو كلا ما هذا معناه
فبلغ هشام ما قاله مالك مع ما بلغه من جلاله مالك ودينه فخمل هشام الناس على
مذهب مالك وكانوا قبل ذلك يأخذون بمذهب الاوزاعي فهشام هو السبب في
انتشار مذهب الامام مالك بالمغرب وغزاه هشام مدينة أريونة الشهيرة وافتتحها
واشترط على المعاهد من أهل جليقية أن ينقلوا اعدادهم من أحمال التراب من سور
أريونة المفتحة يحملونها الى باب القصر بقرطبة فبنى منه المسجد الذي أمام
باب الجنان ومناقب هشام هذا كثيرة قال في العقد الفردي وصفه هو أحسن
الناس وجها وأشرفهم نفسا الكامل المروءة الحاكم بالكتاب والسنة الذي
أخذ الزكاة على حلها ووضعها في حقها لم يعرف منه هفوة في حياته ولا زلة في أيام
صباه وكان يصير الصرر بالاموال في ليالي المطر والظلمة ويبعث بها الى المساجد
فيعطى من وجد فيها ير يد بذلك عمارة المساجد بالعلم والعبادة وأوصى رجل في
زمانه بمال في فلك سبية من أرض العدو فطلبته فلم توجد أسيرة احتراسا منه للشعر
واستنقاذا لاهل السبي وكان في أيامه المنجم الضبي وكان مشهورا بكمال المعرفة في
علم النجوم فلما ولي هشام الملك سأله عن مدة ملكه فأخبره أنه نحو ثمانية سنين

فأطرق هشام ساعة ثم رفع رأسه وقال يا ضبي ما أخوفني أن يكون النذير كلني
بلسانك والله ان هذه المدة لو كانت في سجدة لله تعالى لكانت قليلا في طاعته ثم
ازداد زهدا في الدنيا وفعلا للخير توفي سنة ثمانين ومائة وولى بعده ابنه الحكم بن
هشام وكان الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل يشبه بأبي جعفر المنصور من
خلفاء بني العباس في توطيد الدولة وشدة الملك ووقع الاعداء وغضب الحكم يوما
على خادم فأمر بقطع يده وحضر عنده زياد بن عبد الرحمن فقال له زياد أصلح الله
الامير ان مالكا حدثني في خبر رفعه ان من كظم غيظا يقدر على انفاذه ملاه الله
تعالى أمنا واما يوم القيامة فأمر أن يمسلك عن الخادم وأن يمسي عنه ثم قال له
آله ان مالكا حدثك بهذا فقال زياد آله ان مالكا حدثني بهذا * ومما يحكى
عن الحكم بن هشام أن عمه سعيد الخير بن عبد الرحمن الداخل كان له خصومة
مع ابن بشير وكان مع سعيد الخير وثيقة فيها شهادات شهود من جملتهم الحكم بن
هشام كان شهد بها قبل أن يصير خليفة فجاء عمه سعيد الخير يطلب منه الشهادة
وهو خليفة فخشي أن القاضي يرد شهادته فأرسل قبل أن يؤدى الشهادة
ورقة بخطه للقاضي يخبره بأنه يشهد على ذلك القاضي أن يقبل فأبى شهادته فلم
يغضب من رد شهادته بل قال ان القاضي رجل صالح ولا تأخذنه في الله لومة لائم
ومن أخبار عبد الرحمن بن الحكم بن هشام انه أغضب جاريته طروب فهجرت
وكان يحبها فأرسل اليها يرضاها فأبى وأغلقت باب مجلسها فأمرهم بسيد الباب
عليها من خارجة ببدر الدرهم ففعلوا وبنوا عليها بالبدر فأقبل حتى وقف
بالباب وكلهم مسترضيا راغبا في المراجعة على أن لها جميع ما سده الباب
من البدر فأجابت وفتحت الباب فانهالت البدر في بيتها فأكبت على رجله
تقبلها وحازت المال وكانت تبرم الامور مع محضر الخصى فلا يرد شيئا تبرمه
وخلف عبد الرحمن المذكور من الذكور مائة وخمسين ومن الاناث خمسين
وكانوا يسمونه عبد الرحمن الاوسط * ومن أخبار عبد الرحمن الناصر أنه لما
بنى الزهراء صنع له قبة جلوسه وزخر فيها وزينها بالذهب وصنع طعاما دعا اليه

العلماء وجلس في تلك القبة فلما حضر العلماء ومعهم القاضي منذر بن سعيد
البلوطي فلما رأى تلك القبة جعلت دموعه تتعادر على لحيته ثم قال والله يا أمير
المؤمنين ما ظننت أن الشيطان لعنه الله تعالى بلغ منك هذه المدقع ولا أن تتمكن من
قيادك هذا التمكين مع ما آتاك الله من فضله ونعمته وفضلك به على العالمين حتى
ينزلك منازل الكافر بن فانفعل عبد الرحمن الناصر لقوله وقال له انظر ما تقول
وكيف أنزلتني منزلتهم قال نعم أليس قال الله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة
واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون الآية
فوجم الخليفة وطرق مليا ودموعه تتساقط خشوعا لله تعالى ثم أقبل على منذر
فقال له جزاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيرا وعن الدين والمسلمين أجل
جزائه وكثر في الناس أمثالك وأمر بنقض سقف القبة الذي طواه بالذهب
وأعادها على صفة ليس فيها ما ينكر عليه فيه وكان القاضي منذر بن سعيد ذا علم
متين وذكاء رصين متفنا في العلوم عاملا بعلمه ورعا زاهدا وكان خطيبا بليغا آية
في الوعظ لا يسمع أحد وعظه الا خشع وبكى وكان حاضر الجواب قوي الحجج ذا
منظر جميل وخلق حميد وتواضع لاهل الطلب وانحطاط اليهم واقبال عليهم قد
أفردت ترجمته بتأليف ولد رضي الله عنه سنة خمس وستين ومائتين وتوفي سنة
خمس وخمسين وثلاثمائة وعمره تسعون سنة وولاه الناصر قضاء الجماعة سنة تسع
وثلاثين وثلاثمائة ولبث قاضيا من ذلك التاريخ للخليفة الناصر الى أن توفي
الناصر فأبقاه في قضاء الجماعة للحكم بن الناصر واستقر منذر المذكور في
القضاء الى أن توفاه الله سنة خمس وخمسين وثلاثمائة فكانت مدة ولايته لقضاء
الجماعة ست عشرة سنة وقضاء الجماعة عند أهل المغرب هو المبرع عنه عند أهل
المشرق بقاضي القضاة وله رحمه الله تأليف منها كتاب أحكام القرآن والناسخ
والمنسوخ وغير ذلك من كتب الفقه وغيرها وقد تقدم ذكره وعبد الرحمن
الناصر الجلالقة سنة ثمان وثلاثمائة وانه وطئ بلادهم ودوخ أرضهم وفتح معاقلمهم
وخرّب حصونهم ثم غزا ببلونة سنة ثلاثمائة وثنتي عشرة ودخل دار الحرب

ودوخ البسائط وفتح المعامل وخرّب الحصون وأفسد العماثر وجال فيها وتوغل في
قاصبتها والعدو يحاذيه في الجبال والأوطار فلم يقدر العدو أن ينظر منه بشئ ورجع
سالمًا وقسم الغنائم ثم بعد مدة نار عليه بعض المسلمين واستعان بالنصارى فظفر
بذلك الثأر وقتله وقتل من كان معه من النصارى أهل البتة وسار اليهم وفتح ثلاثين
من حصونهم وكان البشكنس ملكوا عليهم امرأة يقال لها طوطرة وانعقد بينه
وبينهم صلح ثم نقضوا ذلك الصلح فغزا طوطرة ملكة البشكنس في بنبلونة ودوخ
أرضها واستباحها ورجع إلى قرطبة ثم غزا الجلالقة سنة سبع وعشرين وثلاثمائة
وسار اليهم بنفسه فنزل على دار مملكة الجلالقة وهي مدينة سمورة عليها سبعة
أسوار من أعجب البنيان قد أحكمته الملوك السابقة وبين الأسوار وصلات ومياه
واسعة فافتح منها سورين وكان جيشه مائة ألف أو يزيدون والتقى مع ردمير ملك
الجلالقة وكان معه جنود كثيرة من الفرنج وحصل القتال الشديد بين الفريقين
فكان النصر في أول الأمر للمسلمين ثم رجع النصارى عليهم فحصل الانهزام
للمسلمين وكتب الله الشهادة لكثير منهم وكان الذين قتلوا من المسلمين نحو خمسين
ألفًا ثم وإلى عليهم الغزوات وصار يبعث الجيوش مع قواده وقتل منهم أضعاف ما
قتلوا من المسلمين قبل ذلك وقد ذكر العلامة أحمد بن عبد ربه الأندلسي في كتابه
المسمى بالعقد الفريد ثنتين وعشرين غزوة من غزواته ونظم كل غزوة منها في
منظومة من الرجز وكان معاصرا له قال وأوطأ عساكر المسلمين من بلاد الفرنج
مالم يطؤه قبل ذلك في أيام سلفه حتى أذعن له أمم النصرانية وأوفدوا إليه رسلاهم
وهداياهم من رومة والقسطنطينية في سبيل المهادنة والسلم والاعتمال فيما يعن في
مرضانه ووصل إلى سنده الملوك من أهل جزيرة الأندلس المتأخين لبلاد
المسلمين بجهات قشتالة وبنبلونة وما يليها من الثغور فقبضوا عليه والتمسوا رضاه
واحتقبوا جوارزه وامتطوا امرئيه ثم ساء ملكه فتملك سبته وفاسا وغيرهما من بلاد
المغرب وطار صيته وانتشر ذكره وأطاعه بنو ادريس أمراء العدو وملوك
زنانة والبر حتى صار ملكه في غاية الضخامة ورفعة الشأن وتقدم أن مدة

ملكه كانت خمسين سنة وأنه توفي سنة خمس وثلاثمائة وبويع بعده ابنه الحكم
المستنصر بالله فقام بأعباء الملك أتم قيام ولما توفي والده الناصر طمع الجلالقة
في الثغور فغزاهم الحكم بنفسه واقصم بلد فردلندين فنازل شنب اشتير وقصعها
عنوة واستباحها وقفل فبادروا الى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه ثم
أغزاهم غالب مولاه وسار الى مدينة سالم ليتوصل منها الى دخول دار الحرب فجمع
له الجلالقة ولقيهم فهزمهم واستباحهم وأثنخ فيهم وأوطأ العساكر بلد فردلندين
ودوخها وكان البشكنس قد انقض فآغزاه الحكم صاحب سر قسطة في
العساكر وجاء ملك الجلالقة لنصر البشكنس فهزمهم فامتنعوا بقورية وعانوا
في نواحيها ثم أغزاه الحكم بن يعلى وبعي بن محمد التجيبي الى بلاد برشلونة فعمات
العساكر في نواحيها وأغزى هذيل بن هاشم ومولاه غالباً الى بلاد القوس
فعمان فيها وقفلا وعظمت فتوحات الحكم وقواد الثغور في كل ناحية وكان
من أعظمها فتح قلمرية من بلاد البشكنس على يد غالب مولاه ثم عمرها الحكم
واعتنى بها ثم فتح بعض عمالة قطونية وغنم فيها من الاموال والسلاح والاقوات
والاثاث والغنم والبقر والرمك والاطعمة والسبي ما لا يحصى كان كل ذلك في أقرب
الزمن * وفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة جهز جيشا مع مولاه غالب الى بلدا لبة
ومعه يحيى بن محمد التجيبي وقاسم بن مطرف فدوخوا بلادهم ورجعوا غانمين
* وفي هذه السنة ظهرت مراكب للجوس في البعر الكبير فأفسدوا بسائط
أشبونة من الاندلس وناشبهم الناس القتال وأخرج الحكم القواد لاحتراس
السواحل ثم جاءت الاخبار بأن العساكر نالت منهم من كل جهة فرجعوا الى
مراكبهم ثم كانت وقادة أردون بن اذفونش ملك الجلالقة يتوقع مظاهرة
الحكم مستجيراً به من ابن عم له خرج عليه فأكرمه الحكم ووعدته النصر من
عدوه وخلق عليه ثم بعث ابن عمه أيضاً يطلب البيعة والدخول في الطاعة فتقبل
بمعتهم على شروط ثم بعث ملك برشلونة وملك طركونة وغيرهما من ملوك الفرنج
كلهم يطلبون المعاهدة والدخول في طاعة الحكم وبعثوا بهدايا جزيلة فتقبلهم

الحكم وعقد لهم الصلح والبيعة وشرط عليهم أن يهدموا الحصون التي تضر
بثغور المسلمين وأن لا يظاھر واعليه أهل ملتهم وان ينذروا بما يكون من النصارى
في الاجلاب على المسلمين ثم وصلت رسل غرسية ملك بشكنس يسألون الصلح
والدخول في الطاعة والبيعة فعقد لهم فاعتبطوا ورجعوا ثم وصلت أم النذريق
وهو القومس الاكبر فاحتفل لقدمها فعقدت السلم لانيها فرجعت وصنع لقدم
هؤلاء الملوك عليه احتفالات ومواكب فيها اظهار عز الاسلام بطول الكلام
بذكرها وكلها مذكورة في التواريخ وكانوا عند دخولهم على الحكم يكشفون
رؤسهم ويخلعون برانطهم اعظاما له ويقبلون بده ويقول كل واحد منهم أنا عبد
أمير المؤمنين واذا قام كل واحد منهم للانصراف يكون مقهرا لابي الخليفة
ظهره تعظيما له ويعلمون له بالدعاء وكان الحكم عالما نبيا لأقام للعلماء والعلم سوقا
نافقا واجتمع عنده من خزائن الكتب ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله قال ابن
حزم ان عدد الفهرست التي فيها أسماء بعض الكتب أربع وأربعون فهرستا
وفي كل فهرست عشرون ورقة ليس فيها إلا أسماء الدواوين وأما غير الدواوين
من سائر فنون العلوم فشيء كثير قيل ان كتبه كلها كانت أربع مائة ألف مجلد وقيل
يوجد كتاب منها إلا وله فيه قراءة ونظر ومكتوب على هوامشه خطه ولما ألف أبو
الفرج الاصفهاني كتابه المسمى بالاغانى بعث للحكم نسخة فأجازه بألف دينار
تولى الحكم سنة ست وستين وثلاثمائة ومدة ملكه ست عشرة سنة وخلف ابنه
هشام المؤيد وكان صغيرا عمره تسع سنين وكان جعله ولي عهده واستوزر له محمد
ابن أبي عامر الملقب بالمنصور المعافري ومعاقر بطن من حمير وكان يخدم أم
هشام المؤيد ثم ترقى الى أن ولاة الحكم قضاء بعض المواضع فظهرت نجابته ثم
ترقى الى أن ولاة الزكاة والمواريث ثم استوزره لابنه فحجب الخليفة هشاما
المؤيد وباشير الوزير المذكور تدير الملك بنفسه وله صفات حميدة مذكورة في
التواريخ ومفردة بالتأليف وجاشت الروم في أول ولاية هشام فجهز عليهم الوزير
المذكور جيوشا له لدفاعهم فنصره الله عليهم فمكّن حبه من قلوب الناس

خاصتهم وعامتهم واستجلب الناس بكرمه وحسن أخلاقه فانتشر صيته وأعلى
مراتب العلماء وقع أهل البدع وأوسع الجند في العطاء وكان ذاق قتل ورأى وشجاعة
وكرم وبصيرة بالحروب ودين متين وكان عالما متفنا وسيرة هذا الوزير وهو
منصور بن أبي عامر طوي له مذكورة في التواريخ وأباد المتغلبين على الخلافة
المارقين عن الطاعة وكرر الغزو والجهاد واستبد في جميع الأمور بحيث لم يبق
ذكر لأحد من رجال الدولة ولا من أولاد الخلفاء بل الذكر والتصرف كله له
وحده والخليفة محجور عليه واستمر على ذلك سبعا وعشرين سنة وكان يغزو كل
سنة غزوتين غزوة في الصيف وغزوة في الشتاء قال في نفع الطيب ان المنصور
ابن أبي عامر تمرس ببلاد الشرك أعظم تمرس ومحامن طواغيتها كل تعجرف
وتعطرس وغادرهم صرعى في البقاع وتركهم أذل من وتدبقاع

﴿ ذكر غزوة من غزواته ﴾

سبب هذه الغزوة أن أحد رسله سار في بعض مسيراته إلى غرسية ملك البشكنس
ابن شانجة فوالى في إكرامه وتناهى في بره واحترامه وطالت إقامته عنده فلا
منزله إلا امر عليه متفرجا ولا منزل إلا سار إليه معرجا فحل مرة أكبر الكنائس
هناك فيبينها هو يجول في ساحتها ويحبل العين في ساحتها إذ عرضت له امرأة
قديمة الأثر قويمية على طول الكسر فكلمته وعرفته بنفسه وقالت له أرضى
المنصور أن يتنعم بلبوس العافية ولئى سنين مأسورة محتبية وناشدته الله أن يبلغ
المنصور خبرها فلما رجع إلى المنصور عرفه بما يجب تعريفه وهو مصغ إليه حتى تم
كلامه فلما فرغ قال له المنصور هل وقفت هناك على أمر أنككرته أم لم تقف على غير
ماد كرته فتذكر أمر المرأة المأسورة فأعلمه بقصتها فلامه على ان لم يبدأ به كلامه
ثم أخذ للجهاد من فوره فلما تم جهازه وتكاملت جنوده سار حتى وافى
ابن شانجة فأخذت هيبته بسمعه وبصره فبادر بالكتاب إليه ليتعرف ما الجلية
ويحلف أنه ما جنى ذنبا ولا جفا عن مضجع الطاعة فعنف المنصور رسل ابن
شانجة وقال لهم قد كان عاقدي على أنه لا يبقى ببلاد مأسورة ولا مأسور ولو

ولو بعثه الى في حواصل الطيور وقد بلغني بقاء فلانة المسالمة في تلك الكنيسة
والله لا أنهي عن أرضه حتى أكتسبها فرجعوا الى ابن شانجة وأخبروه فارسل
المرأة ومعها امرأتان أخريان وأقسم انه ما أبصرهن ولا سمع بهن قبل ذلك
وأعلمه أن تلك الكنيسة قد بالغ في هدمها تحقيقا لقوله وتضرع اليه في الاخذ فيه
بطوله فاستصى منه وصرف الجيش عنه وأوصل المرأة ومن معها الى نفسه وألحق
توحشهن بانسه وأوصلها الى أهلها ورجع من غزونه وكان الخليفة هشام لابراه
خاص وعام ولا يخاف منه بأس ولا يرجي منه انعام وأغنى الناس عنه وأزال
أطباعهم منه وصبرهم لا يعرفونه وأمرهم لا يذكرونه ولا يعهد فيه الا الاسم
السلطاني في السكة التي يتعامل الناس بها ونسرة الى المنابر وربما أركبه في
بعض السنين وجعل عليه برنسا ويركب معه بعض جواربه ويجعل عليهن مثل
ما عليه فلا يعرف من يبينه ويأمر من ينهى الناس عن طريقه حتى ينتهي الى
موضع تنزهه ثم يعود وأخذ في اغتيال من يخشى منه خوفا من أن يشوروا به
وكانت غزوانه نحو الخمسين يطول الكلام بذكرها وكلها كانت من مفاخر
الاسلام حتى اشتدت هيبتة في قلوب الكفرة اللثام * وبما يحكى مما كان في بعض
غزوانه أن بعض الاجناد نسي رايته مر كوزة على جبل بقرب احدى مدائن
الروم فأقامت عدة أيام لا يعرف الروم ما وراءها بعد رحيل العسكر وهذا مما يفخر
به أهل التوحيد على أهل التثليث لانهم لما شربت قلوبهم الخوف من المنصور
وعلم كل من ملوكهم انه لا طاقة له بحربه لجؤوا الى الفرار وتحصنوا بالمعاقل
والقلاع ولم يحصل منهم غير الاشراف من بعد والاطلاع * ومن مفاخر المنصور في
بعض غزوانه انه مر بين جبلين عظيمين في طريق ضيق بوسط بلاد الفرنج فلما
جاوز ذلك المحل وهو أخذ في التعريق والتخريب والغارات والسبي مينا وشمالا
لم يجسر احد من الافرنج على لقائه حتى أقفرت البلاد مسافة أيام ثم عاد من ذلك
الطريق فوجد الافرنج قد استجاشوا من ورائهم وضبطوا ذلك المحل الضيق
الذي بين الجبلين وكان الوقت شتاء فلما رأى ما فعلوه رجع واختار منزلا من

بلادهم ليشه ونزل به فممن معه من العساكر وأمرهم ببناء دور ومنازل وأن
يجمعوا آلات الحرب ونحوها ليعلم الفرنج انه أراد الإقامة بأرضهم وبث سراياه
فسبت وغنمت فلما طال البلاء على العدو أرسلوا اليه في طلب الصلح وأن يخرج
بغير أسرى ولا غنائم فامتنع من ذلك فلم تزل رسالهم تتردد اليه حتى سألوه أن يخرج
بغنائمه وأسراه فأجابهم ان أصحابي قد أبوا أن يخرجوا وقالوا اننا لنكاد أن نصل
الى بلادنا الا وقد جاء وقت الغزوة الاخرى فتنقدهمنا الى وقت الغزوة الاخرى
فاذا غزونا عدنا فزال الفرنج يسألونه أن يرتحل الى أن قرر عليهم أن يحملوا على
دوابهم مامعهم من الغنائم والسبي وأن يمدوه بالميرة حتى يصل الى بلاده وأن ينحوا
جيف القتلى عن طريقه بأنفسهم ففعلوا ذلك كله وانصرف عنهم ولعمري ان
هذا الغز ما وراءه مطمح ونصر لا يكاد الزمان يجود بمثله ويسمح خصوصاً انهم
جيف قتلاهم عن الطريق وقد تقدم ذكر هذه الغزوة مختصراً فاعادتها لا تخاو

من فائدة ﴿ خبر عجيب من أخبار المنصور ﴾

ومن أخبار المنصور بن أبي عامر انه قدم عليه رسول ملك الروم الذي هو أعظم
ملوكهم في ذلك الزمان وكان قصد ملك الروم من ارساله اياه أن يطلع على أحوال
المسامين وقوتهم فلما علم المنصور به قبل وصوله أمر أن يغرس نيلوفر كثير عند بركة
عظيمة في بستان من بساينته ثم أمر باربعة قناطير من الذهب وأربعة من الفضة
فسبكت قطعاً صغارا على قدر ما نسع النيلوفر ثم ملأ بها جميع النيلوفر الذي
عند البركة فلما جاء رسول ملك الروم اليه فحضر عنده قبل الفجر في مجلسه السامي
في موضعه المسمى بالزاهرة المشرف على موضع البركة فلما قرب طلوع الفجر
جاء ألف من الصقالبة عليهم أقبية الذهب والفضة ومناطق الذهب والفضة وييد
خمسائة منهم أطباق من الذهب وييد خمسائة أطباق من الفضة فتعجب الرسول
من حسن صورهم وجميل هيئتهم ولم يدرك ما المراد فحين أشرقت الشمس ظهر
النيلوفر من البركة فيادر والأخذ الذهب والفضة من النيلوفر وصاروا يجتنونه
كما يجتنى الثمر من الشجر وكانوا يجعلون الذهب في أطباق الفضة والفضة في

أطباق الذهب حتى التقطوا جميع ذلك وجاؤا به فوضعه بين يدي المنصور حتى صار كوما بين يديه فتعجب رسول ملك الروم من ذلك وأعظمه وظن ان ذلك ثمر ذلك الشجر فطلب المهادنة من المسلمين وذهب مسرعا الى مرسله وقال له لا تعاد هؤلاء القوم فاني رأيت الارض نخدمه بكنوزها وهذه القصة من الغرائب وانها الخيلة عجيبه في اظهار عز الاسلام وأهله وكان المنصور بن أبي عامر آية من آيات الله سبحانه وتعالى في السعد ونصرة الاسلام

﴿ غزوة أخرى من غزواته ﴾

سبب هذه الغزوة أنه لقيته امرأة حين رجع من بعض غزواته فقالت له يا منصور اسقح ندائي فانت في طيب عيشك وأنا في بكائي فسألها عن مصيبتها فذكرت ان لها ابناً سيرا في بلاد سمنهاله وأخبرته انها لا يهنأ عيشها لفقده فرحب المنصور بها وأظهر الرقة بسببها وأمر بالتهيؤ الى الغزو وسار بجيوشه حتى بلغ تلك البلاد التي سمنهاله وفيها ابنا فجاسوا أقطار تلك الديار وتغللها قتلوا وأسروا ونهبوا وتخربوا حتى دوخها حتى خلص ابنها وجميع من كان هناك من الاسرى ورجع مظفرا منصورا فهكذا تكون الهمة السلطانية والنجدة الايمانية ومن مناقبه التي لم تكن لغيره من الملوك أن أكثر جنده من السبي الذي كان يأخذه من العدو ومن محاسن أخباره انه خط بيده مصحفا كان يحمله معه في أسفاره يقرأ فيه ومن قوة رجائه انه اعتنى بجمع ما علق بوجهه من الغبار في غزواته ومواطن جهاده فكان الخدم يأخذونه منه بالمناديل في كل منزل من منازلهم حتى اجتمع له منه صرة ضخمة وعهد اليهم أن يجعلوه في حنوطه فكان كذلك وكان يحمل تلك الصرة حيث سار ومن أوضح الدلائل على سعده أنه لم ينهزم في حرب قط وما انصرف من موطنه الا قاهرا غالبا على كثرة مازاول من الحروب قيل له مرة ان فلانا مشؤم فلانستخذه فقال أف لسعد لا يغطي على شؤمه فاستخدمه ولم ينسله من شؤمه الذي به جرت العادة شيئا

﴿ ذكر غزوة أخرى من غزواته ﴾

من غزواته المشهورة غزوة مدينة شنت ياقب وهي قاضية غليسية وأعظم مشاهد

النصارى الكائنة ببلاد الاندلس وما يتصل به من الارض الكبيرة وكانت
كنيستها عندهم بمنزلة الكعبة عندنا وللكعبة المثل الأعلى فيها يحلفون وبها
يحجون من أقصى بلاد رومة وما وراءها ويزعمون أن القبر المزور فيها قبر ياقب
الحواري أحد الاثني عشرة الحواريين وكان أخصهم بعيسى على نبينا وعليه
أفضل الصلاة والسلام وهم يسمونه أخاه للزومه اياه وياقب بلسانهم يعقوب
وكان أسقف بابيت المقدس ثم خرج يستقرى الارض داعيا الى الله لمن فيها
حتى انتهى الى هذه القاصية ثم عاد الى الشام فات بها وعمره مائة وعشرون
سنة فاحتمل أصحابه جثته فدفنوه بهذه الكنيسة ولم يطمع أحد من ملوك
الاسلام في قصدها والوصول اليها لصعوبة مدخلها وخشونة مكانها وبعد
شقها فخرج المنصور اليها من قرطبة غازيا بالصائفة سنة سبع وثمانين
وثلاثمائة لست بقين من جمادى الآخرة ودخل على مدينة قوربة فلما وصل
الى مدينة غليسية وافاه عدد عظيم من القوامس المتمكنين في الطاعة فصاروا
في عسكر المساميين وكان المنصور أمر بإنشاء أسطول كبير في الموضع
المعروف بقصر أبي وانس من ساحل غرب الاندلس وجهزه برجاله وحمل في
الاسطول الاقوات والعدة والسلاح استظهارا على نفوذ العزيزة الى ان خرج
ذلك الاسطول بموضع يرتقال على نهر دوين فدخل في النهر الى المكان الذي
عينه لهم المنصور للعبور منه فعقد هنالك جسرا بقرب الحصن وجعله يتصل
بالاسطول فوجهوا ما كان فيه من الميرة الى الحصن ثم منه الى الجند فتوسعوا في
التزود منه الى أرض العدو ثم نهض منه يريد شنت ياقب فقطع أرضين متباعدة
الافطار وقطع عدة أنهار كبار وخلق جان يدها البحر الاخضر ثم أفضى العسكر
بعد ذلك الى بسائط جليله من بلاد فرطارس وما يتصل بها ثم أفضى الى جبل
شامخ شديد الوعر لا مسلك فيه ولا طريق ولم يهتد الا للدلاء الى سواه فقدم المنصور
الفعلة بالحديد لتوسعة شعابه وتسهيل مسالكه حتى قطعه العسكر وعبروا بعده
وادي ينية وانبسط الملون بعد ذلك في بسائط عريضة وأرضين وانتهت مغيرتهم

الى دير قشان وبسائط بلنبو على البحر المحيط وقصوا حصن شنت بلاية وغنموا
وعبروا بساحته الى جزيرة من البحر المحيط لجأ اليها خلق عظيم من أهل تلك
النواحي فسبوا من فيها من لجأ اليها وانتهى العسكر الى جبل من أسية المتصل من
أكثر جهاته بالبحر المحيط ففضلوا أقطاره واستخرجوا من كان فيه وحازوا
غنائه ثم جاز المسلمون بعد هذا خليجاً في معبرين أرشد الادلاء عليه ثم نهر ابله ثم
أفضوا الى بسائط واسعة العمارة كثيرة الفائدة ثم انتهوا الى موضع من مشاهد
ياقب صاحب القبر تلو مشهد قبره عند النصارى في الفضل يقصد نسا كهم اليه
من أقاصى بلادهم ومن بلاد القبط والنوبة وغيرها فغادره المسلمون قاعاً صفا
ثم كان النزول بعده على شنت ياقب وذلك لليلتين خلتا من شعبان فوجدها
المسلمون خالية من أهلها فحاز المسلمون غنائمها وهدموا مصانعها وأسوارها
وكنيستها وعفوا آثارها وكل المنصور بقبر ياقب من يحفظه ويدفع الأذى
عنه وكانت مصانعها بدعة محكمة فغودرت هشيماً كأن لم تكن بالامس ونشفت
بعد ذلك سائر البسائط وانتهت الجيوش الى مدينة شنت ماتكش منقطع هذا
المقع على البحر المحيط وهي غاية لم يبلغها قبلهم مسلم ولا وطنها لغير أهلها قدم فلم
يكن بعدها للخيل مجال ولا وراءها انتقال وانكفا المنصور عن باب شنت ياقب
وقد بلغ غايته لم يبلغها قبله مسلم فجعل في طريقه وهو راجع القصد على عمل برمند
ابن أردون تعيش جيوشه في عمله نخربه وتفسده حتى وقع في عمل القوامس
المعاهدين الذين كانوا معه في عسكره فأمر بالكف عنها ومر مجتازا حتى خرج
على حصن بليقية فأجاز هناك القوامس الذين كانوا معه وأكرمهم على أقدارهم
وكساهم وصر فهم الى بلادهم وكتب بالفتح من بليقية وكان مبلغ ما كساه في
غزاته هذه ملوك الروم ولبن حسن غناؤه من المسلمين ألفين ومائتين وخمسا
وثمانين شقة من صنوف الخز الطرازي واحدى وعشرين كساء من صنوف
الخبر وكساء بن عنبر بين واحد عشر سقلاطونا وخمسة عشر مرشياً وسبعة
أنماط ديباج وثوبى ديباج رومى وفروة فنكروا في قرطبة بجميع العساكر

سالما غاما وعظمت المنة على المسامحين ولم يجد بشنت يا قبا الاشبيخا من الرهبان
جالسا على القبر فسأله عن مقامه فقال أونس يعقوب فأمر بالكف عنه

﴿ غزوة أخرى من غزواته ﴾

سبب هذه الغزوة ان جماعة من صنهاجة وهم من البربر قدموا على المنصور بن أبي
عامر من المغرب سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة فنزلوا عليه بقرطبة فأكرمهم
وأجرى عليهم الوظائف وسأهم عن سبب انتقائهم من افريقية الى الاندلس
فقالوا انما اخترناك على غيرك وأحببنا أن نكون معك نجاهد في سبيل الله تعالى
فاستحسن ذلك منهم ووعدهم ووصلهم فأقاموا أياما ثم دخلوا عليه وسألوه اتمام
ما وعدهم به من الغزوة فقال انظر واما أردتم من الجند لاجل ان نعطيكم فقالوا
ما يدخل معنا بلاد العدو وغيرنا الا الذين معنا من بني عمنا ومن بقية صنهاجة
ومواليها أعطاهم الخيل والسلاح والاموال وبعث معهم دليلا وكان الطريق
ضيقا فأثروا أرض جليقية فدخلوها ليلا وكنوا في بستان بالقرب من المدينة
وقتلوا كل من به وقطعوا أشجاره فلما أصبحوا خرج جماعة من البلد فضربوا
عليهم وأخذوا جميع الخارجين وقتلوهم جميعهم ورجعوا فسمع العدو فركبوا
في أثرهم فلما أحسوا بذلك كمنوا وراءه بوة فلما جاوزهم العدو خرجوا عليهم
من ورائهم وضر بوا في ساقتهم وكبروا فلما سمع العدو تكبيرهم ظنوا أن العدو
كثير فانهزموا وتبعهم صنهاجة فقتلوا خلقا كثيرا وغنموا دوابهم وسلاحهم
وعادوا الى قرطبة فعظم ذلك عند ابن أبي عامر ورأى من شجاعته مالم يبر من
جند الاندلس فأحسن اليهم وجعلهم بطانته فلما رأى أهل الاندلس فعل
صنهاجة حسدوهم ورجبوا في الجهاد فقالوا المنصور بن أبي عامر لقد نشطنا
هؤلاء للغزوة فجمع الجيوش الكثيرة من سائر الاقطار وخرج الى الجهاد بنفسه
وكان رأى في المنام تلك الليلة كان رجلا أعطاه الاسبراج وهو اسم لنبت فأخذه
من يده وأكل منه فعبه على ابن أبي جمعة فقال له اخرج الى بلد اليون فانك
ستفهمها فقال من أين أخذت هذا فقال لان الاسبراج يقال له في المشرق الهليون

كبرذون فلك الرؤيا قال لكها اليون فخرج بتلك الجيوش ونازلها وهي من
أعظم مدائنهم واستمد أهلها الفرنج فأمدوهم بجنود كثيرة واقتتلوا ليلا ونهارا
فكثر القتل في الفرنج وصبرت صنهاجة صبورا عظيما ثم خرج قومص كبير من
الفرنج لم يكن لهم مثله فجال بين الصفوف وطلب البراز فبرز اليه جلاله بن زيري
الصنهاجي فحمل كل منهم على صاحبه فطعنه الفرنجي قال عن الطعنة وضرب
الفرنجي بالسيف على عاتقه فسقط الفرنجي الى الارض وحمل المسلمون على
النصارى فاهزموا الى بلادهم وقتل منهم ما لا يحصى وملك المدينة وغنم ابن أبي
عامر غنمية عظيمة لم ير مثلها واجتمع من السبي ثلاثون ألفا وأمر بالقتلى فنضد
بعضهم على بعض وأمر مؤذنا فأذن فوق القتلى المغرب وخرّب مدينة قامونة
ورجع سالما هو وعساكره قال في نفتح الطيب وانتهت هيبة المنصور بن أبي عامر
وضبطه للجند الى غاية لم يصلها ملك قبله فنكانت موافقهم في الميدان على احتفاله
مثلا في الاطراق حتى ان الخيل لتتمثل في الاطراق مثل فرسانها فلما تكثرت
الصهيل والحمة ولقد وقعت عينه مرة على بارقة سيف قد سله بعض الجند أقصى
الميدان لهزل أو وجد بحيث ظن أن لحظ المنصور لا يناله فقال على بشاهر السيف
فمثل بين يديه لوقته فقال ما حملك على أن شهرت سيفك في مكان لا يشهر فيه الا عن
اذن فقال اني أشرت به الى صاحبي فغمد افرلق من غمده فقال ان مثل هذا لا
يسوغ بالدعوى وأمر به فضربت عنقه بسيفه وطيف برأسه ونودي عليه بذنبه
وذكر أيضا أن المنصور كان به داء في رجليه واحتاج فيه الى السكى فأمر النبي
يكويه أن يكويه وهو قاعد في موضع مشرف على أهل مملكته فجعل يأمر
وينهى ويتصرف في أموره ورجله تكوى والناس لا يشعرون حتى شموا
رائحة الجلد واللحم وهو غير مكترث بذلك فتعجب الناس من ذلك وذكروا في نفتح
الطيب كثيرا من أخباره في الكرم والعفو والحلم وحسن الخلق ثم قال وأخبار
المنصور تحتتمل مجلدات فلتمسك العنان في توفي المنصور بن أبي عامر في غزوة
للافرنج في شهر صفر سنة ثلاثمائة واثنتين وتسعين بمدينة سالم لسبع وعشرين

سنة من ملكه وقام بالامر بعده ابنه عبد الملك وعبد الرحمن واحدا بعد واحد فقام
بالامر اول ابنه عبد الملك فجري على سنن أبيه في السياسة والغزو وكانت أيامه
أعياد ادمت مدة سبع سنين ثم قام بالامر بعده الابن الآخر عبد الرحمن وجري على
سنن أبيه وأخيه في الحجز على الخليفة هشام والاستبداد عليه ثم ناب له رأى في
الاستيثار بالملكة فطلب ان هشام يجعله ولي عهده فأجابته لذلك لتغلبه عليه
وأحضر لذلك أرباب الشورى وأهل الحل والعقد وكتب عهده بذلك فقرأه
في ذلك المجمع وكتب القضاة والوزراء وسائر الناس شهادتهم بخطوطهم ثم سعى
كثير من الامويين وغيرهم في نقضه وأثاروا لذلك فتنة الى أن قتلوا عبد الرحمن
سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ثم خلعوا الخليفة هشام وابيعوا محمد بن هشام بن عبد
الجبار ابن أمير المؤمنين الناصر ثم أعيد هشام ثم فقد سنة ثلاث وأربعمائة وقيل
قتل ونار من ذلك فتن كثيرة يطول الكلام بذكرها آل الامر فيها الى زوال
ملكهم وافتراق كلمتهم وكل يوم يخلمون خليفة ويبايعون آخر ثم صار في كل
مملكة خليفة يدعى أمير المؤمنين وتبدد شمل الجماعة بالاندلس ثم صار الملك في
طوائف متغلبين في كل ناحية ملك مستقل متغلب ولا حاجة بنا الى ذكر أسماؤهم
وعند ذلك استفحل أمر النصارى وصاروا يتغلبون على ممالك الاندلس
ويملكونها فطرا بعد فطر وناحية بعد ناحية وصار ملوك الطوائف لا يسأل
بعضهم عن بعض ولا يحامي ولا يدافع الا عن نفسه وبما تقاطعوا مع بعضهم وتغلب
بعضهم على البعض ﴿ ذكر أول مدينة تملكها الطاغية ﴾
أول مدينة تملكها الطاغية بالنسية سنة ست وخسين وأربعمائة وتعرف هذه
الوقعة بوقعة بطرنة اسم موضع هناك وذلك أن الافرنج خذلهم الله تعالى انتدبت
منهم قطعة كثيفة ونزلت على بالنسية في السنة المذكورة وأهلها جاهلون بالحرب
معرضون عن أمر الطعن والضرب مقيلون على لذات الاكل والشرب ولما
نازلها الفرنج أظهروا لاهلها الندم على منازلها والضعف عن مقاومة من فيها
وخدعوهم بذلك فانخدعوا وأطمعوهم فطمعوا وكان المتغلب على تملكها من

ملوك الطوائف عبد العزيز بن أبي عامر المعافري ثم ان العدو جعل في مواضع
خارج المدينة كمناء وجماعة من الفرسان فظن أهل البلد أن العدو تفرق وارتحل
عنهم فخرجوا في زينتهم ومعهم أميرهم فصر العدو لهم استدراجا ومكر حتى خرج
الناس كأنهم في عيد فخرج عليهم الكمناء وعطفوا عليهم بالقتل والاسر حتى
استأصلوهم وما نجا منهم الا من بقي أجهل وخلص الامير نفسه واستولى العدو على
بلنسية وكانت بلنسية في شرقي الاندلس وكان في شرقي الاندلس من المداين
العظيمة بلنسية ومرسية وتطيلة وسرقسطة ولاردة ودانية والسهلة والثغر الاعلى
ولكل واحدة من هذه أعمال واسعة وكان أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود الجندامي
ملكها مستبدا بمدينة تطيلة ثم ملك سرقسطة والثغر الاعلى وبلنسية ولاردة ودانية
والسهلة فكان استيلاء العدو وأولاه على بلنسية في السنة المذكورة وسيأتي ذكر
رجوعها للمسلمين ثم استرجاع النصارى اياها مرة أخرى

﴿ ذكر تملك العدو بر بشت وسرقسطة وذلك قصة برطانية ﴾

من الممالك التي في شرقي الاندلس بر بشت وسرقسطة والثغر الاعلى ومدينة تطيلة
ومرسية وبلنسية وغير ذلك والمتغلبون عليها من ملوك الطوائف بنو سليمان بن
محمد بن هود الجندامي من سنة احدى وثلاثين وأربعمائة وكان قبلهم متغلبا عليها بنو
منذر بن مطرق التجيبي فانتزعهما منهم بنو هود في السنة المذكورة فلما كانت
سنة ست وخمسين وأربعمائة نازها جيش الازد مليش وحاصرها وقصر الامير
يوسف بن سليمان بن هود في حمايتها وول كل أهلها الى نفوسهم فأقام العدو عليها
أربعين يوما ووقع فيما بين أهلها تنازع في القوت لقلته واتصل الخبر بالعدو فشد
القتال عليها والحصر لها وكان لها مدينتان فدخل المدينة الأولى خمسة آلاف
مدرع فدهش الناس وتحصنوا بالمدينة الداخلة وجرت بينهم حروب شديدة قتل
فيها خمسة افرنجي ثم اتفق أن القناة التي كان الماء يجري فيها من أنهر الى المدينة
نحت الارض في سرب موزون فانهارت القناة وفسدت ووقع فيها صخرة عظيمة
سدت السرب بأسره فانقطع الماء عن المدينة ويئس من بهام الحياة فلاذوا

بطلب الامان على أنفسهم خاصة دون مال وعيال فأعطاهم العدو الامان فلما
خرجوا نكث بهم وغدر وقتل الجميع الا القائدين الطويل والقاضي ابن
عيسى ومعهم انفر من الوجوه وحصل للعدو من الاموال والامتعة ما لا يحصى حتى
ان الذي خص بعض مقدمي العدو ألف وخمسة مائة جارية أ بكراراً ومن وقار الحلي
والكسوة ما يحمل خمسة مائة جبل وقدر القتلى والاسرى مائة ألف نفس ومن
نوادر ماجرى على هذه المدينة لما فسدت القناة وانقطعت المياه ان المرأة كانت
تقف على السور وتنادى من كان بالقرب منها أن يعطيها جرعة ماء لنفسها أو
لولدها فيقول لها اعطيني ما معك فتعطيه ما معها من كسوة وحلي وغيرها وكان
السبب في قتلهم أنه خاف من وصول أحد لنجدتهم وشاهد من كثير منهم ما هاله فشرع
في قتلهم فلما قتل منهم نيفا على ستة آلاف نادى الملك بتأمين من بقي وأمر أن يخرج
من بقي بالبلد فازدحموا على الباب الى أن مات منهم خلق كثير ونزلوا من الاسوار
الجبال خشية من الازدحام في الابواب ومبادرة الى شرب الماء وقد كان نخبز في
بالمدينة جماعة ولم يخرجوا وكانوا مقدار سبع مائة نفس من الوجوه وحواروا في
نفوسهم وانتظروا ما ينزل بهم فلما خلت ممن أسر وقتل وأخرج من الابواب
والاسوار وهلك في الزحمة نودي في تلك البقية أن يبادر كل منهم الى داره بأهله
وله الامان وأرهبوا وأزعجوا فلما حصل كل منهم بمن معه من أهله في منزله اقتسمهم
الافرنج لعنهم الله تعالى بأمر الملك وأخذ كل واحد منهم دارا بمن فيها فعوذ بالله
تعالى وكان جماعة من أهل المدينة قد نفروا ولاذوا برؤس الجبال وتحصنوا
بمواضع منيعة وكادوا يهلكون من العطش فأمنهم الملك على نفوسهم وبرزوا
في صورة الهلكى من العطش فأطلق سبيلهم فبينما هم في الطريق اذ لقيتهم
خيال الكفر ممن لم يشهد الحادثة فقتلوهم الا القليل ممن بقي أجله وكان الفرنج
لعنهم الله تعالى لما استولوا على المدينة يفتنون البكر بحضرة أبيها والتيب
بحضرة زوجته وأهلها وجرى من هذه الامور والاحوال ما لم يشهد المسلمون
مثله قط فيما مضى من الزمان ومن لم يرض منهم أن يبطأ بعض النساء ذوات

المهنة أعطاهن خدمة وغلماه يعيثون فيهن وبلغ الكفرة منهم ما لا يمكن
أن يوصف على الحقيقة ولما عزم ملكهم على القبول الى بلده تخير من بنات
المسلمين الجوار الا بكار والثيات ذوات الجمال ومن صبيانهم الوفا حلهم معه
ليهدمهم الى من فوقه من ملوكهم وترك من رابطة خيله ببر بشر ألقا وخسمائة ومن
الرجال ألفين وممن كان في هذه الوقعة الشنماء أن بعض تجار اليهود جاء بر بشر
بعد الحادثة ملتسافدية بنات بعض الوجوه ممن نجا كن حصلن في سهم قومس
منهم كان يعرفه قال فذهبت الى منزله واستأذنت عليه فوجدته جالسا مكان رب
الدار مستويا على فراشه افلا في نفيس ثيابه والمجلس والسريبر كما خلفهما
رهبما يوم محنته لم يغير شي من ريشهما ووزيتهما ووصائفه مضمومات الشعر قائمات
على رأسه ساعات في خدمته فرحب بي وسألني عن قصدي فعرفته وجهه
وأشرت الى وفور ما أبدل له في بعض اللواتي كن واقفات على رأسه وفيها كانت
حاجتي فتبسم وقال بلسانه ما أسرع ما طمعت فيمن عرضناه لك أعرض عنهن
وتعرض لمن شئت ممن صيرته لخصني من سبي وأسرى من أقاربك فقلت له أما
الدخول الى الحصن فلا رأى لي فيه وبقربك أنست وكنفك اطمأنت فأعطني
بعض من هنا فاني أعطيك رغبتك قال وما عندك فقلت العين الكثير الطيب
والبر الرفيع الغريب فقال كأنك تشبهيني ما ليس عندي ياباجه ينادى بعض
أولئك الوصائف يديها هجة فغيره بعجمته قومي فأعرضي عليه ما في ذلك
الصندوق فقامت اليه وأقبلت ببدر الدنانير وأكياس الدراهم وأسفاط الخلي
فكشفت وجعل بين يدي العليج حتى كادت نواري شخصه ثم قال لها أرني من تلك
التخوت فأذنت منه قطعة من قطع الوشي والخز والديباج الفاخر حتى حار لذلك
بانظري وهبت واستردت ما عندي ثم قال لي لقد كثرت هنا عندي كل شيء حتى ما التذبه
ثم حلف لي أنه لو لم يكن عنده شيء من ذلك ثم بذل لي أحدهم مثل ذلك ما سخوت بهذه
الجارية التي تطلبها نفسي فهي ابنة صاحب المنزل وله حسب في قومه واصطفيتها
لنفسى لمز يدجها لاجل أن تلدي وفعلنا هذا مثل ما كان قومها يصنعون بنفسائنا

إذا ملكونا حين كانت دولتهم وقد رد الله لنا الكرة عليهم فصرنا فيما تراه وأزبدك
بأن تلك الخوذة الناعمة وأشار إلى جارية أخرى كانت مغنية لو الدهانم قال لها يا فلانة
خذى عودك فأخذت العود وقعدت تسويبه واني أتأمل دمعا يقطر على خدها
فتسارع العليج مسحه بيده واندفعت تغني بشعر ما فهمته أنا فضلا عن العليج وأظهر
الطرب فلما يئست مما عنده قت منطلقا واطلعت على كثرة ما بأيديهم من السبي
والمغنم فطال تعجبي قال في نفح الطيب فهنا مقنع لمن تدبره وتذكرة لمن تذكرة
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا وما بأنا نفسهم فان أهل الأندلس لما توالى عليهم
النعم انهم كوا في اللذات والشهوات وحل بهم داء التقاطع وقد أمروا
بالتواصل والالفة فأصبحوا على شفا جرف يؤدي إلى الهلكة لا محالة وأنهم كانوا
يعلمون أنفسهم بالباطل ويفترون بالنعم الزائل وقد بعدوا عن طاعة خالقهم
ورفضوا وصية نبيهم وغفلوا عن سد ثغورهم حتى جاس عدوهم بخلال ديارهم ثم
سرى البثق اليهم جميعا فلاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ذكر استرجاع المسلمين بر بشترو وسرفسطة

ولما كانت السنة التي بعد أخذها وهي سنة سبع وخمسين وأربعمائة نار أحمد
المقتدر بن هود المقرط فيها والمنهم على أهلها لانجر افهم إلى أخيه صمد لها مع امداد
المعتد بن عباد صاحب قرطبة وسعى لاصحاب سوء المقالة عنه وقد كتب الله تعالى
عليه منها ما لا يمحوه إلا عفوه تعالى فتأهب لقصد بر بشترو في جموع من المسلمين
فجاهدوا الكفار بها جلادا ارتاب منه كل جبان وأعز الله تعالى أهل الحقيقة
والشجعان وحمى الوطيس بينهم إلى أن نصر الله تعالى أوليائه وخذل أعداءه
وولوا الأدبار مقتحمين أبواب المدينة فاقحمها المسلمون عليهم وملكوهم
أجمعين إلا من فر من مكان الواقعة ولم يدخل المدينة فأجبل السيف في الكافرين
واستوصلوا أجمعين إلا من استرق من أصاغرهم وفدى من أعاظمهم وسبوا جميع
من كان فيها من عيالهم وأبنائهم وملكوا المدينة بقدره الخالق الباري وأصيب
في منحة النصر المناخ طائفة من حماسة المسلمين الجادين في نصره الدين نحو

النجسين كتب الله لهم الشهادة وقتل فئة من أعداء الله الكافرين نحو ألف فارس
بوحدة آلاف راجل ففسلها المسلمون من رجس الشرك وجاوها من صدى
الافك واسترجع بلنسية المأمون بن ذى النون وولى عليها أبا بكر بن عبد العزيز
المنصور وقد اخله ابن هود في الانتقاض ففعل واستبد ببلنسية وضبطها وذلك سنة
ثمان وستين وأربعمائة ثم مات أبو بكر بن عبد العزيز فتملكها بعده ابنه القاضي
عثمان بن أبي بكر وبقى الى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فلما تملك الطاغية طليطلة في
هذا العام كاسياتى وتسلمها من القادر بن ذى النون شرط عليه القادر أن يمكنه
من تملك بلنسية فسار معه الطاغية بجيوشه الى أن ملكه بلنسية وذلك أن المسلمين
لما أقبل عليهم القادر بن ذى النون ومعه جيوش الطاغية خافوا أن يملكها
الطاغية فخلعوا القاضي عثمان بن أبي بكر وسلموها للقادر بن ذى النون وذلك
سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وبقى الى سنة ثلاث وثمانين أو ربعمائة وكان ذلك بعد
دخول يوسف بن تاشفين الأندلس وتغلبه على ملوك الطوائف كاسياتى بيانه
فهنز جيشا لتخليص بلنسية من القادر بن ذى النون وجعل امارة بلنسية للقاضي
أبي أحمد جعفر بن عبد الله بن حجاف فحصر بها القادر بن ذى النون الذي يمكن
الاذفونش من طليطلة ثم هجم عليه القاضي في جماعة من المرابطين فقتلوه وذلك
سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وتملك ابن حجاف بلنسية ثم رجع عنه طائفة المرابطين
الذين كان استنصر بهم وأعانوه على تملكها اياها وصار خائفان من استيلاء الطاغية
عليه وجعل يستصرخ الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فيبطلى عليه النصر
وفي أثناء ذلك أنقض يوسف بن أحمد بن هود صاحب سرقسطة لذريق الطاغية
للاستيلاء على بلنسية فدخلها وعاهده القاضي بن حجاف واشترط عليه احضار
ذخيرة كانت للقادر بن ذى النون فاقسم أنها ليست عنده فاشترط عليه أنه ان
وجدها عنده قتله فانفق أبه وجدها عنده فأحرقه بالنار وعاث في بلنسية وكان
الاستيلاء عليه سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وقيل في التي قبلها وهذا الطاغية الذي
أخذها يقال له أيضا القنطيور وحاصرها قبل أخذها عشرين شهرا قيل انه

دخلها صلحا وقيل بل عنوة وحرقتها وعات فيها ومن أحرقها فيها الأديب أبا جعفر
ابن البناء الشاعر المشهور ثم وجه إليها جيشا أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين
وجعل أميراً على الجيش أبا محمد دمر زلي ففتحها الله تعالى على يديه سنة خمس
وتسعين وأربعمائة وبقيت بلنسية بيد المسلمين إلى سنة ثمانمائة وثلاثين ثم أخذها
العدو وسيأتي ما كان بعد ذلك * ومما استولى عليه العدو مدينة المرية وهي من
مدائن الأندلس العظيمة الشهيرة استولى عليها العدو سنة ثنتين وأربعين
وخمسمائة وأحصى عدد من سبي من أبكارها فكان أربعة عشر ألفاً قال ابن
حبش وهو آخر الحفاظ بالأندلس كنت في قلعة المرية لما وقع الاستيلاء عليها
أعادها الله للإسلام فتقدمت إلى زعيم النصارى وهو ابن بنت الأذفونش وقلت
له اني أحفظ نسبيك منك إلى هرقل فقال لي قل فدكرته له فقال لي اخرج أنت
وأهلك ومن معك طلقا بلا شيء ثم انها بعد ان أخذت في السنة المذكورة استرجعها
المسلمون سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة وبقيت بيد المسلمين إلى ان أخذها
الكفار مرة أخرى سيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى

✽ ذكر تملك الطاغية طليطلة ✽

قال في نفع الطيب ان الأندلس ينقسم إلى مشرق ومغرب ومتوسطة وكل واحد
من الأقسام الثلاثة مشتمل على مدائن عظيمة كل مدينة منها مملكة مستقلة مشتملة
على أعمال وقرى ومزارع وبساتين وأقطار واسعة وخلائق لا يحصون في غاية
التنعم والرفاهية فن المتوسطة قرطبة وطليطلة وجيان وقسطلة وغرناطة والمرية
ومالقة وغير ذلك مما يطول ذكره ومن شرق الأندلس مرسية وبلنسية وشاطبة
ووانية والسهلة والثغر الأعلى وسرقسطة ونطالية وغير ذلك مما يطول ذكره ومن
غرب الأندلس اشبيلية وماردة واشبونة وشلبان وشربش ولبلة والخمراء
وبطيموس وغير ذلك مما يطول ذكره * ولما ضعف أمر الخلافة وافترق ملوك
الأندلس وكثر الاختلاف بينهم وانتشرت الفتن صارت الممالك بيد ملوك كثيرة
يسمون ملوك الطوائف لكل مملكة ملك مستقل ينفذ أمره ونهيه فيما كان

تحت يده من الممالك وهم مختلفون في اتساع ممالكهم وعدم اتساعها وكان ابتداء
تفرق الممالك واستبداد تلك الطوائف من سنة سبع وأربعمائة وصاروا يقاتل
بعضهم بعضا فيتغلب بعضهم على بعض ويستولى على ما يبدؤا الآخر وكان عدد
أولئك الملوك خمسة عشر لا حاجة الى ذكر أسمائهم وكان أعظم الممالك عندهم
قرطبة وهي مقر دار الخلافة وسرير الملك والسلطنة وكان المستولى على قرطبة
من ملوك الطوائف المعتضدين عباد وكانت قبل تغلبه عليها عند أبي الحزم جهور
ابن محمد بن جهور المعافري السكبي استبد بها من سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة
ثم صارت لابنيه من بعده فأخذها منهم ابن ذى النون صاحب طليطلة سنة احدى
وستين وبقيت عنده الى سنة تسع وستين وأربعمائة فانتزعها منهم المعتضد بن عباد
بعد قتال وضمها الى ما كان بيده من الممالك فصار ابن عباد أعظم ملوك الطوائف
فكانوا يهابونه ويهادونه ويخضعون له ويخشون سطوته وكان أبو المعتضد وهو
الذي أسس له هذا الملك قيل انه من تخم وينتهي نسبه الى النعمان بن المنذر ملك
الحيرة في الجاهلية وتوفي المعتضد بن عباد سنة احدى وستين وأربعمائة وصار
الملك بعده لابنه المعتمد محمد بن عباد فاتسع ملكه وشمخ سلطانه أكثر مما كان
لأبيه وكان أيضا من أعظم الممالك طليطلة وكانت لبني ذى النون وكانت قبلهم
ليعيش بن محمد بن يعيش من أول الفتنه والتفرق الى سنة سبع وعشرين
وأربعمائة فانتزعها منهم وتغلب عليها اسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن
ذى النون أصله من البربر من قبيلة هوازة وضمها الى ما كان بيده من الممالك
فاتسع ملكه وتوفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة فولى بعده ابنه المأمون أبو
الحسن يحيى فاستفحل ملكه وعظم بين ملوك الطوائف سلطانه وتوفي سنة سبع
وستين وأربعمائة فولى بعده حفيده القادر بالله يحيى بن اسماعيل بن المأمون يحيى
فانتزعها الطاغية منه وهي من المتوسطة من الاندلس وكانوا يسمونها وجهاتها
الثغر الأدنى ويسمون سرقسطة وجهاتها الثغر الأعلى وتسمى طليطلة أيضا
مدينة الأملاك لانها ملكها اثنان وسبعون ملكا قيل ان سليمان بن داود عليه

السلام دخلها وكذا عيسى بن مريم عليهما السلام ودخلها أيضا ذو القرنين وهي
مدينة حصينة قديمة من بناء العماقة ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة ورساتيق
مريضة وضياع بديعة وقلاع منيعة وبها القنطرة العجيبة البناء يعجز الواصفون
عن وصفها وطول تلك القنطرة ثلاثمائة باع وعرضها ثمانون باعا على قوس واحد
والماء يدخل تحته بعنف وشدة جرى ومع آخر النهر ناعورة ارتفاعها في الجو
تسعون ذراعا وهي تعد الماء إلى أعلى القنطرة ويجري الماء على ظهرها فيدخل
المدينة وبني المأمون فيها قصر اتأنيق في بنائه وأنفق مالا كثيرا وضع فيه بحيرة
وبني في وسطها قبة وسبق الماء إلى أعلى القبة على تدير أحكمه المهندسون فكان
الماء ينزل من أعلى القبة متواليها كلها محيطها متصلا ببعضه ببعض فكانت
القبة في غلالة من الماء يسكب ولا يفتر والمأمون قاعد فيها لا يمس من الماء شيء ولو
شاء أن يوقد فيها الشمع لفعل فبينما هو فيها يوما إذ سمع منشد يقول

أبني بناء الخالدين وإنما * بقاؤك فيها لو علمت قليل

لقد كان في ظل الأراك كفاية * لمن كل يوم يعتر به رحيل

فلم يلبث بعده هذا الأيسير حتى قضى نجبته وذلك سنة خمس وثلاثين وأربعمائة
وولى بعده ابنه يحيى القادر بالله إلى أن أخذت منه ثم صارت له بالنسبة بواسطة
الطاغية إلى أن قتل كما تقدم وبطليطلة بساتين محدة وأنها مخرقة ورياض
وجنان وفواكه حسان مختلفة الطعم والألوان وفيها إيوان كبير يقال إن الخيل
تلعب فيه وكان بنو ذى النون ملوك طليطلة لهم دولة كبيرة وبلغوا في البسخ
والترقى إلى الغاية فطمع في ملكهم الطاغية المسمى بالاذفونش واشتغل القادر
يحيى صاحبها بالخلاعة والمجون وأكثر مهادة الأفرنج وصانعتهم ليتلذذ باللعب
وامتدت يده إلى أموال الرعية ولم نزل الفرنج تأخذ حصونه شيئا بعد شيء حتى
أخذت منه طليطلة وسلبت ملكه ولما أرادوا أخذها سار إليها الأذفونش بجيوشه
وصار يملك قراها وأعمالها ويضيق عليها بالحصار وكان ذلك كله في مدة سبع
سنين فلما اشتد عليهم الحصار رضى صاحبها والمسالمون أن ينزلوا عنها وقد فنى

بالقتل والأسر والنهب كثير منهم في قراها و بواديها قال ابن بسام بعد ذلك
بطرنة المتقدم ذكرها و ذكر ما صار للمسلمين عند أخذها وهكذا جرى لأهل
طليطلة فان العدو خذله الله استظهر عليهم وقتل جماعيرهم وكان من جملة ما غنمه
الفرنج من أهلها لما خرجوا اليهم من ثياب الترفه ألف عقارة خارجا عما سواها
وكان أخذ الطاغية طليطلة سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وأعطى الأمان لصاحبها
القادر بالله ولمن بقي بها من المسلمين ثم لما ملكها الطاغية صار يستميل أهلها
الباقين فيها ويظهر لهم صورة العدل حتى حجب التنصر الى كثير من الطعام منهم
وقيل للملكهم الطاغية ينبغي ان تلبس التاج كمن كان قبلك من الملوك فقال حتى
نأخذ قرطبةهم وأعد لذلك ناقوسا تأنق فيه وأخذ في الاستعداد لتلك قرطبة ومما
بدل على عظيم مدينة طليطلة وحصانها ان المسلمين لما استرجعوا ما ملكه الأعداء
من المدائن والقري عجزوا عن استرجاع طليطلة وبقيت في يد العدو الى آخر
المدّة ولما فتح المسلمون الأندلس في أول الأمر ألقى الله الرعب في قلوب النصارى
وصاروا يأخذون في الفرار ولم يثبت منهم أحد بعد أول وقعة كانت بينهم وبين
المسلمين حتى انهم أخلوا طليطلة فوجدوا المسلمون خالية ووجدوا فيها مائدة
سليمان عليه السلام وقيل انها ليست لسليمان وانما هي لموكلهم تأنقوا في صنعها
وكانت مصوغة من الذهب مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزمرد ولم ير الراون
مثلا وكان لها ثلاثمائة وخمسة وستون رجلا بكسر الراء وسكون الجيم وكان
عليها طوق من اللؤلؤ وطوق من الياقوت وطوق من الزمرد وكلها مكالمة
بالجوهر حافاتها وأرجلها وكانت أرجلها منها فأخذها طارق بن زياد فاتح الأندلس
وأتحف بها الوليد بن عبد الملك

✽ ذكر ما جرى بعد استيلاء العدو على طليطلة بين العدو

والمعتمد بن عباد صاحب قرطبة ✽

قد تقدم ان ابن عباد كان أعظم ملوك الطوائف وذلك لانه قاتل كثيرا من ملوك
الطوائف وانتزع منهم كثيرا من ممالكهم فصار له قرطبة واشبيلية وبطليوس

وشريش وقرمونة ورندة وغير ذلك فكان الباقر من ملوك الطوائف
يهابونه ويلتمسون رضاه ولما رأى ابن عباد قوة الاذفونش الطاغية صار
يداهنه ويهادبه ويخضع له وجعل له ضريبة على نفسه يؤديها اليه كل سنة فلما
تملك الاذفونش طليطلة وأرسل اليه المعتمد الضريبة المعتادة التي كان يدفعها
كل سنة فلم يقبلها الاذفونش وأرسل اليه يتهدده ويتوعده المسير الى قرطبة
ليفتحها الا أن يسلم اليه الحصون المنيعة التي يريد هافيبقي العهد للمسلمين وكان
رسول الاذفونش الى المعتمد معه جمع من النصارى اتباع الاذفونش كانوا نحو
خمسمائة فارس فلما وصل الى المعتمد أنزله وحده وفرق أصحابه على قواد عسكريه
ثم أمر المعتمد قواد عسكريه أن يقتل كل منهم من كان عنده من أولئك النصارى
الذين جاؤا مع رسول الاذفونش فقتلواهم وأحضر الرسول وصفه حتى خرجت
عيناه وسلم من أولئك النصارى المرسلين ثلاثة نفر فرجعوا الى الاذفونش
وأخبروه الخبر وكان قد تجهز الى قرطبة ليحاصرها فرجع الى طليطلة ليزيد في
التجهز ويجمع ما بقي من آلات الحصار ويكثر الجيوش والعدة فلما بلغ المعتمد
اهتمام الطاغية في التجهيز رحل الى اشبيلية لتدبير هذا الامر وسمع بذلك العلماء
من مشايخ قرطبة وتحققوا جميع ماجرى وعلموا قوة الفرنج وضعف المسلمين
وتأملوا في أمر ملوك الطوائف فوجدوهم منهمكين في اللذات والشهوات
ويقاتل بعضهم بعضا ويستعين بعضهم على بعض بالفرنج فاجتمع العلماء يتشاورون
في هذا الامر فقال بعضهم هذه بلاد الاندلس قد غلب عليها الافرنج وملكوا
كثيرا منها ولو استمرت الحال على ما نرى عادت نصرانية كما كانت ثم ساروا
الى قاضى القضاة المسمى عندهم بقاضى الجماعة وكان في ذلك الوقت هو القاضى
عبد الله بن محمد بن آدم فقالوا له ألا تنظر الى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة
واعطائهم الجزية للطاغية بعد ان كانوا يأخذونها منه وقد رأينا رأيا نعرضه عليك
قال ما هو قالوا نكتب الى عرب افر ببيعة ونبذل لهم اذا وصلوا الينا أنصاف
أموالنا ونخرج معهم مجاهدين في سبيل الله فقال لهم اذا وصلوا الينا يخرّبون

بلادناو يطعمون فينا و يبدون بنا قبل الافرنج ثم يذهبون بأموالنا الى بلادهم
و يتركونا مع الافرنج فيزدادون قوة علينا والذي أراه ان المرابطين أتباع يوسف
ابن ناشفين ملك مرا كش أقرب الينامن عرب افر يقية وكان يوسف بن ناشفين
له ملك ضخم وقوة عظيمة في مرا كش وفاس وأعمالهما فاستحسن العلماء ما قاله
قاضي الجماعة ثم ذهب قاضي الجماعة الى المعتمد بن عباد وعرض عليه ما قالوه
واستحسنوه فاستحسنه المعتمد بن عباد وقال للقاضي المذكور أنت الرسول الى
ملك مرا كش يوسف بن ناشفين فامتنع وأراد أن يبري نفسه من تهمة تقع عليه
فلم يقبل منه المعتمد هذا الامتناع بل أح عليه المعتمد الى ان رضى وعزم على
المسير اليه فكان ماسياً في ذكره وهو ينبغي قبل ذكر مسير قاضي الجماعة ان تذكر
شياً مما يتعلق بدولة يوسف بن ناشفين ملك مرا كش وكيف كان ابتداء أمره ليعلم
بذلك كيف ترفت دولته حتى كانت في غاية القوة والمتانة وتعرف دولته بدولة
المرابطين والمتلمذين لانهم كانوا يتلقون دائماً وهم عدة قبائل أشهر تلك القبائل
قبيلة لمتونة وكان يوسف بن ناشفين منهم ومنهم قبيلة جدالة وملطة واختلفوا في
انتهاء نسبهم اختلافاً كثيراً فاختار ابن الأثير انهم ينسبون الى جبر ففهم على قوله من
العرب وكان أول مسيرهم من اليمن في خـ لافة أبي بكر السديق رضي الله عنه
فسيرهم الى الشام زمن فتوحات الشام ثم انتقلوا الى مصر ثم دخلوا المغرب مع
موسى بن نصير ثم توجهوا مع طارق بن زياد فاتح الأندلس ثم أحبوا الانفراد
ودخلوا الصحراء واستوطنوها ثم نوحشوا وتوالد منهم قبائل كثيرة واختار ابن
خلدون انهم ليسوا من العرب وانما هم من البربر وان نسبهم ينهى الى يافت بن نوح
عليه السلام ولما نوحشوا في البوادي صاروا لا يعرفون من الاسلام الا
الشهادتين والصلاة ثم حج رجل منهم سنة ثمان وأربعين وأربعمائة فلما رجع
صحب معه واحداً من العلماء وكان فقها صالحاً اسمه عبد الله بن يس الكرولي
وقصد بمجيئه به الى قومه أن يعلمهم الأحكام والشرايع فجاء معه فأكرموه وصار
يعلمهم وينقادون له ثم جعلوا عليهم أميراً من لمتونة وهو أبو بكر بن عمرو وكان هو

رأس لمثونة ثم صاروا يقاتلون أهل البغي والفساد ممن كان قريبا منهم فقوى أمرهم ثم خرجوا إلى السوس الأقصى وصاروا يأخذون الزكاة ووقع بينهم وبين أهل السوس قتال إلى أن انقادوا لهم ثم قاتلوا أهل سجلماسة إلى أن انقادوا لهم أيضا ثم توفي أميرهم أبو بكر بن عمر بعد أن استخلف ابن أخيه أبو بكر بن إبراهيم بن عمر ثم توفي أبو بكر أيضا سنة ثنتين وستين وأربع مائة فاجتمعت طوائفهم على ابن عمه يوسف بن ناشفين وملكوه عليهم ولقبوه أمير المساميين فكثرت جموعهم وقوى أمرهم وكان يوسف المذكور مشهورا بالعقل والصلاح وحسن التدبير فظهر أمرهم وعلاشأنهم فقصدها موضع مدينة مرا كس وكان قاعا صفا لاعمارة فيه فاخطب يوسف هناك مدينة مرا كس ونزلها بمن كان معه من القبائل ثم لم يزل يتقلد مدائن المغرب مدينة بعد مدينة حتى صار له من القوة والمثانة ما هو مشهور منذ كور في التواريخ والكلام على ذلك طويل فلما نزل بأهل الاندلس منازل من الكفار قصده فبعثوا إليه قاضي الجماعة بقرطبة القاضي عبد الله بن محمد بن أدهم فسار إلى أمير المساميين يوسف بن ناشفين بمكاتبة من المعتمد بن عباد وعاماء قرطبة فأبلغه الرسالة وأعلمه ما فيه المسامون من الخوف من الأذفونش وكان أمير المساميين بمدينة سبتة في الحال أمر بعبور العساكر إلى الاندلس وأرسل إلى مرا كس في طلب من بقي من العساكر فأقبلت إليه يتلو بعضها بعضها فماتت كاملة عنده عبر البحر وسار إلى أن اجتمع بالمعتمد بن عباد باشيلية فكانت غزوة الدلافة المشهورة

ذكر غزوة الدلافة

لما اجتمع أمير المسلمين يوسف بن ناشفين بالمعتمد بن عباد باشيلية وجده قد جمع عساكره وكان فيهم من أهل قرطبة عسكر كثير ومعهم من المتطوعة من سائر بلاد الاندلس خلق كثير فلما وصلت الأخبار إلى الأذفونش الطاغية جمع عساكره وسار من طليطلة وكتب إلى أمير المسلمين يوسف بن ناشفين كتابا باللسان العربي كتبه له بعض المخدولين ممن يدعون الانتساب إلى الإسلام بلفظ فيه

القول ويصف ما عنده من القوة والعدد والعدة وبالغ الكاتب في الكلام وتجاوز الحد فأمر ابن تاشفين كاتبه ان يكتب الجواب لاذفونش فكتب كلاما كثيرا فلما قرأه على أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قال هذا كلام طويل أحضر كتاب الاذفونش واكتب في ظهره الذي سيكون ما استراه لا ما استقر ماؤه فلما رجع الكتاب الى الاذفونش ارتاع لذلك وعلم أنه بلي برجل له عزم وحزم فازداد استعدادا وكان في جيشه أربعون ألف ذراع وجملة جيشه ثلاثمائة ألف بغاية الاستعداد فرأى في منامه كأنه راكب على فيل وبين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه فقصر رؤياه على القسيسين فلم يعرفوا تأويل هذه الرؤيا فأحضر رجلا من علماء المسلمين فقصر الرؤيا عليه فاستغفاه من تعبها فلم يعفه فطلب منه الامان على نفسه اذا عبرهاله فأمنه فقال له تأويل هذه الرؤيا يؤخذ من كتاب الله عز وجل وهو قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر السورة وقوله تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير وهذا التأويل يقتضى هلاك هذا الجيش الذي جمعه فقال الاذفونش للذي عبر له الرؤيا بهذا الجيش ألقى الله محمد صاحب كتابكم وأقاتل بهذا الجيش الجن والانس وملائكة السماء فانصرف ذلك المعبر وقال لبعض المسلمين هذا الاذفونش هالك وكل من معه وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وكان الاذفونش استنفر جميع أهل بلاده وما يليها وما وراءها وفع القسيسون والرهبان والاساقفة صلبانهم ونشروا أناجيلهم وأيقنوا بالنصر والظفر اغترارا بكثرتهم وقوة استعدادهم وما علموا أن النصر من عند الله وان العاقبة للمتقين ثم سار أمير المسلمين والمعتمد بن عباد بجيوشهما وجيوش ملوك الطوائف حتى أتوا أرضا يقال لها اللدلاقة من بلد بطليوس وأنى الاذفونش بجيوشه فنزل موضعا بينه وبينهم ثمانية عشر ميلا ولم يبق أحد من ملوك الطوائف بالاندلس إلا بادروا وأعان بالمال والرجال وخرج بنفسه وأخرج عساكره لکن لم يبلغ عدد مقدم جيش العدو وقيل لأمر

المسلمين ان ابن عباد ربما انه لا ينصح ولا يبدل نفسه دونك فأرسل أمير المسلمين
بأمره أن يكون في المقدمة ففعل ذلك وسار وقد ضرب الاذفونش خيامه في
سفح جبل والمعتمد في سفح جبل يتراءون ونزل أمير المسلمين وراء الجبل الذي
عنده المعتمد وظن الاذفونش أن عساكر المسلمين ليس الا الذين يراهم مع ابن
عباد فتيقنوا الغلب وأرسل الاذفونش الى المعتمد في ميقات القتال فقال يكون
يوم الاثنين فقد وصلنا على حال تعب واستقر الامر على هذا فركب الاذفونش
ليلة الجمعة سحرا وصبح بجيشه جيش المعتمد بكرة الجمعة غدرا وظن ان ذلك
المخيم هو جميع عساكر المسلمين فوقع القتال بينهم فصر المسلمون وأحاط عليهم
الاذفونش بمجموعه من كل جهة وحمى الوطيس واستمر القتال في أصحاب ابن
عباد وقاتل ابن عباد بنفسه قتالا لم يعهد مثله لاحد وجرح جراحات وضرب على
رأسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت الى صدغه وجرحت يمينه وطمع في أحد
جانبيه وعقرت تحته ثلاثة أفراس كلها هلك واحدا قدم له آخر وهو يقاسى حياض
الموت ويضرب يمينا وشمالا وكان ابن عباد قد بعث الى أمير المسلمين يستنعت
نصرته فبينما هم في القتال إذ وصل أمير المسلمين بجيوشه بعد أن كاد المسلمون
ينهزمون وقصد خيام الفرنج ومحلة الاذفونش فاقتحموها وأحرقوها وقتلوا
فيها وضربت الطبول وزعقت البوقات فاهتزت الارض وتجاوبت الجبال
والآفاق وتراجعت الروم الى محلاتهم بعد أن علموا أن أمير المسلمين فيها فصدموها
أمير المسلمين فخرج لهم عنها ثم كر عليهم فأخرجهم منها ثم كروا عليه فخرج لهم
عنها ولم تزل السكرات بينهم تتوالى الى أن أمر أمير المسلمين حشمه السودان
فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعتزل بالدرق والسيوف والمزاريق
فقطعوا الرجال والخيل فرمحت الخيل بفرساتها وأحجمت عن أقرانها وكان أهل
الأندلس لا يعرفون الجمال وليست في بلادهم فجاء أمير المسلمين معه بجمال كثيرة
فكانت من جملة أسباب النصر لأن خيل العدو كانت تجتمع من رؤية الجمال
ومن رغائبها وارتفع رغاؤها الى عنان السماء ومن منفعة تلك الجمال أنه كان يحرق

بها العسكر وقت نزولهم وكان يحضرها الحرب فيكثر رغاؤها ثم تحول أناس من جيش أمير المسلمين جاؤا الى موضع القتال فلقبهم من بين أيديهم ووضع السيف فيهم فلم ينهالكوا الثبات وأنزل الله النصر وأنزل السكينة على المسلمين فانهم العدو وأخذهم السيف من كل جانب وصدق المسلمون جميعا الجملة فتزلزلت الأرض بحوافر خيولهم وأظلم النهار بالعجاج والغبار وخاضت الخيل في الدماء فانكشف الطاغية وفرها ربا منهزما وقد طعن في إحدى ركبتيه طعنة بقي يخنع بها وأفلت فارامع نفر يسير من قومه وهلك الباقون وكان موضع القتال متسعا جدا فا كان فيه موضع قدم الا وفيه من تلك الواقعة ميت أودم وجمع المسلمون من رؤس القتلى كوما فكانوا يؤذنون عليها الى أن جيفت فأحرقوها قيل لم يرجع من الفرنج الى بلادهم غير ثلاثمائة فارس وغنم المسلمون كل ما لهم من مال وسلاح ودواب وغير ذلك وجمع أمير المسلمين الغنائم وعف عنها وأعطاهاملوك الاندلس وعرفهم أن مقصده الجهاد ونيل الثواب العظيم وأقام أربعة أيام لجمع الغنائم وعاد ابن عباد الى اشبيلية ورجع أمير المسلمين الى الجزيرة الخضراء وعبر الى سبتة رسار الى مرا كس ولما بلغ الاذفونش الى بلاده وسأل عن أبطاله وشجعانه وأصحابه ففقدهم ولم يسمع إلا نوح الشكلى فاهتم ولم يأكل ولم يشرب حتى هلك هما ونما وهوى الى أمة الهاوية وكانت هذه الواقعة في يوم الجمعة في العشر الأول من رمضان سنة تسع وسبعين وأربعمائة فكانت هذه الغزوة من أعظم غزوات المسلمين وفتوحاتهم ﴿ ذكر ما كان بعد غزوة الذلاقة ﴾ ولما فرغ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من غزوة الذلاقة أقام بالاندلس أياما ثم لما أراد التوجه الى مرا كس ترك جيشا عظيما بالاندلس لقصده غزوا لافرنج وشكا اليه كثير من علماء الاندلس جور ملوك الاندلس الذين اقتسموها وانها كهم في اللذات والشهوات والمعاصي فوعظ الملوك وزجرهم ونهاهم عن المكوس وعن الظلم والجور والانهمالك في اللذات والشهوات ثم رجع الى مرا كس فبجاءته الاخبار بأنهم تقاعدوا عن جهاد الكفار واستغرقوا الاوقات في

اللذات والشهوات وزادوا في الظلم عما كانوا فاستفتى علماء العراق فيهم فأفتوه
بجواز انتزاع الملك منهم فعبء اليهم في سنة أربع وثمانين وأربعمائة وانتزع الملك منهم
واستولى على الاندلس بعد قتاله لبعض المملكين لها وقتل بعضهم وأسرى بعضهم
وجملهم الى مراكش وحبسهم الى أن ماتوا وصار ملك الاندلس كلها بيده ويد
عماله مضافا ذلك الى ما بيده من المغرب الاقصى وأكثر من الغزو والجهاد
بالاندلس هو وجنوده وتوفي سنة خمس مائة وكان الامام الغزالي لما بلغه حسن
سيرته أراد زيارته فرحل من العراق الى الشام ثم بلغه موته قبل أن يصل اليه
فرجع وكان يوسف بن تاشفين يخطب لبني العباس وكان قد طلب منهم تقليدا لأنه
قيل له لا تجب طاعتك وتنفذ أحكامك الا اذا كانت ولايتك من الخليفة فأرسل
رسالا الى الخليفة ومعهم هدية وطلب التقليد فكتب له المستظهر بالله العباس بن
المقتدى بأمر الله بن القائم بأمر الله بن القادر بالله بن اسحاق بن المقتدر بالله بن
المعتضد وعقد له على الاندلس وبقية الممالك التي كانت تحت يده ولقبه أمير
المسلمين وناصر الدين وبايعوا بعد وفاته ولده علي بن يوسف بن تاشفين وكان حليما
عاقلا صالحا عادلا

✽ ذكر خروج الفرنج بالاندلس بعد وفاة يوسف بن تاشفين ✽

لما توفي يوسف بن تاشفين قوى طمع النصارى في الاستيلاء على الاندلس فخرج
الاذفونش الافرنجي صاحب طليطلة سنة خمس وخمسمائة يطلب ما بأيدي
المسلمين من ممالك الاندلس فجمع وحشد فأكثر فسار اليه أمير المسلمين علي بن
يوسف بن تاشفين من مراكش في عساكره وجوعه فلقبه فاقتتلوا أشد القتال
فكان الظفر للمسلمين وانهمز الافرنج وقتلوا قتلادريعا وأسروا منهم شيئا كثير
وسبوا منهم وغنموا أموالهم ما يخرج عن الاحصاء فخافه الافرنج بعد ذلك وفي
سنة أربع عشرة وخمسمائة خرج ابن ردمير من ملوك الافرنج بجموع كثيرة
فالتقى مع أمير المؤمنين علي بن يوسف بن تاشفين بجموعه فكانت الهزيمة على
المسلمين ثم رجع ابن ردمير الى بلاده ثم اشتغل أمير المسلمين بأمر محمد بن تومرت

الذي ادعى أنه المهدي فأتسع الخرق في الأندلس فأرسل أمير المسلمين ابنه ناشفين
أميراً على الأندلس لجهاد الكفار ووقع بينه وبين ردمير وقائع وانتصر في بعضها
على ردمير فمات مغموماً من الهزيمة بعد عشرين يوماً وكان من أشد ملوك الفرنج
على المسلمين فكفى الله المسلمين شره وبقى من ملوك الفرنج الأذفونش الذي
كان قد تملك طليطلة فوقع بينه وبين المسلمين وقائع ثم عقدوا معه صلحاً عشرين
سنة ﴿ ذكر قيام محمد بن تومرت المدعى أنه المهدي المنتظر ﴾

اعلم أن هذه القضية الكلام عليها طول مذكور في التواريخ وتلخيص ذلك
باختصار أن محمد بن تومرت رجل من جبل السوس يدعى أنه شريف علوي
حسني قرأ علوماً بالمغرب ثم ارتحل إلى المشرق والعراق واجتمع بكثير من العلماء
وأخذ عنهم قيل منهم الإمام الغزالي وقيل لم يجتمع بالغزالي وكان يرى منامات
يؤولها بالقيام بأمر الأمة منها أنه شرب البحر مرتين وقيل كان له معرفة بالرمل
والنجوم فقام في نفسه أنه المهدي المنتظر وكنتم ذلك في أول أمره وأظهره في
آخره وكان كثير الصلاة والصوم والعبادة والتعشق فابتدأ أولاً بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وتبعه جماعة يأخذون عنه العلم ويجمعون معه على الذكر
وكان أعظمهم عبد المؤمن بن علي الكوي القيسي وأبو حفص عمر بن يحيى
الهنثاني وعبد الله الونشريسي وكان الونشريسي عالماً متضلعا بالعلوم فأمره أن
يكنم ما عنده من العلوم ويجعل نفسه أبكم ويقوم بخدمة الشيخ وقال له ابق العلوم
عندك مكتومة إلى أن نحتاج إلى إخراجها في وقت يكون إخراجها فيه كالمعجزة
والبرهان لاتمام ما تريد فامتثل أمره وبقى أبكم بين الناس أبله ولعابه يجري على
صدره ولا يتكلم إلا مع الشيخ في وقت الخلوة ثم انهم دخلوا مرا كش فرأوا نساء
راكبات على بغال وهن سافرات الوجوه وكانت تلك عادة لهن في تلك البلاد
فأنكرن وأعلنن وضربوا بعض البغال فسقطت من فوقها امرأة فاذا هي أخت
أمير المسلمين فرفع الأمر إلى أمير المسلمين وأخبروه بأن هذا الرجل يتعدت في
تغيير الدولة فأحضره ومن معه وحضر عند أمير المسلمين جماعة من العلماء ووقع

بينهم وبين ابن تومرت مجادلات فأقام الحججة عليهم بوجود كثير من المنكرات بين
أظهرهم ولم ينكروها ووعظ أمير المسلمين حتى أبكاه فقال مالك بن وهيب
وكان عالما صالحا يكثر مجالسة أمير المسلمين بل كان أحد وزرائه ان عندي النصيحة
ان قبالتها حدثت عاقبتها فقال أمير المسلمين ماهي فقال اني خائف عليك من هذا
الرجل وأرى أنه لا يريد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يريد فتنه والغلبة
على بعض النواحي فاقتله وقلدني دمه وان لم تقتله نخلده في الحبس فقال بعض
الحاضرين من جلساء أمير المسلمين يقبح على أمير المسلمين أن يبكي من موعظة
هذا الرجل ثم يسمى اليه في مجلس واحد وأن يظهر منك الخوف منه على عظم
ملكك وهو رجل فقير لا يملك سد جوعه فلما سمع الملك كلامه أخذته عزة النفس
واستهون أمره وصرفه وسأله الدعاء فلما خرج من عند الملك قال لأصحابه لا مقام
لكم بمرا كش مع وجود مالك بن وهيب فساروا الى انمات ثم ذهبوا الى جبل
تيممل وكان جبلا عظيما فيه كثير من القبائل وكثير من الزروع والقوا كه واصلوا
بالسوس وذلك سنة أربع عشرة وخمسة مائة واجتمع عليه خلق كثير وتسامع به
أهل تلك النواحي وجعل يعظهم ويزكرهم بأيام الله ويزكر لهم شرائع الاسلام
وما غير منها وما حدث من الظلم والفساد وأنه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول
لا يتابعهم الباطل بل الواجب قتالهم ومنعهم عما هم فيه فتابعه قبائل كثيرة وسمى
أتباعه الموحدون وأعلمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر بالمهدي الذي يملأ
الارض عدلا وأن مكانه الذي يخرج منه المغرب الاقصى فقام اليه عشرة رجال
أحدهم عبد المؤمن فقالوا لا يوجد هذا الا فيك فانت المهدي فتابعوه على ذلك
فانتهى خبره الى أمير المسلمين فجهز جيشا وسيره اليه مع بعض أصحابه ووعد
المهدي أصحابه بالنصر فلقوا جيش أمير المسلمين فهزموهم وأخذوا أسلابهم وقوى
ظنهم في صدق المهدي وأقبلت اليه أفواج القبائل من الخلل التي حوله شرقا وغربا
وبابعدوه وألف لهم كتابا في التوحيد سماه المرشد وكتابا في العقيدة ونهج لهم طريق
الادب بعضهم مع بعض والاقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن ويزهدهم في

الدينا وكان قوته كل يوم برغيف وقليل من زيت أو سمن وكان يحرضهم على قتال
عدوهم واخراج الاشرار من بينهم وكان يستقبل الأحداث وذوى الغرة بالراء بعد
الغين المعجمة وكان ذوو الحلم والعقل من أهاليهم ينهونهم عنه ويحذرونهم من
اتباعه ويخوفونهم من سطوة الملك فلما علم بذلك خشى أن يفسدوا عليه من اتبعه
ويسلموه للملك فصار يسأل ويتجسس عن هؤلاء الذين ينعون أولادهم
وعشائرهم من اتباعه ويكتب أسماءهم في جريدة عنده ولم يطلع على ذلك أحدا الا
عبد الله الوشريسي الابكم الذي يخدمه ليرتب الامر معه وقد تقدم أنه أمر أن
يكنم ما عنده من العلم ويظهر البله والبكم فقال له في هذا الوقت هذا وقت اظهار
ما عندك وأمره أن يفعل ما سئد كره فخرج المهدي يوما لصلاة الصبح فرأى في
جانب محرابه انسانا حسن الثياب طيب الرائحة فأظهر أنه لا يعرفه وقال من هذا
فقال أنا الوشريسي فقال المهدي ما قصتك فقد كنت أبكم لا تتكلم فقال أنا في
الليلة ملك من السماء فغسل فابي وعلمني الله القرآن والموطأ وغيره من العلوم
والاحاديث فسكى المهدي بحضرة الناس ثم قال نحن نمتحنك فقال افعل وابتدأ
يقرأ القرآن قراءة حسنة من أي موضع سئل وكذلك الموطأ وغيره من كتب
الفقه والاصول وبقية العلوم فعجب الناس من ذلك واستعظموه ثم قال لهم ان
الله أعطاني نورا أعرف به أهل الجنة من أهل النار وأمركم أن تقتلوا أهل النار
وتتركوا أهل الجنة وقد أنزل الله ملائكة الى البئر التي في موضع كندايشيدون
بصدق وكان قد وضع في البئر رجالا ثلاثة يشهدون بصدقه فسار المهدي والناس
معه وهم يبكون الى البئر وصلى المهدي عند رأسها ركعتين وقال يا ملائكة الله ان
عبد الله الوشريسي قد زعم كبت وكيت فقال من في البئر صدق فلما قيل ذلك من
البئر قال المهدي ان هذه البئر مطهرة مقدسة قد نزل اليها الملائكة فالمصلحة أن
تطمئ لسلايقع فيها نجاسة أو ما لا يجوز وقال ذلك لئلا يظهر الرجال منها فيفشون
السرف فيفسد الامر الذي دبره فألقوا فيها من الحجارة والتراب ما طمها وأهلك
من فيها من الرجال ثم نادى أهل الجبل بالحضور الى ذلك الموضع فحضر واليتميز

أهل الجنة من أهل النار فكان الونشريسي يعمد الى الرجل الذي عرفه المهدي
به أنه يخاف عاقبته وكتبه في الجريدة التي أطلعه عليها فيقول هذا من أهل النار
فيقتل والى الشاب الغر ومن لا يخاف منه فيقول من أهل الجنة فيترك على يمينه
ولم يزل يجمعهم في أيام مرة بعد أخرى ويفعل ذلك حتى تتبع كل من يخشى منه
فقتله قال ابن الأثير في الكامل فكان عدة من قتلهم سبعين ألفا وصار الباقيون
معه على نيات صادقة وقلوب متفقة على طاعته فجهز منهم جيشا وجعل الأمير
عليهم عبد المؤمن بن علي وسيرهم لقتال المرابطين قوم أمير المسلمين علي بن
يوسف بن تاشفين وتتابع القتال بينهم مرارا وشرح ذلك بطول واستمر أمره
يعلو الى سنة أربع وعشرين بن فرض مرضا شديدا وكان عبد المؤمن غائبا مع
الجيوش التي تقابل أهل مراکش فأوصى المهدي بأن خليفته عبد المؤمن
وأمرهم باتباعه وتسليم الأمر اليه والانقياد له ثم توفي فلما رجع عبد المؤمن
بإيعاز الناس وانقادوا له وتسمى دولته دولة الموحدين لان المهدي سماهم بذلك
كما تقدم فجهز الجيوش وأزال ملك بني تاشفين وفتح البلدان وملك كثير من
مدائن المغرب وكل ذلك مبسوط في التواريخ وصار لعبد المؤمن ملك عظيم
في المغرب والاندلس توارثه بنوه بعده الى سنة ثمان وستين وسنة فانتزع
الملك منهم بنو مرين فكانت مدة دولة بني عبد المؤمن مع مهديهم مائة وثنتين
وخمسين سنة قال في نفح الطيب كانت دولة بني عبد المؤمن من أعظم الدول
الاسلامية وكان كل واحد يلقب أمير المؤمنين ومسلكتهم مسلك الخلفاء
وكانوا يدعون على المنابر لمهديهم محمد بن تومرت ويضربون اسمه على السكة
وتوفي عبد المؤمن سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وعمره ثمان وستون سنة ومدة ملكه
ثلاث وثلاثون سنة وكان عاقلا حازما شديد الرأي حسن السياسة كثير البذل
للاموال الا أنه كان سفاكا للدماء على الذنب الصغير وكان يعظم أمر الدين ويلزم
الناس في سائر بلاده بالصلاة ومن ترك الصلاة قتله وكان الغالب على مجلسه أهل
العلم والدين ومما نقل من كرمه أن شاعرا مدحه بقصيدة مطلعها

ماهر عطفه بين البيض والاسل * مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي
فأشار إليه أن يقتصر على هذا البيت ولا يتم قراءة القصيدة وأمر له بألف دينار
فقبل له لم لم تسمع تمام القصيدة فقال عبد المؤمن وما عسى أن يقول بعد قوله ماهر
عطفه البيت يعني أنه لا يمكنه أن يأتي بمدح أعظم مما في هذا البيت وفي المونس في
أخبار تونس للعلامة أبي القاسم الرعيئي القيرواني أن هذا الشاعر بعد أن قبض
الألف الدينار عاد إليه من الغد وأنشده البيت المذكور فأسكته وأمر له بألف
دينار أخرى ثم لم يزل ينشده كلما دخل عليه ويأمر له بألف دينار إلى أن وصله
بأربعين ألفاً فحسده بعض الشعراء وقال له إلى متى تفعل هكذا وما يؤمنك من تغير
أخلاق أمير المؤمنين وقد وصلت بما فيه غناؤك فارتحل من فوره إلى بلده ثم سأل
عنه عبد المؤمن فأخبر برحيله فقال لا حول ولا قوة الا بالله لقد ظن بنا غير ما
أردناه ولو طال مقامه لزدهناه على ذلك وكان لعبد المؤمن معرفة بالشعر والادب
يحكى عنه أنه مر ببعض طرق مراكش ومعه وزيره أبو جعفر بن عطية فأطلت من
شباك جارية بارعة الجمال فقال عبد المؤمن * قدت فوادى من الشباك اذ نظرت *
فقال ابن عطية * حوراء ترنو إلى العشاق بالمثل * فقال عبد المؤمن
كما نلاحظها في قلب عاشقها * فقال ابن عطية * سيف المؤيد عبد المؤمن بن علي *
ويقال لعبد المؤمن القيسي نسبة إلى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ويقال
له الكومي نسبة إلى كومية قرية بتلمسان وكان المهدي محمد بن تومرت يقول له
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ينصر هذا الدين في آخر الزمان برجل من
قيس وأرجو أن تكون أنت وكان أبوه صانعاً في عمل الطين يعمل منه الآنية
ويبيعها قال ابن خلكان في ترجمة عبد المؤمن كان في صباه يوماً ما أتاه أبوه وكان
أبوه مشتغلاً بعمل الآنية من الطين فسمع أبوه دويافى السماء فرفع رأسه فرأى
سحابة سوداء من النخل فدهوت مطبقة على الدار فنزلت كلها مجتمعة على ابنه
عبد المؤمن وهو نائم فغطته ولم يظهر من تحنها ولا استيقظ لها فرأته أمه على تلك
الحالة فصاحت خوفاً على ولدها فسكنها أبوه فقالت أخاف عليه فقال لا بأس عليه

بل انى متعجب مما يدل عليه ثم انه غسل يديه من الطين ولبس ثيابه ووقف
ينتظر ماذا يكون من أمر النعل فطار عنه بأجمعه فاستيقظ الصبي ومابه ألم
فتفقدت أمه جسمه فلم تر به أثر ولم يشك لها ألما وكان بالقرب منهم رجل
معروف بالزجر فضى اليه أبوه وأخبره بما رآه من النعل مع ولده فقال ذلك
الرجل يوشك أن يكون لولدك هذا شأن يجتمع على طاعته أهل المغرب فكان
من أمره ما كان وتقدم ان من أصحاب المهدي عمر بن يحيى الهنتاني قيل انه
ينتهي نسبه الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه صار بعد المهدي من وزراء عبد
المؤمن وأعطى بنو عبد المؤمن أولاد عمر المذكور ولاية تونس فكانوا
يسمون بالحفصيين اسفر ملك تونس فيهم الى سنة تسعمائة واحدى وثمانين
فانتزع الملك منهم الدولة العثمانية وكانوا يلقبون بالحفصيين وكانت مدة ملكهم
تونس ثلاثمائة وثمانية وسبعين سنة وهم من فروع دولة المهدي محمد بن تومرت
واختلف الناس في أمر ابن تومرت فقال بعض العلماء انه أراد اظهار الحق
فاجتهد وأخطأ وقال بعضهم انه كان على الامنة شر من الحجاج ويزيد والله أعلم
بحقيقة الحال (ولندكر) ما كان من الفتوحات في مدة عبد المؤمن وبنيه وفي
مدة الحفصيين ملوك تونس

﴿ ذكر أول تجهيز لعبد المؤمن على الاندلس ﴾

قال ابن الانير في الكامل في حوادث سنة احدى وأربعين وخمسمائة في هذه
السنة سير عبد المؤمن بن علي جيشا الى جزيرة الاندلس فلكوا ما فيها من بلاد
الاسلام وسبب ذلك ان عبد المؤمن لما كان يحاصر مررا كش جاء اليه جماعة من
أعيان الاندلس ومعهم مكتوب يتضمن بيعة أهل البلاد التي هم فيها لعبد المؤمن
ودخولهم في زمرة أصحابه الموحدين واقامهم لأمره فقبل عبد المؤمن منهم ذلك
وشكرهم عليه وطيب قلوبهم وطلب منهم النصرة وطلبوا منه النصرة على
الفرنج فجهز جيشا كثيفا وسيره معهم وعمر اسطولا وسيره في البحر فسار
الاسطول الى الاندلس وقصدوا مدينة اشبيلية وصعدوا في نهرها وبها جيش من

الملثمين وهم أتباع يوسف بن تاشفين ويقال لهم المرابطون فحصروها برا وبحرا
وملكوها عنوة وقتل فيها جماعة وأمن الناس فسكنوا واستولت العساكر على
البلاد كان لعبد المؤمن من كان بها وانتزعت عساكر عبد المؤمن كثيرا من
مدائن الاندلس التي كانت في طاعة المرابطين مدينة بعد مدينة بعد حروب يطول
ذكرها * وفي سنة ثنتين وأربعين حصر الفرنج مدينة المربة من الاندلس
وضيقوا عليها برا وبحرا فلكوها عنوة وأكثر والقمل بها والنهب وملكوا
أيضا مدينة شاسة وولاية جيان وكلها بالاندلس * وفي سنة ثلاث وأربعين ملك
الفرنج بالاندلس مدينة طرطوشة وملكوا معها جميع قلاعها وحصون لاردة
وافراغة ولم يبق للمسلمين شيء في تلك الجهات الا واستولى الفرنج عليه * وفي سنة
خمس وأربعين سار السليطيين وهو الاذفونش وهو ملك طليطلة واعمالها وهو من
ملوك الجلالقة نوع من الفرنج في أربعين ألف فارس الى مدينة قرطبة فحصرها
وهي في ضعف وغلاء فبلغ الخبر الى عبد المؤمن وهو بمراكش فجهز عسكريا
كثيرا وجعل مقدمهم أبازكري يحيى بن برموز وأنفذهم الى قرطبة فلما قربوا منها
لم يقدروا أن يلقوا عسكري السليطيين في الوطاء وأرادوا الاجتماع بالمسلمين
المحصورين بقرطبة فسلخوا الجبال الوعرة والمضائق المتشعبة فساروا نحو
خمس وعشرين يوما في الوعرة في مسافة أربعة أيام في السهل فوصلوا الى الجبل
المطل على قرطبة فلما راهم السليطيين وتحقق أمرهم رحل عن قرطبة لينذهب
اليهم وكان فيها القائد أبو الغمر السائب من ولد القائد بن غلبون وهو من أبطال
أهل الاندلس وأمرها فلما رحل الفرنج خرج من قرطبة لوقته وصعد الى ابن
برموز وقال له انزلوا عاجلا وقال له ادخلوا البلد ففعلوا وباتوا فيها فلما أصبحوا
من الغد رأوا عسكري السليطيين على رأس الجبل الذي كان فيه عسكري عبد المؤمن
فقال لهم أبو الغمر هذا الذي خفته عليكم لأنى علمت أن السليطيين ما ارتحل الا
طالبالكم فان من الموضع الذي كان فيه الى الجبل طريقا سهلا ولو لحقكم هناك
مال مراده منكم ومن قرطبة فلما رأى السليطيين انهم قد فاتوه علم أنهم دخلوا

قرطبة ولم يبق له طمع في قرطبة فرحل عائدا الى بلاده وكان حصره لقرطبة
ثلاثة أشهر * وفي سنة ست وأربعين سير عبد المؤمن جيشا كثيرا نحو عشرين
ألف فارس الى الاندلس مع أبي حفص عمر الهنتاني وسير معهم نساءهم فكان
يسرن مفردات عليهن البرانس السود ليس معهن غير الخدم ومتى قرب منهن
رجل ضرب به الخدم بالسياط فلما قطعوا الخالج ساروا الى غرناطة وبها جمع من
المرابطين جماعة ابن ناشفين فحصرها عمر وعسكره وضيقوا عليها فجاء اليه أحمد
ابن ملحان صاحب مدينة وادي آش وأعمالها بجماعته وخدموا وصاروا معه
وأناه ابراهيم بن هملك صهر ابن مردنيش صاحب جيان وأصحابه وخدموا
وصاروا أيضا معه فكثرت جيشه وحرصوه على المسارعة الى ابن مردنيش ملك
بلاد شرق الاندلس ليبقته بالحصار قبل أن يتجهز فلما سمع ابن مردنيش ذلك
خاف على نفسه فأرسل الى ملك برشلونة من بلاد الفرنج يخبره ويستجده
ويستخثه على الوصول اليه فسار اليه الفرنجي في عشرة آلاف فارس وسار
عسكر عبد المؤمن فوصلوا الى بلقوارة وبينها وبين مرسية التي هي مقر ابن
مردنيش من رحلة فسمعوا بوصول الفرنجي مع ملك برشلونة فرجع جيش عبد
المؤمن وحصر واما مدينة المرية وهي للفرنج عدة شهور فاشتد الغلاء في العسكر
وعدمت الاقوات فحلوا عنها وعادوا الى اشبيلية فأقاموا بها * وفي سنة احدى
وخمسين استعمل عبد المؤمن ابنه أباسعيد عثمان على سبتة والجزيرة الخضراء
ومالقة فعبر أبو سعيد البحر الى مالقة وهي من الاندلس واتخذها دارا وكتبه
ميمون بن بدر الملتوني صاحب غرناطة ورضي أنه يوحد ويسلم اليه غرناطة
فقبل ذلك منه أبو سعيد وتسلم غرناطة فسار ميمون الى مالقة بأهله وولده فلتقاه
أبو سعيد وأكرمه ووجهه الى أبيه عبد المؤمن بمرا كس فأقبل عليه عبد المؤمن
وأكرمه وانقرضت بذلك دولة المرابطين ويقال لهم أيضا الملثمون كما تقدم ولم يبق
لهم الا جزيرة ميورقة مع أحمد بن غانية فلما ملك أبو سعيد غرناطة جمع الجيوش
وسار الى مدينة المرية وهي بأيدي الفرنج أخذوها من المسلمين سنة ثنتين

وأربعين وخمسة فلما نازلها وافاه الاسطول من سبته وفيه خلق كثير من المسلمين
فحصروا المربة برا وبحرا فلبجأ الفرنج الى حصنها فحصرهم ونزل عسكره على
الجبل المشرف عليها وبنى أبو سعيد سوراً على الجبل المذكور الى البحر وعمل
عليه خندقاً فصارت المدينة والحصن الذي فيه الفرنج محصوراً بهذا السور
والخندق ولا يمكن من ينجدهما من أن يصل اليهما فجمع الاذفونش ملك الفرنج
بالاندلس المعروف بالسليطيين جموعاً من الفرنج بلغت اثني عشر ألف فارس
ومعه محمد بن سعد بن مردنيش في ستة آلاف فارس من المسلمين وراموا
الوصول الى المدينة ليدفعوا المسلمين عنها فلم يطيقوا ذلك فرجع السليطيين
وابن مردنيش خائبين فبات السليطيين في عوده قبل أن يصل الى طليطلة ونمادى
الحصار على المربة ثلاثة أشهر فضاقت الميرة وقلت الاقوات على الفرنج فطلبوا
الامان ليساموا الحصن فأجابهم أبو سعيد اليه وتسلم الحصن ورحل الفرنج في الغد
عائدين الى بلادهم فكان ملكهم المربة مدة عشر سنين وفي سنة سبع وخمسين
وخمسة أرسل أهل غرناطة من بلاد الاندلس وهي لعبد المؤمن الى الامير
ابراهيم بن همشك صهر ابن مردنيش فاستدعوه اليهم ليساموا اليه البلد وكان قد
وحد كما تقدم وصار من أتباع عبد المؤمن وفي طاعته وممن يعرض على قصد ابن
مردنيش فلما وصل اليه رسل أهل غرناطة طمع في الملك فسار معهم اليها فدخلها
وبها جمع من أصحاب عبد المؤمن فامتنعوا بحصنها فبلغ الخبر بأبي سعيد عثمان بن
عبد المؤمن وهو بمدينة مالقة فجمع الجيش الذي كان عنده وتوجه الى غرناطة
لنصرة أصحابهم المسلمين الذين بغرناطة فعلم بذلك ابراهيم بن همشك فاستنجد ابن
مردنيش ملك البلاد بشرق الاندلس فأرسل اليه ألفي فارس من أنجاد أصحابه
ومن الفرنج الذين جندهم معه فاجتمعوا بنواحي غرناطة فالتقواهم ومن
بغرناطة من عسكر عبد المؤمن من قبل وصول أبي سعيد اليهم فاشتد القتال بينهم
فانهزم عسكر عبد المؤمن وقدم أبو سعيد بمن معه فاقتتلوا أيضاً فانهزم كثير من
أصحابه وثبت معه طائفة من الاعيان والفرسان المشهورين والرجال والاجلاد

حتى قتلوا عن آخرهم وانهمز حينئذ أبو سعيد ولحق بالفتنة وسمع عبد المؤمن الخبر
فسير في الحال ابنه أبا يعقوب يوسف في عشر بن ألف مقاتل فيهم جماعة من
شيوخ الموحدين فجدوا السير فبلغ ذلك ابن مردنيش فسار بنفسه وجيشه
الى غرناطة ليعين ابن همشك فاجتمع منهم بغرناطة جمع كثير فنزل ابن مردنيش
في الشريعة بظاهرها ونزل العسكر الذي أمر به لابن همشك أولا وهم ألفا فارس
بظاهر القلعة الجراء ونزل ابن همشك بباطن القلعة الجراء فبين معه ووصل
عسكر عبد المؤمن الى جبل قريب من غرناطة فأقاموا في سفحه أياما ثم سيروا
سرية أربعة آلاف فارس فبيتوا العسكر الذي بظاهر القلعة الجراء وقتلواهم من
جميع جهاتهم فالحقوا أن يركبوا فقتلواهم عن آخرهم وأقبل عسكر عبد المؤمن
بجملته فنزلوا بضواحي غرناطة فعلم ابن مردنيش وابن همشك أنهم لا طاقة لهم بهم
ففروا في الليلة الثانية ولحقوا ببلادهم واستولى الموحدون على غرناطة وفي
سنة ثمان وخمسين وخمسة توفى عبد المؤمن فبايع الموحدون ابنه محمد دائم
خلعوه بعد خمسة وأربعين يوما وبايعوا أخاه يوسف بن عبد المؤمن وتلقب بأمر
المؤمنين كأبيه قال ابن خلكان كان يوسف فقيها حافظا متقنا شافيا ظهور
الخيل بين أبطال الفرسان وفي قراءة العلم بين أفاضل العلماء كان أعرف الناس
كيف تكلمت العرب وأحفظهم لأيامها في الجاهلية والاسلام ويقال انه كان
يحفظ صحيح البخاري وكان يحفظ القرآن مع جملة من الفقه وسيأتي الكلام على
فتوحاته ولتقديم الكلام على جميع فتوحات أبيه عبد المؤمن في غير الاندلس

﴿ ذكر فتوح المهدي ﴾

المهدي مدينة من مدائن افرقيية كانت المهدي في يد الحسن بن علي بن محمد بن تميم
الصنهاجي وكان من عمال العبيديين ملوك مصر ثم تغلب عليها فلحقها الفرنج
وانتزعوها من يده سنة ثلاث وأربعين وخمسة وافر الامير المذكور منها وقصد
عبد المؤمن فأكرمه وأحسن نزله وكان أهل سقافس وزويلة يقاتلون الفرنج
لتخليص المهدي فلم يقدر واوانهمزوا مرة بعد أخرى وقتل كثير منهم وذلك سنة

احدى وخسين وخمسة ثم دخل الفرنج زويلة وقتلوا من وجدوا فيها من النساء
والاطفال ونهبوا الاموال فقصده جماعة من اهل زويلة عبد المؤمن وهو
بمراكش يستجيرون به فأكرمهم وأخبروه بما جرى على المسامين وأنه ليس في
ملوك الاسلام من يقصد سواه فدمعت عيناه وقال أبشر والأنصرنكم ولو بعد
حين وأمر بانزالهم وأن يعطوا ألفي دينار ثم جهز الجيوش واستعد لذلك ثلاث
سنين فاجتمع معه مائة ألف مقاتل ومن الاتباع والسوقة أمثالهم وسار بجيوشه
شهر صفر سنة أربع وخسين وخمسة وكان يقع من حفظه لعسكره أنهم كانوا
يمشون بين الزرع فلا يتأذى منهم أهل الزرع ولا يصيبون شيئاً منه واذا نزلوا صلوا
جميعهم مع امام واحد بتكبيره واحدة ولا يتعاضد منهم أحد كأننا من كان خوفاً من
عقابه لانه كان يقتل من يتأخر منهم وقدم بين يديه أميراً فريقيه الذي فر منها حين
أخذها الفرنج وهو الحسن بن علي بن محمد بن تميم الصنهاجي فلم يزل يسير الى أن
وصل الى مدينة تونس في شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكان ملك
تونس يبيد أجد بن خراسان وأقبلت أساطيل عبد المؤمن في البحر سبعين شينياً
وطريدة وشلندي فلهما نازل تونس أرسل الى أهلها يدعوهم الى طاعته فامتنعوا
فقاتلهم من الغد أشد قتال فلم يبق الا أخذها ودخول الاسطول اليها فجاءت ريح
عاصف منعت الموحدين من دخول البلد فرجعوا ليباركوا القتال ويملكوا
فلما جن الليل نزل سبعة عشر رجلاً من أعيان أهل تونس الى عبد المؤمن
يسألونه الامان لأهل بلادهم فأجابهم الى الامان لهم في أنفسهم وأهلهم وأموالهم
لمبادرتهم الى الطاعة وأمان عداهم من أهل البلد فيؤمنهم على أنفسهم وأهلهم
ويقاسمهم أموالهم وأملاكهم نصفين وأن يخرج صاحب البلد هو وأهله منها
فاستقر الامر على ذلك ونسلم البلد وأرسل اليه من يمنع العسكر من الدخول
وأرسل أمناه ليقامهوا الناس أموالهم وأقام عليها ثلاثة أيام وعرض الاسلام على
من بها من اليهود والنصارى فمن أسلم سلم ومن امتنع قتل وأقام أهل تونس بها
بأجرة تؤخذ عن نصف مساكنهم ثم سار عبد المؤمن منها الى المهديّة والاسطول

يخاضه في البحر فوصل اليها ثمان عشر رجب وكان بالمهدية أولاد ملوك الفرنج
وأبطال الفرسان وقد أخذوا زويلة وبينها وبين المهديّة غاية رمية سهم فدخل عبد
المؤمن زويلة وامتلاّت بالعساكر والسوقة فصارت مدينة معمورة في ساعة
واحدة ومن لم يجد له موضعا من العسكر نزل بظاهاها وانضاف اليه من ضحاجة
والعرب وأهل البلاد ما يخرج عن الاحصاء وأقبلوا يقاتلون المهديّة مدة أيام
فلا يؤثر فيها الحصانها وقوة سورها وضيق موضع القتال عليها لان البحر دائر
بأكثرها فكأنها كف في البحر وزندها متصل بالبر وكان أول من بناها
واتخذها مدينة عبید الله المهدي أول ملوك العبيديين بناها سنة ثلاث وثلاثمائة
الفرج وكان يج يخرج شجعانهم الى أطراف العسكر فينالون منهم ويعودون سريرا
فأمر عبد المؤمن أن يبني سور من جهة غرب المدينة بمنعهم من الخروج وأحاط
الاسطول بها في البحر وركب عبد المؤمن في شينى ومعه الحسن بن على الذى كان
صاحبها وطاف بها في البحر فهاهنا رأى من حصانها وعلم أنها لا تنفتح بقتال لابرأولا
بحر أو ليس لها الا المطاولة بالحصار وقال للحسن كيف نزلت عن مثل هذا الحصن
فقال لقله من يوثق به وعدم القوت وحكم القدر فقال صدقت وعاد من البحر وأمر
بجمع الغلات والاقوات وترك القتال فلم يمض غير قليل حتى صارت الغلات
والاقوات في العسكر كالجبلين من الحنطة والشعير فكان من يمل الى العسكر من
بعيد يقول متى حدثت هذه الجبال فيقال لهم هي حنطة وشعير فيتعجبون من ذلك
وتماذى الحصار وفي مدته أطاع عبد المؤمن أهل سفاقس وطرابلس وجبال
نقوسة وقصور افریقیة وما والاها وفتح مدينة قابس بالسيف فلما رأى أهل قفصة
ذلك أطاعوه وكان الفرنج قد تملكوا صقلية في سنة أربع وثمانين وأربعمائة
جاؤا بها بجموع كثيرة وانتزعوها من عامل العبيديين وبقیت في أيديهم وصار لهم
فيها قوة عظيمة فكانوا يمدون هؤلاء المحصورين في المهديّة في شهر شعبان من
السنة المذكورة أعنى سنة أربع وخمسين وخمسمائة جاء أسطول صاحب صقلية
من ملوك الفرنج في مائة وخمسين شينيا غير الطرائد وكان قد وفد من جزيرة يابسة

من بلاد الاندلس وقد سبي أهلها وأسره وحملهم معه فأرسل اليه ملك الفرنج
بأمره بالرجوع الى المهدي فقدموا في التاريخ المذكور فلما قاربوا المهدي حطوا
شرعهم ليدخلوا الميناء فرج اليهم أسطول عبد المؤمن وركب فيه العسكر جميعه
ووقفوا على جانب البحر فاستعظم الفرنج ما رأوه من كثرة العساكر ودخل
الرب في قلوبهم وبقي عبد المؤمن يمرغ وجهه على الارض ويبكي ويتضرع الى
الله تعالى ويدعو للمسلمين بالنصر ثم اقتتلوا في البحر فانزمت شواني الفرنج
وأعادوا القلوع راجعين الى بلادهم فتبعهم الموحدون فأخذوا منهم سبع شواني
ولو كان معهم شواني لأخذوا أكثرهم وكان أمر عجيبا وفتحوا قريبا وعاد أسطول
المسلمين مظفرا منصورا وفرق فيهم عبد المؤمن الاموال ويأس أهل المهدي من
النجدة وصبروا على الحصار ستة أشهر الى آخر الحجية من السنة المذكورة فنزل
حينئذ من فرسان الفرنج الى عبد المؤمن عشرة وسألوه الأمان لمن فيها من الفرنج
على أنفسهم وأموالهم ليجروا منها ويعودوا الى بلادهم وكان قوتهم قد نفى حتى
أكلوا الخيل فعرض عليهم الاسلام ودعاهم اليه فلم يجيبوا ولم يزالوا يترددون اليه
أياما بالكلام اللين فأجابهم الى ذلك وأمنهم وأعطاهم سفنا فركبوا فيها وساروا وكان
الزمان شتاء ففرق أكثرهم في البحر ولم يصل الى صقلية الا النفر اليسير وكان
صاحب صقلية يقول ان قتل عبد المؤمن أصحابنا بالمهدي قتلنا المسلمين الذين
يجزيرة صقلية وأخذنا حرمهم وأموالهم فأهلك الله أكثرهم بالفرق في البحر وكان
مدة ملكهم المهدي اثنتي عشرة سنة ودخل عبد المؤمن المهدي بكرة عاشورا
سنة خمس وخمسين وخمسمائة وأقام بها عشرين يوما فرتب أحوالها وأصلح ما انتم
من سورها ونقل اليها الذخائر من الاقوات والرجال والعدد واستعمل عليها بعض
أصحابه وجعل معه الحسن بن علي الذي كان صاحبها وأمره أن يقتدي برأيه في
أفعاله وأقطع الحسن بها اقطاعا وأعطاه دورا نفيسة يسكنها ورحل من المهدي أول
صفر من السنة المذكورة وتوجه الى بلاد المغرب وجهاز جيشا الى الاندلس

ذكر فتوحات يوسف بن عبد المؤمن

لما استقرت البيعة له بعد موت أبيه وخلع أخيه أخذ منهج أبيه وسار سيرته واستكثر

من الجيوش ومهد البلاد فصار له ملك ضخم أكثر من أبيه فكان ملكه من قاصية
افريقية الى بلاد القبلة وبلاد الاندلس يجبي اليه خراجها دون مكس ولا جور
فكثرت الأموال وأمنت الطرق ثم رحل الى الاندلس لكشف مصالح دولته
وتفقد أحوالها وفي صحبته مائة ألف فارس ونزل اشبيلية وشرع في استرجاع بلاد
المسلمين من أيدي الفرنج وكانوا قد استولوا على كثير منها فأتسع ملكه وحاصر
الاذفونش في طليطلة وضيق عليه شهو رافراسله الاذفونش في أنه يسلم المدينة
ويعطهم الامان على نفوسهم فامتنع يوسف من ذلك فلما اشتد بهم العطش سمع
هم في بعض الليالي لغط عظيم وأصوات هائلة وذلك أنهم اجتمعوا بأسرهم ودعوا
الله تعالى فجاءهم مطر عظيم ملاماً كان عندهم من الصهاريج فارتووا وتقووا
على المسلمين فهادهم سبع سنين وانصرف عنهم الى اشبيلية وكان يرتفع اليه في
كل سنة من خراج اشبيلية وأعمالها حلة مائة وخمسين بغلا خراجها يرتفع اليه من
بقية البلاد * وفي سنة خمس وستين وخمسة مائة اتفق ابن مردنيش ملك شرق
الاندلس هو والفرنج على يوسف بن عبد المؤمن فاستفحل أمرهم فجهز يوسف
العساكر فجاسوا بلاد ابن مردنيش وخربوها وأخذوا مدينتين من بلاده
وأخافوا عساكره وجنوده وأقاموا بسلا مدة يتنقلون فيها ويجمعون أموالها
* وفي سنة سبع وستين توفي الأمير محمد بن سعد بن مردنيش صاحب البلاد
بشرق الاندلس وهي مرسية وبنسية وغيرهما وأوصى أولاده أنهم بعد موته
يتصدون يوسف بن عبد المؤمن وكان قد اجتاز الى الاندلس في هذا العام في مائة
ألف مقاتل قبل موت ابن مردنيش فقدموا عليه بعد موت أبيهم فحين رآهم
يوسف فرح بهم وسره قدمهم عليه وتسلم بلادهم وتزوج أختهم وأكرمهم وعظم
أمرهم ووصلهم بالأموال الجزيلة وأقاموا معه * وفي سنة ثمان وستين توجه
يوسف الى الاندلس بعساكره ونزل اشبيلية ثم سار منها وقصد بلاد الفرنج ونزل
على مدينة رندي فحصرها واجتمعت الفرنج على ابن الفنس في جمع كثير فلم
يقدروا على لقاء المسلمين فاتفق أن الغلاء اشتد على المسلمين وعمدت الافوات

عندهم وهم في جمع كثيرة اضطروا الى مفارقة بلاد الفرنج فعادوا الى اشبيلية وهو
مع ذلك يجهز العسكر ويسيرها الى غزو الفرنج في كل وقت فكان له بها عدة
وقائع وغزوات ظهر منها للعرب من الشجاعة ما لا يوصف وصار الفارس من
العرب يبرز بين الصغين ويطلب مبارزة الفارس المشهور من الفرنج فلا يبرز
اليه أحد ثم عاد يوسف بن عبد المؤمن الى مرا كس * وأما وقائعه مع من خرج عن
طاعته من المسلمين في افريقية فكثيرة لاحاجة بنا الى ذكرها وهي مذكورة
في التواريخ * وفي سنة ست وسبعين أناه رسول ملك الفرنج صاحب صقلية
يلتقس الصلح معه فهادنه عشر سنين * وفي سنة ثمانين وخمسة سار يوسف الى
الاندلس في جمع عظيم من عسا كرمغرب وقصد غربي بلاد الاندلس فحصر
مدينة تشير شهر او هي للفرنج فأصابه بها مرض فمات به في ربيع الاول من السنة
المذكورة وحمل في تابوت الى اشبيلية وقيس انه أصابته طعنة فمات منها وبعد
أن وصلوا به اشبيلية حملوه في التابوت الى جبل تيفل ودفنوه هناك عند أبيه
عبد المؤمن بجانب قبر المهدي محمد بن تومرت واتفق شيوخ الموحدين على
مبايعة ابنه يعقوب فبايعوه ولقبوه المنصور (لطيفة) يحكى أن الأديب أحمد بن
عبد السلام الكوراني كان من طرفاء الندماء وكوران قبيلة من البربر وكان
يجالس عبد المؤمن ثم ابنه يوسف ثم ابنه يعقوب فاتفق أنه حضر يوما عند
يوسف بن عبد المؤمن وهناك الطيب سعيد الغماري وغمارة أيضا قبيلة من البربر
فقال يوسف من عجائب الدنيا شاعر من كوران وطيب من غمارة فقال
الكوراني وضرب لنا مثلا ونسي خلقه أعجب منهما والله خليفة من كومية فقال
يوسف في نفسه أعاقبه بالحلم والعفو ففيه تكذيبه فعفاه عنه ولم يعاقبه

﴿ ذكر فتوحات يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ﴾

كان يعقوب المذكور دينا مقبلا للحدود فاستقامت له الدولة وانقادت اليه
بأسرها فأقام راية الجهاد وأحسن المسيرة في الناس ورتب ثغور الاندلس وشجعها
بالرجال ورتب المقاتلة في سائر بلادها وكان يحب العلماء ويقربهم ويشاورهم وكان

مشار كافي علوم كثيرة * ومن اطائفه أنه بعث لبعض عماله أن ينظر له رجلا
لتأديب أولاده فبعث له العامل رجلين وكتب معهما كتابا يقول فيه بعثت اليك
رجلين أحدهما بحر في علمه والآخر بر في دينه فلما امتحنهما لم يرض بهما فوقع علي
ظهر كتاب العامل ظهر الفساد في البر والبحر * وفي سنة ست وثمانين بلغه أن
الفرنج ملكوا مدينة شلب وهي في غرب الاندلس فجهز اليها بنفسه وحاصرها
وأخذها وأنفذ في الوقت جيشا من الموحدين ومعهم جماعة من العرب ففعلوا
أربع مدن كانت بيد الفرنج كانوا قد أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين
سنة وخاف صاحب طليطلة وسأله الصلح فصالحه خمس سنين وعاد الى مراکش
فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها سوى القليل خرجت طائفة من الفرنج في
جيش كثيف الى بلاد المسلمين فتهبوا وسبوا وعاثوا عيثا فظيمعافانتهى الامر الى
يعقوب وهو عمرا كرش فجهز لقصدهم في جيش كبير وذلك في سنة احدى
وتسعين فسمع الفرنج بذلك فجمعوا خلقا كثيرا من أقصى بلادهم وأدانها
وأقبلوا نحوه وبعدها أن عزم يعقوب على المسير بعد جمع جيوشه أصابه مرض
شديد حتى أيس منه أطباؤه فتأخر عن المسير فطمع المجاورون له من العرب وغيرهم
في البلاد وعاثوا فيها وأغاروا على النواحي والاطراف وكذلك فعل الأذفونش
فيما يليه من بلاد المسلمين بالاندلس فاقتضى الحال تفرقة جيوش الأمير يعقوب
لاصلاح ما فسد في الاطراف واشتغلا بالدفاع والممانعة فكثرت طمع الأذفونش في
البلاد وبعث رسولا الى الأمير يعقوب يتهدده ويتوعده ويطلب منه بعض
الحصون من بلاد الاندلس وكتب له رسالة من انشاء بعض من خلقه الله ممن يدعي
انه من المسلمين وهي باسمك اللهم فاطر السموات والارض وصلى الله على السيد
المسجروح روح الله وكتبته الرسول الفصح أما بعد أيها الأمير فلا يخفى على كل ذي عقل
لازب ولا ذى لب نا قب أنك أمير الملة الخنيفية كما أنه هو أمير الملة النصرانية وانك
لا يخفى عليك ما هو عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والتواكل واهمال الرعايا
واخلادهم الى الراحة وأنا أسوسهم بحكم القهر الخسف وأخلى الديار وأسبي

الذراري وأمثل بالسكحول وأقتل الشبان ولا عذر لكم عن التخلّف عن نصرتهم
وقدأمكنك يد القدرة وأنتم تعتقدون أن الله فرض عليكم قتال عشرة منا
بواحد منكم والآن خفف الله عنكم وتعلم أن فيكم ضعفا فقد فرض عليكم قتال
اثني عشر منا بواحد منكم ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا ولا تقدر
ون دفعنا ولا نستطيعون امتناعا ثم حكى لي أنك أخذت في الاحتفال وأسرفت على ربوة
القتال وتطل نفسك عما بعد عام تقدم رجلا وتؤخر أخرى ولا أدري الجبن
أبطأ بك أم التكديب بما أنزل عليك ثم حكى لي عنك أنك لا تجد سبيلا إلى الحرب
لعلك ما يسوغ لك التقحم بها فها أنا أقول لك ما في ذلك وأعتذر عنك ولك أن
تموجه بجملة من عندك بالمر اكب والشواني وأجوز اليك بجملي وأبارزك في
أعز الاماكن عندك فان كانت لك الغلبة فغنمية عظيمة جاءت اليك وهدنة مثلت
بين يديك وان كانت لي كانت يدي العليا عليك واستحققت امارة الملتين والتقدم
على الفتيين والحكم على البرين والله يوفق الارادة و بوضع السعادة لارب
غيره ولاخير الاخير فلهما وصل كتابه وقرأه يعقوب كتب في أعلاه ارجع اليهم
فلنأتيهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون والجواب ما تراه
لا ما تسمعه أو تقرأه وكتب أيضا بيتا مشهورا للمتنبي

ولا كتب إلا المشرقية والقنا * ولا رسل إلا الخيس العرمم

وأعاد الكتاب اليه وجمع العساكر الكثيرة من المسلمين وعبر إلى الاندلس في
جيش يضيق عنه الفضاء فسمعت الفرنج بذلك فجمعت قاصيها ودانيها وأقبلوا
اليه مجدين مصممين على القتال واثقين بالظفر لكثرتهم فالتقوا تاسع شعبان
شمالى قرطبة فاقتتلوا قتالا شديدا استشهد فيه كثير من المسلمين وكانت الدائرة في
أول الأمر على المسلمين ثم تراجعوا وعادوا على الفرنج فانهزم الفرنج أفرج هزيمة
وانتصر المسلمون عليهم وجعل الله كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا
والله عزيز حكيم وكان عدد من قتل من الفرنج مائة ألف وستة وأربعين ألفا وأسروا
منهم ثلاثة عشر ألفا وقيل ثلاثون ألفا وغنم المسلمون منهم شيئا كثيرا من الخيام

مائة ألف وثلاث وأربعون ألفاً ومن الخيل ستة وأربعون ألفاً وقيل ثمانون ألفاً
ومن البغال مائة ألف ومن الجير مائة ألف وقيل أربع مائة ألف جاء بها الكفار لجل
أنقاهم لأنهم لا يبل عندهم بالاندلس ومن الدروع التي صارت لبيت المال ستون
ألفاً غير ما أخذته المسلمون منها وأما الذهب والفضة والجواهر والاموال فلا
تحصى ويبيع الاسير بدرهم والحمار بدرهم وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين
بمقتضى الشرع ونجا الفئس بروحه وهو ملك النصارى اذ ذاك الى طليطلة في
اسو حال وحلق رأسه ونكس الصليب وحلف أن لا ينام على فراش ولا يقرب
النساء ولا يركب فرسا ولا دابة حتى يأخذ بالثار وصار يجمع الرجال من البلاد
البعيدة ويستعد للقاء ثم لقيه يعقوب بالجيوش مرة ثانية فمزموه وساق خلفه الى
طليطلة وحصره فيها ورما عليه بالمجانيق ولم يبق إلا فتحها فخرجت اليه والدة
الاذفونش وبناته ونساؤه يبكين بين يديه ويسألنه ابقاء البلد عليهن فرق لمن
ومن عليهن بها ووهب لهم أموالا كثيرة وعفا بعد القدرة ورجع الى قرطبة فأقام
بها شهرا يقسم الغنائم فجاءته رسل الفئس بطلب الصلح فصالحه وهادنه خمس
سنين وأمن الناس وكان يعقوب قد نادى في عسكره من غنم شيا فوله وأحصى
ما حمل اليه من السلب فكان زيادة على سبعين ألفاً وهذه الواقعة تسمى وقعة
الارك وهو اسم للموضع الذي كانت فيه الواقعة ولم يسمع بعد وقعة الذلاقة التي
كانت على يد أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين بمنى وقعة الارك هذه بل صرح
بعض المؤرخين بانها أعظم من وقعة الذلاقة وكان جلالة من استشهد من المسلمين
في هذه الواقعة نحو عشرين ألفاً وعظم أمر الاسلام بالاندلس بعد هذه الواقعة
ومدح الشعراء يعقوب بعد هذا الفتح بقصائد كثيرة وأجازهم بعطيات وافرة فغنم
ابن منقذ وكان شاعرا بليغا مدحه بقصيدة منها قوله

سأشكر بحرا اذا عباب قطعت به * الى بحر جود ما لا تحراه ساحل
الى معدن التقوى الى معدن الندى * الى من سميت بالذكر منه الاوائل
الملك أمير المؤمنين ولم نزل * الى بابك المأمول تزجي الرواحل

قطعت اليك البر والبحر موقنا * بان نذاك الغمر بالتبعج كافل
وحزت بقصدك الغنا فبلغتها * وأدنى عطايك العلا والفواضل
فلا زلت للعلاء والجود باقيا * تبلىك الآمال ما أنت أمل
وعدد آيات القصيدة أربعون بيتا فأعطاها أربعين ألفا وإنما صالح يعقوب
الفرنج وهادنهم لانه بلغه قيام نأثر من المرابطين بأفريقية فأراد يعقوب الرجوع
الى مرا كس لقمع هذا النأثر واجماده فرجع وقعه وأخذه (لطيفة) قال
الشيخ محي الدين بن العربي رضى الله عنه في الفتوحات المكية كنت بمدينة
فاس سنة احدى وتسعين وخمسمائة وعسا كرمال موحدين قد جازت الى الاندلس
لقتال العدو فلقيت رجلا من رجال الله فسألني ماتقول في هذا الجيش هل يفتح
له وينتصر في هذه السنة أم لا فقلت له ما عندك أنت في ذلك فقال ان الله تعالى قد
ذكره في كتابه وبشر به نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انا قنعنا لك فقنا
مينا وموضع البشرى فقنا مينا من غير تكرار الالف في مينا فانها لا تطلق
الوقوف في تمام الآية فنظرت وحسبت الحروف فوجدت الفتح يكون في سنة
احدى وتسعين وخمسمائة ثم جزت الى الاندلس في السنة المذكورة وقد نصر الله
جيش المسامين فهنا من الفتح الالهى لهذا الشخص اه
فنا مينا

٤٨٩ ١٠٢ ٤٨٩ وتوفي الامير يعقوب بمدينة سلا وقيل بمرا كس سنة خمس وتسعين
٥٩١ وخمسمائة وعمره احدى وأربعون سنة قال ابن خلكان في ترجمة
يعقوب المذكور ثم حكي لي جمع كثير بدمشق سنة ثمانين وستمائة ان بالقرب من
المجدل البليلة التي من أعمال البقاع العزيزية بالشام قرية يقال لها حارة والى
جانها مشهد يعرف بقبر الامير يعقوب ملك المغرب وكل أهل تلك النواحي
متفقون على ذلك وليس عندهم فيه خلاف اه قال في نفح الطيب توفي
السلطان يعقوب سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمدينة سلا وكانت ولايته خمس
عشرة سنة وما يقال انه ساح في الارض وتحلى عن الملك ووصل الى الشام ودفن

بالبقاء لأصل له وان حكى ابن خلكان بعضه ومن صرح ببطلان هذا القول
الشريف الغرناطي في شرح مقصورة حازم وقال ان ذلك من هذيان العامة
لولو عهدهم بالسلطان المذكور انتهى قال ابن خلكان وسمعت عن الامير يعقوب
حكايه يليق ان تذكرهنا وهي ان الامير أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر
الهنثاني كان قد تزوج أخت الامير يعقوب المذكور وأقامت عنده ثم جرت
بينهما منافرة فجاءت الى بيت أخيها يعقوب المذكور وأقامت عنده فسير الامير
عبد الواحد في طلبها فامتنعت فشقكا الامير عبد الواحد الى قاضي الجماعة
بمراكش وهو أبو عبد الله محمد بن علي بن مروان فاجتمع القاضي المذكور
بالامير يعقوب وقال له ان أبا محمد عبد الواحد يطلب أهله فسكت الامير يعقوب
ومضى على ذلك أيام ثم ان الامير عبد الواحد اجتمع بالقاضي المذكور في قصر
الامير يعقوب وقال له أنت قاضي المسلمين وقد طلبت أهلي فاجأوني فاجتمع
القاضي بالامير يعقوب وقال له يا أمير المؤمنين ان الشيخ عبد الواحد قد طلب أهله
وهذه الثانية فسكت الامير يعقوب ثم بعد ذلك بمدة لقي الامير عبد الواحد القاضي
بالقصر المذكور فقال له يا قاضي المسلمين قد قلت لك مرتين وهذه الثالثة أنا
أطلب أهلي وقد منعوني عنها فاجتمع القاضي بالامير يعقوب وقال له يا مولانا ان
الشيخ عبد الواحد قد تكرر طلبه لأهله فاما ان تسير اليه أهله والا فاعزاني من
القضاء فقال يا أبا عبد الله ما هذا الاجد كبير ثم استدعى خادما وقال له في المر تحمل
أهل الشيخ عبد الواحد فحملت اليه في ذلك النهار ولم يتغير على القاضي ولا قال له
شيئا يكرهه وتبع في ذلك حكم الشرع المطهر وانقاد لاوامره قال ابن خلكان
وهذه حسنة منه وللقاضي أيضا فانه بالغ في اقامة منار الشرع بالعدل انتهى

ذكر محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن

وما جرى في مدته من الغزوة

لما توفي الامير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بايع شيوخ الموحد بن ابنه محمد
ولقبوه الناصر وكان النصراني بالاندلس لماسمهوا بموت يعقوب أخذوا

يتغلبون على كثير من الحصون بالاندلس وكان محمد المذكور حديث السن
عمره نحو تسع عشرة سنة فاستخف بكثير من وزراء أبيه ورجال دولته وبكثير
من رجال الاندلس العارفين بالقتال حتى انه قتل بعض رجال دولته وشنق
بعضهم فكان ذلك سببا لفساد النيات واقوة الشكيمة للافرنج فلما بلغه قوة
شكمتهم وطمعهم في التغلب على بعض الحصون بل أخذوا بعضها بالفعل
شرع في التجهز للسير لقتالهم فتجهز في ستمائة ألف مقاتل ودخله الاعجاب
بكثرة من معه من الجيوش واستعمله العدو بمجموع كثيرة فلما التقوا وتقاتلوا
في شهر صفر سنة تسع وتسعمائة انهزم المسلمون وكثر القتل فيهم ولم ينج من
الستمائة ألف الذين مع محمد بن يعقوب غير عدد يسير لم يبلغوا الا الف فكانت
هذه الواقعة هي الطامة الكبرى على الاندلس بل على المغرب كله وما ذلك الا
لسوء التدبير والاعتماد على القوة وكثرة الجند والله غالب على امره واستولى
العدو بعدها على كثير من الاندلس وتسمى هذه الواقعة بوقعة العقاب ثم كثر
الناثرون والخارجون ايضا في المغرب ونوفى محمد بن يعقوب المذكور سنة ست
عشرة وستمائة ثم تفرقت كلمة بني عبد المؤمن وكثر الاختلاف والقتال بينهم مع
بعضهم وانتشرت فتن كثيرة بينهم فكانوا كلما يبيع لواحد منهم خلعوه وخرجوا
عليه الى أن انقضت دولتهم وكانوا كلهم يدعون لمهديهم محمد بن تومرت على المنابر
في الخطبة ويسترحون عليه ويكتبون اسمه على سكة الدراهم والدنانير الا العاشر
من خلفائهم وهو أبو العلاء ادريس الملقب بالمؤمن بن يعقوب بن يوسف بن عبد
المؤمن فانه امر باسقاط اسم مهديهم محمد بن تومرت من السكة والخطبة وألف في
ذلك رسالة طويلة أفصح فيها تكذيب مهديهم المذكور وضلاله وصار يلغنه
وكان ادريس المؤمن عالما فصيحا متقنا في علم الاصول والفروع ناظما ناثرا
وكان سفاكا لدماء وكانوا يسمونه حجاج المغرب قتل مائة من شيوخ الموحدين
وسفلك دماء كثيرة من دماء الخارجين الناثرين عليهم وقتل في يوم واحد أربعة
آلاف ونصب رؤوسهم على أسوار مدينة مراکش مات سنة ثلاثين وستمائة وكان

تمام انقضاء دولتهم سنة ثمان وستين وسبعمائة فكانت مدة دولتهم مع مهديهم مائة
واثنتين وخمسين سنة وجملة من تولى منهم مع مهديهم ستة عشر شخصا فسبحان الملك
الباري الذي لا يعترى ملكه الزوال والنقصان وتفضيل ملوكهم مع الفتن التي
وقعت بينهم ذكرته في تاريخ جمعه في أخبار الاندلس وكان المنتزع للملك بنى
عبد المؤمن جماعة من بنى مرين وسند كرههم ان شاء الله تعالى ونذكر ما كان
منهم من الغرول وكفار الاندلس لكن ينبغي قبل ذكرهم ان نذكر الحفصيين
ملوك تونس لانهم من فروع دولة الموحدين والجميع من فروع دولة محمد بن
تومرت المهدي على زعمهم والحفصيون ملوك تونس هم اولاد ابي حفص عمر
الهنثاني وهو الوزير الثاني لمحمد بن تومرت لانه اول قيامه بدعواه كان
الملازمون القائمون بأمره ثلاثة عبد المؤمن بن علي وعبد الله الوشر يسي
وأبو حفص عمر الهنتاني أما عبد المؤمن فقد تقدم الكلام عليه وعلى اولاده
الذين ورثوا الملك منه الى أن ذهب ملكهم وأما عبد الله الوشر يسي فقتل في
بعض الحروب التي كانت اول ظهور محمد بن تومرت وأما أبو حفص عمر الهنتاني
فكان وزير عبد المؤمن وكان ولي العهد بعده ثم احتال عليه عبد المؤمن وخلعه
وجعل ولاية العهد لابنه محمد ثم يوسف بن عبد المؤمن وكان عبد المؤمن في مدة
ملكه اتخذ ابا حفص عمر الهنتاني وزيرا وخليلا يقربه وبدنيه ويستشيره في
أموره كلها ثم صار أبناء عبد المؤمن يقربون أبناء ابي حفص وبدونهم
ويتخذون منهم وزراء وأمراء وفي سنة ست مائة وثلاث في مدة ملك محمد بن يعقوب
ابن يوسف بن عبد المؤمن جعلت ولاية تونس لعبد الواحد بن أبي بكر بن أبي
حفص عمر الهنتاني وتوارثها بنو عبد الواحد كور وبقى ملك تونس فيهم
الى سنة تسعمائة واحدى وثمانين فانزع ملك تونس منهم سلاطين آل عثمان
فكانت مدة تملك تونس ابني حفص ثلاثمائة وثمانية وسبعين سنة وعدة ملوكهم
ثمانية وعشرون ملكا فدولتهم أيضا من فروع دولة المهدي محمد بن تومرت وكان
لهم ملك ضخم وجري منهم غزوات وفتوحات سيأتي كثير منها بعد اتمام الكلام على

دولة بني مرين المنتزعين ملك بني عبد المؤمن وبعد ذكر ما كان منهم من
الغزوات والفتوحات بالاندلس

﴿ ذكر دولة بني مرين وغزواتهم بالاندلس ﴾

اعلم ان بني مرين قبيلة من قبائل البربر كانوا متوحشين يسكنون الصحراء
والقفار وكانت لهم مواش ثم صارت لهم خيل وقوة فلهما ضعف ملك بني
عبد المؤمن ورأى بنو مرين ضعفهم واختلال ملكهم تخلصوا من الصحراء
والقفار وتفرقوا في جهات المدن والأمصار وأوجفوا بخيلهم وركابهم وظهرت
لهم رياسة وقوة وشيكة فخلعوا طاعة بني عبد المؤمن من بعد أن كانوا تحت
طاعتهم فصار كثير من رعايا بني عبد المؤمن يحتمون ببني مرين ويلتجئون
اليهم لاسبابا إذا وقعت عليهم مظلمة من بني عبد المؤمن فمسك كثير من الناس
بمعتصمات بني مرين وأظلم الجواب بينهم وبين بني عبد المؤمن وثار من ذلك فتن
كثيرة بين الفريقين ووقع بينهم محاربات يطول الكلام بذكرها فصار بنو
مرين يقوى أمرهم كلما ضعف ملك بني عبد المؤمن الى أن استلبوهم الملك
وانتزعوه منهم واستولوا عليه وأول ما ظهرت الرياسة في بني مرين بعد الخمسين
والخمسة من الهجرة وأزل من ظهرت عليه الرياسة منهم محيو بن أبي بكر بن حمادة
فقدموه رئيسا عليهم الى أن توفي سنة احدى وتسعين وخمسة فقام بالرياسة بعده
ابن عبد الحق بن محيو الى أن توفي سنة أربع عشرة وستائة فقام بالرياسة بعده
ابن عثمان بن عبد الحق الى أن توفي سنة سبع وثلاثين وستائة ثم بعده أخوه
محمد بن عبد الحق الى أن توفي سنة اثنتين وأربعين وستائة ثم أخوه أبو يحيى
ابن عبد الحق الى أن توفي سنة ست وخمسين وستائة فقام بالرياسة بعده أخوه
يعقوب بن عبد الحق وفي هذه المدة السابقة كانت محاربات كثيرة بينهم وبين
بني عبد المؤمن فقوى أمرهم وانتشر صيتهم واستولوا على مدائن وقرى منها
مكناسة وفاس وتاهسان وطنجة وبيجة وغير ذلك الا تونس وأعمالها فان ملكها
كان بيد الخفصيين أبناء أبي حفص عمر الهنتاني أحد أصحاب المهدي محمد بن

تومرت وقد تقدم ذكر ذلك وكان نملك بنى مرين فاس سنة ست وأربعين
وسمائة وآخر الامر ملكوا مرا كش سنة ثمان وستين وسمائة وقتلوا أباد بوس
الملقب بالوائق وهو آخر ملوك بنى عبد المؤمن واستقر الملك لبنى مرين على
يدي يعقوب بن عبد الحق فهو الذي ينبغي أن يكون أولهم ولما استقرت دولته
بمدينة مرا كش جاءته البيعة من أهل الاندلس وجاء جماعة منهم يستنصرون
به على النصارى المتغلبين على أكثر الاندلس وسيأتي ذكر تجهيزه لغزو العدو
بالاندلس ان شاء الله تعالى

✽ ذكر ما كان من استيلاء العدو على كثير من مدائن الاندلس مدة

ضعف دولة بنى عبد المؤمن ✽

كان بالاندلس عمال لبنى عبد المؤمن متفرقون في أقطارها ومدائنها فلما حصل
الضعف لدولتهم وانتشرت الفتنة بينهم مع بعضهم وبين بنى مرين واشتغلوا بقتالهم
اغتم العدو الفرصة وصار يقطع كثير من المدائن والمعافل والحصون ويستولى
عليها ولم يوجد بالاندلس من الجيوش والرجال من يدافع العدو ويقاومه وقد كثرت
ما استولى عليه الطاغية في هذه المدة التي ضعف فيها ملك بنى عبد المؤمن وبعض
المدائن استولى عليها العدو قبل ظهور الضعف في دولتهم فن ذلك مدينة تطيلة
وأختها طرشونة استولى عليها الطاغية سنة أربع وعشرين وخمسمائة وكان ذلك
في أول دولة بنى عبد المؤمن وآخر دولة المرابطين بل كان قد استولى قبل ذلك
على طليطلة سنة ثمان وسبعين وأربعمائة كما تقدم حتى ان يوسف بن ناشفين لما عبر
الاندلس وكانت وقعة الدلاقة مجز عن تخليص طليطلة من يد الطاغية واستولى
الطاغية على مدينة سرقسطة سنة سبع وخمسين وأربعمائة ثم استرجعت ثم
استولى عليها ثانيا سنة خمسمائة واثنتي عشرة واستولى على بلنسية سنة أربعمائة
وسبع وخمسين ثم ارتجعها المسلمون ثم تكرر استيلاؤهم عليها واسترجاعها كما
تقدم ثم تغلب العدو عليها وأخذها مرة أخرى سنة ست وثلاثين وسمائة واستولى
على حصن روطلة سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكان من أمنع الحصون سلمة بن

هو دأصاحب طليطلة لما عجز عن مقاومته واستولى العدو على مدينة المرية سنة
اثننتين وأربعين وخمسةائة وكان قبل ذلك استولى على مدينة لوشة سنة اثننتين
وعشرين وستمائة ثم ارتجع الموحدون المرية سنة اثننتين وخمسين وخمسةائة
وبقيت بيد المسلمين سنين ثم ارتجعها العدو وخذله الله مرة أخرى واستولى
على كورة ماردة سنة ست وعشرين وستمائة وعلى ميورقة سنة سبع وثلاثين
وستمائة وعلى جزيرة شقرة سنة تسع وثلاثين وستمائة وعلى قرطبة دار الخلافة
سنة ست وثلاثين وستمائة وعلى شرقي الاندلس شاطبة وغيرها سنة خمس وأربعين
وستمائة واستولوا سنة أربع وأربعين وخمسةائة على مدينة طرطوشة وملكوا
معها جميع قلاعها وحصون الارادة وافراغة وعلى مرسية صلحافي العام
المدكور وحصر واشيلية سنة خمس وأربعين وستمائة وملكوها في العام
القابل وبيان وقائع أخذ الطاغية لهذه المدائن يطول الكلام بذكره
وذلك مشتمل على ما تنقرح له الا كباد وتنسجم له العيون ولما أخذت قواعد
المدائن وأماتها بالاندلس مثل قرطبة واشيلية وطليطلة ومرسية وغيرها انحاز
أهل الاسلام الى قطعة من شرقي الاندلس كانت بيد المسلمين منهم محمد بن يوسف
ابن هوذا الجندي كان أباهم ملك بالاندلس من جملة ملوك الطوائف فكان
محمد بن يوسف المدكور بمرسية من شرقي الاندلس وكان هناك عمال بني
عبد المؤمن فتغلب عليهم وأخرجهم واستعان على ذلك ببعض أهل الاندلس
وهلأهم وأعيانهم وصار الملك له وخطب لبني العباس وأقام الدعوة لهم ثم كثر
المنازعون له والثائرون عليه من المسلمين ومن الفرنج وطبعوا فيه فاضطربت
عليه الامور وكان ممن نازعه من المسلمين بنو الاحمر وهم قوم ينسبون الى سعد
ابن عباد رضي الله عنه الانصاري سيد الخزر رج في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
كان تحت أيديهم بعض مدائن بغرب الاندلس فانزعوا ما كان تحت يد محمد بن
يوسف بن هوذا وضموه اليها كان تحت أيديهم وكان أول من قام من بني الاحمر
محمد بن نصر وكان أبوه نصر في دولة بني عبد المؤمن من أمراء الاجناد وكان

محمد بن نصر يقال له محمد الشيخ و بويج سنة تسع وعشرين و ستمائة و خطب
لابي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاني وكان أبو زكريا
المدكور اذ ذلك صاحب تونس وكان قد استفتح ملكه بتونس و افر يقية
نخلع طاعة بني عبد المؤمن و دعاه لنفسه و تسمى بأمر المؤمنين فبايع ابن الاحمر
الناس له ليفسد على ابن هود بيعة لبني العباس و دخل مع ابن الاحمر في تلك
البيعة أهل جيان و شريش و كان الطاغية في ذلك الوقت محاصر بالبنسية *
وذلك سنة ست و ثلاثين و ستمائة ثم أرسل ابن الاحمر جماعة من أعيان أهل
الاندلس لأبي زكريا الحفصي بتونس فقدموا عليه و عقدوا له بيعة أهل
الاندلس و استصرخوا به يريدون منه النجدة في قتال النصارى فأجابهم الى
مطلبهم و عقد أبو زكريا لتلك البيعة يوم امشهودا بتونس و أنشد شاعر أهل
الاندلس القصيدة المشهورة التي أولها

أنجد بخيلك خيل الله أندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا
و هب لها من عزيز النصر ما التمس * فلم يزل منك عز النصر ملقسا
وهي قصيدة طويلة بليغة مذكورة في نفح الطيب فأجاب أبو زكريا بيعتهم و لبي
دعوتهم و جهز لهم أساطيل فيها المال و الرجال فلما وصلوا الاندلس وجدوا
الطاغية المحاصر بالبنسية قد ملكها ثم ملك مرسية أيضا صلحا و كان ممن قام
بالاندلس أيضا أبو محمد اشقيولة و استولى على قنارش و وادي آش و كان بينه
و بين ابن الاحمر مصاهرة و قرابة مع منافسة باطنية فاستعان به ابن الاحمر على ابن
هود و كان ابن هود قبل ان يتغلبوا عليه قد جاءه خطاب و تقليد من الخليفة
العباسي المستنصر بالله بن الظاهر بن الناصر فقوى ابن هود لما جاءه التقليد
فبايعه ابن الاحمر و ترك الخطبة لابي زكريا الحفصي صاحب تونس و افر يقية ثم
قام باشبيلية أبو مروان الباجي فدخله ابن الاحمر على ان يزوجه ابنته فأطاعه
أبو مروان فدخل ابن الاحمر اشبيلية ثم قتل باين مروان فقتله ثم ان أهل اشبيلية
بعد شهر كاتبوا ابن هود و دخلوا في طاعته و أخرجوا ابن الاحمر ثم تغلب ابن

الاجر على غرناطة سنة خمس وثلاثين وستمائة بمواطاة من أهلها فجاءته يبعثهم وهو
بجيان فجاء الى غرناطة فدخلها وجعلها كرسى مملكته ثم تغلب على مالقة وفي
هذه المدة التي وقعت فيها هذه الفتن بين المسلمين بالاندلس قوى أمر النصارى
وطمعوا فيما بأيدي المسلمين وتلقفوا كثيرا من مدائن الاندلس وحصونها
وداخلهم ابن هود وهادنهم بالصلاح ليدفعوا عنه ابن الاجر وأعطاهم كثيرا من
المعاقل والحصون قيل انه أعطاهم ثلاثين حصنا وجعل على نفسه ضريبة لهم كل
سنة أربع مائة ألف دينار ثم نار على ابن هود وزيره ابن الرميبي فقتله واستولى
على ما بيده ثم استولى ابن الاجر على ما بيد الرميبي سنة ثلاث وأربعين وستمائة
ثم بايع ابن الاجر أهل مبروقه سنة ثلاث وستين وستمائة وحصل لآعقاب ابن هود
في هذه الفتن خطوب كثيرة وحروب بينهم وبين ابن الاجر ثم دخلوا في طاعته
فبعث ابن الاجر ابن اشقيلولة فتسلم منهم مرسية وخطب لابن الاجر وعوضهم
عن مرسية حصنا من عملها سنة ثمان وستين وستمائة ثم انقرضت دولة بني هود
بالكلية وكان ابن الاجر في أول أمره يداخل النصارى ويستعين بهم على ابن
هود فإما داخل النصارى ابن هود وأعطاهم الحصون المتقدم ذكرها وجعل لهم
الضريبة على نفسهم فزع اليهم ابن الاجر لانهم كفوا عن معاضدته التي كانت منهم
له قبل ذلك وصاروا معاضدين لابن هود ثم لما رأى ابن الاجر أمر النصارى
يقوى ورآهم تغلبوا على قرطبة وغيرها خاف أن يستولوا على ما بيده فسخطهم
ونبتدعهم وصار محترسا منهم وجزا في تملكه مدائن بغرب الاندلس وبالتوسطه
من الاندلس من ذلك غرناطة والمريه ومالقة ونحوها وتوفي ابن الاجر محمد الشيخ
ابن يوسف بن نصر سنة ست مائة واحد وسبعين فبويع بعده ابنه محمد الفقيه ابن
محمد الشيخ وكان ممن بقى من ملوك الاندلس بنو اشقيلولة وكانوا نظراء لابن
الاجر في الرياسة وبينهم وبينه مصاهرة ومنافسة وكان الرئيس فيهم أبا محمد
صاحب مالقة وأخاه أبا اسحق صاحب وادي آش وفارس ثم ان ابن الاجر محمد
الفقيه في سنة ثلاث وسبعين وستمائة بعث جماعة من المسلمين الى بنى مرين

يستصر خون بهم ويسألونهم النصر والاعانة على قتال النصارى وكان في ذلك الوقت قد تمكن الملك في مرا كس والمغرب الاقصى لبني مرين وكان الملك في ذلك الوقت من بني مرين يعقوب بن عبدالحق

﴿ ذكر أول تجهيز من بني مرين لغزو النصارى بالاندلس ﴾

لماجاء الصريح من أهل الاندلس مع الجماعة الذين بعثهم ابن الأحمر محمد الفقيه بن محمد الشيخ بن يوسف بن نصر جهز السلطان يعقوب بن عبدالحق جيوشا كثيرة من مدينة فاس ومراكش فاجتازت الى الاندلس مع بعض أولاد السلطان يعقوب والتقوا مع النصارى وقتلوا منهم أشد القتال وهزموهم شرهزيمة وملؤا أيديهم من غنائمهم وأسلابهم وتمحصن النصارى في حصونهم ومعاقلم في المدائن التي ملكوها ورجع بنو مرين سالمين منصورين ولم يخلصوا في هذه الغزوة شيئا من المدائن التي ملكها العدو

﴿ غزوه أخرى لبني مرين الى الاندلس ﴾

في سنة أربع وسبعين وستائة جمع أمير الساميين السلطان يعقوب بن عبدالحق المريني جموعا كثيفة واستنفر المسلمين من كل ناحية وغزا الاندلس بنفسه فلما وصل طرف لقيه ابن الأحمر محمد الفقيه صاحب غرناطة والرئيس أبو محمد بن أشقيلولة صاحب مالقة فأكرمهما وفاوضهما في أمر الجهاد ثم أمرهما بالرجوع الى بلديهما فانصرف ابن الأحمر مغاضبا لكلمات صدرت من ابن أشقيلولة أغضبته وجاء الخبر للسلطان يعقوب أن زعيم النصارى جمع جموعا كثيرة يضيق عنها الفضاء فرتب السلطان جيوشه للقائه ثم التقوا وتقاتلوا قتالا شديدا وهزم الله النصارى هزيمة قبيحة حتى قال بعض المؤرخين ان المسلمين بعد أن هزموا يوم العقاب الذي كان في دولة الموحديين في مدة محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن ما نصر واحتى دخل السلطان يعقوب بن عبدالحق المريني الاندلس وقتل بهم وقتل الله زعيم النصارى في هذه الواقعة وكان اسمه ذننة وقتل من جيشه أكثر من أربعين ألفا وهزم الباقون شرهزيمة وملك السلطان من الاندلس

رندة والجزيرة الخضراء وطريفنا وجبل طارق وغير ذلك وأعز الله به الدين بعد
تمرد النصارى ولما قتل ذنقة زعيم النصارى في القتال المذكور بعث السلطان
يعقوب رأس دنقة الى ابن الأحمر فقبل ان ابن الأحمر طيبه وأكرمه وورده الى
النصارى وجعل ذلك صنيعا عندهم وكرامة لهم وولاية أخلصها لهم وكان ذلك منه
انحرافا عن السلطان يعقوب قال ابن خلدون وظهرت شواهد عليه بعد حين
ورجع أمير المسلمين من غزوته الى الجزيرة منتصفا ربيع الاول من سنته فقسم
الغنائم في المجاهدين وما أخذوه من أموال عدوهم وسباياهم وأسراهم بعد اخراج
الخمس لبيت المال على موجب الكتاب والسنة ليصرف في مصارفه وكان مبلغ
الغنائم في هذه الغزوة مائة ألف من البقر وأربعة وعشرين ألفا ومن الاسارى
سبعة آلاف وثمانمائة وثلاثين أسيرا ومن الكراع أربعة عشر ألفا وأما الغنم
فشي كثير خارج عن الحصر وكذا السلاح وأقام أمير المسلمين بالجزيرة أياما

﴿ غزوة أخرى ﴾

بعد فراغ الغزوة السابقة ورجوع السلطان الى الجزيرة واقامته أياما مخرج غازيا
من الجزيرة الى اشبيلية بجاس خلال ديارها وتتبع نواحيها وأقطارها وأثخن بالقتل
والنهب في جهاتها وعمرائها ثم ارتحل الى شريش فأذاقها وبال العيث
والاكتساح ثم رجع الى الجزيرة بعد شهرين ثم رجع الى المغرب من السنة
المذكورة بعد أن رتب في الاندلس جيشا يقيم هناك ليدوم الغزو والجهاد لكفار

﴿ غزوة أخرى لبني مرين للاندلس ﴾

في سنة ست وسبعين وستائة تجهز السلطان يعقوب بن عبد الحق وسار بجموعه
ونزل بطريف آخر المحرم ثم ارتحل الى رندة ووافاه الرئيسان أبو محمد بن اشقيلولة
صاحب مالقة وأخوه أبو اسحق صاحب قارش يريدان الغزو معه ولم يأنه ابن
الأحمر محمد الفقيه صاحب غرناطة فارتحل السلطان ومن معه الى منازلة اشبيلية
وكان باشبيلية اذذاك ملك الجلالقة ابن أذفونش فخار وجين عن اللقاء وبرز الى
ساحة البلد محاميا عن أهله فرتب أمير المسامين جيوشه وجعل ابنه يوسف في

المقدمة وزحف في التعبئة فانتحجز العدو الى البلد واقصموا أثرهم في الوادي
وأثخنوا فيهم الى أن جاء الليل وبات العسكر ليلتهم على ظهور خيولهم وقد أضرموا
النيران بساحة العدو وضربوا الحصار عليهم وبثوا السرايا والغزوات في سائر
النواحي حتى أبادوا عمرانها وملكوا حصن قطيانه عنوة وكذا حصن جليانة
وحصن القليعة وأثخنوا في القتل والسبي ثم ارتحل السلطان الى الجزيرة
الخضراء بالغنائم فارتحل وقسم الغنائم في المجاهدين

﴿ غزوة أخرى ﴾

في منتصف ربيع الثاني من السنة المذكورة ارتحل السلطان من الجزيرة
الخضراء غازيا الى شريش فأذاقها نكال الحرب وأفقر نواحيها وقطع أشجارها
وحرق كثيرا من ديارها وأعمالها ونواحيها وأثخن فيها بالقتل والأسر وتحصن العدو
بمدينة شريش وجبن عن اللقاء فأراد السلطان أخذ الأطراف ليسهل حصار
البلد وبعث ابنه يوسف في سرية للاغارة على اشبيلية وحصون الوادي فبالغ في
النكابة واكتسح حصن روطة وشلوقة وغليابة والقناطر ثم صبح اشبيلية وانكف
الى أمير المسلمين فقفوا جميعا الى الجزيرة الخضراء فأراحوا وقسموا الغنائم
في المجاهدين

﴿ غزوة أخرى ﴾

ثم لما كان السلطان بالجزيرة الخضراء حث المسلمين على غزوة قرطبة ورغبهم في
عمرانها ونزوة مساكنها وخصب بلادها فأنعطفوا الى جانبه وأرسل لابن الأحمر
يستنفره ودارت بينهما مكاتبات فيها عتاب زال بهما كان في نفس ابن الأحمر
فغزم على لقاء السلطان وخرج أمير المسلمين من الجزيرة الخضراء لاول جمادى
ووافقهم ابن الأحمر بناحية ارشدونة فأكرم وصوله فنزلوا جميعا حصن بنى بشر
وملكوه عنوة وقتلوا المقاتلة وسبوا النساء ونقلوا الاموال وخرّبوا الحصن
ثم بث السرايا والثارات في البسائط واكتسحها وامتسلت الايدي وأزى
العسكر وتقرّوا المنازل وال عمران في طريقهم حتى احتلوا بساحة قرطبة
وانحجزت حامية العدو من وراء الاسوار وانبثت بعوث المسلمين وسراياهم في

نواحيها ففسقوا آثارها وخرّبوا عمرانها واكتسحوا قراها وضياعها وترددوا
على جهاتها وملكوا حصن بركونة عنوة ثم ارجونه كذلك وجبن العدو عن
اللقاء وأيقن بخراب العمران فجنح الى السلم وأرسل لأمر المسلمين يطلب السلم
فدفعه الى ابن الأحمر وجعل الأمر في ذلك اليه تكريماً لمشهده ووفاء بحقه فأجابهم
ابن الأحمر الى الصلح بعد عرضه على أمير المسلمين واذنه فيه لما فيه من المصلحة
وجنوح أهل الأندلس اليه منذ المدد الطويل فانه قد السلم وفضل أمير المسلمين
من غزواته وجعل طريقه على غرناطة كرمى ملك ابن الأحمر احتفالاً به وخرج
له أمير المسلمين عن الغنائم كلها فاحتوى عليها ابن الأحمر وقال له السلطان
يعقوب يكون حظ بنى مرين من هذه الغزوة الاجر والثواب مثل ما فعل يوسف
ابن ناشقين مع أهل الأندلس يوم الذلاقة ودخل أمير المسلمين الى الجزيرة
الخضراء في أول رجب من العام المذكور فأراهم ونظر في ترتيب المصالح على
الثغور وكان بنو اشقيالة مع أمير المسلمين في هذه الغزوة وفارقوه بعد فراغ
الغزو ولما قفلوا اعتل أبو محمد صاحب مالقة ثم مات غرة جمادى من السنة
المذكورة فلقى ابنه محمد السلطان آخر شهر رمضان وهو بالجزيرة فنزل
للسلطان عن مالقة ودعا الى اجتيازها لانه رأى ابن الأحمر يطمع في انتزاعها منه
ولا قدرة له على دفاعه وقال للسلطان ان لم تجزها أعطيتها للفرنج ولا يملكها ابن
الأحمر فقبلها السلطان منه وعقد عليها أمير المسلمين لابنه أبي زيال منديلاً ثم سار
أمير المسلمين اليها بعد انقضاء شهر الصيام فوافاها سادس شوال وبرز اليه أهلها
في يوم مشهودوا احتفلوا له احتفال أيام الزينتسرو رابقدومه ودخولهم في إيالته
وأقام فيها الى خاتم سنته ثم عقد عليها لعمر بن يحيى وكان من صنائع دولتهم وأنزل
معه المسالح وزيان ابنه وابن أبي عباد بن عبد الحق في طائفة من أبطال بنى مرين
واستوصاه بمحمد ابن اشقيالة ولما علم ابن الأحمر ان أمير المسلمين تملكها شق
عليه ثم ارتحل السلطان الى الجزيرة ثم الى المغرب سنة سبع وسبعين وستائة وقد
اهتزت الدنيا لقدمه وامتلات القلوب بما أعطاه الله من نصر المسلمين لكن

نشأ من تملكه مالقة غيظ لابن الاحمر وعظم عليه الأمر فمظاهر بطاغية النصارى
واتفق معه على منع دخول السلطان الاندلس بعده هذه المرة ان أراد ذلك فاغتم
الطاغية مظاهرة ابن الاحمر له فنكت عهد أمير المؤمنين وأغزى أساطيله
الجزيرة الخضراء حيث مساح السلطان وعساكره واحتال ابن الاحمر على
عامل مالقة فأخذها منه وراسلوا بعض الثائر بن علي السلطان بالمغرب وحثوهم
على افساد الثغور واتصل الخبر بأمير المسلمين وهو بمراكش وبلغه أن المسلمين
في الجزيرة الخضراء في شدة من ضيق الحصار فعقد لابنه علي الغزو وأغزى
الاساطيل في البحر الى جهاد العدو

✽ غزوة أخرى لبني مرين بالاندلس ✽

لما بلغ أمير المسلمين ما تقدم من نكت الطاغية العهد ومظاهرة ابن الاحمر فعقد
السلطان لابنه فوصل الى طنجة في شهر صفر من سنة ثمان وسبعين وستائة وأوغر
الى البلاد البحرية لاعداد الاساطيل بسببته وطنجة وسلا وقسم الاعطآت
واستنفر الناس فتوفرت هم المسلمين على الجهاد وصدقت عزائمهم على الموت ولما
رأى ابن الاحمر ما نزل بالمسلمين في الجزيرة الخضراء من حصار الطاغية لها
واشرافه على أخذها أخذته الحمية الاسلامية وأعد أساطيله وكانت اثني عشر
وبعثها مدد المسلمين واغاثة لهم وكانت أساطيل أمير المسلمين تناهز السبعين وقيل
اثنين وسبعين وبعث الأمير صاحب سببته خمسة وأربعين أسطولا وأساطيل
الطاغية تناهز أربع مائة وتلاقوا مع العدو وأخلصوا الله عزائمهم وصدقوا في نياتهم
ووعظهم خطبائهم والنعم القتال ونزل الصبر فلم يكن الا كلا ولا حتى نضجوا العدو
بالنبيل فانكشفوا ونساقطوا في البحر فاستلحمهم السيف وغشيمهم اليم وملاك
المسلمون أساطيلهم ودخلوا مرفأ الجزيرة وفرضتها عنوة فاختل عسكر الطاغية
ودخلهم الرعب وخرج الناس المحصورون من البلد وانتشرت النساء والصبيان
بسياحته فغنموا كثيرا من الخنطة والادام والقوا كه حتى ملؤا أسواق البلد من
ذلك أياما وأجاز الأمير يوسف من حينه الى الاندلس وأرهب العدو في كل ناحية

ثم صده عن التوسع شأن الفتنة مع ابن الاحمر فرأى أن يعقد مع الطاغية صلحا
ويصل به بدا لينازل غرناطة كرسى ملك ابن الاحمر فأجاب الطاغية الى ذلك
رغبة من بأسه وموجدة على ابن الاحمر في اعداده المدد لاهل الجزيرة وتظاهر
الطاغية بالعداوة لابن الاحمر وبعث الطاغية أساقفته لعقد الصلح فأجازهم الامير
يوسف الى أبيه أمير المسلمين فغضب لذلك وأنكر على ابنه ولم يرض بما أراده
ابنه وزوى عنه وجهه رضاه وأرجعهم الى طاغيتهم مخفي السعي وجاء أهل الجزيرة
الخضراء الى أمير المسلمين فلقوه بأرض السوس فولى عليهم ابنه أبازيل مندبيل
فزل بالجزيرة وأتم الصلح مع الطاغية ونزل المربة برا وبحرا وكانت لابن
الاحمر فامتنع أخذها عليه وانضوى اليه أهل الحصون القريبة بطاعتهم حذرا من
الطاغية فتقبلهم ونازل الطاغية ابن الاحمر بغرناطة وحاصره فرجع ابن الاحمر
مسألة بني مرين وبعث لأبي زيال ابن السلطان في طلب الصلح فأبى الامر الى
أبيه فأشفق السلطان على المسلمين وعلى مانال ابن الاحمر من منازلة الطاغية
فراسله السلطان الى أن تم الصلح بينه وبين ابن الاحمر وارتحل الطاغية من
غرناطة واشترط السلطان على ابن الاحمر ارجاع مالقة للسلطان

﴿ غزوة أخرى ﴾

من لطف الله بالمسلمين وعنايته ببني مرين أن أوقع الخلف بين الطاغية ابن
اذفونش وابنه شانجة حتى سلب أباه ملكه وتغلب عليه فوفد على السلطان
بطارقة الطاغية وزعماء دولته مستصرخين على ابنه شانجة مخبرين بأنه خرج
على أبيه في طائفة من النصاري فغلبوه على أمره فجاءوا يطلبون النصرة من أمير
المسلمين ليرجع للطاغية ملكه وينزعوه من ابنه فقرح أمير المسلمين بافراقهم
وأحب الدخول الى الاندلس ليقضى مأربه من جهاد الكفار فأجاب أمير
المسلمين رسل الطاغية ووعدهم بالقيام مع الطاغية ليرجع ملكه اليه وينزعه
من ابنه الغاصب له فأوغر الى الناس بالجهاد وأمرهم بالنفير وجهاز الجيوش وأجاز
الى الجزيرة الخضراء فاحتل بها في ربيع الثاني سنة إحدى وثمانين وستمائة

واجتمعت عليه مساح الثغور بالاندلس وسار حتى نزل صخرة عباد فوافاه
الطاغية بنفسه ذليلاً لالعز الاسلام مؤملاً صريح السلطان فأكبر وفادته وأكرم
موصله وعظم قدره وذكر ابن خلدون وابن الخطيب ان هذا الطاغية لما اجتمع
بالسلطان يعقوب قبل يده اعظاماً لقدره وخضوعاً لعزّه فدعا السلطان بماء
فغسل يده من تلك القبلة بمحضر من كان هناك من جموع المسلمين والفرنج
والتمس الطاغية من السلطان أن يمدّه بشئ من المال يستعين به فأمدّه لنفقته مائة
ألف من مال المسلمين استرهن فيها الطاغية تاجه بقي بيد المسلمين فخر اللأ عقاب
ودخل السلطان معه دار الحرب حتى نازل قرطبة وبها شانجة بن الطاغية الخارج
على أبيه السالب للملكه فقَاتلها أياماً ثم تنقل في جهاتها ونواحيها وارتحل الى
طليطلة فعات في جهاتها وخرّب عمرانها حتى انتهى الى حصن مجريط من أقصى
الثغر فامتلات أيدي المسلمين من الغنائم وضاق معسكره منها ورجع السلطان
الى الجزيرة فاحتل بها لشعبان من السنة التي اتصلت به السلطان بيد الطاغية
خشى ابن الاحمر غائلته فجنح الى موالاة شانجة الخارج على أبيه ووصل يده بيده
وأكد له العقد وأضرمت له الاندلس ناراً وقتنه ولم يعن ذلك شانجة شيئاً فلم يزل
السلطان مع الطاغية حتى ظهر على ابنه وذلك ان السلطان كان اشترط على ابن
الاحمر ارجاع مالقة فلم يفعل فنهض السلطان الى مالقة ونازلها ففتح ثنتين وثمانين
فتغلب على الحصون القريبة ثم حاصر مالقة فضاقت النطاق على ابن الاحمر فالتجأ
الى الامير يوسف ابن السلطان وخطبه مستصرخاً لرفع هذا الخرق وجمع كلمة
الاسلام فأجابته وأجاز له شهر صفر فوافى السلطان أمير المسلمين بمسكوه على مالقة
ورغب منه السلم لابن الاحمر والتجافي عن مالقة فأسعف رغبة ابنه لما يؤمل في ذلك
من رضا الله في جهاد عدوه واعلاء كلمته وانعقد السلم وانبسط أمل ابن الاحمر
وتجددت عزائم المسلمين وقفل السلطان الى الجزيرة وبت السرايا في دار الحرب
فأوغلوا وأتخنوا ثم استأنف الغزو بنفسه الى طليطلة فخرج من الجزيرة غازياً
غرة ربيع الثاني من سنة ثنتين وثمانين وسماهته حتى انتهى الى قرطبة فأخضع وغنم

وخرب العمران وافتح حصونا ثم رجع الى الجزيرة في شهر رجب وقسم الغنائم
ثم رجع الى المغرب * وفي فاتح سنة ثلاث وثمانين باغته مهلك الطاغية ابن اذفونش
واجتماع النصرانية على ابنه شانجة الخارج على ابيه فحركت الى الجهاد عزائم
السلطان * غزوة أخرى *

في سنة ثلاث وثمانين عزم السلطان على جهاد العدو بالاندلس فجمع الجيوش
ونهب من مراكش في شهر جمادى الآخرة واحتل برباط الفتح منتصف شعبان
فقضى صومه ثم شرع في ارسال الجنود الى الجزيرة الخضراء الى خاتمة سنته ثم
أجاز البحر بنفسه غرة صفر من سنة أربع وثمانين ولما انتهى الى الجزيرة سرح
في بلاد العدو وبت السرايا والغارات في جميع النواحي فأئخذوا القتل
والتخريب والسبي للنساء والذرية وركب غازيا بنفسه كثيرا من تلك الجهات
وجرى في هذه الغزوات ما يطول الكلام بذكره وتعداد الجهات والحصون التي
آخر بوهاوسلبوا ما فيها وبقى النصارى متحصنين في حصونهم المنيعة لا يقدر
على المبارزة لقتال ولا على الخروج من حصونهم فاستيقن الطاغية شانجة وأهل
ملته أن بلادهم قد فنيت وأرضهم قد خربت وتبينوا العجز عن المدافعة والحماية
فجنحوا الى السلم وضرعوا الى أمير المسلمين في كفا عاديته عنهم واجتمع
النصارى الى طاغيتهم شانجة خاشعة أبصارهم وسألوه أن يبعث الى أمير المسلمين
الملا من كبار النصارى يسألونه الصلح فأجابهم شانجة الى ما دعوه اليه فأوفد الى
أمير المسلمين وفدا من بطارفتهم وكبار دولتهم فرددهم أمير المسلمين اعترافا عليهم
فأعادهم الطاغية بترديد الرغبة على أن يشترط أمير المسلمين ما شاء من عزديته
وقومه فأسعفهم أمير المسلمين لما تيقن ذلهم لعز الاسلام ولأنه أراد الرجوع الى
المغرب لاصلاح ما فسد من الرعايا بقيام بعض الثوار الخارجين عن طاعته فعقد
الصلح مع طاغية النصارى واشترط عليهم ما أراد من ذلك أنهم يقفون عند
مروضاته في ولاية جيرانه من الملوك أو عداوتهم ورفع الضر بية عن تجار المسلمين
المقيمين بدار الحرب من ممالكهم وترك التضريب بين ملوك المسلمين والدخول

بينهم في فتنة ﴿ ذكر وفادة الطاغية على السلطان ﴾

لما رجعت رسل الطاغية اليه بعد عقد الصلح وفد على الطاغية رسل ابن الاحمر
ليعقد السلم معه دون أمير المسلمين وأن تكون يده وبده واحدة على السلطان
فأخبرهم بما عقده مع أمير المسلمين ثم قال هذا أمير المسلمين ولست أطيع مقاومته
ولا دفاعه عنكم فانصرفوا ثم أشار عليه بعض رجال دولته بالوفادة على أمير
المسلمين لتمكن الألفة فقبل اشارتهم والتقى قبل ذلك بولي عهد أمير المسلمين
وهو ابنه يوسف وكان نازلا على فراسخ من شريش فلقيه وبات في معسكر
المسلمين ثم ارتحل من الغد للقاء أمير المسلمين فأمر المسلمين بالاحتفال للقاء
الطاغية وقومه وانظروا شعار الاسلام وأبته فاحتفلوا وأظهروا عز الملة وشدة
الشوكة ووفور الحامية فلقيه أمير المسلمين بأحسن مبرة وأتم كرامة يليق بها مثله
من عطاء الملل وقدم هدية سنوية لأمير المسلمين وابنه فقبلاهما منه وقابلاه بكفائها
ومضاعفها وكل عقد الصلح وتقبل الطاغية سائر الشروط ورضى بعز الاسلام
وانقلب الى قومه وسأله السلطان أن يبعث له من كتب المسلمين التي استولى عليها
النصارى فلما رجع بعث اليه ستة عشر حملا وقفل أمير المسلمين الى الجزيرة في
آخر شعبان وصام بها رمضان ثم عمل نظره في الثغور وترتيب المصالح ثم اعتل
وهو بالجزيرة واستقر به المرض الى أن توفي في لآخر المحرم من سنة خمس وثمانين
وسمائه فكانت مدة ملكه تسعا وعشرين سنة وكان ابنه ولي عهده في أقصى
المغرب بعثه أبوه لتفقد الاحوال وهو أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق
فأخذ البيعة له وزراء أبيه وعظماؤه وقومه وحضر بنفسه في شهر صفر فأخذوا
البيعة على الخاصة والعامة وكان أول شيء أحدث من أمره أن بعث الى ابن الاحمر
وضرب موعدا للقاءه فبدر اليه ولقيه بظاهر مري باله لاول ربيع فلقيه هو بمعزة
وتكريم ونجا وزله عن جميع الثغور الاندلسية التي كانت لملكه والده
السلطان يعقوب ما عدا الجزيرة وطريف وتفرقا على أكمل حالات المصافة
والوصلة ورجع السلطان يوسف الى الجزيرة فوافاه بها الطاغية شائجة فجددوا

عقد السلم الذي عقده أمير المسلمين يعقوب رحمه الله فأجابه

﴿ غزوة أخرى ﴾

في سنة سبع وثمانين نما الخبر للسلطان يوسف بن يعقوب بأن الطاغية انتقض العهد وتجاوز الضوم وأغار على الثغور فأرسل السلطان إلى قائد المسالح بالاندلس أن يدخل إلى دار الحرب وينزل شريش ويشن الغارات على بلاد الطاغية فنهض لذلك وجاس خلالها وتوغل في أقطارها وأبلغ في النكابة وفصل السلطان في ربيع الآخر سنة تسعين من نازي غازيا واستنفر أهل المغرب وقبائله فنفر وشرع في إجازتهم البحر وبعث الطاغية أساطيله فالتقوا مع أساطيل السلطان في شعبان فاقتتلوا وانكشف المسلمون ووقعت عليهم هزيمة قدرها الله عليهم استشهد كثير منهم محصمهم الله تعالى ثم أغزاه ثانيا فجبت أساطيل الطاغية عن اللقاء ثم ملكها أساطيل السلطان

﴿ غزوة أخرى ﴾

ثم أجاز السلطان بنفسه في أواخر رمضان سنة إحدى وتسعين واحتل بطريف ثم دخل دار الحرب غازيا فنزل حصنا منيعا ثلاثة أشهر وضيق عليهم وبت السرايا في أرض العدو ورد الغارات على شريش واشيلية ونواحيها إلى أن بلغ الغاية في النكابة للعدو والامتحان وقضى من الجهاد وطرأ وزاحمه فصل الشتاء وانقطع الميرة عن العسكر فأفرغ عن الحصن ورجع إلى الجزيرة ثم أجاز إلى المغرب فاتح سنة ثنتين وتسعين

﴿ غزوة أخرى ﴾

في سنة اثنتين وتسعين نظاهر ابن الأحمر والطاغية واتفقا على منع السلطان أن أراد المجئ بعد المرة السابقة وسبب ذلك أنه لما أجاز السلطان إلى الأندلس سنة إحدى وتسعين وأبلغ من نكابة العدو وأهم الطاغية أمره ونقلت عليه وطأنه وحذر ابن الأحمر أيضا غائلة السلطان ورأى أن مغبة حاله الاستيلاء على الأندلس وأن يغلبه على أمره ويستلبه ملكه ففاوض الطاغية وتحدثوا أن استمكنه من الإجازة إليهم انما هو لقرب مسافة بحر الزقاق وانتظام ثغور المسلمين حوائيه

فان ذلك يسهل عبور شوانبيهم وسفنيهم وان أم تلك الثغور طريف وانهم اذا
استمكنوا منها وملكوها من المسلمين تكون أساطيلهم بحر فها بمرصد أساطيل
المسلمين فتمنع عبورها فاعتزم الطاغية على منازلة طريف ليمتلكها وزعم له
ابن الاحمر مظاهره على ذلك ووعده بالمدد وارسال الميرة لاقوات العسكر أيام
منازلتها ووعده الطاغية أنها تكون لابن الاحمر ان خلصت من أيديهم فأناخ
الطاغية بعساكر النصرانية على طريف وأح عليها بالقتال ونصب الآلات
واحتلت أساطيله ببحر الزقاق فحاولوا بين صريح المسلمين ووصوله الى السلطان
وجمع ابن الاحمر عساكره على طريف وهياها قريبا منه وسرب اليه المدد من
السلاح والرجال والميرة من الاقوات واتصلت هذه الحال أربعة أشهر حتى أصاب
أهل طريف الجهد ونال منهم الحصار غاية المشقة فراسوا الطاغية في الصلح
والنزول عن البلد اصالحهم واستنزلهم ووفى لهم بعهده واستشرف ابن الاحمر أن
الطاغية يسلمه طريف فاحسبها كان الوعد بينهما فأعرض الطاغية عن ذلك
واستأثر بها بهد أن كان ابن الاحمر نزل للطاغية عن ستة من الحصون عوضا عنها
ففسدت ذات بينهما ورجع ابن الاحمر يطلب التمسك بالسلطان ليستعين بها على
الطاغية فأوفد ابن عمه أباسعيد ووزيره أباسلطان الداني في وفد من رجال دولته
على السلطان لتجديد العهد وتقرير المعذرة فوافقوا السلطان فقبلهم وقبل
ما اعتذروا به وأحكموا الصلح ورجعوا لابن الاحمر باسعا في غرضه من المواخاة
وقد ذكرنا فيما تقدم أنه كان جيش لبني مرين مقيما بالاندلس دائما للغز وفقد
الله أن في خلال ذلك توفي قائد الجيش الذي بالاندلس لبني مرين فعقد السلطان
لابنه ولي عهده أبي عامر على ثغور الاندلس التي في طاعته مع النظر في أمر
الجيش الذي بالاندلس وأنفذه الى قصر المجاز بعساكر فوافاه ابن الاحمر هناك
وقدم له هدية وللسلطان هدية أيضا فلتقاه الامير أبو عامر واحتفل في مبرته ثم قدم
ابن الاحمر على السلطان فوافاه بطبخة فبالغ في تكريمته وبسط له ابن الاحمر
العذر في شأن طريف فقبل عذره ونزل له ابن الاحمر عن الجزيرة وورندة

والغربية وعشرين حصان من ثغور الاندلس كانت قبل ذلك لسلطان المغرب
وعاد ابن الاحمر الى الاندلس خاتمة سنة ثنتين وتسعين مجبوا مجبوروا واجازت
عساكر السلطان معه لخصار طريف وعقد السلطان على حربها لوزيره عمر
الخرباش فنازلها مدة فامتنع عليه أخذها فأفرج عنها وهلك الطاغية شانجة سنة
ثلاث وتسعين وستائة واجتمع النصارى على ابنه اذفونش هراندة وحصل قيام
ثأرين من المساميين بتامسان خرجوا عن طاعة السلطان فاعتزم السلطان على
الجهيز والمسير اليهم بنفسه وانتشر بذلك فتنة يطول الكلام بدكرها فسافر
السلطان بجيوشه اليهم وطالت تلك الفتنة الى سنة احدى وسبعمائة ومات ابن
الاحمر في هذه السنة بالاندلس وقام بالامر بعده ابنه محمد المعروف بالملخوع بن
محمد الفقيه بن محمد الشيخ بن يوسف بن نصر وبعث ولده للسلطان بتامسان
فأحكموا الامر والعهد بينهما وكتب السلطان الى رجاله المقيمين بثغور الاندلس
في اعانتهم وأمدهم بالرجال سنة ثنتين وسبعمائة فكانت لهم نكابة في العدو ثم بد الابن
الاحمر محمد المعروف بالملخوع أن يصل يده بالطاغية هراندة بن شانجة فكاتبه
وأحكم عقد السلم بينه وبينه واتصل الخبر بالسلطان وهو محاصر لتامسان فسخطه
واستنفره الصريح فبعث ابنه أباسالم لسد تلك الفرجة وجمع اليه العساكر
واستعد ابن الاحمر لدافعة ابن السلطان فدخل أهل سبتة في خلع السلطان
والقبض على عامله فتم له ذلك فسار أبو سالم بن السلطان بعساكره الى سبتة
وحاصرها مرة ثم يتوه ليله فاختم معسكره فأخرج عنها منجز ما فسخطه السلطان
واعتزم على النهوض لذلك بنفسه الا أنه قد أشرف على فتح تامسان فلم يمكنه
النهوض بنفسه وكانت هذه الفتنة متصلا بعضها ببعض وانجر الامر فيها الى سنة
ست وسبعمائة فقدر الله بمهلك السلطان يوسف وهو محاصر لتامسان طعنه خصي
من عبيده وهو على غفلة بمواطاة وزير من وزراء السلطان ثم صار الاختلاف
الكثير بين اولاده واختلف بنو مر بن فيمن يختارونه للملك منهم وبايعوا به منهم
ثم خلعوه وبايعوا آخر ثم خلعوه وبايعوا آخر من اخوته والكلام على ذلك

طويل لا حاجة بنا الى ذكره و وقعت بينهم مع بعضهم فتنة هائلة واستقر الامر
بينهم الى سنة عشر وسبعمائة فاستقر الملك لاخى السلطان يوسف المطعون
وأخوه الذى استقر الامر له هو أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق وفى
خلال هذه الفتن قتل بالاندلس أبو الجيوش نصر بن محمد الفقيه أخاه محمد المخاوع
ابن محمد الفقيه بن الاحمر وذلك سنة ثمان فثار عليه ابن عمه أبو الوليد اسماعيل بن
فرج الملقب بالرئيس ابن سعيد بن اسماعيل بن يوسف بن نصر وانقطع الملك عن
أولاد محمد الشيخ بن يوسف بن نصر وصار فى أولاد ابن سعيد فرج الرئيس بن
اسماعيل بن يوسف بن نصر لانه لما ثار أبو الوليد على أبى الجيوش صالحه أبو
الجيوش سنة سبع عشرة وسبعمائة على الخرج الى وادى آش فالحق بها وجدد
له بها ملكا الى ان مات سنة ثنتين وعشرين وسبعمائة ودخل أبو الوليد غرناطة
فأصل لنفسه وبنيه ملكا وفى هذه المدة التى فيها هذه الفتن اغتتم الطاغية الفرصة
ونازل الجزيرة الخضراء ثم أفلح عنها على صالح بعد ان أذاقها من الحصار شدة
وبعد نازل جبل الفتح المسمى جبل طارق وتقدم ان طارقا هو أول من فتح
الاندلس وسميه العامة الآن جبل الطارق تغلب عليه الطاغية ونال ذلك سنة
تسع وسبعمائة وتراسل هراندة بن أذفونش مع صاحب برشلونة وأمره أن يشغل
أهل الاندلس من ورائهم فنازل المرية وحاصرها ونصب عليها الآلات وحفر
العدو تحت الارض سر بامقدار ما يسير فيه عشر وراكبا وتفتن المسلمون
لذلك فاحتقروا قبائلهم منسلة الى أن نفذ بعضهم الى بعض فاقتتلوا من تحت
الارض وبعث ابن الاحمر عسكرا مددا لاهل المرية ونبذ عهد الطاغية فقيمهم
جمع للنصارى كان الطاغية جمعهم لحصار مرشانة فهزمهم عسكر ابن الاحمر
واستلحمهم ونزل قريبا من معسكر الطاغية وأقامت عسكر الطاغية على سماتة
واسطبونة وزحفت عسكر بنى مرين المقيمون بالاندلس للجهاد على عسكر
اسطبونة وقتلوا قاتله الفنش وثلاثة آلاف من قومه ودخل بعض عسكر
المسلمين برجين فحاصروهم جوع النصارى فجاء مدد للمسلمين فانفض

النصارى المحاصرون له وكان الطاغية بظاهر الجزيرة فارتحل يريد لقاء مدد
للمسلمين فخالف أهل البلد إلى معسكره وانتهبوا محلاته وفساطيطه وصار
للمسلمين الكوة وامتلات أيديهم من غنائمهم وأسراهم ثم هلك الطاغية أثناء هذه
الجزء ثم سنة ثنتي عشرة وسبع مائة وهو هراندة بن شائجة وولي بعده ابنه المنشة
وكان طفلا صغيرا جعلوا به تحت نظر عمه دون بطرة بن شائجة مع زعيم للنصارى
اسمه جوان فكفلاه واستقام أمرهم على ذلك وشغل السلطان أبو سعيد عثمان
ابن يعقوب بن عبيد الحق ملك المغرب بشأن ابنه على فإنه خرج على أبيه وكان
بينهما ما يطول ذكره فاغتنم النصارى الفرصة وقوى أمرهم بالاندلس
فزحفوا على غرناطة كرسى سلطنة ابن الأحمر سنة ثمان عشرة وسبع مائة
وأناخوا عليها بعسكرهم وأممهم فبعث أهل الاندلس صريخهم إلى السلطان
أبي سعيد وهو في شغله فيما كان بينه وبين ابنه وكان بالاندلس كما تقدم جيش لبني
مرين جعلوا مقيما دائما بالاندلس لقصد الجهاد ودفع العدو وكان الرئيس على
أولئك المجاهدين عثمان بن أبي العلاء ادريس بن عبد الله بن عبد الحق المريني فلما
جاء صريح أهل الاندلس للسلطان أبي سعيد اعتذر إليهم السلطان بسبب ما هو
مشغول به من أمر ابنه واعتذر إليهم أيضا بوجود عثمان بن أبي العلاء رئيس
الجيش بالاندلس وكان له قوة ورياسة وكان السلطان يخشى منه التغلب على
السلطنة فتفرق كلمة بني مرين فشرط عليهم أن يقبضوا على عثمان بن أبي العلاء
و يدفعوه إليه برمته فيبقى عنده ويبعث إليهم من يقوم بتدبير جيوش بني مرين
بالاندلس مع ما يمكنه من ارسال العساكر ثم إذا تم الجهاد بعد ابن أبي العلاء إليهم
احتياطاً على المسلمين لئلا تفرق الكلمة فلم يمكنهم ذلك لقوة رياسة عثمان بن أبي
العلاء بعصابته من قومه فاخفق سعي هؤلاء المستصرخين بالسلطان ولم تحصل لهم
تجدة منه وأطالت أمم النصرانية الحصار على غرناطة وأكثروا الجيوش وطمعوا
في تملكها ثم إن الله تعالى نفس محنتهم ودافع بيد قدرته كما استراه مذكوراً حالاً في
هذه الغزوة العظمى ﴿ غزوة عظيمة ﴾
لما أراد الله حصول النصر والفرج للمسلمين الذين حاصروهم العدو بغرناطة سنة

ثمان عشرة وسبع مائة وفق الله شيخ الغزاة من بني مرين المقيمين بالاندلس للجهاد
وهو عثمان بن أبي العلاء المتقدم ذكره حتى كان النصر بسببه واعانته فكانت
هذه من الغرائب والعجائب بل هي من أعظم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
في نصرته الله لامته والقصة طويلة وملخصها أن النصارى عزموا في ذلك العام
على استئصال المسلمين واخراجهم من الاندلس بحيث لا يبقى شيء من الاندلس
تحت يد المسلمين فتجهزوا والغزوة غرناطة التي فيها أبو الوليد اسماعيل بن الاحمر
وأتابها الطاغية دون بطرقة في جيش لا يحصى ومعه خمسة وعشرون ملكاً من
ملوك الفرنج وكان النصارى وملوكهم قبل ذلك رحلوا إلى من يرجعون إليه في
دينهم وهو البابا صاحب رومة فدخّل ملكهم دون بطرقة صاحب طليطلة على
البابا وسجد له وتضرع وطلب منه استئصال من أبقى من المسلمين بالاندلس وأكد
عزمه فقلق المسلمون بغرناطة وغيرها وعزموا على الاستنجاد بالسلطان أبي
سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني صاحب فاس ومراكش وأنفذوا
إليه رسلاً فاعتذر إليهم كما تقدم بيانه فرجعوا إلى أعظم الأدوية وهو الالتجاء إلى
الله تعالى وأخلصوا النيات مع حصول غاية الاضطرار وأقبلوا إلى الفرنج في جموع
لا تحصى فقتل ناصر من لناصر له سواه بهزيمة جيش النصرانية وقتل طاغيتهم
دون بطرقة ومن معه وكان نصر اعز يزاور يوم مشهوراً ومشهوراً وكان سلطان
الاندلس اذذاك الغالب بالله أبو الوليد اسماعيل بن الرئيس أبي سعيد فرج بن
اسماعيل بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر وشيخ الغزاة المقيم بالاندلس من
بني مرين الشيخ العالم أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء ادريس بن عبد الله بن عبد
الحق المريني فاجتهد ابن الاحمر في تحصين البلاد والنفوس فلما بلغ النصارى ذلك
التحصين عزموا على منازلة الجزيرة الخضراء فانتدب ابن الاحمر لردهم وجهز
الأساطيل والرجال فلما رأوا ذلك عزموا على استئصال المسلمين وتوجهوا إلى
طليطلة ليكملوا التأهب بذلك فأعدوا غابة الأهبة ووصلت الانتقال والمجانيق
وآلات الحصار والأقوات والمرابرة وصل العدو إلى غرناطة كرسى ملك ابن

الاجر وامتلاّت الارض بهم فتقدم ابن الاحمر الى شيخ الغزاة أبي سعيد عثمان بن
أبي العلاء وسأله الخروج للجهاد وانجاد المسلمين بمن معه من الغزاة والشجعان
فخرج اليهم يوم الخميس الموفى عشرين من ربيع الأول سنة تسع عشرة وسبعمائة
ولما كانت ليلة الاحد أغارت سرية من العدو على سرية من المسلمين فخرج
اليهم جماعة من فرسان الاندلس الرماة فقطعوهم من الجيش وفرت تلك السرية
أمامهم الى جهة سلطانهم فتبعهم المسلمون الى الصبح فاستأصلوهم فكان هذا أول
النصر ولما كان يوم الأحد ركب شيخ الغزاة لقتال العدو في خمسة آلاف من
أبطال المسلمين المشهورين فلما شاهدتهم الفرنج عجبوا من إقدامهم مع قتلهم في
تلك الجيوش العظيمة فركب النصارى بجملتهم وحملوا عليهم فقاتلهم المسلمون
أشد القتال وهزم الله الفرنج أقع هزيمة وأخذتهم السيوف وتبعهم المسلمون
يقتلون ويأسرون ثلاثة أيام وقتل الله دون بطرة ملك النصارى وقتلوا الملوك
الخسة والعشرين الذين كانوا معه جميعهم وخرج أهل غرناطة لجمع الأموال وأخذ
الأسرى فاستولوا على أموال عظيمة منها من الذهب ثلاثة وأربعون فنطارا ومن
الفضة مائة وأربعون فنطارا ومن السبي سبعة آلاف وكان من جملة السبي امرأة
الطاغية وأولاده فبذلت في نفسها مدينة طريف وجبل الفتح وثمانية عشر حصنا
فلم يقبل المسلمون ذلك وزادت عدة القتلى من النصارى في هذه الغزوة على
خمين ألفا يقال انه هلك منهم بالوادي مثل هذا العدد لعدم معرفتهم بالطرق
وأما الذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون واستقر البيع في الأسرى
والاسباب والدواب ستة أشهر ووردت البشائر بهذا النصر الى سائر البلاد ومن
العجب أنه لم يقتل من المسلمين والاجناد سوى ثلاثة عشر فارسا وقيس عشرة
أنفس وكان عسكر المسلمين خمسة آلاف وخمسمائة منهم ألف وخمسمائة فارس
وأربعة آلاف رجالة وكانت الغنمية تفوق الوصف وسلخ الطاغية دون بطرة
وحشى جلده فطننا وعلقى على باب غرناطة وبقى معلقا سنوات وطلب النصارى
الهدنة فعدت لهم وكانت هذه الغزوة سنة تسع عشرة وسبعمائة وكانت وفاة شيخ

الغزاة عثمان بن أبي العلاء سنة ثلاثين وسبعمائة وعمره ثمان وثمانون سنة واستوفى في المشهور سبعمائة واثنتين وثلاثين غزوة رحمه الله تعالى ورضي عنه وكتبوا على قبره ترجمة طويلة تدل على علو شأنه في العلم والعمل والاخلاص في الجهاد وكانت وفاة ابن الأحمر سنة سبع وعشرين وسبعمائة وولي بعده ابنه أبو الحجاج يوسف وتوفي السلطان عثمان المريني سنة احدى وثلاثين وسبعمائة وولي بعده ابنه أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني

﴿ ذكر استخلاص جبل الفتح من النصارى ﴾

قد تقدم أن الطاغية تملك جبل الفتح سنة تسع وسبعمائة وكان هذا الجبل للمسلمين من أحسن الثغور وكان شعبا في حلق العدو وهو فاصل بين افريقية والاندلس فأهم المسلمين شأنه وكان ابن الأحمر قدم على السلطان في سنة اثنتين وثلاثين فأكرم مقدمه وأركب المسلمين للقاءه وبالغ في إكرامه فتدا كرمه في شأن استخلاص الجبل المذكور فاتفقا على التجهيز لاستخلاصه فأمر السلطان أبو الحسن بالتجهيز لاستخلاصه وعقد لابنه الأمير أبي مالك على جيش من بني مرين وأنفذه مع ابن الأحمر لمنازلة الجبل فاحتل بالجزيرة وتتابع اليه الاسطول بالمدد وأرسل ابن الأحمر حاشرين في الاندلس يجمعون الناس ويستنفرونهم لذلك فتسايلوا اليه واجتمع معسكرهم جميعا بساحة جبل الفتح وأبلوا في حربه ومنازلته ببلاء حسنا الى أن تغلبوا عليه وملكوه سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة وافتتحه المسلمون عنوة وقتلوا من كان به من النصرانية وغنموا ما كان معهم ووافاهم الطاغية ومعه أم كثيرة مددا لقومه بعد مضي ثلاثة أيام من الفتح وقد شعنه المسلمون بالاقوات ونقلوها من الجزيرة على خيولهم ولما وصل الطاغية أناخ بجيوشه عليه وبرز أبو مالك بمساركه فنزل بجندائه ونزل أيضا عسكر الاندلس بجنداء الطاغية ونحمن العدو في محنتهم فبادر ابن الأحمر الى لقاء الطاغية وسبق الناس الى فسطاطة وتلقاه الملائكة راجلا حامرا اعظاما له فسأله ابن الأحمر الافراح عن هذا المعقل فرأى الطاغية أن تملكه الجبل وانزاعه من

المسلمين شديد عسر عليه فأجاب ابن الاحمر الى ما سأل وأنحفه بذخائر مما لديه
وارتحل لغوره وأخذ الامير أبو مالك في تثقيف أطراف الثغر وسد فرجه وأنزل
الحامية به ونقل الاقوات وكان هذا الفتح فتح اطوق دولة السلطان أبي الحسن
فلادة الفخر طول الدهر وكانت مدة منازلة المسلمين الى أن ملكوه ستة أشهر ثم
أراد السلطان أبو الحسن أن يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته
حتى لا يطمع العدو في منازلته ولا يجدر طريقا للتضييق عليه عند محاصرته ورأى
الناس ذلك من المحال فأنفق السلطان كثيرا من الأموال وأرضى العمال حتى بنى
سورا حاطة بمجموعه احاطة الهللة بالهلل ثم زاد في التعصين بعده ابنه أبو عنان
﴿ ذكر غزوة للسلطان أبي الحسن الى الاندلس ﴾

كان السلطان أبو الحسن بعد استيلائه على جبل الفتح اشتغل بقتال جماعة ناضرين
عليه بتامسان واستقر ذلك الى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة فرجعوا الى طاعته
فتوجهت همته بعد ذلك لغزو النصراني بالاندلس فقصد أولا ولاية ابنه أبي مالك
على ثغور عمله بالاندلس وصرفه اليها وكان الطاغية مدة اشتغال السلطان بقتال
أهل تامسان قد اعترز على المسلمين ونازل السلطان أبا الوليد بن الاحمر بفرناطة
مرارا ووضع عليه جزية فتقبلها العدم قدرته على دفاعه وأقبل الطاغية على النهام
المسلمين بالاندلس فلما فرغ السلطان أبو الحسن من شأن أهل تامسان دعته
نفسه الى الجهاد فأوغر الى ابنه الأمير أبي مالك أمير الثغور سنة أربعين بالدخول
الى دار الحرب وجهاز اليه عساكر كثيرة ثم شخص بنفسه غازيا فتوغل في بلاد
الطاغية واكتسبها وأكثرت القتل والسبي وغنم عساكره غنائم كثيرة فلما شرع
في الرجوع عن أرضهم اتصل به الخبر بأن النصراني جمعوا له وأجدوا السير في
اتباعه فأشار عليه وزراره بالخروج من أرضهم وان يصير الى مدن المسلمين
ويتحصن بها فامتنع من الرجوع وكان قريانا تابئا الا أنه غير بصير بالحروب لصغر
سنه فصحبهم عساكر النصرانية في مدينتهم قبل أن يركبوا وأدركوا الأمير أبا
مالك قبل أن يركب على فرسه فقتلوه وكتب الله له الشهادة وقتلوا كثيرا من قومه

واحتوا على عسكره بما فيه من الاموال ورجعوا على أعقابهم واتصل الخبر
بالسلطان أبي الحسن ففجع لهلاك ابنه واسترجع واسترحم له واحتسب عند الله
أجره وشرع في اجازة العساكر للجهاد وتجهيز الاساطيل وفتح ديوان العطاء
وعرض الجند وأزاح عنهم واستنفر أهل المغرب وارتمحل الى سبته ليبانثر
أحوال الجهاد فتسامعت أمم النصرانية بذلك فاستعدوا للدفاع وأخرج الطاغية
أسطولها الى الموضع المعروف عندهم بالزقاق ليمنع السلطان من الاجازة واستحث
السلطان أساطيل المسلمين من مراسى العدو وبعث الى ملوك بني حفص
بأفريقية بتجهيز أسطولهم اليه فبعثوا اليه عشرين أسطولا مشعونة بالعساكر
وتوافت أساطيل المسلمين بسبته تناهز المائة فناجزوا أسطول النصارى التي
بالزقاق وزحفوا عليهم وتوافقوا مليا ثم قربوا الاساطيل بعضها الى بعض
وقربوها للمصافى فلم يمس الا قليل حتى هبت ريح النصر وأظفر الله المسلمين
بعدهم وخالطوهم في أساطيلهم واستلحموهم ضربا بالسيوف وطعن بالرمح
وألقوا أسلامهم باليم وقتلوا قائدهم واستاقوا أساطيلهم الى مراسى سبته استولى
المسلمون عليها فبرز الناس لمشاهدتها وطيف بكثير من رؤس العدو في جوانب
البلد ونظمت اصفاد الاسرى بدار الانشاء وعظم الفتح وجلس السلطان أبو
الحسن للتهنئة وأنشدت الشعراء القصائد بين يديه وكان يوم من أعز الأيام والله
الحميد والمتمم ثم شرع السلطان في اجازة من عنده من العساكر الغزاة والمتطوعة
والمرتزقة ولما استكمل اجازة العساكر أجاز هو في أسطوله مع خاصته وحشمه
آخر سنة أربعين ونزل بساحة طريف وأما بعساكره عليها وهي بيد النصارى
وأحاط عسكره بفنائها ووافاه سلطان الاندلس ابن الأحمر بعسكر الاندلس
وأحاط الجميع بطريف نطاقا واحدا ونصبوا عليها الآلات وجهاز الطاغية أسطولا
آخر اعترض به الزقاق لقطع المرافق عن العسكر وطال حصارهم للبلد ففتيت
أزودتهم واقتقدوا العلوفات واختلت أحوال العسكر واحتشد الطاغية أمم
النصرانية وأعانته البرتقال صاحب اشبونة وغرب الاندلس فجاء معه في قومه

وزحف على المسلمين لستة أشهر من منازلهم ولما قرب معسكرهم أرسلوا قطعة
من جيش النصارى الى طريف فدخلوها ليلا على غفلة من العسس وأحسوا
بهم آخر الليل فنارواهم من مراصدهم وأدركوا أعقابهم قبل دخول البلد
فقتلوا منهم عددا ولبسوا على السلطان وقالوا له لم يدخل البلد سواهم حذر امن
سطوته وزحف الطاغية من الغد في جموعه وعبي السلطان مواكب المسلمين
صفوا فارتزأخفوا ولما شب القتال كان للعدو جيش كبير فبرز وخالفوهم الى
معسكر السلطان وعمدوا الى فسطاط السلطان ودفعه عنهم من كان عند
الفسطاط للحراسة فاستلحموهم وقتلوهم وكان مع السلطان في هذه بعض
نساءه فوصل هؤلاء المهاجرون الى النساء فدافع النساء عن أنفسهن فقتلوهن
وخلصوا الى حنانيا السلطان عائشة بنت عمه أبي يحيى بن يعقوب وفاطمة
بنت سلطان افر يقية أبي يحيى الحفصى وغيرهن من حظاياهن فقتلوهن عن
آخرهن واستلبوهم وانتهبوا أسائر الفسطاط وأضرموا المعسكر نارا
وأحس المسلمون الذين بقا بقايا الكفار بما وراءهم في معسكرهم فاقتل
مصافهم وارتدوا على أقدامهم بعد أن كان ابن السلطان هجم في طائفة من قومه
حتى خالط التكفار في صفوفهم فأحاطوا به وقبضوا عليه وولى السلطان متعبزا
الى فئة المسلمين واستشهد كثير من الغزاة ووصل الطاغية بنفسه الى فسطاط
السلطان أبي الحسن وأنكر على قومه قتل النساء والولدان ووقف منه لمنهى
أثره ثم انكفأ راجعا الى بلاده ولحق ابن الاحرر بفرناطة كرسى ملكه وخلص
السلطان الى الجزيرة ثم الى الجبل ثم ركب الى سبته ومحض الله المسلمين وأجزل
ثوابهم ولما رجع الطاغية من طريف استأسد أى صار كالأسد على المسلمين
بالاندلس وطمع في التهامهم وجمع عساكر النصرانية ونازل قلعة بنى سعيد ثغر
غرناطة على مرحلة منها وجمع الآلات والأيدي على حصارها واشتد مخنقها
وأصابهم الجهد من العطش فنزلوا على حكمه وذلك سنة اثنتين وأربعمائة
وانصرف الى بلاده وأما السلطان أبو الحسن فإنه لما أجاز الى سبته ألزم نفسه

بالعود الى الجهاد وذهب الى فاس وبعث في الامصار للاستنفار وأخرج قواده
الى سواحل البحر لتجهيز الاساطيل حتى اكفل منها عدة وافرة ثم ارتحل الى
سبتة لمشارفتها وقدم عساكره الى العدة مع وزيره وبعث الى الجزيرة بعض
أقارب الوزير وبعث اليهم مددا وبلغ الطاغية الخبر فجهز أسطولها وأجراه الى
بحر الزقاق للدفاع وتلاقت الاساطيل ومحض الله المسلمين واستشهد منهم أعداد
وتغلب أسطول الطاغية على بحر الزقاق وملكوا دور المسلمين وأقبل الطاغية
من اشبيلية في عساكر النصرانية حتى أناخ بها على الجزيرة الخضراء مرفأ
أساطيل المسلمين وأمل أن ينظمها في مملكته مع جاراتها طريف وحشر الفعلة
والصناع بالآلات وجمع الأيدي عليها وطاولها الحصار واتخذ أهل العسكر بيوتا
من الخشب للمطاوله وجاء السلطان أبو الحجاج بن الأحمر بعساكر الاندلس
فتزل قبالة الطاغية بظاهر جبل الفتح على سبيل الممانعة وأقام السلطان أبو الحسن
بمكانه من سبتة ليمتد المدد من الفرسان والمال والميرة فلم يفهم ذلك شيئا واشتد
الحصار عليهم وأصابهم الجهد وأجاز اليه السلطان بن الأحمر ليفاوضه في شأن السلم
مع الطاغية بعد اذن الطاغية له في الجواز مكرابه وترصد له بعض الاساطيل في
طريقه فصدقهم المسلمون القتال وخلصوا الى الساحل بعد غص الريق وضافت
أحوال الجزيرة ومن كان بها من عساكر السلطان وسألو امن الطاغية الامان
على أن ينزلوا عن البلد قبل الامان لهم وخرجوا فوفى لهم وأجازوا الى المغرب
وذلك سنة ثلاث وأربعين فأنزلهم السلطان أبو الحسن ببلاده على خير نزل ولقاهم
من الميرة والكرامة ما أعاضهم عما فاتهم وخلع عليهم وأجازهم بجوائز سنوية لا يزال
الناس يتحدثون بها وانكفأ السلطان الى حضرته موقنا بظهور أمر الله وانجاز
وعده في رجوع الكفرة وعلو الدين والله متم نوره ولو كره الكافرون ثم نار
على أبي الحسن ناثرون بالمغرب وتوالفت فتن كثيرة الى أن توفي سنة اثنتين وخمسين
وسبع مائة وولى بعده ابنه أبو عنان ونار بينه وبين اخوته فتن كثيرة وأما سلطان
الاندلس أبو الحجاج بن الأحمر فقتل في الصلاة يوم عيد الفطر طعنه أسود

مدسوس عليه وولى بعده ابنه محمد الغنى بالله وذلك سنة خمس وخمسين وسبع مائة ثم
خلع سنة ستين ثم أعيد سنة ثلاث وستين والكلام على ذلك طويل لا حاجة لنا
بذكره واستمر في ملكه الى أن توفي سنة ثلاث وتسعين وسبع مائة وكان قد قوى
ملكه وساطتانه بعد رجوعه الى ملكه سنة ثلاث وستين حتى صار ملك المغرب
وسلطان بني مرين تحت أمره ووقع في هذه السنين فتن بالاندلس بين النصارى
مع بعضهم وذلك أن الهنش ملك النصارى هلك سنة احدى وخمسين وسبع مائة
وولى بعده ابنه بطرقة ونارت فتن وحروب بينه وبين اخوته واتهمز الفرصة ابن
الاحمر وجمع جيوش المسلمين للجهاد ودخل بعساكر المسلمين فأخذ في أرض
النصرانية وخرّب معاقلهم ومدنهم ثم رجع الى غرناطة وذلك سنة سبع وستين
وسبع مائة ثم تشوف المسلمون الى ارنجاء الجزيرة الخضراء الى المسلمين فتراسل
ابن الاحمر مع ملك مراکش وفاس وكان السلطان حينئذ السلطان عبدالعزيز
ابن السلطان أبي الحسن واتفقا على أن ابن الاحمر يزحف بعساكره وملك المغرب
يمده بالمال والاساطيل لغزة جمع العسكر عليه لما كان فيه من الفتن فأوغر صاحب
المغرب الى أساطيله فعمرت وسارت وبعث بمال كثير وذخائر وزحف ابن الاحمر
بعساكره واستعدت الآلات للحصار فنار لها أياما فلائيل فأيقن النصارى بالهلكة
لبعدهم عن الصريح وياسهم من مدد ملوكهم فألقوا باليد وسألوا النزول على
حكم السلم فأجابهم السلطان ابن الاحمر اليه ونزلوا عن البلد وأقيمت فيه شعائر
الاسلام ومراسمه ومحبت منه كلمة الكفر ومعالمه وكان ذلك في سنة سبعين
وولى عليها ابن الاحمر من قبله ولم نزل تحت نظره الى أن تمحض له النظر في
هدمها خشية استيلاء النصرانية عليها فهست سنة ثمان وسبع مائة وأصبحت
خاوية كأن لم تغن بالأمس والبقاء لله وحده وتوفي الغنى بالله محمد بن أبي
الحجاج يوسف بن الاحمر سلطان الاندلس سنة ثلاث وتسعين وسبع مائة وولى
ابنه يوسف ونوالت فتن كثيرة فقصد الافرنج البرتغال مدينة سبتة سنة أربع
عشرة وثمان مائة في مراكب كثيرة فقاتلهم أهلها ثم تغلب عليهم الفرنج فلكوها

و بقيت معهم نحو مائتين وخمسين سنة ثم انتزعها الاسبانبول منهم ثم توالت فتن
بين بني الاحمر مع بعضهم في الاندلس وجرت أمور يطول الكلام بشرحها وآل
الامر فيها الى خروج ملك الاندلس عن أيدي المسلمين فأخذ العدو مائة سنة
ثلاث وتسعين وثمانمائة وأخذوا غرناطة سنة سبع وثمانين وثمانمائة وانقرض
ملك بني مر بن سنة تسعين وثمانمائة وانتقل الملك لوزراءهم بني وطاس ثم منهم
للاشراف السعديين والكلام على ذلك طويل ولما حاصر العدو غرناطة أصاب
المسلمون وقت حصار العدو لهم بهاشدة الجوع وتفاقت عليهم الخطوب فكاتبوا
العدو في الصلح واشترطوا شرطا وعقدوا واثقوا ومكنوا العدو من غرناطة
وكانت الشروط سبعة وستين شرطاً منها تأمين الصغير والكبير في النفس
والاهل والمال ومنها ابقاء الناس وأما كههم ودورهم ووربايعهم وعقاربهم ومنها إقامة
شريعتهم على ما كانت ولا يحكم على أحد منهم الا بشريعتهم ومنها أن تبقى المساجد
كما كانت والاقواف كذلك وأن لا يدخل النصارى دار مسلم وأن لا يفسبوا أحدا
وأن لا يتولى على المسلمين في الاحكام نصراني ولا يهودي وأن يفك من كان
أسيرا منهم ومنها أن من أراد الجواز الى المغرب لا يمنع ولا يؤاخذ من قتل أحدا من
النصارى أيام الحرب الى غير ذلك من بقية الشروط ثم ان النصارى نقضوا تلك
الشروط شيئا فشيئا ونكثوا عروءة عروءة الى أن آل الامر الى حملهم المسلمين
على التنصر حتى صاروا يقولون لبعض المسلمين ان جددك ما كان نصرانيا
فأسلم في زمن كذا فلا بد أن ترجع نصرانيا كما كان أجدادك السابقون فلما
فحش هذا الامر قام جماعة من المسلمين كانوا بموضع يقال له البيازين فقتلوا
النصارى الذين كانوا عندهم فخرج الامر من سلطانهم بقتل المسلمين الامن
تنصرفه فانه ينجو من القتل فتنصر خلق كثير في البادية والحاضرة وامتنع قوم
من التنصر واعتزلوا النصارى واجتمعوا في بعض القرى متحصنين بها فجمع
لهم العدو الجوع واستأصلهم عن آخرهم قتلوا وسبوا وبقى جماعة من المسلمين
صعدوا اجبالا واحتموا فيه وقتلهم العدو فقتلوا من العدو خلقا كثيرا فأخرجوا

على الامان الى فاس بعيالهم وماخف من أموالهم ثم بعد هذا كله كان من أظهر
التنصر من المسلمين ولم يكن منتصرا في الباطن يعبد الله في خفية ويصلي فشد
عليهم النصارى في البحث حتى انهم أحرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك ومنعواهم من حمل
السكينة الضعيفة فضلا عن غيرها من الحديد وقام المسلمون الذين تحصنوا في
بعض الجبال على النصارى مرارا ثم تغلب النصارى عليهم ولم يقيض الله لهم ناصرا
الى أن كان آخر وقت أخرجهم النصارى فيه سنة ألف وعشر فخرج ألوف من
المسلمين الى فاس وألوف الى تلمسان ووهران وجمهورهم خرج الى تونس
وتسلط على كثير منهم الاعراب ومن لا يخشى الله ونهبوا أموالهم في البوادي
والطرق وأكثروا النهب والاخذ وقع على الذين ذهبوا الى تلمسان وفاس وأما
الذين ذهبوا الى تونس فأكثرهم سلم من ذلك وقد عمر هؤلاء الخارجون من
الاندلس كثيرا من القرى الخالية في تلك المواضع التي ذهبوا اليها ومنهم جماعة
بسلاوطاون والجزائر واستخدم سلطان المغرب منهم عسكريا جرارا ووصل
جماعة منهم الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام وغيرها لأنهم كانوا
عددا كثيرا لا يحصيهم الا الله تعالى والله وارث الارض ومن عليها وهو خير
الوارثين قال في نفح الطيب والسلطان الذي أخذت منه غرناطة آخر سلاطين
بنى الاحمر الذي انقضت بانقراض دولته مملكة الاسلام بالاندلس ومحييت
رسومها هو السلطان أبو عبد الله محمد بن السلطان أبي الحسن ابن السلطان سعد
ابن الامير على ابن السلطان يوسف بن السلطان الغنى بالله محمد واسطة عقدهم
والمشيد مبانيهم الانيقة وسلطان دولتهم على الحقيقة ابن السلطان أبي الحجاج
يوسف ابن السلطان اسماعيل ابن الرئيس أبي سعيد فرج بن اسماعيل بن نصر بن
فيس النصارى الخزر جى رحيم الله جميعا وانتهى السلطان المذكور الى
مدينة فاس بأهله وأولاده معتدرا عما أسلفه متلفا على ما خلفه وبنى بفاس قصورا
قال في نفح الطيب وعهدى بذريته بفاس الى الآن سنة سبع وثلاثين وألف
يأخذون من أموال الفقراء والمساكين ويمدون من جملة الشكاذين ولا حول

ولا قوة الا بالله العلي العظيم هذا خلاصة ما كان بالاندلس بغاية الاختصار ولترجع
الى انمام الكلام على ما كان بالديار الشامية وغيرها وليكن الابتداء بذكر حرب
الصليب * ذكر ابتداء الحروب الصليبية *

اعلم ان المسلمين منذ افتتحوا الشام في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي
الله عنه انما كان قتلهم في تلك الأراضى مع الروم ملوك القسطنطينية ثم صار
من الخلفاء والامراء الاسلامية غزوات وفتوحات كثيرة افتتحوا فيها كثيرا من
ممالك الروم وتقدم بيان ذلك ثم لما كان آخر القرن الخامس وظهر الضعف في
الخلفاء العباسيين واستولى على مصر وبعض الشام الخلفاء العبيديون وتغلب
على كثير من الممالك الاسلامية العمال الذين فيها طمع في ممالك الشام الا فرنج الذين
نشأت لهم دول في أوروبا وبعدهم الملوك الرومانية فتجمعت جوع من الا فرنج
ملوك أوروبا وساروا لتلك الممالك الاسلامية التي في الشام وأعمالها وكان ذلك
سنة أربع مائة وتسعين هجرية * وكان من أسباب قيامهم وهيجانهم لتلك الحروب
أن رجلا منهم اسمه بطرس الناسك نزل هرب وانفرد عن أهله سائحا متسكا فرار
بيت المقدس وأخذته الحمية في استخلاص تلك الاماكن من أيادي المسلمين فلما
رجع الى بلاد ايطاليا اجتمع مع البابا وخطبه في ذلك فوافقه البابا على استعمار
أفكاره ومواقفهم وعزم في الحال على اتخاذ الأسباب والوسائل المقتضية
لانمام هذا المشروع فأمر بطرس أن يجول في أقطار البلاد مناديا ومبشرا
للسعوب بانقاذ النصارى واستخلاص تلك الاراضى من أيادي المسلمين فأخذ
بطرس يجول من مكان الى آخر منذرا ومحركا قلوب الناس للاشتراك في هذا
العمل فاجتاز من ايطاليا الى فرنسا ثم سار الى أكثر ممالك أوروبا وزار عابدين
الجميع هذه الافكار مبهجا ياهم للنهوض والقيام وفي أثناء ذلك عقد البابا عدة
مجامع في ايطاليا وفرنسا وطرح فيها هذه المسئلة أمام الجمهور الحاضر من منتهضا
همتهم للبيادرة والاستعداد في هذا المشروع وعو جعل للرعايا القائلين بذلك انعامات
ورفع عنهم كثيرا من الضرائب والخراجات فنهض أحد الاساقفة وطلب من البابا

مقدمة الحروب الصليبية وأسبابها

أن يكون أول من يجاهد في هذا السبيل فسلمه البابا راية الصليب فتبعه جملة من رؤساء الدين ومن عامة الناس ورسموا جميعا على صدورهم صورة الصليب بلون أحمر وجعلوا هذه العلامة على الأسلحة والألوية والرايات والبنود ومن ذلك الوقت سموا الصليبيين ودعيت حروبهم بالحروب الصليبية وإذا أراد الله ظهور أمره بأسبابه فظهر لهم أمور وأسباب قوى بها عزمهم على ما أرادوا فمن ذلك ما ذكره بعض مؤرخيهم أنه في أثناء المناداة بهذه الحروب وتجهيز الناس للدخول فيها ظهر لهم جملة من العجائب في السماء والأرض منها تساقط بعض النجوم من السماء على الأرض وظهر بانتقالها علامة حمراء دموية في جانب الأفق وظهر لهم عمود نارى على شكل حربة ذات حديد بقرب الشمس وشوهد في الجوف صورة مدن وعساكر وخيول وأسلحة وفرسان مرسومة بالصليبان ومنها أنه كان يرى في مدة ستة أيام متوالية على أبواب المسيحية صليبان من نور مطبوع على ملابسهم بطريفة عجيبة بحيث لا يمكن لاحد ان يمحوها بالماء ولا بالنار فهذه المرأتى التي كانت تتراءى لهم شددت عزائمهم وجعلتهم لا يتوقفون عن السفر وكانوا يستعدون من يوم الى يوم حتى بلغ عددهم ثلاثمائة ألف مقاتل وكان الملك الكبير منهم المتقدم في قيادة جيوشهم يسمى ريدويل وكان بينه وبين صاحب صقلية مصاهرة وصداقه فأراد ان يكون مرور جيوشهم على افريقية فيملكوها ثم يسيرون منها الى الشام فأرسل الى صاحب صقلية يقول له قد جمعت جمعا كثيرة وأنا واصل اليك وسأتر من عندك الى افريقية أقتصها وأكون مجاورا لك فجمع صاحب صقلية أصحابه واستشارهم في ذلك فقالوا وحق الانجيل هذا جيد لنا ولهم ونصح البلاد كلها بالبلاد النصرانية فرفع رجليه لهم وشرط شرط عظيمة وقال وحق دينى هذه خبر من كلامكم قالوا وكيف ذلك قال اذا وصلوا الى أحتاج الى كلفة كثيرة ومراكب نحملهم الى افريقية وعساكر من عندي أيضا فان فتحو البلاد كانت لهم وصارت المؤمنة لهم من صقلية وينقطع عنى ما يصل من المال من ثمن الغلات كل سنة وان يفتحوها رجعوا الى بلادى

ولنرجع
كحرب

ب رضى

ثم صار

كثيرا من

ضعف في

وتغلب

بج الدين

الافرنج

ان ذلك

الحروب

كافزار

لمين فلما

تعمسان

لمقتضية

ومبشرا

فأخذ

هذا

وعاين

بابا عدة

منتهضا

انعامات

من البابا

وتأذيت بهم ويقول نعيم أمير افر يقية غدرت بي ونقضت ما بيني وبينك من العهد
وتقطع الوصلة والاسفار بيننا مع أن بلاد افر يقية باقية لنا متى وجدنا قوة
أخذناها وأحضر رسول بردوبيل وقال له اذا عزمتم على جهاد المسلمين فأفضل
ذلك فتح بيت المقدس نخلصونه من أيديهم ويكون لكم الفخر وأما افر يقية فيبني
وبين أهلها عهد وأيمان لا يمكنني نقضها فاما لم يمكنهم صاحب صقلية من المرور عليه
عزموا على التوجه الى الشام من طريق القسطنطينية فنعهم ملك الروم من
الاجتياز ببلاده الا بشرط أنهم يحلفون له أنهم يسلمون له انطاكية اذا ملكوها
وكان يظن أنهم لا يقدر وون على تملك البلاد الشامية لما فيها من جنود الاسلام وهو
يريد هلاك الافرنج خوفا من أنهم يتغلبون عليه لانه يرى قوتهم تزيد كلما مضى
زمن من الازمان فلما اشترط عليهم أن يعطوه انطاكية اذا ملكوها أجابوه الى
ذلك وقبلوا شرطه وعبروا الخاليج عند القسطنطينية طالبين القسطنطينية
ليجتمعوا فيها وكانوا أجناسا عديدة وفرقا كثيرة من الايطاليين والفرنساويين
وغيرهم من سكان أوروبا وكان بطرس الناسك المتقدم ذكره متوشعا بثوبه
الرهباني قائدا للفرقة الأولى منهم فسار بهم على طريق ألمانيا وهنكاريا وبلغاريا
فكانوا ينهبون ويحطفون من سكان المدن والسواحل وهم سائرون فوثب
عليهم الأهالي وقتلوهم وقتلوا منهم عددا كثيرا وبعد أن قاسوا أهوالا شديدة
انتهوا الى القسطنطينية فأذن لهم ملكها ان يقيموا في المدينة الى ان يحضر
رفقاؤهم ثم نقلهم ملك القسطنطينية في مراكبه الى سواحل آسيا فلما انتهوا
اليها التقنهم عساكر الاسلام في نواحي قونية وكانت تلك العساكر لملوك
السلجوقية الذين كانت ممالكهم في الروم وأحاطوا بهم وقتلوهم قتلا شديدا
فاستظهر المسلمون عليهم وتمكنوا منهم واستولوا على مضاربهم وذخائرهم فلم ينج
منهم الا القليل فهكذا كانت نهاية الواقعة الأولى * وأما بطرس الناسك فكان
قد رجع الى القسطنطينية قبل حدوث هذه الواقعة متنكيا من عدم انتظام
الصليبيين وعدم طاعتهم وانقيادهم لرؤسائهم ولكن لما بلغت هذه الاخبار المحزنة

أقسم بأنه لا يرجع قط عن عزمه حتى يشاهد حر باصليبيانانيا

ذ كرتلك الفرنج قونية وانطاكية

قد تقدم ان الروم كانوا قد استولوا على انطاكية سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة
وبقيت بأيديهم الى سنة أربع مائة وسبع وسبعين فانزعجها منهم سليمان بن قماش
السلجوقي فلما كانت هذه السنة أعنى سنة أربع مائة وتسعين كان الامير العامل
على انطاكية باغيسان التركماني وبلغ أهل أورو باماحل بأصحابهم من النكال
حزنوا جدا وتحركت عزائمهم على أخذ الثار والاستيلاء على تلك الديار فتجهز
منهم جيش جرار وساروا كالأولين الى ان وصلوا الى قونية فالتقتهم جيوش
الاسلام ووقع بينهم عدة معارك شديدة وكانت الغلبة فيها للطوائف الافرنج
فاستولوا على مدينة قونية وكان ملكها يمد قلعج ارسلان السلجوقي وهو الذي
قابلهم بمجموعه فهزموه وملكوا منه قونية ثم تقدموا الى انطاكية فحصروها
تسعة أشهر ثم ملكوها في جمادى الاولى سنة ٤٩٠ من صاحبها باغيسان التركماني
بعد أن ظهر منه من الشجاعة وجودة الرأي والحزم ما لم يشاهد من غيره لانهم لما
قدموا على انطاكية قابلهم بجيوشه وقتلهم قتالا شديدا وجرت وقائع متعددة
وهجمات هائلة ثم لما عجز هرب ثم قتل ولما دخل الافرنج انطاكية قتلوا من فيها من
المسلمين وهبوا أموالهم ولما سمع صاحب الموصل بملكهم انطاكية جمع
عساكره وسار الى الشام وهو الامير قوام الدولة أبو سعيد كبر بوقا ثم أقام
بعساكره بمرج دابق واجتمع معه عساكر الشام تركها وعرها سوى من كان
بحلب وحمص وسنجار واجتمع كثير من الامراء وعظمت المصيبة على الافرنج
وأرسلوا الى كبر بوقا يطلبون منه الامان لما أقبل بالجيوش على انطاكية فامتنع
وقال لا يخرجوا الا بالسيف وحاصرهم ثم ان كبر بوقا المذكور أساء السيرة فممن
اجتمع معه من الملوك والامراء وتكبر عليهم فخبت نياتهم عليه ولما ضاق الأمر
على الافرنج وقلت الاقوات عندهم خرجوا من انطاكية واقتلوا مع المسلمين
وكان معهم راهب مطاع فيهم وكان داهية من الرجال فقال لهم قبل خروجهم ان

ج سبه السلام كان له حربة مدفونة بالقيسان الذي بانطاكية وهو بناء عظيم
ان وجدتموها فانكم تطفرون وان لم تجدوها فاطلواك متحقق وكان قد دفن قبل
ذلك حربة في مكان فيه وعفا أثرها وأمرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلاثة أيام
فلما كان اليوم الرابع أدخلهم الموضع جميعهم ومعهم عامتهم والصناع منهم
وحفروا في جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر فقال لهم أبشروا بالظفر
فخرجوا في اليوم الخامس من الباب متفرقين خمسة وستة ونحو ذلك فقال
المسلمون لسكر بوقا ينبغي أن تقف على الباب فتقتل كل من يخرج فان أمرهم
الآن وهم متفرقون سهل فقال لا تفعلوا أمهلوهم حتى يتكامل خروجهم
فقتلهم ولم يتمكنهم من معاجلتهم فقتل قوم من المسلمين جماعة من الخارجين فجاء
اليهم هو بنفسه ومنعهم ونهاهم فلما تكامل خروج الفرنج ولم يبق بانطاكية
منهم أحد ضربوا مصاف أعظيما فولى المسلمون منزمين لما عملهم به كر بوقا أولا
من الاستهانة لهم والاعراض عنهم وثانيا من منعهم عن قتل الفرنج وتمت الهزيمة
على المسلمين ولم يضرب أحد منهم بسيف ولا طعن رمح ولا رمي بسهم وانهم
كر بوقا معهم فلما رأى الفرنج ذلك ظنوه مكيدة اذ لم يجز قتال ينهزم من مثله
وخافوا ان يتبعوهم وثبت جماعة من المسلمين وقاتلوا حسيبة وطلبوا الشهادة فقتل
الفرنج منهم ألوفا وغنموا ما في العسكر من الاقوات والاموال والاثاث والدواب
والاسلحة فمصلحت حالهم وعادت عليهم قوتهم

﴿ ذكر تملك الفرنج معرفة النعمان ﴾

ثم سار الفرنج بجيوشهم الى معرفة النعمان وحاصروها وقتلهم أهلها قتالا شديدا
ورأى الفرنج منهم شدة ونسكابة ولقوا منهم الجند في حربهم والاجتهاد في قتالهم
فعملوا عند ذلك برجامن خشب يوازي سور المدينة ووقع القتال عليه فلم يضرب
المسلمين ذلك فلما كان الليل خاف قوم من المسلمين وتداخلهم الفشل والهلع
وظنوا أنهم اذا تحصنوا ببعض الدور الكبار امتنعوا بها فزلوا من السور
وأخلوا الموضع الذي كانوا يحفظونه فرآهم طائفة أخرى من المسلمين منهم

ففعلوا كفعلمهم فخلا مكانهم أيضا من السور ولم نزل تتبع طائفة منهم التي تليها
في النزول حتى خلا السور فبعد الفرنج اليه على السلام فلما علوه تحير المسلمون
ودخلوا دورهم فوضع الفرنج فيهم السيف ثلاثة أيام فقتلوا ما يزيد على مائة ألف
وسبوا السبي الكثير وملكوا المعرة وأقاموا أربعين يوما

﴿ ذكر مصالحة أهل عرقة وحصن للفرنج ﴾

ثم ساروا الى عرقة فحصروها أربعة أشهر ونقبوا سورها عدة نقوب فلم يقدروا
عليها وراسلهم منقذ صاحب شيزر فصالحهم عليها ثم ساروا الى حصن وحصرها
فصالحهم صاحبها جناح الدولة ثم ساروا الى عكا فلم يقدروا عليها

﴿ ذكر تمكك الفرنج بيت المقدس ﴾

ثم ساروا لبيت المقدس وكانوا ألف ألف وكان فيهار جل يعرف باقتضار الدولة
عاملا للعبديين ملوك مصر لان بيت المقدس كان بأيديهم انتزعوه من خلفاء بني
العباس فلما وصل الفرنج اليه حصره ونيفاو أربعين يوما ثم ملكوا المدينة
المدكورة لسبع بقين من شعبان سنة ٤٩٢ هجرية وركبوا الناس بالسيف
ولبت الفرنج بالبلدة أسبوعا يقتلون فيه المسلمين وقتل الفرنج بالمسجد الاقصى
ما يزيد على سبعين ألفا منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم
وزهادهم وأخذوا من عند الصخرة نيفاو أربعين قنديلا من الفضة وزن كل
قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم وأخذوا تنورا من فضة وزنه أربعون رطلا
بالساحي وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلا فضة نقرة ومن الذهب
نيفاو عشرين قنديلا وغنموا منه ما لا يقع عليه الاحصاء وورد المستنفرون من
الشام الى بغداد صحبة القاضي أبي سعيد الهروي فأوردوا في الديوان كلاما
أبكى العيون وأوجع القلوب وقاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا وأبكوا
وذكروا ما دهم المسلمين من قتل الرجال وسبي الحريرم والاولاد ونهب الاموال
وكانوا صياما في رمضان فلشدة ما أصابهم أفطروا وأنشأ الشعراء في ذلك قصائد
تبكى لها العيون وتنفطر بها القلوب وكان ذلك في خلافة المستظهر بالله بن

المقتدى بأمر الله العباسي وكان في ذلك الوقت اختلاف كثير بين السلاطين
السلجوقية وقتن قائمة بينهم بالعراق فلم تحصل منهم نتيجة ولا من الخليفة وبنت
المصريون جيشا لقتال الفرنج لما بلغهم ما وقع بالقدس واقتتلوا مع الفرنج ثم
انهمزوا وحصرهم الفرنج بعسقلان وضيقوا عليهم فبذلوا لهم اثني عشر ألف
دينار وقيل عشرين ألفا فارتحلوا عنهم ورجعوا الى القدس وجعلوها دار
ملكهم ثم استولى الفرنج على أكثر سواحل الشام فلكروا يافا وغيرها من القلاع
والحصون وكانت محنة فاحشة على المسلمين ثم في سنة أربع وتسعين وأربعمائة
ساروا الى مدينة عكا فلم يقدر واعي فتحها وكانوا قد عمروا مدينة يافا وساموها الى
قصر من الفرنج وأقيم بملك القدس افرنجي آخر وقيل بل أقام بها رديل بنفسه
ومكث بيت المقدس بأيدي الفرنج احدى وتسعين سنة وكذا ما جاوره من سواحل
الشام وعجز ملوك الاسلام عن استرجاعه الى أن استرجع ذلك السلطان صلاح
الدين الابو بي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة كما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى

ذكر تملك الفرنج مدينة سروج وحيفا وقيسارية

في هذه السنة تملك الفرنج مدينة سروج من الجزيرة وقتلوا كثيرا من أهلها وسبوا
سريمهم ونهبوا أموالهم وملكوا أيضا مدينة حيفا بالقرب من عكا على ساحل
البحر وملكوا مدينة قيسارية وقتلوا أهلها ونهبوا ما فيها وفي سنة ٤٩٥ ساروا
الى طرابلس الشام فقاتلهم أهلها وقتلوا من الفرنج نحو ثلاثمائة ثم هادنهم الفرنج
على مال وخيل ثم رحلوا عنهم الى انطرسوس وهي من أعمال طرابلس فحصروها
وملكوها وقتلوا من بها من المسلمين ثم ساروا الى حصن الطوبان فقاتلهم ابن
العريض وأسر فارسا من أكابر الفرنج فبذلوا في فدائه عشرة آلاف دينار
وأنف أسير فلم يجبهم ابن العريض الى ذلك وفي هذه السنة أيضا سار الفرنج الى
حصن وقائد هم ملك من ملوكهم يسمى صنجيل فحاصروها وملكوا أعمالها ونزل
القنص على عكا وضيق عليها وكاد يأخذها ونهب عليها المنجنيقات والابراج
وكان له في البحر ست عشرة قطعة فاجتمع المسلمون من سائر السواحل وأنوا الى

منجنيقاتهم فأحرقوها وأحرقوا سفنهم وكان ذلك نصرا عجيبا للمسلمين أذل الله به الكفار وفيها سار القمص الفرنجي الى بيروت وحاصرها وضايقها وأطال المقام عليها فلم يرفها طمعا فرحل عنها وفيها في رجب خرجت عساكر من مصر الى عسقلان ليمنعوا الفرنج عما بقي في أيديهم من بلاد الشام فسمع بهم بردويل صاحب القدس فسار اليهم وقتلهم فنصر الله المسلمين وانهمز الفرنج وكثر القتل فيهم وانهمز بردويل فاخفى في أجمة فصب فأحرقت تلك الأجمة ولحقت النار بعض جسده ونجأ منها الى الرملة فتبعه المسلمون وأحاطوا به فتنكر وخرج منها الى يافا وكثر القتل والأسرى في أصحابه وفي سنة ٤٩٦ هـ جاءتهم جيوش المسلمين من مصر ووقعت بينهم وقائع يطول ذكرها كانت الغلبة في بعضها للمسلمين وفي بعضها للفرنج وخرجت هذه السنة ويبدأ الفرنج لعنهم الله البيت المقدس وفلسطين ماعدا عسقلان ويدهم أيضا يافا وارسوف وقيسارية وحيفا وطبرية ولاذقية ولهم بالجزيرة الرها وسروج وكان صنعيل محاصر طرابلس الشام والمواد تأنيه وبها فخر الملك بن عمار وكان يرسل أصحابه في المراكب يغزون على البلاد التي بيد الفرنج ويقتلون من وجدوا فيها وفي سنة ٤٩٧ هـ أغار الفرنج من الرها على مرج الرقة وقلعة جعبر واستاقوا المواشي وأسروا من وقع بأيديهم من المسلمين وفي هذه السنة وصلت مراكب من بلاد الفرنج الى مدينة لاذقية وفيها الأجناد والتجار فاستعانوا بها على حصار طرابلس برا وبحرا وضايقوها وقتلواها أياما فلم يروا فيها مطمعا فرحلوا الى مدينة جبيل فحاصروها وقتلوا أهلها قتلا شديدا فلما رأى أهلها عجزهم عن الفرنج أخذوا أمانا وسلموا البلد اليهم فلم تفال الفرنج لهم بالأمان وأخذوا أموالهم وعاقبوهم بالعقوبات وأنواع العذاب فلما فرغوا من جبيل ساروا الى مدينة عكا واستعانوا بملكهم صاحب المقدس على حصارها فنزلوها وحاصروها في البر والبحر ثم ملكوها وفعالوا بأهلها الأفعال الشنيعة ثم ساروا الى حران ووقع بينهم وبين المسلمين وقائع يطول ذكرها كان النصر فيها للمسلمين وقتلوا من الفرنج اثني عشر ألفا وأسروا القمص فافتداه الفرنج بخمسة

وثلاثين ألف دينار وستين أسير من المسلمين * وفي سنة ٩٨٤ سار الفرنج الى
حصن ارتاح ووقع بينهم وبين المسلمين قتال شديد وانهمز المسلمون وقتل وأسر
كثير منهم وملك الافرنج الحصن * وفي سنة ٩٩٤ وقع بينهم وبين المسلمين قتال على
حصن كان بيد الفرنج بينه وبين دمشق يومان فلكه المسلمون وقتلوا من كان
بالحصن من الفرنج واستبقوا الفرسان أسرى وكانوا مائتي فارس وملكوا أيضا
منهم حصن رفية وهو من حصون الشام وقتلوا به خمسمائة من الفرنج وفي هذه
السنة ملك الفرنج حصن افامية وكان من أمنع الحصون الشامية وقتلوا من فيه من
المسلمين ٥٠٠ وفي سنة ٥٠٠ وقعت وحشة بين ملك القسطنطينية والافرنج الذين
بالشام ثم وقع بينهم قتال شديد انهزم فيه الافرنج ولم يزل الفرنج يتابعون الحصار
على طرابلس الشام وبيروت والكلام على ذلك طويل الى أن ملكوه هامة سنة
٥٠٣ وقتلوا وأسروا كثيرا من الرجال وسبوا النساء والاطفال ونهبوا من
الاموال ما لا يحصى ثم ملكوا بانياس وصيدا وصور وحصن ارناط وهو قريب
من حلب وغير ذلك * وفي سنة احدى عشرة وقيل أربع عشرة فصد بردويل
بجيوشه الديار المصرية ليأخذها فاتتهى الى غزة ودخلها وخربها وأحرق
مساجدها ورحل عنها وهو مريض فهلك في الطريق (والحاصل) أن الفرنج لم
يزالوا يملكون كثيرا من الممالك الشامية ويقع بينهم وبين المسلمين الوقائع الهائلة
التي يطول الكلام بذكرها حتى لم يبق بيد المسلمين سوى حصن وحماة والشام
وحلب وبعض القرى الحقيرة واستقر الحال الى سنة ١١٢٨ مسيحية الموافق سنة
٥٢٢ هجرية فصار ملك حلب والموصل للسلطين السلجوقية وانتزعوهما من
بعض أمراء المسلمين المتغلبين عليهما فأقاموا فيهما عماد الدين زنكي والد
السلطان محمود نور الدين الآتي ذكره وكان لعهاد الدين شجاعة وشهامة وعزم
شديد على جهاد الكفار فشن على الافرنج الغارات ووالى عليهم الغزوات
واسترجع كثيرا مما ملكوه وتوفي مقتولا قتل بعض مماليكه سنة ٥٤١ وكان أبوه
اق سنقر مملوكا للسلطان ملك شاه السلجوقى ولما قتل عماد الدين وصار ملك

نظر
١١٢٨
مسيحية
١١٢٨
مسيحية

حلب لابنه السلطان نور الدين محمود كان على الفرنج أشد من أييه فزاد في قتالهم
ونكايتهم وكان من أهل العلم والصلاح والتقوى والاستقامة وله ترجمة طويلة
سيأتي ذكرها فأول ما ابتدأ في ولايته أنه جهز جيشا لقتال الافرنج وفتح مدينة
ارتاح وأورفا وأما كنعان آخره وفي سنة ١١٤٧ مسيحية الموافق سنة ٥٤٢ هجرية
اشتدت حروب السلطان محمود وتوالت غزواته وفتوحاته فاستقد الفرنج الذين
كانوا في مدائن الاسلام بالفرنج أهل أوروا بأفامدوهم بنجدة عظيمة تحت قيادة ملك
جرمانيا وألمانيا وملك فرنسا لويز السابع وقبل قدوم ملك فرنسا بأيام يسيرة وصل
ملك جرمانيا الى فلسطين في حالة يرثى لها اذ كان قد تلف أكثر من نصف جيشه في
الطريق بعضهم بالجوع والمرض وبعضهم بالسيف في المعارك التي أنارها عليهم
الاعتداء في أثناء الطريق فلما بلغ سواحل سوريا وافته مواكب السلطان نور
الدين بجيوش الاسلام وفتكت بعساكره فانهزم مع باقي جيشه وبينما هو راجع
التقى بملك فرنسا مع جنوده وقد وصلوا في حالة أحسن من حالته فالتقهم جيوش
الاسلام في نواحي انطاكية وانتشبت بينهم نيران القتال واستمر القتال بينهم مدة
أيام وكانت الدائرة على ملك فرنسا ورجس ورجس ورجس ورجس ورجس ورجس ورجس
وجيوشه ونزلوا في السفن وساروا الى القدس وانضموا الى ما فيه من العساكر
مع بقايا العساكر الجرمانية وفي سنة احدى وأربعين وخمسة مائة ملك الفرنج
طرابلس الغرب وفي سنة ثلاث وأربعين وخمسة مائة غزا نور الدين الفرنج من
نواحي انطاكية وقتل البرنس صاحب انطاكية وهزم الفرنج هزيمة قبيحة
وقتل منهم جمعا كثيرا وأسروا منهم وأكثر الشعراء من القصائد بمدحه وتهنئته وفتح
نور الدين في هذه السنة والتي تليها حصونا كثيرة وكان الفرنج نازلوا دمشق مرارا
وحاصروها فلم يقدروا على تملكها واستمر القتال والغزوات بينهم وبين السلطان
نور الدين الى سنة ١١٧٣ مسيحية الموافق سنة ٥٦٩ وكان السلطان صلاح الدين
ابن أيوب من أتباع السلطان نور الدين فجعله الى مصر سنة ٥٦٤ وملك مصر
وانتزعها من العبيديين وقصة ذلك طويلة منذ كورة في التواريخ وكان السلطان

صلاح الدين في العلم والتقوى والصلاح مثل السلطان نور الدين فلما توفي
السلطان نور الدين سنة ٥٦٩ جمع السلطان صلاح الدين بين ملك مصر والشام
فصار الملك فيهماله وتابع الغزوات في قتال الفرنج لاستخلاص ما بأيديهم من
ممالك المسلمين وأول قتال وقع بينه وبين الافرنج كان في حياة نور الدين سنة ٥٦٥
وذلك أنه جاءت جموع كثيرة منهم وحاصروا مدينة دمياط وضيقوا على من بها
فتجهز السلطان صلاح الدين من مصر بجيوش حافلة وقتلهم وأمداه السلطان
نور الدين بجيوش كثيرة وشن عليهم السلطان نور الدين الغارات بالشام ووالى
على المدائن التي بأيديهم الغزوات فارتحلوا من دمياط ورجعوا خائبين وفي
سنة ٥٦٦ سار السلطان صلاح الدين من مصر وأغار على الفرنج بعسقلان
والرملة وهجم على ربض غزة فنهبه فأناه ملك الفرنج بعساكر ليرده فقاتلهم
وهزمهم وأفلت ملك الفرنج بعد أن أشرف أن يؤخذ أسيرا وعاد صلاح الدين الى
مصر ثم غزا ايلة برا وبحرا وانتزعاها من الفرنج وفي سنة ٥٦٩ كتب بعض
أهل مصر أتباع العبيديين الذين انقضت دولتهم الى الفرنج الذين بالشام
والذين بصقلية أن يرسلوا اليهم جيوشا يستعينون بهم على اخراج السلطان
صلاح الدين من الديار المصرية فبعث اليهم الفرنج مائة أسطول تحمل الرجالة
وثلاثين طريفة تحمل الخيل وست مراكب كبارا تحمل آلة الحرب وأربعين
مراكبا تحمل الازواد وفيها من الرجالة خمسون ألفا ومن الفرسان ألف وخمسمائة
ونزلوا الاسكندرية في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ٥٦٩ على حين
غفلة من أهلها وطمانينة فخرج أهل الاسكندرية بسلاحهم وعدتهم ليمنعوهم من
النزول فنعهم الوالى عليهم من ذلك وأمرهم بملازمة السور ونزل الفرنج في البر
مما يلي البحر وتقدموا الى المدينة ونصبوا عليها الدبابات والمتجنيقات وقتلوا أشد
القتال وصبر لهم أهل البلد ولم يكن عندهم من العسكر الا القليل ورأى الفرنج من
شجاعة أهل الاسكندرية وحسن سلاحهم مراعهم وسيرت الكتب بالحال الى
مصر الى السلطان صلاح الدين يستدعونه لدفع العدو عنهم ودام القتال أول يوم

الى آخر النهار ثم عاود الفرنج القتال اليوم الثاني وجدوا ولازموا الزحف حتى
وصلت الدبابات الى قرب السور ووصل ذلك اليوم من العساكر الاسلامية من
كان قريبا من الاسكندرية فقومت بهم نفوس أهلها وأحسنوا القتال والصبر فلما
كان اليوم الثالث فتح المسلمون باب البلد وخرجوا منه على الفرنج من كل جانب
وهم غارون وكثر الصباح من كل جهة فارتاع الفرنج واشتد القتال فوصل
المسلمون الى الدبابات فأحرقوها وصبروا للقتال فأنزله الله نصره عليهم وظهرت
أماراته ولم يزل القتال الى آخر النهار ودخل أهل البلد اليه وهم فرحون
مستبشرون بما رأوا من تبشير الظفر وفشل الفرنج وكثر القتل فيهم والجراح
وأما صلاح الدين فإنه لما وصله خبر منازلة الفرنج الاسكندرية سار من مصر
بعساكره وسير طائفة من العسكر الى دمياط خوفا عليها واحتياطا وسير مملوكا
له مبشر الأهل الاسكندرية بقدم صلاح الدين والعساكر فوصل المملوك
الاسكندرية وقت العصر والناس قد رجعوا من القتال فنادى في البلد يبشرهم
بمجيء صلاح الدين والعساكر مسرعين ثم وصل صلاح الدين بعساكره في
أثر المملوك فاما سمع الناس ذلك فرحوا وعاودوا الى القتال وقد زال ما بهم من
تعب القتال وألم الجراح وكل منهم يظن أن صلاح الدين معه فهو يقاتل قتال من
يريد أن يشاهد قتاله وسمع الفرنج بوصول صلاح الدين في عساكر فسقط في
أيديهم وازدادوا تعباً وقتورا فهاجمهم المسلمون عند اختلاط الظلام ووصلوا
الى خيامهم فغنموا بما فيها من الأسلحة الكثيرة والتجمعات العظيمة وكثر القتل
في الفرنج فهرب كثير منهم الى البحر وقرى باشوانهم الى الساحل ليركبوا فيها فسلم
بعضهم وركب وغرق بعضهم وغاص بعض المسلمين في الماء وخرق بعض شوانى
الفرنج ففرقت فخاف الباقون من ذلك فولوا باشوانهم هاربين واحتمى ثلاثمائة
من فرسان الفرنج على رأس تل فمات لهم المسلمون الى بكرة ودام القتال الى أن
أضحى النهار فغلبهم أهل البلد وقهرهم فصاروا بين قتيل وأسير وكفى الله المسلمين
شرهم * وفي سنة ٥٧١ عظم ملك صلاح الدين في كتابه الفرنج وطلبوا منه صلحا

وهدنة فهادتهم على شروط معلومة * وفي سنة ٥٧٣ هـ انتقض الصلح لأمر جرت
فسار السلطان صلاح الدين من مصر بجيوشه قاصدا قتال الفرنج وكان ذلك في
جمادى الأولى من السنة المذكورة فوصل الى عسقلان في الرابع والعشرين من
الشهر هو وجنوده فنهبوا وأسروا وقتلوا وأحرقوا وتفرقوا في تلك الاعمال
مغيرين فلما رأوا أن الفرنج لم يظهر لهم عسكر ولا اجتمع لهم من يحمي البلاد
طمعوا وساحوا في الأرض آمنين ووصل صلاح الدين الرملة عازما على أن
يقصد بعض حصونهم ليحصره فوصل الى نهر فازدحم الناس للعبور فلم يرعهم الا
والا فرنج قد أشرفت عليهم بجنودها وأبطالها وكان مع صلاح الدين بعض
العسكر لان أكثرهم تفرقوا في طلب الغنمة فلما رأى الفرنج وقف لهم فيما معه
وقاتلهم فقتل جماعة من الفريقين وقتل ابن تقي الدين ابن أخي صلاح الدين ثم
صارت الهزيمة على المسلمين وحمل بعض الفرنج على صلاح الدين فقاربه حتى
كاد يصل اليه مقتتل الفرنجي بين يديه وتكاثر الفرنج عليه فمضى منهزما يسير
قليلًا ويقف قليلا ليلحقه العسكر الى أن دخل الليل فسلك البرية الى أن مضى في
نفر يسير الى مصر ولقوا في طريقهم مشقة شديدة وقتل عليهم القوت والماء وهلك
كثير من الدواب جوعا وعطشا وسرع عسير وأما العسكر الذين دخلوا بلاد
الفرنج في الغارة فان أكثرهم ذهب ما بين قتيل وأسير وكان من جملة من أسر
الفقيه عيسى الهكاري وكان من أشد الناس قتالا وكان جامع بين العلم والدين
والشجاعة وأسرا أيضا أخوه الظهير وكما قد سارا منهزمين فضلا الطريق
فأخذوا معهم جماعة من أصحابهما وبقوا سنين في الأسر فافتدى صلاح الدين
الفقيه عيسى بستين ألف دينار وفدى أيضا جماعة كثيرة من الأسرى ولما حصلت
هذه الهزيمة سار الفرنج الى مدينة حماه وحاصروها وكان الأمير عليها شهاب الدين
الخارمي فقاتلهم هو وأهل البلد وكاد الفرنج يملكون البلد واشتد القتال وعظم
الخطب وهجم الفرنج على بعض البلد ودام القتال ليلا ونهارا واستقل المسلمون
وحاموا عن الانفس والاهل والنال ثم أنزل الله عليهم النصر فأكثروا القتل في

الفرنج وأخرجوهم من البلد فارتحلوا خائبين وكفى الله المسلمين شرهم ثم ساروا
وحاصر واحارم فلم يتمكن لهم أخذها فساروا عنها * وفي سنة ٥٧٤ في ربيع
الأول سار جمع كثير من الفرنج الى مدينة حماه وكثر جمعهم من الفرسان والرجال
طمعوا في النهب والغارة فشنوا الغارة ونهبوا وخرّبوا القرى في طريقهم وأسروا
وقتلوا فلما سمع العسكر المقيمون بحماة ساروا اليهم وهم قليل متوكلون على الله
تعالى فالتقوا واقتتلوا وصدق المسلمون القتال فنصرهم الله تعالى وانهمزم الفرنج
وكثر القتل والأسر فيهم واستردوا ما غنموا من السواد وكان صلاح الدين يحرص
لحمات الرؤس والأسرى والأسلاب اليه فأمر بقتل الأسرى فقتلوا لان الامام
مخير في الأسرى بين القتل والفداء والمن بلا فداء * وفي ذى القعدة من هذه السنة
اجتمع الفرنج وساروا الى دمشق مع ملكهم فأغاروا على أعمالها فنهبوا وأسروا
وقتلوا وسبوا فأرسل صلاح الدين فرخشاها ولد أخيه ومعه كثير من العسكر
يقاتلهم ونصره الله عليهم وقتل كثير منهم وقتل جماعة من مقدميهم منهم هنقري كان
يضرب به المثل في الشجاعة والرأى في الحرب فأراح الله من شره * وفي سنة ٥٧٥
بنى الفرنج حصنا منيعا بالقرب من بانياس عند بيت يعقوب عليه السلام فكان
يعرف بمخاضة الأحران فلما سمع بذلك صلاح الدين بذل للفرنج ستين ألف دينار
ليهدموه بغير قتال فامتنعوا فسار من دمشق الى بانياس وأقام بها وبث الغارات
على الفرنج ثم سار الى الحصن بعساكره فحاصروا الحصن وقتلوا من به وعاد هو
الى بانياس وخيله تغير على بلاد العدو وأرسل جماعة من عساكره مع جالبي الميرة فلم
تشعر الا والفرنج مع ملكهم قد خرجوا عليهم فأرسلوا الى صلاح الدين يعرفونه
الخبير فسار في العساكر مجدا فوافاهم وهم في القتال فقاتل الفرنج قتالا شديدا
وحلوا على المسلمين جمالات كادوا يزلونهم عن مواقعهم ثم أنزل الله نصره على
المسلمين وهزم المشركين وقتلت منهم مقتلة كثيرة ونجا ملكهم فريدا وأسروا
كثيرا منهم ابن بيرزان صاحب الرملة ونابلس وهو أعظم الفرنج محلا بعد الملك
وأمر وأيضاً أخاه صاحب جبيل وصاحب طبرية وغيرهم من مشاهير فرسانهم

فأما ابن بيزران فإنه فدى نفسه بمائة ألف وخمسين ألف دينار واطلاق ألف أسير
من المسلمين ثم عاد صلاح الدين إلى بانياس من موضع المعركة وتجهز للدخول إلى
ذلك الحصن ومحاصرته فأحاط به وبث العساكر للاغارة على الفرنج في تلك
الاطراف ثم زحف المسلمون على الحصن واشتد القتال وعظم الأمر ونقبوا
الحصن وأشعلوا النيران فيه وانتظر واسقوط السور وكان عرضه تسعة أذرع
بالبحري فلم يسقط إلا بعد أيام فدخلوا المسلمون الحصن عنوة وقتلوا كل من فيه
وأطلقوا من كان فيه من أسرى المسلمين وقتل صلاح الدين كثير من أسرى
الفرنج وأدخل الباقين إلى دمشق فسجنوا وأقام صلاح الدين بمكانه حتى هدم
الحصن وعفى أثره وألحقه بالأرض وكان جملة من الفرنج قداما بطبرية ليحموا
الحصن فلما أباهم الخبر بأخذه تفرقوا وفي سنة ٥٧٨ فتح المسلمون شقيفا وأخذوه
من الفرنج وهو من أعمال طبرية مطبل على السواد وكان على المسلمين منه أذى
شديد ولما بلغ الفرنج مسير صلاح الدين من مصر إلى الشام جمعوا له وحشدوا
الفرس والراجل واجتمعوا بالسكرك بالقرب من الطريق لعلمهم ينتهزون
فرصة وربما عاقوا المسلمين عن السير بأن يقفوا على بعض المضائق فلما فعلوا
ذلك خلت بلادهم من ناحية الشام فسمع فرخشاها بن أخي صلاح الدين الخبر
فجمع من عنده من عساكر الشام وقصد ما بأيديهم من البلاد وأغار عليها ونهب
وبوريتها وما يجاورها من البلاد وأسرا الرجال وقتل وسبي النساء وغنم الأموال
وقح منهم الشقيف ففرح المسلمون بفتحهم فرحاً عظيماً لما كان يحصل لهم من الأذى
منه ولما وصل صلاح الدين إلى دمشق سار إلى طبرية وكان الفرنج يجمعونها نازلة
بطبرية فنزل بالقرب منها وأغار ابن أخي صلاح الدين على بيسان فدخلها فهرا
وغنم ما فيها وقتل وسبي وأغارت العساكر والعربان في تلك الولاية حتى قابلوا
مرج عكاوسار جماعة من الفرنج من طبرية فنزلوا تحت جبل كوكب فقاتلهم
المسلمون قتالاً شديداً وأثخنوا القتل فيهم فرجعوا ورجع صلاح الدين إلى
دمشق ثم سار منها إلى بيروت يهد حصارها وقتلها فأناه الخبر أن البصر التي مركبا

للفرنج فيه جمع عظيم منهم الى دمياط كانوا قد خرجوا الى يارثة بيت المقدس فأسر
المسلمون من بها بعد أن غرق كثير منهم وكان عدة الاسرى ألفا وستة وستون
وسبعين أسيرا فضربت بذلك البشائر وسار أسطول للمسلمين من مصر في البحر
فلقوا أسطولا للفرنج فيه ثلاثمائة منهم معهم الاموال والسلاح مرسلين الى فرنج
الساحل فقاتلهم المسلمون فظفروا بهم وأخذوا الفرنج أسرى فقتلوا بعضهم
وأبقوا بعضهم وغنموا ما معهم ثم أغار صلاح الدين على بيسان فأحرقها وخربها
وقتل من فيها ثم أغار على الكرك وأطرافها ثم وصل الى نابلس فأحرقها وخربها
وقتل واسر وسبي ولم يزل يشن على الفرنج الغارات في كل الأطراف ويطول
الكلام بذكر وقائعهم مع الفرنج الى أن فتح طبرية بعد قتال شديد ووقائع هائلة
وأكثر القتل والاسر في الفرنج وكان جيش صلاح الدين لما حاصر طبرية ثمانين
ألفا فلما أشرف عليها وحاصرها وافاه ملك الفرنج الذي يبيت المقدس بجيوش هائلة
للدفاع والمحاماة عن أهل طبرية لأنها كانت عندهم من أهم مراكز البلاد
وهناك التقى العسكران وماجت الارض بالعساكر واستمر القتال بين
الفرنجيين وكانت الدائرة على أهل الصليب فانقلبوا من زمين على الاعقاب
طالبين النجاة بعد ان فقد منهم نحو ثلاثين ألفا ووقع الملك أسير مع خواصه وأكابر
رؤسائه في أيدي الاسلام وعند نهاية الحرب قتل صلاح الدين مائتين وثلاثين
رجلا من أعيان الافرنج المأسورين وأما الملك فانه أرسله الى دمشق ثم سار صلاح
الدين الى عكا وحاصرها وضيق عليها فطلب أهلها الأمان فأمنهم على أنفسهم
وأموالهم وخبرهم بين الإقامة والظعن فاختروا الرحيل خوفا من المسلمين وساروا
متفرقين وحلوا ما أمكنهم حمله وتركوا الباقي على حاله ودخل المسلمون عكا يوم
الجمعة مستهل جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وخمسة مائة ثم تابعت الفتوحات بعد
فتح طبرية وعكا وهما فتحان عظيمتان وفي الحقيقة هما أول الفتوحات والذي كان
قبلهما إنما كان اغارة في الأطراف وغزوات وسريبات وسبب تأخر الفتوحات الى
سنة ٥٨٣ مع أن السلطان نور الدين توفي سنة ٥٦٩ وصار الملك بعده لصلاح الدين

ان كثير من عمال السلطان نور الدين الذي نحت حكمهم كثير من ممالكة امتنعوا
من الدخول تحت طاعة السلطان صلاح الدين ووقع بينه وبينهم محاربات في هذه
السنين يطول الكلام بذكرها حتى أدخلهم تحت طاعته وصفاله الامر وقيل
ذلك ما كان ممكنا من التفرغ لقتال الفرنج كل التفرغ وأما في هذه السنة
سنة ٥٨٣ فقد تفرغ لهم كل التفرغ وتوجه غاية التوجه ولما ارتحل الفرنج من
عكا ودخلها المسلمون غنموا ما بقي مما لم يطق الفرنج حمله وكان من كثرته يعجز
الاحصاء عنه فرأوا فيها من الذهب والجوهر والبنديق والسلاح وغير ذلك من
أنواع الامتعة كثيرا فاتها كانت مقصد التجار الفرنج والروم وغيرهم من أقصى
البلاد وأدناها وكان كثير منها قد خزنه التجار وسافر واعنه لكساده فلم يكن له من
ينقله فغتمه المسلمون وأقام صلاح الدين بعكا أياما لصلاح حالها وتقرير قواعدها
ثم ارتحل وفرق العساكر الى الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعلبا
والشقيوف والفولة وغيرها من البلاد المجاورة لعكا فلكوها ونهبوها وأسروا
رجالها وسبوا نساءها وأطفالها وقدموا بما ساء القضاء وبعث أخاه سيف الدين الى
مدينة يافا فحصرها وملكها وغنم ما فيها وأسرى الرجال وسبى الحريرم وجرى على أهلها
مالم يجز على أحد من أهل تلك البلاد وسار صلاح الدين وابن أخيه تقي الدين
وكثير من العساكر وحاصروا تبنين وضايقوها وهي من القلاع المنيعة على جبل
فلما ضاق عليهم الامر واشتد الحصر أطلقوا من كان عندهم من أسرى المسلمين
وهم يزيدون على مائة وأرسلوا يطلبون الامان فانهم وسيرهم الى مأمهم ثم رحل
الى صيدا فاجتاز في طريقه بصرفند فأخذها صفوا عفوا بغير قتال ثم سار الى
صيدا وهي من مدن الساحل المعروفة فلما سمع صاحبها بمسيره نحوها سارعها
وتركها فارغة من ممانع ومدافع فلما وصلها صلاح الدين تسلمها ساعة وصوله ثم
سار عنها الى بير وتوهى من أحسن مدن الساحل فلما وصل اليها رأى أهلها قد
صعدوا على سورها وأظهروا القوة والجلد والعدد وقتلوا على سورها قتلا شديدا
واغتروا بحصانة البلد ووطنوا أنهم قادرون على حفظه وزحف المسلمون اليهم

مرة بعد أخرى فبينما الفرنج يقاتلون اذ سمعوا من البلد جلبة عظيمة وغلبة زائدة
فأتاهم من أخبرهم أن البلاد قد دخله المسلمون من الناحية الاخرى غلبة وقهرا
فارسوا وينظرون ما الخبير واذا ليس له صحة فأرادوا سكنين من به فلم يكتفهم ذلك
لكثرة ما اجتمع فيه من السواد فلما خافوا على أنفسهم من الاختلاف الواقع
أرسلا يطلبون الامان فامتهم على أنفسهم وأموالهم وتسلمها في التاسع
والعشرين من جمادى الأولى من السنة المذكورة وكان مدة حصرها ثمانية أيام
ثم أراد صلاح الدين السير الى جبيل وكان صاحبها من جملة الاسرى الذين سيروا
الى دمشق فتحدث مع نائب صلاح الدين بدمشق في تسليم جبيل على شرط
اطلاقه فعرف صلاح الدين بذلك فامر برسالة اليه فاحضره مقيدا وكان العسكر
حينئذ على بيروت فسلم حصنه وأطلق أسرى المسلمين الذين به وأطلقه صلاح
الدين كما شرط له وكان هذا صاحب جبيل من أعيان الفرنج وأصحاب الرأي
والمكر والشرب يضرب به المثل بينهم وكان للمسلمين عدو أزرق فكان اعلاقه
الاسباب الموهنة للمسلمين على ما سيأتي بيانه ولما ملك صلاح الدين بيروت وجبيل
وغيرهما كان أمر عسقلان والقدس عنده أهم لاسباب منها أهمها على طريق
مصر يقطع بينهما وبين الشام وكان يختار أن تتصل الولايات فيسهل خروج
العسكر منها ودخولهم اليها ولما فتح القدس من الذكر الجليل والصيت العظيم
الى غير ذلك من الاغراض فسار عن بيروت نحو عسقلان واجتمع بأخيه سيف
الدين العادل ومن معه من عساكر مصر ونازلوها يوم الاحد سادس عشر
جمادى الآخرة وكان صلاح الدين قد حضر من دمشق ملك الفرنج الذي أسرى في
وقعة طبرية ومعه مقدم الداوية وقال لهما ان سلمنا البلاد الى فلان الامان فارسا الى
من بعسقلان من الفرنج يا امرانهم بتسليم البلد فلم يسمعوا أمرهما وردوا عليهما
فجرحا ووجهوا بما يسوؤهما فلما رأى السلطان ذلك جد في قتال المدينة ونصب
المتجنقات عليها وزحف بجيوشه اليها مرة بعد أخرى وتقدم النقبان
فقتلوا منه شيئا وملكهم يكرر اليهم المراسلات بالتسليم ويشير عليهم ويعدهم

أنه اذا أطلق من الاسر أضرم البلاد على المسلمين نارا واستجد بالفرنج من
البحر وأجلب الخيل والرجل من أقصى بلاد الفرنج وأدانها وهم لا يجيبون الى
ما يقول ولا يسمعون ما يشير به ولما رأوا أنهم كل يوم يزدادون ضعفا ووهنا اذا
قتل منهم الرجل لا يجدون له عوضا ولا لهم نجدة ينتظر ونهارا سلوا صلاح الدين
في تسليم البلد على شروط اشترطوها فأجابهم صلاح الدين اليها وسلموا المدينة
سليخ جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكان مدة الحصار أربعة عشر يوما وسيرهم
صلاح الدين ونساءهم وأموالهم وأولادهم الى بيت المقدس وفي لهم بالامان ثم أقام
صلاح الدين بظاهر عسقلان وبت السرايا من أطراف البلاد المجاورة لها
ففتقوا الرملة والداروم وغزة والخليل وبيت لحم وبيت جبريل والنطرون وكل
ما كان للداوية ثم لما فرغ من أمر عسقلان وما يجاورها من البلاد سار الى قح
بيت المقدس وكان قد أرسل أسطولا في البحر يقطعون الطريق على الفرنج
كلما رأواهم من كباغضوه وشانبا أخذوه وكان في بيت المقدس البطرك المعظم
عندهم وهو أعظم شأنهم ملكهم وبه أيضا باليان بن بيرزان صاحب الرملة
وكانت مرتبة عندهم تقارب مرتبة الملك وبه أيضا من خلص فرسانهم كثيرين
وقد جمعوا وحشدوا واجتمع أهل تلك النواحي عسقلان وغيرها فاجتمع به كثير
من الخلق يبلغون ستين ألفا ما بين فارس وراجل سوى من يتبعهم من النساء
والولدان كلهم يرى الموت أيسر عليه من أن يملك المسلمون البيت المقدس
ويأخذوه منهم ويرى ان بذل نفسه وماله وأولاده بعض ما يجب عليه من حفظه
وحصونه تلك الايام بما وجدوا اليه سيلا وصعدوا على سورهم وحدهم وحدهم
بجته على حفظه والذب عنه بجهدهم وطاقتهم مظهرين العزم على المناضلة وأنه
بحسب استطاعتهم ونصبوا المنجنيقات فيمنعون من يريد الدنومنه والنزول اليه
فلما قرب صلاح الدين منه رأى على سورهم من الرجال ما هاله وسمعوا الاهله من
الغلبة والضجيج من وسط المدينة بما استدلوا به على كثرة الجمع وبقي صلاح الدين
خسة أيام يطوف حول المدينة لينظر من أين يقاومه لانه في غاية الحصانة والامتناع

فلم يجد عليه موضع قتال الا من جهة الشمال نحو باب عمودا وكنيسة صهيون
فانتقل الى هذه الناحية في العشرين من رجب ونصب تلك الليلة المنجنيقات
فأصبح من العدو وقد فرغ من نصبها ورمى بها ونصب الفرنج على سور البلد المنجنيقات
ورموا بها وقاتل كل من الفريقين أشد قتال كل يرى ذلك ديناً وحماً واجباً فلا
يحتاج فيه الى باعث سلطان بل كانوا يمنعون فلا يمتنعون ويزجرون فلا ينزجرون
وكان خيالة الفرنج كل يوم يخرجون الى ظاهر البلد يقاتلون وبارزون فيقتل
من الفريقين ومن استشهد من المسلمين الامير عز الدين بن مالك وهو من أكابر
الامراء وكان محبوباً الى الخاصة والعامة فلما رأى المسلمون مصرعه عظم عليهم
ذلك وأخذ من قلوبهم فحملوا حمله رجل واحد فأزالوا الفرنج من مواقعهم
فأدخلوهم بلدهم ووصل المسلمون الى الخندق فجاوزوه والتصقوا الى السور
فنقبوه وزحفوا والرماة يحمونهم والمنجنيقات تو الى الرمي لتكشف الفرنج عن
الاسوار ليتمكن المسلمون من النقب فلما رأى الفرنج شدة قتال المسلمين ونحيم
المنجنيقات بالرمي المتدارك وتمكن النقبابون من النقب وأنهم قد أشرفوا على
الهلاك اجتمع مقدموهم يتشاورون فيما يأتون ويزرون فانفق رأيهم على طلب
الامان وتسليم البيت المقدس لصلاح الدين فأرسلوا جماعة من كبرائهم وأعيانهم في
طلب الامان فامتنع السلطان صلاح الدين من اجابتهم وقال لا أفعل بكم الا كما فعلتم
بأهله حين ملكتموه سنة ٤٩٢ من القتل والسبي وجزاء السيئة بمثله فلما رجع
الرسول خائبين محرومين أرسل باليان بن بيزان وطلب الامان لنفسه ليحضر عند
صلاح الدين في هذا الامر وتحريره فأجيب الى ذلك وحضر عنده ورغبه في
الامان وسأله فيه فلم يجبه الى ذلك واستعطفه فلم يعطف عليه واسترحمه فلم يرجه فلما
أيس من ذلك قال أيتها السلطان اعلم أننا في هذه المدينة في خاق كثير لا يعلمهم الا
الله تعالى وانما يفترون عن القتال رجاء الامان ظناً منهم أنك تجيبهم كما أجبت
غيرهم وهم يكرهون الموت ويرغبون في الحياة فاذا رأينا الموت لا بد منه فوالله
لنقتلن أبناءنا ونساءنا ونحرق أموالنا وأمتعتنا ولا نترككم تغفون منها ديناراً

واحد اولاد درهما ولا تسبون وتأسرون رجلا ولا امرأة واذا فرغنا من ذلك
آخر بنا الصخرة والمسجد الاقصى وغيرهما من المواضع ثم نقتل من عندنا من
أسرى المسلمين وهم خمسة آلاف ولا نترك لنا دابة ولا حيوانا الا قتلناه ثم خرجنا
اليكم كلنا وقاتلناكم قتال من يريد أن يحمي دمه ونفسه وحينئذ لا يقتل الرجل
حتى يقتل أمثاله ونموت أعزاء أو ننظر كراما فاستشار صلاح الدين أصحابه
فأجمعوا على اجابتهم الى الامان وأن لا يخرجوا ويحملوا على ركوب ما لا يدري
عاقبة الامر فيه عن أي شيء تنجلي ونحسب أنهم أسرى بأيدينا فنيهم نفوسهم
بما يستقر بيننا وبينهم فأجاب صلاح الدين حينئذ الى بدل الامان للفرنج فاستقر أن
يؤخذ من الرجل عشرة دنانير يستوي فيه الغني والفقير ويؤخذ من الطفل
من الذكور والانات ديناران وتزن المرأة خمسة دنانير فن أدى ذلك الى أربعين
يوما فقد نجوا من انقضت الاربعون يوما عنه ولم يؤد ما عليه فقد صار مملوكا فبذل
باليان بن بيرزان عن الفقراء ثلاثين ألف دينار فأجيب الى ذلك وسلمت المدينة
يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وكان يوما
مشهودا ورفعت الأعلام الاسلامية على أسواره ورتب صلاح الدين على أبواب
البلد في كل باب أمينا من الامراء ليأخذ من أهله ما استقر عليهم فاستعملوا الخيانة
ولم يؤدوا فيه أمانة واقتسم الامناء الاموال وتفرقت أيدي سبا ولو أدت فيه الأمانة
لملأ الخزان وعم الناس وبقى بعد هذا جميعه من لم يكن معه ما يعطى وأخذ أسيرا
سته عشر ألف انسان ما بين رجل وامرأة وصبي وأظهر صلاح الدين من علو
الهمة والشفقة والرحمة ما لا مزيد عليه فكان يرضى من الفقراء والمحتاجين بما
تيسر عليهم حتى أنه أطلق ثلاثة آلاف رجل بدون فدية وكان في المدينة المملوكه
زوجة الملك المأسور وعند مقابلة صلاح الدين اياها أظهر لها من الرقة واللفظ
وكرم الاخلاق ما لا يوصف وكان يكلمها ودموعه تجري وأطلق لها مالها وحشمها
واستأذنته في المسير الى زوجها وكان محبوسا بقلعة نابلس فأذن لها فأتته وأقامت
عنده وخرج البطريرك الكبير الذي للفرنج ومعه أموال البيع منها الصخرة

والاقصى وقامة وغيرها مالا يعامه الا الله تعالى وكان له من المال مثل ذلك فلم يعرض
له صلاح الدين فقبل له لياخذ ما معه يقوى به المسامين فقال لا أغدر به ولم يأخذ
منه غير عشرة دنانير وسير الجميع ومعهم من يحميمهم الى مدينة صور وأمر صلاح
الدين بتطهير المسجد والصخرة من الاقدار ولما كانت الجمعة الاخرى رابع
شعبان صلى المسامون فيه الجمعة ومعهم صلاح الدين ثم رتب فيه صلاح الدين
خطيبا واما ما برسم الصلوات الخمس وأمر أن يعمل له منبر فقبل له ان نور الدين
شمودا كان قد عمل منبر البيت المقدس رجاء أن يفتحه الله على يديه وأمر الصنائع
بتحسينه واتقانه لم يعمل في الاسلام مثله فأمر باحضاره فحمل من حلب ونصب
ببيت المقدس وكان بين عمل المنبر وحمله ما يزيد على عشرين سنة وكان هذا من
كرامات نور الدين وحسن مقاصده رحمه الله ثم أمر صلاح الدين بعماره المسجد
الاقصى واستنفاذ الوسع في تحسينه وازال ما أحدثوه من التصويرات وكان
الفرنج فرشوا الرخام فوق الصخرة وغيبوها فأمر بكشفها وكان سبب تغطيتها
بالرخام أن القسيسين باعوا كثيرا منها للفرنج الواردين اليهم من دخل البحر
للزيارة فكانوا يشترونه بوزنه ذهباً رجاء بركتها وكان أحدهم اذا دخل الى
بلاده باليسير منها بنى له الكنيسة ويجعله في مذبحها تخاف بعض ملوكهم أن
تفنى فأمر بها ففرش فوقها الرخام حفظاً لها فلما كشفت نقل اليها صلاح الدين
المصاحف الحسنة والربعات الجيدة ورتب القراء وأدر عليهم الوظائف الكثيرة
فعاد الاسلام هناك غضا طريا وهذه المكرمة من فتح بيت المقدس لم يفعلها بعد
عمر بن الخطاب رضي الله عنه غير صلاح الدين رحمه الله وكفاه ذلك فخرا وشرفا
وأما الافرنج من أهله فانهم أقاموا وشرعوا في بيع مالا يمكنهم حمله من أمتعتهم
وذخائرهم وأموالهم وباعوا ذلك بأرخص الثمن فاشترى التجار من أهل العسكر
واشترى النصارى من أهل القدس الذين ليسوا من الافرنج فانهم طلبوا من صلاح
الدين أن يمكنهم من المقام في مساكنهم ويأخذ منهم الجزية فأجابهم الى ذلك
فاستقروا واشترى واخذ من أموال الفرنج التي تركوها أشياء كثيرة لم يمكنهم بيعها

من الاسرة والصناديق وغير ذلك وتركوها أيضا من الرخام الذي لا يوجد مثله من
الاساطين والالواح وغير ذلك شيا كثيرا وسار واوفر صلاح الدين على ارامل
وأيتام القتلى من الفرنج مالا كثيرا وسمح للمتولين على القشلات والمستشفيات
أن يبقوا في المدينة سنة أخرى لملاحظة المرضى والعاجزين والاعتناء بهم ثم أقام
صلاح الدين بظاهر القدس الى الخامس والعشرين من شعبان يرتب أمور البلد
وأحوالها وتقدم بعمل الربط والمدارس فجعل دار الاستبصار مدرسة للمشافعية
وهي في غاية ما يكون من الحسن وكانت مدة استيلاء الفرنج على بيت المقدس
احدى وتسعين سنة لأنهم ملكوه سنة اثنتين وأربعمائة وأخذ منهم سنة ثلاث وثمانين
وخمسة مائة فلما فرغ من أمر البلد سار الى مدينة صور وكان قد اجتمع فيها من الفرنج
عالم كثير وقد صار المراكيس صاحبها والحاكم فيها وكان ناجرا من تجارهم وقد
سأسهم أحسن سياسة وبالغ في تحصين البلد ووصل صلاح الدين الى عكا وأقام
فيها أياما فلما سمع المراكيس بوصولها جدد في عمل سور صور وخنادقها
وتعميقها وواصلها من البحر من الجانب الآخر فصارت المدينة كالجزيرة في وسط
الماء لا يمكن الوصول اليها ولا الدنو منها ثم رحل صلاح الدين من عكا فوصل الى
صور ناسع شهر رمضان فنزل على نهر قريب من البلد بحيث يراه حتى اجتمع
الناس وتلاحقوا وسار في الثاني والعشرين من رمضان فنزل على تل يقارب
سور البلد بحيث يرى القتال وقسم القتال على العسكر كل جمع منهم له وقت معلوم
يقاتلون فيه بحيث أن يتصل القتال على أهل البلد على أن الموضع الذي يقاتلون
منه قريب المسافة يكفيه الجماعة اليسيرة من أهل البلد لحفظه وعليه الخنادق
التي وصلت من البحر الى البحر فلا يكاد الطير يطير عليها فان المدينة كالكف في
البحر والساعد متصل بالبر والبحر من جانبي الساعد والقتال انما هو في الساعد
فزحف المسلمون مرة بالمنجنيقات والعرادات والشروخ والديبالات والعرادات
شيء أصغر من المنجنيق والشرخ نصل لم يركب والديبابة آلة تتخذ للحرب فتدفع
في أصل الحصن فينقبون وهم في جوفها وكان عشيرة صلاح الدين يتناوبون

القتال مثل ولده الافضل وولده الظاهر غازي وأخيه العادل بن أيوب وابن
أخيه تقي الدين وكذلك سائر الامراء وكان للفرنج شواني وحراقات
يركبون فيها في البحر ويقفون من جانب الموضع الذي يقاتل المسلمون منه أهل
البلد فيرمون المسلمين من جانبهم بالشر وخ ويقاتلونهم وكان ذلك يعظم على
المسلمين لأن أهل البلديقاتلونهم بين أيديهم وأصحاب الشواني يقاتلونهم من
جانبهم فكانت سهامهم تنفذ من أحد الجانبين إلى الجانب الآخر لضيق الموضع
فكثرت الجراحات في المسلمين والقتل ولم يتمكنوا من الدنو إلى بلد فأرسل
صلاح الدين إلى الشواني التي جاءته من مصر وهي عشر قطع وكانت بعكا
فاحضرها برجالها ومقاتلتها وعدتها فكانت في البحر تمنع شواني أهل صور من
الخروج إلى قتال المسلمين فتمكن المسلمون حينئذ من القرب من البلد ومن
قتاله فقاتلوه برا وبحرا وضايقوهم حتى كادوا ينظفرون بجاءت الأقدار بما لم يكن
في الحساب وذلك أن خمس قطع من شواني المسلمين باتت في بعض تلك الليالي
مقابل مينا صور ليجتمعوا من الخروج والدخول اليهم فباتوا ليلتهم يحرسون فلما
كان وقت المسر آمنوا فناموا فاشعروا بالإبشواني الفرنج قد نازلتهم فأزالتهم
وضايقتهم فأوقعت بهم فقتلوا من أرادوا قتله وأخذوا الباقين بمراكبهم وأدخلوهم
مينا صور والمسلمون في البر ينظرون اليهم ورمي جماعة من المسلمين أنفسهم من
الشواني في البحر فقتل منهم من سحقتما ومنهم من غرق وتقدم السلطان إلى الشواني
الباقية وأمرهم بالمسير إلى بيروت لعدم انتفاعه بها لقتلها فسارت فتبعها شواني
الفرنج فحين رأى من في شواني المسلمين الفرنج مجدين في طلبهم ألقوا أنفسهم من
شوانيتهم إلى البر فقتلوا وتركوها فأخذها صلاح الدين ونقضها وعاد إلى مقاتلة
صور في البر وكان ذلك قبيل الجدوى لضيق المجال وفي بعض الأيام خرج الفرنج
فقاتلوا المسلمين من وراء خنادقهم فاستمد القتال بين الفريقين ودام إلى آخر
النهار وكان نحو وجههم قبيل العصر وأسروهم فارس كبير مشهور بعد أن كثر
القتال والقتل عليه من الفريقين لما سقط فلما أسروا قتلوا بقوا كذلك عدة أيام

فلما رأى صلاح الدين أن أمر صور يطول رحل عنها وندم على ما فرط منه في ذلك فانه كان كلما فتح مدينة وأمن أهلها الفرنج يجهزهم بأموالهم ورجالهم الصور من أهل عكا وعسقلان والقدس وغير ذلك فصار فيها بالساحل فرس الفرنج بأموالهم وأموال التجار وغيرهم فحفظوا المدينة وأرسلوا الفرنج داخل البحر يستعدونهم فأجابوهم بالتلبية لدعوتهم ووعدوهم بالنصر وأمرهم بحفظ صور لتسكون دار هجرتهم يحققون بها ويلتجئون اليها فزادهم ذلك حرصا على حفظها والذب عنها فلا ينبغي للملك أن يترك الحزم وان ساعدته الاقدار فلا يعجز حازما خيرا له من أن يظفر مفرطامضيعة للحزم ويكون الحزم أعذر له عن الناس فرحل عنها آخر شوال الى عكا وأذن للمسكر بالعود الى أوطانهم والاستراحة في الشتاء والعود في الربيع فعادت عساكر الشرق والموصل وغيرها وعساكر الشام ومصر وبقى في حلقة الخاصة مقبلا بعكا وكان قد أرسل قبل ذلك جماعة لحصار هونين فلما كان محاصر امدينة صور أرسل أهل هونين يطلبون الأمان فأتتهم فساموا ونزلوا منها فوفى لهم بالأمان ولما دخل المحرم سنة ٥٨٤ سار صلاح الدين من عكا فبين تخلف عنده من العسكر الى قلعة كوكب وهي مظلة على الاردن ونازلها ظن انه أن ملكها سهل وهو في قلعة من العسكر فلما رآها عالية منيعة والوصول اليها متعذر وكان عنده منها ومن صفد والكرك المقيم المقعد لأن البلاد الساحلية من عكا الى جهة الجنوب كانت قد ملك جميعها عدا هذه الحصون وكان أهل هذه القلاع يقطعون الطريق على المجتازين فكان أحب شيء أن يملكها ليأمن الطريق للمجتازين فلما حصرها واورآها منيعة يبطئ ملكها رحل عنها وجعل عليها جماعة يحاصرونها وسار الى دمشق وكتب الى البلاد جميعا باجتماع العساكر وسار من دمشق منتصف ربيع الأول ووصل الى حصن ثم أغار على مواضع للفرنج ووصل الى قريب طرابلس وأبصر البلاد وعرف من أين يأتيها ثم عاد الى معسكره سالما وقد غنم العسكر من الدواب على اختلاف أنواعها ما لا يحصى ونزل على حصن الاكراد من الجانب الشرقي من

حصص وأقام الى آخر ربيع الآخر وكانت جبلة من أعمال انطاكية بيد الفرنج
وفها كثير من المسلمين ولها قاض مسوع الكلمة عند الفرنج والمسلمين وجعله
الفرنج يحكم على المسلمين واسمه منصور بن شيبيل فأخذته الغيرة للدين فجاء الى
السلطان صلاح الدين وتكفل له بفتح جبلة واللاذقية والبلاد الشمالية فسار
صلاح الدين معه رابع جمادى الاولى فنزل بانطرسوس سادسه فرأى الفرنج قد
أخلوا المدينة واحتموا في برجين حصينين كل واحد منهما قلعة حصينة ومعقل
منيع فحرب المسلمون دورهم ومساكنهم وسور البلد ونهبوا ما وجدوه من
ذخائرهم وحاصروا أحد البرجين فنزل اليه من في أحدهما بأمان وسلموه فأتتهم
وخرب البرج وألقى حجارته في البحر ونزل من في البرج الآخر فحرب صلاح
الدين ولاية أنطرسوس ورحل عنها وأتى مرقبة وقدر حل عنها أهلها وساروا
الى المرقب وهي من حصونهم التي لا ترام ولا تحدث أحدانفسه بملكه لعلوه
وامتناعه والطريق تحتته والحصن على يمين المجتاز الى جبلة والبحر عن يساره
والطريق مضيق لا يسلكه إلا الواحد بعد الواحد واتفق أن ابن صاحب صقلية
أرسل نجدة الى فرنج الساحل ستين قطعة من الشواني وكانوا بطرابلس فلما
سمعوا بمسير صلاح الدين جاؤا ووقفوا في البحر تحت المرقب في شوانهم ليمنعوا
من يجتاز بالسهام فلما رأى صلاح الدين ذلك أمر بوضع سرر وأخشاب فصفت
على الطريق مما يلي البحر من أول المضيق الى آخره وجعل وراءها الرماة فثنعوا
الفرنج من الدنوا اليهم فاجتاز المسلمون عن آخرهم حتى عبروا المضيق ووصلوا
الى جبلة ثاني عشر جمادى الاولى وتسلمها وقت وصوله كان قاضيا قد سبق اليها
ودخل فلما وصل صلاح الدين رفع أعلامه على سورها وسمها اليه وتحصن الفرنج
الذين كانوا بها واحتموا بقلعتها فزال قاضي جبلة يخوفهم وبرعهم حتى
استنزلم بشرط الامان وأن يأخذ رهاينهم يكونون عنده الى أن يطلق الفرنج
رهاينهم من المسلمين من أهل جبلة وكانوا بانطاكية وقرر صلاح الدين أحوال
جبلة وجعل فيها أميرا ﴿ ذكر فتح اللاذقية ﴾
وسار الى اللاذقية فترك الفرنج المدينة لعجزهم عن حفظها وصعدوا الى حصنين

لها على الجبل فامتنعوا بهما فدخل المسلمون المدينة وحصروا الحصنين وزحفوا اليهما ونقبوا الاسوار وعظم القتال واشتد الأمر عند الوصول الى السور فم أيقن الفرنج بالعطب دخل اليهم قاضي جبلة فخوفهم من المسلمين فطلبوا الامان فأمنهم صلاح الدين ورفعوا الاعلام الاسلامية الى الحصنين وسلم صلاح الدين اللادقية لابن أخيه تقي الدين عمر وجعله أميرا عليها ولما نازل صلاح الدين اللادقية وصل أسطول صقلية الذي تقدم ذكره فوقف بازاء امينا اللادقية فلم سلمها الفرنج الذين بها الى صلاح الدين عزم أهل هذا الاسطول على أخذ من يخرج منها من أهلها الفرنج غيظا عليهم حيث سلموها سر يعا فسمع بذلك أهل اللادقية فأقاموا وبدلوا الجزية فكان ذلك سبب مقامهم فيها ثم ان تقدم هذا الاسطول طلب من السلطان الامان ليحضر عنده فأمنه وحضر وقبل الارض بين يديه وقال ما معناه انك سلطان رحيم كريم وقد فعلت بالفرنج ما فعلت فقلوا فاتركهم يكونوا مما ليحك وجندك تفقحهم البلاد والممالك وتزد عليهم بلادهم والا جاءك من البحر ما لا طاقة لك به فيعظم عليك الامر ويشتد الحال فأجاب صلاح الدين بنحو من كلامه مع اظهار القوة والاستهانة بكل من يجئ من البحر وأهم ان خرجوا أذاقهم ما أذاق أصحابهم من القتل والاسر فانقلب على وجهه ورجع الى أصحابه

﴿ ذكر فتح صهيون ﴾

ثم رحل صلاح الدين في السابع والعشرين من جمادى الاولى وقصد قلعة صهيون وهي قلعة منيعة شاهقة في الهواء صعبة المرتقى على فنة جبل يطيف بها واد عميق فيه ضيق في بعض المواضع بحيث ان حجر المنجنيق يصل منه الى الحصن الا ان الجبل متصل بها من جهة الشمال وقد عملوا لها خندقا عميقا لا يرى قعره وخمس أسوار منيعة فنزل صلاح الدين على هذا الجبل الملتصق بها ونصبت عليه المنجنيقان ورماها وتقدم الى ولده الظاهر صاحب حلب فنزل على المسكان الضيق من الوادي ونصب عليه المنجنيقات أيضا فرأى الحصن منه وكان معه من الرجلة الحلبيين كثير وهم في الشجاعة بالمنزلة المشهورة ودام رشق السهام من قسي اليد

والشرح وغير ذلك فخرج أكثر من بالحصن وهم يظهر ون التجلد والامتناع
وزحف المسامون اليهم فتملقوا بقرنة من ذلك الجبل فتسلقوا بين الصخور حتى
التفوا بالسور فلكوا منها ثلاثة وغنوا ما فيها من أبقار ودواب وذخائر وغير
ذلك واحقوا الفرنج بالقصة التي للقلعة فقاتلهم المسامون عليها فنادوا وطلبوا
الامان فلم يجبههم صلاح الدين اليه فقرر واعلى أنفسهم مثل قطيعة البيت المقدس
ونسلم الحصن وسامه الى أمير يقال له ناصر الدين فحصنه وجعله من أحسن الحصون

﴿ ذكر فتح عدة حصون ﴾

ولما ملك المسامون صهيون تفر فوافي تلك النواحي فلكوا حصن بلاطنوس
وحصن العبد وحصن الجماهرين فانتسعت المملكة الاسلامية بتلك الناحية ثم سار
صلاح الدين عن صهيون ثالث جمادى الآخرة فوصل الى قلعة بكاس فرأى
الفرنج قد أخذوها وتحصنوا بقلعة الشفر فلك قلعة بكاس بغير قتال وتقدم الى قلعة
الشفر وهي وبكاس على الطريق السهل المسلول الى اللاذقية وجبله والبلاد التي
افتتحها صلاح الدين من بلاد الشام الاسلامية فاما نازلها رآها منيعة حصينة لا ترام
ولا يوصل اليها بطريق من الطرق الا أنه أمرهم بمزاحقتهم ونصب المنجنيق اليها
فعملوا ذلك ورموا بالمنجنيق فلم يصل من أحجاره الى القلعة شيء الا القليل الذي
لا يؤذي فبقى المسامون أياما لا يرون فيها طمعا وأهله غير مهتمين بالقتال لامتناعهم
عن ضرر يتطرق اليهم وبلاء ينزل عليهم فبينما صلاح الدين جالس وعنده أصحابه
وهم في ذكر القلعة واعمال الخيلة في الوصول اليها فقال بعضهم هذا الحصن كما
قال الله تعالى فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له نقبا فقال صلاح الدين
أو يأتي الله بنصر من عنده وفتح فيبيناهم في الحديث إذ أشرف عليهم افرنجي
ونادى يطلب الامان لرسول يحضر عند صلاح الدين فأجيب الى ذلك ونزل
رسول وسأل انتظارهم ثلاثة أيام فان جاءهم من يمنهم والاسموا القلعة بما فيها من
ذخائر ودواب وغير ذلك فأجابهم اليه وأخبرها عنهم على الوفاء به فلما كان اليوم
الثالث ساءوا اليه وسبب استمها لهم أنهم أرسلوا الى صاحب انطاكية وكان

هذا الحصن له يعرفونه أنهم محصورون ويطلبون منه ان يرحل عنهم المسلمين
والاساموها وانما فعلوا ذلك لرعب قد فقه الله في قلوبهم والافلوا قاموا الدهر
الطويل لم يصل اليهم أحد ولا يبلغ المسلمون منه غرضاً فلما أسلم صلاح الدين الحصن
سماه الى أمير يقال له قليج وأمره بعمارته ورحل عنه وكان قد سير ولده الظاهر
غازي صاحب حلب الى سرمينية فحصرها وضيق على أهلها واستنزهم على قطعة
قدرها عليهم ثم هدم الحصن وعفى أثره وكان في هذه الحصون من أسارى المسلمين
الجم الغفير فأطلقوا وأعطوا كسوة ونفقة واتفق أن فتح هذه الحصون كلها في
ست جمع مع انها كانت في أيدي أشجع الناس وأشدهم عداوة للمسلمين فسبحان
من اذا اراد ان يسهل الصعب فعل وهي جميعها من أعمال انطاكية ولم يبق لها
سوى القصير وبغراس ودرب سالك وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر فتح قلعة برزبة ﴾

ولما رحل صلاح الدين من قلعة الشفر سار الى قلعة برزبة وكان قد ووصفت له وهي
تقابل حصن اقامية وتناصفها في أعمالها وبينها بحيرة تجمع من ماء العاصي
وعيون تتفجر من جبل برزبة وغيره وكان أهلها أضر شيء على المسلمين يقطعون
الطريق ويبالغون في الاذى فلما وصل اليها نزل شرقها في الرابع والعشرين من
جمادى الآخرة ثم ركب من العدو طاف عليها لينظر موضعاً يقاتلها منه فلم يجده الا
من جهة الغرب فنصب له هناك خيمة صغيرة ونزل فيها ومعه بعض العسكر جريده
لضيق المواضع وهذه القلعة لا يمكن أن تقاتل من جهة الشمال والجنوب البتة فانها
لا يقدر أحد ان يصعد جبلها من هاتين الجهتين وأما الجانب الشرقي فيمكن
الصعود منه لكن لغير مقاتل لعلوه وصعوبته وأما جهة الغرب فان الوادي
المطيف بجبلها قد ارتفع هناك ارتفاعاً كثيراً حتى قارب القلعة بحيث يصل منه
حجر المنجنيق والسهم فنزله المسلمون ونصبوا عليه المنجنيقات ونصب أهل
القلعة عليها منجنيقاً بطلها وكان ابن الاثير صاحب التاريخ يجمع صلاح الدين في
هذه الغزوة طالباً للجهاد قال ورأيت أنامن رأس جبل عال يشرف على القلعة

لكنه لا يصل منه شيء اليها امرأة ترمى من القلعة عن المنجنيق وهي التي أبطلت
منجنيق المسلمين فلما رأى صلاح الدين ان المنجنيق لا ينتفعون به عزم على
الزحف ومكاثرة أهلها بجموعه فقسم عسكره ثلاثة أقسام بزحف قسم فاذا تعبوا
وكلوا عادوا و بزحف القسم الثاني فاذا تعبوا وضجروا عادوا وزحف القسم
الثالث ثم يدور الدور مرة بعد أخرى حتى يتعب الفرنج وينصبوا فانه لم يكن
عندهم من الكثرة ما ينقسمون كذلك فاذا تعبوا وأعيوا سلموا القلعة فلما كان
الغد وهو السابع والعشرون من جمادى الآخرة تقدم أحد الاقسام وزحفوا
وخرج الفرنج من حصنهم فقاتلهم ورماهم المسلمون بالسهام من وراء الجفنيات
والجنوبات والطارقيات ومشوا اليهم حتى قربوا الى الجبل فلما قربوا من الفرنج
عجزوا عن الدنوم منهم خشونة المرتقى وتسلط الفرنج عليهم لعلو مكانهم بالنشاب
والحجارة فانهم كانوا يلقون الحجارة الكبار فتندحرج الى أسفل الجبل فلا
يقوم لها شيء فلما تعب هذا القسم انحدروا وصعد القسم الثاني وكانوا جلوسا
ينتظر ونهم وهم حلقة صلاح الدين الخاصة فقاتلوا قتالا شديدا وكان الزمان حرا
شديدا فاشتد الكرب على الناس وصلاح الدين في سلاحه يطوف عليهم
ويحرضهم وكان تقي الدين ابن أخيه كذلك فقاتلوه الى قريب الظهر ثم تعبوا
ورجعوا فلما راهم صلاح الدين قد عادوا تقدم اليهم ويده جواق بردهم وصاح في
القسم الثالث وهم جلوس ينتظرون نوبتهم فوثبوا ملبين وساعدوا اخوانهم
وزحفوا معهم فجاء الفرنج ما لا قبل لهم به وكان القسم الاول قد استراحوا فقاموا
أيضا معهم فحينئذ اشتد الامر على الفرنج (وبلغت القلوب الحناجر) وكانوا قد
اشتد تعبهم ونصبهم فظهر عجزهم عن القتال وضعفهم عن حمل السلاح لشدة
الحرب والقتال فخالطهم المسلمون فعاد الفرنج يدخلون الحصن فدخل
المسلمون معهم وكان طائفة قليلة في الخيام شرقي الحصن فرأوا الفرنج قد أهملوا
ذلك الجانب لانهم لم يروا فيه مقاتلا وليكثروا في الجهة التي فيها صلاح الدين
فصعدت تلك الطائفة من العسكر فلم يمنعهم مانع فصعدوا أيضا الحصن من الجهة

الاخرى فالتقوا مع المسلمين الداخلين مع الفرنج فلكوا الحصن عنوة وقهرا
ودخل الفرنج القلعة التي للحصن وأحاط بها المسلمون وأرادوا انقبها وكان الفرنج
قد رفعوا من عندهم من أسرى المسلمين الى سطح القلعة وأرجلهم في القيود
والخشب المثقوب فلما سمعوا تكبير المسلمين في نواحي القلعة كبروا في سطح
القلعة وظن الفرنج ان المسلمين قد صعدوا أعلى السطح فاستسلموا وألقوا
بأيديهم الى الأسر فلكها المسلمون عنوة ونهبوا ما فيها وأسر واوسبوا من فيها
وأخذوا صاحبها وأهله وأمسّت خالية لاديار بها وألقى المسلمون النار في بعض
بيوتهم فاحترقت قال ابن الاثير وأعجب ما يحكى من السلامة اني رأيت رجلا من
المسلمين في هذه الواقعة قد جاء من طائفة من المؤمنين شمالي القلعة الى طائفة أخرى
من المسلمين جنوبي القلعة وهو يعد وفي الجبل عرضا فألقيت عليه الحجارة
وجاءه حجر كبير لونه لبعجه فنزل عليه فناداه الناس بحذرونه فالتفت ينظر
ما الخبر فسقط على وجهه من عثرة فاسترجع الناس وجاء الحجر اليه فلما قارب به وهو
منبطح على وجهه لقيه حجر آخر نابت في الارض فوق موضع الرجل فضربه
المنعدر عن الارض وجاز الرجل ثم عاد الى الارض من جانبه الآخر لم ينله منه
أذى ولا ضرر وقام الرجل حتى لحق بأصحابه فكان سقوطه سبب نجاته فتعست
أم الجبان وأما صاحب برزبة فانه أسره وأصحابه وامر أنه وأولاده ومنهم بنت
له ومعه اوز وجها فتفرقهم العسكر فأرسل صلاح الدين في الوقت وبحث عنهم
واشتراهم وجمع شمل بعضهم ببعض فلما قارب انطاكية أطلقهم وسيرهم اليها وكانت
امرأة صاحب برزبة أخت امرأة صاحب انطاكية وكانت ترسل صلاح الدين
وتهاديه وتعلمه كثيرا عن الاحوال التي تؤثر فأطلق هؤلاء لأجلها ثم بعد فتح برزبة
رحل صلاح الدين من الغد فأتى جسر الحديد وهو على العاصي بالقرب من
انطاكية فأقام عليه حتى وافاه من تخلف من عسكره

﴿ ذكر فتح درب سالك ﴾

ثم سار عنه الى درب سالك فنزل عليها ثامن رجب وهي من القلاع الحصينة التي

يدخرونها لجماعتهم عند نزول الشدائد فلما نزل عليها نصب المنجنيقات وتابع الرمي بالحجارة فهدمت من سورها شيئا يسيرا فلم يبال من فيه بذلك فأمر بالزحف عليها ومهاجتها فبادرها العسكر بالزحف وقتلوها وكشفوا الرجال عن سورها وتقدم النقبون فنقبوا منها برجا وعاقوه فسقط واتسع المكان الذي يريدان المقاتلة بدخول من منه وعادوا يومهم ذلك ثم باكروا الزحف من الغد وكان من فيه قد أرسلوا إلى صاحب انطاكية يستنجدون فصرخوا وأظهروا الجلد وهم ينظرون جوابه أما بانجادهم وإزاحة المسامين عنهم وأما بالنخلي عنهم ليقوم عندهم في التسليم فلما علموا عجزه عن نصرتهم وخافوا هجوم المسلمين عليهم وأخذهم بالسيف وقتلهم وأسروهم ونهب أموالهم طلبوا الأمان فأمنهم على شرط أن لا يخرج أحد الأتبياء التي عليه بغير مال ولا سلاح ولا أتاب بيت ولا دابة ولا شيء مما بها ثم أخرجهم منه وسيرهم إلى انطاكية وكان فتحه تاسع عشر رجب سنة أربع وثمانين وخمسمائة

ذ ك ر فتح بغراس

ثم سار صلاح الدين عن درب سالك إلى قلعة بغراس فحصرها بعد أن اختلف أصحابه في حصرها فغلب من أشار به ومنهم من نهى عنه وقال هو حصن حصين وقلعة منيعة وهو بالقرب من انطاكية ولا فرق بين حصره وحصرها ويحتاج أن يكون أكثر العسكر في البرك مقابل انطاكية فإذا كان الأمر كذلك قل المقاتلون عليها ويتعذر الوصول إليها فاستخار الله تعالى وسار إليها وجعل أكثر عسكره بز كما مقابلا انطاكية يغيرون على أعمالها وكانوا حذرين من الخوف من أهلها ان غفلوا لقرية منها وصلاح الدين في بعض أصحابه على القلعة يقاتلها ونصب المنجنيقات فلم تؤثر فيها شيئا لعلوها وارتفاعها فغلب على الظنون تعذر فتحها وشق على المسلمين قلة الماء عندهم إلا أن صلاح الدين نصب الخياض وأمر بحمل الماء إليها تخفف الأمر عليهم فبينما هو على هذه الحال إذ قد فتح باب القلعة وخرج منه إنسان يطلب الأمان فأجيب إلى ذلك فأذن له في الحضور فحضر وطلب الأمان لمن في الحصن حتى يسلموه إليه بما فيه على قاعدة درب سالك فأجابهم

الى ما طلبوا فعاد الرسول ومعه الاعلام الاسلامية فرفعت على رأس القلعة ونزل
من فيها وتسلم المسلمون القلعة بما فيها من ذخائر وأموال وسلاح وأمر صلاح الدين
المسلمين بتخريبه فخرّب ثم ندم على ذلك بعدلانه حصل منه بعد ذلك مضرة على
المسلمين لان ابن اليون صاحب الارمن خرج اليه من ولايته وهو بجواره
فجدد عمارته وأيقنه وجعل فيه جماعة من عسكره يغيرون منه على البلاد فتأذى
منهم السواد الذي حلب

﴿ ذكر الهدنة بين المسلمين وصاحب انطاكية ﴾

لما فتح صلاح الدين بغراس عزم على التوجه الى انطاكية وحصرها فخاف
صاحب انطاكية من ذلك وأشفق منه فأرسل الى صلاح الدين يطلب الهدنة
وبذل اطلاق كل أسير عنده من المسلمين فاستشار صلاح الدين من عنده من
أصحاب الاطراف وغيرهم فأشاروا كثيرهم باجابهته الى ذلك ليعود الناس يفتروا
ويجددوا ما يحتاجون اليه فأجاب الى ذلك واصطلحوا ثمانية أشهر وسير رسوله
الى صاحب انطاكية يستخلفه ويطلق من عنده من الاسرى وكان صاحب
انطاكية في ذلك الوقت أعظم الفرنج شأنا وأكثرهم ملكا فانه كان الفرنج قد
سلموا اليه طرابلس بعد موت صاحبها وجميع أعمالها مضافا الى ما كان له فلما
سلمت اليه طرابلس جعل ولده الأكبر فيها نائباً عنه وأما صلاح الدين فانه عاد الى
حلب ثالث شعبان فدخلها وسار منها الى دمشق وفرق أكثر العساكر وكان مع
صلاح الدين الأمير عز الدين أبو فليته قاسم بن المهنا العلوي الحسيني وهو أمير
مدينة النبي صلى الله عليه وسلم كان قد حضر عنده وشهد معه مشاهدته وفتوحه
وكان صلاح الدين قد تبرك برؤيته وتبين بصحته وكان بكرمه كثير او ينسبط معه
ويرجع الى قوله في أعماله كلها ودخل دمشق أول شهر رمضان فأشير عليه
بتفريق من بقي من العسكر فقال ان العمر قصير والاجل غير مأمون وقد بقي
بيد الفرنج من الحصون الكرك وصفد وكوكب وغيرها ولا بد من الفراغ منها
فانه في وسط بلاد الاسلام ولا يؤمن شر أهلها وان أغفلناهم ندمنا فيما بعد والله أعلم

﴿ ذكر فتح الكرك وما يجاوره ﴾

كان صلاح الدين قد جعل على الكرك عسكرا يحصره فلأزموا الحصار هذه
المدة الطويلة حتى فنيت أزواد الفرنج وذخائرهم وأكلوا دوابهم وصبروا حتى
لم يبق للصبر مجال فراسلوا الملك العادل أخا صلاح الدين وكان صلاح الدين قد
جعله على قلعة الكرك في جمع من العسكر يحصرها ويكون مطلعاً على هذه
الناحية من البلاد لما أبعد هو إلى درب ساك وبغراس فوصلته رسل الفرنج من
الكرك يبذلون تسليم القلعة اليه ويطلبون الأمان فأجابهم إلى ذلك وأرسل إلى
مقدم العسكر الذي يحصرها فتسلم القلعة منهم وأمنهم وتسلم أيضاً ما يقاربه من
الحصون كالشويك وهرمز والوعيرة والسلع وفرغ القلب من تلك الناحية وألقى
الإسلام هناك جرائه وأمنت قلوب من في ذلك الصقع من البلاد كالقدس وغيرها
فانهم كانوا ممن بتلك الحصون وجليلين ومن شرهم مشفقين

﴿ ذكر فتح قلعة صفد ﴾

لما وصل صلاح الدين إلى دمشق وأشير عليه بتفريق من بقي من العسكر قال
لأعد من الأفرنج من صفد وكوكب وغيرها فأقام بدمشق إلى منتصف رمضان
وسار عن دمشق إلى قلعة صفد يحصرها وقتلها ونصب عليها المنجنيقات وأدام
الرمي إليها ليلاً ونهاراً بالحجارة والسهام وكان أهلها قد فارتب ذخائرهم وأزوادهم
أن تبقى في المدة التي كانوا فيها محاصرين فان عسكر صلاح الدين كان يحاصرهم
فلما رأى أهل صفد صلاح الدين في قتالهم خافوا أن يقيم إلى أن يفنى ما بقي معهم من
أقواتهم وكانت قليلة ويأخذهم عنوة ويهلكهم أو أنهم يضعفون عن مقاومته قبل
فناء ما عندهم من القوات فيأخذهم فأرسلوا يطلبون الأمان فأمنهم وتسامها منهم
نخر جواعنه وساروا إلى مدينة صور وكفى الله المؤمنين شرهم فانهم كانوا في وسط
البلاد الإسلامية

﴿ ذكر فتح كوكب ﴾

لما كان صلاح الدين يحاصر صفدا جمع من بصور من الأفرنج وقالوا إن فتح
المسلمون قلعة صفد لم يبق كوكب ولواها معلقة بالكوكب وحينئذ ينقطع

طمعنا من هذا الطرف من البلاد فاتفق رأيهم على انفاذ نجدة لهم اسرا من رجال
وسلاح وغير ذلك فاخرجوا ما تاتي رجل من شجعان الفرنج وأجلادهم فساروا
الليل مستخفين وأقاموا النهار مكمنين فاتفق من قدرة الله تعالى أن رجلا من
المحاصر بن كوكب خرج متصيذا فلقى رجلا من تلك النجدة فاستغفر به بتلك
الارض فضر به ليعلمه بحاله وما الذي أقدمه الى هناك فأقر بالحال ودله على
أصحابه فعاد الجندي المسلم الى مقدم العسكر فأعلمه الخبر والفرنجي معه فركب في
طائفة من العسكر الى الموضع الذي اختفى فيه الفرنج فكبسهم فأخذهم وتبعهم
في الشعاب والكهوف فلم يفلت منهم أحد فكان معهم مقدمان من فرسان الفرنج
فملاوا الى صلاح الدين وهو على صدف فأحضرهما ليقتلها فلما أمر بقتلهما قال
له أحدهما ما أظن أن ينالنا سوء وقد نظرنا الى طلعتك المباركة ووجهك الصبيح
وكان يفعل فيه الاعتذار والاستعطاف فلما سمع كلامهما لم يقتلهما وأمر بهما
فسجنا ولما فتح صدف سار عنها الى كوكب ونازلها وحاصرها وأرسل الى من بها
من الفرنج يبذل لهم الامان ان ساموا ويتهددهم بالقتل والسبي والنهب ان امتنعوا
فلم يسمعوا قوله وأصر واعلى الامتناع فجد في قتالهم ونصب عليهم المنجنيقات
وتابع رمي الاحجار اليهم وزحف مرة بعد أخرى وكانت الامطار كثيرة لا تنقطع
ليلا ولا نهارا فلم يتمكن المسلمون من القتال على الوجه الذي يريدونه وطال
مقامهم عليها وفي آخر الامر زحف اليها دفعات متناوبة في يوم واحد ووصلوا
الى باشورة القلعة ومعهم النقبان والرماة يحمونهم بالنشاب عن قوس اليد
والخروج فلم يقدر أحد منهم أن يخرج رأسه من أعلى السور فنقبوا الباشورة
فسقطت وتقدموا الى السور الاعلى فلما رأى الفرنج ذلك أذعنوا بالتسليم وطلبوا
الامان فأمنهم وتسلم الحصن منهم منتصف القعدة وسيرهم الى صور فوصلوا اليها
واجتمع بها من شياطين الفرنج وشجعانهم كل صناديد فاشتد شوكتهم وحجبت
جوعهم وتابعوا الرسل الى الفرنج الذين في أوروبا والاندلس وصقلية وغيرها من
جزائر البحر يستغيثون ويطلبون الامداد والنجدة وفي كل قبيل تاتيهم وكان

ذلك كله بتفريط صلاح الدين في اطلاق كل من حصره حتى عض بنانه ندما
وأسفا حيث لم ينفعه ذلك واجتمع للمسلمين بفتح كوكب ووصف من حدايلة الى
أقصى أعمال بربوت لا يفصل بينه غير مدينة صور وجميع أعمال انطاكية سوى
القصير ولما ملك صلاح الدين صفد وكوكب سار الى البيت المقدس فعيد فيه عيد
الأضحى ثم سار منه الى عكا فأقامها حتى انسلخت سنة ٥٨٤ ودخلت سنة ٥٨٥
وهي مسيحية سنة ١١٨٩ في ربيع الاول من هذه السنة سار الى شقيف أرنوم
وهي من أمنع الحصون لمحضرة فنزل بمرج عيون فنزل صاحب الشقيف وهو
أرناط صاحب صيدا وكان هذا أرناط من أعظم الناس دهاء ومكرا فدخل اليه
واجتمع به وأظهر له الطاعة والمودة وقال له أنا محب لك ومعتزف باحسانك وأخاف
أن يعرف المر كيس صاحب صور ما بيني وبينك فينال أولادي وأهلي منه أذى
فانهم عنده فأحب أن تمهلي حتى أتوصل في تخليصهم من عنده وحينئذ أحضر أنا
وهم عندي ونسلم الحصن اليك وأكون أنا وهم في خدمتك نفع بما تعطينا من
اقطاع فظن صلاح الدين صدقه فأجابه الى ما سأله فاستقر الامر بينهما على أن يسلم
الشقيف في جمادى الآخرة وأقام صلاح الدين بمرج عيون ينتظر الميعاد وهو
قلق مفكر لقرب انقضاء مدة الهدنة بينه وبين صاحب انطاكية فأمر تقي الدين
ابن أخيه شاهنشاه أن يسير فيمن معه من عساكره ومن يأتيه غيرهم ويكون
مقابل انطاكية لئلا يغير صاحبها على بلاد الاسلام عند انقضاء الهدنة وكان أيضا
منزعج الخاطر كثيرا لهم لما بلغه من اجتماع الفرنج بمدينة صور وما يتصل به من
الامداد في البحر وأن ملك الفرنج الذي كان أسره صلاح الدين وأطلقه بعد فتح
القدس قد اصطلح هو وصاحب صور بعد اختلاف كان بينهما وانهما قد اجتمعا
في جمع لا يحصى وخرجوا من مدينة صور الى ظاهرها فكان هذا وأشباهه مما
يزعج ويخاف من ترك الشقيف وراء ظهره والتقدم الى صور وفيها الجموع
المتوافرة فتقطع الميرة عنه الا انه مع هذه الاشياء مقيم على العهد مع صاحب
الشقيف في مدة الهدنة بشئ من الاقوات من سوق العسكر والسلاح وغير ذلك مما

يحصن به شقيقه وكان صلاح الدين يحسن الظن به واذا قيل له عنه ما هو فيه من
المكر وان قصده المطاولة الى ان يظهر الفرنج من صور وحينئذ يبدى فضيخته
ويظهر مخالفته لا يصدق فيه فلما قارب انقضاء الهدنة تقدم صلاح الدين من
معسكره الى القرب من شقيقه ارنوم واحضر عنده ارناط صاحب الشقيق
وقد بقي من الاجل ثلاثة ايام فقال له في معنى تسليم الشقيق فاعتذر بأولاده وأهله
وأن صاحب صور لم يمكنه من المجيء اليه وطلب التأخير مدة أخرى فحينئذ علم
السلطان مكره وخداعه فأخذه وحجسه وأمره بتسليم الشقيق فطلب قيسا
ذكره ليحمله رسالته الى من بالشقيق ليساموه فأحضره وعنده فساره بمالم
يعلموا فغضى ذلك القيس الى الشقيق فأظهر أهله العصيان فأرسل صلاح
الدين ارناط صاحب الشقيق الى دمشق وبجئته وتقدم الى الشقيق فحصره
وضيق عليه وجعل عليه من يحفظه ويمنع من الذخيرة والرجالة وجاءه كتب من
أصحابه الذين جعلهم بزكا مقابل الفرنج على صور يخبرونه فيها أن الفرنج قد
أجمعوا على عبور الجسر الذي لصور وعزموا على حصار صيدا فسار صلاح
الدين جريدة في شجعان أصحابه سوى من جعله على الشقيق فوصل اليهم وقد
فان الامر وذلك ان الفرنج قد فارقوا صور وساروا عنه لمقصدهم فلقبهم البرك
على مضيق هناك وقتلواهم ومنعواهم وجري لهم معهم حرب شديدا يشيب لها الوليد
وأسر وامن الفرنج جماعة وقتلوا جماعة وقتل من المسلمين أيضا جماعة منهم مملوك
لصلاح الدين كان من أشجع الناس فحمل وحده على صف الفرنج فاختلف بهم
وضربهم بسيفه يمينا وشمالا فتكاثروا عليه فقتلوه رحمة الله تعالى ثم ان الفرنج
عجزوا عن الوصول الى صيدا فعادوا الى مكانهم ولما وصل صلاح الدين الى البرك
وقد فاتته الواقعة أقام عندهم في خيمة صغيرة ينتظر عودة الفرنج لينتقم منهم ويأخذ
بئار من قتلوه من المسلمين فركب في بعض الايام في عدة يسيرة على أن ينظر الى
مخيم الفرنج من الجبل ليعمل بمقتضى ما يشاهده وظن من هناك من غزاة العجم
والعرب المتطوعة أنه على قصد المصافى في الحرب فساروا بمجدين وأوغلوا في

أرض العدو وبعدين وفارقوا الخزم وخلفوا السلطان وراء ظهورهم وقاربوا
الفرنج فأرسل صلاح الدين عدة من الامراء يردونهم ويحمونهم الى أن يخرجوا
فلم يسمعوا ولم يقبلوا وكان الفرنج قد اعتقدوا أن وراءهم كمين فلم يقدموا عليهم
فأرسلوا من ينظر حقيقة الامر فأناهم الخبر انهم منقطعون عن المسلمين وليس
وراءهم ما يخاف فحملت الفرنج عليهم حملة رجل واحد فقاتلوه فلم يلبثوا أن
أناموهم وقتل معهم جماعة من المعروفين وشق على صلاح الدين والمسلمين ما جرى
عليهم وكان ذلك بتفريطهم في حق أنفسهم رحمة الله تعالى ورضى عنهم وكانت
هذه الواقعة ناسع جمادى الاولى فلما رأى صلاح الدين ذلك انحدر من الجبل اليهم
في عسكره فحملوا على الفرنج الى الجسر وقد أخذوا طريقهم فألقوا أنفسهم في
الماء فغرق منهم نحو مائة ذراع سوى من قتل وعزم السلطان على مصابرتهم
ومحاصرتهم فتسامع الناس فقصدوه واجتمع معه خلق كثير فلما رأى الفرنج ذلك
عادوا الى مدينة صور فلما عادوا اليها عاد صلاح الدين الى تبنين ثم الى عكا ينظر
حالتها ثم الى المعسكر والنخيم ولما عاد صلاح الدين الى المعسكر أناه الخبر ان الفرنج
يخرجون من صور للاحتطاب والاحتشاش متعددين فكتب الى من بعك من
العسكر وواعدهم يوم الاثنين ثامن جمادى الآخرة ليلا فوهم من الجانبين ورتب
كينا في موضع من تلك الاودية والشعاب واختار جماعة من شجعان عسكره
وأمرهم أنهم اذا حمل عليهم الفرنج قاتلوهم شيئا من قتال ثم تطاردوا لهم وأروهم
العجز عن مقاتلتهم فاذا تبعهم الفرنج استجروهم الى أن يجوزوا موضع الكمين
ثم يعطفوا عليهم ويخرج الكمين من خلفهم فخرجوا على هذه العزيمة فلما تراءى
الجمعان والتقت الفئتان انف فرسان المسلمين أن يظهر عنهم اسم الهزيمة وثبتوا
فقاتلوا وصبر بعضهم لبعض واشتد القتال وعظم الامر ودامت الحرب وطال
على الكمين الانتظار فخافوا على أصحابهم فخرجوا من مكانهم نحوهم مسرعين
اليهم قاصدين فأنوهم وهم في شدة الحرب فازداد الامر شدة على شدته وكان منهم
أربعة أمراء من ربيعة طى وكانوا يجهلون تلك الارض فلم يسلكوا مسلك

أصحابهم فسلكوا الوادي ظننا منهم أنه يخرج بهم إلى أصحابهم وتبعهم بعض مماليك
صلاح الدين فلما راهم الفرنج بالوادي فعلموا أنهم جاهلون فأتوهم وقتلوه وأما
المملوك فإنه نزل عن فرسه وجلس على صخرة وأخذ قوسه بيده وحى نفسه
وجعلوا يرمونه بسهام الزنبوك وهو يرميهم فخرج منهم جماعة وجر حوه جراحات
كثيرة فسقط فأتوه وهو باآخر رمق فتر كوه وانصرفوا وهم يحسبونهم ميتا ثم
ان المسلمين جاؤا من الغد إلى مواضعهم فرأوا القتلى ورأوا المملوك حيا فحملوه
في كساء وهو لا يكاد يعرف من الجراحات فأيسوا من حياته وعرضوا عليه
الشهادة وبشره بالشهادة فتر كوه ثم عادوا إليه فرأوه وقد قويت نفسه
فأقبلوا عليه بمشروب ففعل في ثم كان بعد ذلك لا يحضر مشهدا إلا كان له فيه
الأثر العظيم ﴿ ذكر مسير الفرنج إلى عكا ومحاصرتها ﴾

لما كثر جمع الفرنج بصور على ما ذكرناه مع أن صلاح الدين كان كلما فتح مدينة
أو قلعة أعطى أهلها الأمان وسيرهم إليها بأموالهم ونسائهم وأولادهم فاجتمع بها
منهم عالم كثير لا يعد ولا يحصى ومن الأموال ما لا يفنى على كثرة الانفاق في السنين
الكثيرة ثم إن الرهبان والقسيسين وخلقا كثيرا من مشهورهم وفرسانهم
لبسوا السواد وأظهروا الحزن على خروج بيت المقدس من أيديهم وأخذهم
البطرك الذي كان بالقدس ودخل بهم بلاد الفرنج بطوفها بهم جميعا ويستجدون
أهلها ويحتنونهم على الأخذ بشاريت المقدس وصوروا المسيح عليه السلام
وجعلوا صورة رجل عربي والعربي يضرب به وقد جعلوا الدماء في صورة المسيح
عليه السلام وقالوا لهم هذا المسيح يضرب به محمد نبي المسلمين وقد جرحه وقتله فعظم
ذلك على الفرنج فحشروا وحشدا وحتى النساء فأنهم كان معهم على عكاعدة من
النساء يبارزون الاقران ومن لم يستطع منهم الخروج بنفسه استأجر من يخرج
عوضا عنه يعطيهم مالا على قدر حالهم فاجتمع لهم من الرجال والأموال ما لا يتطرق
إليه الاحصاء حتى أن بعض الاسرى منهم حدث أن له والدة ليس لها ولد سواه وما
كانت تملك من الدنيا غير بيت فباعته وجهزته بثمنه وسيرته لاستنقاذ بيت

المقدس فأخذ أسيرا فكان عند الفرنج من الباعث الديني والنفساني ما هذا
حده فخر جواعلى الصعب والذلول براو بحر امن كل فج عميق وحاصروا عكا
ثلاث سنين حتى ملكوها وكان ابتداء تجمعهم وسيرهم هذا المسير سنة ٥٨٥ هـ وهي
مسيحية سنة ١١٨٩ فنازلوا عكا منتصف رجب من السنة المذكورة والامداد
تأتيهم في كل وقت بالمال والرجال والمسامون يقاتلونهم * وفي سنة ١١٩٠ مسيحية
وهي سنة ٥٨٦ هـ هجرة قامت لهم النجربة الثالثة ونفروا نفر اعلم من بلاد أوروبا
تحت راية فليب ملك فرنسا وفريد ملك جرمانيا وبريكاردوس الأول ملك
انكلترا الملقب بقلب الأسد وغيرهم من الامراء فهضوا جميعا وقصدوا بلاد
فلسطين بمائتي سفينة مشحونة بالعساكر والمهمات وعند وصولهم الى مدينة
صور وهي الباقية بأيديهم تقدموا منها الى مدينة عكا وحاصروها مع من كان قبلهم
محاصرها حتى تم عدد المحاصرين ستائة ألف ولاقى المسلمين من حربهم أشد
البلاء وكان ابتداء سيرهم من صور ثامن رجب سنة ٥٨٥ هـ بموج بعضهم في بعض
ومعهم الاموال العظيمة والبحر يمدهم بالاقوات والذخائر والعدد والرجال من
بلادهم ولزموا ساحل البحر في سيرهم لا يفارقونه في السهل والوعر والضيق
والسعة ومراكبهم تسير مقابلهم في البحر فيها سلاحهم وذخائرهم ولتكون عدة
لهم ان جاءهم مالا قبل لهم بهر كبا فيها وعادوا * ولما كانوا سائرين كان يركب
المسلمين يتخطفونهم ويأخذون المنفرد منهم ولما رحلوا جاء الخبر الى صلاح الدين
برحيلهم فسار حتى قاربهم ثم جمع أمراءه واستشارهم هل يكون المسير محاذة
الفرنج ومقاتلتهم وهم سائرون أو يكون في غير الطريق التي سلكوها فقالوا
لا حاجة بنا الى احتمال المشقة في مسيرتهم فان الطريق وعر وضيق ولا يتنبأ لنا
ما يزيد منهم والرأى أننا نسير في الطريق الواسع ونجتمع عليهم عند عكا فنفر قههم
ونزقهم فعلم ميلهم الى الراحة المعجلة فوافقهم وكان رأيه مسيرتهم ومقاتلتهم وهم
سائرون وقالوا ان الفرنج اذا نزلوا الصقوا بالارض فلا يتنبأ لنا ازعاجهم ولا نيل
الغرض منهم والرأى قتلهم قبل الوصول الى عكا فخالقوه فتبعهم وساروا على

طريق واسع فسبقهم الفرنج وكان صلاح الدين قد جعل في مقابل الفرنج جماعة
من الامراء يسايرونهم ويناضونهم القتال ويتخطفونهم فلم يقدم الفرنج عليه
مع قلتهم فلوان العساكر تبعت رأى صلاح الدين في مسايرتهم ومقاتلتهم قبل
نزولهم على عكا كان بلغ منهم غرضه وصددهم عنها ولكن اذا اراد الله امر ا هيا
اسبابه * ولما وصل صلاح الدين الى عكا رأى الفرنج قد نزلوا عليها من البحر الى
البحر من الجانب الآخر ولم يبق للمسلمين طريق الى عكا فنزل صلاح الدين عليهم
وضرب خميته على تل كيسان وامتدت ميمنته الى تل القياضية وميسرته الى النهر
الجارى ونزلت الأثقال بصفورية وسير الكتب الى الاطراف باستدعاء العساكر
فأتاه الناس من كل البلاد وكانت الامداد تأتي المسلمين في البر وتأتي الفرنج في
البحر وكان بين الفريقين مدة مقامهم على عكا حروب كثيرة ا بين صغيرة وكبيرة
ولما نزل السلطان عليهم لم يقدر على الوصول اليهم ولا الى عكا حتى انسلخ رجب ثم
قاتلهم مستهل شعبان فلم ينل منهم ما يريد وبات الناس على تعبته فلما كان الغد
باكرهم بالقتال بحده وحديده واستدار عليهم من سائر جهاتهم من بكرة الى
الظهر وصبر الفريقان صبرا حار له من رآه فلما كان وقت الظهر حمل عليهم تقي
الدين ابن أخي صلاح الدين حملة منكورة من الميمنة على من يليه منهم فأزاحهم
عن مواقعهم فركب بعضهم بعضا لا يلوى أخ على أخ والتجؤوا الى من يليهم من
أصحابه واجتمعوا بهم وأخلوا نصف البلد وملك تقي الدين مكاهم والتصق بالبلد
وصار ما أخلوه بيده ودخل المسلمون البلد وخرجوا منه واتصلت الطرق
وزال الحصر عن فيه وأدخل صلاح الدين اليه من أراد من الرجال وما أراد من
الدخائر والاموال والسلاح وغير ذلك ولو أن المسلمين لزموا قتالهم الى الليل
ليلغوا ما أرادوه فان للصدمة الاولى روعة لكهم لما نالوا منهم هذا القدر أخلدوا
الى الراحة وتركوا القتال وقالوا نباكرهم غدا ونقطع دابرهم وقتل من الفرنج
هذا اليوم جماعة كثيرة * ذكر واقعة أخرى *
ثم ان المسلمين نهضوا الى الفرنج من الغد وهو سادس شعبان عازمين على بذل

جهدهم واستنفاد وسعهم في استئصالهم فتقدموا على تعيينهم فرأوا الفرنج حذرين محتاطين قد ندموا على ما فرطوا فيه بالامس وهم قد حفظوا أطرافهم ونواحيهم وشرعوا في حفر خندق يمنع عن الوصول اليهم فأح المسلمون عليهم في القتال فلم يتقدم الفرنج اليهم ولا فارقوا من ابضهم فلما رأى المسلمون ذلك عادوا عنهم ثم ان جماعة من العرب بلغهم أن جماعة من الفرنج تخرج من الناحية الاخرى الى الاحتطاب وغيره من أشغالهم فكمنوا لهم في معاطف النهر ونواحيه سادس عشر شعبان فلما خرج جمع الفرنج على عادتهم حمل عليهم العرب فقتلوه عن آخرهم وغنموا ما كان معهم وحملوا الرؤس الى صلاح الدين فأحسن اليهم بالجوائز والخلع

﴿ ذكر الوقعة الكبرى على عكا ﴾

لما كان بعد هذه الواقعة المذكورة بقي المسلمون الى عشرين من شعبان كل يوم يغادون القتال مع الفرنج ويراوحونه والفرنج لا يظهرون من معسكرهم ولا يفارقونه ثم ان الفرنج اجتمعوا للشورة فقالوا ان عسكر مصر لم يحضر والخال مع صلاح الدين هكذا فكيف يكون اذا حضر وافل رأى اننا نلقى المسلمين غدا لعنا نظفر بهم قبل اجتماع العسكر والامداد اليهم وكان كثير من عسكر صلاح الدين غائبين عن بعضهم مقابل انطاكية ليرد صاحبها عن أعمال حلب وبعضهم في حصص مقابل طرابلس ليحفظ ذلك الثغر أيضا وعسكر في مقابل صور لحماية ذلك البلد وعسكر بمصر يكونون بشغرد مياط والاسكندرية وغيرها والذي بقي من عسكر مصر لم يصلوا لطول بيكارهم فكان هذا مما أطمع الفرنج في الظهور الى قتال المسلمين وأصبح المسلمون على عادتهم منهم من يتقدم الى القتال ومنهم من هو في خيمته ومنهم من قد توجه في حاجة من زيارة صديق وتحصيل ما يحتاج اليه هو وأصحابه ودوابه الى غير ذلك فخرج الفرنج من معسكرهم كأنهم الجراد المنتشر يدبون على وجه الارض قد ملؤوها طولاً وعرضاً وطلبوا ميمنة المسلمين وعلياتي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين فلما رأى الفرنج نحوه قاصدين حذرهم وأصحابه فتقدموا اليه فلما قربوا منه تأخر فلما رأى صلاح الدين

الحال وهو في القلب أمدتقي الدين برجال من عنده ليمتقوى تقي الدين فلما رأى
الفرنج قلة الرجال في القلب وان كثير منهم قد سار نحو الميمنة مددا لهم عطفوا
على القلب فحملوا حمله رجل واحد فاندفعت العساكر بين أيديهم منهزمين
وثبت بعضهم فاستشهد جماعة منهم ولم يبق بين أيديهم في القلب من ردهم فقصدوا
التل الذي عليه خيمة صلاح الدين فقتلوا من مروا به ونهبوا وقتلوا عند خيمة
صلاح الدين جماعة وانحدروا الى الجانب الآخر من التل فوضعوا السيف فيمن
لقوه ثم إن الفرنج نظروا الى ورائهم فرأوا أمدادهم قد انقطعت عنهم فرجعوا
خوفاً أن ينقطعوا عن أصحابهم فحملت الميسرة على الفرنج الواصلين الى خيمة
صلاح الدين صادفهم وهم راجعون وكان صلاح الدين لما انهزم القلب قد
تبعهم يناديهم ويأمرهم بالكره ومعاهدة القتال فاجتمع منهم معه جماعة فحمل
بهم على الفرنج من وراء ظهورهم وهم مشغولون بقتال الميسرة فأخذتهم
سيوف الله من كل جانب فلم يفلت منهم أحد وقتل أكثرهم وأخذ الباقون أسرى
وكان عدة القتلى عشرة آلاف قتيل سوى من كان جانب البعير ثم أمر بالقتلى
فألقوا في النهر الذي يشرب منه الفرنج وكان من جملة الأسرى ثلاثة نسوة
فرنجيات كن يقاتلن على الخيل ولولا أن العساكر تفرقت في الهزيمة لكانوا
يلقوا من الفرنج الاستئصال والهلاك على أن الباقين بذلوا جهدهم وجدوا في
القتال وصمموا على الدخول مع الفرنج في معسكرهم لعلمهم بفرغون منهم فجاء
للسلمين الصريح بأن رجالهم وأموالهم نهبت وكان سبب هذا أن الناس لما رأوا
الهزيمة حملوا أنقالهم على الدواب فسار بهم أوباش العسكر وغلمانهم فتهبوا وأتوا
عليه وكان في عزم صلاح الدين أن يباكرهم القتال والزحف فرأى اشتغال
الناس بما ذهب من أموالهم وهم يسعون في جمعها وتحصيلها فأمر بالنداء باحضار
ما أخذ فأحضر منه مملأ الأرض من المفارش والعيب المملوءة والثياب
والسلاح وغير ذلك فرد الجميع على أصحابه نفاقه ذلك اليوم ما أراد فسكن روع
الفرنج وأصلحوا شأن الباقين منهم

﴿ ذكر رحيل صلاح الدين عن الفرنج وتمكنهم من حصر عكا ﴾

لما قتل من الفرنج ذلك العدد الكثير جافت الارض من نتن ريحهم وفسد الهواء والجو ووجدت الامرجة فسادا وانحرف مزاج صلاح الدين وحدث له قولنج مبرح كان يعتاده فحضر عنده الأمراء وأشاروا عليه بالانتقال من ذلك الموضع وترك مضايقة الفرنج وحسنه له وقالوا قد ضيقنا على الفرنج ولو أرادوا الانفصال عن مكانهم لم يقدر واو الرأي أننا نبعدهم بحيث يتمكنون من الرحيل والعود فان رحلوا فقد كفينا شرهم وكفوا شرنا وان أقاموا عاودنا القتال ورجعنا معهم الى ما نحن فيه ثم ان مزاجك منحرف والالم شديد ولو وقع ارجاف لهلك الناس والرأي على كل تقدير البعد عنهم وافقهم الاطباء على ذلك فاجابهم اليه لما يريد الله أن يفعله واذا أراد الله بقوم سوء أفلامر دله وما لهم من دونه من وال فرحلوا الى الخروبة رابع شهر رمضان وأرسل لمن في عكا من المسلمين يأمرهم بحفظها واغلاق أبوابها والاحتياط وأعلمهم بسبب رحيله فامار حل هو وعسا كره أمن الفرنج وان بسطوا في تلك الارض وعادوا وحصر عكا وأحاطوا بها من البحر الى البحر ومرا كهم أيضا في البحر تحصرها وشرعوا في حفر الخندق وعمل السور من التراب الذي يخرجونه من الخندق وجاءوا بما لم يكن في الحساب وكان البرك كل يوم يواقعهم وهم لا يقاتلون ولا يتحركون انما هم معتمدون بحفر الخندق والسور عليهم ليتحصنوا به من صلاح الدين ان عاد الى قتالهم فحينئذ ظهر رأى المشيرين بالرحيل انه غير صواب وكان البرك كل يوم يخبرون صلاح الدين بما يصنع الفرنج ويعظمون الأمر عليه وهو مشغول بالمرض لا يقدر على النهوض للحرب وأشار عليه بعضهم بان يرسل العساكر جميعها اليها لينعهم من الخندق والسور ويقاتلوهم ويتغلب هو عنهم فقال اذا لم أحضر معهم لا يفعلون شيئا وربما كان من الشر أضعاف ما نرجوه من الخير فتابأخر الأمر الى أن عوفي فتمكن الفرنج وعملوا ما أرادوا وأحكموا أمورهم وحسنوا أنفسهم بما وجدوا اليه السبيل وكان من بعكايخرجون اليهم كل يوم ويقاتلونهم وينالون منهم بظاهر

البلد ولما برى صلاح الدين من مرضه كان الشتاء قد دخل عكا فاقام بمكانه الى
أن ذهب الشتاء وكان يزك وطلأته لاتنقطع عن الفرنج وفي منتصف شوال
وصلت اليه العساكر المصرية ومقدمها الملك العادل سيف الدين أخو صلاح
الدين فقويت نفوس الناس به وأحضر معه من آلات الحصار من الدرق
والطارقيات والنشاب والأقواس شياً كثيراً ومعه من الرجال الجمل الغفير ووصل
بعده الاسطول المصري ومقدمه الامير لؤلؤة وكان شهماً شجاعاً مقداماً خبيراً
بالبحر والقتال فيه ميمون النقيب ووقع في طريقه على بطسة كبيرة للفرنج
فغتمها وأخذ منها أموالاً كثيرة وميرة عظيمة ودخلت سنة ست وثمانين فلما دخل
صفر سمع الفرنج ان صلاح الدين قد سار للصيد ورأى العسكر الذي في المعسكر
عندهم قليلاً وان الوحل الذي في مرج عكا كثير يمنع من سلوكه من أراد أن
يهدر الى اليزك فاغتموا ذلك وخر جوامن خندقهم على اليزك وقت العصر
فقاتلهم المسلمون وجروا نفوسهم بالنشاب وأحجم الفرنج عنهم حتى فنى نشاب
المسلمين فحملوا عليهم حينئذ حمله رجل واحد فاشتد القتال وعظم الامر وعلم
المسلمون أنه لا ينجيهم الا الصبر وصدق القتال فقاتلوا قتالاً مستقتل الى أن جاء
الليل وقتل من الفريقين جماعة كثيرة وعاد الفرنج الى خندقهم ولما عاد صلاح
الدين الى المعسكر سمع خبر الواقعة فندب الناس الى نصر اخوانهم فأناه الخبر ان
الفرنج عادوا الى خندقهم فاقام ثم انه رأى الشتاء قد ذهب وجاءته العساكر من
البلاد القريبة منه دمشق وحمص وحمص وغيرها فتقدم من الخروبة نحو عكا فنزل
تل كيسان وقاتل الفرنج كل يوم ليسغلهم عن قتال من بعك من المسلمين فكانوا
يقاتلون الطائفتين ولا يسأمون

﴿ ذكر احراق الابراج ووقعة الاسطول ﴾

كان الفرنج في مدة مقامهم على شكاف عمالوا ثلاثة أبراج من الخشب عالية جدا
طول كل برج منها في السماء ستون ذراعاً وعمالوا كل برج منها خمس طبقات كل
طبقة مملوءة من المقاتلة وغشوها بالجلود والحل والطين والادوية التي تمنع النار

من احراقها وأصلحوا الطرق لها وقد موهنا نحو مدينة عكا من ثلاث جهات
وزحفوا بها من العشرين في ربيع الأول فأشرفت على السور وقاتل بها من
عليه فأنكشفوا وشرعوا في طم خندق البلد فأشرف البلد على أن يملك عنوة
وقهر فأرسل أهل البلد إلى صلاح الدين أنسانا سح في البحر فأعلمه ما هم فيه من
الضيقة وما قد أشرفوا عليه من أخذهم وقتلهم فركب هو وعساكره وتقدم إلى
الفرنجة وقاتلهم من جميع جهاتهم قتالا عظيما دائما شغلهم عن مكائفة البلد فافترق
الفرنجة فرقتين فرقة تقاتل صلاح الدين وفرقة تقاتل أهل عكا إلا أن الأمر قد
خف عن البلد ودام القتال ثمانية أيام متتابعة آخرها الثامن والعشرون من
الشهر وسُمّ الفريقان القتال وملوا منه ملازمة ليلا ونهارا والمسلمون قد تيقنوا
استيلاء الفرنجة على البلد لأروا من عجز من فيه عن دفع الأبراج فأنهم لم يتركوا
حيلة إلا عملوها فلم يقد ذلك ولم يغن عنهم شيئا وتابعو رمي النفط الطيار عليها فلم
يؤثر فيها فأيقنوا بالبوار والهلاك فأنهم الله بنصر من عنده وأذن في احراق
الأبراج وكان سبب ذلك أن انسانا من أهل دمشق كان مولعا بجمع آلات
النفاطين وتحصيل عقاقير تقوى عمل النار فكان من يعرفه يلومه على ذلك
وينكره عليه وهو يقول هذه حالة لم أبأثرها بنفسي إنما أشتى معرفتها وكان
بعكالا مري بربه الله فلما رأى الأبراج قد نصبت على عكا شرع في عمل ما يعرفه من
الأدوية المقوية للنار بحيث لا يمنعها شيء من الطين والخل وغيرهما فلما فرغ منها
حضر عند الأمير قراقوش وهو متولى الأمور بعكا والحاكم فيها وقال له يأمر
المنجنيق أن يرمى في المنجنيق المحاذي لبرج من هذه الأبراج ما أعطيه حتى أحرقه
وكان عند قراقوش من الغيظ والخوف على البلد ومن فيه ما يكاد يقتله فازداد
غيظا لقوله وحرد عليه فقال له قد بالغ أهل هذه الصناعة في الرمي بالنفط وغيره فلم
يفلحوا فقال له من حضر لعل الله تعالى قد جعل الفرع على يده هذا ولا يضرنا أن
نوافق على قوله فأجابه إلى ذلك وأمر المنجنيق بامتثال أمره فرمى عدة قدور
نفطا وأدوية ليس فيها نار فكان الفرنجة إذا رأوا القدر لا يحرق شيئا يصبحون

و يرقصون و يلعبون على سطح البرج حتى علم ان الذي ألقاه قد تمكن من البرج
و التصق به حتى اذا جاءه النار اشتعل سر يعا ألقى قدر المملوءة و جعل فيها النار
فاشتعل البرج و ألقى قدر انانية و ثالثة فاضربت النار في نواحي البرج و أعجبت
من في طبقاته الخمس عن الهرب و الخلاص فاحترق هو و من فيه و كان فيه من
الزرديات و السلاح شئ كثير و كان طمع الفرنج بما رأوا أن القدر الاولى لا تعمل
يحملهم على الطمأنينة و نرك السعي في الخلاص حتى عجز الله لهم النار في الدنيا
قبل الآخرة فلما احترق البرج الاول انتقل الى الثاني و قد هرب من فيه خوفاً
فاحرقه و كذلك الثالث و كان يوماً مشهوداً لم ير الناس مثله و المسلمون الذين مع
صلاح الدين خارج البلدي ينظرون و يفرحون و قد أسفرت وجوههم بعد
الكآبة فرحاً بالنصر و خلاص المسلمين من القتل لانهم ليس فيهم أحد الاوله
في البلاد امانسيب و اما صديق و حمل ذلك الرجل الى صلاح الدين فبذل له الاموال
الجزيلة و الاقطاع الكثيرة فلم يقبل منه الحجة الفردة و قل انما عملته لله تعالى
ولا أريد الجزاء الا منه و سيرت الكتب الى البلاد بالبشائر و أرسل صلاح الدين
يطلب العساكر الشرقية فأول من أتاه صاحب سنجار بعساكره و ديار الجزيرة
ثم صاحب الموصل بعساكره ثم صاحب أربل بعساكره و كان كل منهم اذا
وصل يتقدم الى الفرنج بعساكره و ينضم اليهم غيرهم و يقاتلونهم ثم ينزلون
و وصل الاسطول من مصر فلما سمع الفرنج بقر به جهزوا الى طريقه اسطولا
ياقاه و يقاتله فركب صلاح الدين في العساكر جميعها و قاتلهم من جهاتهم
ليشتغلوا بقتاله عن قتال الاسطول ليتمكن من دخول عكا فلم يشتغلوا عن قصده
بشئ فكان القتال بين الفريقين راو بحرا و كان يوماً مشهوداً لم يورخ مثله
و أخذ المسلمون من الفرنج مراكب فيه من الرجال و السلاح و أخذ الفرنج من
المسلمين مثل ذلك الا أن القتل في الفرنج كان أكثر منه في المسلمين و وصل
الاسطول الاسلامي سالماً

﴿ ذكر وصول ملك الالمان الشام ومونه ﴾

في هذه السنة كان خروج ملك الالمان من بلاده والالمان نوع من الفرنج من
أكثرهم عددا وأشدهم بأسا وكان قد أزعجهم تملك المسلمين بيت المقدس فجمع
عساكره وأزاح عنهم وسار عن بلاده وكان طريقه على القسطنطينية وكان
ملك القسطنطينية عقد صلح مع صلاح الدين وصار يكتبه ويظهر له المودة
فأرسل ملك الروم لصلاح الدين يخبره بقدم ملك الالمان ويعده أنه لا يمكنه من
العبور في بلاده فلما وصل ملك الالمان إلى القسطنطينية عجز ملكها عن منعه من
العبور لكثرة جموعه لكنه منع عنهم الميرة ولم يمكن أحدا من رعيته من حمل ما
يريدونه اليهم فضاقت بهم الأزواد والاقوات وساروا حتى عبروا خارج
القسطنطينية وساروا على بلاد الاسلام وهي مملكة الملك قليج أرسلان السلجوقي
وكان من ملوك الاسلام فلما وصلوا إلى أوائلها سار بهم المسلمون فإزوا
يسابرونهم ويقتلون من انفردوا يأخذون ما قدروا عليه من أموالهم وكان الزمان
شتاء والبرد في تلك البلاد شديد والثلج متراكم فأهلكهم البرد والجوع والقتل
والأخذ فلما غابوا مدينة قونية خرج اليهم الملك قطب الدين بن قليج أرسلان
السلجوقي ليمنعهم فلم يكن له بهم قوة فعاد إلى قونية فساروا حتى بلغوا انطاكية
وكانوا فيها أربعين ألفا ووقع فيهم مرض ووباء فمات كثير منهم ودخل ملكهم
في نهر ليغتسل فغرق فجعلوا ابنه ملكا عليهم بدله ثم ساروا حتى وصلوا إلى عكا
فلما رأوا ما نالهم من المشقات أراد كثير منهم العود إلى بلادهم فركبوا في مراكب
غرقت بهم ولم يبق منهم إلا القليل ولما بلغ صلاح الدين أقبالهم استشار أصحابه
فأشار كثير منهم عليه بالمسير إلى طريقهم ومحاربتهم قبل أن يتصلوا بمن على عكا
فقال بل نقيم إلى أن يقر بوائنا وحينئذ ننفعل ذلك لئلا يستسلم من يعكنا
عساكرنا لكنه سير بعض عساكره إلى أعمال حلب ليكونوا من أطراف
البلاد يحفظونها من عاديهم وكان حال المسلمين كما قال الله تعالى إذ جاؤكم من
فوقكم ومن أسفل منكم وإذا اغتلبت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون

بأن الله الظنوننا هنالك ابتلى المؤمنين وزلزلوا زلازلًا شديداً * لكن كفى الله شرهم
وأقل عددهم بما أصابهم من العوارض والبلايا في طريقهم
﴿ ذكر واقعة للمسلمين والفرنجة على عكا ﴾

وفي هذه السنة أعني سنة ٥٨٦ في العشرين من جمادى الآخرة خرجت الفرنجة
فارسها وراجلها من وراء خنادقهم وتقدموا إلى المسلمين وقصدوا نحو عسكر
مصر ومقدمهم الملك العادل أخو صلاح الدين فركب المصريون واصطفوا
للقاء الفرنجة فاقتتلوا قتالاً شديداً فاتحاز المصريون عنهم ودخل الفرنج خيامهم
ونهبوا أموالهم فسكر المصريون ورجعوا عاطفين عليهم فقاتلوه من وسط
خيامهم فأخرجوهم عنها وتوجهت طائفة من المصريين نحو خنادق الفرنج
فقطعوا المدد عن أصحابهم الذين خرجوا وكانوا متصلين كالتمل فلما انقطعت
أمدادهم ألغوا بأيديهم وأخذتهم السيوف من كل ناحية فلم ينج منهم إلا الشريد
وقتل منهم مقتلة عظيمة يزيد عدد القتلى على عشرة آلاف قتيل ولما جرت عليهم
هذه الحادثة خمدت جرنهم ولانت عربيتهم فلما كان بعد يومين أتتهم أمداد في
البحر مع كند من الكنود البحرية يقال له الكندهري ابن أخي ملك فرانسوا
لأبيه وابن أخي ملك انكتر الأمه ووصل معهم من الأموال شيء كثير يفوته الإحصاء
فلما وصل جنود الجنادو بذل الأموال فعادت نفوسهم قوية واطمأنت وأخبرهم
أن الأمداد واصله إليهم يتلو بعضها بعضها فتماسكوا وحفظوا مكائهم ثم أظهروا
أنهم يريدون الخروج إلى لقاء المسلمين وقتالهم وكانت منزلة المسلمين قد أنتنت
بريح القتلى فاختروا الانتقال إلى موضع يتسع فيه المجال فانتقلوا من مكائهم إلى
الخروبة في السابع والعشرين من جمادى الآخرة ثم إن الكندهري نصب
منجنيقا ودبابات وعرادات للتوصل إلى دخول عكا فخرج من بعك من المسلمين
فأخذوها وقتلوا عندها كثير من الفرنج ثم إن الكندهري بعد أخذ منجنيقانه
أراد أن ينصب منجنيقا آخر فلم يتمكن من ذلك لأن المسلمين الذين بعكا كانوا
يمنعون من عمل ستائر يستتر بها من برى من المنجنيق فعمل تلامن تراب بالبعد

من البلد فكان الفرنج ينقلون التل الى القرب من البعد بالتدريج ويسترون
به فلما قرب الى البلد وصار بحيث يصل من عنده حجر المنجنيق نصبوا من ورائه
منجنيقين وصار التل ستره لهما وكانت الميرة قد قلت بعكاف أرسل صلاح الدين الى
الاسكندرية يأمرهم بانفاذ الافوات واللحوم وغير ذلك في المراكب الى عكا
فتأخر انفاذها فسير الى نائبه بمدينة بيروت في ذلك فسير بطسة عظيمة مملوءة من
كل ما يريدونه وأمر من بها فلبسوا ملابس الفرنج وشبهوا بهم فرفعوا عليها
الصلبان فلما وصلوا الى عكا لم يشك الفرنج أنها لهم فلم يتعرضوا لها فلما حاذت مينا
عكا أدخلها من بها ففرح بها المسلمون وانتعشوا وقويت نفوسهم الى أن
أتتهم الميرة من الاسكندرية وخرجت ملكة من الفرنج من داخل البحر في نحو
ألف مقاتل فأخذت بنواحي الاسكندرية وأخذت معها ثم ان الفرنج وصلهم
كتاب من البابا وهو كبيرهم الذي يصدر عن أمره وكان قوله عندهم كقول
النبين لا يخالف والمحروم عندهم من حرمة والمقرب من قربه وهو صاحب رومة
الكبرى يأمرهم في كتابه بملازمة ما هم بصدده ويعلمهم أنه قد أرسل الى جميع
الفرنج يأمرهم بالمسير الى نجدتهم برا وبحرا ويعلمهم بوصول الامداد اليهم فازدادوا
قوة وطمعا

ذكر خروج الفرنج من خنادقهم

لما تابعت الامداد الى الفرنج وجند لهم الكندهنرى جمعا كثيرا بالاموال التي
وصلت معه عز موا على الخروج من خنادقهم ومناجزة المسلمين فنزكوا على عكا
من يحصرها ويقا تل أهلها وخرجوا حادى عشر شوال من السنة المذكورة في
عدد كالرمل كثرة وكال نار جرة فلما رأى صلاح الدين ذلك نقل أنقال المسلمين الى
ميمون وهو على ثلاثة فراسخ على عكا ولقى الفرنج على تعبئة حسنة وكان أولاده
الافضل على والظاهر غازى والظافر ممالىي القلب وأخوه العادل أبو بكر فى
المدينة ومعه عساكر مصر ومن انضم اليه وكان فى الميسرة عماد الدين صاحب
سجعار وتقى الدين صاحب حماه ومعز الدين صاحب جزيرة ابن عمر مع جماعة من
أمرائه واتفق ان صلاح الدين أخذه مغص كان يعتاده فنصب له خيمة صغيرة على

تل مشرف على العسكر ونزل فيها ينظر اليهم فسار الفرنج شرقى نهر هنالك حتى
وصلوا الى رأس النهر فشاهدوا عساكر الاسلام وكثرها فارتاعوا لذلك ولقيهم
الجالشية وأمطروا عليهم من السهام ما كاد يستر الشمس فلما رأوا ذلك تحولوا
الى غربى النهر ولزمهم الجالشية يقاتلونهم والفرنج قد تجمعوا ولزم بعضهم بعضا
وكان غرض الجالشية ان تحمل الفرنج عليهم فيلقاهم المسلمون ويلتحم القتال
فيكون الفصل ويستريح الناس وكان الفرنج قد ندموا على مفارقة خنادقهم
فلزموا مكائهم وباتوا ليلتهم تلك فلما كان الغد عادوا نحو عكا ليعتصموا بخنادقهم
والجالشية فى أكتافهم يقاتلونهم تارة بالسيوف وتارة بالرمح وتارة بالسهم وكلما
قتل من الفرنج قتيل أخذوه معهم لئلا يعلم المسلمون ما أصابهم ولولا ذلك الالم
الذى حدث بصلاح الدين لكانت هى الفصل وانما الله فى كل شئ حكمة وله أمر
هو بالغه ولا راد لما أراد فلما بلغ الفرنج خنادقهم ولم يكن لهم بعد ما يظهرون منه عاد
المسلمون الى خيامهم وقد قتلوا من الفرنج خلقا كثيرا وفى الثالث والعشرين
من شوال أيضا كمن جماعة من المسلمين وتعرض جماعة أخرى من المسلمين
للفرنج فخرج اليهم أربعة مائة فارس فقاتلهم المسلمون شيئا من قتال وتطارروا لهم
وتبعهم الفرنج حتى جاوزوا الكمين فخرج من كان فى الكمين من المسلمين
عليهم فقتلوا فلم يفلت منهم أحد واشتد الغلاء على الفرنج حتى بلغت غرارة
الحنطة أكثر من مائة دينار صورى فصبروا على هذا ولما هجم الشتاء وعصفت
الرياح خاف الفرنج على مراكبهم التى عندهم لانها لم تكن من المينافسير وها
الى صور لانها كانت بأيديهم فانفتح الطريق الى عكا فى البحر للمسلمين فأرسل
أهلها الى صلاح الدين يشكون الضجر والملاحة والسائمة وكان بها الأمير حسام
الدين أبو الهجاء السمين فأمر صلاح الدين باقامة البدل وانفاذه اليها واخراج
من فيها وأمر أخاه الملك العادل بمباشرة ذلك فانتقل الى جانب البحر ونزل تحت
جبل حيفا وجمع المراكب والشوانى وكلما جاءه جماعة من العسكر سيرهم اليها
وأخرج عوضهم فدخل اليها عشرون أميرا فكان الذين دخلوا قليلا بالنسبة

الى الذين خرجوا وأهمل نواب صلاح الدين تجنيد الرجال وانفاذهم فتفرق
خلق كثير فانتحسرا الشتاء والأمر كذلك وعادت مرا كب الفرنج الى عكا
وانقطع الطريق الا من ساج يأني بكتاب ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسائة
﴿ ذكر وصول فليب ملك الفرنسيس ثم ملك انكرا ﴾

في هذه السنة أعنى سنة ٥٨٧ ثاني عشر ربيع الاول وصلت أمداد الافرنج في
البحر الى الفرنج الذين على عكا وكان أول من وصل منهم الملك فليب ملك
الفرنسيس ومعه ست بطس كبار عظيمة فقويت به نفوسهم وكان صلاح الدين
يركب كل يوم ويقصد الفرنج يشغلهم بالقتال عن مزاحفة البلد وأرسل الى
مستحفظ بيروت يأمره بتجهيز ما عنده من الشواني والمرابك وتشجيعها بالمقاتلة
وتسييرها في البحر ليمنع الفرنج من وصول شيء من شوانهم الى عكا ففعل ذلك
صاحب بيروت وسير الشواني في البحر فصادفت خمسة مرا كب للفرنج مملوءة
رجالا من أصحاب ملك انكرا الملقب بقلب الأسد المسمى دريكادوس الاول
وكان قد سيرهم بين يديه وتأخر هو بجزيرة قبرس ليملكها من ملك الروم لأنها
كانت بأيديهم فاقتلت شواني المسلمين مع مرا كب انكرا فغلبهم المسلمون
واستظهروا عليهم وغنموا ما معهم من قوت ومتاع ومال وأسروا الرجال وأما
الفرنج الذين على عكا فاتهم لازموا قتال من بها ونصبوا عليها سبع منجنيقات
رابع جمادى الاولى فلما رأى صلاح الدين ذلك تحول من موضعه الذي كان فيه
ونزل قريبا من خنادق الفرنج مقابله لثلاثين يوما في المجيء اليهم
والعود عنهم فقرب منهم وكانوا كلما تحركوا للقتال ركب وقاتلهم من وراء
خنادقهم فكانوا يشتغلون بقتاله فيخف القتال عن بالبلد ثم وصل ملك انكرا
ثالث عشر جمادى الاولى من السنة المذكورة سنة ٥٨٧ بعد ان استولى في
طريقه على جزيرة قبرس وأخذها بالمكر والخديعة من الروم فانه لما وصل اليها
غدر بصاحبها وملكها فكان ذلك زيادة في ملكهم وقوة للفرنج فلما فرغ منها سار
هنا الى من بعكها من الفرنج فوصل اليهم في خمس وعشرين قطعة كبار مملوءة

رجالاً وأموالاً فاعظم به نصر الفرنج واشتدت نكايتهم في المسلمين وكان رجل زمانه
شجاعة ومكراً وجاداً وصبراً وبلى المسلمون منه بالدهية التي لا مثل لها ولما وردت
الآخبار بقدمه أمر صلاح الدين بتجهيز بطسة كبيرة مملوءة من الرجال أو العدد
والاقوات فتجهزت وسيرت من بيروت وفيها سبع مائة مقاتل فلقبها ملك انكازا
مصادفة فقاتلها وصبر من فيها على قتاله فلما أيسوا من الخلاص نزل مقدم منها
فخر قها خرقاً واسعاً لئلا ينظر الفرنج بمن فيها وما معهم من الذخائر ففرق جميع
ما فيها وكانت عكا محتاجة الى رجال ثم ان الفرنج عملوا دبابات وزحفوا بها فخرج
المسلمون وقاتلوهم بظاهر البلد وأخذوا تلك الكباش فلما رأى الفرنج أن ذلك
جميعه لا ينفعهم عملوا تلالاً كبيراً من التراب مستطيلاً وماز الوايقربونه الى البلد
ويقاتلون من ورائه لا ينالهم من البلد أذى حتى صار على نصف غلوة فكانوا
يستظلون به ويقاتلون من خلفه فلم يكن للمسلمين فيه حيلة لا بالنار ولا بغيرها
فحينئذ عظمت المصيبة على من بعكا من المسلمين فأرسلوا الى صلاح الدين
يعرفونه حالهم فلم يقدر لهم على نفع ولا منع

ذكر ملك الفرنج عكا

في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة ٥٨٧ سبع وثمانين وخمسمائة
استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة عكا وكان أول وهن دخل على من في عكا أن
الأمير سيف الدين علي بن أحمد الهكاري المعروف بالمشطوب كان فيها ومعه عدة
من الأمراء كان هو أمثلهم وأكبرهم فخرج الى ملك الفرنسيين وبذل له تسليم
البلد بما فيه على أن يطلق المسلمين الذين فيه ويكفهم من الحقوق بسلطانهم فلم يجبه
الى ذلك فعاد علي بن أحمد الى البلد فوهن من فيه وضعفت نفوسهم وتحاذلوا
وأهملتهم أنفسهم ثم ان أمير بن ممن كان بعكاً لما رأى ما فعلوا بالمشطوب وان الفرنج
لم يجيبوا الى الأمان اتخذوا الليل جلاوراً كباقي شيء صغير وخرجوا سرا من
أحسابهم ولحقا بعسكر المسلمين وخرج معهم جماعة فلما أصبح الناس وعلموا ذلك
ازدادوا وهناً الى وهنهم وضعفوا الى ضعفهم وأيقنوا بالعطب ثم ان الفرنج أرسلوا

لى صلاح الدين فى معنى تسليم البلد فأجابهم الى ذلك واشترط أن يطلق من
أمرهم بعدد من فى البلد ليطلقواهم من بعكوا وان يسلم اليهم صليب الصليبيات فلم
يقنعوا بما بذل فأرسل الى من بعكوا من المسلمين ان يخرجوا من عكايدا واحدة
ويتركوا البلد بما فيه ووعدهم أنه يتقدم الى تلك الجهة التى يخرجون منها
بعضا كره فشرعوا فى ذلك واشتغلوا باستصحاب ما يملكونه فما فرغوا من
أشغالهم حتى أسفر الصبح فبطل ما عزمو عليه من استصحاب ما يملكونه لظهوره
فما عجز الناس عن حفظ البلد وحرف اليهم الفرنج بخدمهم وحديدتهم فظهر من
بالبلد على السور يحركون أعلامهم ليبرهاها المسلمون الذين فى خارج البلد وكانت
هى العلامة اذا اخترمهم أمر فلما رأى المسلمون ذلك ضجوا بالبكاء والعويل
وحملوا على الفرنج من جميع جهاتهم طلبا منهم أن الفرنج يشتغلون عن الذين
بعكوا وصلاح الدين يحرضهم وهو فى أدلهم وكان الفرنج زحفوا عن خنادقهم
ومالوا الى جهة البلد فقرب المسلمون من خنادقهم حتى كادوا يدخلونها عليهم
ويضعون السيف فيهم فوقع الصوت فعاد الفرنج ومنعوا المسلمين وتركوا فى
مقابلة من فى البلد من يقائلهم فلما رأى المشطوب أن صلاح الدين لا يقدر على
نفع ولا يدفع عنهم ضرا خرج الى الفرنج وقرر معهم تسليم البلد وخرج من فيه
بأموالهم وأنفسهم أو بذل لهم عن ذلك مائتى ألف دينار وخمسة أسير من
المعروفين واعادة صليب الصليبيات وأربعة عشر ألف دينار للمركيس صاحب
صور فأجابوه الى ذلك وحلفوا له عليه وأن يكون مدة تحصيله المال والأسرى
الى شهرين فلما حلفوا له سلم البلد اليهم ودخلوه سلما فلما ملكوه غدروا واحتاطوا
على من فيه من المسلمين وعلى أموالهم وحبسوهم وأظهروا أنهم يفعلون ذلك
ليصل اليهم ما بذل لهم وراسلوا صلاح الدين فى إرسال المال والأسرى والصليب
حتى يطلقوا من عندهم فشرع فى جمع المال فلما اجتمع عنده مائة ألف دينار
جمع الأمراء واستشارهم فأشاروا عليه بأن لا يرسل شيئا حتى يعاود يستخلفهم
على اطلاق أصحابه وأن يضمن الداوية ذلك والداوية طائفة من الفرنج كان لهم

وفاء فراسلهم صلاح الدين في ذلك فقال الداوية لا تحلف ولا نضمن لأننا نخاف
غدر من عندنا وقال ملوك الفرنج إذا سمعتم اليينا المال والاسرى والصليب فلنا
الخيار فمينا عندنا حينئذ علم صلاح الدين عزمهم على الغدر فلم يرسل اليهم شيئا
وأعاد الرسالة اليهم وقال نحن نسلم اليكم هذا المال والاسرى والصليب ونعطيكم
رهننا على الباقي وتطلقون أصحابنا وتضمن الداوية الرهن ويحلفون على الوفاء له
فقالوا لا تحلف إننا نرسل اليينا المائة ألف دينار التي حصلت والاسرى والصليب
ونحن نطلق من أصحابكم من نريد ونترك من نريد عندنا حتى يجيء باقي المال فعمل
الناس حينئذ غدرهم وانما يطلقون غلمان العسكر والفقراء والاكراد ومن
لا يعبأ به ويمسكون عندهم الأمراء وأرباب الاموال ويطلبون منهم الفداء فلم
يجبهم السلطان الى ذلك فلما كان يوم الثلاثاء السابع والعشرين من رجب ركب
الفرنج وخرجوا الى ظاهر البلد بالفارس والراجل وركب المسلمون اليهم
وقصدوهم وحملوا عليهم فانكشفوا عن مواقعهم واذا أكثر من كان عندهم من
المسلمين قتلى قد وضعوا فيهم السيف وهم خلق كثير واستبقوا الامراء والمقدمين
ومن كان له مال وقتلوا من سواهم من سوادهم وأصحابهم ومن لا مال له فلما رأى
صلاح الدين ذلك تصرف في المال الذي كان جمعه وسير الاسرى والصليب الى
الشام وكان ملك الفرنسيس قد توجه قبل ذلك الى صور لترتيب أموره وبقى في
عكا ملك انكرا الى أن تم استيلاؤه عليها وغدر بالمسلمين وفعل بهم ما تقدم
وارتحل الى عسقلان في عشر شعبان واستقرت عكا بأيديهم بعد استيلائهم عليها
وبقيت عندهم مائة سنة وثلاثين الى سنة ست مائة وتسعين فافتتحها وانتزعها منهم
السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصور قلاوون
وسياتى انه سار اليها بجيوشه وعساكره ونصب عليها المجانيق العظيمة وقاتله
عليها أشد القتال الى أن ملكها وقتل من فيها من الفرنج وغنم منها أموالا تحصى
وكان زوله عليها في أوائل جمادى الاولى من السنة المذكورة أعنى سنة ٦٩٠
وقتها يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة من السنة المذكورة * ومن

عجائب الاتفاق أن الفرنج استولوا على عكا وأخذوها من صلاح الدين ظهر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة واستولوا على من بها ثم قتلوهم فقدر الله عز وجل في سابق علمه أنها تفتح في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة تسعين وستمائة على يد صلاح الدين بن قلاوون فكان فتوحها في مثل الشهر الذي ملكها فيه الفرنج وفي مثل اليوم الذي ملكوها فيه من الشهر ولقب السلطان الذي فتحها مثل لقب السلطان الذي أخذت منه أذ كل منهما بلقب صلاح الدين والله في كل شيء حكمة وكل شيء عنده بمقدار لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص لاراد لما قضاه وقدره ثم فتح السلطان صلاح الدين قلاوون بقية البلدان التي كانت بيد الفرنج من أرض الشام وقطع دابرهم وطهرت أرض الشام وسواحلها منهم فله الحمد على ذلك

✽ ذكر رحيل الفرنج الى ناحية عسقلان ✽

لما فرغ الفرنج لعنهم الله من اصلاح أمر عكار حلوا مسنهل شعبان قاصدين عسقلان وكان توجههم من جهة حيفامع شاطئ البر لا يفارقونه ومراكبهم تسيرهم في البحر محاذية لهم فلما سمع صلاح الدين برحيلهم نادى في عسكره بالرحيل فساروا فضايقوا الفرنج في مسيرهم وأرسلوا اليهم من السهام ما كاد يحجب الشمس ووقعوا على ساقفة الفرنج فقتلوا منها جماعة وأسروا جماعة فلما وصل الفرنج حيفا نزلوا بها ونزل المسلمون قريبا منهم ثم ساروا الى قيسارية والمسلمون يسابرونهم ويقتلون من قدروا عليه منهم فلما قاربوا قيسارية لاصقهم المسلمون وقتلواهم أشد قتال فزالوا منهم نيلا كثيرا ونزل الفرنج بها ونزل المسلمون قريبا منهم ولما نزلوا قيسارية خرج من الفرنج جماعة فأبعدوا عن جماعتهم فأوقع بهم المسلمون فقتلوا منهم وأسروا منهم ساروا من قيسارية الى أرسوف وكان المسلمون قد سبقوهم اليها ولم يتمكنهم مسابرتهم لضيق الطريق فلما وصل الفرنج اليهم حمل المسلمون عليهم حملة منكورة فألحقوهم بالبحر ودخله بعضهم فقتلوا كثيرا منهم فلما رأى الفرنج ذلك اجتمعوا وحدثت الخيالة منهم على المسلمين حملة رجل واحد

قولوا من هزمين لا يلوى أحد على أحد والتجأ المنهزمون الى القلب وفيه صلاح
الدين فلو علم الفرنج أنها هزيمة تبعثهم واشتهرت الهزيمة وهلك المسلمون لكن
كان بالقرب من المسلمين قطعة كثيرة الشجر فدخلها المسلمون فظن الفرنج
أنها مكيدة فعادوا وازال عنهم ما كانوا فيه من الضيق ثم سار الفرنج الى يافا ولم يكن
بها أحد من المسلمين فلسكوها ثم سار صلاح الدين الى الرملة وجمع الامراء
واستشارهم فيما يفعل فأشاروا عليه بتخريب عسقلان وقالوا قد رأيت ما كان منا
بالامس واذا جاء الفرنج عسقلان ووقفنا في وجوههم نصيدهم عنها فهم لا شك
يقاتلوننا فنزاح عنها وينزلون عليها فاذا كان ذلك عدنا الى مثل ما كنا عليه
على عكا ويعظم الامر علينا لان العدو قد قوي بأخذ عكا وما فيها من الاسلحة
وغيرها ونحن قد ضعفنا بما خرج عن أيدينا ولم نطل المدة حتى نستدعيه هاظم
تسمح نفسه بتخريبها وتذب الناس الى دخولها وحفظها فلم يجب أحد الى ذلك
وقالوا إن أردت حفظها فادخل أنت معنا أو بعض اولادك الكبار والاشفا
يدخلها منا أحد لئلا يصيبنا ما أصاب أهل عكا فلما رأى الأمر كذلك سار الى
عسقلان وأمر بتخريبها فخربت تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة سنة
٥٨٧ وألقيت حجارتها في البحر وهلك فيها من الاموال والذخائر التي للسلطان
والرعية ما لا يمكن حصره وعنى أثرها حتى لا يبقى للفرنج في قصدها مطمع ولما
سمع الفرنج بتخريبها أقاموا مكانهم ولم يسيروا اليها وكان المركيس صاحب
صور لعنه الله تعالى لما كان بعكا أحسن من ملك انكرا الغدر به ليهلك منه
صور فهرب من عنده الى صور فحصنها وكان رجل الفرنج شجاعا ورأيا وكل
هذه الحروب هو الذي أثارها فلما خربت عسقلان أرسل ملك انكرا يقول له
مثلك لا ينبغي أن يكون ملكا ويتقدم على الجيوش تسمع ان صلاح الدين
قد خرب عسقلان وتقيم مكانك يا جاهل لما بلغك انه قد شرع في تخريبها كنت
سرت اليه بحمد الله وملكها صفا عفوا بغير قتال ولا حصار فانه ما حاربها
الا وهو عاجز عن حفظها وحق المسبح لو انني معك كانت عسقلان بأيدينا

اليوم لم يخرب منها غير برج واحد وقد عمر الفرنج عسقلان في المحرم سنة ٥٨٨ هـ
وملكوها ثم ان صلاح الدين لما خرب عسقلان مضى الى الرملة فخرّب حصنها
وخرّب كنيسة لدمسار صلاح الدين الى القدس وحصنها واعتبر ما فيه من ذخائر
وسلاح وقرر قواعده وأسبابه وما يحتاج اليه وعاد الى الخيم ثامن رمضان وفي
مدة اقامة الفرنج بيا فخرج ملك انكترامن معسكره ومعه نفر من عسكره
فوقع به نفر من المسلمين فقاتلوهم قتالا شديدا وكاد ملك انكترايوس يفقداه
بعض أصحابه بنفسه فتخلص الملك وأسبر ذلك الرجل وفيها أيضا وقعت وقعة بين
طائفة من المسلمين وطائفة من الفرنج كان النصر فيها للمسلمين

﴿ ذكر رحيل الفرنج الى نظرون ﴾

لما رأى صلاح الدين ان الفرنج قد لزمو اياها ولم يفارقوها وشرعوا في عمارتها
رحل من منزلته الى نظرون ثالث عشر رمضان وخيم بها فراسله ملك انكترايوس
يطلب المهادنة فكانت الرسل تتردد الى الملك العادل أخى صلاح الدين فاستقرت
القاعدة ان ملك انكترايوس زوج أخته من الملك العادل ويكون القدس وما بآيدي
المسلمين من بلاد الساحل للعادل وتكون عكا وما بآيدي الفرنج من البلاد
لاخت ملك انكترايوس مملكة كانت لها داخل البحر قد ورثها من زوجها
الاول فعرض العادل ذلك على أخيه صلاح الدين فاجاب الى ذلك فلما ظهر الخبر
اجتمع القسيسون والأساقفة والرهبان الى أخت ملك انكترايوس وأنكرت واعلها
ذلك فامتنعت من الاجابة وكان الملك العادل في مدة الخوض في الصلح يجتمع في
بعض الاوقات مع ملك انكترايوس ويتذاكران حديث الصلح وطلب من الملك
العادل مرة أن يسمعه غناء المسلمين فاحضر له مغنية تضرب بالجنك فغنت له
فاستحسن ذلك ثم ان الصلح لم يتم بينهما لما امتنعت أخت ملك انكترايوس تبين أن
ملك انكترايوس كان يفعل ذلك خديعة ومكر ثم ان الفرنج أظهروا العزم على قصد
بيت المقدس فسار صلاح الدين الى الرملة ومعه العسكر وترك الاثقال في نظرون
وقرب من الفرنج وبقى عشرين يوما ينتظرون فلم يبرحوا فكان بين الطائفتين

مدة المقام عدة وقعات ينتصر فيها المسلمون على الفرنج وغاد صلاح الدين الى
نظرون ورحل الفرنج من يافا الى الرملة ثالث ذى القعدة على عزم قصديت
المقدس فقرب بعضهم من بعض وعظم الخطب واشتد الخدر فكان كل ساعة يقع
الصوت في العسكرين فلقوا من ذلك شدة شديدة وأقبل الشتاء وحالت الاحوال
والامطار بينهما ﴿ ذكر مسير صلاح الدين الى القدس ﴾
لما رأى صلاح الدين ان الشتاء قد هجم والامطار متتابعة والناس فيها في ضنك
وخرج ومن شدة البرد ولبس السلاح والسهر في تعب دائم وكان كثير من
العسكر قد طال عليهم البيكار فأذن لهم في العبور الى بلادهم للاستراحة وسار هو
الى بيت المقدس فبين بقي معه فنزلوا جميعا داخل البلد وقدم اليه عسكر من مصر
فقويت نفوس المسلمين بالقدس وسار الفرنج من نظرون ثالث ذى الحجة على
قصديت المقدس فكانت بينهم وبين يرك المسلمين وقعات أسر المسلمون في
وقعة منها نيفا وخسين فارسا من مشهورى الفرنج وشجعانهم وكان صلاح الدين
لما دخل القدس أمر بعمارة سورته وتجديد مارت منه فاحكم الموضع الذي تملك
البلد منه وأتقنه وأمر بحفر خندق خارج الفصل وسلم كل برج لأمير يتولى عمله
ثم ان الحجارة قلت عند العمالين فكان صلاح الدين رحمه الله يركب وينقل بنفسه
على دابته من الامكنة البعيدة فيقتدي به الأمراء والعسكر فكان يجتمع من
العمالين في اليوم الواحد من يعملون قدر عدة أيام ثم ان الفرنج رجعو الى الرملة
في العشرين من ذى الحجة وكان سبب عودهم أنهم كانوا ينقلون ما يريدونه من
الساحل فلما بعدوا عنه كان المسلمون يخرجون على من يجلب لهم الميرة
فيقطعون الطريق ويفنون ما معهم ثم ان ملك انجلترا قال لمن معه من الفرنج
الشاميين صورر والى مدينة القدس فاني مارأيتها فصورر وهاله فرأى الوادى
يحيط بها ما عدا موضعا يسيرا من جهة الشمال فسأل عن الوادى وعن عمقه
فأخبروه أنه عميق وعن المسلك فقال هذه مدينة لا يمكن حصرها مهما كان
صلاح الدين حيا وكلمة المسلمين مجتمعة لاننا انزلنا في الجانب الذى يلي المدينة

بقيت سائر الجوانب غير محصورة فيدخل اليهم منها الرجال الذخائر وما يحتاجون
اليه وان نحن افترقنا فنزل بعضنا من جانب الوادي وبعضنا من الجانب الآخر
جمع صلاح الدين أصحابه وواقع احدي الطائفتين ولم يتمكن للطائفة الأخرى
ان يجاد أصحابهم لانهم ان فارقوا مكابهم خرج من بالبلد من المسلمين فغنموا ما فيه
وان تركوا فيه من يحفظه وساروا نحو أصحابهم فالى أن يتصلوا من الوادي
ويلحقوا بهم قد فرغ صلاح الدين منهم هذا سوى ما يتعذر علينا من ايصال
ما يحتاج اليه من العلوقات والأقوات فلما قال لهم ذلك علموا صدقه ورأوا قلة الميرة
عندهم وما يجرى للجاليين لها من المسلمين فأشاروا عليه بالعود الى الرملة فعادوا
خائبين خاسرين ثم دخلت سنة ٥٨٨ ثمان وثمانين وخمسمائة فعمر الفرنج عسقلان
كما تقدم وجرى بينهم وبين المسلمين حين عمارتها قتال شديد وعدة وقائع
فكان المسلمون تارة تواقع طائفة منهم وتارة تقطع عليهم الميرة وأخذوا منهم
قوافل كبيرة وفي شهر ربيع من هذه السنة جعل صلاح الدين للباطنيين من
الاسماء عيلية عشرة آلاف دينار ان قتلوا ملكا انكثرا أو المريكيس صاحب
صور فقتلنا من قتل المريكيس صاحب صور فقتلاه ثم قتلا فقتله لك صور
الكندي هنري وتقدم أنه ابن أخت ملك الفرنسيس وابن أخت ملك
انكثرا الامه وفي ناسع جمادى من هذه السنة استولى الفرنج على حصن الداروم
فخر به ثم ساروا الى بيت المقدس وصلاح الدين فيه وكان سبب طمعهم ان
صلاح الدين فرق كثيرا من عساكره لاجل الشتاء ليستريحوا فظنوا أنهم
ينالون غرضهم فلما سمع صلاح الدين بقرهم منه فرق أبراج البلد على الامراء
وسار الى الفرنج وكانوا على فرسخين من القدس فصب عليهم البلاء وتابع ارسال
السمرايا فعلموا أنهم اذا نازلوا القدس كان الشر اليهم أسرع والتسلط عليهم
أمكن فرجعوا القهقري وركب المسامون أكتافهم بالرماح والسهام ولما بعد
الفرنج عن يافاسير صلاح الدين سرية من عساكره اليها فقاربوها وكنوا عندها
فاجتازهم جماعة من فرسان الفرنج مع قافلة فخرجوا عليهم وقتلوا منهم واسروا

وغنموا وكان ذلك آخر جمادى الأولى وفي تاسع جمادى الآخرة بلغ الفرنج خروج
قفل كبير من مصر فاسر الفرنج اليهم وأخذوا بعض القفل بنواحي الخليل وسلم
البعض ثم ان الفرنج أيقنوا انهم لا طاقة لهم بالمسلمين اذا هارقوا البحر وبعثوا
عنه فرجعوا الى عكا وأقاموا بها فلما علم صلاح الدين بذلك جمع العساكر
وسار الى مدينة يافا وكانت بيد الفرنج فنار لها وقتل من بها الى ان ملكها بالسيف
عنوة في عشر بن من رجب وغنم ما فيها وقتل كثيرا وأسر كثيرا وكان بها أكثر
الأموال التي غنموها من قفل مصر وتحصن من بقي من الفرنج بالقلعة فحاصروهم
فجاءتهم نجدة من عكا ومعها ملك انكرا فأخرج من يافا من المسلمين وتتابع
اليه المدد من عكا وبرز الى ظاهر المدينة واعترض المسلمين وحده وحمل عليهم فلم
يتقدم اليه أحد فوقف بين الصفيين واستدعى طعاما من المسلمين ونزل وأكل ثم
رجع الى يافا

﴿ ذكر الهدنة مع الفرنج ﴾

في العشرين من شعبان من هذه السنة عقدت هدنة بين المسلمين والفرنج لمدة
ثلاث سنين وثمانية أشهر وسيبها ان ملك انكرا لما رأى اجتماع العساكر وانه
لا يمكنه مفارقتها ساحل البحر وليس بالساحل بلد للمسلمين يطمع فيه وقد طالت
غييبته عن بلاده فأرسل الى صلاح الدين في الصلح فلم يجبه صلاح الدين بل طلب
منه المصاف والحرب فاعاد الفرنجي رسله مرة بعد أخرى وأرسل الى الملك
العادل أخى صلاح الدين في تقرير الهدنة فأشار هو وجماعته من الأمراء بالاجابة
الى الصلح وعرفوا صلاح الدين ما عند العساكر من الضجر والملل وما قد هلك
من أسلحتهم وودوا بهم ونفد من نفقاتهم وقالوا ان هذا الفرنجي انما طلب الصلح
ليركب البحر ويعود الى بلاده فان تأخرت اجابته الى أن يجئ الشتاء وينقطع
الركوب في البحر نحتاج الى البقاء هنا سنة أخرى فيعظم الضرر على المسلمين
وأكثر القول في هذا المعنى فأجاب صلاح الدين حينئذ الى الصلح فحضر رسل
الفرنج وعقدوا الهدنة ونحالفوا على هذه القاعدة وكان في جملة من حضر عند
صلاح الدين من الفرنج بالبيان بن بارزان الذي كان صاحب الرملة ونا بلس ومن

جيلة ما قال لصلاح الدين ما عمل أحد في الاسلام مثل ما عملت ولا هلك من الفرنج
مثل ما هلك منهم هذه المدة فاننا أحصينا من خرج الينا في البحر من المقاتلة
فكانوا ستمائة ألف مقاتل ما عاد منهم الى بلادهم من كل عشرة واحد بعضهم
قتلته أنت وبعضهم مات وبعضهم غرق ولما انفصل أمر الهدنة أذن صلاح الدين
للفرنج في زيارة بيت المقدس فزاروه وعادت كل طائفة الى بلادها ورجع
ملك انكرا الى بلاده وأقام بالساحل الشامي ملكا على الفرنج وعلى البلاد التي
بأيديهم الكندهنري وصار صلاح الدين الى القدس وصام به رمضان ثم سار الى
دمشق في شوال وفرح الناس به لطول غيبته وذهاب العدو عن بلاد الاسلام
وكانت هذه الهدنة من لطف الله بالمسلمين لأن الله لما علم قرب وفاة صلاح الدين
قدر وقوع هذه الهدنة لانه لو توفى صلاح الدين في مدة الحرب لزد طمع الفرنج في
بلاد الاسلام وانتشر شرهم ولربما أنه لا يوجد بعده ما يقوم مقامه وكانت وفاة
صلاح الدين بدمشق في السابع والعشرين من شهر صفر سنة ٥٨٩ تسع وثمانين
وخمسة مائة بعد أن مرض أياما وكان رحمه الله عالما صالحا حلما حسن الاخلاق
متواضعا صبورا كثير المحاسن والافعال الجميلة عظيم الجهاد في الكفار
وفتوحاته ندل على ذلك وخلف سبعة عشر ولدا ذكرا وبناتا واحدة ولم يخلف
دارا ولا عقارا ولم يوجد في خزانته غير سبعة وأربعين درهما ودينار واحد
صوري وكانت ولادته سنة اثنتين وثلاثين وخمسة مائة فكان عمره قريبا من سبع
وخمسين سنة وكان مدة ملكه للديار المصرية نحو أربع وعشرين سنة وملكه
السام قريبا من تسع عشرة سنة وكان رحمه الله مشغوبا بالانفاق في سبيل الله
تعالى فكان اذا عقر أو جرح لاحد من العسكر فرس في سبيل الله يعوضه مثله
ويزده في عطائه وحسبوا ما وهبه من الخيل للحاضرين معه في الجهاد في مدة
ثلاث سنين فكان اثني عشر ألف رأس وكان كريما شديدا الكرم كثير البذل
للاموال لاسيما المجاهدين ولم يكن له فرس يركبه الا وهو موهوب لانسان من
المجاهدين أو موهوديهيته وصاحبه ملازم في طلبه وما حضر للقتال الا واستعار

فرسا يقاتل عليه فاذا نزل عنه جاء صاحبه وأخذه وكانت مجالسه حافلة بأهل العلم
والدين والفضل يحب مناظرة العلماء بين يديه ويشاركهم في المناظرة أحسن
مشاركة في المسائل الغامضة حتى صار مداومة مجالسته للعلماء أعرف منهم بالأحكام
الفرعية والأدلة الشرعية وكان كثير الأكرام للعلماء متواضعاً لهم مواظباً على
الفرائض الخمس لم يؤخر صلاة عن وقتها ولا صلى إلا في جماعة وكان متوكلاً على
الله لا يفضل في عزمه يوماً على يوم وكان كثير التغافل عن سيئات خدمه وأتباعه
وزلاتهم يسمع ما يكره ولا يتأثر به ولا يخبر بخطيئته من أخطأ منهم حتى إن بعض
مماليكه رمى بعضاً آخر بسرموزة فأخطأته ووقعت قريبان من السلطان وكادت
تصيبه فالتفت إلى الجهة الأخرى تغافلاً عنها وصار يكلم من بجانبه وكان طاهر
المجاس طاهر اللسان قال العباد الكاتب مات بموته الرجال وفات بفواته الأفضال
وغاضت الأيادي وفاضت الأعادي وانقطعت الأرزاق وادهمت الآفاق وفجع
الزمان ورزى الإسلام وكانت مجالسه كلها مجالس الآخرة لأنها ما في إقامة عدل
ينشره أو جهاد يتجهز له أو سماع الأحاديث النبوية أو بر بولييه أو إحسان يوصله
إلى ذوى الحاجات وأرباب الضرورات إلى غير ذلك من أنواع البر وأبواب
القربات مع ما انطوى عليه من السجيا الجليلة والأخلاق الطاهرة والحياة
الذي لا مز يد عليه والسخاء الذي لا يلحق فيه وكان يهب الجزيل ولا يراه بل
يرى الفضل لا أخذه وكان دائم البشر والبشاشة لا يرد سائلاً ولا يصد نائلاً
ولا يخجل قائلاً ولا يخيب آملاً سأله مرة بعض الأمراء عن تخلفه عن غزوة
تخاف عن أفند كر دينا عليه فاحضر الغرما وتحمّل الدين عن ذلك الأمير
وكان ذلك الدين اثني عشر ألف دينار وكان كل مماليكه وخواصه وجميع
أمرائه وأجناده يقتدون به في أخلاقه وكرمه وحسن سجيايه فكانوا أعف
من الزهاد وأكثر عبادة من العباد قال العباد الكاتب ورأى لي يوماً دواة
محللة بشيء يسير من الفضة فأنكرها فقالت له إن الإمام أباً محمد الجويني ذكر
وجهاني جواز مثل ذلك فقال لي لا تتبع الرخص فلم أكتب بها بعد ذلك وكان

كثير الاوراد والاذكار وتلاوة القرآن اوقاته كلها مستغرقة بالعبادة علما وعملا
قلبا وقال الباقد هجر لذة الدنيا وزينتها وأخرج من قلبه محبتها وبهجتها فكان
كالا سير في هذه الدار لا يؤمل بفك الاسر عنه الا في دار القرار وكان لشدة حبه
لسماع الحديث النبوي على قائله أفضل الصلاة والسلام يسمعها بين الصغين
وسبب ذلك أنه قيل له انك يا مولانا سمعت الحديث في جميع المواطن الشريفة
الا بين الصغين حين القتال فأحضر جزأ من أجزاء الحديث وقرى عليه هو
وجنوده على ظهور الخيل بين الصغين بمشون نارة ويقفون أخرى والرؤس
تندر والرؤس تقصر وواظب على ملازمة ذلك وتكراره في كثير من موافقه
وكان ذلك من أسباب النصر العظيم والفتح المبين وكان رحمه الله شجاعا من أعظم
الشجعان قوى النفس والقلب شديد البأس عظيم الثبات لا بهوله أمر حتى كان
يقابل بالجمع القليل من جنده الجيوش الكثيرة من الفرنج مع ان نجدتهم كانت
أيضا متواصلة وعساكرهم متواترة وهو مع ذلك لا يزداد الا قوة نفس وصبر
ولقد وصل في ليلة واحدة من الفرنج ما يزيد على سبعين مركبا عند محاربة عكا
وصار بعض أتباعه يعدون تلك المرة كمن بعد العصر الى غروب الشمس
وكلها كانت مشحونة بعساكر الفرنج وبخبرونه بها وهو مع ذلك لا يزداد الا
قوة نفس وشجاعة وشهامة قال القاضي ابن شداد ولما انعقد الصلح سألت بعض
ملوك الفرنج وهو جالس بين يدي السلطان يوم انقطاع الصلح عن عدتهم فقال
خمسة الف قلت فكيف هلك منكم فقال أما بالقتل فقريب من مائة ألف وأما بالموت
والغرق فكثير لا نعلم عددهم وما رجع الى بلادهم الا القليل وكان رحمه الله اذا
اشتد الحرب يطوف بين الصغين ويخرق صفوف العساكر من الميمنة والميسرة
ويأمرهم بالتقدم نارة والوقوف نارة في مواضع براها وكان يشارف العدو
ويجاورهم ليدبر الامر على ما يقتضيه الحال وكان رحمه الله كمال المعرفة بتدبير
الحرب ومكايده وما استعظم عدوه فقط ولأستكثره لشدة توكله على الله تعالى وقوة
وثوقه به وكان رحمه الله تعز به أمر اض في أيام منازلته للعدو فكان شديد الصبر

ولا يخل المرض بشئ مما يلزمه واعتراه أيام محاربة عكاد ما ميل كثيرة من وسطه الى
ركبته بحيث انه لا يستطيع الجلوس فكان لم يزل متكئا على جنبيه وهو في
الخيمة وامتنع من الجلوس على الطعام مع من كان يجلس معهم لعجزه عن الجلوس
فكان يأمر بالطعام أن يفرق بين الناس وهو مع ذلك كله يركب من بكرة النهار
الى الظهر يطوف على الاطراف ويدبر أمر جيوشه صابرا على شدة الالم وقوة
ضربان الدمامل فكانوا يتعجبون من شدة صبره فكان يقول لهم اذا ركب
يزول عني ألمها حتى أنزل وهذه كرامة عظيمة أكرمها الله تعالى بها وكان رحمه الله اذا
جاء الشتاء يعطى الجيش دستورا فيتفرقون ويبقى هو في طائفة يسيرة من
جنده في مقابلة العدو أكثر ممن معه بأضعاف مضاعفة وكان رحمه الله كثير
التعظيم لشعائر الله شديد القيام على المبتدعة والفلاسفة لا تأخذه في الله لومة لائم
وكان حسن العشرة نظيف الاخلاق جميل المحاضرة طيب المفاكهة حافظا
لانساب العرب وقائعهم عارفا بسيرهم وأحوالهم عالما بعجائب الدنيا وتوادرها
بحيث ان محاضره يستفيد منه ما لا يسمعه من غيره ومن محاسن أخلاقه مع خدمه
انه طلب الماء مرة فلم يحضر وعاود الطلب في مجلس واحد خمس مرات فلم يحضر
فقال يا أصحابنا قد قتلتني العطش فأحضر الماء فشر به ولم ينكر التواني في
احضاره وكان مرة قدم مرض من ضا شديدا أرجف عليه بالموت فلما برى منه
أدخل الحمام فكان الماء حارا فطلب ماء باردا فأحضره الذي بخدمه فسقط من
الماء شئ على الارض فناله منه شئ فتألم له لضعفه ثم طلب البارد أيضا فأحضر
فلما قارب سقطت الطاسة على الارض فوقع الماء جميعه عليه فسكاد يهلك فلم يزد
على أن قال للغلام ان كنت تريد قتلي فعرفني فاعتذر اليه فسكت عنه ومن كرمه
أنه أخرج في مدة مقامه على عكباله الفرنج ثمانية عشر ألف دابة من فرس وبغل
سوى الجمال وأما العين والنياب والسلاح فانه لا يدخل تحت الحصر ويكفي
دليلا على كرمه انه لما مات لم يخلف في خزائنه غير دينار واحد صوري وأربعين
درهما نصريه مع ان أولاده الذين خلفهم كانوا سبعة عشر ولدا وبناتا فلم يبال

بكونه لم يترك لهم مالا يرثونه بعده ولا خلف دارا ولا عقارا ولا ضيعة ولا بستانا
وذلك لشدة زهده في الدنيا وقوة وثوقه بالله تعالى وتوكله عليه ولما انقضت دولة
العباسيين بمصر واستولى هو على مصر أخذ من ذخائرهم من سائر الانواع ما
يقوت الاحصاء ففرقه جميعه ولم يأخذ لنفسه شيئا ومن تواضعه رحمه الله أنه لم يتكبر
على أحد من أصحابه وكان يعيب الملوک المتكبرين وكان يحضر عنده الفقراء
الصوفية ويعمل لهم السماع المعروف عند الصوفية فاذا قام أحد منهم لتواجده يقوم
له فلا يقعد حتى يفرغ ذلك الفقير ولم يلبس قط شيئا مما ينكره الشرع ولما مرض
مرض الموت حضر عنده ليلة من تلك الليالي القاضي الفاضل وكان القاضي
الفاضل أعظم وزرائه وحضر أيضا بعض أولاده والعماد الكاتب قال العماد
فأجلسناه وأسندنا ظهره الى محبته وأحضر ماء فاتر البشربه عقيب شراب يلين
الطبع فشر به فوجده شديدا الحرارة فشكا من شدة حره فقير وعرض عليه
ثانيا فشكا من برده ولم يغيظ ولم يصعب ولم يقل سوى هذه الكلمات سبحان الله
لا يمكن أحد تعديل الماء قال العماد فخرجت أنا والقاضي الفاضل من عنده وقد
اشتد منا البكاء لما شاهدناه من مرضه والقاضي الفاضل يقول انظر الى هذه
الأخلاق التي قد أشرف المسنون على مفارقتها والله لو أن هذا ببعض الناس كان
ضرب بالقدح رأس من أحضره وكان رحمه الله له امام راتب ملازم مواظب فان
غاب يوما صلى به من حضره من أهل العلم اذا عرفه متقيما متجنبا للآثم وكان يأخذ
بالشرع ويعطى به ولم يكن الى المتجم مصغيا ولم يزل لقوله ملغيا لا يتعيف ولا يتطير
ولا يتعين ولا يتعب بل اذا عزم توكل على الله فلا يفضل يوما على يوم ولا زمانا على
زمان الا بتفضيل الشرع وما زال ناصر للتوحيد وقام بجميع أهل البدع
بالتبديد شافعي المذهب أصولا وفروعا معتقلا له معقولا ومسموعا يدني أهل
التزبه ويقصى أهل التشبيه ويدبم استفادة فقه الفقيه واستفادة نباهة النبيه
ووجهة الوجيه فالعالمون في عدله والعالمون في نضه والبلاد في أمنه والعباد في منه
وكان رحمه الله حسن العميدة وكان قد جمع له الشيخ الامام قطب الدين

النيسابوري عقيدة تجمع جميع معتقد أهل السنة والجماعة فحفظها وكان يحفظها
الصغار من أولاده وكان من القائلين بالليل للتهجد وكان يحب سماع القرآن العظيم
ويشترط على من يتخذها اماماً أن يكون عالماً بالعلوم القرآن العظيم متقناً لحفظه
وكان رحمه الله خاشع القلب سريع الدمعة إذا سمع القرآن العزيز يخشع قلبه
وتدمع عينه وكان شديد المواظبة على الجهاد العظيم الاهتمام به ولو حلف حالف أنه
ما أنفق بعد خروجه إلى الجهاد ديناراً ولا درهماً إلا في الجهاد لصدق وبر في يمينه
ولقد هجر في محبة الجهاد الأهل والأولاد والوطن والمسكن وسائر الملاذ وقنع من
الدنيا في ظل خيمة تهب بها الرياح بمنة ويسرة ولقد وقعت عليه الخيمة في ليلة ذات
ريح وكادت تقتله لما وقعت عليه ولا يزد به ذلك إلا رغبة ومسارة واهتماماً ومناقبة
رحمه الله كثيرة قد أفردت بالتأليف اللهم اجعل مقرة جنات النعيم وأقر عينه
بالنظر إلى وجهك الكريم يا أرحم الراحمين اجمع بيننا وبينه في دار كرامتك مع
الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو مع ما جمع
الله فيه من الصفات حسنة من حسنات السلطان محمود نور الدين بن زنكي فإن
السلطان محمود نور الدين هو الذي أقامه حتى صار من الكاملين ومن عباد الله
المقربين (وقد) تقدم الوعد بكثرة ترجمة للسلطان نور الدين المذكور عند ذكر
وفاته سنة خمس مائة وتسع وستين وترجمته واسعة أفردت بالتأليف ولقد كررنا منها
لعلنا ننال ببركة السلطانين أنواع التشريف وقد تقدم أن السلطان نور الدين هو
ابن عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة آق سنقر كان جده آق سنقر من مماليك
السلطان ملك شاه السلجوقي وولاه الولايات الجليلية ثم بعده ابنه عماد الدين زنكي
ولى كثيراً من الولايات وفتح أعظم الفتوحات ثم صار الأمر بعده لولده السلطان
محمود نور الدين فكان له ولاية حلب والموصل وغيرهما من الممالك فتح كثيراً من
البلاد التي استولى عليها النصارى وبعث السلطان صلاح الدين إلى مصر
فانتزعها من أيدي العبيديين ثم أكرمه في ترجمة السلطان نور الدين أنه كان
عالمًا فقيهاً على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه عابداً ورعاً زاهداً زاهداً زاهداً

وورعه أنه كان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف الا في الذي يخصه من ملك كان له قد
اشتراه من سهمه من الغنيمه ومن الاموال المرصده لمصالح المسلمين ولقد شكت
اليه زوجته الضيق فأعطاها ثلاثه دكا كين في حصص كانت له يحصل له منها في السنة
نحو عشرين دينارا فاستقلتها فقال ليس لي الا هذا وجميع ما بيدي أنا فيه خازن
للمسلمين لا أخونهم فيه ولا أخوض نار جهنم لاجلك وكان يصلي كثيرا بالليل وله فيه
أورا دحسنة وكان كما قيل

جمع الشجاعة والخشوع لربه * ما أحسن المحراب في المحراب
وكان عارفا بالفقه على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه وسمع الحديث
واسمعه طلبا لللاجر من الله تعالى وأما عدله فانه لم يترك في ممالكه على سعتها مكسا
ولا عشورا بل أبطلها جميعها في مصر والشام والجزيرة والموصل وكان الولاية
قبله قد جارت وفي ذلك غاية الجور حتى وصلوا الى أنهم يأخذون في المائة خمسة
وأربعين فأبطل ذلك كله فبارك الله في الغنائم وفتح له الفتوحات حتى انتزع
هو والسلطان صلاح الدين كثير من الممالك الشامية وغيرها من أيدي النصارى
وكانوا قد استولوا عليها قريبا من مائة سنة وقد تقدم بيان ذلك باختصار وكان
رحمه الله يعظم الشريعة ويقف عند أحكامها وله في ذلك أخبار عجيبة فمن ذلك أن
بعض رعيته ادعى عليه بدعوى غير صحيحة ولا ثابتة وشكاه على القاضي الذي
أقامه هو لتنفيذ الاحكام الشرعية فاستدعاه القاضي فحضر مجلس الحكم وقال
للقاضي اني قد جئت محمدا فاسلك معي مثل ما تسلك مع غيري وساوى خصمه
في المجلس وحاكمه فلم يثبت عليه حق وثبت الملك لنور الدين فقال اشهدوا اني قد
وهبت لخصمي هذا كل الذي حاكمني فيه وقد كنت أعلم أنه لاحق له عندي وانما
حضرت معه لئلا يظن اني ظلمته فحيث ظهر أن الحق لي وهبته له وهذا غاية العدل
والانصاف بل غاية الاحسان وهي درجة وراء العدل فرحم الله هذه النفس
الزكية الطاهرة المنقادة للحق وهذا مستكثر من ملك متأخر بعد فساد الازمنة
وتفرق الكرامة والافتقار انقاد الى مجلس الحكم جماعة من المتقدمين مثل عمر بن

الخطاب وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهم ومن عدله انه لم يكن يعاقب العقوبة التي يعاقب بها الملوك في هذه الاعصار على الظنة والنهمة بل يطلب الشهود على المتهم فان قامت البينة الشرعية عاقبه العقوبة الشرعية من غير تعدد فدفع الله بهذا الفعل عن الناس من الشر ما كان يوجد في غير ولايته وكان للسلطان نور الدين شيخ يحبه ويعتقده يقال له الشيخ عمر الملا ولقب بأمره بالملا ان الشيخ عمر المذكور كان يملئ تناخير الجص بأجرة يتقوت منها فكان لا يأكل الا من كسب يده وذلك حلال وكان نازلا بالموصل وكان السلطان نور الدين يرسل اليه من حلب من يأتيه منه بشيء يفطر عليه في رمضان يكون حلالا فكان الشيخ عمر الملا يرسل للسلطان نور الدين أكياسا فيها الفتيت والرفاق فكان نور الدين يفطر عليه وكان اذا قدم السلطان نور الدين الموصل لا يأكل الا من طعام الشيخ عمر الملا ويقبل قوله ويعمل باشارته ويأمر عماله بالموصل والجزيرة ان يعملوا بقول الشيخ عمر ويقبلوا اشارته لعلمه وصلاحه وديانته ورعه فاتفق أنه كثر الذعار وأرباب الفساد بالموصل والجزيرة فحضر العمال والنواب عند الشيخ عمر الملا وقالوا له انه قد كثر الذعار وأرباب الفساد ولا يستقيم الامر الا بشئ من السياسة كالقتل والصلب واذا أخذ مال انسان في البرية من يجبي ويشهد له فلو كتبت الى السلطان نور الدين أن يأذن لنا في شئ من السياسة فوافقهم الشيخ عمر الملا وكتب للسلطان نور الدين يسأله في أن يأذن لهم في شئ من السياسة التي يمنعها الذعار وأهل الفساد وقال اذا أخذ مال انسان في البرية من يجبي ويشهد له فقلب السلطان نور الدين كتابه وكتب له على ظهره ان الله تعالى خلق الخلق وهو أعلم بمصلحتهم وشرع لهم شريعة وهو أعلم بما يصلحهم وأن مصلحتهم تحصل فيما شرعه على وجه كامل فيها ولو علم أن الشريعة تحتاج الى زيادة لان تمام المصلحة لشرعه فلنا حاجة الى زيادة على ما شرعه الله تعالى فلما وصل الكتاب الى الشيخ عمر الملا جمع أهل الموصل وأقرأهم الكتاب وقال انظر واني كتاب الزاهد الى الملك وكتاب الملك الى الزاهد ففروا أن ما قاله السلطان نور الدين هو الصواب وان

الصالح انما يكون بالعمل بالشرعية وكان السبب في اسقاطه المكوسات
ان زيره موفق الدين خالد بن القيسراني رأى في منامه انه يغسل ثيابه فقص
ذلك عليه ففكر ساعة ثم أمر بكتابة اسقاط المكوسات وقال هذا تفسير
منامك وكان في نهجده يقول ارحم العشار المكاس وبعد أن أبطل ذلك طلب
من الناس الذين أخذت منهم قبل ذلك أن يجعلوه في حل وقال والله ما أخرجناها
الا في جهاد عدو الاسلام يعتذر بذلك اليهم عن أخذها منهم وكان رحمه الله
لا يفعل شيئاً من الاعمال الابنية سالحة من ذلك أنه كان يخرج بالعساكر ويحرون
الخيال في صورة اللعب ويريد بذلك تمرين الخيل والعسكر على الكر والفر
فكتب اليه الشيخ عمر ما كنت أظنك تلهو وتلعب وتغيب الخيل لغير فائدة
بينه فكتب اليه نور الدين والله ما يحملي على ذلك اللهم واللعب وانما نحن في
نفر والعدو قريب منا وبيننا نحن جلوس اذ يقع صوت فركب في الطلب ولا
يمكننا أيضاً ملازمة الجهاد ليلاً ونهاراً اشتاء وصيفاً اذ لا بد من الراحة للجند ومتى
تركنا الخيل على مرابطها صارت جماماً لا قدرة لها على ادمان السير في الطلب ولا
مغرفة لها أيضاً بسرعة الانعطاف والطاعة لراكبها في الحرب فهذا والله الذي بعثني
على ذلك قال ابن الاثير فانظر الى هذا الملك العظيم العديم النظير الذي يقبل في
أصحاب الزوايا المنقطعين الى العبادة مثله فان من يجيء الى اللعب بنية سالحة حتى
يصير من أعظم العبادات وأكبر القربات يقل في العالم مثله وفيه دليل على أنه كان
لا يفعل شيئاً الابنية سالحة وهذه أفعال العلماء الصالحين العاملين بعلمهم وكان رحمه
الله كثير المطالعة للكتب الدينية متبعاً لآثار النبوية ومواظباً على الصلوات في
الجماعات كما كفا على قراءة القرآن حريصاً على فعل الخير عفيف البطن والفرج
مقتصد في الانفاق متحريراً في المطاعم والملابس لم تسمع منه كلمة فحش في رضاء
ولا في ضجره وأشهى ماله كلمة حق يسمعها أو ارشاد الى سنة يتبعها قال ابن الاثير
قد طالعت نوارح الملوك المتقدمين قبل الاسلام وحيه الى زمننا هذا فلم أر بعد
الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين

ولأكثر تحري بالعدل والانصاف منه قد قصر ايمله ونهاره على عدل ينشره
وجهاد يتجهز له ومظلمة يزيلها وعبادة يقوم بها واحسان يوليه وانعام يسديه
فلو كان في أمة لا فتخرت به أما زهده وعبادته وعلمه فانه كان مع سعة ملكه
وكثرة ذخائر بلاده وأمواله الأيا كل ولا يلبس ولا يتصرف الا من ملك كان له قد
اشتراه من سهمه من الغنيمه ومن الاموال المرصده لمصالح المسلمين واذا أراد
أخذ شي من الاموال المرصده لمصالح المسلمين أحضر الفقهاء واستفتاهم في أخذ
ما يحل له من ذلك فيأخذ ما أفتوه بحله ولم يتعد الى غيره البتة ولم يلبس قط ما حرمه
الشرع من حرير أو ذهب أو فضة ومنع من شرب الخمر وبيعها في جميع بلاده ومن
ادخلها الى بلد ما وكان يحد شار بها الحد الشرعي وكل الناس عنده فيه سواء
وكان يصلي فيطيل الصلاة وله أو راد في النهار فاذا جاء الليل وصلى العشاء ينام
ويستيقظ نصف الليل ويقوم الى الوضوء والصلاة الى بكرة فيظهر ويستغل
بمهمات الدولة ومصالح المسلمين وأرسلت له زوجته تخبره بأن النفقة قلت عليها
ولم يكفها ما كان قرر لها وطلبت منه الزيادة فتنكر واجر وجهه وقال للرسول
من أين أعطيها ما يكفها والله لا أخوض النار في هواها ان كانت تظن أن
الذي يسدي من الاموال لي فبئس الظن انما هي أموال المسلمين مرصده
لمصالحهم ومعدة لفتق ان كان من عدو الاسلام وأنا خازنهم عليها فلا أخونهم فيها
ثم قال للرسول لي بمدينة حص ثلاثة دكا كين ملكا وقد وهبتها إياها فلأخذها
وكان يحصل منها قدر قليل وذلك نحو عشرين ديناراً وحكى أنه حمل اليه من
مصر عمامة من القصب الرفيع مذهبة فلم يحضرها عنده فوصفت له فلم يلتفت
اليها وبينها مع في حديثها اذ جاءه رجل صوفي فأمر له بها فقبل انها لا تصلح
لهذا الرجل ولو أعطى غيرها كان أنفع له فقال اعطوها له ليبيعها وينتفع بثمنها
فأني أرجو أن أعوض عنها في الآخرة فسلمت الى ذلك الصوفي فسار بها الى بغداد
فباعها بستمائة دينار أو سبعمائة وقيل باعها في همدان بألف دينار وكان المولك قبله
كالجاهلية همه أخدم بطنه وفرجه لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا حتى جاء الله

بدولته فوقف مع أوامر الشرع ونواهيه وألزم بذلك أتباعه وذويه فاقتدى به
عماله ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة فان قال
قائل كيف يوصف بالزهد من له الممالك الفسيحة وتنجي اليه الأموال الكثيرة
فليذكر نبي الله سليمان عليه السلام فانه مع ملكه كان سيد الزاهدين في زمانه
ونبينا صلى الله عليه وسلم قد حكم على حضر موت واليمن والحجاز وجميع جزيرة
العرب من حدود الشام الى العراق وهو على الحقيقة سيد الزاهدين من جميع
العالمين وانما الزهد خلوا القلب من محبة الدنيا وأما عدله فانه كان أحسن الملوك
سيرة وأعدلهم حكما فن عدله أنه لم يترك في بلد من بلاد ضريبة ولا مكسا ولا
عشر ابل أطلقها رحمه الله جميعها في بلاد الشام والجزيرة جميعها والموصل وأعمالها
وديار مصر وغيرها مما حكم عليه وكان المكس في مصر يؤخذ من كل مائة دينار
خمس وأربعون دينارا وهذا لم تتسع له نفس غيره وكان يتحرى العدل وينصف
المظلوم من الظالم كائنا من كان القوى والضعيف عنده في الحق سواء وكان
يسمع شكوى المظلوم ويتولى كشف حاله بنفسه ولا يكمل ذلك الى حاجب ولا أمير
فلا جرم سارذ كره في شرق الارض وغربها ومن عدله أنه كان يعظم الشريعة
المطهرة ويقف عند أحكامها ويقول نحن مسخرون لها نضى أو امرها حكى أنه
دخل يوما الى خزانة المال فرأى فيها ما لا أنكره فسأل عنه فقيل له ان القاضي
كمال الدين أرسله وهو من جهة كذا فقال ان هذا المال ليس لنا ولا لبيت المال في
هذه الجهة شئ وأمر برده واعادته الى كمال الدين ليرده على صاحبه فأرسله متولى
الخزانة الى كمال الدين فرده كمال الدين الى الخزانة وقال اذا سأل الملك العادل عنه
فقولوا له عنى انه قد دخل نور الدين الخزانة مرة أخرى فرآه فأنكر على
النواب وقال ألم أقل لكم يعاد هذا المال الى أصحابه فذكروا له قول كمال الدين
فرده اليه وقال للرسول قل كمال الدين أنت تقدر على حمل هذا المال وأما أنا
فرفقتي دقيقة لا أطبق حمله والمخاصمة عليه بين يدي الله تعالى يعاد قولوا واحدا
ومن عدله أيضا بموته وهو من أعجب ما يحكى أن إنسانا كان بدمشق غربا

استوطنها وأقام بها المأوى من عدل نور الدين رحمه الله تعالى فلما توفي تعدى
بعض الاجناد على هذا الرجل فشكوا فلم ينصف فنزل من القلعة وهو يستغيث
ويبكي وقد شق ثوبه وهو يقول يا نور الدين لورأيتنا وما نحن فيه من الظلم لرحمتنا
أين عدل ذلك وقصدت به نور الدين ومعه من الخلق مالا يحصى وكلهم يبكي ويصيح
فوصل الخبر الى صلاح الدين فقبل له احفظ البلد والرعية والاخرج عن يدك
فأرسل الى ذلك الرجل وهو عندت به نور الدين والناس معه وطيب قلبه وأراح
ظلامته ووجهه شياً أنصفه فبكى أشد من بكائه الأول فقال له صلاح الدين لم تبكي
قال أبكى على سلطان عدل فينا بعد موتة فقال صلاح الدين هذا هو الحق وكل
ما ترى فينا من عدل فنه تعلمناه ومن عدل نور الدين رحمه الله أنه بنى داراً
للكشف سماها دار العدل فكان يجلس فيها لفصل الخصومات في الاسبوع
يومين وعند القاضى والفقهاء وأما شجاعته وحسن رأيه فقد كانت النهاية اليه
فيهما فانه أصبر الناس في الحرب وأحسنهم مكيدة ورأياً وأجودهم معرفة بأموار
الاجناد وأحوالهم وبه كان يضرب المثل في ذلك وكان الناس يقولون انهم لم يروا
على ظهر الفرس أحسن منه كما خلق عليه لا يتحرك ولا يتزلزل وكان اذا حضر
الحرب أخذ قوسين وترسين وباشر القتال بنفسه وكان يقول طالما تعرضت
للشهادة فلم أدركها سمعته يوماً الامام قطب الدين النيسابورى الفقيه الشافعى وهو
يقول ذلك فقال له بالله لا تخاطر بنفسك وبلاسلام والمسلمين فانك عمادهم ولئن
أصبت والعباد بالله تعالى في معركة لا يبقى من المسلمين أحداً الا أخذ السيف
وأخذت البلاد فقتل يا قطب الدين ومن محمود حتى يقال له هذا قبلى من حفظ
البلاد والاسلام ذلك الله الذى لا اله الا هو وكان رحمه الله يكثر أعمال الخيل والمكر
والخداع مع الفرنج خذلهم الله تعالى وأكثر مملكته من بلادهم بحسن تدبيره في
أعمال الخيل عليهم ومن جيد الرأى ما سلكه مع سلج بن ليون ملك الأرمن فانه ما
زال يخدعه ويستقبله حتى جعله في خدمة تسفرا وحضرا وكان يقاتل به الا فرنج
وكان يقول إنما جلنى على استنائه أن بلاده حصينة وعرة المسالك وقلاع منيعة

وليس لنا طريق اليها وهو يخرج منها اذا اراد فينال من بلاد الاسلام فاذا طلب
ان يحجز فيها فلا يقدر عليه فلما رأيت الحال هكذا بذلت له شيئا من الاقطاع على
سبيل التألف حتى أجاب الى طاعتنا وخدمتنا وساعدنا على الفرنج وولنا توفي
نور الدين وملك غيره وغير هذا الطريق ملك متولى الارمن بعد سلب كثير من
بلاد الاسلام وحصونهم وصار منه ضرر عظيم وخرق واسع لا يمكن رقعته وكان
رحمه الله يكرم العلماء ويكثر الاحسان اليهم ويبالغ في تعظيمهم حتى انه اذا دخل
عليه الفقيه أو الصوفي أو الفقير يقوم له ويمشي بين يديه ويجلسه الى جانبه كأنه
أقرب الناس اليه مع أنه كان له هيبة عظيمة في قلوب الملوك والامراء وما كان أحد
من الامراء يقدر أن يجلس في مجلسه إلا بعد الاذن له في ذلك وكان يكتب العلماء
بخط يده وينبسط معهم ولا يرد لهم قولا واذا أعطى أحدا من العلماء أو الفقراء
شيئا يقول ان هؤلاء لهم في بيت المال حق فاذا قنعوا منابيه فلهم المنة علينا وكان
مجلسه كما روى في صفة مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس حرم وحياء
لا تنتهك فيه الحرم ولا يذكر فيه إلا العلم والدين وأحوال الصالحين والمشاوراة في
أمر الجهاد وقصد بلاد العدو لا يتعدى هذا وقد حضر الحافظ ابن عساكر
مجلس صلاح الدين لما ملك دمشق فرأى فيه من اللفظ وسوء الادب من الجالسين
فيه مالا حد له فشرع يتحدث صلاح الدين كما كان يتحدث نور الدين فلم يتمكن من
القول لكثرة الاختلاف من المتحدثين وقلته استماعه فقام وبقى مدة لا يحضر
المجلس الصالحى وتكرر من صلاح الدين الطلب له فحضر فعاتبه صلاح الدين
على انقطاعه فقال نزهت نفسي عن مجلسك فاني رأيتك كبعوض مجالس السوقة
لا يستمع فيه إلى قائل ولا يرد فيه جواب متكلم وقد كتبنا بالأمس نحضر مجلس نور
الدين فكنا كما قيل كأنما على رؤوسنا الطير نعلوه الهيبة والوقار فاذا تكلم أنصتنا
واذا تكلمنا استمع لنا فأمر صلاح الدين أصحابه أن لا يكون منهم ما جرت به عادتهم
اذا حضر الحافظ ابن عساكر قال ابن الأثير فهم هكذا كانت أحوال جميعها رحمه الله
تعالى مضبوطة محفوظة وأما حفظ أصول الديانات فانه كان مراعيها لا يهملها

ولا يمكن أحدا من الناس من اظهار ما يخالف الحق ومتى أقدم مقدم على ذلك أدبه
بما يناسب بدعته وكان يبائع في ذلك ويقول نحن نحفظ الطرق من لص وقاطع
طريق والأذى الحاصل منهما قريب أفلا نحفظ الدين ونمنع عنه ما يناقضه وهو
الأصل وحكى أن انسانا بدعا مشق يعرف بيوسف بن آدم كان يظهر النسك والزهد
وقد كثرت أتباعه وأظهر شيئا من التشبيه فبلغ خبره نور الدين فأخضره وأركبه
حمارا وأمر بصفعه فطيف به في البلد جميعه ونودي عليه هذا جزاء من أظهر في
الدين البدع ثم نفاه الى حران فأقام بها الى أن مات وكان لنور الدين رحمه الله
بمجالس يقرأ فيها كتب الحديث مع جماعة من العلماء فمر به يوما أن النبي صلى الله
عليه وسلم خرج متقلدا سيفه وكان من عادة الجنود أنهم يربطون سيوفهم بأوساطهم
فلما سمع هذا الحديث أبطل ما كان عليه الجنود وخرج من غد ذلك اليوم متقلدا
سيفه فاقتدى به الجنود وفعلا ومثلا ما فعله فهذا يدل على أنه لم يفرط في الاقتداء
بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل سنة تبلغه عنه وأمر رحمه الله باسقاط ألقابه في الدعاء
له على المنبر وطلب من ابن القيسراني أن يكتب له صورة ما ينبغي أن يدعى له به
فكتب له اذا أراد الخطيب أن يدعو له يقول اللهم أصلح عبدك الفقير الى
رحمتك الخاضع لطيبتك المعتصم بقوتك المجاهد في سبيلك المرابط لاعداء دينك
أبا القاسم محمود بن زكري بن آق سنقر ناصر أمير المؤمنين فكتب نور الدين
على رأس الرقعة بخطه مقصودى أن لا يكذب على المنبر انما نخل بكل ما يقال لأفرح
بمالأعمل وكتب في آخر الرقعة ثم تبدأ بالدعاء اللهم أره الحق اللهم أسعده اللهم
انصره اللهم وفقه من هذا الجنس ودخل في أيام نور الدين الى حلب تاجر موسر
فأت بها وخلف ولدا صغيرا ومالا كثيرا فكتب بعض من كان بحلب الى نور
الدين يذكر له أنه مات تاجر موسر وخلف ولدا صغيرا وخلف عشرين ألف
دينار وحسن له أن يرفع المال الى الخزانة وينفق على الصغير شيئا يسيرا ويمسك
الباقى الى الخزانة فكتب على رقعة أما الميت ف رحمه الله وأما الولد فأنشأه الله
وأما المال فثمره الله وأما الساعي فلعله الله وكفى السلطان نور الدين منقبة ما

ذكره العلامة السيد السمهودي في تاريخ المدينة المسمى خلاصة الوفا في أخبار
دار المصطفى صلى الله عليه وسلم أن السلطان المذكور رأى النبي صلى الله عليه
وسلم ثلاث مرات في ليلة واحدة وهو يقول له في كل مرة يا محمود أنقذني من هذين
الشخصين وهما شخصان أشقران تجاهه فاستحضر وزيره قبل الصبح فذكر ذلك
له فقال هذا أمر حدث بالمدينة النبوية ليس له غيرك فتجهز بمقدار ألف راحلة
وما يتبعها وسار حتى دخل المدينة على حين غفلة من أهلها ثم أمر بكتابة أسماء
الناس ليتصدق عليهم وتصدق بأموال كثيرة ولا يعطى كل إنسان الا بيده لينظر
اليه رجا أن يرى الشخصين الأشقرين اللذين أراه إياهما النبي صلى الله عليه وسلم
حتى لم يبق أحد ولم يشاهد فيمن حضر عنده الشخصين الأشقرين فسأل هل بقي
أحد فقالوا لم يبق الا رجلان مجاوران من أهل الاندلس نازلان في الرباط الذي
في قبلة حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فجدوا في طلبهما حتى أحضر وهما فلما
رآهما قال للوزير هما هذان فسألها عن حالهما فقالا جئنا للجوارفة فقال لهما أصدقا
وعاقبهما حتى أفرا أهما من النصارى وأهما وصلوا الكي ينقلا من بالحجرة
الشريفة باتفاق من ملوكهم ما وجد ههما قد حفرا الارض من تحت حائط المسجد
القبلي لجهة الحجرة الشريفة ويجعلان التراب في بئر في الرباط وقيل كانا يجعلان
التراب في محفظتيهما ويخرجان يلقياه في الخارج فضرب أعناقهما عند الشباك
الذي هو شرقي الحجرة خارج المسجد ثم أحرقهما بالنار وحفر خندقا حوالى
الحجرة الشريفة وسكب فيه الرصاص والنحاس المنذاب واستعقظه غاية
الاستعفاظ ثم ركب السلطان نور الدين راجعا الى الشام وكان السلطان محمود
المذكور موصوفا بكثير من الصفات الحميدة وقد أتبع ملكه وخطب له بالشام
ومصر والحرمين واليمن ويذكرون اسمه بعدد كرات الخليفة العباسي والسلطان
السلجوقي وترجمته واسعة فدأفردت بالتأليف وفي هذا القدر كفاية وانما ذكرنا
ترجمته وترجمة السلطان صلاح الدين لغرابته وجود هما في الزمن الذي كثر فيه
جور الملوك والسلاطين ليعلم أنهم ما فتعا البلاد وانزعاهما من النصارى بالعدل

الاسباب في بيت المال وليعلم أيضا أن الخلفاء الراشدين انما فتحوا البلاد بالعدل في
بيت المال وقد ذكر كثير من العلماء أن الدعاء مستجاب عند قبر السلطان نور الدين
والسلطان صلاح الدين اللهم اجعل مقرهما جنات النعيم وأقرأ أعينهما بالنظر
الى وجهك الكريم يا أرحم الراحمين واجمع بيننا وبينهما في دار كرامتك مع
الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين اهـ (ولنرجع) الى
تمام الكلام على ما كنا بصدد ذكره من ذكر الفتوحات فنقول بعد وفاة السلطان
صلاح الدين وقع اختلاف كثير بين أولاده ليس هذا محل ذكره وصار ملكه
مقسما بين أولاده وأخيه الملك العادل ثم تغلب أخوه عليهم فنهزم من انتزع الملك منه
ومنها من مات في ملكه ثم صفا الامر لآخيه فقسم الملك بين أولاده كما سيأتي
ذكره ولما مات صلاح الدين كان ملك مصر لولده الملك العزيز عثمان فجدد الهدنة
من الفرنج وزاد في مدة الهدنة واستقر الامر الى سنة ثلاث وتسعين وخمسة و كان
الملك الافضل علي بن صلاح الدين ملك دمشق بعد وفاة أبيه فانزعها منه أخوه
الملك العزيز عثمان صاحب مصر وجعل فيها عمه الملك العادل وأعطى الافضل
صرخد وكان بمدينة بيروت أمير يعرف بأسماء فكان يرسل الشواني تقطع
الطريق على الفرنج فاشتكى الفرنج من ذلك الى الملك العادل أخى صلاح
الدين وكان بدمشق والى الملك العزيز بمصر فلم يمنعا أسامة من ذلك فأرسل
الفرنج الى ملوكهم الذين داخل البحر يشتكون اليهم ما يفعل بهم المسلمون
ويقولون ان لم تنجدونا والآن أخذ المسلمون البلاد فأمدهم الفرنج بالعساكر
الكثيرة سنة ٥٩٣ وكان أكثرهم من ملك ألمان فلما سمع الملك العادل بذلك
أرسل الى الملك العزيز بمصر يطلب العساكر وكذا من بقية الأطراف واجتمعوا
على عين جالوت فأقاموا شهر رمضان وبعض شوال سنة ٥٩٣ ورحلوا الى يافا
وملكوا المدينة وامتنع من مهاجمة القلعة التي بها خرب المسلمون المدينة
وحصروا القلعة فلما كوهها عنوة وقهر بالسيف وأخذوا كل من بها أسرا وسبيا
ووصل الفرنج من عكا الى قيسارية ليجنوا المسلمين عن يافا فوصلهم الخبر بما وقع

فعادوا وعاد المسلمون الى عين جالوت فوصلهم الخبر بأن الفرنج على عزم قصد
بيروت فعزم المسلمون على تخريب بيروت وتفسير اليها الملك العادل بجمع من
العسكر فهدموا سور المدينة سابع ذى الحجة سنة ٥٩٣هـ وشرعوا في تخريب
دورها وتخریب القلعة فنعهم أسامة من ذلك وتكفل بحفظها ورحل الفرنج من
عكا الى صيدا وعاد عسكر المسلمين من بيروت فالتقواهم والفرنج بنواحي صيدا
وجرى بينهم مناوشة فقتل من الفريقين جماعة وحجز بينهم الليل وسار الفرنج
سابع ذى الحجة سنة ٥٩٣هـ فوصلوا الى بيروت فلما قاربوها هرب منها أسامة
وجميع من معه من المسلمين فلكوها صفا وافتوا بغير حرب ولا قتال فكانت
غنبة باردة فأرسل العادل الى صيدا من حرب ما كان بقي منها فان صلاح الدين
كان قد حارب أكثرها وسافرت العساكر الاسلامية الى صور فقطعوا أشجارها
وخرّبوا ما لها من قرى وأبراج فلما سمع الفرنج بذلك رحلوا من بيروت الى صور
وأقاموا عليها ونزل المسلمون عند قلعة هونين ثم أتاهم الخبر ان الفرنج يريدون
أن يحصروا حصن تبنين فسير العادل اليه عسكرا يحمونه ورحل الفرنج من
صور ونازلوا تبنين أول صفر سنة ٥٩٤هـ أربع وتسعين وخمسمائة وقاتلوا من به
وجدوا في القتال ونقبوه من جهاتهم فلما علم العادل بذلك أرسل الى الملك العزيز
بمصر يطلب منه الحضور بنفسه فسار العزيز بمجد ابن معه من العساكر فلما
سمع الفرنج بوصوله رحلوا الى عكا وعاد العزيز الى مصر وبقي العادل وترددت
الرسول بينه وبين الفرنج وانمقد بينهم صلح وعاد العادل الى دمشق

﴿ ذكر ملك الفرنج القسطنطينية ﴾

في سنة ستائة ملك الفرنج مدينة القسطنطينية في شعبان واتزعوها من الروم
وأزوا ملك الروم عنها وكان سبب ذلك ان ملك الروم تزوج أخت ملك
الفرنسيس وهو من أكبر ملوك الفرنج فرزق منها ولدا ذكرا وكان للملك الروم
أخ فوثب الأخ على الملك فقبض عليه وملك البلاد منه وسمل عينيه وسجنه فهرب
ولد الملك الى خاله ملك افرنسيس مستنصرا به على عمه فانفق ذلك وقدا اجتمع كثير

من الفرنج ليخرجوا الى بلاد الشام لاستنقاذ بيت المقدس فأخذوا وولد الملك معهم وجعلوا يطريقهم على القسطنطينية قصد الاصلاح الحال بينه وبين عمه ولم يكن له طمع في سوى ذلك فلما وصلوا خرج عمه في عساكر الروم محاربهم فوق القتال بينهم في ذي القعدة سنة ٥٩٩ تسع وتسعين وخمسمائة فانهزمت الروم ادخلوا البلد فدخل الفرنج معهم فهرب ملك الروم الى اطراف البلاد وقيل ون ملك الروم لم يقاتل الفرنج بظاهر البلد وانما حصره فيها وكان في الروم من يريد الصبي فلقوا النار في البلد فاشتغل الناس بذلك ففتحو ابواب المدينة فدخلها الفرنج وخرج ملكها هاربا وجعل الفرنج الملك في ذلك الصبي وايس له من الحكم شيئا وأخرجوا اباها من السجن انما الفرنج هم الحكماء في البلد فثقلوا الوطأة على اهله وطلبوا منهم أموالا اعجزوا عنها وأخذوا أموال البيعة وما فيها من ذهب وفضة وغير ذلك حتى ما على الصليبان وما هو على صورة المسيح عليه السلام والحواريين وما على الاناجيل من ذلك أيضا فعظم ذلك على الروم ونحملوا منه خطبا عظيما فعمدوا الى ذلك الصبي الذي نملك فقتلوه وأخرجوا الفرنج من البلد وأغلقوا الأبواب واستحضروا الملك وكان ذلك في جمادى الأولى سنة ٦٠٠ ستائة فاقام الفرنج بظاهره محاصرين للروم وقتلوهم ولازموا قتالهم ليلا ونهارا وكان الروم قد ضعفوا ضعفا كثيرا فأرسلوا الى السلطان زكي الدين السلجوقي صاحب قونية وغيرها من البلاد يستجدونه فلم يجد الى ذلك سيلا وكان بالمدينة كثير من الفرنج مقيمين يقاربون ثلاثين ألفا ولعظم البلد لا يظهر أمرهم فنواطواهم والفرنج الذين بظاهر البلد وثبوا فيه وألقوا النار مرة ثانية فاحترق نحو ربع البلد وفتحو الابواب فدخلوها ووضعوا السيف ثلاثة أيام وفتكروا بالروم قتلوا نهبوا فأصبح الروم كاهم ما بين قتيل أو فقير لا يملك شيئا ودخل جماعة من اعيان الروم الكنيسة العظمى التي تدعى اياصوفيا فجاء الفرنج اليها فخرج اليهم جماعة من القسيسين والاساقفة والرهبان بأيديهم الانجيل والصليب يتوسلون بها الى الفرنج ليقبوا عليهم فلم يلتفتوا اليهم وقتلوهم أجمعين ونهبوا

الكنيسة وكان رؤساء الفرنج الذين ملكوا القسطنطينية ثلاثة ملوك دوقس
البنادقة وهو صاحب المراكب البحرية وفي مراكبها ركبو الى القسطنطينية
وكان شيخا أعمى اذا ركب تقاد فرسه والآخرة يقال له المر كيس وهو مقدم
الافرنسيس والثالث يقال له كندا فلند وهو أكثرهم عددا فلما استولوا على
القسطنطينية اقترعوا على الملك فخرجت القرعة على كندا فلند فاعادوا القرعة
ثانية وثالثة فخرجت عليه فلكوه والله يؤتى ملكه من يشاء وينزعه ممن يشاء
فلما خرجت القرعة ملكوه عليها وعلى ما يجاورها وجعلوا الدوقس البنادقة
الجزائر البحرية مثل جزيرة اقر بطش وجزيرة رودس وغيرها ويكون
لمركيس الافرنسي البلاد التي هي في الخليج مثل أزيق ولازيق ولكن لم يحصل
لاحد منهم شيء غير الذي أخذ القسطنطينية وأما الباقي فلم يسلم له من به من الروم
بل دفعوا عما بأيديهم وبقى لهم وأما البلاد التي كانت للملك القسطنطينية شرقي
الخليج المجاورة لبلا دركن الدين السلجوقي ومن جملتها أزيق فإنه تغلب عليها
بطريق كبير من بطارقة الروم اسمه كسكري وبقيت بيده ولم تزل القسطنطينية
بأيدي الفرنج من هذا التاريخ الى سنة ستين وستمائة فتجمع الروم وقصدوها
وقاتلوا الفرنج وانتزعوها منهم وعادت ملكهم ولما ملك الفرنج القسطنطينية
في السنة المذكورة أعنى سنة ٦٠٠ تقوى ملكهم بالشام فخرج كثير منهم من
القسطنطينية في البحر الى الشام وأرسوا بعكا وعزموا على قصد بيت المقدس
حرسه الله فلما استراحوا بعكاساروا فنهبوا كثيرا من بلاد الاسلام بنواحي
الاردن وسبوا وفتكوا في المسلمين وجاء أسطول منهم الى فوة من الديار
المصرية فاستولوا عليها ونهبوها خمسة أيام وعسا كرمصر في مقابلتهم وبينهم
النيل ليس لهم وصول اليهم لانهم لم تكن لهم سفن وكان الملك العادل بدمشق
فارسل في جمع العسا كرم من بلاد الشام ومصر فسار ونزل من القرب من عكا
لمنع الفرنج من قصد بلاد الاسلام ونزل الفرنج بمرج عكا وأغاروا على بعض
الأطراف منها فأخذوا كل من بها ودام الأمر في اغارات بينهم وبين المسلمين

الى أن انقضت السنة ودخلت سنة احدى وستائة فانهقد صلح بينهم وبين الملك
العادل على ان دمشق وأعمالها وما يبسطه العادل من الشام يبقى له ونزل لهم عن كثير
من المناصفات في الرملة وغيرها وأعطاهم ناصرة وغيرها وسار نحو الديار
المصرية فقصده الفرنج مدينة حماه فلقبهم صاحبها ناصر الدين محمد بن تقي الدين
ابن أخى صلاح الدين شاهنشاه بن أيوب فقالتهم وكان في قلة فهزموه الى البلد
فخرج العامة الى قتال الفرنج فقتلوا منهم جماعة ثم عاد الفرنج الى عكا بعد أن
انهقد صلح بينهم وبين صاحب حماه وفي سنة ٦٠٣ ثلاث وستائة ملك غياث الدين
السلجوقي أنطاليا باللام مدينة للروم على ساحل البحر وهي غير انطاكية
بالكاف وكان تملكها بعد قتال وحصار لأهلها ثم قتل من كان فيها من الفرنج

ذ ك ر غارات الفرنج بالشام وحصن الاكراد

في سنة ٦٠٤ أربع وستائة كثر الفرنج الذين بطر ابلس الشام وأكثر والاغارة
على بلد حصن وولايته وانزلوا مدينة حصن وكان جمعهم كثيرا فلم يكن لصاحبها أسد
الدين شيركوف قوة ولا قدرة على دفعهم ومنعهم فاستنجد بالملك الظاهر غازي بن
صلاح الدين صاحب حلب وغيرها من ملوك الشام فلم ينجده أحد إلا الظاهر
غازي فانه سير له عسكرا أقاموا عنده ومنعوا الفرنج عن ولايته ثم إن الملك
العادل خرج من مصر بالعساكر الكثيرة وقصد مدينة عكا فحاصرها وغازي على
أطرافها فمالحه صاحبها الفرنجي على قاعدة استقرت من اطلاق أسرى من
المسلمين وغير ذلك ثم سار الى حصن ثم منها الى طرابلس وحاصر موضعها منها
يسمى القليعات ثم ملكه صلحا وأطلق صاحبه وغنم ما فيه من دواب وسلاح
وخر به وتقدم الى طرابلس فهرب وأحرق وسبي وغنم وترددت الرسل بينه وبين
الفرنج في الصلح فلم يتم ودخل الشتاء فجعل طائفة من العسكر بحمص عند
صاحبها وعاد الى دمشق فشتي بها وكان سبب خروج الملك العادل من مصر
بالعساكر أن أهل قبرس الفرنج أخذوا عدة قطع من أسطول مصر وأسروا
من فيها فأرسل العادل الى صاحب عكا في رد ما أخذوه ويقول له نحن في صلح فلم

غدرتم بأصحابنا فاعتذر بأن أهل قبرس ليس لي عليهم حكم وإن مرجعهم إلى
الفرنجة الذين بالقسطنطينية ثم إن أهل قبرس ساروا إلى القسطنطينية بسبب
غلاء كان عندهم وتعذرت عليهم الأقوات وعاد حكم قبرس إلى صاحب عكا فأعاد
العادل مرسلته فلم ينفصل بينهم ما حال فسار بالعساكر وفعل بعكما ذكرنا فأجابته
حينئذ صاحب عكا إلى ما طلب وأرسل الأسرى ثم لم تزل الوقائع تتوالى وتتتابع
والصلح يتم نارة وينقطع أخرى إلى أن دخلت سنة أربع عشرة وستائة فحصلت
وقائع شتى

ذكر ظهور الفرنجة إلى الشام ومسيرهم إلى مصر وملوكهم دمياط
كان من أول هذه الحادثة إلى آخرها أربع سنين غير شهر وحاصلها أنه في سنة
أربع عشرة وستائة وصلت أمداد الفرنجة في البحر من رومية الكبرى وغيرها
من بلاد الفرنجة في الغرب والشمال إلا أن المتولى لها كان صاحب رومية البابا
لأنه ينزل عند الفرنجة بمنزلة عظيمة لا يرون مخالفة أمره ولا العدول عن حكمه فيما
سرههم وساءهم فجهز العساكر من عنده مع جماعة من مقدمي الفرنجة وأمر كل
ملوك الفرنجة أن يسير بنفسه أو يرسل جيشا ففعلوا ما أمرهم فاجتمعوا بعكاهم
ساحل الشام وكان الملك العادل بن أيوب بمصر فسار منها إلى الشام فوصل إلى
الرملة ومنها إلى الدو برزوسار الفرنجة من عكا ليقتصدوه فسار العادل نحوهم
فوصل إلى نابلس عازما على أن يسبقهم إلى أطراف البلاد مما يلي عكا ليحجمها منهم
فسارواهم فسبقوه فنزل على بيسان من الأردن فتقدم الفرنجة إليه في شعبان
عازمين على محاربتهم لعلمهم أنه في قلة بالنسبة إليهم لأن عساكره كانت متفرقة
في البلاد فلما رأى الملك العادل قربهم منه لم ير أن يلقاهم في الطائفة التي معه خوفا
من هزيمة تكون عليه وكان حازما كثيرا الحذر ففارق بيسان نحو دمشق ليقيم
بالقرب منها ويرسل إلى البلاد في تجميع العساكر فوصل إلى مرج الصفر فنزل فيه
وكان أهل بيسان وتلك الأعمال لما رأوا الملك العادل عندهم اطمأنوا فلم يفارقوا
بلادهم ظنا منهم أن الفرنجة لا يقدمون عليه فلما أقدموا كان اقدامهم على قفلة من

الناس فلم يقدر على النجاة إلا القليل فأخذ الفرنج كل ما في بيسان من ذخائر قد
جمعت وكانت كثيرة وغنموا شياً كثيراً ونهبوا البلاد من بيسان الى بانياس
و بنوا السرايا في القرى فوصلت الى خسفين ونوى وأطراف السواد ونازلوا
بانياس وأقاموا عليها ثلاثة أيام ثم عادوا عنها الى مرج عكا ومعهم من الغنائم والسبي
والاسرى ما لا يحصى كثرة سوى ما قتلوا وأحرقوا وأهلكوا فأقاموا أياماً
واستراحوا فيها ثم جاؤا الى صور وقصدوا بلد الشقيف ونزلوا بينهم وبين بانياس
مقدار فرسخين فنهبوا البلاد صيدا والشقيف وعادوا الى عكا وكان هذا من
نصف رمضان الى العيد والذي سلم من تلك البلاد وكان مخفاً قد رعى النجاة ولما سار
العادل الى مرج الصفر رأى رجلاً في طريقه يحمل شيئاً وهو يمشي تارة ويقعد
تارة ويستريح فعاد العادل اليه وحده فقال له يا شيخ لا تعجل وارفق بنفسك فعرّفه
الرجل فقال يا سلطان المسلمين أنت لا تعجل فانا اذ رأيتك قد سرت الى بلادك
وتركتنا مع الاعداء كيف لا نعجل قال ابن الاثير وبالجملة فالذي فعله العادل هو
الحزم والمصلحة لئلا يخاطر باللقاء على حال تفرق من العساكر ولما نزل العادل
على مرج الصفر سبر ولده الملك المعظم عيسى وهو صاحب دمشق في قطعة صالحة
من الجيش الى نابلس بمنع الفرنج عن بيت المقدس ولما نزل الفرنج بمرج عكا
تجهزوا وأخذوا معهم آلة الحصار من بحانيق وغيرها وقصدوا قلعة الطور وهي
العمدة منبوعة على رأس جبل بالقرب من عكا كان العادل بناها عن قريب فتقدموا
اليها وحصرها وهاوز حفوا اليها وصعدوا في جبلها حتى وصلوا الى سورها وكادوا
يلكونه فاتفق أن بعض المسلمين ممن فيها قتل بعض ملوك الفرنج فعادوا عن
القلعة وتركوها وقصدوا عكا وكان مدة مقامهم على الطور سبعة عشر يوماً ولما
فارقوا الطور أقاموا قريباً من ساروا في البحر الى ديار مصر فتوجه الملك المعظم
الى قلعة الطور فخر بها الى أن ألحقها بالأرض لانها قريبة من عكا يتعذر حفظها
﴿ ذكر حصر الفرنج دمياط الى أن ملكوها ﴾
لما عاد الفرنج من حصار الطور أقاموا بعكا الى أن دخلت سنة خمس عشرة

وسمائة فساروا في البحر الى دمياط فوصلوا في صفر فأرسلوا على برج الجزيرة بينهم
و بين دمياط النيل فان بعض النيل يصب في البحر المالح عند دمياط وقد بنى
المسلمون في النيل برجا كبيرا منيعا وجعل فيه سلاسل من حديد غلاظا ومدوها
في النيل الى سور دمياط لتمنع المراكب الواصلة من البحر المالح أن تصعد في
النيل الى ديار مصر ولولا هذا البرج وهذه السلاسل لكانت مراكب العدو
لا يقدر أحد على منعها من أقاصى ديار مصر وأدانها فلما نزل الفرنج على برج الجزيرة
و بينهم وبين دمياط النيل بنوا عليهم سور او جعلوا خندقا يمنعهم ممن يريدهم
و شرعوا في قتال من بدمياط و عملوا آلات وأبراجا ينزحفون بها في المراكب الى
هذا البرج الذي للمسلمين في النيل ليقاتلوا من فيه و يملكوه وكان البرج مشحونا
بالرجال وقد نزل الملك الكامل ابن الملك العادل وهو صاحب دمياط و جميع
ديار مصر منزلة تعرف بالعادية بالقرب من دمياط والعساكر متصلة من عنده
الى دمياط لمنع العدو من العبور الى أرضها وأدام الفرنج قتال البرج وتابعوه
 فلم يظفروا منهم بشيء وكسرت آلاتهم ومع هذا فهم ملازمون لقتاله فبقوا كذلك
أربعة أشهر ولم يقدروا على أخذه ثم بعد ذلك ملكوا البرج فلما ملكوه قطعوا
السلاسل لتدخل بهم مراكبهم من البحر المالح في النيل وينصركموا في البر ف نصب
الملك الكامل عوض السلاسل جسرا عظيما امتنعوا به من سلوك النيل ثم
انهم قاتلوا عليه أيضا قتالا شديدا كثيرا امتنعوا حتى قطعوه فلما قطع أخذ الملك
الكامل عدة مراكب كبارا وملاأها وخرقها وغرقها في النيل فبغت المراكب
من سلوكه فلما رأى الفرنج ذلك قصدوا خليجا هناك يعرف بالازرق وكان النيل
يجرى عليه قدما فحفروا ذلك الخلاج وعمقوه وأجروا الماء فيه الى البحر المالح
وأصعدوا مراكبهم فيه الى موضع يقال له بورة على أرض الجزيرة أيضا مقابل المنزلة
التي كان فيها الملك الكامل ليقاتلوه من هناك فاتهم لم يكن لهم اليه طريق يقاتلون
فيها وكانت دمياط تعجز بينهم وبينه فلما صاروا في بورة حاذوه فقاتلوه في الماء
وزحفوا عليه غير مرة فلم يظفروا وبطائل ولم يتغير على أهل دمياط شيء لأن الميرة

والامداد متصله بهم والنيل يحجز بينهم وبين الفرنج فهم ممنعون لا يصل اليهم اذى
وأبوابها مفتحة وليس عليها من الخصر ضيق ولا ضرر فاتفق لما يريد الله عز وجل
أن الملك العادل ولد الملك الكامل توفي بالشام في جمادى الآخرة من سنة خمس
عشرة وسبعمائة فلما جاء خيبر وفاته لابنه الملك الكامل ضعفت نفوس الناس لان
الملك العادل هو السلطان في الحقيقة وأولاده وان كانوا ماو كالأبائهم تحت حكمه
والامر اليه وهو الذي ملكهم البلاد فاتفق موته والحال هكذا من مقاتلة العدو
وكان من جملة الأمراء بمصر أمير يقال له عماد الدين أحمد بن علي ويعرف بابن
المسطوب وهو من الأكراد الهكارية وهو أكبر أمير بمصر وله لفيف كثير
وجميع الأمراء ينقادون له ويطيعونه لاسيما الأكراد فاتفق هذا الأمر مع غيره من
الأمراء ان يتخلعوا الملك الكامل من الملك ويملكوا أخاه الملك الفائز بن العادل
ليصير الحكم اليهم عليه وعلى البلاد فبلغ الخبر الملك الكامل ففارق المنزلة ليلا مع
بعض أصحابه وسار الى قرية يقال لها أشمون طنح فنزل عندها فأصبح العسكر
وقد فقدوا سلطانهم فركب كل انسان منهم هواه ولم يقف الا على أخيه ولم يقدروا
على أخذ شيء من خيامهم وذخائرهم وأموالهم وأسلحتهم الا اليسير الذي يخف حمله
وتركوا الباقي بحاله من ميرة وسلاح ودواب وخيام وغير ذلك ولحقوا بالكمال
وأما الفرنج فانهم أصبحوا من الغد فلم يروا أحدا من المسلمين على شاطئ النيل
بجاري عادتهم فبة والابدرون ما الخبير واذا قد أنام من أخبرهم الخبر على
حقيقته فعبروا حينئذ النيل الى بردمياط آمنين بغير منازع ولا ممانع وكان
عبورهم في العشرين من ذي القعدة سنة خمس عشرة وسبعمائة فغنموا ما في
عسكر المسلمين فكان عظيما يعجز العاديين وكان الملك الكامل قد فارق الديار
المصرية لانه لم يثق بأحد من عسكره وكان الفرنج قد ملكوا الجميع بغير تعب
ولا مشقة فاتفق من لطيف الله بالمسلمين أن الملك المعظم عيسى صاحب دمشق
وبيت المقدس ابن الملك العادل بعد هذه الحركة يئومين وصل الى أخيه الكامل
والناس في أمر مرج ففوى به قلبه واستدظهره وثبت بجنانه وأقام بمنزلته

وأخرجوا ابن المشطوب الى الشام فأوصل بالملك الأشرف موسى صاحب
الجزيرة وديار بكر ابن الملك العادل ولم يمهل الله تعالى ابن المشطوب بل أخذه
أخذة رابية فانه بعد اتصاله بالملك الأشرف والتعاقد بجنده وقعت منه خيانة فقبض
عليه وحبسه الى أن مات ولما عبر الفرنج الى أرض دمياط اجتمعت العرب على
اختلاف قبائلها ونهبوا البلاد المجاورة لدمياط وقطعوا الطريق وأفسدوا
وبالقوا في الأفساد فكانوا أشد على المسلمين من الفرنج وكان أضرب على أهل
دمياط انهم يكن بهام من العسكر أحد لان السلطان ومن معه من العساكر كانوا
عندها يمنعون العدو عنها فأتتهم هذه الحركة بغتة فلم يدخلها أحد من العسكر وأحاط
الفرنج بدمياط وقتلوا هارباو بحرا وعملاؤها خندقا يمنعهم ممن يريد من المسلمين
وكانت هذه عادتهم وأداموا القتال واشتد الأمر على أهلها وتعذرت عليهم
الاقوات وغيرها وسموا القتال وملازمته لان الفرنج كانوا يتناوبون القتال
عليهم لكثرتهم وليس بدمياط من الكثرة ما يجعلون القتال بينهم مناوبة ومع
هذا صبر واصبر المسمع بمثله وكثر القتل فيهم والجراح والموت والامراض ودام
حصار عليهم نحو ثمانية أشهر من أواخر ذي القعدة الى السابع والعشرين من
شعبان سنة ست عشرة وستائة فعجز من بقي من أهلها عن الحفظ لقتلهم وتعذر
القوت عندهم فساموا البلد من هذا التاريخ بالامان فخرج منهم قوم وأقام
آخرون لعجزهم عن الحركة فتفرقوا أيادي سبا

﴿ ذكر ملك المسلمين دمياط من الفرنج ﴾

لما ملك الفرنج دمياط أقاموا بها وبثوا سرايا في كل ما جاورهم من البلاد ينهبون
ويقتلون فجلا أهلها عنها وشرع الفرنج في عمارتها وتحصينها وبالغوا في ذلك حتى
انها بقيت لا تكاد ترام وأما الملك الكامل فانه أقام بالقرب منهم في أطراف بلاده
يحميها ولما سمع الفرنج في بلادهم بفتح دمياط على أصحابهم أقبلوا بهرعون من كل
فج عميق وأصبحت دار هجرتهم رهاد الملك المنعم صاحب دمشق الى الشام
فخرب بيت المقدس في ذي القعدة سنة خمس عشرة وستائة وانما فعل ذلك لان

الناس كافة خافوا الفرنج وأشرف الاسلام وكافة أهله وبلادهم على خطة الخسف
في شرق الارض وغربها لان التتر أقبلوا من المشرق حتى وصلوا الى نواحي
العراق وأذربيجان ويران وغيرها وأقبل الفرنج من الغرب فملكوا مثل دمياط
في الديار المصرية مع عدم الحصون المانعة بهم من الاعداء وأشرف سار البلاد
بمصر والشام على أن تملك وخافهم الناس كافة وصاروا يتوقعون البلاء صباحا
ومساء وأراد أهل مصر الجلاء عن بلادهم خوفا من العدو ولات حين مناص
والعدو قد أحاط بهم من كل جانب ولو ملكهم الملك الكامل من الجلاء لتركوا البلاد
خاوية على عروشها وانما منعوا منه فثبتوا وتابع الملك الكامل كتبه الى أخويه
الملك المعظم صاحب دمشق والملك الأشرف موسى صاحب الجزيرة وديار بكر
يستنجدهما ويحجها على الحضور بأنفسهما فان لم يمكن فيرسلان المسافر اليه
فسار الملك المعظم بنفسه الى الملك الأشرف فرآه مشغولا بما دمه من اختلاف
السلطنة عليه وزوال الطاعة عن كثير ممن يطيعه فعذره وعاد عنه وبقي الامر
كذلك مع الفرنج الى سنة ثمان عشرة وستائة ثم ان الملك الأشرف زال عنه
الخلافة ورجع الملوك الخارجون عن طاعته اليه واستقامت الامور والملك
الكامل مقابل الفرنج فلما دخلت سنة ثمان عشرة وستائة علم الملك الكامل
نزوال المانع للأشرف عن انجاده فأرسل يستنجده وأخاه صاحب دمشق فسار
الملك الأشرف بعساكره الى دمشق ثم سار الى مصر وكان الفرنج قد ساروا عن
دمياط الفارس والراجل وقصدوا الملك الكامل ونزلوا مقابله بينهما خليج من
النيل يسمونه بحر أشمون وهم برمون بالنجنيق والجرح الى عسكر المسلمين
وقد تيقنواهم وكل الناس أنهم يملكون الديار المصرية فلما سمع الملك الكامل
بقرب أخيه الملك الأشرف فرح بذلك فلما وصل الى مصر توجه اليه فلقبه
واستبشره وكافة المسلمين باجتماعهما لعل الله يحدث بذلك نصرا وظفرا وأما
الملك المعظم صاحب دمشق فانه سار الى دمياط ظننا منه ان أخويه وهسكريهما
قد نازلوا دمياط وقيل بل أخبر في الطريق أن الفرنج قد توجهوا الى دمياط

فسابقهم اليها ليلقاهم من بين أيديهم وأخواه من خلفهم ولما اجتمع الأشرف
بالكامل استقر الأمر بينهما على التقدم إلى الخليج من النيل يعرف ببحر المحملة
فتقدموا إليه فقاتلوا الفرنج وازدادوا قربا وتقدمت شواني المسلمين من النيل
وقاتلوا شواني الفرنج فأخذوا من ثلاث قطع بمن فيها من الرجال وما فيها من
الأموال والأسلحة ففرح المسلمون بذلك واستبشروا وتفاءلوا وقويت
نفوسهم واستطالوا على عدوهم والرسول مترددة بينهم وبين الفرنج في تقرير قاعدة
الصلح وبذل المسلمون لهم تسليم بيت المقدس وعسقلان وطبرية وصيدا وجبلة
واللذقية وتجميع ما فتحه صلاح الدين ما عدا الكرك ليسلموا دمياط فلم
يرضوا وطلبوا ثلاثمائة ألف دينار عوضا عن تخریب بيت المقدس ليعمره بها
فلم يتم بينهم أمر وقالوا لا بد من الكرك فيينا الأمر في هذا وهم يمتنعون فاضطر
المسلمون إلى قتالهم وكان الفرنج لاقتدارهم في نفوسهم لم يستصحبوا معهم
ما يقوونهم عدة أيام ظن منهم أن العساكر الإسلامية لا تقوم لهم ولا تقدر على
مقابلتهم وإن القرى والسواد جميعه يبقی بأيديهم يأخذون منه ما أرادوا من الميرة
لأمر يريده الله تعالى بهم فعبث طائفة من المسلمين إلى الأرض التي عليها الفرنج
ففجروا النيل وخرقوا مواضع منه حتى خرج منه ماء كثير وسال كالبحر
فركب الماء أكثر تلك الأرض ولم يبق للفرنج جهة يسلكون منها غير جهة
واحدة فيها ضيق فنصب الملك الكامل حينئذ الجسور على النيل عند أشمون
وعبر العساكر عليها فلك الطريق الذي يسلكه الفرنج إن أرادوا العود إلى
دمياط فلم يبق لهم خلاص واتفق في تلك الحال أنه وصل إليهم مركب كبير للفرنج
من أعظم المراكب وحوله عدة حراقات تحميه والجميع مملوء من الميرة والأسلحة
وما يحتاجون إليه فوقع عليه شواني المسلمين وقتلوهم فظفروا بالمركب المذكور
وما معه من الحراقات وأخذوها فلما رأى الفرنج ذلك سقط في أيديهم ورأوا أنهم
قد ضلوا الصواب بمفارقتهم دمياط في أرض يجهلون نها عند عساكر المسلمين
محيطه بهم رمونهم بالنشاب ويحملون على أطرافهم فلما اشتد الأمر على الفرنج

أحرقوا خيامهم ومجانيقهم وأنقاهم وأرادوا الزحف على المسلمين ومقاتلتهم
لعلهم يقدر ون على العود الى دمياط فرأوا ما ملوه بعيدا وحيل بينهم وبين
ما يشتهون لكثرة الوحال والمياه حولهم والوجه الذي يقدر ون على سلوكة قد
ملكه المسلمون فلما يتقنوا انهم قد أحيط بهم من سائر جهاتهم وأن ميرتهم قد
تعدر عليهم ووصولها وان المنايا قد كشرت لهم عن أنيابها ذلت نفوسهم وتنكست
صلبانهم وفضل عنهم شيطانهم فراسلوا الملك الكامل يطلبون الامان ليسلموا
دمياط بغير عوض فبينما المراسلات مترددة اذا قبل جيش كبير له وهج شديد
وجلبة عظيمة من جهة دمياط فظنه المسلمون نجدة أتت للفرنج فاستشعروا واذا
هو الملك المعظم صاحب دمشق قد وصل اليهم وكان قد جعل طريقه على دمياط
كما تقدم فاشتدت ظهور المسلمين وازداد الفرنج خذلا ناو وهنا وتمموا الصلح
على تسليم دمياط واستقرت القاعدة والايمن سابع رجب من سنة ثمان عشرة
وستمائة وانتقل ملوك الفرنج وكنودهم وقاصتهم الى الملك الكامل والاشرف
رهائن على تسليم دمياط وكان أولئك الملوك الذين صاروا رهائن كثيرين منهم
فليب ملك الفرنسيس ونائب بابا صاحب رومينة وملك عكا وكندريش وغيرهم
وراسلوا قسوسهم و رهبانهم الى دمياط في تسليمها فلم يمتنع من بها وسلموها الى
المسلمين ناسع رجب المذكور وكان يوم مشهودا ومن العجب أن المسلمين
لما سلموها وصلت للفرنج نجدة في البحر فلو سبقوا المسلمين اليها لمتنعوا من
تسليمها ولكن سبقهم المسلمون ليقضى الله امرا كان مقعولا ومما اتفق انه لما
انعقد الصلح وحضر ملك الفرنسيس وملوك الفرنج عند الملك الكامل محمد
وكان في مجلس الكامل أخواه الملك المعظم عيسى والملك الاشرف موسى وكثير
من ملوك الاسلام قام راجح الحلي وأنشد قصيدة بليغة تهنئة للملك الكامل محمد
وفيها بيت ظريف وهو قواه

أعباد عيسى ان عيسى وحزبه * وموسى جميعا يخدعون محمدا
وأشار الى الملك المعظم عيسى والملك الاشرف موسى والملك الكامل محمد ولما أراد

ملوك الفرنج الحضور وعند الملك الكامل طلبوا منه رهينة تكون عندهم
فأرسل لهم ولده الملك الصالح أيوب وعمره خمس عشرة سنة ثم لما تم الصلح وتسلم
المسلمون دمياط ارتحل ملك الفرنسيس فليب ومن معه من الملوك الى بلادهم
وكانت مدة ملك فليب على الفرنسيس ثلاثا وأربعين سنة وهلك سنة ست مائة
وعشرين هجرية ولما دخل المسلمون دمياط رأوها حصينة قد حصنها الفرنج
تحصينا عظيما بحيث بقيت لا ترام ولا يوصل اليها وأعاد الله سبحانه وتعالى الحق الى
نصابه ورده الى أربابه وأعطى المسلمين ظفر الم يكن في حسابهم فانهم كانت غاية
أمانهم ان يسلموا البلاد التي بالشام ليعيدوا لهم دمياط فرزقهم الله إعادة دمياط
وبقيت البلاد التي بالشام بأيديهم على حالها فآله الله تعالى هو المحمود المشكور على
ما أنعم به على الاسلام والمسلمين من كفا عادية هذا العدو وكفاهم أيضا شر التتر كما
سيأتي ❦ ذكر وفاة الملك العادل التي تقدمت الاشارة اليها ❦

قد تقدم أن الفرنج لما دخلت سنة خمس عشرة وست مائة ساروا في البحر الى دمياط
ووصلوها في صفر وكان الملك العادل بالشام في مرج الصفر ثم انتقل الى عالقين
ومرض وتوفي في سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وست مائة ونقل الى دمشق
ودفن بها وكان ابنه الملك الكامل أقامه هو ملكا في مصر نيابة عنه وكان وقت
وفاته أبيه مشغولا بقتال الفرنج النازلين على دمياط كما تقدم وكان عمر الملك
العادل لما توفي خمسا وسبعين سنة لان ولادته كانت سنة أربعين وخمسة مائة وقيل
ثمانية وثلاثين وخمسة مائة وكان ملكا عظيما ذار رأى ومعرفة تامة قد حنكته التجارب
حسن السيرة جميل الطوية وافر العقل حازما للامور صالحا محافظا على
الصلوات في أوقاتها متبع الأرباب السنة مائلا الى العلماء حتى صنفته فخر الدين
الرازي كتاب تأسيس التقويس وذكر اسمه في خطبته وسيره اليه من بلاد
خراسان وكان الملك العادل في حياة أخيه صلاح الدين تابعه تحت طاعته ينقله
في الولايات وبمده وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩ وقع بينه وبين أولاد أخيه صلاح
الدين أمور يطول الكلام في ذكرها الى أن استقل بمملكة الديار المصرية

والشامية وكان استقلاله بمملكة الديار المصرية سنة ست وتسعين وخمسة
واستقلاله بمملكة الديار الشامية سنة ثمان وتسعين وخمسة وملك بلاد اليمن سنة
اثنى عشرة وستمائة وسير البها ولد والده الملك المسعود بن الملك الكامل ثم ان
الملك العادل لما انتزع الملك من اولاد أخيه صلاح الدين واستقل به قسم
بمملكة بين اولاده وكان رجلا مسعودا وكذا اولاده لم يخلف أحد من الملوك
أمثالهم في نجابتهم وبسالتهم ومعرفتهم وعلوهمتهم ودانت لهم العباد وملكوا
خيار البلاد وكان يتردد بينهم وينتقل اليهم من مملكة الى أخرى وكان بالغالب
يصيف بالشام لاجل الفواكه والثلج والمياه الباردة ويشقى في الديار
المصرية للاعتدال الوقت فيها وقله البرد وعاش في أرغد عيش وكان يأكل كثيرا
خارجا عن المعتاد حتى يقال كما في تاريخ ابن خلكان انه كان يأكل وحده خروفا
اطيفامشويا وخلف ستة عشر ولدا ذكرا غير البنات رحمه الله تعالى

﴿ ذكر خروج الفرنج الى الشام وعمارة صيدا وتملكهم بيت المقدس ﴾

لما توفي الملك المعظم عيسى صاحب دمشق وبيت المقدس ابن الملك العادل طمع
الفرنج في الشام وكانت وفاة الملك المعظم سنة أربع وعشرين وستمائة في ذي
القعدة وصار ملك دمشق لولده الناصر داود ثم انتزعها منه عمه الملك الكامل
وأعطاه الكرك بدلا عن دمشق وبعد وفاة الملك المعظم خرج كثير من الفرنج من
بلادهم القاصية الى بلادهم التي ملكوها في الشام عكا وصور وغيرها فكثر
جمعهم وكان معهم امبراطور الالمان واسمه فردريك وقيل بل هو صاحب جزيرة
صقلية ومعنى الامبراطور بلغة الفرنج ملك الامراء فاستولوا على صيدا وكانت
مناصفة بينهم وبين المسلمين فلكوها وعمرها سورها وكان خرابا وأزالوا عنها
حكم المسلمين فعظمت شوكتهم وقوى طمعهم واستولى في طريقه على جزيرة
قبرس وكانت عند ملك انكرا ولبالغ الملك الكامل أنهم يقصدون دمشق وبيت
المقدس خرج بعساكره من مصر وزددت الرسل بينه وبين الامبراطور
واستقرت القاعدة بينهما على الصلح ان المسلمين يسلمون للفرنج بيت المقدس

ومعه مواضع يسيرة من أعماله ويكون باقي البلاد للمسلمين مثل الخليل ونابلس
والغور وطبرية وكان سور بيت المقدس قد خربه الملك المعظم كما تقدم فلما نسلم
الفرنجة بيت المقدس شرط عليهم عدم عمارة السور واستعظم المسلمون تلك
الفرنجة بيت المقدس وأكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم ما لا يمكن وصفه وكان
تسلمهم إياه سنة ست وعشرين وستمائة وفي سنة ٦٢٨ ثمان وعشرين وستمائة
انتهى تاريخ ابن الأثير المسمى بالكامل وتوفي مؤلفه سنة ثلاثين ببلادة الموصل
وفي سنة ثمان وعشرين أيضا قصد الفرنج الدين بالشام مدينة جبله وهي من المدن
المضافة إلى حلب ودخلوا إليها وكانت حلب بيد شهاب الدين أنابك تابع الملك
العزیز بن الظاهر غازي بن صلاح الدين وكان شهاب الدين أنابك مملوكا
للسلطان الظاهر غازي فلما بلغه دخول الفرنج مدينة جبله سير اليهم العساكر
فقاتلوا الفرنج وقتل كثيرا منهم وأخرجهم واسترد الأسرى والغنمية * وفي سنة
أربع وثلاثين وستمائة أغار الفرنج على ربض دير سالك وهي لصاحب حلب فوقع
بهم عسكر حلب وولى الفرنج منهزمين وكثر فيهم القتل والأسر وعاد عسكر حلب
بالأسرى ورؤوس الفرنج وكانت هذه الواقعة من أعظم الوقائع * وفي سنة خمس
وثلاثين توفي الملك الكامل وأخوه الملك الأشرف موسى وكثر الاختلاف بين
أولاد الملك الكامل وليس هذا محل ذكره وكان الملك الكامل من أعظم الملوك
وله مشاركة في العلوم وملك مصر أربعين سنة عشر بن نيابة عن أبيه وعشرين
استقلالا وتوفي وعمره ستون سنة

ذكر استرجاع بيت المقدس للمسلمين

في سنة سبع وثلاثين وستمائة قصد الناصر داود بن الملك المعظم القدس وحاصرها
وقتها وكان الناصر داود بن الملك المعظم له ملك الكرك أعطاه إياه عمه الملك
الكامل بعد أن انتزع منه دمشق كما تقدم فصار بيت المقدس له أيضا لما فتحه وتقدم
أن نسلم بيت المقدس للفرنجة كان سنة ست وعشرين فتكون مدة بقائه تحت
أيديهم إلى أن استرجعه الناصر داود إحدى عشرة سنة ومن غريب الاتفاق أن

الناصر صلاح الدين استخلص بيت المقدس أولا والناصر داود استخلصه ثانيا
ولذلك قال جمال الدين بن مطروح

المسجد الأقصى له آية * سارت فصارت مثل أسائر
اذ قد غدا للكفر مستوطننا * أن يبعث الله له ناصرا
فناصر طهره أولا * وناصر طهره آخره

وفي سنة اثنتين وأربعين وقع اختلاف بين صاحب دمشق وهو الملك الصالح
إسماعيل بن الملك العادل وبين ابن أخيه صاحب مصر وهو الملك الصالح أيوب
بن الملك الكامل وأدى ذلك الاختلاف إلى القتال فلما كان القتال بينهما
استعان صاحب دمشق بالفرنج الذين في عكا ووعدهم بجزء من بلاد مصر
نخرجت الفرنج بالفارس والراجل واجتمعوا بعسكر دمشق ووصل لقتالهم
عسكر مصر مع ركن الدين بيبرس مملوك الملك الصالح أيوب والتقى الفريقان
بظاهر غزة فانهزم الفرنج وعسكر دمشق واستولى الملك الصالح أيوب على غزة
والسواحل وبيت المقدس انتزعه من الناصر داود ووصلت الأسرى والرؤس
إلى مصر ودقت بها البشائر عدة أيام ثم استولى الملك الصالح أيوب على دمشق
سنة ثلاث وأربعين وستمائة وانتزعهما من عمه الصالح اسماعيل بن الملك العادل * وفي
سنة خمس وأربعين وستمائة فتح الملك الصالح عسقلان وطبرية بعسكر جهزه مع
فخر الدين بن الشيخ وقد كان تسليهما للفرنج سنة إحدى وأربعين وستمائة فاستقرنا
إلى الآن ففتحتنا

ذكر ملك الفرنج دمياط مرة أخرى غير المرة السابقة

في سنة سبع وأربعين وستمائة سار لوزن ملك الفرنسيس في خمسين ألفا وقصد
دمياط وحاصرها ثم ملكها في شهر صفر وكان ذلك في مدة سلطنة الملك الصالح نجم
الدين أيوب بن الملك الكامل فركب في عسايب المسلمين لقتالهم فحاصروهم
واستقر محاصروهم إلى أن توفي في شعبان وكان والده توران شاه غائبا محصنا
كيفما فقام بالأمر شجرة الدر زوجة أبيه الملك الصالح إلى أن حضر ابنه توران

شاه فقام مقام أبيه وتقدم الفرنج عن دمياط الى المنصورة وجري بينهم وبين
المسلمين في مستهل رمضان وقعة عظيمة ثم نزل الفرنج شرمساح ثم قرىوا من
المسلمين ثم كبسوا المسلمين على المنصورة ثم اشتد القتال بينهم وبين المسلمين برا
وبحرا فكان النصر أخيرا للمسلمين بعد أن كان أولا للفرنج وكانت لهم مراكب
كثيرة بالبحر وفي حرسن المحاضرة للجلال السيوطي ان الشيخ عز الدين بن
عبد السلام كان مع عسكر المسلمين فقال بأعلى صوته مشيرا الى الریح ياریح
أخذيهم فجاءت ريح قوية على مراكب الفرنج فكسرتهم وحصل الفتح
والنصر للمسلمين وغرق أكثر الفرنج وصرخ صارخ في المسلمين قائلا الحمد لله
الذي أرانا في أمة محمد صلى الله عليه وسلم رجلا مضرا لله الریح وحمل المسلمون
على الفرنج فردوهم على أعقابهم وأخذ المسلمون من مراكبهم اثنين وثلاثين
مركبا منها تسع شواني فضعف الفرنج لذلك وأرسلوا يطلبون القدس وبعض
السواحل الشامية ويتركون دمياط فلم تقع الاجابة اى ذلك وكانوا قد نيت
أزوادهم وانقطع عنهم المدد من دمياط فان المسلمين قطعوا الطريق الواصل من
دمياط اليهم فلم يسبق لهم صبر على المقام فرحلوا متوجهين الى دمياط فركب
المسلمون أكتافهم وبدلوا فيهم السيف فلم يسلم منهم الا القليل وبلغت عدة القتلى
ثلاثين ألفا وانحاز ملكهم ومن معه من الملوك الى بلاد هناك وطلبوا الامان
فأمنهم الطوائى محسن الصالحى ثم أحيط عليهم وأحضروا الى المنصورة وقيد
ملكهم وأركب على جمل وطيف به ثم حبس في دار ابن لقمان ووكل به الطوائى
صبيح ثم انعقد الصلح معه على تسليم دمياط وأن يطلق ويدفع ثمانمائة ألف دينار
وقيل انه افتدى نفسه بقناطر من الذهب تبلغ سبعة ملايين فنك فأطلق ورجع
الى بلاده فلما وصلها أخذ في الاستعداد ونودى الرجوع لحرب المسلمين فتقدم
المسلمون على اطلاقه فأنشأ جمال الدين بن مطروح قصيدة كتبت وأرسلت اليه
وأشدها القاصدين يديه وهو قائم منها قوله

قل للفرنسيس اذا جئتته * مقال صدق عن قول نصيح

أتيت مصر ابتغي ملكها * تحسب أن الزمر ياطبل ربح
وكل أصحابك أوردتهم * بحسن نديرك بطن الضريح
خسبون ألفا ليري منهم * غير قتيل أو أسير جريح
وقل لهم ان أضرروا عودة * لأخذ نار أو لفعل فبيع
دار ابن لقمان على حالها * والقيد باق والطواشي صبح
فلما سمع المقالة دلت نفسه ونأى عن العودة الى مصر ثم أراد أن يأخذ ثاره
من تونس لامر جرى بينه وبين ملكها وهو أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا
الحفصي الملقب بالمستنصر بالله (وحاصل) ما كان بينه وبين ملك الفرنسيس
الذي ذكره يوم ما عند المستنصر فمضم من جانبه وقال هو الذي أسره
هؤلاء وأطلقوه وأشار الى بعض الاتراك الذين كانوا يخدمون بين يديه وكان قد
استخدم منهم جماعة فبلغت مقالة المستنصر ملك الفرنسيس لحقد عليه وتجهز
بجنوده يريد أخذ تونس وذلك سنة ثمان وستين وستمائة فصار معه ثلاثون ألفا
وأساطيله ثلاثمائة بين كبار وصغار وحاصر تونس ستة أشهر فقال بعض أدباء
تونس يا فرنسيس هذه أخت مصر * فتهبأ لما اليه نصير
لك فها دار ابن لقمان قبر * وطواشيك منكر ونكير
فقد ر الله هلاك ملك الفرنسيس وهو محاصر تونس قيل أصابه سهم فقتله وقيل
أصابه مرض الوباء فقتله وذلك سنة تسع وستين وستمائة وهلك كثير من جنده
بالوباء وتملك بعده ابنه فعقد صلحاً مع أهل تونس وارتحل عنهم وكفى الله شرهم
وذكر ناقصة تونس قبل محجى، الموضع الذي ينبغي أن تذكر فيه أعني سنة تسع
وستين لتتصل هذه القصة بالقصة السابقة لما بينهما من التناسب
﴿ ذكر خروج التتر وملكهم بغداد وانقراض الدولة العباسية من بغداد ﴾
قال ابن خلدون ان التتر من شعوب الترك وان الترك كلهم من ولد كورمر بن يافت
ابن نوح عليه السلام ومساكنهم بلاد الصين مما وراء نهر سيحون وهم أمم كثيرة
وسيحون نهر مما وراء النهر قريب خجند بعد سمرقند وهو في حدود بلاد الترك

ويطلق أيضا على نهر الهند وأما جبحون فهو نهر خوارزم وجبج - ان نهر بالشام
وفي سنة ست وخمسين وستمائة كان استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة
العباسية (وينبغي قبل ذلك) أن نذكر ابتداء أمر التتر وكيف كان خروجهم على
أهل الاسلام ذكر كثير من المؤرخين ان حادثة التتر حادثة عظيمة ومهيبه كبرى
عمت الخلائق وخصت المسلمين بشدة بلائها فلو قال قائل ان العالم منذ خلق الله
آدم عليه السلام الى وقت خروج التتر لم يبتل بمثلها لصدق فان التواريخ
لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يبدانها ومن أعظم ما يندكرون من الحوادث ما فعله
بختنصر بنى اسرائيل من القتل وتخريب بيت المقدس وما يبت المقدس بالنسبة
الى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد التي كل مدينة منها أضعاف بيت المقدس وما
بنوا اسرائيل بالنسبة الى من قتلوا فان أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بنى
اسرائيل ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة الى أن ينقرض العالم وتنفى الدنيا
الايأجوج وماأجوج وأما الدجال فانه يبقى من اتبعه وبهلك من خالفه وهؤلاء لم
يقفوا أحدا بل قتلوا العلماء والصلحاء والزهاد والعباد والخواص والعوام والنساء
والرجال والاطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة فان الله وانا اليه راجعون
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لهذه الحادثة التي استطار شررها وعم
ضرها وسارت في البلاد كالسحاب استديره الريح فان قومها خرجوا من
أطراف الصين وعبر وانهر سيحون فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر
وبلاسغون ثم منها الى بلاد ماوراء النهر مثل سمرقند وبخارى وغيرهما
فمملكونها ويفعلون بأهلها ما سئد كره ثم تعبر منهم طائفة الى خراسان
فيفرغون منها مملكا وقتلوا وتخربوا ونهبوا ثم تجاوزوا الى الري وهمذان وبلد
الجيل وما فيه من البلاد الى حد العراق ثم يقصدون بلاد اذربيجان وأرمينية
وغيرهما ويخربونها ويقتلون أكثر أهلها ولم ينج الا الشر يد النادر في أقل من
سنة هذا ما لم يسمع بمثله ثم لما فرغوا من اذربيجان وأرمينية ساروا الى دربند
شر وان قلكوا مدنه ولم يسلم غير القاعة التي بها ملكهم وعبر واعندها الى بلد

اللان والترك ومن كان هنالك من الامم المختلفة فاسعواهم قتلا ونهبها وتخريبها ثم
قصدوا بلاد قفقيا وهم من اكثر الترك عددا فقتلوا كل من وقف لهم فهرب
الباقون الى الغياض ورؤس الجبال وفارقوا بلادهم واستولى هؤلاء التتر
عليها فعملوا هدا في اسرع زمان لم يلبثوا الا بقدر مسيرهم لا غير ومضى طائفة
اخرى غير هذه الطائفة الى غزنة واعمالها وما يجاورها من بلاد الهند وسبعان
وكرمان ففعلوا فيها مثل ما فعل هؤلاء واشدها ما لم يطرق الاسماع مثله فان
الاسكندر الذي اتفق المؤرخون على انه ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة
انما ملكها في نحو عشرين سنة ولم يقتل احدا انما رضى من الناس بالطاعة وهؤلاء
قد ملكوا اكثر المعمور من الارض واحسنه واكثره عمارة واهلا واعدل
اهل الارض اخلاقا وسيرة في نحو سنة ولم يبت احد من اهل البلاد التي
يطرقونها الا وهو خائف يتوقعهم ويتربص وصولهم اليه ثم انهم لا يحتاجون الى
ميرة ومدد يأتهم بل كان معهم الاغنام والبقر والخيول وغير ذلك من الدواب
ياكلون لحومها لا غير واما دوابهم التي يركبونها فانها تحفر الارض بحوافرها
وتأكل عروق النباتات لا تعرف الشعير فهم اذا نزلوا منزلا لا يحتاجون الى شئ من
خارج واما ديارهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شئ اياهم
ياكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير والحشرات وبنى آدم ولا
يعرفون نسكا حبل المرأة يأتها غير واحد من الرجال فاذا جاء الولد لا يعرف اباه
ولقد بلى الاسلام والمسلمون في مدنهم بمصائب لم يبيل بها احد من الأمم فهؤلاء التتر
قبضهم الله اقبلوا من المشرق ففعلوا الافعال التي يستعظمها كل من سمع بها وكانوا
كلما ملكوا مدينة قتلوا العلماء والصلحاء والزهاد والعباد والخواص والعوام
وخرّبوا الجوامع واحرقوا المصاحف وفعلوا اشياء لم يسمع بمثها وفي مدنهم ايضا
كان خروج الفرنج لعنهم الله من المغرب الى الشام ثم قصدوا ديار مصر وانتشرت
الفتن في ممالك الاسلام فانا لله وانا اليه راجعون قال ابن الاثير نسأل الله ان يبسر
للإسلام والمسلمين نصرا من عنده فان الناصر والمعين والذاب عن الاسلام

معدوم قال تعالى (واذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال)
وهؤلاء التترنوع من الترك ومساكنهم كانت جبال طمغاج من بلاد الصين وبينها
وبين بلاد الاسلام ما يزيد على ستة أشهر ومملكة الصين متسعة دورها ستة أشهر
وهي منقسمة ستة أجزاء كل جزء مسيرة شهر وعلى كل جزء ملك يقال له عندهم خان
وواحد منهم رئيس على الجميع ولما انتهت الولاية الى واحد منهم يقال له جنكز خان
كان ابتداء خروجهم على بلاد الاسلام وذلك سنة ست عشرة وستمائة في
خلافة الناصر لدين الله العباسي بن المستضيء بأمر الله بن المستنجد بالله بن المقتدي
لأمر الله بن المستظهر بالله بن المقتدي بأمر الله بن القائم بأمر الله بن القادر بالله
ابن اسحاق بن المقدر بن المعتض وكانت مدة خلافة الناصر ستاً وربعين سنة
وعشرة أشهر لأنه كانت ولايته خلافة سنة خمس وسبعين وخمسمائة ووفاته سنة
ثنتين وعشرين وستمائة فكان أكثر فتنه التتر في مدته وكان سبب خروجهم ان
ملكاً من ملوك الاسلام كان مالكا لخراسان وما وراء النهر يقال له خوارزم شاه
كان بينه وبينهم فتنة فاقتتلوا معه واتسع أمرهم حتى كان منهم ما كان وكان
خوارزم شاه منسباً الى شخص يقال له أنوش تسكين وهو مملوك لبعض أمراء
السلجوقية وكان حسن الطريقة ففر في ابي أن صار مقدماً امر جوعاً اليه فولد له
ابن يقال له محمد خوارزم شاه وانتشأ عارفاً ديباً واشتهر عنه العقل وحسن التدبير
فقدر الله ان وقعت فتنة في خوارزم سنة أربع مائة وتسعين وقتل أمير خوارزم
وكانت تحت حكم السلاطين السلجوقية والخلفاء العباسية فولوا الملك خوارزم
لمحمد خوارزم شاه ابن أنوش تسكين ثم نوارث الملك بنوه واتسع ملكهم وعظم
أمرهم وصار كل ملك منهم يقال له خوارزم شاه ولم يزل ملكهم يقوى ويتسع حتى
تغلبوا على الممالك وصار ملكهم من حد العراق الى تركستان وملكوا خراسان
جميعه وغزنة وكابل وبعض الهند وسجستان وكرمان وطبرستان وخرجان وبلاد
الجيل وبعض فارس فلم يزلوا يتسولون الملك الى سنة خمسمائة وست وتسعين
فكان الملك منهم في التاريخ المذكور لمحمد خوارزم شاه بن تكش بن أرسلان

ابن أظسن بن محمد خوارزم شاه بن أنوش تكين فأنسح ملكه غاية الاتساع حتى
صار يتطلب تملك بغداد قال الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء في وصف
خوارزم شاه المذكور انه أباد الملوك وأخذ الممالك وعزم على قصد الخليفة فلم ينهياً
له مدة وكان خوارزم شاه قسم ممالكه بين أولاده وكانوا أربعة وضرب لكل
منهم نوبة مثل نوبة و كان تحته سبعة وعشرون ملكاً تضرب نوبة لكل واحد
منهم في أوقات الصلوات وانفرد هو بنو به ذى القرنين تضرب وقت طلوع
الشمس وغروبها وكانت سبعا وعشرين دبدابة والدبداب هو الطبل الكبير
وكانت هذه السبع والعشرون من الذهب مرسعة بأنواع الجواهر فلما انتهى أمر
ملكه الى هذا الحد احتقر أمر التتر سكان الصين وصار يغار بهم ويغير على بلادهم
وهم أيضا يغارونه ويغيرون على بلاده ثم انعقد صلح بينهم وبينه ومهادنة وصار
تجارهم يأتون الى بلاده ثم ان عامل خوارزم شاه على آحر مملكته مما يليهم كانت
له قوة ومعه عشرون ألف فارس وكان خال خوارزم شاه فشرهت نفسه الى
أموال التجار واتفق انه دخل في محل ملكه كثير من التجار والاتراك معهم أموال
للتجار من التتر وأموال الملك التتر فكذب ذلك العامل الى خوارزم شاه يقول
له ان هؤلاء القوم قد جاؤا بزى التجارة وما قصدهم الا التجسس وان أدبت لى فيهم
قبضت عليهم فأدن له فقبض عليهم وأخذ أموالهم ثم وقعت مكاتبات بين ملك التتر
وخوارزم شاه في اطلاقهم وكتب ملك التتر لخوارزم شاه يتهدده ان لم يطلقهم
فغضب وأمر بقتلهم فقتلهم ذلك العامل وسبوا اليه ما كان معهم من الاموال وكان
شياً كثيراً ففرقه خوارزم شاه على تجار سمرقند وبخارى وأخذ منهم قيمة
تملكهم فاما بلغ الخبر جنكز خان أرسل جماعة الى خوارزم شاه يتهدده ويقول
أنت قتلت جماعتي فاستعد للحرب فاني واصل اليكم بجمع لاقبل لكم به فقتل
خوارزم شاه كبير هؤلاء الجماعة وأمر بخلق لى الجماعة الذين كانوا معه وأعادهم
الى جنكز خان فقالوا له ان خوارزم شاه يقول لك اناسا ثرايك ولو انك في آخر
الدينا حتى أنتقم مننا وأفعل بك كما فعلت بأصحابك وتجهز خوارزم شاه وسار

بعد الرسول مبادر السبق خبره ويكبسهم وأدمن السير فضى وقطع مسيرة أربعة
أشهر فوصل إلى بيوتهم فلم يرفها إلا النساء والصبيان والأطفال فأوقع بهم وغنم
الجميع وسبي النساء والذرية وكان سبب غيبة الكفار أنهم ساروا والمقاتلة ملك من
ملوك الترك فقاتلوه وهزموه وغنموا أمواله وعادوا فلقبهم في الطريق الخبر بما
فعل خوارزم شاه بمخلفهم فجدوا السير وأدركوه قبل أن يخرج من أرضهم
ونصافوا للحرب واقتتلوا قتالا لم يسمع بمثله ثلاثة أيام بلياليها وجرى الدم
في الأرض حتى صارت الخيل تزلق من كثرتهم وأحصى من قتل من
المسلمين وكانوا عشرين ألفا وأما الكفار فلا يحصى من
قتل منهم ثم رجع الكفار إلى بلادهم ورجع المسلمون
إلى بخارى واستعدوا لمحبي جنكز خان بهم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم

في تمام الجزء الأول من الفتوحات الإسلامية
وبقية الجزء الثاني أوله تملك جنكز خان بخارى ❀

﴿ فهرست الجزء الاول من الفتوحات الاسلامية ﴾

صحيفة	صحيفة
٣٤	٥
ذكر واقعة اليرموك	ذكر أول واقعة في قتال أهل
٣٩	الردة
ذكر واقعة أجناد بن	٧
٤٠	ذكر سير خالد بن الوليد الى
ذكر فتح دمشق	بزاخرة لقتال طلحة بن خويلد
٤٢	الأسدي
ذكر بلاد ساحل دمشق	٩
٤٣	ذكر خبر سجاح
ذكر فتح ييسان وطبرية	١١
٤٤	ذكر مسير خالد بن الوليد
ذكر الواقعة بمرج الروم	رضي الله عنه الى الجمامة لقتال
٤٤	مسيامة الكذاب
ذكر فتح حصص وبعليك	١٧
وغيرهما	ذكر مسيره الى العراق
٤٦	٢٠
ذكر فتح قنسرين ودخول	ذكر فتح ماوراء الخيرة
هرقل القسطنطينية	٢١
٤٦	ذكر فتح عين التمر
ذكر فتح حلب وانطاكية	٢١
وغيرهما من العواصم	ذكر خبر دومة الجندل
٤٨	٢٢
ذكر فتح قيسارية وحصر غزوة	ذكر واقعة الثني والزميل
٤٨	٢٢
ذكر فتح ييسان وواقعة	ذكر واقعة الغراض
أجناد بن	٢٣
٤٩	ذكر ردة بني عامر وهوازن
ذكر فتح بيت المقدس	وسليم
٥٢	٢٤
ذكر خبر حصص حين قصد	ذكر ردة أهل البحرين
هرقل من يهنا من المسلمين	٢٦
٥٣	ذكر ردة أهل عمان والمهرة
ذكر فتح الجزيرة وأرمينية	٢٧
٥٦	ذكر ردة أهل اليمن
ذكر فتح مصر والاسكندرية	٣٠
	ذكر فتوح الشام
	٣٣
	ذكر أول واقعة بالشام

صحيفة

٧٥ ذكر فتوحات العراق بعد

مسير خالد بن الوليد الى الشام

٧٧ ذكر خبر الخمارق

٧٨ ذكر وقعة البويب

٨١ ذكر الخنافس وسوق بغداد

٨١ ذكر الخبر الذي هجج أمر

القادسية وتملك يزيد جرد

٩٥ ذكر يوم أرمات

٩٨ ذكر يوم أغوات

١٠٥ ذكر الوقائع بعد القادسية

الى أن فتحت مدائن كسرى

١٠٦ ذكر فتح المدائن التي فيها

إيوان كسرى

١٠٨ ذكر ما جمع من غنائم أهل

المدائن وقسمتها

١١١ ذكر وقعة جلولاء وفتح حلوان

في سنة ست عشرة أيضا

١١٣ ذكر اتخاذ البصرة

والكوفة مصر من الامصار

١١٣ ذكر فتح تكريت والموصل

في سنة ست عشرة أيضا

١١٤ ذكر فتح ما سبذان في سنة

ست عشرة أيضا

صحيفة

١١٥ ذكر فتح فرقيسا في سنة ست

عشرة أيضا

ذكر غزوة فارس من

البحرين في سنة سبع عشرة

١١٦ ذكر الخبر عن فتح الاهواز

ومناذر ونهر تيرى

١١٧ ذكر فتح رامهرمز وتستر

وأسر الهرمزان

١١٩ ذكر فتح السوس

١٢٠ ذكر مصالحة جنديسابور

١٢٠ ذكر مسير المسلمين الى

كرمان وغيرها

١٢١ ذكر وقعة نهاوند

١٢٨ ذكر فتح الدينور والصبيرة

وغيرهما

١٢٨ ذكر فتح همدان والشاهين

وغيرهما ١٢٩ ذكر فتح أصبهان

١٢٩ ذكر فتح زويلة

١٢٩ ذكر فتح همدان ثانيا

١٣٠ ذكر فتح قزو بن وزنجان

١٣٠ ذكر فتح الري

١٣١ ذكر فتح قومس وجرجان

وطبرستان

صفحة	صحيحة	صحيحة
٥٩	ذکر غزوة معاوية الروم ١٤٨	ذکر فتح طرابلس الغرب ١٣١
٥٩	ذکر غزوة افریقیة ١٤٨	وبرقة
٦٠	ذکر غزوة کابل ١٤٨	ذکر فتح أذربيجان ١٣٢
٦٠	ذکر غزوة افریقیة ١٤٨	ذکر فتح الباب ١٣٢
٦١	ذکر انتفاض افریقیة ١٥٠	ذکر فتح موقان ١٣٣
٦١	وفصهاثانية	ذکر غزوة الترك ١٣٣
٦٥	ذکر غزوة الاندلس ١٥١	ذکر فتح خراسان ١٣٤
٦٥	ذکر غزوة قنسرین ١٥١	ذکر فتح شهر زور والصابغان ١٣٨
٧٠	ذکر فتح قبرس فی خلافة عثمان رضی الله عنه غزاهما معاوية سنة ٨٢ ١٥١	ذکر غزوة معاوية بلاد الروم ١٣٨
٧٠	ذکر انتفاض أهل فارس ١٥٢	ذکر الخبر عن فتح نوح ١٣٨
٧٢	ذکر غزوة سعيد بن العاص طبرستان ١٥٢	ذکر فتح اصطخر وجور وغيرها ١٣٩
٧٢	ذکر غزوة الصواری ١٥٣	ذکر فتح نسا ودار ابجرود ١٤٠
٧٢	ذکر مقتل بزدجرد بن شهریار ملك الفرس ١٥٤	ذکر فتح کرمان ١٤١
٨٠	ذکر مسير عبد الله بن عامر الى خراسان وقعها ١٥٤	ذکر فتح سجستان ١٤٢
٨١	ذکر فتح کرمان ١٥٦	ذکر فتح مکران بضم الميم وسكون الکاف ١٤٢
٨٢	ذکر فتح سجستان وکابل وغيرها ١٥٧	ذکر فتح بيز وذا الالهواز ١٤٣
٨٣	غزوة مضيق القسطنطينية ١٥٨	ذکر خبر سلعة بن قيس الاثبجي والأکراد ١٤٣
٨٣	ذکر غزوة بلنجر ١٥٥	ذکر الفتوحات فی خلافة عثمان بن عفان رضی الله عنه ١٤٥
٨٥	ذکر خروج الترك مع ملکهم قارن ١٥٨	ذکر خلاف أهل الاسكندرية ١٤٥
		ذکر صلح أهل أرمينية وأذربيجان ١٤٦

صحيفة	صحيفة
١٨٨ ذ كر قتل داهر ملك السند	١٥٩ غزوة حصن المرأة
وقفح السند	١٥٩ ذ كر انتفاض أهل قبرس
١٩٠ ذ كر غزوا الهند وفتحها	وغزروهم في سنة ٣٣
١٩١ ذ كر فتوحات موسى بن نصير بافريقية	١٦٠ ذ كر فتح رودس في سنة ٣٥
١٩٢ ذ كر غزوة قتيبة بن مسلم شومان وكش ونسف	٢٦١ ذ كر غزوة السند
١٩٣ ذ كر فتح الأندلس	١٦١ ذ كر غزوة القسطنطينية
١٩٥ ذ كر غرق المسلمين الذي حصل منهم الخ	١٦٥ ذ كر غزوة عقبه بن نافع بلاد السوس وكثير من وقائع افريقية
١٩٥ ذ كر غزو سجستان	١٧٠ ذ كر صلح عبد الملك بن مروان الملك الروم
١٩٦ ذ كر صلح خوارزم شاه وفتح خام جرد	١٧٢ ذ كر غزوة المهلب ما وراء النهر حين كان واليا على خراسان
١٩٦ ذ كر فتح سمرقند	١٧٢ ذ كر تسمير الجنود الى رتبيل مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث
١٩٩ ذ كر غزوة قتيبة الشاش وفرغانة	١٨٠ فتح قافلا
١٩٩ ذ كر غزوة الشاش	١٨١ ذ كر غزوة قتيبة بيكند
٢٠١ ذ كر مقتل قتيبة بن مسلم	١٨٢ ذ كر فتح طوانة من بلاد الروم
٢٠٢ ذ كر ولاية يزيد بن المهلب خراسان	١٨٣ ذ كر غزوة نومسكت ورامنه
٢٠٢ ذ كر فتح جرجان وطبرستان	١٨٣ ذ كر غزوة قتيبة بخاري
٢٠٤ ذ كر فتح جرجان الفتح الثاني	١٨٥ ذ كر صلح قتيبة مع الصغد
	ذ كر غدر نيزك وفتح الطالمان

صحيفة

٢٠٥ ذكر محاصرة القسطنطينية *

٢٠٦ ذكر غزوة الترك

٢٠٨ ذكر غزوة الصغد

٢٠٩ ذكر الواقعة بين الحرشي

والصغد

٢١١ ذكر غزو المسلمين بلاد

الخرز وظفر الخزر بهم

٢١١ ذكر غزوة أخرى على الخزر

٢١٢ ذكر فتح بلنجر

٢١٦ ذكر غزو مسلم بن سعيد

الكلابي

٢١٦ ذكر غزوة بالاندلس

٢١٦ ذكر غزوة الغور

٢١٧ ذكر غزوة الختل والغور

٢١٧ ذكر ماجرى لاشرس بن

عبد الله السلمي مع أهل

مصر قند وغيرها

٢٢٠ ذكر غزو ماوراء النهر

٢٢١ ذكر وقعة الجنييد بن عبد

الرحمن المري بالشعب

٢٢٦ ذكر قتل عبد الرحمن الغافقي

أمير الاندلس

٢٢٦ ذكر ولاية مروان بن محمد

صحيفة

أرمينية وأذربيجان بعد

انقضاء غزوة مسلمة بن

عبد الملك

٢٢٩ ذكر مقتل خاقان

٢٣٠ ذكر غزوات نصر بن سيار

الكناني ماوراء النهر

٢٣٤ ذكر غزو مروان بن محمد

ابن مروان

٢٣٥ ذكر صلح نصر بن سيار مع

الصغد

٢٣٦ ذكر ملك الروم ملاطية

٢٣٦ ذكر غزوة كش

٢٣٩ ذكر غزوة طبرستان

٢٣٩ ذكر نكت الاصبند

٢٤٠ ذكر نكت الديلم

٢٤٠ ذكر خروج استاذسيس

٢٤٢ ذكر فتح مدينة بار بد بالهند

٢٤٣ ذكر غزو المهدي

٢٤٤ ذكر غزو هرون الرشيد الروم

٢٤٦ ذكر غزو الخزر بلاد الاسلام

٢٤٦ ذكر غزو الروم

٢٤٧ ذكر فتح هر قلمة وقبرس

وغبرها

صحيفة	صحيفة
٢٧٤ ذكر ملك الروم واولوثة	٢٤٨ ذكر غزو الفرنج بالاندلس
٢٧٤ ذكر ملك المسلمين مدينة سرقوسة	٢٤٨ ذكر الغزو بالاندلس الى بلاد الفرنج
٢٧٧ ذكر غزو الروم ووفاة بازمار	٢٥٠ ذكر غزوة المأمون الى الروم
٢٧٧ ذكر حصر الصقالبة القسطنطينية	٢٥١ ذكر خروج الروم الى زبطرة
٢٨١ ذكر حرب بين المسلمين والروم	٢٥١ ذكر فتح عمورية وهي بروسة
٢٨٤ تنبيه	٢٥٣ ذكر غزوات زياد الله بن ابراهيم بن الاغلب عامل افريقية
٢٨٨ ذكر خروج الروسية على بلاد الاسلام	٢٥٤ ذكر غزوات بأفريقية
٢٨٩ ذكر مسير المرزبان بن محمد ابن مسافر ملك الديلم اليهم	٢٥٦ ذكر غزوات وفتوحات بأفريقية
٢٩٠ ذكر غزوة بصقلية	٢٦٢ ذكر فتح قصر يانة
٢٩٢ ذكر استيلاء الروم على مدينة زربة	٢٦٤ ذكر مسير الروم الى أرض مصر
ذكر استيلاء الروم على مدينة حلب	٢٦٤ ذكر اغارة البجاة على مصر وبجاة أرض النوبة والبجاة أهل تلك الارض
٢٩٤ ذكر فتح طبرمين من صقلية	٢٦٧ ذكر فتوحات وغزوات بأفريقية
٢٩٧ ذكر حصر الروم المصيصة ووصول الغزاة من خراسان	٢٦٨ ذكر غزوة عظمى بالاندلس على بلاد الفرنج
٢٩٧ ذكر استيلاء الروم على المصيصة وطرسوس	٢٦٩ ذكر القتال مع صاحب الزنج

صحيفة	صحيفة
٣٢٠ وأما دولة هولاندا ويقال لهم الفامنك	٢٩٨ ذكر خروج الروم الى بلاد الاسلام
٣٢٠ وأما دولة الدينبارك	٢٩٩ ذكر ملك الروم انطاكية
٣٢٠ وأما دولة السويد والنوردج	٣٠٠ ذكر ملك الروم مدينة حلب وعودهم عنها
٣٢١ وأما دولة البلجيك	٣٠٠ ذكر ملك الروم ملاذ كرد
٣٢١ وأما دولة السويسره	٣٠١ ذكر ما فعله الروم بالجزيرة
٣٢١ وأما دولة باواريا	٣٠١ ذكر انهزام الروم وأسر المستق
٣٢١ فاندنان	٣٠٢ ذكر غزوات بالهند
٣٢٢ الفائدة الثانية	٣٠٣ ذكر غزوة للامير أبي القاسم السكابي أمير صقلية
٣٢٣ تميم	٣٠٤ ذكر دخول الروسية في دين النصرانية
٣٢٥ ذكر غزوة بمين الدولة السلطان محمود بن سبكتكين صاحب غزنة	٣٠٦ استطراد
٣٢٥ ذكر غزوة أخرى الى الهند أيضا	٣١٩ وأما دولة النمسا المسماة أيضا استوريا
٣٢٥ ذكر غزوة بهاطية من بلاد الهند	٣١٩ وأما دولة البروسية
٣٢٦ ذكر غزوة المولتان	٣١٩ وأما دولة روسيا المسماة بالمسكوف
٣٢٦ ذكر غزوة كوا كير	٣٢٠ وأما دولة اسبانيا ويقال لهم أيضا الاسبانول
٣٢٧ ذكر غزوة الى الهند	٣٢٠ وأما دولة البرنوغال
٣٢٧ ذكر غزوة بهم نقر	
٣٢٨ ذكر غزوة بالهند	

صحيفة

٣٢٨ ذ كر غزوة بين الدولة بلاد

الغور وغيرها

٣٢٩ ذ كرفتح بين الدولة نارد بن

٣٢٩ ذ كر غزوة تانيشر

٢٣٠ ذ كر غزوة الى الهند

٣٣٠ ذ كر غزوة قشمبر وفتوح

وغيرهما

٣٣٢ ذ كر خروج الترك من الصين

٣٣٢ ذ كر غزوة بين الدولة الى

الهند والافغانية

٣٣٤ ذ كرفتح قلعة من الهند

٣٣٤ ذ كرفتح سومنات

٣٣٧ ذ كر غرق الاسطول

بجزيرة صقلية

٣٣٧ ذ كر غزوة للمسلمين الى

الهند

٣٣٨ ذ كر خروج ملك الروم الى

الشام وانهمزاه

٣٣٨ ذ كر غزوة وفضلونة الكردي

الخرروما كان منه

٣٣٨ ذ كر غزوة ملك الروم مدينة

الرها

٣٣٩ ذ كر ملك الروم قلعة افامية

٣٣٩ ذ كر قلعة سرستي وغيرها

من بلاد الهند

صحيفة

٣٤٠ ذ كر غزوة ملك الروم قلعة

بركوى

٣٤١ ذ كر ملك مودود بن مسعود

ابن محمد سبكتكين عدة من

حصون بلاد الهند

٣٤٢ ذ كر اخبار الروم والروسية

٣٤٢ ذ كر غزوة السلجوقية بلاد

الروم

٤٤٤ ذ كر غزوة أخرى للسلجوقية

٣٤٤ ذ كر فتح الب ارسلان

مدينة آني وغيرها من بلاد

النصرانية

٣٤٧ ذ كر خروج ملك الروم الى

خلاط وأسره

٣٤٩ ذ كر مقتل السلطان الب

ارسلان

٣٥٠ ذ كرفتح في بلاد الهند

٣٥١ ذ كرفتح انطاكية وانتزاعها

من الروم

٣٥١ ذ كر استيلاء الفرنج على

جزيرة صقلية

٣٥٦ اتمام الكلام على غزوات

الاندلس وما يتبع ذلك

٣٦٦ ذ كر غزوة من غزواته

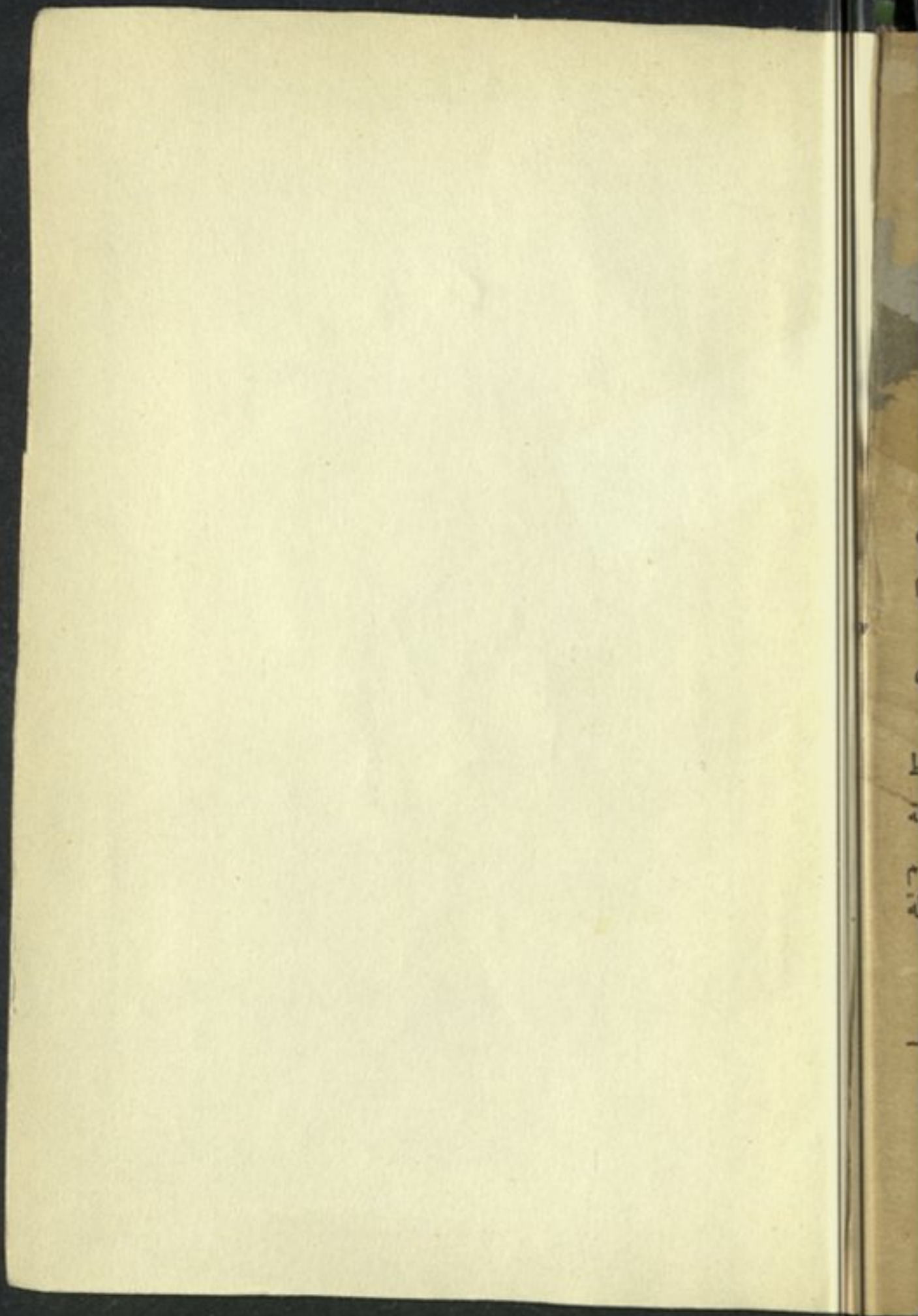
٣٦٨ خبر عجيب من أخبار المنصور

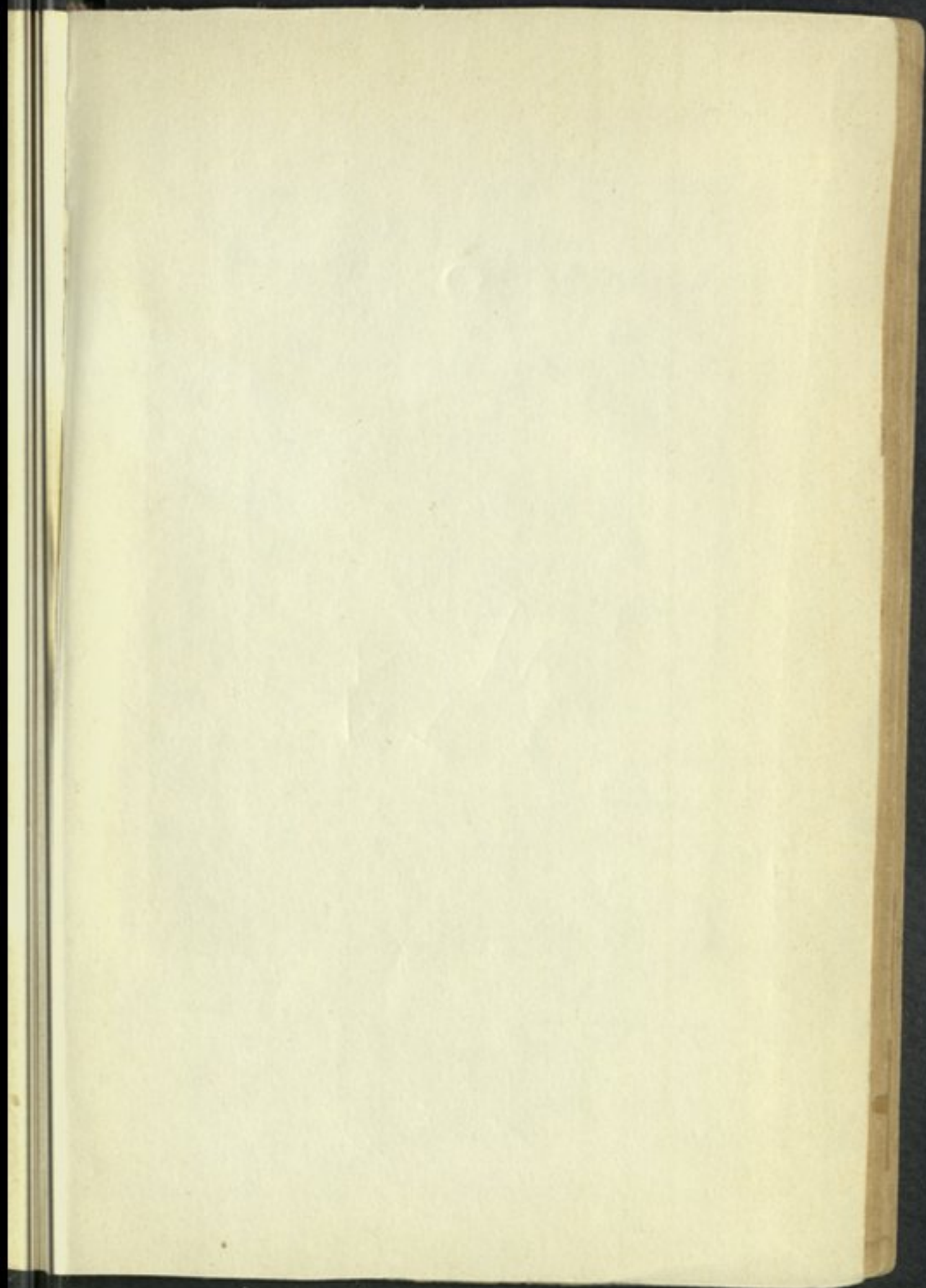
٣٦٩ غزوة أخرى من غزواته

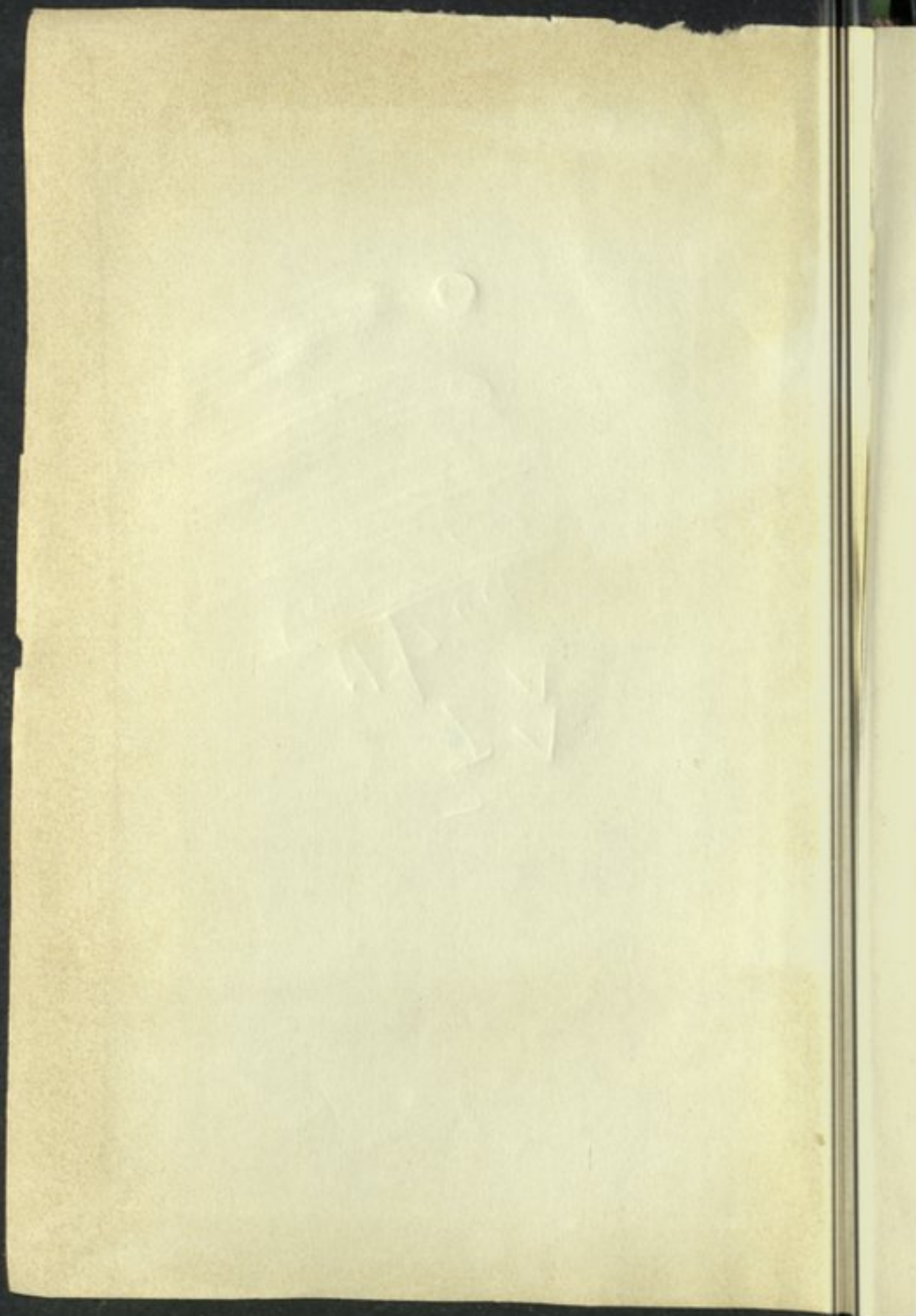
حكيمة	حكيمة
٤٠٥ ذكر فتوحات يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن	٣٦٩ ذكر غزوة أخرى من غزواته
٤١٠ ذكر محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن	٣٧٢ غزوة أخرى من غزواته
٤١٣ ذكر دولة بني مرين وغزواتهم بالاندلس	٣٧٤ ذكر أول مدينة تملكها الطاغية
٤١٤ ذكر ما كان من استيلاء العدو على كثير من مداين الاندلس مدة ضعف دولة بني عبد المؤمن	٣٧٥ ذكر تملك العدو بر بستر
٤١٨ ذكر أول تجهيز من بني مرين لغزو النصارى بالاندلس	٣٧٨ ذكر استرجاع المسلمين بر بستر وسرقسطة
٤١٨ غزوة أخرى لبني مرين الى الاندلس	٣٨٠ ذكر تملك الطاغية طليطلة
٤١٩ غزوة أخرى	٣٨٣ ذكر ما جرى بعد استيلاء العدو على طليطلة
٤١٩ غزوة أخرى لبني مرين للاندلس	٣٨٦ ذكر غزوة الدلاقة
٤٢٠ غزوة أخرى	٣٨٩ ذكر ما كان بعد غزوة الدلاقة
٤٢٠ غزوة أخرى	٣٩٠ ذكر خروج الفرنج بالاندلس بعد وفاة يوسف ابن تاشفين
٤٢٢ غزوة أخرى لبني مرين بالاندلس	٣٩١ ذكر قيام محمد بن نومرت المدعى أنه المهدي المنتظر
٤٢٣ غزوة أخرى	٣٩٦ ذكر أول تجهيز لعبد المؤمن على الاندلس
	٤٠٠ ذكر فتوح المهدي
	٤٠٣ ذكر فتوح يوسف بن عبد المؤمن

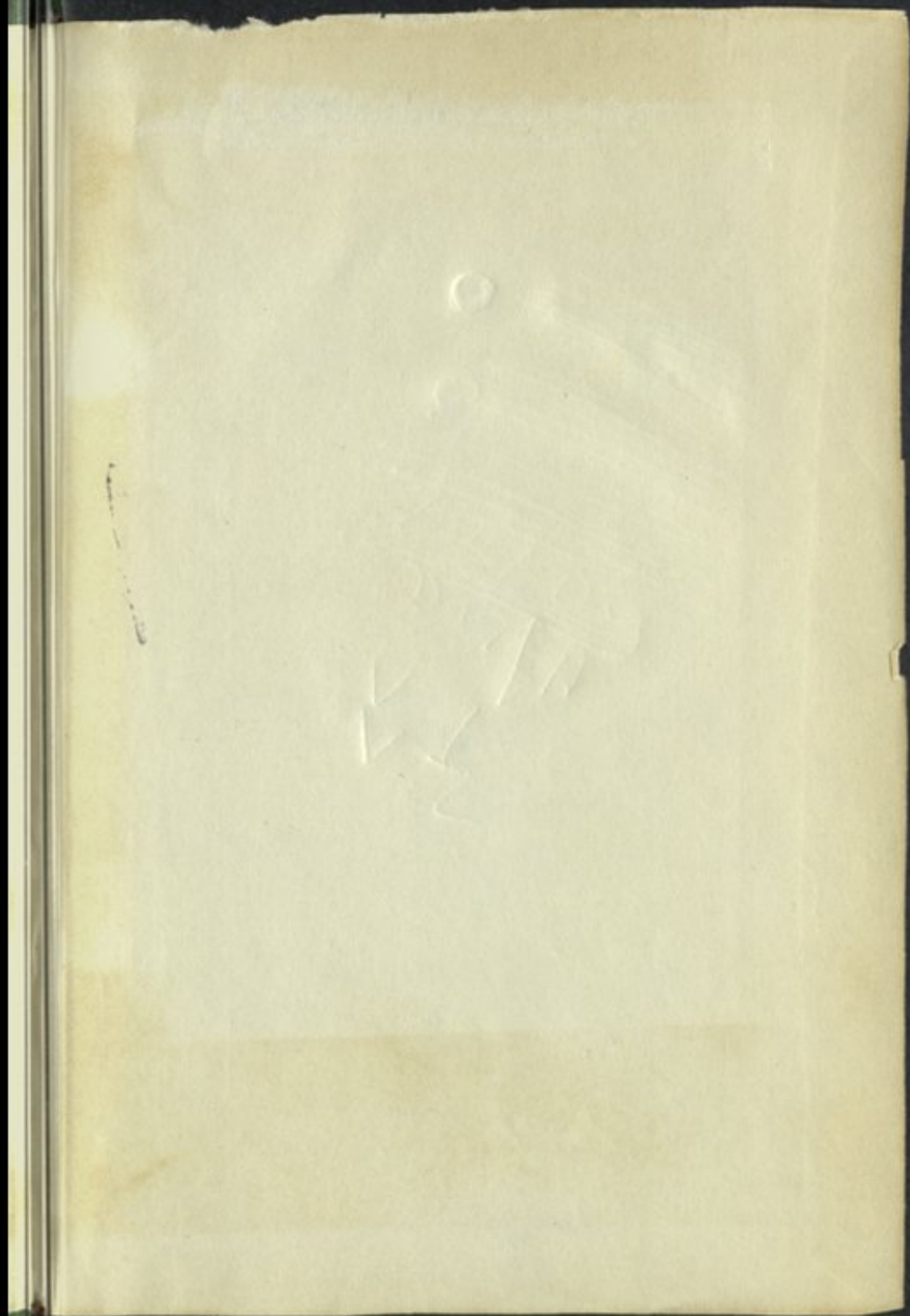
صحيفة	صحيفة
٤٦٩ ذكر فتح عدة حصون	٤٢٥ غزوة أخرى
٢٧٠ ذكر فتح قلعة برزية	٤٢٦ ذكر وفادة الطاغية على
٤٧٢ ذكر فتح درب ساك	السلطان
٤٧٣ ذكر فتح بفراس	٤٢٧ غزوة أخرى
٤٧٤ ذكر الهدنة بين المسلمين	٤٢٧ غزوة أخرى
وصاحب انطاكية	٤٣١ غزوة عظيمة
٤٧٥ ذكر فتح الكرك وما يجاوره	٤٣٤ ذكر استخلاص جبل الفتح
٤٧٥ ذكر فتح قلعة صفد	من النصاري
٤٧٥ ذكر فتح كوكب	٤٣٥ ذكر غزوة السلطان أبي
٤٨٠ ذكر مسير الفرنج الى عكا	الحسن الى الاندلس
ومحاصرتها	٤٤٢ ذكر ابتداء الحروب الصليبية
٤٨٢ ذكر وقعة أخرى	٤٤٥ ذكر تملك الفرنج قونية
٤٨٣ ذكر الواقعة الكبرى على	وانطاكية
عكا	٤٤٦ ذكر تملك الفرنج معرة
٤٨٥ ذكر رحيل صلاح الدين عن	النعمان
الفرنج وتمكنهم من حصر	٤٤٧ ذكر مصالحة أهل عرقة
عكا	وحصن للفرنج
٤٨٦ ذكر احراق الابراج ووقعة	٤٤٧ ذكر تملك الفرنج بيت
الأسطول	المقدس
٤٨٩ ذكر وصول ملك الالمان	٤٤٨ ذكر تملك الفرنج مدينة
الشام وموته	سروج وحيفا وقيسارية
٤٩٠ ذكر واقعة للمسلمين والفرنج	٤٦٧ ذكر فتح اللاذقية
على عكا	٣٣٨ ذكر فتح صهيون

صحيفة	صحيفة
وملكهم دمياط	٤٩١ ذكر خروج الفرنج من
٥٢٤ ذكر حصر الفرنج دمياط	خنادقهم
الى أن ملكوها	٤٩٣ ذكر وصول فليب ملك
٥٢٧ ذكر ملك المسلمين دمياط	الفرنسيين ثم ملك انكيترا
من الفرنج	٤٩٤ ذكر ملك الفرنج عكا
٥٣١ ذكر وفاة الملك العادلي الثاني	٤٩٧ ذكر رحيل الفرنج الى
تقدمت الاشارة اليها	ناحية عسقلان
٥٣٢ ذكر خروج الفرنج الى	٤٩٩ ذكر رحيل الفرنج الى
الشام وعمارة صيدا وملكهم	نظرون
بيت المقدس	٥٠٠ ذكر مسير صلاح الدين الى
٥٣٣ ذكر استرجاع بيت المقدس	القدس
للمسلمين	٥٠٢ ذكر الهندنة مع الفرنج
٥٣٤ ذكر ملك الفرنج دمياط	٥١٩ ذكر ملك الفرنج
مرة أخرى غير المرة السابقة	القسطنطينية
٥٣٦ ذكر خروج التترو وملكهم	٥٢٢ ذكر غارات الفرنج بالشام
بغداد وانقراض الدولة	وحصن الاكراد
العباسية	٥٢٣ ذكر ظهور الفرنج الى
	الشام ومسيرهم الى مصر









AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00290530

